هاري بوتر HP
والأمير الهجين

تأليف: ج . ك . رولينج

نهضة مصر

Hp

هاري بوتر

والأمير الهجين

تأليف : ج.ك. رولينـــج



Harry potter series: (6) Harry Potter and The Half - Blood Prince.

Copyright:© 2005 J.K Rowling

Cover Artwork © Warner Bros, A Division of the Time Warner Entertainment Company L P. **Harry Potter**, Names, Characters and related indicia are copyright and trademark Warner Bros.© 2000.



سلسلة : هاري بوتر

٦ قصة : هاري بوتر والأمير الهجين

تصدرها : شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع بترخيص من الشركة الأمريكية : **Warner Bros.**

جميع الحقوق محفوظة © تاريخ النشر : يناير 2006 رقم الإيداع : 2005/19944 الترقيم الدولي : ISBN. 977 14 3300 9

تأليف : ج.ك. رولينج ترجمة : د. عبد الوهاب علوب

إشراف عام : داليا محمد إبراهيم

المركز الرئيسي : 80 المنطقة الصناعية الرابعة مدينة 6 أكتوبر

ت : 8330287 8330289 / 02 فاكس : 8330296 / 02

مركز التوزيع : 18 شارع كامل صدقي الفجالة - القاهرة

ت : 5909827 5908895 / 02 فاكس : 5903395 / 02

إدارة النشر والمراسلات : 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - ص . ب : 21 إمبابة

ت : 3466434 3472864 / 02 فاكس : 3462576 / 02

فرع الإسكندرية : 408 طريق الحرية رشدي ت : (03)5462090

فرع المنصورة : 47 ش عبد السلام عارف ت : (050)2259675

E-mail:publishing@nahdetmisr.com

www.nahdetmisr.com

لا يجوز طبع أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب سواء النص أو الصور بأية وسيلة من وسائل تسجيل البيانات، إلا بإذن كتابي صريح من الناشر.

١ الوزير الآخر

كان الوقت يقترب من منتصف الليل و(رئيس الوزراء) يجلس فى مكتبه وحيدًا، يقرأ مذكرة طويلة تنساب كلماتها عبر عقله دون أن تخلف وراءها ثرًا يذكر من المعنى، وكان فى انتظار مكالمة تليفونية من رئيس دولة بعيدة وعقله مشغول بالتساؤل عن الموعد الذى سيتصل فيه ذلك الرجل البائس، فضلاً عن محاولته كبت الذكريات المزعجة لأسبوع كان صعبًا ومتعبًا وطويلاً جدًا؛ مما لم يترك فى رأسه مكانًا لأى شىء آخر، وكان كلما حاول التركيز على الكلمات المطبوعة فى الصفحة التى أمامه، أمكنه ذلك أن يرى بوضوح أكثر الوجه الشامت لأحد خصومه السياسيين الذى ظهر فى نشرة أخبار ذلك اليوم، ليس فقط ليعدد كل الأشياء الفظيعة التى حدثت خلال الأسبوع الماضى - كأن أى واحد يحتاج إلى التذكرة" - ولكن ليفسر لماذا كانت الحكومة مسئولة عن كل حدث منها.

خفق قلب (رئيس الوزراء) بشدة عندما فكر فى تلك الاتهامات؛ فلم يكن أىٌ منها عادلاً أو حقيقيًا، فكيف كان يمكن لحكومته بأية حال من الأحوال أن تمنع انهيار ذلك الجسر؟ ومن الظلم أن يقول أى شخص إن الحكومة لم تكن تنفق قدرًا كافيًا من المال على الجسور، فقد كان عمر هذا الجسر أقل من عشر سنوات، ولم يستطع أفضل المتخصصين الوصول إلى سبب انفلاقه إلى جزأين بهذه البساطة مسببًا سقوط اثنتى عشرة سيارة إلى أعماق ماء النهر أسفله، وكيف يجرؤ أى شخص أن يشير إلى أن قلة عدد أفراد الشرطة كانت سببًا فى حدوث جريمتى القتل المفزعتين اللتين تصدرت أخبارهما الصحف؟ أو أن الحكومة بشكل ما كان يجب أن تتنبأ بالإعصار غير المعهود الذى ضرب مقاطعة (وست كانترى) وأحدث الكثير من الخسائر فى كلٍّ من

الأرواح والممتلكات؟ وهل كان خطؤه هو الشخصى أن (هربرت كورلى)، أحد وزرائه، قد اختار هذا الأسبوع بالذات ليتصرف بغرابة حتى إنه سيذهب الآن لقضاء وقت أطول جدًا مع عائلته؟

وأنهى خصمه حديثه وهو لا يكاد يخفى ابتسامته العريضة قائلاً: «لقد سادت البلاد حالة من الكآبة والحزن».

وللأسف، كان ذلك صحيحًا تمامًا، وقد استشعره (رئيس الوزراء) بنفسه، فبالفعل قد أصبح الناس أكثر بؤسًا من المعتاد، وحتى الطقس أضحى كئيبًا، كل ذلك الضباب البارد فى منتصف شهر يوليو.. لم يكن الوضع صحيحًا، لم يكن طبيعيًا.

قلب (رئيس الوزراء) الصفحة الثانية من المذكرة؛ ليرى كم يبلغ طولها، فرأى أنها مهمة فتخلَّى عن إكمال قراءتها ومطَّ ذراعيه فوق رأسه ونظر إلى أنحاء حجرة مكتبه نظرة حزينة؛ كانت حجرة جميلة، بها مدفأة رخامية أنيقة تواجهها نوافذ عريضة بإطارات منزلقة تم غلقها بإحكام فى وجه البرودة غير المألوفة، وارتجف (رئيس الوزراء) رجفة خفيفة وهو يقف ليتجه إلى النوافذ، ونظر عبرها إلى الضباب الذى تكثف على الزجاج، وفى هذه اللحظة بينما يقف وظهره إلى الغرفة، سمع صوت سعال خفيف خلفه.

تجمد (رئيس الوزراء) وهو ينظر إلى انعكاس وجهه المرعوب على الزجاج المظلم أمامه، فقد عرف هذا السعال؛ لقد سمعه من قبل والتفت ببطء شديد ليواجه الغرفة الخالية.

قال: «مرحبًا»، وهو يحاول أن يبدو أكثر شجاعة مما يشعر به فى الحقيقة.

وللحظة، منَّى نفسه بالأمل المستحيل أن لا أحد سيجيبه، إلا أن صوتًا أجابه على الفور؛ صوتًا حادًا حازمًا بدا وكأنه يقرأ بيانًا مُعَدًا مسبقًا، كان مصدر الصوت ـ تمامًا كما أدركه (رئيس الوزراء) منذ بدأ السعال ـ هو الحنى،

الذى يشبه الضفدع، ذا الشعر المستعار الفضى الطويل المرسوم فى اللوحة الزيتية الصغيرة ذات الألوان الداكنة، المعلقة فى الركن البعيد من الغرفة.

نظر الرجل المرسوم فى اللوحة إلى (رئيس الوزراء) نظرة متسائلة وهو يقول: «إلى رئيس وزراء العامة، يجب أن نلتقى عاجلاً. برجاء الرد فورًا. مع خالص تحياتى، المخلص (فودج)».

قال (رئيس الوزراء) بتردد: «اسمع.. إن الوقت ليس مناسبًا بالنسبة لى.. فأنا فى انتظار مكالمة تليفونية ـ أتعرف؟ مِن رئيس...».

ردت اللوحة على الفور: «يمكن إعادة ترتيب الأمر». انقبض قلب (رئيس الوزراء)؛ فقد كان خائفًا من ذلك.

«ولكننى فى الواقع كنت أتطلع إلى أن أتكلم».

قال الجنى: «سوف نرتب الأمر بحيث ينسى الرئيس أن يحادثك الليلة وسوف يطلبك مساء غدٍ بدلاً من اليوم. برجاء الرد على السيد (فودج) فورًا».

قال (رئيس الوزراء) بصوت ضعيف: «أنا... حسنًا... لا مانع... نعم، سأقابل السيد (فودج)».

أسرع (رئيس الوزراء) عائدًا إلى مكتبه بينما كان يسوِّى ربطة عنقه «كرافت»، وكان بصعوبة بالغة قد جلس فى مقعده ورسم على وجهه تعبيرًا، أملاً فى أن يبدو مرتاحًا غير منزعج عندما اشتعلت فى الموقد الخالى أسفل رف المدفأة الرخامى ألسنة لهب خضراء متألقة. جلس (رئيس الوزراء) ينظر إلى المدفأة، راقب ما حدث محاولاً ألا يبدى أى اختلاجة تدل على الدهشة أو الذعر عندما ظهر رجل بدين يدور داخل اللهب، بسرعة لعبة النحلة. وبعد ثوان، خرج الرجل من المدفأة ووقف فوق البساط الأثرى البديع، بينما ينفض الرماد عن أكمام عباءته المخططة الطويلة ويمسك فى يده قبعة مستديرة لونها أخضر ليمونى.

قال (كورنيليوس فودج) بينما يخطو بخطوات واسعة ويده ممدودة "ى الأمام: «آه.. (رئيس الوزراء)، من الرائع أن أراك مجددًا».

لم يرد (رئيس الوزراء) على مجاملة (فودج)، فلم يكن يشعر بأدنى قدر من الارتياح لرؤيته، وكان ظهوره العرضى من وقت لآخر ـ بغض النظر عن كونه مفزعًا فى حد ذاته ـ يعنى أنه على وشك سماع أخبار سيئة، وكان (فودج) يبدو أقل بدانة وأكثر صلعًا وشعره رمادىٌ أكثر من ذى قبل ،وقد بدا القلق واضحًا على ملامح وجهه المتجهمة، وقد سبق لـ(رئيس الوزراء) رؤية تلك الهيئة على وجوه سياسيين آخرين من قبل ويعلم أنها لا تبشر بخير.

صافح (رئيس الوزراء) (فودج) للحظة قصيرة، ثم أشار إلى أقرب الكراسى من مكتبه وهو يسأله: «كيف يمكننى أن أساعدك؟».

شد (فودج) الكرسى وجلس عليه ووضع قبعته الخضراء على ركبته وهو يتمتم: «لا أعرف من أين أبدأ... يا له من أسبوع... يا له من أسبوع!».

سأل (رئيس الوزراء) وهو يأمل أن يفهم (فودج) أن لديه ما يكفيه من المتاعب بالفعل ولا يرغب فى سماع المزيد: «هل كان أسبوعك سيئًا أنت أيضًا؟».

قال (فودج) بينما يمسح عينيه بتعب: «نعم بالطبع». ثم نظر بتجهم إلى (رئيس الوزراء) وأضاف: «لقد مررت بنفس الأسبوع الذى مررت به أنت؛(جسر بروكديل).. جريمتى قتل (بونس وفانسى).. إعصار (وست كانترى)».

«هل كنتم... كان... أقصد: هل كان بعض أفراد جماعتك متورطين فى هذه الأحداث؟».

نظر (فودج) نظرة تعنيف إلى (رئيس الوزراء) وقال: «أليس الأمر واضحًا؟ كيف يمكنك ألاَّ تدرك ذلك؟».

أجاب (رئيس الوزراء) بتردد: «أنا...».

كان هذا الأسلوب من المعاملة ـ تحديدًا ـ هو الذى يجعله يكره زيارات (فودج) بشدة، فهو فى النهاية (رئيس الوزراء) ولا يحب أن يعامله أحدهم كأنه ولد صغير عديم الخبرة، ولكن الأمر كان دائمًا على هذه الحال منذ أول لقاء له مع (فودج) فى أول ليلة له كرئيس للوزراء، وهو

يذكر تلك الليلة كأنها حدثت أمس ويعلم أنه لن ينساها حتى يوم مماته.

كان يقف وحيدًا فى هذه الحجرة نفسها مستمتعًا بالنصر الذى وصل إليه بعد سنوات طويلة من التخطيط والتمنى، عندما سمع صوت سعال خلفه، تمامًا مثلما حدث تلك الليلة والتفت ليرى تلك اللوحة الصغيرة القبيحة تتحدث إليه معلنة أن وزير السحر على وشك الوصول ليقدم نفسه.

كان من الطبيعى أن يظن بنفسه الجنون بسبب الحملة الانتخابية الطويلة وإرهاق الانتخابات، وكان مرعوبًا ـ بكل ما تحتويه الكلمة من معنى ـ عندما وجد تلك اللوحة تتحدث إليه، إلا أن ذلك لم يكن شيئًا مقارنة بما شعر به عندما وثب شخص من المدفأة وصافحه بينما يعرِّف نفسه إليه بأنه ساحر، حيث ظل صامتًا بينما يشرح له (فودج) بلطف أن هناك سحرة وساحرات مازالوا يعيشون فى كل أنحاء العالم بدون أن يعلم عنهم أحد شيئًا، ثم أكد له أنه لا يحتاج لأن يقلق نفسه بشأنهم؛ لأن وزير السحر يحمل على عاتقه مسئولية مجتمع السحر بأكمله، فضلاً عن منع خبر وجود هذا المجتمع من التسرب إلى العامة. وشرح له (فودج) كيف أن هذه الوظيفة شاقة وتتضمن كل شىء بداية من وضع قواعد كيفية استخدام عصا المكانس وحتى وضع جماعة (التنانين) تحت السيطرة الدائمة، وتذكّر (رئيس الوزراء) أنه قبض على مكتبه ليستند عليه عند هذا الموقف، وعندها ربّت (فودج) بطريقة أبوية على كتف (رئيس الوزراء) الذى لم يكن قد أفاق من الصدمة بعد.

قال (فودج): «لا تقلق، من الأرجح ألاَّ ترانى مرة أخرى، لن أزعجك إلا إذا كان هناك شىء خطير فعلاً يحدث عندنا؛ شىء يمكن أن يؤثر على العامّة، أو مجتمع غير السحرة بمعنى أصح، أما بخلاف ذلك فسيظل كل منا فى حاله ويجب أن أقول لك إنك تتقبل الأمر بشكل أفضل ممن سبقك، فقد حاول أن يرمى بى من النافذة عندما فكر فى أننى حيلة دبرتها المعارضة ضده».

وهنا وجد (رئيس الوزراء) صوته أخيرًا.

«إنك... إنك لست خدعة إذن؟!».

لقد كان هذا أمله الوحيد والأخير.

رد (فودج) برفق: «لا.. لا، للأسف لست كذلك. انظر».

ثم حوَّل فنجان الشاى الخاص بـ(رئيس الوزراء) إلى فأر.

قال (رئيس الوزراء) وهو يحبس أنفاسه، بينما يراقب الفنجان وهو يمضغ زاوية الملف الذى توجد به خطبته القادمة: «ولكن... لكن لماذا لم يقل لى أى شخص شيئًا عن هذا؟».

قال (فودج) بينما يعيد عصاه السحرية إلى داخل معطفه: «لا يكشف وزير السحر عن نفسه إلا لرئيس وزراء العامة الموجود فى السلطة، فهذه أفضل طريقة؛ للمحافظة على السرية».

قال (رئيس الوزراء) بصوت ضعيف متذمر: «ولكن، لماذا لم يخبرنى أى (رئيس وزراء) سابق عن هذا الأمر؟».

وهنا انفجر (فودج) فى الضحك:

«عزيزى (رئيس الوزراء)، هل تنوى أن تخبر أى شخص عن هذا فيما بعد؟».

ثم رمى (فودج) بعض الغبار داخل المدفأة بينما لايزال يضحك، وخطا إلى داخل النيران الخضراء فانبعث منها صوت خفيف مرتفع، ثم اختفى تاركًا (رئيس الوزراء) واقفًا فى مكانه بلا حراك، وقد أدرك أنه لن يجرؤ على ذكر ما حدث لأى كائن حى طيلة حياته، ثم من ذا الذى سيصدقه على أية حال؟

استغرقت الصدمة بعض الوقت قبل أن يزول أثرها، وحاول (رئيس الوزراء) ـ لبعض الوقت ـ أن يقنع نفسه بأن (فودج) لم يكن سوى مجرد هلوسة ناتجة عن قلة نومه خلال الحملة الانتخابية الشاقة، وقد حاول بلا جدوى التخلص من كل الأشياء التى تذكره بهذا اللقاء المزعج، فأعطى الفأر لابنة أخيه التى سعدت به، وأعطى تعليمات لسكرتيره الخاص بإنزال لوحة الرجل الضئيل القبيح الذى أعلن عن حضور (فودج)، إلا أن اللوحة برهنت أنه من المستحيل إزالتها عن الحائط؛ مما زاد من رعب (رئيس

الـوزراء)، فـقـد حـاول الـعـديـد مـن الـنـجـاريـن وواحـد أو اثنان من البنائين ومؤرخ فنى ووزير المالية تحريكها من على الحائط دون جدوى، فكف (رئيس الوزراء) عن المحاولة وأصبح كل ما يرجوه أن يبقى هذا الشىء صامتًا بلا حراك طوال المدة الباقية التى سيقضيها فى هذا المكتب، إلا أنه ـ أحيانًا ـ كاد يقسم بأنه رأى بطرف عينه ساكن اللوحة وهو يتثاءب أو يحك أنفه، بل إنه شاهده مرة أو مرتين يخرج من الإطار تاركًا خلفه خلفية اللوحة القماش البنية، ولكنه درَّب نفسه على عدم النظر إلى الصورة كثيرًا، واعتاد أن يقنع نفسه دائمًا كلما حدث شىء كهذا بأنه مجرد خداع بصرى ليس إلا. حتى حلت ليلة تشبه هذه الليلة منذ ثلاث سنوات، كان (رئيس الوزراء) وحيدًا فى مكتبه عندما أعلنت اللوحة عن حضور (فودج) الذى اندفع إلى خارج المدفأة وهو فى حالة فزع شديد بينما ملابسه مبتلة تمامًا، وقبل أن يسأله (رئيس الوزراء) لماذا كانت ملابسه تقطر ماء فوق السجاد الثمين، بدأ (فودج) حديثه الصاخب عن سجن لم يسمع عنه (رئيس الوزراء) من قبل، ورجل يدعى (سيريوس بلاك)، وشىء بدا لسمعه مثل (هوجوورتس) وفتى يدعى (هارى بوتر) ولم يكن لأى من هذه الأشياء أدنى قدر من المعنى فى قاموس (رئيس الوزراء).

قال (فودج) وهو يلهث: «... لقد حضرت لِتَوِّى من (أزكابان)»، ثم سكب كمية كبيرة من الماء من حافة قبعته المستديرة إلى جيبه، وأضاف: «فى وسط بحر الشمال، لقد حدثت حالة هروب خطيرة هناك.. حراس السجن فى حالة هياج؛ فلم تحدث أى حالة هروب من هذا السجن قط. على أية حال، كان يجب أن أحضر إليك يا (رئيس الوزراء)؛ لأن (بلاك) معروف بقتله للعامَّة، وربما يخطط للانضمام إلى... (أنت تعرف من)، ولكنك بالطبع لا تعرف حتى من هو (أنت تعرف من)!»، حدَّق (فودج) إلى (رئيس الوزراء) بيأس للحظة، ثم قال: «لا بأس، اجلس، اجلس فمن الأفضل أن أقدم لك شيئًا تشربه».

كان (رئيس الوزراء) مستاءً بالفعل من دعوة شخص غريب له للجلوس فى مكتبه هذا إذا ما تجاوز عن دعوته للشراب الخاص، ولكنه مع ذلك جلس

وسحب (فودج) عصاه واستدعى من الهواء كأسين من الزجاج مملوءتين بسائل عنبرى، دفع بإحداهما إلى يد (رئيس الوزراء) وسحب لنفسه كرسيًا.

استمر (فودج) فى الكلام لمدة تزيد على ساعة إلا أنه أثناء الحديث رفض ذكر اسم معين بصوت عال وكتبه على رقعة من الجلد بدلاً من ذلك، ثم دفع بها ليد (رئيس الوزراء) التى لا تحمل الكأس وعندما نهض (فودج) أخيرًا ليرحل، نهض معه (رئيس الوزراء) أيضًا:

«إذن، فأنت تعتقد أن...»، ثم نظر إلى الاسم الموجود فى الرقعة الجلدية وقال: «لورد فول...».

قاطعه (فودج): «الذى لا يجب ذكر اسمه».

قال (رئيس الوزراء): «أنا آسف، هل تعتقد أن (الذى لا يجب ذكر اسمه) مازال حيًا إذن؟».

قال (فودج): «حسنًا، إن (دمبلدور) يقول هذا»، ثم أحكم غلق عباءته المخططة تحت ذقنه وأضاف: «ولكننا لم نجده قط، وإذا سألتنى فإننى أرى أنه ليس خطيرًا إذا لم يحصل على المساعدة؛ لذلك فإن (بلاك) هو من يجب أن تقلق بشأنه، ستقوم بدق ناقوس الخطر إذن؟ رائع. أرجو ألاّ يرى بعضنا بعضًا مرة أخرى، تصبح على خير».

لكنهما تقابلا ثانية، فبعد أقل من عام، ظهر (فودج) من الهواء فجأة فى غرفة رئاسة الوزراء وقد بدا عليه الانزعاج؛ ليخبر (رئيس الوزراء) أن هناك مشكلة حدثت فى كأس العالم لـ(الكويدتش)، أو هكذا بدت الكلمة لأذنيه وأن الأمر تضمن العديد من العامَّة، ولكن يجب على (رئيس الوزراء) ألا يقلق؛ فإن ظهور علامة (أنت تعرف من) مرة أخرى لا يعنى شيئًا؛ وأنه متأكد أنها حالة فردية وأن مكتب العلاقات يقوم فى هذه اللحظة بتعديل ذاكرة كل من شاهد الأمر من العامّة.

وأضاف (فودج): آه، كدت أنسى، فنحن نستورد ثلاثة (تنانين) أجنبية مخلوق آخر لدورة السحر الثلاثية، وهو شيء روتينى، ولكن إدارة السيطرة

تتحكم فى المخلوقات السحرية تقول لى إنه مذكور فى كتاب القواعد أن تخطرك إذا كنا سنُدخِل البلاد مخلوقات على قدر عال من الخطورة.

غمغم (رئيس الوزراء): «أنا... ماذا... (تنانين)؟!».

قال (فودج): «نعم، ثلاثة بالإضافة إلى مخلوق آخر. حسنًا، أراك على خير».

تمنى (رئيس الوزراء) أن تكون (التنانين) هى أسوأ ما سيلاقيه و يسمع عنه. ولكن لا. فبعد أقل من عامين، ظهر (فودج) مرة أخرى فى لمدفأة ومعه أخبار عن هروب جماعى من (أزكابان).

فكرر (رئيس الوزراء) ما قيل له بصوت مبحوح: «هروب جماعى؟!»

صاح (فودج) بينما مازالت إحدى قدميه فى النار: «لا داعى للقلق! لا داعى للقلق! فسوف نقبض عليهم بأسرع وقت، لكننى وجدت أنه من الضرورى إخبارك!».

واختفى (فودج) فى الهواء وسط وابل من الشرر الأخضر قبل أن يصيح (رئيس الوزراء) قائلاً: «انتظر لحظة واحدة!».

وبغض النظر عما قد تقوله الصحافة أو المعارضة، فإن (رئيس الوزراء) لم يكن رجلاً أحمق، فلم يفُت عليه أنه بالرغم من تأكيدات (فودج) فى لقائهما الأول، فإنهما يلتقيان كثيرًا، كما أن (فودج) يصبح أكثر اضطرابًا فى كل لقاء عن الذى قبله، مع أنه لم يكن يحب أن يفكر فى وزير السحر كثيرًا (أو كما يسميه فى عقله الوزير الآخر)، إلا أنه لم يستطع سوى أن يقلق مما سيأتى به (فودج) من أخبار سيئة عند ظهوره المرة القادمة؛ لذلك فإن منظر (فودج) وهو يخرج من النار مرة أخرى أشعث الشعر ومضطرب، ودهشته المستهجنة؛ لعدم معرفة (رئيس الوزراء) لسبب حضوره كان أسوأ ما حدث فى غضون هذا الأسبوع الشديد الكآبة.

قال (رئيس الوزراء) بحدة: «وكيف لى أن أعلم ما يحدث فى مجتمع السحر؟ لدىَّ دولة بأكملها أدير شئونها ولدىَّ ما يكفينى من الهموم فى هذه اللحظة بدون...».

قاطعه (فودج): «همومك هى همومى، فجسر (بروكديل) لم يتآكل، وما حدث فى (وست كانترى) لم يكن إعصارًا وتلك الجرائم لم يرتكبها العامة، وعائلة (هربرت كورلى) ستكون أكثر أمانًا بدونه، فنحن نقوم بترتيبات لنقله الليلة إلى مستشفى (سان مونجو) للأمراض والإصابات السحرية».

انفجر (رئيس الوزراء): «ما الذى... أنا... لا... ماذا؟».

أخذ (فودج) نفسًا عميقًا قبل أن يقول: «أخشى يا (رئيس الوزراء) أننى يجب أن أقول لك إن (الذى لا يجب ذكر اسمه) قد عاد».

قال (رئيس الوزراء): «عاد؟! عندما تقول إنه «عاد»... هل تعنى أنه حى؟ أعنى...».

أخذ (رئيس الوزراء) يبحث فى ذاكرته عن تفاصيل المحادثة المرعبة التى حدثت قبل ثلاث سنوات، عندما أخبره (فودج) عن أكثر السحرة إثارةً للخوف؛ ذلك الساحر الذى ارتكب ألف جريمة رهيبة قبل أن يختفى بطريقة غامضة منذ خمسة عشر عامًا.

قال (فودج): «حى... نعم، أعتقد ذلك، ولكننى لا أعرف، هل يعتبر الرجل حيًا إذا كان لا يمكن قتله؟ لا أستطيع فهم ذلك حقًا و(دمبلدور) لم يشرح لى الأمر كاملاً.. ولكن على أية حال، فإنه حتمًا لديه جسد وهو يمشى ويقتل؛ لذلك فلنفترض ـ حتى نكمل حديثنا ـ أنه حى».

لم يجد (رئيس الوزراء) ما يقوله، ولكن الرغبة الملحة فى الظهور كالعالِم ببواطن الأمور جعلته يبحث فى عقله عن أية تفاصيل يستطيع تذكرها من أحاديثهم السابقة.

«هل (سيريوس بلاك) مع (الذى لا يجب ذكر اسمه)؟».

قال (فودج) بحيرة بينما يدير قبعته بسرعة حول إصبعه: «(بلاك)! (بلاك)! أنت تعنى (سيريوس بلاك)؟ يا إلهى.. لا، لقد مات (بلاك) وقد اكتشفنا أننا كنا مخطئين بشأنه، فقد ظهر أنه برىء ولم يكن متحالفًا مع (الذى لا يجب ذكر اسمه)، ثم أضاف بطريقة دفاعية وقد زاد من دوران قبعته: «كل الأدلة كانت تشير إلى أنه الفاعل، وكان هناك أكثر

من خمسين شاهد عِيان، ولكنه ـ كما قلت ـ مات.. قتل في الحقيقة، وقد أعلنت وزارة السحر أنه سيتم فتح تحقيق في الأمر. في الواقع...».

شعر (رئيس الوزراء) بالدهشة من نفسه عندما وجد أنه يشعر بالشفقة على (فودج)، ولكن تلك المشاعر لم تلبث أن اختفت وتملكه الغرور عندما أدرك أنه ـ وإن كان لا يستطيع التجسد من داخل المدفأة ـ لم تحدث أى جرائم داخل إدارات حكومته، ليس بعد على الأقل.

وبينما قام (رئيس الوزراء) بلمس مكتبه الخشبى خلسة، استأنف (فودج) حديثه: «..ولكن (بلاك) ليس موضوعنا، المهم يا (رئيس الوزراء) أننا الآن في حرب، وهناك خطوات يجب اتخاذها».

كرر (رئيس الوزراء) الكلمة بعصبية: «في حرب؟!»، ثم أضاف: «ألا تبالغ قليلاً في قولك؟».

قال (فودج) بينما زادت سرعة حديثه أكثر فأكثر وكان يدير قبعته بسرعة حتى أصبحت تشبه غيمة من اللون الأخضر الفاتح: «أتباع (الذى لا يجب ذكر اسمه) الذين هربوا من سجن (أزكابان) في يناير انضموا إليه، ومنذ أن كشفوا عن أنفسهم وهم يخربون ويدمرون؛ فلقد كان هو من دمر جسر (بروكديل)، وهدد بقتل جماعى للعامة إذا لم أتنازل له عن السلطة».

قال (رئيس الوزراء) وهو في قمة الغضب: «يا إلهى، إذن فقد مات كل هؤلاء الناس بسببك وأنا الذى يجب أن أجيب عن كل الأسئلة؛ عن مواد البناء والحديد الصدئ، والمفصلات المتمددة المتآكلة، وأشياء من هذا القبيل».

قال (فودج) وقد تلوّن وجهه: «بسببى! هل تقول لى إنك كنت ستخضع لمثل هذا الابتزاز؟».

قال (رئيس الوزراء) بعد أن وقف وبدأ يتحرك في الغرفة بخطوات واسعة: «ربما لا، ولكننى كنت سوف أبذل قصارى جهدى للقبض على هذا المبتز قبل أن يرتكب مثل هذا العمل الشرير».

سأله (فودج) بحدة: «وهل تعتقد حقًا أننى لم أبذل كل ما في وسعى؟ إن كل فرد في الوزارة قد بذل ولايزال يبذل كل ما بوسعه لمعرفة مكانه والقبض

على أعوانه، ولكننا نتكلم هنا عن واحد من أكثر السحرة قوةً على مر العصور؛ ساحر لم يستطع أى شخص القبض عليه لمدة تقارب الثلاثين عامًا!».

قال (رئيس الوزراء) بينما أعصابه تزداد اضطرابًا مع كل خطوة يخطوها: «أفترض أنك سوف تقول لى إنه تسبب فى الإعصار الذى حدث فى (وست كانترى) أيضًا!» لقد كان من المثير للحنق أن يكتشف سبب كل هذه الكوارث الفظيعة بدون أن يستطيع إخبار الرأى العام، والأسوأ اكتشافه أنه خطأ الحكومة فى النهاية.

قال (فودج) «لم يكن هذا إعصارًا».

صاح (رئيس الوزراء) بجفاء بينما يضرب الأرض بقدميه: «اسمح لى! الأشجار التى اقتلعت من جذورها، والمنازل التى هدمت، وأعمدة الإنارة التى انثنت، والإصابات الفظيعة التى حدثت...»

قاطعه (فودج): «لقد كان كل ذلك من فعل (آكلى الموت)، أتباع (الذى لا يجب ذكر اسمه) ونحن نشك فى تورط العمالقة معهم».

توقف (رئيس الوزراء) فجأة وكأنه اصطدم بحائط غير مرئى: «تشك فى تورط من؟».

تجهم (فودج) وقال: «لقد استخدم العمالقة فى المرة السابقة عندما أراد إحداث تأثير كبير، ومكتب التحقق من الأخبار المغلوطة يعمل على مدار الساعة، ولدينا فِرقٌ من السحرة تقوم بتعديل ذاكرة كل العامّة الذين رأوا ما حدث فعلاً، وجميع أفراد إدارة السيطرة والتحكم فى المخلوقات السحرية موجودون فى (سومرست) ولكننا لم نجد العملاق.. لقد كان الأمر كارثة بالفعل».

قال (رئيس الوزراء): «هل أنت جاد فى ما تقوله؟!».

قال (فودج): «أنا لا أنكر أن الروح المعنوية فى الوزارة أصبحت منخفضة بعد كل ما حدث، ثم جاء مقتل (أميليا بونس) أيضًا».

سأل (رئيس الوزراء): «مقتل من؟».

رد (فودج): «(أميليا بونس) رئيسة قسم إدارة تنفيذ القانون السحرى، ونحن نعتقد أن (الذى لا يجب ذكر اسمه) قد قتلها بنفسه؛ لأنها كانت ساحرة موهوبة جدًا، وكل الدلائل تشير إلى أنها أبدت مقاومة شديدة فى معركة حقيقية».

تنحنح (فودج) وبدا أنه قد بذل مجهودًا؛ ليوقف دوران قبعته.

قال (رئيس الوزراء) وقد خف غضبه للحظة: «جريمة القتل هذه نشرت فى جرائدنا، ولكنها قالت فقط إن (أميليا بونس) كانت امرأة فى منتصف العمر تعيش وحدها، لقد كانت جريمة قتل شنيعة فعلاً، وقد تصدرت عناوين الصحف، ولاتزال الشرطة فى حيرة شديدة»

تنهد (فودج) قائلاً «من الطبيعى أن يحتاروا؛ فقد قتلت فى غرفة مغلقة من الداخل، ولكننا على الجانب الآخر نعرف بالضبط من فعلها، وإن كان هذا لا يساعدنا بأية حال فى القبض عليه، ثم هناك حادثة (إيميلين فانسى) ربما لم تسمع بهذه».

قال (رئيس الوزراء): «كيف هذا؟ لقد سمعتُ بها طبعًا، لقد حدثت فى مكان قريب من هنا وقد نشرتها الصحف، وكان يومًا مشهودًا للصحف التى نشرتها تحت عنوان: *إخلال بالقانون والنظام فى الفناء الخلفى لـ(رئيس الوزراء)*».

قال (فودج) وهو بالكاد قد سمع ما يقوله (رئيس الوزراء) «وكأن ذلك ليس كافيًا، ولدينا الآن الكثير من جماعة (الدمنتور مصاصى السعادة والأرواح) يتجولون فى طول البلاد وعرضها ويهاجمون الناس فى كل مكان...».

فى الأيام الخوالى، كانت تلك الجملة غامضة بالنسبة لـ(رئيس الوزراء)، ولكنه الآن أصبح أكثر حكمة.

قال (رئيس الوزراء) بحذر: «أليست جماعة (الدمنتور) هذه هى التى تحرس السجناء فى (أزكابان)؟».

قال (فودج) بضجر: «بلى، ولكنهم هجروا السجن وانضموا إلى (الذى لا يجب ذكر اسمه)، ولن أتظاهر بأن الأمر لم يكن مصيبة».

قال (رئيس الوزراء) وقد بدا الرعب فى صوته: «ولكن، ألم تقل لى إن هذه المخلوقات تمتص آمال وسعادة الناس؟».

قال (فودج): «هذا حقيقى، وسبب هذا الضباب أنهم يتوالدون».

جلس (رئيس الوزراء) على أقرب مقعد له وقد أصبحت ركبتاه لا تستطيعان حمله؛ حيث أشعرته فكرة انتشار هذه المخلوقات الخفية فى المدن والريف ونشرها لليأس والقنوط بين ناخبيه ـ أشعرته بأنه يكاد يُغمى عليه.

ثم قال: «انظر يا (فودج)، يجب أن تفعل شيئًا! إنها مسئوليتك بصفتك وزيرًا للسحر!».

قال (فودج) بشجاعة وهو يحاول الابتسام: «عزيزى (رئيس الوزراء)، لا يمكنك حقًا أن تعتقد أننى لاأزال وزيرًا للسحر بعد كل ما حدث؟ لقد تم تسريحى من الخدمة منذ ثلاثة أيام! ولمدة أسبوعين، ظل مجتمع السحر كله يصرخ مطالبًا باستقالتى، لم أرهم قط متحدين هكذا خلال كل المدة التى قضيتها فى السلطة!».

لم يجد (رئيس الوزراء) ما يقوله بالرغم من حنقه على الوضع الذى أصبح فيه؛ حيث إنه شعر بالتعاطف مع هذا الرجل المنكمش الذى يجلس أمامه.

وقال أخيرًا: «أنا آسف جدًا. هل هناك شىء أستطيع فعله؟».

رد (فودج): «أشكرك على لطفك يا (رئيس الوزراء)، ولكن ليس هناك ما يمكن فعله، لقد تم إرسالى إليك الليلة؛ لأطلعك على كل الأحداث التى حدثت مؤخرًا؛ ولأقدم لك خليفتى فى الوزارة. لقد ظننت أنه سيكون هنا الآن ولكنه بالطبع مشغول جدًا فى هذه اللحظة، هناك أحداث كثيرة تجرى».

نظر (فودج) حوله إلى لوحة الرجل الصغير ذى الشعر المستعار المجعد الطويل الذى كان ينبش فى أذنه بطرف ريشة طائر.

وعندما تلاقت عيناه بعينى (فودج)، قال الرجل الموجود باللوحة: «سيكون هنا بعد لحظة، إنه ينهى خطابًا يكتبه إلى (دمبلدور)».

قال (فودج) وقد بدت المرارة فى صوته لأول مرة: «أتمنى له التوفيق، لقد كنت أرسل الخطابات إلى (دمبلدور) مرتين كل يوم خلال الأسبوعين الماضيين،

ولكنه رفض التراجع عن موقفه، لو أنه كان مستعداً لإقناع الولد، لكنت الآن مازلت... حسنًا، ربما سيكون (سكريمجور) أكثر نجاحًا منى».

ثم سكت (فودج) وبدا أنه قد دخل فى حالة من الصمت الحزين ولكن اللوحة كسرت حاجز الصمت عندما تكلمت بصوتها الصارم الرسمى: «إلى رئيس وزراء العامة، نطلب اجتماعًا عاجلاً، برجاء الاستجابة فورًا (روفوس سكريمجور) وزير السحر».

قال (رئيس الوزراء) وهو شارد الذهن: «نعم، نعم، لا مانع»، وقد أجفل - بالكاد - عندما تحولت النيران فى الموقد إلى اللون الأخضر مرة أخرى وازداد اشتعالها، ثم ظهر بداخلها ساحر آخر يدور بسرعة كبيرة، ثم خرج بعد لحظات قليلة إلى السجادة الأثرية. وقف (فودج)، ثم بعد لحظة تردد، تبعه (رئيس الوزراء) وهو يشاهد الوافد الجديد يعتدل واقفًا وينفض الغبار عن ردائه الأسود الطويل، وينظر حوله.

أول فكرة سخيفة خطرت ببال (رئيس الوزراء) كانت أن (روفوس سكريمجور) يبدو كأسد عجوز؛ فقد ظهر الشيب فى شعره الطويل ذى اللون الأصفر الداكن وحواجبه الكَثة، كما أن لديه عينين ضاريتين إلى الصفرة خلف زوج من النظارات ذات الإطار المعدنى وكان ممشوق القوام يخطو برشاقة، وإن كان يمشى بعرج خفيف. وكان الانطباع الأول عنه هو حدة الذكاء والصلابة. وفهم (رئيس الوزراء) لماذا يختار مجتمع السحر شخصًا مثل (سكريمجور) كقائد بدلاً من (فودج) فى أوقات الخطر.

قال (رئيس الوزراء) بأدب بينما يمد يده إليه: «كيف حالك؟».

سلم عليه (سكريمجور) بينما كانت عيناه تمسحان الغرفة، ثم سحب عصاه السحرية من تحت عباءته، وسأله بينما كان يخطو بسرعة إلى الباب: «هل أخبرك (فودج) بكل شىء؟»، ثم طرق بعصاه على ثقب المفتاح وسمع (رئيس الوزراء) صوت إغلاق القفل.

رد (رئيس الوزراء): «نعم أخبَرنى بكل شىء، وإذا لم يكن لديك مانع فأنا أفضل أن يظل الباب مفتوحًا».

قال (سكريمجور) باقتضاب: «وأنا أفضل ألا يقاطعنا أحد»، ثم أضاف. «أو يشاهدنا»، ثم أشار بعصاه إلى الشبابيك فتحركت الستائر حتى أغلقت وأضاف: «أليس كذلك؟ فلنشرع فى العمل إذن، فأنا رجل مشغول وقبل كل شيء يجب أن نناقش تدابير حمايتك».

قام (رئيس الوزراء) بشد قامته إلى أقصاها ورد: «أنا راض تمامًا عن تدابير حمايتى الحالية، أشكرك كثيرًا».

قاطعه (سكريمجور): ولكننا غير راضين، سيكون موقفًا مخزيًا للعامَّة لو أن رئيس وزرائهم وقع تحت تأثير تعويذة التحكم، السكرتير الجديد فى مكتبك الخارجى».

قال (رئيس الوزراء) بحدة: «أنا لن أتخلص من (كيسجلى شاكلبولت) إن كان هذا ما تقترحه، فهو على قدر عال من البراعة وينجز من العمل ضعف ما ينجزه الآخرون».

قال (سكريمجور) دون أن يبتسم: «هذا لأنه ساحر محارب للسحر الأسود، حصل على تدريب راق وتم تعيينه؛ ليقوم بحمايتك».

صاح (رئيس الوزراء): «انتظر لحظة، لا يمكنك أن تضع أناسًا فى مكتبى بهذه البساطة، أنا الذى يقرر من الذى يعمل معى...».

قال (سكريمجور). «لقد اعتقدت أنك راض عن (شاكلبولت)».

قال (رئيس الوزراء): «نعم ولكننى أقول لك كنت...».

قال (سكريمجور): «إذن ليست هناك مشكلة، أم لديك اعتراض؟».

قال (رئيس الوزراء) باستسلام: «أنا... حسنًا، لا مانع من استمراره مادام عمله ممتازا»، إلا أن (سكريمجور) بالكاد سمعه.

استأنف (سكريمجور) حديثه: «أما بخصوص (هربرت كورلى) وزيرك المساعد، هذا الذى يسلى الجمهور بتقليده للبط».

سأل (رئيس الوزراء): «ماذا عنه؟».

رد (سكريمجور): «من الواضح أنه وقع ضحية لتعويذة تحكُّم ألقيت عليه بطريقة غير صحيحة فأتلفت عقله، ولكنه مع ذلك يمكن أن يكون خطيرًا».

قال (رئيس الوزراء) بضعف: «ولكنه يقلد صوت البط فقط، وربما مع القليل من الراحة، وأن يخفف من شرب الخمور...».

قال (سكريمجور): «بينما نتكلم الآن، هناك فريق من المعالجين من مستشفى (سان مونجو) للأمراض السحرية يقوم بفحصه، وحتى الآن حاول خنق ثلاثة منهم، وأعتقد أنه من الأفضل نقله من مجتمع العامة لبعض الوقت».

قال (رئيس الوزراء) بقلق: «أنا.. إذن... سيكون بخير، أليس كذلك؟»، هز (سكريمجور) كتفيه فحسب، وتحرك راجعًا إلى المدفأة فعلاً.

ثم رد (سكريمجور): «حسنًا، هذا كل ما أردت قوله، وسأخبرك بكل ما يحدث من تطورات، وربما سأكون في الأغلب مشغولاً جدًا وقد لا أستطيع القدوم إليك بنفسي، وفي هذه الحالة سأرسل إليك (فودج)؛ فقد وافق على البقاء بالوزارة في وظيفة استشارية».

حاول (فودج) رسم ابتسامة على شفتيه لكنه لم ينجح؛ فبدا كأنه مصاب بألم في الأسنان. بحث (سكريمجور) في جيبه عن الغبار الغامض الذي يحول النيران إلى اللون الأخضر. حدَّق (رئيس الوزراء) إلى كليهما بيأس، ثم تدفقت أخيرًا الكلمات التي كان يحاول كبتها طوال الأمسية:

«ولكن بحق السماء ـ إنكم سحرة! يمكنكم استخدام السحر! بالتأكيد، بإمكانكم حل أي شيء!».

التفت (سكريمجور) في مكانه ببطء، ثم تبادل نظرة شك مع (فودج) الذي استطاع أخيرًا أن يبتسم هذه المرة وهو يقول بلطف: «المشكلة أن الطرف الآخر يستطيع استخدام السحر ايضًا يا (رئيس الوزراء)».

ثم خطا كلا الساحرين الواحد بعد الآخر إلى داخل النيران الخضراء المتألقة واختفيا.

■ ■ ■

٢ سبنر إند

على بعد أميال كثيرة، أخذ الضباب البارد الذى تكثف بجوار شباك (رئيس الوزراء) يتجمع فوق نهر عكر يجرى بين ضفتين تكسوهما النُّفايات، وبالقرب منه توجد مدخنة ضخمة، وهى أثر باق من طاحونة قديمة مهملة تبدو مشئومة ومليئة بالظلال. لم يكن يُسمع إلا صوت خرير المياه السوداء، ولم يكن هناك أثر لأى كائن حى إلا ثعلب هزيل تسلل بخفة إلى ضفة النهر وأخذ يتشمم الهواء على أمل إيجاد بعض بقايا وجبات السمك والبطاطا المقلية فى لفافات الطعام الملقاة فى الأعشاب الطويلة.

وعندها، ظهر من الهواء شخص مغطى الرأس عند حافة النهر محدثًا صوت فرقعة مكتومًا. تجمد الثعلب، وعيناه القلقتان مثبتتان على هذه الظاهرة الجديدة الغريبة، بدا أن الشخص قد وقف للحظات قليلة ليحدد وجهته، ثم انطلق يمشى بخطوات واسعة وسريعة ورشيقة بينما كانت عباءته الطويلة تُحدث حفيفًا فوق العشب.

ثم صدر صوت فرقعة ثان أشد من الأول وتجسَّد شخص آخر مغطى الرأس، وقال:

«انتظرى!».

أخاف الصياح العالى الثعلب؛ فربض داخل العشب، ثم قفز من مكان اختبائه إلى أعلى ضفة النهر. برق وميض أخضر وسُمع صوت عواء قبل أن يسقط الثعلب ميتًا.

ثم حرك الشخص الثانى الثعلب بأطراف أصابع قدمه.

وقال صوت امرأة من تحت غطاء الرأس: «إنه مجرد ثعلب، لقد اعتقدت أنه أحد هؤلاء المدافعين ضد السحر الأسود. (كيسى)، انتظرى».

ولكن من وجهت إليها الكلام والتى كانت قد تمهلت ناظرة إلى الوميض الأخضر خلفها، كانت الآن قد تسلقت صاعدة ضفة النهر التى سقط عنها الثعلب منذ لحظة.

(كيسى): «(ناركيسا)، استمعى إلىَّ».

لحقت المرأة الثانية بالأولى وقبضت على ذراعها ولكن الأولى أبعدت يد الثانية عنها.

وقالت: «ارجعى يا (بيلا)».

ردت (بيلاتريكس): «يجب أن تستمعى إلىَّ».

قالت (ناركيسا): «سمعتُكِ من قبل، وقد اتخذت قرارى النهائى، اتركينى وشأنى!».

وصلت (ناركيسا) إلى أعلى ضفة النهر حيث يفصلها عن الدرب المرصوف بالحجر سياج قديم، وتبعتها (بيلاتريكس) على الفور ووقفتا جنبًا إلى جنب تنظران عبر الطريق إلى صفوف المنازل الحجرية المهدمة ونوافذها الغارقة فى الظلام التى لا تخرج منها أى أضواء وسط العتمة.

سألت (بيلاتريكس) بصوت ظهر فيه الازدراء: «هل يعيش هنا؟! فى مقلب نفايات العامة هذا! لابد أننا الأوليان من جنسنا اللتان تأتيان إلى هذا المكان».

ولكن (ناركيسا) لم تكن تستمع إليها، فمرت عبر فجوة فى السياج الصدئ وأسرعت تعبر الطريق.

«(كيسى): «انتظرى».

تبعتها (بيلاتريكس) بينما عباءتها تتماوج خلفها ورأت (ناركيسا) وهى تندفع إلى داخل حارة بين المنازل، ثم إلى حارة أخرى تكاد تشبهها تمامًا. كانت بعض مصابيح الطريق مكسورة، فبدت المرأتان كأنما تسرعان بين بقع من الضوء والظلمة الشديدة، ولحقت (بيلاتريكس) بـ(ناركيسا) فى اللحظة التى دارت فيها الثانية حول منعطف آخر. وفى

هذه المرة، نجحت فى الإمساك بذراعها وشدتها نحوها حتى واجهتها وقالت (كيسى). «يجب ألا تفعلى ذلك، لا يمكنك الوثوق به».

ردت (ناركيسا). «ولمَ لا؟ إن سيد الظلام يثق به، أليس كذلك؟».

قالت (بيلاتريكس) وهى تلهث بينما عيناها تومضان كل لحظة تحت غطاء رأسها بينما تنظر حولها؛ لتتأكد أنهما بالفعل وحيدتان: «أعتقد أن سيد الظلام مخطئ فى ثقته به. على أية حال، لقد تم التنبيه علينا بعدم مناقشة الخطة مع أى شخص ولو تكلمنا فسيعتبر ذلك خيانة لسيد الظلام».

قالت (ناركيسا) فى ارتباك بينما تسحب عصاها السحرية من تحت عباءتها وتمسك بها مهددة فى وجه الأخرى. «اتركينى يا (بيلا)»، ضحكت (بيلا) وقالت: «أنا (كيسى) أختك، لا يمكنك أن تفعلى ذلك...».

تنهدت (ناركيسا) وقالت وقد بدا فى صوتها لمحة من الهستيريا. «ليس هناك ما لا يمكننى فعله بعد الآن»، ثم خفضت عصاها وأمسكتها كما تمسك السكين، فانطلق منها وميض أخضر، فتركت (بيلاتريكس) ذراع أختها بسرعة كما لو أنها احترقت.

وقالت: «*(ناركيسا)*».

ولكن (ناركيسا) أسرعت بالتقدم وأسرعت أختها وراءها وهى تدلك يدها، ولكنها الآن تترك مسافة بينهما، بينما تتحركان أكثر إلى عمق الممرات المهجورة بين المنازل الحجرية. وفى النهاية، صعدت (ناركيسا) أحد الشوارع مهرولة، وكانت هناك مدخنة طاحونة تتمايل كما لو أنها إصبع عملاق يتحرك إلى الجانبين محذرًا، وكان وقْع خطواتها على الطريق المرصوف بالحصى له صدًى، بينما تمر أمام الألواح الخشبية للنوافذ المكسورة، حتى وصلت إلى المنزل الأخير، حيث يتسلل بصيص من الضوء عبر الستائر من حجرة فى الدور السفلى.

وطرقت (ناركيسا) الباب قبل أن تلحق بها (بيلاتريكس) وهى تلعن فى همس ووقفتا معًا تنتظران وهما تلهثان قليلاً، بينما تستنشقان

الروائح الكريهة التى يحملها إليهما نسيم الليل من النهر، وبعد ثوان قليلة سمعتا حركة خلف الباب ثم فُتحت فرجة صغيرة فى الباب فكان بالإمكان رؤية رجل ينظر إليهما من خلف الستائر وكان له شعر أسود طويل حول وجه شاحب وعينين سوداوين.

رمت (ناركيسا) بغطاء رأسها إلى الخلف، فشع وجهها الأبيض شديد الشحوب وسط الظلمة، وأعطاها شعرها الأشقر الطويل الذى ينسدل على ظهرها مظهر شخص مات غرقًا.

قال الرجل بينما يفتح الباب، حتى يسقط الضوء عليها وعلى أختها: «(ناركيسا)! يا لها من مفاجأة سارة».

قالت (ناركيسا) بصوت هامس متوتر: (سيفيروس)! هل يمكننى أن أتحدث إليك؟ إن الأمر عاجل».

رد الرجل. «أكيد! تفضلى!».

تراجع الرجل عن الباب؛ حتى يفسح لها الطريق للدخول إلى المنزل. ويدون دعوة، تبعتها أختها التى لايزال وجهها مختفيًا خلف غطاء الرأس.

قالت (بيلاتريكس) بجفاء بينما تمر بجواره: «سناب»!

فأجاب الرجل وقد تجعد فمه الرفيع ليرسم ابتسامة ساخرة قليلاً بينما يغلق الباب وراءهما بخفة: «(بيلاتريكس)».

ودخلتا مباشرة إلى حجرة جلوس صغيرة تبدو من الداخل كأنها زنزانة مبطنة ذات ألوان داكنة، وكانت الحوائط مغطاة تمامًا بالكتب، معظمها مجلدات مكسوة بالجلد القديم ذى اللون الأسود أو البنى، وكان بالغرفة أيضًا أريكة رثة وكرسى ذو ذراعين قديم ومائدة متداعية موضوعة بجانب بعضها بعضًا تحت ضوء ضعيف صادر عن مصباح توجد به شمعة يتدلى من السقف، كان المكان يسوده جو من الإهمال كأنه لا يسكنه أحد معظم الوقت.

أشار (سناب) لـ(ناركيسا) ناحية الأريكة فخلعت (ناركيسا) عباءتها وألقتها جانبًا، ثم جلست تحدق نحو يديها البيضاوين المرتجفتين

اللتين عقدتهما داخل حِجرها. أما (بيلاتريكس) التى لم ترفع نظرتها المحدقة عن (سناب) بينما تتحرك للوقوف خلف (ناركيسا)، فقد أنزلت غطاء رأسها ببطء أكثر وكانت جميلة مثل أختها ولكنها ذات شعر أسود وعينين سوداوين ورموش كثيفة وفك قوى.

سأل (سناب) بينما يجلس فى المقعد ذى الذراعين المقابل للأختين: «إذن، ما الذى يمكننى فعله لك؟».

سألت (ناركيسا). «نحن وحدنا، أليس كذلك؟».

فرد (سناب): «بلى بالطبع! (وورمتيل) هنا، لكنه لا يحسب بالطبع».

ثم أشار بعصاه إلى حائط من الكتب خلفه، وبحركة مفاجئة فتح بابًا خفيًا كاشفًا عن سلم ضيق يقف أعلاه رجل قصير متجمد.

قال (سناب) بتثاقل: «كما سبق أن عرفت يا (وورمتيل) فإن لدينا ضيوفًا».

زحف الرجل هابطًا الدرجات القليلة الباقية بينما ظهره محنىٌ، وتحرك إلى داخل الغرفة. كانت له عينان صغيرتان زائغتان، وأنف مدبب ويبتسم ابتسامة متكلفة، وكانت يده اليسرى تربّت على اليمنى التى بدت كما لو أنها مغطاة بقفاز فضى لامع.

قال (وورمتيل) بصوته الحاد: «(ناركيسا)، و(بيلاتريكس) أيضًا شىء رائع».

قال (سناب): «سيحضر لنا (وورمتيل) الشراب لو أحببتما، ثم سيعود إلى غرفة نومه».

انتفض (وورمتيل) كما لو أن (سناب) قد رمى شيئًا عليه وقال بحدة بينما يتفادى عينٍ (سناب): «أنا لست خادمك!».

رد (سناب): «حقًا! ولكننى اعتقدت أن سيد الظلام قد وضعك هنا؛ لمساعدتى».

ثم أجاب (وورمتيل): «للمساعدة نعم! ولكن ليس لإحضار المشروبات لك وتنظيف منزلك».

قال (سناب) بنعومة: «لم يكن لدىَّ أى فكرة يا (وورمتيل)، إنك مشتاق إلى مهام أكثر خطورة، يمكن ترتيب ذلك بسهولة، وسوف أتكلم مع سيد الظلام».

رد عليه (وورمتيل) قائلاً: «يمكننى التحدث معه بنفسى إذا أردت ذلك».

قال (سناب) بسخرية: «يمكنك ذلك بالطبع. ولكن، فى هذه الأثناء أحضر لنا المشروبات؛ بعض النبيذ الذى صنعته الجنيات سيَفى بالغرض».

تردد (وورمتيل) للحظة، وبدا كما لو أنه سيجادل، لكنه اتجه نحو باب خفى آخر واختفى وراءه، وسمعوا صوت قرع وجلجلة الكئوس الزجاجية، ثم عاد بعد ثوان وهو يحمل زجاجة متربة وثلاث كئوس فوق صينية ووضعها فوق المائدة الآيلة للسقوط، ثم أسرع بالاختفاء من أمامهم وهو يَصْفِق الباب الخفى المغطى بالكتب وراءه.

ملأ (سناب) الكئوس الثلاث من النبيذ ذى اللون الأحمر كلون الدم وقدم اثنتين منها إلى الأختين، فتمتمت (ناركيسا) بكلمة شكر، بينما لم تنطق (بيلاتريكس) بكلمة، واستمرت تحملق فى (سناب) الذى لم يضايقه تحديقها، بل على العكس بدا - إلى حد ما - مستمتعًا بالوضع.

قال (سناب) بينما يرفع كأسه ثم يرشف منها: «فى صحة سيد الظلام».

وقلدته الأختان، ثم أعاد (سناب) ملء الكئوس.

وبينما (ناركيسا) تأخذ كأسها الثانية، قالت باندفاع: «(سيفيروس)! أنا آسفة؛ لأنى أتيت إلى هنا بهذا الشكل، ولكن كان يجب أن أراك؛ لأنى أعتقد أنك الوحيد الذى يمكنه مساعدتى».

رفع (سناب) يده وأشار إليها؛ لتتوقف عن الكلام، ثم وجه عصاه مرة أخرى إلى السلم المختفى وراء الباب السرى؛ فسمعوا صوت خبطة، ثم صوت صرخة طويلة حادة وتبعها صوت دبدبة (وورمتيل) وهو يعدو صاعدًا السلالم.

قال (سناب): «أعتذر، فلقد أصبح ـ مؤخرًا ـ معتادًا التنصت من خلف الأبواب، لا أعرف ما الذى يعنيه بذلك... ماذا كنت تقولين (ناركيسا)؟».

أخذت (ناركيسا) نفَسًا وهى ترتجف وبدأت حديثها مرة أخرى:

«(سيفيروس)، أنا أعلم أننى كان يجب علىَّ عدم القدوم إلى هنا، فقد قيل لى ألا أخبر أى شخص بأى شىء . ولكن...».

قاطعتها (بيلاتريكس): «يجب أن تمسكى لسانك خاصة فى حضور الصحبة الحالية!».

قال (سناب) بتهكُم: «فى حضور الصحبة الحالية! ما الذى يعنيه هذ يا (بيلاتريكس)؟».

ردت (بيلاتريكس): «معناه، كما تعلم جيدًا يا (سناب)، أننى لا أثق بك».

بدأت (ناركيسا) تبكى وتشهق بصوت عال وغطت وجهها بكلتا يديها، وأنزل (سناب) كأسه ووضعها على المائدة وجلس مكانه ثابتًا ويداه موضوعتان فوق يدى الكرسى وهو يبتسم فى وجه (بيلاتريكس) المحدق

قال (سناب): «(ناركيسا)، أعتقد أننا يجب أولاً أن نسمع ما تجاهد (بيلاتريكس) لقوله، فهذا سيوفر علينا المقاطعات المملة، فلتستمرى يـ (بيلاتريكس) لماذا إذن لا تثقين بى؟».

قالت (بيلاتريكس) بصوت عال: «هناك مئات الأسباب»، ثم تحركت مز خلف الأريكة؛ لتضع كأسها على المائدة، ثم أضافت: «من أين أبدأ؟ أير كنت عندما سقط سيد الظلام؟ ولماذا لم تحاول قط أن تبذل أى محاولـ لتجده عندما اختفى؟ ما الذى كنت تفعله طوال تلك السنوات التى كنت تعيش فيها فى جيب (دمبلدور)؟ لماذا منعت سيد الظلام من الحصول على حجر الفيلسوف؟ لماذا لم تعد فورًا عندما وُلد سيد الظلام من جديد؟ أير كنت منذ أسابيع قليلة مضت، عندما كنا نحارب لاسترجاع النبوءة إلى سيد الظلام؟ لماذا يا (سناب) لايزال (هارى بوتر) حيًا بينما كان بإمكانك قتله؛ حيث كان تحت رحمتك طوال خمسة أعوام؟».

توقفت عن الكلام قليلاً، وصدرها يعلو ويهبط وقد تسارع تنفُسها وتلون خداها بينما جلست (ناركيسا) خلفها بلا حراك ووجهها لايزال مختفيًا خلف يديها.

ابتسم (سناب) وقال

«قبل أن أرد عليكِ، نعم يا (بيلاتريكس)، سوف أجيب عن كل تساؤلاتكِ! ويمكنك أن تحملى كلماتى إلى كل أولئك الذين يهمسون من وراء ظهرى ويحكون قصصًا كاذبة عن خيانتى لسيد الظلام! ولكن قبل أن أجيبك، أريد أن أسألكِ سؤالاً: أَوَ تعتقدين حقًا أن سيد الظلام لم يسألنى كل هذه الأسئلة؟ أو تعتقدين لو أننى لم أجبه إجابات مرضية عن كل سؤال، فهل كنت سأكون جالسًا الآن أتكلم معكما؟

ترددت (بيلاتريكس)، ثم قالت «أنا أعلم أنه يصدقك ولكن...».

ثم أكمل (سناب) «وهل تعتقدين أنه مخطئ؟ أو أننى بطريقة ما خدعته؟ خدعت سيد الظلام؛ أحد أعظم السحرة على الإطلاق، وصاحب أعظم إنجازات فى عالم السحر!».

سكتت (بيلاتريكس) وبدت للمرة الأولى حائرة قليلاً، ولكن (سناب) لم يضغط على هذه النقطة، وتريّث قليلاً حتى التقط كأسه ثانية وارتشف منها، ثم استأنف حديثه. «ولقد سألتِنى أين كنت عندما سقط سيد الظلام؟ لقد كنت حيث أمرنى أن أكون فى مدرسة (هوجوورتس) لتعليم فنون السحر أنفذ ما أرادنى أن أفعله وهو التجسس على (ألباس دمبلدور)؛ فقد توليت هذا المنصب بناءً على أوامر سيد الظلام».

أومأت برأسها بطريقة لا تكاد تُحس، ثم فتحت فمها لتتكلم ولكن (سناب) لم يعطِها الفرصة واستأنف حديثه قائلاً: «أنتِ تسألين لماذا لم أحاول أن أجده عندما اختفى، وأجيبك أنه لنفس السبب الذى لم يحاول من أجله (أنفيرى) و(باكلى) و(كاروس جرابيك) و(لوكيوس)، وغيرهم كثير»،

ثم أومأ إلى (ناركيسا) وأكمل: «لقد اعتقدت أنه قد قضى عليه ولست فخورًا بهذا، لقد كنت مخطئًا ولكن هذا ما حدث، ولو أنه لم يغفر لكل الذين فقدوا إيمانهم به، لبقى لديه عدد قليل من الأتباع».

قالت (بيلاتريكس) بانفعال: «سيكون لديه أنا! أنا التى قضيت أعوامًا كثيرة فى (أزكابان) لأجله!».

قال (سناب) بضجر: «نعم، شىء يستحق الإعجاب، ولكنك بالطبع لم تكونى ذات نفع وأنت فى السجن، ولكنه بلا شك تعليق جيد».

صرخت (بيلاتريكس) بغضب حتى بدت كما لو أنها فقدت عقلها: «تعليق جيد! هل نسيت أنه أثناء تعذيبى على أيدى حراس سجن (أزكابان)، كنت أنت فى (هوجوورتس) تعيش فى راحة تحت قدمى (دمبلدور)؟».

رد (سناب) بهدوء: «ليس تمامًا، ولكنه لم يعطِنى وظيفة الدفاع ضد فنون الظلام (السحر الأسود)، يبدو أنه اعتقد أننى قد أرتدُّ، أو أن تلك الوظيفة قد تغرينى بالعودة إلى سابق عهدى».

علقت (بيلاتريكس) ساخرة: «هل كانت تضحيتك من أجل سيد الظلام هى منعك من تدريس مادتك المفضلة؟ ما الذى جعلك تستمر كل هذا الوقت هناك يا (سناب)؟ هل كنت تتجسس على (دمبلدور) لصالح سيدك الذى كنت تعتقد أنه مات؟».

رد (سناب): «بالطبع لا، فبالرغم من أن سيد الظلام كان سعيدًا، حافظت على مكانى هناك، لقد كان لدىَّ ستة عشر عامًا من المعلومات عن (دمبلدور) لأخبره إياها عندما عاد، وهى أشبه بهدية ترحيب مفيدة أكثر من الذكريات اللانهائية، السيئة والمؤلمة فى (أزكابان)».

قالت (بيلاتريكس): «ولكنك بقيت هناك...».

قال (سناب) وقد بدا عليه نفاد الصبر لأول مرة: «نعم، لقد استمررت فى العمل هناك، لقد كانت لدىَّ وظيفة مريحة فضلتها على قيود (أزكابان)؛ حيث كانوا يضعون (آكلى الموت) بعد القبض عليهم ـ كما

تعرفين ـ وقد أبقتني حماية (دمبلدور) خارج السجن، وكان ذلك مناسبًا بالنسبة لي فاستغللت الفرصة، وأكرر أن سيد الظلام لا يضايقه بقائي، فلماذا يضايقك أنتِ؟».

واصل (سناب) حديثه بصوت عال؛ حتى يمنعها من الاعتراض الذي كانت على وشك إبدائه: «أظنك تريدين أن تعرفي لماذا منعت سيد الظلام من الحصول على حجر الفيلسوف، وإجابة هذا السؤال بسيطة، فهو لم يكن متأكدًا إن كنت أهلاً للثقة أم لا، فقد اعتقد مثلكِ أنني قد تحولت من (آكل موت) مخلص إلى لعبة في يد (دمبلدور)، وكان سيد الظلام وقتها في حالة يُرثَى لها وضعيفًا جدًا يتقاسم جسد ساحر عادي؛ لذلك لم يجرؤ على كشف نفسه لحليف قديم، خاصة أنه كان هناك شك في أن هذا الحليف يمكن أن يسلمه إلى (دمبلدور) أو الوزارة. أنا آسف جدًا لأنه لم يثق بي، كان بإمكانه الرجوع إلينا واسترجاع قوته منذ ثلاث سنوات، ولقد بدا لي الأمر أن (كويريل) الطماع الذي لا يستحق، يحاول سرقة الحجر وقد بذلت كل ما في وسعي؛ لمنعه».

التوَى فم (بيلاتريكس) فبدت كأنها أخذت جرعة من دواء مُر الطعم وقالت: «ولكنك لم تعد إليه عندما رجع، ولم تطِر عائدًا إليه على الفور عندما شعرت بأن سيد الظلام قد وُلد من جديد».

قال: «بالضبط، لقد عدت بعدها بساعتين، وقد عدت بناءً على أوامر (دمبلدور)».

قالت بلهجة غاضبة: «أوامر (دمبلدور)».

قال (سناب) وقد بدت أمارات قلة الصبر عليه: «فكري! فكري يا (بيلاتريكس) إنني بانتظاري الساعتين؛ ضمنت استمراري في (هوجوورتس) كجاسوس لسيد الظلام؛ لأني أُمرت بهذا، وقد أصبح بإمكاني نقل المعلومات عن (دمبلدور) وجماعة العنقاء. إذا فكرتِ في الأمر يا (بيلاتريكس) فستدركين أن علامة الظلام في يدي كانت تزداد

قوةً لشهور، لقد كنت أعلم أنه على وشك العودة، كل (آكلى الموت) كانوا يعلمون! كان لدىَّ الكثير من الوقت لأفكر وأقرر ما سأفعله، وأخطط لخطوتى التالية، أو لأهرب كما فعل (كاركاروف)، أليس كذلك؟».

أؤكد لك أن استياء سيد الظلام لتأخرى فى الوصول اختفى تمامًا عندما شرحت له أننى مازلت مخلصًا بالرغم من أن (دمبلدور) مازال يعتقد أننى من أتباعه. نعم، لقد اعتقد سيد الظلام أننى تركته إلى الأبد، ولكنه كان مخطئًا».

تهكمت (بيلاتريكس) قائلة: «ولكن، ما الفائدة العظيمة التى حققتها؟ وما المعلومات القيمة جدًا التى حصلنا عليها منك؟».

قال (سناب): «لقد بلَّغتُ معلوماتى إلى سيد الظلام مباشرةإلاَّ إذا اختار أن يُشركك فيها...».

ردت (بيلاتريكس) بغضب: «إنه يشركنى فى كل شىء ويدعونى أوفَى أتباعه وأكثرهم ولاءً».

قال(سناب) وقد ظهرت فى صوته رنة عدم تصديق: «حقًّا؟ وهل مازال يفعل ذلك بعد الإخفاق الذى حدث فى الوزارة؟».

قالت (بيلاتريكس) وقد تورد وجهها: «لم يكن ذلك خطئى! لقد ائتمننى سيد الظلام فى الماضى على أكثر أسراره أهميةً ولو أن (لوكيوس) لم...».

قالت (ناركيسا) بصوت خفيض مميت وقد رفعت عينيها ناظرة إلى أختها: «هل تجرؤين... هل تجرؤين على إلقاء اللوم على زوجى؟!».

قال (سناب) ملطفًا للجو: «لا فائدة من إلقاء اللوم الآن، ما حدث قد حدث وانتهى الأمر».

قالت (بيلاتريكس) وهى فى شدة الغضب: «ولكن الأمر لم ينته بالنسبة لك، لا، لقد كنت غائبًا مرة أخرى عندما كنا نواجه الأخطار، أليس كذلك يا (سناب)؟».

قال (سناب): «لقد كانت أوامرى التى تلقيتها ألاّ أشارك، ربما تخالفين سيد الظلام فى رأيه، أو ربما تعتقدين أن (دمبلدور) لن يلاحظ إذا ما التحقت بصفوف (آكلى الموت) لمحاربة جماعة العنقاء؟ ولكن سامحينى، هل تتكلمين عن الأخطار.. لقد كنتِ تواجهين ستة من المراهقين، أليس كذلك؟

احتجّت (بيلاتريكس) قائلة: «إنك تعلم جيدًا أن نصف أعضاء الجماعة قد انضموا منذ فترة قصيرة! وبما أننا نتكلم عن موضوع الجماعة، فإنك مازلت تدّعى أنك لا تستطيع أن تكشف عن مقر مركز قيادتهم، أليس كذلك؟».

قال (سناب): «أنا لست أمين السر ولا يمكننى النطق باسم المكان. إنك تدركين كيف يعمل هذا النوع من السحر على ما أعتقد؟ ثم إن سيد الظلام راض عن المعلومات التى نقلتها إليه عن الجماعة، وربما تكونين قد استنتجتِ أن تلك المعلومات قد أدت إلى أسر وقتل (إيميلين فانسى) منذ وقت قريب وقد ساعدت بالتأكيد فى التخلص من (سيريوس بلاك)، ومع ذلك فأنا أعطيتك تفويضًا كاملاً لقتله».

حنا (سناب) رأسه ورفع كأسه شاربًا وداعيًا إياها للشرب نخب ذلك، ولكن تعبير وجهها لم يلِن.

قالت (بيلاتريكس): «إنك تتفادى سؤالى الأخير يا (سناب)، لقد أتيحت لك الفرصة لقتل (هارى بوتر) مرات ومرات خلال الأعوام الخمسة الماضية ولكنك لم تفعل، لماذا؟».

سأل (سناب): «هل ناقشتِ هذا الأمر مع سيد الظلام؟».

ردت: «إنه.. مؤخرًا.. إننا.. أنا أسألك أنت يا (سناب)!».

قال (سناب): «لو أننى قتلت (هارى بوتر)، لما كان بإمكان سيد الظلام أن يستخدم دمه فى العودة إلى الحياة من جديد قويًا لا يُقهر».

فقالت ساخرة: «هل تدّعى أنه كان بإمكانك التكهن باستخدامه للولد؟!».

قال: «أنا لا أدعى شيئًا، لم يكن لدىَّ أى علم بخططه، وقد اعترفت بالفعل بأننى اعتقدت أن سيد الظلام قد مات، إننى أحاول فقط أن أشرح لكِ لماذا سيد الظلام ليس آسفًا على بقاء (بوتر) على قيد الحياة على الأقل حتى عام مضى؟».

سألت (بيلاتريكس): «ولكن، ما الذى جعلك تبقيه حيًا؟».

رد (سناب): «ألم تفهمى ما قلته؟ لقد كانت حماية (دمبلدور) هى الشيء الوحيد الذى يبقينى خارج أسوار (أزكابان)! هل تختلفين معى أن قتلى لتلميذه المفضل قد يجعله ينقلب ضدى؟ ولكن الأمر كان أكثر من ذلك. يجب أن أذكرك أنه عند وصول (بوتر) فى أول الأمر إلى (هوجوورتس)، كانت هناك العديد من القصص التى تدور حوله وشائعات عن كونه هو نفسه ساحر الظلام العظيم، وأن هذا هو سبب نجاته من هجوم سيد الظلام. حقيقة، لقد اعتقد العديد من أتباع سيد الظلام السابقين أن (بوتر) يمكن أن يكون القائد الذى يمكن أن نحتشد حوله. مرة أخرى، أعترف بأننى كنت فضوليًا ولم أكن ميالاً بأية حال من الأحوال إلى قتله فى اللحظة التى وضع فيها قدمه داخل القلعة. وبالطبع، لقد اتضح لى بسرعة أنه لا يملك أية قدرات استثنائية بالمرة. لقد شق طريقه عبر عدد من المواقف الصعبة بواسطة توليفة بسيطة من الحظ المحض، ومساعدة أصدقاء له أكثر منه موهبة. إنه عادى وبلا موهبة إلى أقصى حد، وإن كان بغيضًا ومغرورًا كما كان والده من قبله. ولقد بذلت كل ما فى وسعى؛ ليطردوه من (هوجوورتس)؛ لأنى كنت أعتقد أنه لا ينتمى إليها، ولكن إن قتلته أو تركته يُقتل وأنا موجود فسأكون غبيًا إذا خاطرت بحدوث ذلك، و(دمبلدور) موجود بالقرب من المكان».

سألت (بيلاتريكس): «وبالرغم من ذلك، فمن المفترض أن نصدق أن (دمبلدور) لم يشك بك قط، وأنه ليس لديه أية فكرة عن ولائك الحقيقى، ولايزال يثق بك ثقة مطلقة».

قال (سناب): «لقد لعبت دورى بمهارة، ثم إنك تغفلين نقطة ضعف (دمبلدور) الكبرى، وهى إحسانه الظن بالناس. لقد حكيت له قصة كاذبة عن تغيرى وإحساسى العميق بتأنيب الضمير وندمى الشديد على الأيام التى كنتُ فيها من (آكلى الموت)، وقد استقبلنى بأذرع مفتوحة إلا أنه كما سبق أن أشرت بذل كل ما فى وسعه؛ لمنعى من الاقتراب من فنون الظلام. لقد كان (دمبلدور) دائمًا ساحرًا عظيمًا».

حاولت (بيلاتريكس) مقاطعته معترضة، إلا أنه قال: «إنه كذلك بالفعل وسيد الظلام يعترف بذلك، ولكننى سعيد مع ذلك أن أقول إن (دمبلدور) أصبح عجوزًا، وقد هزته مبارزته مع سيد الظلام الشهر الماضى وقد عانى جراحًا خطيرة؛ لأن استجابته أصبحت أبطأ مما كانت عليه فى الماضى، ولكنه لم يشُك للحظة فى (سيفيروس) طوال تلك الأعوام، وهنا تكمن أهميتى العظمى لدى سيد الظلام».

كانت (بيلاتريكس) تبدو غير سعيدة على الرغم من أنها بدت غير واثقة فى: ما أفضل طريقة لمهاجمة (سناب) فيما بعد، والذى استغل فرصة صمتها والتفت إلى أختها! وقال: «الآن... لقد أتيتِ لطلب المساعدة يا (ناركيسا)؟».

رفعت (ناركيسا) نظرها إليه ووجهها ينطق باليأس: «نعم يا (سيفيروس)... أعتقد أنك الشخص الوحيد القادر على مساعدتى، ليس لدىَّ شخص آخر ألجأ إليه. فـ(لوكيوس) فى السجن و...، أغلقت عينيها ثم انحدرت دمعتان كبيرتان من تحت جفونها».

واستأنفت حديثها بينما عيناها لاتزالان مغلقتين: «لقد منعنى سيد الظلام من الكلام عن الأمر، فهو لا يريد أن يعرف أى شخص الخطة، إنها... فى غاية السرية، ولكن...».

قال (سناب) بسرعة: «إذا كان سيد الظلام قد منعك، فيجب ألا تتكلمى؛ فكلمة سيد الظلام قانون».

انتفضت (ناركيسا) كما لو كان قد أغرقها بالماء البارد. أما (بيلاتريكس) فقد بدت راضية لأول مرة منذ دخلت هذا المنزل.

وقالت لأختها بانتصار: «أرأيتِ؟! حتى (سناب) يقول هذا، لقد أُمرتِ ألا تتكلمي ويجب عليك الطاعة».

ولكن (سناب) وقف وخطا بسرعة إلى النافذة الصغيرة، واختلس النظر عبر الستائر إلى الشارع المهجور ثم أغلقها ثانية بعصبية والتفت لمواجهة (ناركيسا) وهو عابس.

وقال بصوت خفيض. «من حسن الحظ أننى على علم بالخطة، فأنا واحد من القلائل الذين أخبرهم سيد الظلام بها. ومع ذلك، لو أننى لم أكن عالمًا بالسر لكنتِ الآن مدانة بخيانة عظمى لسيد الظلام يا (ناركيسا)».

قالت (ناركيسا) وقد تنفست الصعداء: «لقد اعتقدت أنه لابد أنك تعلم! إنه يثق بك جدًا يا (سيفيروس)».

قالت (بيلاتريكس) وقد تحول الرضا الخاطف الذى كان مرتسمًا على وجهها إلى نظرة غضب: «أنت تعرف الخطة؟ تعرفها؟».

قال (سناب): «بالتأكيد، ولكن ما المساعدة التى تحتاجين إليها يا (ناركيسا)؟ لو كنتِ تتخيلين أننى أستطيع إقناع سيد الظلام بأن يغير رأيه، فأنا آسف أن أقول لكِ إنه ليس هناك أمل فى ذلك، لا أمل على الإطلاق».

همست (ناركيسا) ودموعها تنحدر بغزارة على خديها الشاحبين: «ابنى يا (سيفيروس)... ابنى الوحيد».

قالت (بيلاتريكس): يجب على (دراكو) أن يكون فخورًا؛ فإن سيد الظلام يوليه شرفًا عظيمًا، وسوف أقول ذلك لـ(دراكو)، إنه لن يهرب من واجبه فهو يبدو سعيدًا بأن لديه فرصة لإثبات جدارته، ومتشوقًا لأداء المهمة».

بدأت (ناركيسا) تبكى بحُرقة وهى تنظر طوال الوقت إلى (سناب) متوسلةً.

وقالت: «هذا لأنه فى السادسة عشرة وليست لديه فكرة عما ينتظره! لماذا يا (سيفيروس)؟ لماذا ابنى؟ إن الأمر خطير جدًّا! يبدو الأمر انتقامًا من خطأ (لوكيوس)، أنا متأكدة!».

لم يقل (سناب) شيئًا، وأبعد بصره عن رؤية دموعها كما لو كان مظهرها غير محتشم، ولكنه لم يستطع التظاهر بأنه لم يسمعها.

وأكدت كلامها: «هذا هو سبب اختياره لـ(دراكو)، أليس كذلك؟ ليعاقب (لوكيوس)؟».

قال (سناب) وهو لايزال ينظر بعيدًا عنها: «لو نجح (دراكو)، فستكون له خطوة تفوق الجميع».

نشجت (ناركيسا) وقالت: «ولكنه لن ينجح! فكيف يمكنه أن ينجح إذا كان سيد الظلام نفسه...؟».

شهقت (بيلاتريكس) بينما بدت (ناركيسا) على وشك الانهيار.

وأكملت: «لقد عنيت فقط أن أحدًا لم ينجح حتى الآن.

أرجوك يا (سيفيروس).. إنك كنت دائمًا مدرس (دراكو) المفضل... وأنت صديق قديم لـ(لوكيوس)... أتوسل إليك... إنك مقرب من سيد الظلام فأنت مستشاره ومحل ثقته... حاول أن تكلمه، أن تقنعه».

فقالها (سناب) صريحةً: «إن سيد الظلام لن يقتنع وأنا لست غبيًّا حتى أحاول إقناعه، كما أننى لن أتظاهر بأن سيد الظلام ليس غاضبًا من (لوكيوس)؛ فلقد كان مكلفًا بالقيادة وقبض عليه ومعه كثير من الأتباع وفشل فى إدخال النبوءة فى الاتفاق. نعم يا (ناركيسا) إن سيد الظلام غاضب، غاضب جدًّا بالتأكيد».

قالت (ناركيسا) بصوت مختنق: «إذن، أنا على حق، لقد اختار (دراكو)؛ للانتقام، إنه لا يتوقع نجاحه ولكنه يريده أن يقتل وهو يحاول!».

عندما لم يقل (سناب) شيئًا، بدت (ناركيسا) كما لو أنها فقدت كل ما لديها من تحكم فى أعصابها، ووقفت وأمسكت بملابس (سناب) فجأة

وأصبح وجهها قريبًا من وجهه، لدرجة أن دموعها أصبحت تسقط على صدره، وقالت وهى تلتقط أنفاسها بصعوبة: «يمكنك أن تقوم بهذا بدلاً من (دراكو) يا (سيفيروس)، تستطيع النجاح، يمكنك ذلك بالتأكيد وسوف يكافئك سيد الظلام أكثر من أى واحد منا».

أمسك (سناب) بمعصميها وأزاح يديها القابضتين على ملابسه، بينما ينظر إلى وجهها الملطخ بالدموع، ثم قال بهدوء: «إنه ينوى تكليفى بها فى نهاية الأمر كما أعتقد، ولكنه مصمم على أن يحاول (دراكو) أولاً، وإذا حدث غير المتوقع ونجح (دراكو)، فسيكون بإمكانى البقاء فى (هوجوورتس) لوقت أطول مؤديًا دورى القيّم كجاسوس هناك.

قالت (ناركيسا): «بمعنى آخر، لا يهم أن قتل (دراكو)».

كرر (سناب) كلامه بهدوء: «إن سيد الظلام غاضب جدًّا، لقد فشل فى الاستماع إلى النبوءة. إنك تعلمين بقدر ما أعلم يا (ناركيسا) أنه لا يغفر بسهولة».

سقطت (ناركيسا) منهارة عند قدميه وأخذت تنشج وتنوح على الأرض:

«ابنى الوحيد... ابنى الوحيد».

قالت (بيلاتريكس) بقسوة: «يجب أن تكونى فخورة! لو أن لدىَّ أولادًا، لكنت قد أصبحت فى منتهى السعادة وأنا أهبهم لخدمة سيد الظلام!».

صرخت (ناركيسا) صرخة يأس وأخذت تشد شعرها الأشقر. انحنى (سناب) وأمسك بكتفيها ثم رفعها ودفع بها؛ لتجلس فوق الأريكة مرة أخرى، ثم سكب المزيد من النبيذ فى كأسها ودفع بها إلى يدها بالقوة. وقال: «هذا يكفى يا (ناركيسا). اشربى هذا، واستمعى إلىَّ».

هدأت قليلاً ورشفت النبيذ، بينما كانت ترتجف فأسقطته على ملابسها.

قال (سناب): «قد يكون بإمكانى مساعدة (دراكو)».

اعتدلت (ناركيسا) فى جلستها وقد أصبح وجهها فى بياض الورق واتسعت عيناها.

سألته: هل تنوى حقًا مساعدته يا (سيفيروس)؟ هل ستعتنى به، وتمنع حدوث أى مكروه له؟

فرد: «سأحاول».

ألقت (ناركيسا) بكأسها على المائدة فتدحرجت فوقها، وانزلقت من فوق الأريكة راكعة عند قدمى (سناب)، وأمسكت يده بكلتا يديها وضغطت عليها بشفتيها. وقالت: «تكون هناك لحمايته يا (سيفيروس)، هل تقسم على ذلك؟ هل تؤدى القسم الذى لا يمكن فصمه؟».

قال: «القسم الذى لا يمكن فصمه!». كان تعبير (سناب) غامضًا، لا يمكن قراءته إلا أن (بيلاتريكس) أطلقت ضحكة ظافرة وقالت: ألم تسمعيه يا (ناركيسا)؟ لقد قال إنه سيحاول، أنا متأكدة... نفس الكلمات المعتادة الخالية من أى معنى، ونفس الثرثرة المعتادة التى ينقصها الفعل... طبقًا لأوامر سيد الظلام بالطبع!».

لم يُلقِ (سناب) بالاً لـ(بيلاتريكس) وظل نظره مثبتًا على عينى (ناركيسا) الزرقاوين الفائضتين بالدموع، بينما هى لاتزال ممسكة بيده.

ثم قال بهدوء: «أجل يا (ناركيسا)، سوف أؤدى القسم، ربما ستوافق أختك على أن تقوم بوصلنا معًا».

فتحت (بيلاتريكس) فاها من الدهشة وانحنى (سناب) حتى ركع فى مقابلة (ناركيسا) تحت نظرات (بيلاتريكس) المندهشة المحدقة.

شبك كل واحد منهما يده اليمنى فى يد الآخر.

ثم قال (سناب) ببرود: «ستحتاجين إلى عصاكِ يا (بيلاتريكس)».

سحبت (بيلاتريكس) عصاها بينما مازالت الدهشة تبدو عليها.

قال (سناب): «عليكِ أن تقتربى أكثر».

تقدمت (بيلاتريكس) حتى وقفت أعلاهما ووضعت طرف عصاها على أيديهم المشبوكة.

وبدأت (ناركيسا) الكلام:

«هل تتعهد يا (سيفيروس) بأن ترعى ابنى (دراكو) بينما يحاول تنفيذ رغبات سيد الظلام؟».

قال (سناب): «سأفعل».

انبعث من العصا لسان من اللهب المتألق التف حول أيديهم الملتصقة مثل سلك «مُحَمَّرٍ» من شدة السخونة.

«هل ستبذل كل ما فى وسعك لحمايته من الأذى؟».

قال (سناب): «سأفعل».

انبعث من العصا لسان آخر من اللهب تداخل مع الأول وصنعا معًا سلسلة متوهجة رفيعة.

همست (ناركيسا): وإذا لزم الأمر وبدا أن (دراكو) لن ينجح فى مهمته.. (اختلجت يد (سناب) فى يدها ولكنه لم يسحبها).

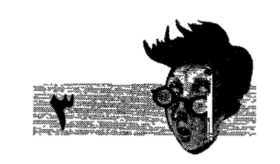
ثم أكملت: «هل ستقوم بإتمام العمل الذى طلب سيد الظلام من (دراكو) إنجازه؟»، مرت لحظة صمت، بينما (بيلاتريكس) تراقبهما وعصاها فوق أيديهم المشبوكة وعيناها مفتوحتان على وسعيهما.

قال (سناب): «سأفعل».

توهج وجه (بيلاتريكس) بالاحمرار من الدهشة.

بينما تألق اللسان الثالث من اللهب الذى أطلقته عصاها وتداخل مع اللسانين الآخرين والتف حول أيديهم المتماسكة مثل حبل أو ثعبان نارى.

■ ■ ■



٣ وصية وممانعة

كان (هارى بوتر) يغطُّ فى نومه بصوت عال، كان قد أمضى الجزء الأكبر من الساعات الأربع الماضية جالسًا على كرسى بجوار نافذة حجرة نومه وهو ينظر إلى الشوارع المظلمة حتى سقط فى النهاية نائمًا، بينما أحد جانبى وجهه ملتصق بزجاج النافذة البارد وقد مالت نظارته وانفتح فمه. تألق الأثر الضبابى المغبش الذى تركه تنفسُه على زجاج النافذة عندما انعكست عليه الأضواء البرتقالية لمصباح الشارع فى الخارج، وقد سحب الضوء الصناعى كل الألوان من وجهه؛ فبدا كوجه شبح تحت كتلة من الشعر الأسود الأشعث.

كانت هناك أغراض مختلفة وقُمامة متناثرة فى كل مكان بالغرفة؛ ريش البوم، وبواقى ثمار التفاح وأغلفة الحلوى كانت مبعثرة فى الأرض، وكان هناك عدد من كتب التعاويذ الملقاة بدون ترتيب فوق الملابس المتناثرة فوق السرير، وهناك مجموعة من الجرائد المتناثرة على المكتب تحت مصباحه المضىء وكان العنوان الرئيسى لأحدها يقول:

(هارى بوتر): المختار؟

استمرت الشائعات فى الانتشار عن الشغب الغامض الذى حدث بوزارة السحر منذ وقت قريب، والذى ظهر فيه (الذى لا يجب ذكر اسمه) مرة أخرى.

قال أحد معدلى الذاكرة الثائرين، بينما كان خارجًا من الوزارة ليلة أمس: «وليس مسموحًا لنا بأن نتكلم عن الموضوع، فلا تسألونى عن أى شىء، وقد رفض ذكر اسمه».

ومع ذلك، أكدت مصادر مطلعة داخل الوزارة أن الشغب تمركز فى القاعة الأسطورية للنبوءة.

إلا أن المتحدث باسم وزارة السحر رفض - حتى الآن - تأكيد وجود مثل هذا المكان، ويعتقد عدد متزايد من أفراد مجتمع السحر أن (آكلى الموت) الذين سبق الحكم عليهم بالسجن فى (أزكابان) لارتكابهم جرائم عنيفة وسرقات قد حاولوا سرقة النبوءة، وإن كانت طبيعة تلك النبوءة غير معلومة رغم أن هناك شائعات منتشرة تقول إنها تخص (هارى بوتر) وهو الشخص الوحيد المعروف الذى نجا من تعويذة الموت، ومن المعروف أيضًا أنه كان فى وزارة السحر فى نفس الليلة محل السؤال.

البعض قد وصل به الأمر إلى أن يطلق على (بوتر) اسم (المختار)؛ اعتقادًا منهم أن النبوءة تذكر اسمه كالشخص الوحيد الذى سيكون بإمكانه تخليصنا من (الذى لا يجب ذكر اسمه).

ويظل المكان الحالى للنبوءة غير معلوم، هذا إذا كانت موجودة فعلاً، بالرغم من... (الباقى صفحة ٢ عمود ٥).

وهناك جريدة أخرى بجوار الأولى تحمل عنوان:

سكريمجور يخلف فودج

تشغل صورة كبيرة أبيض وأسود لرجل له شعر طويل غزير يشبه لبدة الأسد، ووجه ممتلئ بالندوب، وكانت الصورة تتحرك حيث كان الرجل يشير إلى السقف.

أصبح (روفوس سكريمجور)، الذى كان فى السابق رئيس مكتب الدفاع ضد السحر الأسود التابع لإدارة تنفيذ القانون السحرى، وزيرًا للسحر خلفًا لـ(كورنيليوس فودج). وقد قوبل تعيين (سكريمجور) كوزير للسحر بترحيب شديد من مجتمع السحر بالرغم من الشائعات التى تقول

بوجود خلاف بين الوزير الجديد وبين (دمبلدور) الذى استعاد منصبه ككبير سحرة (ويزينجاموت)، ظهر بعد ساعات قليلة من تولى (سكريمجور) الوزارة.

وقد اعترف ممثل (سكريمجور) أنه التقى (دمبلدور) فور توليه لأعلى وظيفة بالوزارة ولكنه رفض التعليق على الموضوع محل النقاش.

و(ألباس دمبلدور) معروف بـ...(الباقى صفحة ٣ عمود ٢).

على يسار تلك الجريدة توجد جريدة أخرى مطوية، فلم يكن الموضوع الذى يحمل عنوان (الوزارة تتكفل بسلامة الطلاب) ظاهرًا.

تحدث اليوم وزير السحر الجديد (روفوس سكريمجور) عن الإجراءات الجديدة الصارمة التى اتخذتها الوزارة؛ لتأمين سلامة الطلبة العائدين إلى مدرسة (هوجوورتس) لفنون السحر هذا الخريف.

قال الوزير: لأسباب واضحة، لن تذكر الوزارة تفاصيل خططها الأمنية المشددة الجديدة، إلا أن مصدرًا مطلعًا أكد أن الإجراءات تتضمن تعاويذ وسحرًا دفاعيًّا، ومجموعة مرتبة من التعاويذ المضادة المعقدة، وقوة صغيرة من المدافعين ضد فنون الظلام مخصصة لحماية مدرسة (هوجوورتس) فقط.

يبدو أن الموقف الحازم للوزير الجديد حول سلامة الطلبة قد أشاع الاطمئنان بين معظم الأسر. قالت السيدة (أوغستا لونجبوتم): إن حفيدى (نيفيل) صديق حميم لـ(هارى بوتر)، وهو من حارب معه (آكلى الموت) بالوزارة فى شهر يونية الماضى و...

ولكن باقى القصة كان محجوبًا بسبب وجود قفص طائر كبير فوقه، وبداخله بومة ثلجية بديعة، كانت عيناها الزمرديتان تمسحان الغرفة بطريقة متعجرفة، وكان رأسها يدور كل فترة لتحدق إلى سيدها الذى يغط ونقرت مرة أو مرتين بمنقارها بنفاد صبر إلا أن (هارى) كان غارقًا فى نومه فلم يسمعها.

توجد حقيبة كبيرة فى وسط الغرفة تمامًا، غطاؤها مفتوح.. بدت الحقيبة كأنها فى وضع استعداد وإن كانت تكاد تكون خالية إلا من الملابس الداخلية القديمة والحلويات وزجاجات الحبر الفارغة وبعض ريشات الكتابة المكسورة التى تغطى قاع الحقيبة ويوجد بالقرب منها على الأرض كتيب إرشادات أرجوانى مزخرف بكلمات ذات ألوان زاهية.

تم إصدارها عن مصلحة السحر

كيف تحمى بيتك وأسرتك ضد قوى السحر الأسود؟

يواجه مجتمع السحر حاليًا خطر منظمة تسمًى نفسها (آكلى الموت). ستساعدك مراعاة الإجراءات الأمنية البسيطة فى حماية نفسك وعائلتك وبيتك من أى هجوم قد تتعرض له:

١ ـ يفضل ألاَّ تترك منزلك خاليًا.

٢ ـ يجب التزام الحيطة خاصة أثناء ساعات الليل، وحاول أن تنهى رحلاتك قبل أن يسقط الليل كلما كان ذلك ممكنًا.

٣ ـ راجع الإجراءات الأمنية حول منزلك وتأكد من معرفة أفراد أسرتك إجراءات الطوارئ؛ مثل تعويذة الدرع والسحر المضاد للأوهام.. خاصة فى حالة إذا ما كان أفراد الأسرة تحت السن القانونية، وكذلك قواعد الانتقال الآنى مع الآخرين.

٤ ـ اتفق مع الأصدقاء وأفراد الأسرة على أسئلة أمنية؛ حتى يمكنكم اكتشاف (آكلى الموت) الذين يحاولون انتحال شخصيات الآخرين باستخدام تركيبة تجسيد الشخصيات المتعددة (انظر صفحة ٢).

٥ ـ إذا ما شعرت أن أحد أفراد الأسرة أو زميلاً أو صديقًا أو جارًا يتصرف بطريقة غريبة، فاتصل فورًا بغرفة تنفيذ القانون السحرى، فقد يكونون تحت تأثير تعويذة تحكم.. (انظر صفحة ٤).

٦ـ إذا ما ظهرت علامة الظلام فوق أى منزل أو مبنى آخر لا تدخله، فقط اتصل بمكتب الدفاع ضد السحر الأسود فورًا.

٧ـ مشاهدات غير مؤكدة تشير إلى أن (آكلى الموت) قد يستخدمون (الأنفيرى) (انظر صفحة ١٠) أى مشاهدة لأى (عِفريت) أو اشتباك معهم يجب أن يتم إبلاغ الوزارة فورًا.

همهم (هارى) وهو نائم وانزلق وجهه على النافذة باردة أو نحوها؛ مما جعل نظارته تميل أكثر مما كانت ولكنه لم يصحُ وأصدر المنبه الذى أصلحه (هارى) منذ عدة سنوات صوتًا عاليًا عند عتبة النافذة معلنًا أن دقيقة واحدة باقية على الحادية عشرة، وبالقرب منها كانت يد (هارى) المرتاحة ممسكة بقطعة من الجلد مغطاة بكتابة رفيعة مائلة ـ كان (هارى) قد قرأ هذه الرسالة كثيرًا جدًّا منذ وصولها من ثلاثة أيام حتى أصبحت الآن مفرودة تمامًا على الرغم من أنها عند وصولها كانت ملفوفة بإحكام.

عزيزى (هارى):

إذا كان الأمر مناسبًا بالنسبة لك، فسوف أحضر إلى المنزل رقم ٤ شارع (بريفت درايف) يوم الجمعة القادم الساعة الحادية عشرة مساءً؛ لمرافقتك إلى الجحر، حيث تمت دعوتك لقضاء الوقت الباقى من إجازتك الصيفية.

إذا وافقت فسأكون ممتنًّا إذا ساعدتنى فى أمر أرجو إنهاءه.. فى طريقنا إلى الجحر، سوف أشرح لك الأمر كاملاً. برجاء أن ترسل إلىَّ إجابتك مع هذه البومة، أرجو أن أراك يوم الجمعة...

المخلص... (ألباس دمبلدور).

على الرغم من أنه قد حفظ كلماتها، ظل (هارى) يختلس النظر للرسالة كل فترة منذ السابعة مساء تلك الليلة عندما اتخذ هذا الوضع بجوار نافذة حجرة نومه التى يستطيع المرء أن يشاهد منها طرفى شارع (بريفت درايف) كان يعرف أنه من الحمق أن يستمر فى قراءة

كلمات (دمبلدور) مرة بعد مرة، فقد أرسل له (هارى) موافقته مع البومة التى سلمت رسالته، كما طلب منه. وأن كل ما يستطيع عمله الآن هو الانتظار؛ فقد يأتى (دمبلدور) أو لا يأتى.

ولكن (هارى) لم يحزم أشياءه، فقد بدا أن إنقاذه من (آل درسلى) بعد أسبوعين فقط من مكوثه معهم أمر يفوق أحلامه، فلم يستطع التخلص من شعوره بأن خطأ ما سوف يحدث؛ فقد تضيع الرسالة التى أرسلها إلى (دمبلدور) مثلاً أو يحدث شىء يمنع (دمبلدور) من الوصول إليه، بل ربما يظهر أن الرسالة لم تكن من (دمبلدور) أصلاً وإنما مجرد حيلة أو دعابة أو فخ.. ولكن مهما كان الأمر، فلم يستطع (هارى) أن يواجه قيامه بحزم أشيائه ثم احتمال اضطراره إلى فضها مرة أخرى. البادرة الوحيدة التى قام بها لأجل احتمال قيامه برحلة كانت إدخال بومته الثلجية (هيدويج) داخل قفصها بأمان.

وصل عقرب الدقائق فى المنبه إلى رقم ١٢ وفى هذه اللحظة بالذات انطفأ مصباح الشارع خارج النافذة.

صحا (هارى) من نومه وكأن الإظلام المفاجئ كان منبهًا له، وعدل وضع نظارته بسرعة ونزع خده من على الزجاج، وضغط أنفه عليه بدلاً من ذلك، واتجه بنظره إلى الرصيف حيث كان هناك شخص طويل يتقدم فى ممر الحديقة بينما تتماوج عباءته حوله.

قفز (هارى) كما لو أنه تلقى صدمة كهربائية؛ مما أوقع كرسيه، وبدأ فى خطف كل شىء وأى شىء قريب منه من الأرض وإلقائه داخل صندوقه. وبينما هو يرمى مجموعة من الملابس، وكتاب تعاويذ وعلبة من المقرمشات عبر الغرفة، دق جرس الباب.

سمع عمه (فرنون) يصيح فى غرفة المعيشة فى الأسفل: بحق الجحيم، من الذى يزورنا فى هذا الوقت المتأخر من الليل؟

تجمد (هارى) بينما يمسك تلسكوبًا نُحاسيًا فى إحدى يديه وزوجًا من الأحذية الرياضية فى اليد الأخرى، لقد نسى تمامًا أن يخبر (آل درسلى) عن إمكانية حضور (دمبلدور)، وشعر (هارى) بالذعر والرغبة فى الضحك فى آن واحد، قفز من فوق الصندوق وفتح باب غرفة نومه فى الوقت المناسب لسماع صوت عميق يقول: مساء الخير، لابد أنك السيد (درسلى)، أعتقد أن (هارى) قد أخبركم بأننى سوف آتى لاصطحابه، نزل (هارى) السلم قافزًا درجتين فى كل مرة، ثم توقف فجأة قبل أن يصل إلى أسفل السلم بعدد من الدرجات، فقد علمته التجربة أن يبقى بعيدًا عن متناول ذراع عمه كلما كان ذلك ممكنًا، كان هناك رجل طويل نحيف يقف عند مدخل الباب، كان له شعر طويل يصل إلى وسطه ولحية، كلاهما كان أبيض تمامًا.

كان يرتدى نظارة هلالية الشكل مستندة على أنفه المعقوف، وكان يرتدى عباءة سفر سوداء طويلة وقبعة لها حافة.

حدق (فرنون درسلى) إلى زائره وكأنه لا يصدق عينيه الصغيرتين وكان لـ(فرنون) شارب كث كشارب (دمبلدور)، وكان يرتدى «روب» لونه أحمر داكن.

قال (دمبلدور) بسلاسة: نظرًا لنظرة الدهشة وعدم التصديق التى تبدو عليك، أعتقد أن (هارى) لم يخبركم بحضورى، ومع ذلك فلنفترض أنك قد دعوتنى بكل ترحيب لأدخل إلى منزلك، فمن الغباء البقاء أطول مما ينبغى على عتبة الباب فى هذه الأوقات المضطربة.

عبر (دمبلدور) العتبة برشاقة وأغلق الباب الأمامى خلفه.

قال (دمبلدور) وهو يخفض أنفه محدقًا إلى العم (فرنون): لقد مضى وقت طويل منذ أتيت إلى هذا المنزل، يجب أن أقول لكم إن زهور الأغابنيثوس (زهرة الحب) يانعة فى حديقتكم.

لم ينطق (فرنون درسلى) بحرف، إلا أن (هارى) لم يشك فى أن الرد سيأتى قريبًا.

وسرعان ما انتفخ العرق النابض فى صدغ عمه ووصل إلى مرحلة خطيرة ويبدو أن شيئًا ما فى (دمبلدور) قد سلبه قدرته على التنفس مؤقتًا، قد يكون مظهره الذى يعكس بوضوح طبيعته السحرية وربما يكون أيضًا أن العَمَّ (فرنون) قد أحس أن هذا رجل من الصعب أن يستأسد عليه.

رفع (دمبلدور) عينيه إلى (هارى) ونظر إليه بنظارته الهلالية وقد بدا على وجهه تعبير راض وقال: آه، مساء الخير يا (هارى)، رائع، رائع، بدت هذه الكلمات كما لو أيقظت العم (فرنون)، من الواضح أن كل ما أثار اهتمامه كان: أن أى رجل بإمكانه النظر إلى (هارى)، وقول رائع؛ هو رجل لا يستطيع الاتفاق معه فى الرأى أبدًا.

بدأ (فرنون) حديثه بلهجة متوعدة بالفظاظة فى كل مقطع منها: «أنا لا أقصد أن أكون فظًا».

أنهى (دمبلدور) الجملة بلهجة جدية: «ومع ذلك للأسف»، عادة ما تقال أشياء كثيرة فظة غير مقصودة، من الأفضل ألاَّ تقول أى شىء على الإطلاق يا عزيزى، آه، لابد أنكِ (بتونيا)، كان باب المطبخ قد فتح ووقفت على عتبته خالة (هارى) مرتدية قُفازًا مطاطيًا ومِبْذَلاً فوق ثوب النوم الخاص بها، من الواضح أنها كانت وسط عملية التنظيف اليومية للمطبخ التى تقوم بها قبل وقت النوم، وقد عكس وجهها الذى يبدو كوجه الحِصان إلى حد ما شعورها بالصدمة.

عندما لم يقم العم (فرنون) بتقديمه، قال (دمبلدور): (ألباس دمبلدور)، لقد تبادلنا الرسائل، بالطبع فكر (هارى) أنها طريقة غريبة لتذكير الخالة (بتونيا) أنه أرسل إليها مرة رسالة متفجرة، ولكن الخالة (بتونيا) لم تعترض على اللفظ، وأضاف (دمبلدور): «لابد أن هذا ابنك (ددلى)؟».

كان (ددلى) ينظر عبر باب غرفة المعيشة فى هذه اللحظة، وقد بدا رأسه الكبير الأشقر الخارج من الياقة المخططة لبيچامته كما لو أنه مفصول عن جسمه، وقد انفتح فوه من الدهشة والخوف. انتظر

(دمبلدور) لحظة على ما يبدو؛ ليرى إذا كان أى من (آل درسلى) سيقول أى شىء ولكنه مع استمرار الصمت ابتسم. وقال: فلنفترض إذن أنك قد دعوتنى إلى حجرة الجلوس، ابتعد (ددلى) عن طريق (دمبلدور) عندما مر بجواره. قفز (هارى)، الذى كان مازال ممسكًا بالتلسكوب والحذاء الرياضى، الدرجات القليلة الباقية من السلم وتبع (دمبلدور) الذى جلس على كرسى ذى ذراعين بالقرب من النار ـ المدفأة ـ وأخذ يراقب المكان وقد ارتسم على وجهه تعبير من الاهتمام اللطيف، وقد بدا فى غير مكانه بشكل واضح جدًا.

سأل (هارى) بقلق: «ألسنا... ألسنا ذاهبين يا سيدى؟».

رد (دمبلدور): «بالطبع سنذهب، ولكن هناك بعض الأمور التى يجب مناقشتها قبل ذلك، وأنا أفضل ألاَّ تقوم بمناقشتها فى مكان مفتوح؛ ولذلك فسوف أتطفل على ضيافة عمك وخالتك لمدة أطول قليلاً».

قال (هارى): «هل تنوى ذلك فعلاً؟».

دخل (فرنون درسلى) الغرفة، و(بتونيا) عند كتفه و(ددلى) متواريًا خلف الاثنين.

أجاب (دمبلدور) ببساطة: «نعم، سوف أفعل».

سحب (دمبلدور) عصاه بسرعة كبيرة حتى أن (هارى) بالكاد رآها، وبضربة سريعة خفيفة منها، تحركت الأريكة إلى الأمام وخبطت رُكب (آل درسلى) الثلاثة من الخلف فانهاروا متكدسين فوق الأريكة.

وبضربة أخرى من العصا، عادت الأريكة إلى مكانها الأصلى.

قال (دمبلدور) بلطف: «كما يمكن أن نكون أكثر راحة أيضًا».

عندما كان (دمبلدور) يعيد عصاه إلى داخل جيبه، شاهد (هارى) أن يده كانت مسودة، وذابلة كما لو أن لحمه قد احترق تمامًا، فقال (هارى): «سيدى، ما الذى حدث لـ...؟».

قال (دمبلدور): «فيما بعد يا (هارى)، أرجوك اجلس».

جلس (هـارى) على المقعد الباقى ذى الذراعين وتفادى النظر إلى (آل درسلى) الذين بدوا كما لو أن الدهشة قد عقدت ألسنتهم.

قـال (دمبلدور) للعم (فرنون): «يمكننى الافتراض بأنك ستقوم بدعوتى لتناول المرطبات ولكن الوضع الراهن يوحى بأن هذا سيكون تفاؤلاً شديدًا منى لدرجة الغباء».

ظهرت زجاجة متربة وخمس كئوس من الهواء إثر ضربة ثالثة من عصا (دمبلدور). انفتحت الزجاجة وسكبت كميات سخية من سائل عسلى فى كل كأس، ثم انطلقت الكئوس واحدة تلو الأخرى إلى كل فرد فى الغرفة.

قـال (دمبلدور) وقد رفع كأسه محييًا (هـارى) الذى أمسك كأسه ورشف منها شراب العسل المصنوع من البلوط المعتق: «أفضل ما صنعته مدام (روزمرتا)»، لم يذق (هـارى) شيئًا مثل ذلك الشراب من قبل ولكنه استمتع به بشكل كبير. نظر (آل درسلى) بسرعة وخوف إلى بعضهم بعضًا، ثم حاولوا تجاهل الكئوس تمامًا، وإن كان ذلك صعبًا حيث كانت الكئوس تلكزهم برفق على جانب رءوسهم. لم يستطع (هـارى) كبت شكه أن (دمبلدور) كان يستمتع بالوضع.

قـال (دمبلدور) وهو يلتفت نحو (هـارى): «حسنًا يا (هـارى)، لقد ظهرت مشكلة، أرجو أن تستطيع حلها لنا؛ وأقصد بـ(لنا) جماعة العنقاء. ولكن مثل كل شىء، يجب أن أقول لك إن وصية (سيريوس) قد اكتشفت منذ أسبوع وأنه ترك كل شىء يمتلكه».

انتبه العم (فرنون) فوق الأريكة والتفت، إلا أن (هـارى) لم ينظر إليه ولم يستطع أن يفكر فى أى شىء ليقوله سوى: «أوه.. صحيح».

قال (دمبلدور): هذا فى الأغلب مناسب تمامًا، فسوف يضاف كمٌّ معقول من الذهب إلى حسابك فى بنك (جرنجوتس) وسوف ترث الممتلكات الشخصية لـ(سيريوس)، الشىء الوحيد الذى قد يسبب مشكلة فى الوصية.

قـال العم (فرنون) بصوت عال من فوق الأريكة: لقد مات أبوه الروحى!

التفت كل من (دمبلدور) و(هارى) للنظر إليه. كانت كأس الشراب تضرب جانب رأس (فرنون) بطريقة أكثر إلحاحًا ساعتها، فحاول أن يبعدها عنه وقال: «هل مات؟ أبوه الروحى مات؟».

قال (دمبلدور): «نعم»، ولم يسأل (هارى) لماذا لم يُفضِ بأمر موته إلى (آل درسلى). واستأنف (دمبلدور) حديثه لـ(هارى) وكأنه لم تكن هناك أية مقاطعة قائلاً: «مشكلتنا أن (سيريوس) ترك لك أيضًا المنزل رقم ١٢ شارع (جريمولد)».

قال العم (فرنون) بجشع وقد ضاقت عيناه: «هل ترك له منزلاً؟» لكنَّ أحدًا لم يجبه.

قال (هارى): «يمكنكم الاستمرار فى استخدامه كمركز للقيادة. أنا لا أهتم، يمكنكم الحصول عليه. أنا لا أريده فعلاً، لم يكن (هارى) يريد العودة إلى المنزل رقم ١٢ شارع (جريمولد) ثانية لو كان الأمر باستطاعته؛ لأنه يعتقد أن ذكرى (سيريوس) سوف تلاحقه إلى الأبد وستظل روحه تطوف خلسة داخل الغرف المظلمة العتيقة وحيدة، محبوسة داخل المكان الذى أراد (سيريوس) بأية طريقة أن يتركه.

قال (دمبلدور): «هذا كرم منك، ولكننا مع ذلك أخلينا المبنى مؤقتًا».

(هارى): «لماذا؟».

قال (دمبلدور) متجاهلاً غمغمة العم (فرنون) الذى كانت كأس الشراب تدق فوق رأسه باستمرار: «حسنًا، تنص تقاليد عائلة (بلاك) على أن المنزل يسلم إلى التالى من أفراد الأسرة، أو الذكر التالى الذى يحمل اسم (بلاك)».

ولكن (سيريوس) كان آخر شخص فى شجرة العائلة؛ حيث مات أخوه الأصغر (ريجولوس) قبله وكلاهما لم يكن لديه أولاد. ورغم أن وصيته تنص بوضوح على أنه يريدك أن ترث المنزل لكن من الممكن أن يكون هناك بعض التعاويذ السحرية التى وضعت على المكان؛ لضمان ألاَّ يمتلكه أحد غير الأقرباء.

لمعت فى ذهن (هارى) ذكرى حية للوحة أم (سيريوس) الزيتية التى تصيح وتلعن وتبصق، المعلقة فى صالة المنزل رقم ١٢ شارع (جريمولد)، فقال: «هذا أكيد».

قال (دمبلدور): بالضبط، وإذا كان مثل هذا السحر موجودًا؛ إذن فقد تنتقل ملكية المنزل ـ فى أغلب الظن ـ إلى أكبر أقارب (سيريوس) سنًا؛ وهذا يعنى ابنة عمه (بيلاتريكس ليسترانج).

بدون أن يعرف ما يفعله، قفز (هارى) واقفًا على قدميه، فوقع التلسكوب والحذاء من حِجره على الأرض وتدحرجا عليها. (بيلاتريكس ليسترانج)، قاتلة (سيريوس)، ترث منزله؟!

قال (هارى): «لا».

فقال (دمبلدور) بهدوء: «حسنًا، نحن أيضًا نفضل ألاَّ تحصل عليه، الموقف مشحون بالتعقيدات، فنحن ـ على سبيل المثال ـ لا نعلم إن كان السحر الذى وضعته على المنزل لجعله غير محدد المكان سيستمر بعد أن انتقلت ملكية المنزل من يد (سيريوس).. وقد تظهر (بيلاتريكس) على عتبة الباب فى أية لحظة، ومن الطبيعى إذن أن نضطر للانتقال إلى خارج المنزل حتى يحين الوقت الذى يتضح فيه الموقف».

ولكن، متى ستعلمون إن كان بإمكانى تملك المكان؟

قال (دمبلدور): «لحسن الحظ، هناك اختبار بسيط للتأكد»، ووضع كأسه الخالية فوق مائدة صغيرة بجوار كرسيه وقبل أن يستطيع فعل أى شىء آخر، صاح العم (فرنون): «هل ستقوم بإبعاد هذه الأشياء بعيدًا عنا؟».

نظر (هارى) إليهم فوجد (آل درسلى) الثلاثة منكمشين وأذرعهم فوق رءوسهم، بينما كئوسهم تضرب أعلى وأسفل جماجمهم، ومحتوياتها تتناثر فى كل مكان.

قال (دمبلدور) بأدب: «أنا آسف جدًا»، ورفع عصاه مرة أخرى واختفت الكئوس الثلاث وأضاف: «كان من الأفضل أن تقوموا بشربها، كما تعلمون».

وبدا الأمر وكأن العم (فرنون) على وشك الانفجار والرد بأى عدد من الردود السريعة الساخطة، إلا أنه لم يفعل شيئًا سوى العودة إلى الانكماش فوق الأريكة مع الخالة (بتونيا) و(ددلى) بدون أن يقول شيئًا وأبقى عينيه الصغيرتين اللتين تشبهان عينى الخنزير على عصا (دمبلدور).

قال (دمبلدور) وقد التفت عائدًا إلى (هارى) مستأنفًا حديثه مرة أخرى كما لو أن العم (فرنون) لم ينطق بحرف: «إذا كنت بالفعل قد ورثت المنزل، فإنك تكون أيضًا قد ورثت».

حرك (دمبلدور) عصاه للمرة الخامسة، فسمع صوت فرقعة عاليًا وظهر جنى منزلى، له أنف يشبه الخرطوم وأذنا وطواط كبيرتان وعينان محتقنتان بالدم. كان منحنيًا على سجادة (آل درسلى) ذات الوبر الكثيف، مرتديًا ملابس بالية متسخة. أطلقت الخالة (بتونيا) صرخة يقشعر منها البدن. فلم يدخل منزلها شيء قط على هذا القدر من القذارة طوال حياتها. سحب (ددلى) قدميه الكبيرتين الحافيتين ذواتى اللون الوردى من فوق الأرض وجلس وقد رفعهما تقريبًا فوق رأسه، وكأنه اعتقد أن المخلوق الغريب قد يصعد على بنطلون بيچامته، أما العم (فرنون) فقد صاح: «ما هذا بحق الجحيم؟».

أنهى (دمبلدور) جملته: «كريتشر».

قال الجنى المنزلى بصوته المتحشرج الذى يبلغ علو نبرته علو نبرة العم (فرنون): «(كريتشر) لن يفعل، (كريتشر) لن... (كريتشر) لن... بينما يخبط الأرض بقدميه المعقدتين ويشد أذنيه».

وأكمل: «.. (كريتشر) ينتمى إلى الآنسة (بيلاتريكس)، (كريتشر) ينتمى إلى (آل بلاك)، (كريتشر) يريد سيدته الجديدة، لن يذهب (كريتشر) إلى ابن (بوتر)، (كريتشر) لن يفعل، لن يفعل، لن يفعل».

قال (دمبلدور) بصوت أعلى من حشرجة (كريتشر) وهو يقول «لن، لن، لن»: «كما ترى يا (هارى)، فـ(كريتشر) يُظهر ممانعة معينة من الانتقال إلى ملكيتك».

نظر (هارى) باشمئزاز إلى الجنى المنزلى الذى يخبط الأرض بقدميه ويتلوى، وقال مرة أخرى: «أنا لا أهتم. أنا لا أريده».

(كريتشر): «لن، لن، لن، لن...!».

قال (دمبلدور): «هل تفضل أن ينتقل إلى ملكية (بيلاتريكس ليسترانج)؟ وهو يتذكر أنه عاش فى مقر جماعة العنقاء طوال العام الماضى.

(كريتشر): «لن، لن، لن، لن».

حدق (هارى) فى (دمبلدور)، فقد كان يعلم أنه من المستحيل السماح لـ(كريتشر) بأن يذهب ليعيش مع (بيلاتريكس ليسترانج)، ولكن فكرة امتلاكه، وتحمل مسئولية المخلوق الذى خان (سيريوس) كانت كريهة.

قال (دمبلدور): «أعطِه أمرًا. وإن كان قد انتقل إلى ملكيتك، فسيكون عليه طاعتك. وإذا لم يطعك، فسيكون علينا حينئذ أن نفكر فى وسيلة أخرى؛ لمنعه عن مالكتِه الشرعية».

(كريتشر): «لن، لن، لن، لن...!».

ارتفع صوت (كريتشر) حتى أصبح كالصراخ ولم يستطع (هارى) أن يفكر فى أى شىء يقوله سوى: «(كريتشر)، اخرس!».

لقد بدا للحظة أن (كريتشر) سوف يختنق، جذب (كريتشر) عنقه، بينما فمه مازال يُفتح ويُغلق بغضب وقد برزت عيناه. وبعد ثوان قليلة من المحاولات المحمومة، ارتمى على السجادة على وجهه.

أصدرت الخالة (بتونيا) أنه تذمر وأخذ يضرب الأرض بيديه وقدميه، وقد دخل فى نوبة غضب عنيفة وإن كانت صامتة تمامًا.

قال (دمبلدور) بمرح: «حسنًا، هذا يفسر الأمور، يبدو أن (سيريوس) كان يعلم ما يفعله، أنت المالك الشرعى للمنزل رقم ١٢ شارع (جريمولد) ولـ(كريتشر)».

قال (هارى) بذعر وهو ينظر إلى (كريتشر) الذى يتخبط عند قدميه: «هل يجب... هل يجب علىَّ أن أحتفظ به معى؟».

قال (دمبلدور): «إلاً إذا لم تكن تريد ذلك! لدىً اقتراح: يمكنك أن ترسله إلى (هوجوورتس)؛ ليعمل فى المطبخ هناك؛ وبهذه الطريقة يمكن لباقى لجن المنزليين أن يراقبوه».قال (هارى) بارتياح: «نعم، نعم، سوف أفعل ذلك. أريدك يا (كريتشر) أن تذهب إلى (هوجوورتس)؛ لتعمل فى المطابخ هناك مع باقى الجن المنزليين».

كان (كريتشر) فى هذه اللحظة راقدًا على ظهره بينما يداه وقدماه مرتفعتان فى الهواء، فنظر إلى (هارى) نظرة كراهية شديدة عميقة قبل أن يختفى مع صوت فرقعة عال.

قال (دمبلدور): «جيد، هناك أيضًا موضوع الهيبوجريف (باك بيك)، كان (هاجريد) يهتم به منذ موت (سيريوس)، ولكنه أصبح ملكًا لك الآن؛ فى حالة إذا ما فضلت القيام بترتيبات مختلفة...».

قال (هارى): «لا، يمكنه البقاء مع (هاجريد)، أعتقد أن (باك بيك) سوف يفضل هذا».

قال (دمبلدور) وهو يبتسم: «سيكون (هاجريد) سعيدًا بذلك، لقد كان مبتهجًا جدًا برؤية (باك بيك) مرة أخرى، ولظروف طارئة متعلقة بسلامة (باك بيك) قررنا أن نعيد تسميته (ويذروينجز) فى الوقت الحالى، رغم أننى أشك أن الوزارة يمكن أن تخمن أنه نفس الهيبوجريف الذى حكموا عليه بالموت والآن يا (هارى)، هل حقيبتك جاهزة؟».

«اممم...».

قال (دمبلدور) متفهمًا: «هل كنت تشك فى مجيئى؟».

قال (هارى) بسرعة بينما يلتقط التلسكوب والحذاء الرياضى من على الأرض: «سوف أذهب حالاً وأنتهى بسرعة».

استغرق (هارى) أكثر قليلاً من عشر دقائق؛ للبحث عن كل الأشياء التى يريدها.. فى النهاية، التقط عباءة التخفى من تحت السرير وأغلق غطاء برطمان الحبر متغير الألوان وضغط غطاء صندوقه بقوة حتى

ينغلق على مرجله، ثم اتخذ طريقه عائدًا إلى الطابق السفلى وهو يجر صندوقه بإحدى يديه، وبالأخرى يمسك بقفص (هيدويج).

خاب ظنه عندما اكتشف أن (دمبلدور) لا ينتظره فى الصالة؛ فهذ يعنى أنه يجب أن يعود إلى حجرة المعيشة مرة أخرى.

لم يكن أحد يتكلم، كان (دمبلدور) يدندن بهدوء، ويبدو مرتاحًا تمامًا ولكن جو المكان كان أثقل من الكستر البارد.

لم يجرؤ (هارى) على النظر ناحية (آل درسلى) وهو يقول: «أنا جاهز للرحيل يا أستاذ».

قال (دمبلدور): «جيد، هناك شىء واحد أخير بعد»، والتفت ليتحدث مع (آل درسلى) مرة أخرى: «إنكم بلا شك تعلمون أن (هارى) سيبلغ سن الرشد خلال عام».

قالت الخالة (بتونيا): «لا، وكانت هذه هى أول كلمة تنطقها منذ وصول (دمبلدور)».

قال (دمبلدور) بأدب: «اعذرينى».

قالت الخالة (بتونيا): «لا، ليس بعد، فـ(هارى) أصغر من (ددلى) بشهر وسيبلغ (ددلى) الثامنة عشرة العام بعد القادم».

قال (دمبلدور) بسلاسة: «آه، ولكننا فى مجتمع السحر، نبلغ سن الرشد فى السابعة عشرة».

غمغم العم (فرنون): «غير طبيعى»، ولكن (دمبلدور) تجاهله.

قال (دمبلدور): «الآن، كما تعلمون، لقد عاد الساحر الذى يسمى لورد (فولدمورت) إلى وطنه ومجتمع السحر فى حالة حرب مفتوحة و(هارى) الذى حاول لورد (فولدمورت) قتله فى عدد من المناسبات من قبل، أصبح الآن يواجه خطرًا أكبر مما كان يواجهه يوم تركته على عتبة بابكم منذ خمسة عشر عامًا مع خطاب يفسر مقتل والديه ويرجوكم أن تعتنوا به كما لو كان ابنكم».

توقف (دمبلدور) عن الكلام قليلاً، وبالرغم من أن صوته بقى هادئًا ومنشرحًا ولم يبدِ أية إشارة غضب واضحة، شعر (هارى) بنوع من القشعريرة الناجمة عنه ولاحظ أن (آل درسلى) قد اقتربوا قليلاً من بعضهم بعضًا.

استأنف (دمبلدور) حديثه: «لم تفعلوا ما طلبته منكم، لم تعاملوا (هارى) كابن لكم قط، لم يعرف على أيديكم سوَى الإهمال وغالبًا القسوة. الحسنة الوحيدة أنه على الأقل نجا من الضرر الفظيع الذى تكبده الولد سيئ الحظ الجالس بينكما».

نظرت الخالة (بتونيا) والعم (فرنون) حولهما بدافع الغريزة، وكأنهما يتوقعان رؤية شخص آخر غير (ددلى) ينحشر بينهما.

قال العم (فرنون) بغضب: «نحن... نحن أسأنا معاملة (دودرس)؟ ما الذى...؟» ولكن (دمبلدور) رفع إصبعه محذرًا إياه طالبًا منه أن يصمت، سكت العم (فرنون) وكأنه أفحمه.

السحر الذى صنعته منذ خمسة عشر عامًا يعنى أن (هارى) لديه حماية قوية مادام يستطيع أن يقول على هذا المنزل إنه بيته، مهما كان يشعر بالبؤس هنا، ومهما عاملتموه بطريقة سيئة أو كان غير مرغوب فيه، إنكم على الأقل سمحتم له بالبقاء فى المنزل ولو على مضض. سيتوقف هذا السحر عن العمل عندما يصل (هارى) إلى سن السابعة عشرة؛ بمعنى آخر: فى اللحظة التى يصبح فيها رجلاً - كل ما أسألكم إياه هو أن تسمحوا لـ(هارى) بأن يعود مرة أخرى إلى هذا المنزل، قبل عيد ميلاده السابع عشر؛ حتى نضمن استمرار الحماية حتى هذا الوقت.

لم ينبس أى من أفراد عائلة (درسلى) ببنت شفة. وبدا (ددلى) متجهمًا قليلاً، كأنه مازال يحاول أن يتذكر متى تمت معاملته معاملة سيئة، أما العم (فرنون)، فقد بدا كما لو أن شيئًا غص فى حلقه والخالة (بتونيا) كان وجهها محمرًا بشكل غريب.

قال (دمبلدور) أخيرًا: «حسنًا يا (هارى)، لقد حان وقت رحيلنا».

ثم وقف (دمبلدور) وأخذ يسوى عباءته السوداء الطويلة، وقال لـ(آل درسلى): «إلى أن نلتقى ثانية، إذن...»، وقد بدا عليهم أنهم يتمنون ألا تأتى هذه اللحظة أبدًا، ثم خلع (دمبلدور) قبعته وانطلق إلى خارج الغرفة.

قال (هارى) بسرعة لـ(آل درسلى): «وداعًا»، ثم تبع (دمبلدور)، الذى توقف بجانب صندوق (هارى) الموضوع عليه قفص (هيدويج).

قال (دمبلدور). «نحن لا نريد أن نثقل على أنفسنا بهذه الأشياء، ثم سحب عصاه مرة أخرى وأضاف: «سوف أرسلهم إلى الجحر؛ لينتظرونا هناك، ولكننى أريدك أن تحضر معك عباءة الإخفاء؛ لنكون مستعدين لو حدث أى شىء». (فقد يحدث شىء غير متوقع).

أخرج (هارى) عباءته من صندوقه ببعض الصعوبة؛ محاولاً ألاَّ يرى (دمبلدور) الفوضى داخله، وعندما وضعها فى جيب داخلى داخل سترته، لوح (دمبلدور) بعصاه فاختفى الصندوق وقفص (هيدويج)، ثم حرك (دمبلدور) عصاه مرة أخرى فانفتح الباب الأمامى كاشفًا عن الظلام الضبابى البارد فى الخارج.

قال (دمبلدور): «الآن يا (هارى)، فَلْنَخْطُ معًا خارجين إلى الظلمة، ولنتابع هذه المغامرة المغرية التى لا نعرف لها نهاية».

■ ■ ■

٤ (هوريس سلجهورن)

بالرغم من أنه قضى كل لحظة يقظة خلال الأيام القليلة الماضية متمنيًا بشدة أن يحضر (دمبلدور) ليأخذه معه؛ فإن الإحراج كان باديًا على (هارى) عندما بدءوا رحلتهم معًا تاركين شارع (بريفت درايف)، فلم يحدث بينه وبين الناظر حوار بالمعنى الصحيح خارج (هوجوورتس) قط، حيث كان هناك دائمًا مكتب يفصل بينهما. وكانت ذكرى آخر مواجهة بينهما تعود إلى ذهنه مرة بعد مرة، فتزيد من شعور (هارى) بالإحراج إلى حد ما، فقد رفع صوته كثيرًا فى هذه المواجهة؛ إذ أغفل حالة الهياج التى انتابته ومحاولته تحطيم العديد من ممتلكات (دمبلدور) الثمينة.

وعلى النقيض، كان (دمبلدور) يبدو مرتاحًا تمامًا.

قال (دمبلدور) باسمًا: «ابق عصاك السحرية مستعدة يا (هارى)».

رد (هارى). «ولكننى أعتقد يا سيدى أننى غير مسموح لى بممارسة السحر خارج (هوجوورتس)».

قال (دمبلدور): «لو تعرضنا لأى هجوم، أعطيك الإذن باستخدام أى تعاويذ أو سحر مضاد قد يتراءى لك استخدامه».

ثم أكمل حديثه: «وإن كنت لا أعتقد أنك يجب أن تقلق من حدوث أى هجوم عليك الليلة».

قال (هارى): «ولم لا يا سيدى؟».

قال (دمبلدور) ببساطة: «لأنك معى وهذا ما سيحميك يا (هارى)».

ثم توقف فجأة عند نهاية شارع (بريفت درايف).

قال (دمبلدور): «إنك بالطبع لم تجتز اختبار الانتقال الآنى بعد».

قال (هارى): «لا، يجب أن أبلغ السابعة عشرة، أليس كذلك؟».

قال (دمبلدور): «هذا صحيح، إذن سيكون عليك أن تمسك بذراعى بقوة، ذراعى اليسرى لو لم تمانع، فكما ترى اليد التى أحمل بها عصاى السحرية ضعيفة إلى حد ما فى هذه اللحظة».

أمسك (هارى) مقدمة ذراع (دمبلدور) التى مدها إليه.

ثم قال (دمبلدور): «جيد جدًا، فلنذهب إذن».

شعر (هارى) بأن ذراع (دمبلدور) تكاد تفلت منه فضاعف من تمسكه بها، ثم شعر بالدنيا وقد اسودت من حوله، وأن هناك من يضغط على جسمه بشدة من جميع الاتجاهات، ولم يكن يستطيع التنفس، كما لو أن هناك قيودًا حديدية ملفوفة حول صدره وتضغط عليه بشدة، حتى بؤبؤ العين وطبلة الأذن، شعر وكأن شيئًا يدفعهما بقوة إلى داخل جمجمته، ثم استنشق الهواء البارد، وملأ رئتيه به وفتح عينيه الفائضتين بالدموع، وشعر كما لو أنه عبر من خلال أنبوب مطاطى ضيق جدًا، ومرت بضع ثوان قبل أن يدرك أن شارع (بريفت درايف) اختفى، وأنه يقف مع (دمبلدور) فى مكان يبدو مثل ميدان مهجور فى إحدى القرى، يقع فى وسطه نصب تذكارى حربى قديم وبعض المقاعد الخشبية، ففهِمَ (هارى) ما حدث له، وأدرك أنه انتقل آنيًا لأول مرة فى حياته.

نظر (دمبلدور) إليه بقلق وسأله باهتمام: «هل أنت بخير؟ ستعتاد هذا الشعور مع مرور الوقت».

قال (هارى): «أنا بخير»، وأخذ يدلك أذنيه التى شعر بأنهما تركا شارع (بريفت درايف) غصبًا، وأضاف: «لكننى أعتقد أننى أفضل المكانس».

ابتسم (دمبلدور) وأحكم عباءته قليلاً حول عنقه، وقال: «من هنا».

وانطلق بخطوات رشيقة مارًا أمام منزل خال وبضعة منازل، بينما كانت ساعة الكنيسة القريبة تشير إلى منتصف الليل تقريبًا.

قال (دمبلدور): «أخبرنى يا (هارى) عن ندبتك.. هل حدث أن آلمتك بالمرة؟».

رفع (هارى) يده لاشعوريًا وأخذ يفرك العلامة التى تشبه البرق فى مقدمة رأسه.

قال (هارى): «لا، لقد كنت أتساءل عن هذا. لقد توقعت أن تظل تؤلمنى طوال الوقت، خاصة بعد أن استعاد (فولدمورت) قوته مرة أخرى».

نظر (هارى) إلى (دمبلدور) بطرف عينه فرأى أن الارتياح قد كسا وجهه.

قال (دمبلدور): «ولكننى اعتقدت خلاف ذلك، لقد انتبه لورد (فولدمورت) أخيرًا إلى القدرة الخطرة التى كنت تتمتع بها، واستطاعتك الدخول إلى أفكاره ومشاعره، ويبدو أنه يستخدم تعويذة حجب ضدك».

قال (هارى): «حسنًا، أنا لا أشكو» فلم يكن (هارى) يفتقد الأحلام المفزعة المضطربة، ولا لمحات التبصر الرهيبة داخل عقل (فولدمورت).

دار الاثنان حول أحد المنعطفات مارّين بكابينة تليفون وموقف للأتوبيس. نظر (هارى) إلى (دمبلدور) بطرف عينه مرة أخرى. وقال: «أستاذ».

(دمبلدور): «نعم يا (هارى)».

(هارى): «أين نحن بالضبط؟».

(دمبلدور): «هذه يا (هارى) قرية (بودليج بابرتون) الجميلة».

(هارى): «وما الذى نفعله هنا؟».

قال (دمبلدور): «آه، صحيح، أنا لم أخبرك بعد، حسنًا، لا أستطيع أن أذكر عدد المرات التى قلت فيها هذا الكلام خلال السنوات القليلة الماضية، ولكن ها نحن، مرة أخرى، ينقصنا فرد من أفراد طاقم التدريس بـ(هوجوورتس)».

سأل (هارى): «وكيف يمكننى المساعدة فى ذلك يا سيدى؟».

قال (دمبلدور) بغموض: «أعتقد أنه سيكون لك نفعٌ ما. إلى اليسار يا (هارى)».

وتابعا طريقهما صاعدين شارعًا منحدرًا ضيقًا تحيط به المنازل وإن كانت كل نوافذها مغلقة، وكانت هذه البرودة الغريبة قد سادت شارع (بريفت درايف) لمدة أسبوعين أيضًا.

عندما خطر ببال (هارى) (الدمنتورات)، نظر من فوق كتفه وأمسك عصاه؛ ليتأكد أنها موجودة فى جيبه.

وقال: «يا أستاذ، لماذا لا يمكننا الانتقال آنيًا مباشرة إلى منزل صديقك القديم؟».

قال (دمبلدور): «لأنه سيكون تصرفًا فظًا إلى حد كبير، كأنك ضربت باب المنزل بقدمك، ودخلت بدون استئذان. من اللياقة والتهذيب أن نعطى زملاءنا السحرة فرصة رفض دخولنا. وعلى أية حال، معظم منازل السحرة محمية بتعاويذ سحرية؛ لمنع دخول الأشخاص غير المرغوب فيهم، كما فى (هوجوورتس) على سبيل المثال».

قال (هارى) بسرعة: «لا يمكن الانتقال آنيًا إلى أى مكان داخل المبانى أو الأراضى المحيطة بها، (هرميون جرانجر) أخبرتنا بهذا».

قال (دمبلدور). «هى على حق تمامًا، هيا انعطف إلى اليسار ثانية».

دقت ساعة الكنيسة وراءهم معلنة انتصاف الليل. تساءل (هارى): لماذا لا يعتبر (دمبلدور) زيارة زميله فى هذا الوقت من الليل خارجة عن أصول اللياقة؟ ولكن الآن وقد أصبح هناك حوار بينهما، كانت هناك أسئلة أكثر إلحاحًا يريد معرفة إجاباتها.

قال (هارى): «لقد قرأت فى (المتنبئ اليومى) أن (فودج) أُقيل من منصبه».

قال (دمبلدور) وهو ينعطف صاعدًا إلى شارع جانبى منحدر: «هذا صحيح، لقد تم استبداله بـ(روفوس سكريمجور) الذى كان رئيسًا لمكتب المدافعين ضد السحر الأسود. أنت بالتأكيد قد عرفت ذلك أيضًا».

سأل (هارى): «هل هو... هل تعتقد أنه مناسب للوظيفة؟».

قـال (دمـبـلـدور): «سـؤال مـثير لـلاهـتـمـام، إنـه كفء بـالـتـأكـيد، ولـه شخصية قوية وحازمة أكثر من (كورنيليوس)».

(هـارى): «نعم، ولكننى أقصد...».

(دمبلدور): «أعرف ما الذى تقصده، إن (روفوس) رجل أفعال، وكونه قضى معظم حياته الوظيفية يحارب السحرة الأشرار لن يجعله يستهين بقوة لورد (فولدمورت)».

انـتـظـر (هـارى) أن يـقـول (دمـبـلـدور) شيئـًا عن الخلاف بـيـنـه وبين (سكريمجور) الذى ذكرته جريدة (المتنبئ اليومى)، إلا أنه لم يفعل، ولم يجد لديه الجرأة لكى يتابع الموضوع. فقام بتغييره.

(هـارى): «سيدى، لقد قرأت عما حدث لمدام (بينس)».

قال (دمبلدور) بهدوء: «نعم، خسارة فظيعة، لقد كانت ساحرة عظيمة. ثم أشار بيده المجروحة إلى أعلى هناك على ما أعتقد، آه...».

(هـارى): «أستاذ، ما الذى حدث لـ...؟».

قال (دمبلدور): «ليس لدىَّ وقت كاف لأشرح لك الأمر؛ فهى قصة مشوقة أريد أن أحكيها بالتفصيل».

وابتسم لـ(هـارى) الذى فهم أنه لم يزجره، وأن لديه الإذن ليستمر فى السؤال.

(هـارى): «سـيـدى، أحضـرت إلىَّ بـومـة مـن وزارة السحر كتيبًا عن الإجراءات الأمنية التى يجب علينا اتباعها ضد (آكلى الموت)».

قـال (دمـبـلـدور) وهـو لايـزال يـبـتـسم: «لـقـد وصـلـنـى واحـد أيضًـا، هـل وجدته مفيدًا؟».

(هـارى): «حقيقة، لا».

(دمبلدور): «توقعت هذا، إنك لم تسألنى، على سبيل المثال، أى نوع من مربى الفاكهة أفضله؛ لتتأكد إن كنت بالفعل الأستاذ (دمبلدور) أم مجرد مدعٍ».

قال (هارى): «لا لم أفعل...». ولم يكن (هارى) متأكدًا تمامًا إن كان (دمبلدور) يقصد لومه على ذلك أم لا.

(دمبلدور): «إنه التوت الأحمر إذا ما احتجت إلى معرفته فى المستقبل يا (هارى)، رغم أنه بالطبع لو أننى كنت من (آكلى الموت) لكنت قد بحثت وعرفت نكهة المربى المفضلة بالنسبة لى، قبل أن أنتحل شخصيتى».

قال (هارى): «هذا صحيح، حسنًا، ذكروا فى الكتاب شيئًا عن (الأنفيرى) ما هم بالضبط؟ لم يكن الكتيب واضحًا».

قال (دمبلدور) بهدوء: «إنهم الجثث، أو الأجسام الميتة التى تم سحرها؛ لتنفذ أوامر (سحرة الظلام) لم ير أحد أى (أنفيرى) منذ وقت طويل، وذلك عندما كان (فولدمورت) قويًا آخر مرة.. فقد قام بقتل عدد كاف من الناس ليصنع جيشًا منهم بالطبع. هذا هو المكان يا (هارى)، هنا بالضبط».

كانوا بالقرب من منزل حجرى صغير وجميل له حديقة، وكان (هارى) مشغولاً جدًا بمحاولة استيعاب فكرة (الأنفيرى) الفظيعة حتى إنه لم يبدِ اهتمامًا لأى شىء آخر، ولكن ما إن وصلوا إلى البوابة الأمامية حتى وقف (دمبلدور) أمامها فجأة فاصطدم (هارى) به.

(دمبلدور): «ما هذا؟ ما الذى حدث هنا؟».

نظر (هارى) إلى أعلى الممر الأمامى المعتنى به، فشعر أن قلبه هبط. كان الباب الأمامى مخلوعًا من مفصلاته.

ألقى (دمبلدور) نظرة أعلى وأسفل الشارع، الذى كان يبدو مهجورًا تمامًا وقال بهدوء: «أشهِر عصاك واتبعنى يا (هارى)».

ثم فتح البوابة الأمامية ومشى بسرعة وهدوء عبر ممر الحديقة و(هارى) يتبعه، ثم دفع الباب الأمامى ببطء، بينما عصاه مرفوعة فى وضع الاستعداد.

(دمبلدور): «لاموس».

اشتعل طرف عصا (دمبلدور) ملقيًا بضوئه على رواق ضيق، يوجد على يساره باب آخر مفتوح، وخطا (دمبلدور) إلى حجرة الجلوس رافعًا عصاه المشتعلة إلى أعلى و(هارى) خلفه مباشرة.

كان المكان مدمَّرًا تمامًا، وكان حُطام ساعة من النوع الذى يقف مستندًا على الحائط متناثرًا عند أقدامهم وقد تحطم وجهها الزجاجى، وسقط بندولها على مسافة قريبة منها كأنه سيف وقع من يد صاحبه.

وكان بجانبها بيانو، قد تناثرت مفاتيحه فى كل مكان على الأرض ويجوارها يلمع حطام إحدى الثريات التى سقطت، أما الوسائد فملقاة على الأرض، وقد برز الريش من شقوق فى جوانبها، وكانت هناك شظايا من الزجاج والصينى منثورة مثل البودرة فوق كل شىء، رفع (دمبلدور) عصاه أكثر إلى أعلى حتى وقع ضوؤها على الحوائط التى ظهر عليها بقعٌ من شىء لزج لونه أحمر قانٍ متناثر على ورق الحائط.

أخذ (هارى) نَفَسًا صغيرًا بصوت مسموع؛ مما جعل (دمبلدور) ينظر حوله وقال بثقل: «ليس منظرًا جميلاً، يبدو أن شيئًا فظيعًا قد حدث هنا».

تحرك (دمبلدور) بحرص إلى وسط الغرفة، وأخذ يتفحص الأشياء المحطمة عند قدميه، وتبعه (هارى) محدقًا إلى ما حوله وهو نصف خائف؛ مما قد يكون مختبئًا خلف حطام البيانو أو الأريكة المقلوبة، ولكن لم يكن هناك أثر لأية جثة.

حاول (هارى) ألاَّ يتخيل إلى أى حد يمكن أن تبلغ خطورة إصابة الشخص حتى يترك مثل تلك البقع من الدم التى تلطخ نصف الحائط، وقال: «ربما حدثت معركة وأخذوه معهم عنوة يا أستاذ».

قال (دمبلدور) بهدوء وهو ينظر خلف كرسى منجد ذى ذراعين مقلوب على جنبه: «لا أعتقد هذا».

(هارى): «أتعنى أنه...».

(دمبلدور): «مازال هنا فى مكان ما! نعم».

وفجأة انقض على المقعد ذى الذراعين ووخزه بطرف عصاه فصدر منه صوت توجع. «آى».

اعتدل (دمبلدور) واقفًا وقال: «مساء الخير يا (هوريس)».

فغر (هارى) فاه من الدهشة؛ حيث حلَّ مكان المقعد الذى كان موجودًا منذ أقل من ثانية، رجل عجوز أصلع وسمين جدًّا، يدعك الجزء الأسفل من بطنه وينظر بضيق نحو (دمبلدور) بعينين دامعتين عاتبتين.

قال بصوت أجش وهو يعتدل بصعوبة ليقف على قدميه: «لم يكن هناك داعٍ أن تنغز عصاك فى جسمى بهذه القوة، لقد المتنى».

تألق الضوء الصادر عن العصا على رأسه الأصلع وعينيه البارزتين وشاربه الفضى الكثيف المتهدل من الجانبين مثل شارب فيل البحر والأزرار اللامعة لسترته المخملية ذات اللون الأحمر الداكن التى يرتديها فوق بيچامته الحريرية ذات اللون الأرجوانى، وكانت قمة رأسه بالكاد تصل إلى ذقن (دمبلدور).

قال بصوته الأجش وهو مازال يدلك بطنه ويحاول الوقوف بثبات «ما الذى كشف الأمر؟»، ولم يبدُ عليه أى أثر للإحراج الذى قد يبدو على رجل تم اكتشافه وهو يتظاهر بأنه مقعد ذو ذراعين.

قال (دمبلدور) وهو يبدو مستمتعًا بما يحدث: «عزيزى (هوريس)، لو أن (آكلى الموت) قد حضروا إلى هنا بالفعل لوضعوا علامة الظلام على المنزل».

ضرب الساحر بيده القصيرة السمينة مقدمة رأسه العريضة، وغمغم قائلاً: «علامة الظلام، لقد عرفت أن هناك شيئًا... آه، حسنًا، وعلى أية حال لم يكن لدىَّ وقت. لقد كدت أنتهى من وضع اللمسات النهائية الخاصة بفراشى عندما دخلتم إلى الغرفة».

ثم تنهد بشدة حتى إن نهايتى شاربه اهتزتا.

قال (دمبلدور) بأدب: «هل تحتاج إلى مساعدتى فى إعادة ترتيب المكان».

قال الآخر: «لو سمحت».

وقف الساحران الطويل النحيف والقصير السمين وظهْر كليهما إلى ظهر الآخر، ولوحا بعصويهما السحريتين بحركة مائلة متماثلة؛ فعاد الأثاث سليمًا إلى مكانه الأصلى، بينما الزخارف تتكون من جديد فى الهواء، والريش يعود إلى داخل الوسائد، والكتب الممزقة أصلحت نفسها قبل أن تهبط على رفوفها، والمصابيح الزيتية اشتعلت وحلقت عائدة إلى الموائد الجانبية، وكمية كبيرة من شظايا إطارات الصور الفضية طارت عبر الغرفة وهى تلمع، ثم هبطت فى مكانها على المكتب كاملة ونظيفة، واختفت كل الشقوق والثقوب من كل مكان ونظفت الحوائط نفسها.

سأل (دمبلدور) بصوت عال؛ ليطغى على صوت قرع الساعة التى عادت سليمة بجوار الحائط: «بالمناسبة، أى نوع من الدم كان هذا؟».

صاح الساحر الذى يدعى (هوريس): «على الحوائط، دم تنين».

حيث كان صوت رنين وجلجلة النجفة ـ وهى تعيد تثبيت نفسها بالسقف ـ يصم الآذان.

ثم سمع صوت رنة أخيرة من البيانو قبل أن يسود الصمت.

كرر الساحر فاتحًا الحديث: «نعم، تنين، آخر زجاجة معى، لقد أصبح سعره غاليًا جدًا حاليًا، ولكن يمكن استخدامه أكثر من مرة».

مشى متثاقلاً حتى وصل إلى زجاجة كريستالية صغيرة موجودة فوق البوفيه ورفعها إلى الضوء؛ ليفحص السائل الثقيل بها.

«آه، مترب قليلاً».

وأعاد الزجاجة فوق البوفيه وتنهد، وعندها سقط نظره على (هارى).

ثم قال: «آه» وعيناه الكبيرتان المستديرتان تحدِّقان إلى ندبته التى تشبه البرق على مقدمة رأسه.. «آه!».

تقدم (دمبلدور) ليقدمهما إلى بعضهما بعضًا، وقال: «هذا هو (هارى بوتر)».. (هارى)، هذا (هوريس سلجهورن)، أحد أصدقائى وزملائى القدامى،

التفت (سلجهورن) إلى (دمبلدور)، وقد ظهر على وجهه الفهْم. وقال: «إذن، هذه هى الطريقة التى ستقنعنى بها، أليس كذلك؟ الإجابة هى ليس كذلك يا (ألباس)».

ثم مر بجوار (هارى) مبعدًا وجهه بتصميم، وقد بدا مثل رجل يقاوم إغراءً شديدًا.

سأل (دمبلدور): «على الأقل يمكننا أن نشرب شيئًا من أجل خاطر معرفتنا السابقة».

تردد (سلجهورن). ثم سال بغلظة: «حسنًا، ولكنْ كأس واحدة فقط».

ابتسم (دمبلدور) لـ(هارى) وأرشده إلى كرسى يختلف عن الكرسى الذى كان (سلجهورن) يجسده. وبالقرب من المدفأة حديثة الاشتعال ومصباح زيتى إضاءته قوية، جلس (هارى) وكان لديه شعور بأن (دمبلدور) ـ لسبب ما ـ يريد أن يبقيه مرئيًا على قدر الإمكان، ومن الطبيعى أن (سلجهورن) الذى كان مشغولاً بصب الشراب فى الكئوس عندما يستدير لمواجهة الغرفة ستقع عيناه على (هارى) فورًا.

وعندما استدار ورآه قال: «أف»، وأبعد نظره بسرعة وكأنه خائف من إيذاء عينيه، وأعطى الكأس إلى (دمبلدور) الذى جلس بدون دعوة، ودفع الصينية إلى (هارى)، ثم غرق بين وسائد الأريكة التى تم إصلاحها. وكانت رجلاه قصيرتين جدًا حتى إنهما لم تلمسا الأرض.

سأل (دمبلدور): «حسنًا، كيف حال صحتك يا (هوريس)؟».

قال (سلجهورن) بسرعة: «لست فى حالة طيبة، فصدرى ضعيف، ومصاب بضيق التنفس، وأصبحت أتحرك بصعوبة بسبب الروماتيزم، ولكن كل هذا متوقع بسبب تقدم العمر والتعب».

قال (دمبلدور): «ومع ذلك، فإنك يجب أن تكون قد تحركت بسرعة كبيرة جدًا لإعداد مشهد الترحيب الذى شاهدته عند دخولنا فى مثل هذا الوقت القصير، فلا يمكن أن يكون لديك أكثر من ثلاث دقائق قبل دخولنا».

قال (سلجهورن) وهو نصف منفعل ونصف فخور: «دقيقتان فقط، فلم أسمع الإنذار السحرى الذى وضعته ضد المتطفلين وهو ينطلق؛ لأننى كنت أستحم».

وأضاف بصرامة وقد بدا أنه بدأ يتمالك نفسه: «ومع ذلك، فحقيقة الأمر أننى رجل عجوز يا (ألباس)، رجل عجوز متعب أصبح من حقه أن يعيش حياة هادئة ويتمتع ببعض وسائل الراحة الموجودة فى الحياة».

قال (هارى) فى نفسه وهو ينظر حوله فى أنحاء الغرفة: «إنه بالفعل يتمتع بوسائل الراحة؛ فقد كانت الغرفة ممتلئة بالأثاث وغير منظمة، إلا أن أحدًا لا يستطيع أن يقول إنها غير مريحة». وفقد كان بها كراسى لينة وكراسى لرفع القدمين فوقها، ومشروبات وكتب، وصناديق شيكولاتة ووسائد مريحة. لو أن (هارى) لم يكن يعلم من الذى يسكن بالمكان لكان حَزَرَ أنها عجوز غنية ومطلوبة.

قال (دمبلدور): «ولكنك لم تبلغ عمرى بعد يا (هوريس)».. فقال (سلجهورن) بفظاظة وقد سقطت عيناه الصفراوان على يد (دمبلدور) المصابة: «حسنًا، ربما آن الأوان أن تفكر فى التقاعد يا (ألباس)».

وأضاف: «الاستجابة أصبحت أبطأ كما أرى».

قال (دمبلدور) بطمأنينة: «إنك على حق تمامًا»، ثم أزاح كمه كاشفًا عن أطراف أصابعه المحروقة والسوداء وقد أصاب منظرها قفا (هارى) بقشعريرة.

ثم أضاف (دمبلدور): «إننى بالتأكيد أبطأ مما كنت عليه، ولكن من ناحية أخرى...».

ثم هز (دمبلدور) كتفيه وفرد يديه على آخرهما وكأنه يقول إن هناك تعويضًا عن الكبر، ولاحظ (هارى) أن (دمبلدور) يرتدى فى يده السليمة خاتمًا لم يره من قبل، كان كبيرًا، وصناعته غير دقيقة إلى حد ما ويبدو مصنوعًا من الذهب، ومرصَّعًا بحجر أسود كبير كأنما قد تم كسر وسط

الخاتم ليستقر فيه، تعلقت عين (سلجهورن) بالخاتم للحظة أيضًا، ولاحظ (هارى) تجعد جبهته العريضة وتجهمه للحظة قصيرة.

سأل (دمبلدور): «إذن يا (هوريس)... كل هذه الاحتياطات ضد المتطفلين، هل قمت بها لخداع (آكلى الموت) أم لخداعى؟».

تساءل (سلجهورن): «ما الذى قد يريده (آكلو الموت) من شخص عتيق التفكير مسكين، مهدود الصحة مثلى؟».

قال (دمبلدور): «أتخيل أنهم سيريدونك أن تحول مواهبك الكثيرة فى القهر والتعذيب والقتل. هل حقا تقول لى إنهم لم يأتوا بعد لتجنيدك؟».

نظر (سلجهورن) إلى (دمبلدور) بخبث للحظة، ثم غمغم: «لم أعطهم الفرصة، فقد كنت فى تنقل مستمر طوال العام الماضى ولم أستقر بمكان واحد مدة تزيد على الأسبوع. كنت أتنقل من منزل أحد العامة إلى منزل آخر.. ملاك هذا المنزل فى إجازة بجزر الكنارى، لقد كان منزلهم لطيفًا جدًا، أنا نادم لاضطرارى لتركه، إنه شىء سهل جدًا بمجرد أن تعتاد تعويذة تجميد بسيطة لإنذارات السرقة التافهة التى يستخدمونها بدلاً من أجراس الثعبان والتأكد من أن الجيران لم يروك وأنت تدخل البيانو».

قال (دمبلدور): «منتهى البراعة، ولكنها تبدو حياة متعبة إلى حد ما بالنسبة لرجل عجوز مسكين مهدود الصحة يبحث عن حياة هادئة، والآن، إذا ما عدت إلى (هوجوورتس)».

قال (سلجهورن): «إذا كنت ستقول لى إن حياتى داخل هذه المدرسة المزعجة ستكون أكثر أمانًا، فلتوفر كلامك يا (ألباس)! قد أكون قضيت كل الفترة الماضية مختبئًا، ولكن وصلتنى بعض الشائعات المضحكة منذ رحيل (دولوريس أمبريدج)! إذ كانت هذه هى الطريقة التى تعامل بها مدرسيك هذه الأيام».

قال (دمبلدور): «إن الأستاذة (أمبريدج) وضعتنا فى موقف حرج مع قطيع القناطير الخاص بالمدرسة».

ثم أضاف: «أعتقد يا (هوريس) أنك ستكون أكثر حكمة من أن تخطو إلى داخل الغابة، وتدعو جماعة من القناطير الغاضبة (حيوانات مهجنة قذرة)».

قال (سلجهورن): «هذا ما فعلته، أليس كذلك؟ امرأة حمقاء، لم تعجبنى قط هذه المرأة».

ضحك (هارى) ضحكة خافتة، فالتفت إليه (دمبلدور) و(سلجهورن).

قال (هارى) بسرعة: «آسف، فقط، إنها لم تعجبنى أنا أيضًا».

ثم وقف (دمبلدور) فجأة.

فسأله (سلجهورن) بسرعة وقد بدا مستبشرًا: «هل سترحل؟».

سأل (دمبلدور): «هل يمكننى استخدام الحمام؟».

قال (سلجهورن) وقد بدا عليه خيبة الأمل بوضوح: «آه، الباب الثانى على اليسار بعد الصالة».

عبر (دمبلدور) الغرفة، وما أن أغلق الباب خلفه حتى ساد المكان الصمت. وبعد لحظات قليلة، وقف (سلجهورن) وبدا غير واثق مما يريد فعله، ثم ألقى على (هارى) نظرة مختلسة، وخطا نحو المدفأة وأعطاها ظهره العريض لتدفئه.

قال (سلجهورن) على نحو مفاجئ: «أتظن أننى لا أعرف لماذا أحضرك معه؟».

نظر (هارى) إلى (سلجهورن) ولم يتكلم، فنظر (سلجهورن) إلى ندبة (هارى) ثم إلى باقى ملامح وجهه هذه المرة».

(سلجهورن): «أتعرف أنك تشبه والدك إلى حد كبير؟».

قال (هارى): «نعم، أخبرونى بذلك».

(سلجهورن): «باستثناء عينيك فإن لك...».

(هارى): «عينا أمى، أعرف»، فلقد سمع (هارى) هذا الكلام كثيرًا حتى أصبح مضجرًا إلى حد ما بالنسبة له.

أضاف (سلجهورن) ردًا على نظرة (هارى) المتسائلة: «نعم، حسنًا، من المفترض بالطبع كمدرس ألاّ يكون لديك طلاب تفضلهم عن الآخرين، ولكنها كانت إحدى طالباتى المفضلات، أعنى والدتك (ليلى إفانز). لقد كانت واحدة من أذكى الطالبات اللائى كنت أدرس لهن، كانت فتاة ساحرة. واعتدت أن أقول لها إنه يجب عليها أن تكون فى منزلى، ودائمًا ما كانت ترد علىّ بإجابات شقية جدًا أيضًا».

(هارى): «أيهم كان منزلك؟».

قال (سلجهورن): «كنت رئيس منزل (سليذرين)»، ثم أضاف بسرعة عندما رأى التعبير الذى ارتسم على وجه (هارى) وهو يهز إصبعه القصير البدين أمامه: «لا تحمل هذا الأمر ضدى! أعتقد أنك (جريفندور) مثلها، أليس كذلك؟ عادة ما يدخل أفراد العائلة الواحدة نفس البيت، وإن كان هناك شواذ لهذه القاعدة. هل سمعت عن (سيريوس بلاك)؟ لابد أنك سمعت به، فقد نشرت أخباره بالصحف خلال العامين الماضيين، ومات منذ أسابيع قليلة؟».

شعر (هارى) كأن يدًا خفية قد قبضت على أمعائه وعصرتها بقوة.

ثم أكمل (سلجهورن): «حسنًا، على أية حال، لقد كان صديق والدك فى المدرسة، وكان جميع أفراد أسرته فى منزلى، ما عدا (سيريوس) الذى انتهى به الحال فى (جريفندور)! للأسف، فقد كان ولدًا موهوبًا. لقد كان معى أخوه (ريجولوس) عندما حضر إلى المدرسة بالطبع، ولكننى كنت أتمنى لو كان لدىّ كلاهما».

بدا (سلجهورن) مثل هاوى جمع تحف مهووس، زايد عليه أحدهم فى أحد المزادات.

وظل يحدق إلى الحائط المقابل وقد بدا عليه أنه غرق فى ذكرياته، وأخذ يحرك ظهره من الجنب إلى الجنب أمام المدفأة؛ ليؤمن قدرًا متساويًا من الحرارة لمؤخرته.

قال (سلجهورن): «كانت والدتك مولودة من العامة، بالطبع لم أصدق هذا عندما عرفت. لقد اعتقدت أنها من أصحاب الدم النقى، فقد كانت موهوبة جدًا».

قال (هارى): «إحدى أفضل صديقاتى مولودة من العامة وهى أفضل طالبة فى فصلنا الدراسى».

قال (سلجهورن): «من الغريب أن يحدث ذلك أحيانًا، أليس كذلك؟».

قال (هارى) ببرود: «ليس تمامًا».

نظر إليه (سلجهورن) مفاجئًا.

وقال: «لا يجب أن تعتقد أنى متحامل! لا، لا، لا، ألم أقل لك منذ لحظة إن والدتك كانت واحدة من طالباتى المفضلات حتى وقتنا الحاضر؟ وكان هناك (دريك كريسويل) فى العام الذى تلا عام والدتك أيضًا، وقد أصبح الآن رئيسًا لمكتب العلاقات مع (الجن)، وقد كان مولودًا للعامة بالطبع، وطالبًا موهوبًا جدًا ولايزال يطلعنى على معلومات داخلية ممتازة عما يجرى فى (جرنجوتس)!».

ثم قفز قفزة صغيرة وهو يبتسم بطريقة تنمُّ عن رضاه عن نفسه، وأشار إلي إطارات الصور الكثيرة اللامعة فوق خزانة الأطباق التى يشغل كلاً منها أشخاص متحركون. وقال: «جميع هذه الصور لطلابى السابقين وجميعها موقعة، سوف تلاحظ (بارناباس كافى) رئيس تحرير جريدة (المتنبئ اليومى)، دائمًا ما كان مهتمًا بسماع تعليقاتى على الأخبار اليومية، وهناك أيضًا (أمبرسيوس فلومى)، الذى يعمل بحلوانى (هنى ديوكس) ويرسل لى فى عيد ميلادى سلة مملوءة بالحلوى؛ لأننى استطعت أن أقدمه إلى (سيسرون هاركيس)، الذى أعطاه أول وظيفة فى حياته المهنية! والصورة فى الخلف هناك، سوف تراها إذا رفعت عنقك، هذه (جوينوج جونيس)، وهى كما تعلم بالطبع كابتن

فريق (هوليهد هاربيز).. يندهش الناس دائمًا عندما يعرفون أن علاقتى مع فريق (هاربيز) غير رسمية، لدرجة استخدام أسمائهم الأولى، كما أننى أستطيع الحصول على تذاكر مجانية فى أى وقت أريد».

ويبدو أن هذه الفكرة قد رفعت معنوياته إلى حد كبير.

ثم سأله (هارى): «هل كل هؤلاء الناس يعرفون أين يجدونك ويرسلون إليك الأشياء؟»، فى نفس اللحظة التى كان (هارى) يسأل فيها نفسه: لماذا لم يستطع (آكلو الموت) الوصول إليه إذا كانت سلال الحلوى وتذاكر (الكويدتش) والزوار الذين يحتاجون إلى نصائحه أو آرائه يستطيعون أن يجدوه؟

اختفت الابتسامة من وجه (سلجهورن) بنفس السرعة التى اختفى بها الدم من على الجدران، ثم قال وهو ينظر إلى (هارى): «بالطبع لا، فقد كان من المستحيل على أى شخص الاتصال بى منذ عام مضى».

أحس (هارى) أن الكلمات هزت (سلجهورن) نفسه، الذى بدا غير مستقر للحظة، ثم هز كتفيه.

ثم أكمل (سلجهورن) حديثه: «ومع ذلك، فالساحر الحكيم هو الذى يبقى رأسه إلى أسفل فى مثل هذه الأوقات (يحنى رأسه حتى تمر العاصفة)، من السهل على (دمبلدور) أن يتكلم ولكن قبولى بهذا المنصب فى (هوجوورتس) فى هذا الوقت بالذات سيكون كما لو أننى أعلن بوضوح انتمائى الصريح إلى (جماعة العنقاء)، وبينما أنا متأكد أنهم شجعان ورائعون ولديهم كل الأوصاف الطيبة لكننى شخصيًا لا يعجبنى معدل الوفيات بين أفراد الجماعة».

قال (هارى) بسخرية إلى حد ما: «ولكنك لست مضطرًا للانضمام للجماعة لكى تدرس فى (هوجوورتس)».

كان من الصعب أن يتعاطف مع طبيعة (سلجهورن) المدللة عندما يتذكر (سيريوس) وهو قابع فى أحد الكهوف ويتغذى على الفئران،

ثم أضاف: «ومعظم المدرسين ليسوا من أعضائها ولم يقتل أى منهم قط، إلا إذا كنت تضع (كويريل) فى حسبانك، فإنه حصل على ما يستحقه إذا وضعت فى الاعتبار أنه كان يعمل مع (فولدمورت)».

كان (هارى) متأكدًا أن (سلجهورن) من هؤلاء السحرة الذين لا يطيقون سماع اسم (فولدمورت) أمامهم بصوت عال ولم يخِبِ ظنه، فقد انتفض (سلجهورن) وصاح معترضًا، ولكن (هارى) تجاهله مواصلاً حديثه: «أظن أن العاملين بالمدرسة أكثر أمانًا من معظم الناس مادام (دمبلدور) ناظرها؛ فهو الشخص الوحيد الذى من المفترض أن (فولدمورت) يخافه دائمًا، أليس كذلك؟».

حدَّق (سلجهورن) إلى الفضاء للحظة، وبدا كما لو أنه يقلِّب كلام (هارى) فى عقله.

ثم غمغم على مضض: «حسنًا، بلى، صحيح أن (الذى لا يجب ذكر اسمه) لم يسعَ إلى معركة مع (دمبلدور)، كما أظن أننى يمكن أن أجادل أنه بما أننى لم أنضم إلى (آكلى الموت) فإن (الذى لا يجب ذكر اسمه) لن يعدنى من الأصدقاء.. وفى هذه الحالة، فإننى سأكون أكثر أمانًا بكثير لو كنت قريبًا من (ألباس) قليلاً.. أنا لا أستطيع التظاهر بأن موت (إيميليا بونس) لم يفزعنى.. إذ كانت هى بكل العلاقات والحماية التى كانت توفرها لها الوزارة...».

دخل (دمبلدور) الغرفة؛ فقفز (سلجهورن) كأنه نسى أنه كان فى المنزل وقال: «ها أنت ذا يا (ألباس)، لقد غبت لفترة طويلة؛ هل معدتك مضطربة؟».

قال (دمبلدور): «لا، لقد كنت فقط أقرأ إحدى مجلات العامة، فأنا أحب باترونات الحياكة. حسنًا يا (هارى)، لقد أثقلنا على ضيافة (هوريس) بما فيه الكفاية، أعتقد أن الوقت قد حان للرحيل».

قفز (هارى) واقفًا على قدميه، ولم يبدِ أى ممانعة للرحيل إطلاقًا وبُهِتَ وجه (سلجهورن).

وقال: «ستذهب؟».

رد (دمبلدور): «نعم، بالطبع، لقد أدركت أن قضيتى خاسرة».

أعاد (سلجهورن) الكلمة وراء (دمبلدور): «خاسرة».

بدا (سلجهورن) ثائرًا وشبك أصابع يديه معًا، وأخذ يلف إصبعى الإبهام السمينين حول بعضهما متململاً وهو يرى (دمبلدور) يزرر عباءة السفر الخاصة به و(هارى) يغلق مسحاب سترته.

قال (دمبلدور) وهو يرفع يده السليمة بتحية الوداع: «أنا آسف، إنك لا تريد الوظيفة يا (هوريس)، الجميع فى (هوجوورتس) كانوا سيسعدون بعودتك وعلى الرغم من احتياطات الأمن الشديدة عندنا، فلا يسعنا إلا الترحيب بك، لو أردت زيارتنا».

(سلجهورن): «نعم.. حسنًا.. هذا كرم بالغ منك.. كما أرى...».

(دمبلدور): «إلى اللقاء، إذن».

وقال (هارى): «وداعًا».

كانوا قد وصلوا عند الباب الأمامى عندما سمعوا صياحًا خلفهم.

(سلجهورن): «حسنًا، حسنًا، سأفعل!».

التفت (دمبلدور) ليرى (سلجهورن) واقفًا عند مدخل غرفة الجلوس وهو يلهث.

(دمبلدور): «هل ستعود إلى العمل وتخرج من تقاعدك؟».

قال (سلجهورن) بنفاد صبر: «نعم، نعم، يبدو أننى جننت، لكن نعم».

قال (دمبلدور) مبتسمًا: «رائع، إذن يا (هوريس)، فسوف نراك فى أول سبتمبر».

قال (سلجهورن) بصوته الأجش: «نعم، أظن أنك سترانى».

وعندما خرجوا نازلين ممر الحديقة، صاح (سلجهورن) خلفهما، قائلاً: «سأطالب بعلاوة يا (دمبلدور)!».

ضحك (دمبلدور) بصوت خافت، وتأرجحت بوابة الحديقة خلفهم ومشوا نازلين خلال الظلام وكتل الضباب.

قال (دمبلدور): «أحسنت يا (هارى)».

قال (هارى) مفاجئًا: «ولكننى لم أفعل شيئًا».

(دمبلدور): «لقد فعلت الكثير، وأظهرت لـ(هوريس) كمًّ المكاسب التى سيجنيها من العودة إلى (هوجوورتس).. هل أعجبك؟».

«هه...». لم يكن (هارى) يعرف إن كان (سلجهورن) قد أعجبه أم لا، فقد كان لطيفًا على طريقته، إلا أن (هارى) لم يعجبه دهشته من تفوق السحرة المولودين من العامة، رغم أن (سلجهورن) حاول أن يثبت عكس ذلك.

ثم أكمل (دمبلدور) رافعًا عن (هارى) حرج قول ما يفكر فيه: «إن (هوريس) يحب الراحة، ويحب أيضًا مرافقة المشاهير والناجحين وأصحاب النفوذ، وهو يستمتع بشعوره أن له تأثيرًا على هؤلاء الناس ولم يحب قط أن يجلس على العرش، فهو يفضل المقاعد الخلفية حيث تأخذ مساحة أكبر للجلوس فى راحة، لقد اعتاد أن يجمع الطلاب المميزين فى (هوجوورتس) حوله، أحيانًا بسبب طموحهم أو ذكائهم، وأحيانًا أخرى بسبب سحرهم أو مواهبهم، وكان لديه براعة غير عادية فى اختيار هؤلاء الذين سيبرعون فى المجالات المختلفة، وقد شكل (هوريس) ما يشبه الرابطة إلى حد ما من هؤلاء الطلاب، ووضع نفسه فى المركز، فأصبح يعرّف بعضهم إلى بعض، ويشكل علاقات مفيدة بين الأفراد، وغالبًا ما يجنى بعض المنافع فى المقابل سواء أكان ذلك صندوقًا مجانيًا من الأناناس المبلور المفضل لديه، أو فرصة تزكية اسم أصغر عضو سيتم تعيينه فى مكتب العلاقات مع (الجن الأسطوريين)».

تخيل (هارى) صورة عقلية حية لعنكبوت كبير يغزل شبكة حوله، موزعًا خيوطه هنا وهناك؛ ليجلب الذباب الكبير كثير العصارة ليقترب منه.

واستأنف (دمبلدور) حديثه: «سأخبرك عن كل شىء، ولا أريدك أن تنقلب ضد (هوريس) أو كما يجب أن ندعوه الآن الأستاذ (سلجهورن) ولتكن مستعدًا؛ لأنه بالتأكيد سيحاول أن يقربك منه يا (هارى)؛ فأنت

ستكون الحجر الكريم الذى سيزين به مجموعته، الولد الذى عاش... أو المختار كما يطلقون عليك هذه الأيام حوله».

عندما سمع (هارى) هذا الكلام شعر ببرودة غريبة تتسلل إليه، برودة ليست لها علاقة بالضباب المحيط؛ حيث تذكر كلمات سمعها منذ أسابيع قليلة، كلمات لها معنى رهيب بالنسبة له وترددت النبوءة التى سمعها فى رأسه.

لن يحيا أحدهما مادام الآخر حيًّا...

توقف (دمبلدور) على الممشى أمام الكنيسة التى عبروا أمامها وهم قادمون.

وقال: «هنا مناسب يا (هارى)، أمسك بذراعى».

على عكس المرة السابقة، كان (هارى) مستعدًّا للانتقال الآنى، إلا أنه ظل يجده مزعجًا.

وعندما اختفى الضغط واستطاع التنفس مرة أخرى، وجد نفسه واقفًا فى طريق ريفى بجوار (دمبلدور) وينظر إلى صورة مهزوزة لثانى أفضل مبنى بالنسبة له فى العالم، الجحر، ويغض النظر عن الذى شعر به منذ لحظات، فإن معنوياته لم تملك إلا أن ترتفع لرؤيته، إن (رون) هنا.. وكذلك السيدة (ويسلى) التى تستطيع الطهى أفضل من أى أحد يعرفه.

قال (دمبلدور) بينما هم يعبرون البوابة: «إذا لم تمانع يا (هارى)، هل يمكننى أن أتكلم معك قليلاً على انفراد قبل أن نفترق؟ ربما فى الداخل هنا».

وأشار (دمبلدور) إلى مبنى حجرى صغير متهدم، يضع فيه (آل ويسلى) عصى المكانس الخاصة بهم. شعر (هارى) بقليل من الحيرة، ولكنه تبع (دمبلدور) عبر الباب الذى يصدر صريرًا إلى مساحة أصغر من مساحة خزانة الأطباق المعتادة. ثم أضاء (دمبلدور) طرف عصاه، حتى أصبحت تتوهج مثل مشعل وابتسم لـ(هارى).

وقال: «إننى فخور بك جدًا يا (هارى)، خاصة بالطريقة التى تتكيف بها بعد كل ما حدث فى الوزارة منذ أسابيع قليلة، واسمح لى بأن أقول إن (سيريوس) كان سيكون فخورًا بك أيضًا».

ابتلع (هارى) ريقه، وشعر بأنه لا يستطيع النطق، لم يكن يعتقد أنه يستطيع التحدث عن (سيريوس)، فقد كان الأمر مؤلمًا بما يكفى عند سماعه للعم (فرنون) وهو يقول: «هل مات أبوه الروحى؟»»، وكان الأمر أسوأ عندما سمع (سلجهورن) يذكر اسم (سيريوس) عرضًا.

قال (دمبلدور) برفق: «من القسوة أنك و(سيريوس) لم تتح لكم الفرصة لمعرفة بعضكما بعضًا إلا لفترة قصيرة وأن ينتهى ما كان يمكن أن يكون علاقة طويلة وسعيدة إلى نهاية مؤلمة».

أحنى (هارى) رأسه وعيناه مثبتتان بتصميم على عنكبوت كان يتسلق قبعة (دمبلدور)، وأدرك أن (دمبلدور) قد فهم ما يمر به، وربما أيضًا يكون قد أدرك أن (هارى) حتى وصول خطابه إليه كان يقضى معظم وقته فى بيت (آل درسلى) مستلقيًا على سريره، رافضًا للطعام ومحدقًا إلى النافذة الضبابية، ونفسه مملوءة بالخواء البارد الذى يشعر به عند مقابلة (الدمنتور).

قال (هارى) فى النهاية بصوت ضعيف: «إنه شىء صعب، أن أدرك أنه لن يكتب إلىَّ مرة أخرى».

وامتلأت عيناه بالدموع فجأة، فرمش بعينيه وشعر بالغباء؛ لاعترافه بهذا. ولكن حقيقة، أن هناك شخصًا خارج (هوجوورتس) كان يهتم بما يحدث له، كأنه أحد والديه، كان أحد أفضل الأشياء التى حدثت له عندما اكتشف أباه الروحى.. ولكن الآن، فإن بومة البريد لن تحضر إليه أبدًا خطابات (سيريوس) التى كانت تشعره بهذه السلوى مرة أخرى.

قال (دمبلدور) برقة: «لقد كان (سيريوس) يمثل لك الكثير مما لم تعرفه من قبل، ومن الطبيعى أن تكون خسارته مدمرة».

قاطعه (هارى) وقد أصبح صوته أقوى: «نعم، ولكن بينما كنت فى منزل (آل درسلى) أدركت أننى يجب ألا أنعزل وحيدًا أو أكتئب، فلم يكن (سيريوس) ليريد ذلك. وعلى أية حال، فإن الحياة قصيرة.. انظر لما حدث لـ(مدام بينس) و(إيميلين فانسى)... قد أكون أنا التالى، ولمَ لا؟».

ثم قال بقوة وهو ينظر إلى عينى (دمبلدور) الزرقاوين: «ولكن إذا حدث هذا، فإننى سأتأكد من أخذ أكبر عدد من (آكلى الموت) معى و(فولدمورت) أيضًا إذا استطعت ذلك».

قال (دمبلدور) وهو يربّت على ظهر (هارى) مستحسنًا كلامه: «إنك تتكلم بنفس الطريقة التى كان يتحدث بها والدك ووالدتك وكذلك (سيريوس)، كنت سأرفع قبعتى وأحييك لولا أننى خائف أن أمطرك بالعناكب. والآن يا (هارى)، هناك موضوع آخر لا يبتعد عن هذا الموضوع كثيرًا.. أعتقد أنك كنت تقرأ (المتنبئ اليومى) خلال الأسبوعين الماضيين؟».

قال (هارى) وقلبه ينبض بسرعة: «نعم».

(دمبلدور): «إذن، فإنك رأيت أن هناك بعض المعلومات قد تسربت حول مغامرتك فى قاعة النبوءة؟».

قال (هارى) مرة أخرى: «نعم، والآن يعلم الجميع أننى الشخص...».

قاطعه (دمبلدور): «لا، إنهم لا يعلمون، فهناك شخصان فقط فى العالم كله يعلمان كل ما تقوله النبوءة عنك وعن لورد (فولدمورت)، وكلا الشخصين يقف هنا فى حجرة المكانس كريهة الرائحة الممتلئة بالعناكب هذه.. ومع ذلك، فإن هناك كثيرين قد خمنوا تخمينًا صحيحًا أن (فولدمورت) قد أرسل (آكلى الموت)؛ لسرقة النبوءة، وأن النبوءة كانت تخصك أنت».

ثم أكمل: «الآن، أعتقد أننى على صواب إذا ما قلت إنك لم تخبر أحدًا بأنك تعرف ما تقوله النبوءة».

قال (هارى): «لا».

قال (دمبلدور): «قرار حكيم، ولكننى أعتقد أنك يجب أن تبوح بمكنون صدرك إلى أصدقائك المقربين؛ السيد (رونالد ويسلى) والآنسة (هرميون جرانجر)، نعم»، ثم استأنف حديثه عندما وجد (هارى) حائرًا: «أعتقد أنهم يجب أن يعرفوا. إنك تسىء إليهم بعدم بوْحك بشىء على هذا القدر من الأهمية لهم».

(هارى): «لم أكن أريد...».

قال (دمبلدور) وهو ينظر إليه من فوق قمة نظارته الهلالية: «أن تقلقهم أو تخيفهم! أو ربما أن تعترف أنت نفسك بأنك قلق أو خائف! أنت تحتاج إلى أصدقائك يا (هارى). فكما سبق أن أصبت فى القول، فإن (سيريوس) لم يكن ليريدك أن تنعزل بعيدًا عمن يحبونك!».

لم يقل (هارى) شيئًا، ولكن (دمبلدور) بدا أنه لا يطلب إجابة، واستأنف حديثه قائلاً: «وهناك شىء آخر وإن كان متعلقًا بنفس الموضوع، أريدك أن تأخذ دروسًا خصوصية معى هذا العام».

قال (هارى) وقد أخرجته الدهشة من الصمت الذى كان غارقًا فيه: «دروس خصوصية... معك؟!».

(دمبلدور): «نعم، أعتقد أن الوقت قد حان ليكون لى دور أكبر فى تعليمك!».

(هارى): «ما الذى ستدرِّسُه لى يا سيدى؟».

قال (دمبلدور) بحيوية: «القليل من هذا والقليل من ذاك!».

انتظر (هارى) مترقبًا، ولكن (دمبلدور) لم يوضح أكثر من ذلك، فسأله (هارى) عن شىء آخر كان يضايقه قليلاً: «إذا كنت سآخذ دروسًا معك، فهل هذا يعنى أننى لن أحضر دروس الوصفات السحرية مع (سناب)؟».

(دمبلدور): «اسمه الأستاذ (سناب) يا (هارى).. نعم، لن تحضرها».

قال (هارى) بارتياح: «جيد، فقد كانت...».

توقف حذرًا من أن يقول ما يفكر فيه بالفعل.

قال (دمبلدور) وهو يومئ برأسه: «أعتقد أن كلمة «محبطة» ستكون الكلمة المناسبة لوصفها».

ضحك (هاري) وقال: «حسنًا، فهذا يعني أنني لن أرى الأستاذ (سناب) كثيرًا؛ لأنه لن يدعني أتابع دروس الوصفات ـ على أية حال ـ إن لم أحصل على تقدير «امتياز» في امتحانات السحر العامة وأنا أعلم أنني لن أحصل عليها».

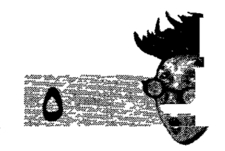
قال (دمبلدور) بجدية: «لا تتسرع في حساب درجاتك قبل أن تصل إليك، أعتقد أنها ستصلك في وقت ما اليوم. الآن هناك شيئان آخران يا (هاري) قبل أن أتركك؛ «أولاً، أريدك من الآن فصاعدًا أن تحتفظ بعباءة الإخفاء معك طوال الوقت، حتى وأنت داخل (هوجوورتس) نفسها على سبيل الحذر، هل تفهمني؟»».

أومأ (هاري) برأسه. وأضاف: «وأخيرًا، أريدك أن تعرف أنه أثناء وجودك هنا، تمت إحاطة الجحر بأعلى قدر من الحماية يمكن لوزارة السحر توفيرها، وقد سببت هذه الإجراءات قدرًا محدودًا من الإزعاج لـ(آرثر) و(مولي). فعلى سبيل المثال، يخضع كل البريد المرسل إليهم إلى التفتيش في الوزارة قبل أن يصلهم ولكنهم مع ذلك لا يمانعون ألبتة؛ لأن كل ما يهمهم هو سلامتك؛ لذلك سيكون تصرفًا ناكرًا للجميل إذا ما خاطرت بحياتك أثناء إقامتك معهم».

قال (هاري) بسرعة: «أفهم الأمر».

قال (دمبلدور): «حسنًا، إذن» وهو يدفع باب حجرة عصي المكانس ليفتحه ويخرج منه إلى الفناء، وأضاف: «إنني أرى ضوءًا في المطبخ. هيا، يجب ألا نحرم (مولي) أكثر من ذلك من التحسر على مدى نحافتك الشديدة».

■ ■ ■



٥ إفراط فى المخاط

وصل (هارى) و(دمبلدور) للباب الخلفى للجحر المحاط بالمخلفات المألوفة من أحذية قديمة ذات رقبة طويلة، ومراجل يعلوها الصدأ، وكان بمقدور (هارى) سماع صوت (بقبقة) الدجاج النائم قادمًا من سقيفة بعيدة. دق (دمبلدور) الباب ثلاث دقات، ثم لمح (هارى) حركة مفاجئة خلف نافذة المطبخ.

قال صوت عصبى، عرف (هارى) أنه صوت السيدة (ويسلى): «مَنْ هناك؟ أعلن عن نفسك!».

(دمبلدور): «إنه أنا (دمبلدور) ومعى (هارى)».

فتح الباب فورًا، ووقفت على عتبته السيدة (ويسلى)، وكانت قصيرة وممتلئة القوام، وترتدى فستانًا منزليًا لونه أخضر وقديم.

قالت: (هارى)، عزيزى، يا إلهى، لقد أفزعتنى يا (ألباس)، ألم تقل ألا نتوقع حضورك قبل الصباح؟».

قال (دمبلدور) وهو يرافق (هارى) إلى عتبة الباب: «لقد كنا محظوظين، أثبت (سلجهورن) أنه سهل الإقناع أكثر مما توقعت، وهذا من فعل (هارى) بالطبع، آه، مرحبًا يا (نيمفادورا)».

نظر (هارى) حوله ورأى أن السيدة (ويسلى) لم تكن وحيدة بالرغم من تأخر الوقت؛ فقد كانت هناك ساحرة صغيرة السن ذات وجه شاحب يشبه القلب، وشعر لونه «فيرانى» تجلس على المائدة وتمسك بكوب كبير بين يديها.

فردت التحية قائلة: «مرحبًا يا أستاذ، مرحبًا يا (هارى)».

(هارى): «أهلاً يا (تونكس)».

فكر (هارى) أنها تبدو متعبة أو ربما مريضة، فقد كانت تبتسم بصعوبة، وكان مظهرها يبدو أقل بهجة بدون الانعكاس المعتاد لشعرها الوردى الذى كان يشبه لون العلكة على وجهها.

قالت بسرعة: «من الأفضل أن أذهب»، ثم وقفت وشدت عباءتها حول كتفيها، وأضافت: «شكرًا على الشاى والمواساة يا (مولى)».

قال (دمبلدور) بأدب: «أرجوكِ، لا ترحلى بسببى، فأنا لا أستطيع البقاء أيضًا؛ لأن عندى مسائل مهمة علىَّ مناقشتها مع (روفوس سكريمجور)».

قالت (تونكس) وهى تتفادى النظر لـ(دمبلدور): «لا، لا، يجب علىَّ الذهاب، تصبحون على خير».

السيدة (ويسلى): «عزيزتى، لماذا لا تأتين للعشاء معنا فى إجازة نهاية الأسبوع، (ريموس) و(ماد ـ آى) سوف يأتون...؟».

ردت (تونكس): «لا، لن أستطيع يا (مولى)...، شكرًا على أية حال.. تصبحون على خير جميعًا».

أسرعت (تونكس) تمر بجوار (دمبلدور) و(هارى) خارجة إلى الفناء، وبعد خطوات قليلة من عتبة الباب دارت فى مكانها واختفت فى الهواء، ولاحظ (هارى) أن السيدة (ويسلى) تبدو منزعجة.

قال (دمبلدور): «حسنًا، سوف أراك فى (هوجوورتس) يا (هارى)، اهتم بنفسك».

ثم انحنى للسيدة (ويسلى) وقال: «فى خدمتك يا (مولى)»،ولحق بـ(تونكس) مختفيًا فى نفس المكان الذى اختفت به. أغلقت السيدة (ويسلى) الباب على الفناء الخالى، ثم قادت (هارى) من كتفيه؛ لتتفحص مظهره تحت ضوء المصباح.

وقالت: «إنك مثل (رون)»، ثم تنهدت وهى تنظر إليه من أعلى إلى أسفل، وأضافت: «كلاكما تبدوان كأن أحدًا رمى عليكما تعويذة إطالة.

أقسم أن (رون) قد نما أربع بوصات منذ آخر مرة اشتريت له فيها ملابس للمدرسة.. هل أنت جائع يا (هارى)؟».

قال (هارى): «نعم، أنا جائع»، وقد أدرك فجأة إلى أى حد كان جائعًا.

السيدة (ويسلى): «اجلس يا عزيزى، سأعدُّ لك شيئًا».

وما إن جلس (هارى) حتى قفز قطٌ بنيٌّ له فرو كثيف ووجه مبطط على ركبتيه واستقر عليهما وهو يخرخر.

سأل (هارى) بسعادة وهو يدغدغ (كروكشانكس) خلف أذنه: «(هرميون) هنا إذن؟».

قالت السيدة (ويسلى): «آه، نعم، لقد وصلت منذ يومين» ودقت بعصاها على قِدر حديدى كبير؛ فقفز مستقرًا على الموقد مُصدرًا صوت رنين عاليًا وبدأ يبقبق على الفور، ثم أكملت حديثها: «الجميع فى أسرتهم بالطبع؛ لأننا لم نكن نتوقع حضورك قبل ساعات.. تفضل».

ثم دقت على القدر مرة أخرى، فارتفع إلى الهواء وطار فى اتجاه (هارى) ثم بدأ يقلب محتوياته فى نفس اللحظة التى وضعت فيها السيدة (ويسلى) ببراعة سلطانية تحته لتمتلئ بسيل حساء البصل ثقيل القوام الذى يتصاعد منه البخار.

السيدة (ويسلى): «خبز يا عزيزى».

(هارى): «شكرًا لكِ يا سيدة (ويسلى)».

ثم لوحت بعصاها فوق كتفها فطار رغيف مِن الخبز وسكين برشاقة متجهيْن إلى المائدة. وبينما انفصلت شريحة الخبز عن الرغيف بنفسها ورجع قدر الحساء مستقرًا فوق الموقد، جلست السيدة (ويسلى) على الكرسى المقابل لـ(هارى).

وقالت: «إذن، فقد أقنعت (هوريس سلجهورن) بقبول الوظيفة؟».

أومأ (هارى) برأسه، ولم يرد؛ لأن فمه كان ممتلئًا بالحساء الساخن.

قالت السيدة (ويسلى): «لقد كان أستاذى أنا و(آرثر)، وقد عمل فى

(هوجوورتس) لزمن طويل، وبدأ فى التدريس هناك فى نفس الوقت الذى بدأ فيه (دمبلدور) كما أعتقد، هل أعجبك؟».

وكان فمه وقتها ممتلئًا بالخبز، فهز كتفيه وحرك رأسه بطريقة غير مفهومة إن كانت تعنى نعم أم لا.

قالت السيدة (ويسلى) وهى تومئ برأسها بحكمة: «أعرف ما تعنيه بالطبع، يمكنه أن يكون ساحرًا عندما يريد ذلك، ولكن (آرثر) لم يحبه قط، والوزارة مزدحمة بطلاب (سلجهورن) المفضلين القدامى، لقد ساعد الكثيرين فى الحصول على مستقبل وظيفى أفضل، ولكنه لم يكن لديه وقت لـ(آرثر) يبدو أنه كان يعتقد أنه ليس على المستوى المطلوب. ولكن (آرثر) تمت ترقيته. حسنًا، هذا يثبت لك أنه حتى (سلجهورن) يرتكب أخطاء. لا أعرف إن كان (رون) قد أخبرك فى خطاباته أم لا، فقد حدث هذا منذ وقت قريب!».

كان من الواضح أن السيدة (ويسلى) متحمسة جدًا لإخباره بهذا. ابتلع (هارى) كمية كبيرة من الحساء الساخن، وأحس أن حلقه يكاد يلتهب فقال وهو يلتقط أنفاسه: «هذا عظيم».

فقالت السيدة (ويسلى) مبتسمة وربما اعتقدت أن عينيه دمعتا بسبب تأثره بالأخبار: «كم أنت لطيف، نعم لقد أنشأ (روفوس سكريمجور) العديد من الإدارات الجديدة؛ استجابة للوضع الحالى ويرأس (آرثر) إدارة كشف ومصادرة التعاويذ الدفاعية المقلدة والأشياء الوقائية وهو منصب مهم وهناك عشرة أشخاص تحت إمرته يأتونه بالأخبار الآن!».

(هارى): «وما طبيعة هذه الأخبار؟».

السيدة (ويسلى): «حسنًا، وكما تعرف، فإنه بسبب الفزع الذى سببه (أنت تعرف من) فإن هناك أشياء غريبة عرضت للبيع فى كل مكان، وهى أشياء من المفترض أنها تحمى ضد (أنت تعرف من) و(آكلى الموت)، ويمكنك تخيل نوع هذا الشىء الذى يطلق عليه وصفة وقائية، وهو فى

الحقيقة عبارة عن صلصة مرقة دجاج، مع إضافة القليل من صديد نبات (بوبو توبر) أو تعليمات تعويذة دفاعية هي في الحقيقة تسبب سقوط الأذن.. حسنًا، فإن مرتكبي هذه الحوادث هم في الأساس مجرد أشخاص مثل (موندوجس فلتشر)؛ أشخاص قضوا حياتهم العملية في الغش والاحتيال وهم يستغلون خوف الناس، ولكن أحيانًا ما يظهر شيء أكثر شرًا. فمنذ وقت قريب، صادر (آرثر) صندوقًا من إنذارات الثعبان الملعونة كانوا تقريبًا متأكدين أنها زرعت بواسطة (آكلي الموت)؛ لذلك ـ كما ترى ـ فهي وظيفة مهمة جدًا، وأنا أقول إنه من السخف أن يفتقد (آرثر) التعامل مع الولاعات وآلات التحميص والأشياء الأخرى الشبيهة من مخلفات العامة»، وأنهت السيدة (ويسلي) حديثها بنظرة متجهمة كأن (هاري) هو الذي اقترح أنه من الطبيعي أن يفتقد الولاعات.

سأل (هاري): «هل مازال السيد (ويسلي) في العمل؟».

السيدة (ويسلي): «نعم، مازال بالعمل. في الحقيقة، لقد تأخر عن موعده قليلاً، فقد قال إنه سيعود في منتصف الليل تقريبًا».

والتفتت؛ لتنظر إلى الساعة الكبيرة الموضوعة على نحو غير ملائم فوق قمة كومة من الملاءات داخل سلة الغسيل في نهاية المنضدة.

وقد تذكرها (هاري) على الفور، فقد كان بها تسعة عقارب، كل واحد منها مكتوب عليه اسم أحد أفراد الأسرة، وكانت جميع العقارب التسعة تشير وقتها إلى (خطر الموت)، وعادة ما يتم تعليقها على الحائط في حجرة جلوس (آل ويسلي)، إلا أن وضعها الحالي يوضح أن السيدة (ويسلي) أصبحت تحملها معها إلى كل مكان في المنزل.

قالت السيدة (ويسلي) بعفوية غير مقنعة: «لقد أصبحت الساعة منذ فترة على هذه الحال في الوقت الحاضر، منذ أعلن (أنت تعرف من) عن عودته، وأنا لا أعتقد أن أسرتنا فقط هي المعرضة للخطر.. بل أعتقد أن الجميع معرض لخطر الموت الآن.. ولكنني لا أعرف شخصًا آخر لديه ساعة مثل هذه؛ لذلك لا أستطيع التأكد، آه!».

صاحت فجأة وأشارت إلى الساعة، فقد تحول عقرب السيد (ويسلى) إلى السفر وقالت: «إنه قادم».

ولتأكيد ذلك، سمعا بعد لحظة دقة على الباب الخلفى. فقفزت السيدة (ويسلى) واقفة وأسرعت إليه، ثم نادت برفق وهى ملصقة وجهها بالباب وإحدى يديها ممسكة بمقبض الباب: «(آرثر)، هل هذا أنت؟».

رد صوت السيد (ويسلى) المتعب: «نعم، ولكننى سوف أقول إننى يمكن أن أكون أحد (آكلى الموت) يا عزيزتى، اسألى السؤال!».

السيدة (ويسلى): «آه، بحق...».

السيد (ويسلى): «مولى!».

السيدة (ويسلى): «حسنًا، حسنًا، ما أعظم طموحاتك؟».

السيد (ويسلى): «أن أعرف كيف تبقى الطائرات فى السماء».

أومأت السيدة (ويسلى) برأسها وأدارت مقبض الباب، ولكن كان من الواضح أن السيد (ويسلى) ممسك بقوة على الجانب الآخر؛ لأن الباب ظل مغلقًا بإحكام.

ثم قال: «(مولى)، يجب أن أسألك سؤالك أولاً!».

ردت: «(آرثر) حقيقة، هذا مجرد سخف».

فسأل: «ما الاسم الذى تحبين أن أناديك به عندما نكون وحدنا؟».

حتى فى ضوء المصباح الضعيف، كان بإمكان (هارى) أن يرى وجه السيدة (ويسلى) وقد تورد بشدة، وقد شعر هو نفسه بسخونة حول الأذن والرقبة، وابتلع الحساء بسرعة وهو يضرب السلطانية بملعقته ليحدث أكبر قدر من الضجة.

همست السيدة (ويسلى) وهى تشعر بالخجل من خلال شق فى حافة الباب: «(موليوبلز) (مولى الراقصة)».

قال السيد (ويسلى): «صحيح، الآن يمكنك أن تدخلينى».

فتحت السيدة (ويسلى) الباب؛ لتكشف عن زوجها: ساحر نحيف، أصلع، له شعر أحمر، يرتدى نظارات مصنوعة من عظام القرون وعباءة سفر طويلة ومغبرة.

قالت السيدة (ويسلى) التى كان وجهها مازال متوردًا وهى تساعد زوجها؛ ليخلع عباءته: «مازلت لا أفهم، لماذا يجب علينا أن نقوم بذلك فى كل مرة تعود فيها إلى المنزل، أعنى أن (آكلى الموت) قد يرغمونك على إخبارهم بالإجابة قبل أن ينتحلوا شخصيتك!».

السيد (ويسلى): «أعرف، ولكنها يا عزيزتى إجراءات الوزارة، ويجب أن أضرب مثلاً باتباعها، أشم رائحة طيبة، حساء البصل!».

التفت السيد (ويسلى) وهو منشرح الصدر باتجاه المائدة.

وقال: «(هارى)! لم نكن نتوقع حضورك قبل الصباح».

وتصافحا، ثم جلس السيد (ويسلى) فى مقعد بجوار (هارى)، بينما وضعت السيدة (ويسلى) سلطانية حساء أمامه هو أيضًا.

السيد (ويسلى): شكرًا يا (مولى)، لقد كانت ليلة صعبة؛ فقد حاول بعض الأغبياء بيع ميداليات؛ للتحوّل وأعلنوا عنها قائلين: «ما إن ترتديها حول رقبتك حتى تكون قادرًا على تغيير شكلك حسب رغبتك، مئات آلاف الأشكال المختلفة بعشرة جالونات فقط!».

(هارى): «وما الذى يحدث بالفعل عندما ترتديها؟».

السيد (ويسلى): «فى معظم الأحوال، يتحول لونك إلى لون برتقالى قبيح جدًا، ولكنّ هناك شخصين نبتت لهما مجسات تشبه النتوءات فى جميع أجزاء جسميهما وكأن (سانت مونجو) ليس به ما يكفى من المرضى بالفعل!».

قالت السيدة (ويسلى) بتردد: «يبدو هذا مثل نوعية الأشياء التى يجدها (فريد) و(جورج) مرحة. هل أنت متأكد...؟».

قال السيد (ويسلى): «بالطبع أنا متأكد، فلن يفعل الأولاد شيئًا كهذا الآن، ليس فى هذه الظروف، فهم يعرفون أن الناس فى أمس الحاجة إلى الحماية!».

السيدة (ويسلى): «إذن هذا ما أخرك، ميداليات التحوّل؟».

السيد (ويسلى): «لا، لقد سمعنا عن تعويذة ارتدادية شريرة فى (الفيل والقلعة) ولكن لحسن الحظ، سبقتنا إلى هناك فرقة تنفيذ القانون السحرى وسيطرت على الموقف قبل أن نصل».

كبت (هارى) تثاؤبه خلف يده.

قالت السيدة (ويسلى) التى لا تنخدع: «حان وقت النوم، لقد جهزت لك حجرة (فريد) و(جورج)، وستكون لك وحدك».

(هارى): «لماذا؟ أين هما؟».

قالت السيدة (ويسلى): «آه، إنهما فى (حارة دياجون)، وينامان فى شقة صغيرة أعلى محل المقالب الخاص بهما؛ لأنهما مشغولان جدًّا. فى الحقيقة، لم أوافق على هذا فى البداية، ولكن يبدو أن لديهما موهبة طبيعية فى التجارة. تعال يا عزيزى، فصندوقك هناك بالفعل».

قال (هارى): «تصبح على خير يا سيد (ويسلى)». وهو يدفع مقعده إلى الوراء، قفز القط (كروكشانكس) بخفة من حجره وتسلل خارجًا من الغرفة.

رد السيد (ويسلى): «تصبح على خير يا (هارى)».

رأى (هارى) السيدة (ويسلى) تنظر إلى الساعة التى فى سلة الغسيل وهما يتركان المطبخ، كانت كل العقارب قد عادت من جديد إلى خطر *الموت*.

كانت غرفة (فريد) و(جورج) فى الطابق الثانى، وداخل الغرفة أشارت السيدة (ويسلى) بعصاها إلى مصباح موضوع على منضدة جانبية؛ فأضاء على الفور، مغرقًا الغرفة فى ضوء ذهبى لطيف.. وبالرغم من وجود مزهرية ممتلئة بالزهور على المكتب أمام النافذة الصغيرة، فإن عبيرها لم يغطِّ على رائحة أخرى كانت فى المكان، يعتقد (هارى) أنها رائحة البارود. وكان جزء كبير من أرضية المكان مخصصًا لعدد كبير من الصناديق الكرتونية المغلقة غير المعلمة، وبينها كانت توجد حقيبة (هارى) المدرسية. كانت الغرفة تبدو كأنها تستخدم كمخزن مؤقت.

نعقت (هيدويج) سعيدة من مكانها فوق خزانة ثياب كبيرة، ثم طارت عبر النافذة. أدرك (هارى) أنها كانت تنتظر لتراه قبل أن تذهب للصيد، ثم ألقى (هارى) تحية المساء على السيدة (ويسلى) وارتدى منامته ودخل لأحد السريرين، ووجد شيئًا صُلبًا فى غطاء الوسادة. فوضع يده وأخرجه؛ كانت حلوى لزجة لونها بنفسجى فى برتقالى. أدرك (هارى) أنها (علكة التقيؤ)، وابتسم لنفسه واستدار ونام على الفور.

بعد لحظات، أو هكذا خُيِّل له، استيقظ (هارى) على صوت فتح الباب الذى بدا له كصوت انطلاق مدفع. وعندما جلس بسرعة معتدلاً، سمع صوت الستائر وهى تُفتح. فشعر كأن ضوء الشمس المبهر قد لكزه بقوة فى كلتا عينيه، فرفع إحدى يديه ووضعها أمامه؛ ليحمى عينيه، وأخذ يتلمس بالأخرى طريقه بيأس باحثًا عن نظارته، ثم قال: «ما الذى يحدث هنا؟».

رد عليه صوت عال ومتحمس: «لم نعرف أنك هنا بالفعل!» ثم تلقى (هارى) خبطة قوية فوق رأسه.

قال صوت فتاة مؤنبًا: «لا تضربه يا (رون)».

وجدت يد (هارى) النظارة، ووضعها على عينيه ولكن ضوء الشمس كان مبهرًا جدًا حتى أنه كان يكاد لا يرى شيئًا على أية حال، كان كل ما رآه مجرد خيالات طويلة مهتزة تلوح أمامه للحظة، ثم رمش وفتح عينيه ليجد (رون ويسلى) يبتسم له.

(رون): «هل أنت على ما يرام؟».

قال (هارى) وهو يدلك قمة رأسه ثم يهبط عائدًا إلى وسادته: «فى أحسن حال، وأنت؟».

قال (رون) وهو يجذب أحد الصناديق الكرتونية ويجلس عليه: «جيد، متى وصلت إلى هنا؟ لم تخبرنا أمى بحضورك إلا منذ لحظات!».

(هارى): «حوالى الواحدة صباحًا».

(رون): «هل العامة بخير؟ هل عاملوك بطريقة طيبة؟».

قـال (هـارى) بـيـنـمـا جـلست (هـرميـون) علـى طرف سريـره: «نفس الأسلوب المعتـاد، لم يتكلموا معى كثيرًا، ولكننى أفضل هذا الحـال، كيف حـالك (هرميون)؟».

قالت (هرميون) وهـى تدقق النظر إلى (هـارى) وكـأنـهـا تبـحث عن شىء: «آه، أنـا بـخير».

اعتقد (هـارى) أنـه يـعرف مـا الذى وراء كل هـذا، ولكن لم تكن لديه الرغبة فى مناقشة موت (سيريوس) أو أى موضوع محزن آخر فى هذه اللحظة، قـال (هـارى): «كم الساعة، هل فـات علىَّ وقت الإفطار؟».

قـال (رون) وهو يحرك عينيه من جـانب إلى جـانب: «لا تقلق على هـذا، سوف تجلب لك أمى صينية، فهى تظن أنك لا تحصل على مـا يكفى من الطعـام. إذن، مـا الذى حدث؟».

(هـارى): «لا شىء تقريبًـا، فكمـا تعلم، لقد كنت ملازمًـا للبيت وأنـا عند أقـاربى».

قـال (رون): «كفى كلامًـا فـارغًـا! لقد سافرت مع (دمبلدور)!».

(هـارى): «لم يكن أمرًا مثيرًا. لقد أراد أن أسـاعده فى إقنـاع مدرس قديم بـأن يعود من تقـاعده. اسمه (هوريس سلجهورن)».

قـال (رون) وقد بدا محبطًـا: «لقد اعتقدنـا...». نظرت (هـرميـون) إلى (رون) نظرة محذرة، فغيَّر (رون) مجرى حديثه بسرعة كبيرة. وقـال: «لقد اعتقدنـا أنه شىء مثل هذا».

قـال (هـارى) مستمتعًـا: «حقًـا؟».

(رون): «نعم.. نعم، فبعد أن رحلت (أمبريدج)، كـان من الواضح أننـا نحتـاج إلى أستـاذ جديد لمادة الدفـاع عن النفس ضد فنون الظـلام، أليس كذلك؟ إذن، كيف هو؟».

قـال (هـارى): «إنه يشبه فيل البحر إلى حد مـا، وكـان فى المـاضى رئيسًا لمنزل (سليذرين)، هل هنـاك خطأ مـا يـا (هرميون)؟».

فقد كانت تراقبه وكأنها تتوقع ظهور أعراض غريبة عليه فى أى لحظة.

أعادت ترتيب ملامحها بسرعة، ورسمت ابتسامة غير مقنعة على وجهها.

وقالت: «لا، بالطبع، لا! إذن، هل بدا على (سلجهورن) أنه سيكون أستاذًا جيدًا؟».

قال (هارى): «لا أعرف، لا يمكن أن يكون أسوأ من (أمبريدج)، أليس كذلك؟».

قال صوت قادم من مدخل الباب: «أعرف شخصًا أسوأ من (أمبريدج)».

كانت أخت (رون) الصغرى هى التى دخلت إلى الغرفة بهدوء وقد بدت منفعلة، ثم قالت: «أهلاً يا (هارى)».

سأل (رون): «ما الذى حدث؟».

قالتْ (جينى) وهى تجلس على سرير (هارى): «إنها هى، إنها تدفعنى إلى الجنون!».

سألت (هرميون) بتعاطف: «ما الذى فعلته الآن؟».

(جينى): «إنها الطريقة التى تكلمنى بها، لو رأيتِها لظننتِ أننى فى الثالثة من عمرى!».

قالت (هرميون) وهى تخفض صوتها: «أعرف، إنها لا ترى سوى نفسها».

تعجب (هارى) من أن يسمع (هرميون) تتكلم عن السيدة (ويسلى) بهذه الطريقة، ولم يستطع لوم (رون) عندما قال بغضب: «ألا يمكنكما الكف عنها لخمس ثوان؟».

قالت (جينى) بحدة: «هذا صحيح، دافعْ عنها، كلنا نعرف أنك لا تشبع من النظر إليها».

كان هذا تعليقًا غريبًا عن والدة (رون)، وعندما بدأ (هارى) يشعر بأن هناك شيئًا لا يعرفه، قال: «من الذى...؟».

ولكن السؤال أجيب قبل أن ينهيه، فقد انفتح باب غرفة النوم مرة أخرى، فرفع (هارى) غطاء السرير إلى ذقنه بطريقة غريزية، حتى إن (هرميون) و(جينى) انزلقتا من فوق السرير إلى الأرض.

كانت هناك امرأة شابة جميلة تقف على مدخل الباب، وكان جمالها يحبس الأنفاس، حتى أنه شعر بأن الغرفة أصبحت خالية من الهواء؛ فقد كانت طويلة ورشيقة، وشعرها طويلاً أشقر يتطاير ويشع ببريق فضى.. ولتكتمل الصورة الرائعة المبهرة، فقد كانت تحمل بين يديها صينية إفطار ثقيلة.

قالت بصوت مبحوح: «(آرى)، لم أرك منذ وقت طويل!».

وبينما هى تجتاز عتبة الباب متجهة إليه، ظهرت السيدة (ويسلى) فى أعقابها وقد بدت غاضبة إلى حد ما.

وقالت: «لم يكن هناك داع لأن تحضرى الصينية، فأنا كنت على وشك إحضارها بنفسى!».

قالت (فلور ديلاكور) وهى تضع الصينية على ركبة (هارى) وتمنحه قُبلة على كل خد: «(لكد) كنت (أشتاك) إلى رؤيته، هل تذكر أختى (جابريل)؟ إنها لا (تتوكف) عن (الحديس) عن (آرى) بوتر. ستكون سعيدة أن تراك مرة أخرى». شعر (هارى) أن الأماكن التى لمستها بشفتيها قد احترقت.

قال (هارى): «أوه... هل هى هنا أيضًا؟».

قالت (فلور) وضحكتها ترن: «لا، لا أيها الولد السخيف، أنا أعنى الصيف (الكادم)، عندما... ألا تعرف؟».

اتسعت عيناها الزرقاوان الكبيرتان ونظرت بتأنيب إلى السيدة (ويسلى) التى قالت: «لم نجد الفرصة لإخباره بعد».

التفتت (فلور) إلى (هارى) مرة أخرى وهى تأرجح شعرها، حتى أنه ضرب وجه السيدة (ويسلى).

وقالت: «أنا و(بيل) سوف نتزوج!».

قال (هارى) وهو مشدوه: «واو، مبارك». ولم يستطع إلا أن يلاحظ كيف أن (ويسلى) و(هرميون) و(جينى) مصممات على تفادى النظر إلى بعضهن، ثم انقضت عليه وقبلته مرة أخرى.

وقالت: «(بيل) مشغول جدًا فى هذه اللحظة، فهو يعمل بكل جهده، بينما أنا أعمل بدوام جزئى فى بنك (جرنجوتس)؛ لأن لغتى الإنجليزية تحتاج إلى تدريب؛ ولذلك (فكد) أحضرنى إلى هنا لأمكث بضعة أيام، وأتعرّف أسرته بشكل مناسب، وقد كنت سعيدة عندما سمعت بقدومك، فليس هناك الكثير الذى يمكن فعله هنا إلا إذا كنت تحب الطبخ والدجاج! حسنًا، فلتستمتع بإفطارك يا (آرى)!».

أنهت حديثها بهذه الكلمات، ثم دارت بغرور وبدت كما لو أنها تعوم إلى خارج الغرفة، ثم أغلقت الباب بهدوء خلفها.

فغمغمت السيدة (ويسلى) بكلام غير مفهوم.

قالت (جينى) بصوت خفيض: «إن أمى تكرهها».

قالت السيدة (ويسلى) بهمس غاضب: «أنا لا أكرهها، أنا فقط أعتقد أنهما تسرعا فى هذه الخطبة، هذا كل ما فى الأمر!».

قال (رون) وهو مازال يحدق بالباب، ويترنح بطريقة غريبة كأنه ضُرب على رأسه: «لقد عرفا بعضهما بعضًا منذ عام».

السيدة (ويسلى): «حسنًا، هذه ليست فترة طويلة! أنا أعرف لماذا حدث هذا. بالطبع، إنه ذلك الإحساس بالخوف من المجهول الذى ساد منذ عودة (أنت تعرف من). يعتقد الناس أنهم يمكن أن يموتوا غدًا؛ لذلك فإنهم يتسرعون فى اتخاذ كل القرارات التى من الطبيعى أن يأخذوا وقتًا أطول فى اتخاذها، وهو نفس ما حدث عندما كان فى أوج قوته فى السابق، فقد كان الكثير فى كل مكان يهربون ليتزوجوا».

قالت (جينى) بمكر: «حتى أنت وأبى؟».

قالت السيدة (ويسلى): «نعم، حسنًا، أنا ووالدك مختلفان، فقد خُلق كلانا للآخر، فما فائدة الانتظار إذن؟ ولكن (بيل) و(فلور)... حسنًا... ما الشيء المشترك بينهما؟ وما الذى يجمعهما؟ فهو شخص من النوع المجتهد والواقعى، بينما هى...».

قالت (جينى) وهى تومئ برأسها: «بقرة، ولكن (بيل) ليس واقعيًا إلى هذا الحد. إنه قوى العزيمة، أليس كذلك؟ ويحب القليل من المغامرة والقليل من الفتنة.. أتوقع أن يكون هذا هو السبب الذى جعله يقع فى حب (مخاط)».

قالت السيدة (ويسلى) بحدة: «توقفى عن إطلاق هذا الاسم عليها يا (جينى). بينما ضحك كل من (هارى) و(هرميون)، ثم أضافت: «حسنًا، علىَّ أن أذهب، فلتأكل البيض وهو مازال ساخنًا يا (هارى)».

وتركت الغرفة وهى تبدو مهمومة. كان (رون) لايزال يبدو مترنحًا، وكان يهز رأسه إلى اليمين واليسار كأنه كلب يحاول أن يخلص أذنيه من الماء.

سأل (هارى): «ألم تعتد رؤيتها بعد؟ لقد كانت تقيم معك فى نفس المنزل».

قال (رون): «حسنًا، هذا صحيح، ولكن ليس إذا ما ظهرت أمامك فجأة وبدون توقع، مثلما حدث».

قالت (هرميون) بغضب: «إنه شيء يثير الشفقة»، ثم خطت بسرعة مبتعدة قدر الإمكان عن (رون) ثم استدارت لتواجهه وقد طوت ذراعيها فى اللحظة التى وصلت فيها إلى الحائط.

سألت (جينى) (رون) بارتياب: «إنك فعلاً لا تريدها هنا إلى الأبد؟».

وعندما لم يرد سوى بهز كتفيه؛ أكملت: «حسنًا، إن أمى ستضع حدًا لهذا الأمر إذا استطاعت، وأراهنك على ذلك».

سأل (هارى): «وكيف ستحقق هذا؟».

(جينى): «إنها تحاول دائمًا أن تحضر (تونكس) للعشاء. أعتقد أنها تتمنى أن يقع (بيل) فى غرام (تونكس). وأتمنى أن يفعل، فأنا أفضل أن تصبح من أفراد الأسرة».

قال (رون) بسخرية: «نعم، وكأن هذا سيحدث، استمعى إلىَّ، لن يعجب
تى طبيعى بـ(تونكس) عندما تكون (فلور) موجودة. أعنى أن (تونكس)
ظهرها جيد عندما لا تقوم بعمل أشياء غبية فى شعرها وأنفها، ولكن...».

قالت: «إن مظهرها بالتأكيد ألطف من مظهر (مخاط)».

قالت (هرميون) من الركن: «وهى أكثر ذكاء بالتأكيد، فهى محاربة ضد السحر الأسود!».

قال (هارى): «ولكن (فلور) ليست غبية، فقد كان مستواها عاليًا بما يكفى لتدخل الدورة الثلاثية».

قالت (هرميون) بمرارة: «أنت أيضًا!».

قالت (جينى) ساخرة: «أفترض أنك معجب بطريقة (مخاط)، وهى تقول لك (أرى)، أليس كذلك؟».

قال (هارى) وهو يتمنى لو أنه لم يتكلم: «لا، كل ما أقوله أن (مخاط) أقصد (فلور)...».

قالت (جينى): «أفضل أن تصبح (تونكس) فردًا من أسرتنا، فهى على الأقل مضحكة».

قال (رون): «لم تصبح مضحكة مؤخرًا، فكل مرة أراها فيها تبدو مثل (ميرتل) الباكية.

قالت (هرميون) بحدة: «هذا ليس عدلاً، فهى لم تتعافَ بعد مما حدث.. كما تعرف... أعنى، لقد كان ابن عمها!».

سقط قلب (هارى)، لقد وصلوا إلى (سيريوس). فالتقط الشوكة وبدأ فى ملئها بالبيض المخفوق، ثم وضعها فى فمه بسرعة وهو يرجو أن يبتعد عن أى دعوة للانضمام لهذا الجزء من الحديث.

قال (رون): «(تونكس) و(سيريوس) كانا بالكاد يعرفان بعضهما بعضًا! فقد كان (سيريوس) فى (أزكابان) لمدة تزيد على نصف عمرها وقبل ذلك لم تلتقِ أسرتاهما قط».

قالت (هرميون): «ليس هذا هو الموضوع، فهى تعتقد أنها تسببت فى موته!».

لم يتمالك (هارى) نفسه فسأل: «وما الذى يجعلها تفكر بهذا الشكل؟».

(هرميون): «حسنًا، لقد كانت تحارب (بيلاتريكس ليسترانج)، أليس كذلك؟ أعتقد أنها تشعر بأنها لو كانت قد قضت عليها لم تكن (بيلاتريكس) لتقتل (سيريوس)».

قال (رون): «هذا غباء».

قالت (هرميون): «إنه الإحساس بالذنب الذى يشعر به الناجى، أنا أعرف أن (لوبين) حاول أن يتكلم معها حول الموضوع، ولكنها مازالت مكتئبة، كما أن لديها مشاكل مع موهبتها فى تحويل الأشياء».

(هارى): «مشاكل مع ماذا؟».

وضحت (هرميون). «مشكلة أنها لا تستطيع تغيير شكلها كما اعتادت أن تفعل، أعتقد أن قواها قد تأثرت بالصدمة أو بشىء آخر».

قال (هارى): «لم أعرف أنه يمكن حدوث هذا».

قالت (هرميون): «ولا أنا، ولكننى أفترض أنه عندما تكون مكتئبًا جدًا...». فتح الباب مرة أخرى، وظهر رأس السيدة (ويسلى) التى همست قائلة: «(جينى)، تعالى إلى الدور الأسفل وساعدينى فى عمل الغداء».

قالت (جينى) بحنق: «إننى منشغلة فى الحديث مع المجموعة!».

قالت السيدة (ويسلى) بصرامة: «الآن»، ثم انسحبت.

قالت (جينى) وهى متضايقة: «إنها تريدنى هناك؛ حتى لا تضطر للبقاء وحدها مع (مخاط)!».. ثم رمت بشعرها الأحمر الطويل إلى الوراء مقلدة (فلور) وأخذت تتبختر عبر الغرفة وهى رافعة يديها إلى أعلى مثل راقصة الباليه، ثم قالت وهى ترحل: «وأنتم، من الأفضل أن تأتوا إلى الأسفل أيضًا».

استغل (هارى) فرصة الصمت المؤقت الذى ساد الغرفة وبدأ يتناول إفطاره، وكانت (هرميون) تتفحص صناديق (فريد) و(جورج)، ومع ذلك

ـانت تلقى نظرة جانبية على (هارى) بين الحين والآخر، بينما بدأ (رون) أكل الخبز المحمص الخاص بـ(هارى) وهو مازال يحدق بالباب حالمًا.

سألت (هرميون) فى النهاية وهى تمسك بتلسكوب صغير: «ما هذا؟».

قال (رون): «لا أعرف، ولكن إذا كان (فريد) و(جورج) قد تركاه هنا، ـإنه فى الأغلب مازال غير مجهز لمحل المقالب بعد، فكونى حذرة».

قال (هارى): «قالت والدتك إن محلهما يعمل جيدًا، وقالت إن (فريد) ـ(جورج) لديهما موهبة طبيعية فى التجارة».

قال (رون): «هذا تقليل فى القول، فهم غارقون فى الجالونات! ولا ستطيع الانتظار لرؤية المكان. فنحن لم نذهب لحارة (دياجون) بعد؛ ـأن أمى تقول إن أبى يجب أن يكون معنا؛ لنكون فى أمان أكثر، ولكنه كان مشغولاً جدًا فى العمل، أعتقد أنه يبدو رائعًا».

سأل (هارى): «وماذا عن (بيرسى)؟ هل عاد ليتكلم مع أبيك وأمك مرة ـأخرى؟ فقد كان ثالث ابن فى العائلة على خلاف مع باقى أسرته».

قال (رون): «لا».

(هارى): «ولكنه يعرف الآن أن والدك كان على حق فيما قاله عن عودة (فولدمورت)».

قالت (هرميون): «(دمبلدور) يقول إنه من الأسهل أن تغفر للآخرين عندما يكونون مخطئين عن أن يكونوا صائبين، لقد سمعته يقول ذلك لوالدتك يا (رون)».

قال (رون): «يبدو هذا من نوع الأشياء الفلسفية التى يقولها (دمبلدور)».

قال (هارى) متدخلاً فى الحديث: «إنه ينوى أن يعطينى دروسًا خصوصية هذا العام».

اختنق (رون) بقطعة الخبز المحمص التى كان يأكلها، بينما توقفت (هرميون) عن التنفس.

قال (رون): «واحتفظت بذلك لنفسك!».

قال (هارى) بصراحة: «لم أتذكر إلا الآن، لقد أخبرنى هذا بالأمس فى سقيفة المكانس الخاصة بكم».

قال (رون) وهو يبدو متأثرًا: «ياللعجب.. دروس خصوصية مع (دمبلدور)! أتساءل لماذا؟».

وتضاءل صوته تدريجيًا ثم رآه (هارى) وهو يتبادل النظرات مع (هرميون). فوضع الشوكة والسكين من يده، وقد تسارعت دقات قلبه، مع الوضع فى الاعتبار أن كل ما يفعله هو الجلوس فى السرير لقد كان (دمبلدور) قد قال ذلك.. فلماذا ليس الآن؟ ثبت (هارى) نظره على شوكته التى كانت تلمع فى ضوء الشمس الذى يسرى عبر الشباك إلى حجره، وقال: «أنا لا أعرف بالضبط، لماذا سيعطينى هذه الدروس؟! ولكننى أعتقد أنه لابد أن تكون بسبب النبوءة».

لم ينطق كلٌ من (رون) و(هرميون) بكلمة. وشعر (هارى) أنهما تجمدا، فاستأنف حديثه وهو مازال ينظر إلى شوكته: «أتعرفان؟ إنها النبوءة التى كانوا يريدون سرقتها من الوزارة!».

قالت (هرميون) بسرعة: «ولكن لا أحد يعلم ما الذى تقوله هذه النبوءة؛ فقد تحطمت».

بدأ (رون) بالكلام: «رغم أن جريدة (المتنبئ) قالت...»، ولكن (هرميون) قالت: «ششش».

قال (هارى) وهو ينظر إليهما بصعوبة كبيرة فقد كانت (هرميون) تبدو خائفة، أما (رون) فبدا مذهولاً: «استنتاج (المتنبئ) صحيح، الكرة الزجاجية التى تهشمت لم تكن المصدر الوحيد للنبوءة، فقد استمعت إليها كاملة فى مكتب (دمبلدور)؛ لأنه الشخص الذى قيلت له النبوءة وقد أخبرنى بها وهى تقول...». أخذ (هارى) نفسًا عميقًا ثم أكمل: «يبدو أننى الشخص الذى يجب أن يقضى على (فولدمورت)...، على الأقل هى تقول إنه لن ينجو أحدهما».

أخذ ثلاثتهم يحدقون إلى بعضهم فى صمت للحظة، ثم حدثت ضجة عالية، واختفت (هرميون) خلف ستار من الدخان الأسود.

صاح (هارى) و(رون): «(هرميون)»، وانزلقت صينية الإفطار ارتطمت بالأرض.

ثم ظهرت (هرميون) من خلف الدخان وهى تسعل وممسكة بالتلسكوب، وقد ظهرت حول عينيها دائرتان بنفسجيتان داكنتان.

قالت وهى تلهث: «لقد ضغطت عليها فلكمتنى!».

فقد رأوا بالفعل قبضة صغيرة موصولة بزنبرك، بارزة من نهاية لتلسكوب.

قال (رون) الذى كان من الواضح أنه يحاول ألا يضحك: «لا تقلقى، سوف تصلح أمى هذا، فهى جيدة فى معالجة الجروح البسيطة».

قالت (هرميون) بسرعة «أوه، آه (هارى)...، حسنًا، لا تهتم بهذا الآن! (هارى)».

وجلست على حافة السرير مرة أخرى.

وقالت: «لقد كنا نتساءل بعد أن عدنا من الوزارة.. لم نكن نريد أن نقول لك أى شىء، ولكن كان من الواضح مما قاله (لوكيوس مالفوى) عن النبوءة، وكيف أنها عنك أنت و(فولدمورت)، حسنًا، لقد اعتقدنا أنها شىء مثل هذا... آه، يا (هارى)...»، ثم حدقت إليه وهمست. «هل أنت خائف؟».

قال (هارى): «ليس بنفس القدر الذى كنت عليه عندما سمعتها أول مرة، لقد كنت...، ولكن الآن يبدو الأمر كما لو أننى كنت أعرف أنه سيكون علىَّ مواجهته فى النهاية...».

قال (رون) بحماس: «وعندما سمعنا أن (دمبلدور) سيحضرك بنفسه، توقعنا أنه ربما سيخبرك بشىء أو يريك شيئًا له علاقة بالنبوءة، ولقد كنا على حق نوعًا ما، أليس كذلك؟ لم يكن ليعطيك دروسًا إذا كان يعتقد أنك هالك، فلن يضيع وقته معك.. لابد أنه يعتقد أنك لديك فرصة!».

قـالت (هـرمـيـون): «هـذا حـقـيـقـى، أتسـاءل مـا الـذى سيعلمك إياه يـا (هـارى)؟ ربما سحرًا دفاعيًا متقدمًا جدًا، أو تعاويذ مضادة قوية...».

لم يستمع (هارى) إلى ما يقال، فقد كان هناك دفء يتخلل جسده، لم تكن له علاقة بضوء الشمس، فقد شعر أن حملاً ثقيلاً قد انزاح عن صدره. وقد أدرك أن (رون) و(هرميون) كانا يخفيان من الصدمة أكثر مما يظهران، ولكن حقيقة أنهما مازالا واقفين بجواره، كل منهما على جانب، ويحيطانه بكلماتهما المشجعة المواسية، وأنهما لم يبتعدا عنه كما لو أنه قذر أو خطر، مثلت له أكثر مما يستطيع أن يخبرهما.

واختتمت (هرميون) حديثها: «...وسحر التملص بوجه عام، حسنًا على الأقل تعرف إحدى المواد التى سوف تدرسها هذا العام، وهذه واحدة لن يدرسها لا(رون) ولا أنا. أتساءل: متى ستأتى نتائج اختبارات هذا (أو ـ دبليو ـ إل)؟».

قال (رون): «لن تتأخر الآن، لقد مر شهر».

قال (هارى): «انتظرا». تذكر جزءًا آخر من محادثة الليلة الماضية، ثم أكمل: «...أعتقد أن (دمبلدور) قال إن نتائج (أو ـ دبليو ـ إل) ستصل اليوم!».

صاحت (هرميون): «اليوم؟! اليوم؟! ولمَ لم تخبرنا قبل الآن؟ يا إلهى.. كان يجب أن تقول...».

ثم وثبت واقفة على قدميها.

وقالت: «سأذهب؛ لأرى إن كانت أى بومة قد وصلت...».

وعندما وصل (هارى) إلى الطابق السفلى بعد عشر دقائق مرتديًا ملابسه بالكامل، وجد (هرميون) جالسة عند مائدة المطبخ وهى فى حالة اضطراب شديد، بينما السيدة (ويسلى) تحاول علاج عينيها التى تجعلانها شبيهة بالباندا.

وكانت السيدة (ويسلى) تقول بقلق: «إنها لا تنمحى». وكانت واقفة بجوار (هرميون)، ممسكة بعصاها فى إحدى يديها، ونسخة من كتاب

مرشد المعالج فى يدها الأخرى، مفتوحة على صفحة (الكدمات والجروح والسجحات) «...كان هذا ينجح دائمًا، أنا لا أفهم لماذا لا ينجح هذه المرة».

قالت (جينى): «إنها فكرة (فريد) و(جورج) لعمل مقلب مضحك وهو التأكد أنها لن تزول».

صاحت (هرميون) بغضب: «ولكن عليها أن تزول، لا يمكننى أن أستمر هكذا إلى الأبد!».

قالت السيدة (ويسلى) لتهدئ من روعها: «لن يحدث هذا يا عزيزتى، سنجد علاجًا له، لا تقلقى».

قالت (فلور) وهى تبتسم بوداعة: «لقد أخبرنى (بيل) كم أن (فريد) و(جورج) مضحكان».

قالت (هرميون) بحدة: «نعم، حتى إننى لا أستطيع التنفس من كثرة الضحك».

ثم قفزت واقفة وبدأت تمشى حول المطبخ مرة بعد مرة وهى تثنى أصابع يديها معًا.

وقالت: «سيدة (ويسلى)، هل أنت واثقة تمامًا من عدم وصول أى بوم منذ الصباح؟».

قالت السيدة (ويسلى) بصبر: «طبعًا يا عزيزتى، كنت سأراهم، ولكن الساعة مازالت التاسعة فقط، مازال هناك وقت طويل...».

أخذت (هرميون) تغمغم بطريقة محمومة: «أنا أعرف أننى خلطت بعض الأمور فى مادة الأبجديات القديمة، لقد ارتكبت بالتأكيد خطأ واحدًا كبيرًا، على الأقل فى الترجمة. أما مادة الدفاع ضد فنون الظلام فلم تكن جيدة على الإطلاق، ولقد اعتقدت أن مادة التحويل كانت جيدة فى وقتها.. ولكن بإعادة النظر».

قال (رون) بلهجة جافة: «(هرميون)، هل من الممكن أن تخرسى، أنتِ لست الشخص الوحيد العصبى، وعندما تحصلين على الأحد عشر ممتازا فى (أو - دبليو - إل)...».

قالت (هرميون) وهى تلوح بيديها بهستيريا: «لا تفعل، لا تفعل، لا تفعل! أنا أعرف أننى قد رسبت فى كل شىء!».

وجه (هارى) سؤالاً إلى كل الموجودين فى الغرفة. «ما الذى سيحدث إذا رسبنا؟».

إلا أن (هرميون) هى التى ردت مرة أخرى، وقالت: «نناقش خياراتنا مع رئيس منزلنا، لقد سألت الأستاذة (ماكجونجال) فى نهاية العام الدراسى الماضى».

شعر (هارى) بمعدته تتلوى، فتمنى لو أنه لم يأكل كثيرًا فى الإفطار.

قالت (فلور) بلطف: «يوجد عندنا فى (بوباتون) طريقة مختلفة لعمل الأشياء، وأعتقد أنها أفضل، فنحن نأخذ امتحاناتنا بعد ستة أعوام من الدراسة وليس خمسة، وحينئذ...».

صرخت (هرميون) فضاعت كلمات (فلور)، كانت (هرميون) تشير إلى نافذة المطبخ، فقد كانت هناك ثلاث نقاط سوداء ظاهرة بوضوح فى السماء، وتزداد حجمًا كلما اقتربت.

قال (رون) بصوت مبحوح: «إنهم بالتأكيد بوم»، وقفز ليقف بجوار (هرميون).

قال (هارى) وهو يسرع ليقف على الجانب الآخر: «هناك ثلاث منهم».

قالت (هرميون) وهى تهمس برعب: «واحدة لكل واحد منا، يا إلهى... يا إلهى... يا إلهى».

ثم قبضت على كوع كل من (هارى) و(رون) بقوة.

كانت البومات الثلاث تطير مباشرة نحو الجحر، وكانت ألوانها أسود مصفرًا جميلاً، وكما أصبح واضحًا [illegible] على ارتفاع أقل على الطريق المؤدى إلى المنزل، إن كل واحدة منها تحمل طردًا مربعًا كبيرًا.

صرخت (هرميون): «يا إلهى!».

مرت السيدة (ويسلى) من وسطها وفتحت شباك المطبخ واحد، اثنان، ثلاثة، دخلت البومات عبر الشباك وحطت على المائدة فى خط واحد. ثم رفعت أرجلها اليمنى.

تقدم (هارى) إلى الأمام، كان الخطاب الموجه إليه مربوطًا إلى رِجل البومة التى فى الوسط، فقام بفكه بأصابعه، وعلى يساره كان (رون) يحاول فك ظرفه، وعلى يمينه كانت يد (هرميون) ترتعش بقوة حتى أنها جعلت البومة بأكملها ترتعش.

لم يتحدث أى شخص فى المطبخ. وأخيرًا استطاع (هارى) أن يفك ظرفه، ففتحه بسرعة وفرد الورقة المكتوب عليها النتائج.

نتائج اختبارات السحر العامة

تقديرات النجاح. امتياز (أ)	تقديرات الرسوب: ضعيف (ض)
تخطى التوقعات (ت)	سيئ جدًا(س)
مقبول (م)	فظيع (ف)

الطالب (هارى جيمس بوتر) حصل على

الفلك	(م)
رعاية الكائنات السحرية	(ت)
التعاويذ	(ت)
الدفاع ضد فنون الظلام	(أ)
التنجيم	(ض)
علم الأعشاب	(ت)
تاريخ السحر	(س)
الوصفات السحرية	(ت)
التحويل	(ت)

قرأ (هارى) الشهادة العديد من المرات، وقد أصبح تنفسه أسهل بعد كل مرة يقرؤها فيها. لقد كانت معقولة، فقد كان دائمًا يعلم أنه سوف يرسب فى التنجيم، ولم تكن لديه أى فرصة للنجاح فى تاريخ السحر، خاصة أنه انهار فى منتصف الامتحان، ولكنه نجح فى باقى المواد! حرك (هارى) أصابعه نازلاً على كل التقديرات، لقد نجح بصورة طيبة فى التحويل وعلم الأعشاب، وحصل على ما فاق التوقعات فى الوصفات السحرية! وفوق كل ذلك حصل على امتياز فى الدفاع عن النفس ضد فنون الظلام!

نظر حوله، كان ظهر (هرميون) أمامه وقد حنت رأسها وهى تقرأ النتيجة، ولكن (رون) كان يبدو سعيدًا.

قال (رون) لـ(هارى) بسعادة: «لقد رسبت فى التنجيم وتاريخ السحر فقط، ومن يهتم بهما؟ خذ فلنتبادل».

نظر (هارى) إلى تقديرات (رون) ووجد أنه لم يحصل على أى امتياز.

قال (رون) وهو يلكم (هارى) فى كتفه: «كنت أعلم أنك ستكون الأول فى الدفاع ضد فنون الظلام. لقد كان أداؤنا على ما يرام، ألا تعتقد ذلك؟».

قالت السيدة (ويسلى) بفخر وهى تنفش شعر (رون): «أحسنت، سبعة فى (أو - دبليو - إل) هذا أكثر مما حصل عليه (فريد) و(جورج) معًا!».

قالت (جينى) بتردد لـ(هرميون) التى لم تلتفت بعد: «وأنت يا (هرميون)، كيف كانت نتائجك؟».

قالت (هرميون) بصوت ضعيف: «أنا... جيدة».

قال (رون): «آه، دعى هذا عنك». ثم خطا إليها بسرعة، وشد نتائجها من يدها، وقال: «أجل، عشر امتياز، وواحدة تخطى التوقعات فى مادة الدفاع عن النفس ضد فنون الظلام»، ثم نظر إليها وهو نصف مستمتع ونصف غاضب.

وقال: «أنتِ إذن تشعرين بخيبة الأمل فعلاً؟».

هزت (هرميون) رأسها وضحك (هارى).

ابتسم (رون) ابتسامة عريضة وقال: «حسنًا، إننا الآن طلبة (إن. إى. دبليو. تى) امتحانات السحر العليا، أمى، هل لديك المزيد من السجق؟».

نظر (هارى) مرة أخرى إلى نتائجه، كانت جيدة بقدر ما كان يتمنى، ولكنه شعر بوخز أسف صغير فقط... فقد كان هذا نهاية طموحه للعمل كمدافع ضد السحر الأسود. فلم يحصل على التقدير المطلوب فى مادة الوصفات السحرية. وقد كان يعرف طوال الوقت أنه لن يحصل عليه، ومع ذلك فكان يشعر بهبوط فى معدته وهو ينظر إلى (ت) السوداء الصغيرة التى حصل عليها فى هذه المادة.

وكان هذا غريبًا، فى الحقيقة، بالنظر إلى أن أول من قال لـ(هارى) إنه سيكون مدافعًا جيدًا ضد السحر الأسود كان أحد (آكلى الموت) المتنكرين، ولكن بطريقة ما استولت عليه الفكرة، ولم يستطع التفكير فى أى شىء آخر يمكن أن يحب أن يكونه. وعلاوة على ذلك، فقد بدا هذا المصير هو المناسب له منذ سمع النبوءة منذ شهر مضى... لن ينجو أحدهما... ألا يكون قد التزم بالنبوءة وأعطى لنفسه فرصة أفضل للنجاة، إذا ما انضم إلى هؤلاء السحرة الحاصلين على مستوى عال من التدريب الذين عملهم أن يجدوا (فولدمورت) ويقتلوه.

■ ■ ■



٦ منعطف (دراكو)

ظل (هارى) داخل حدود حديقة الجحر طوال الأسابيع القليلة التالية، وكان يقضى أيامه فى لعب لعبة (كويدتش) ثنائية الأطراف بحديقة آل (ويسلى) هو و(هرميون) فى مواجهة (رون) و(جينى). كانت (هرميون) سيئة و(جينى) جيدة، مما جعل الفريقين متعادلين فى القوة نوعًا، وكان يقضى أمسياته وهو يأكل كميات مضاعفة من كل ما تضعه السيدة (ويسلى) أمامه.

كان من الممكن أن تكون عطلة هادئة وسعيدة، لولا قصص الاختفاءات والحوادث الغريبة، بل وحالات الوفيات التى تظهر الآن يوميًا تقريبًا بجريدة (المتنبئ)، وأحيانًا كان (بيل) والسيد (ويسلى) يجلبان معهما الأخبار للبيت حتى قبل أن تصل للجريدة. وقد شعرت السيدة (ويسلى) بالاستياء بسبب ما حدث فى يوم الاحتفال بعيد ميلاد (هارى) السادس عشر، حيث كان مليئًا بالأخبار المروعة التى جلبها للحفل (روفوس لوبين) الذى بدت عليه الكآبة والعبوس بشعره البنى الذى تنتشر به الخطوط الرمادية، وملابسه التى أصبحت أكثر قدمًا واهتراء عن ذى قبل.

أعلن (لوبين): «لقد كان هناك اعتداءان آخران من (الدمنتور)» بينما السيدة (ويسلى) تمرر إليه قطعة كبيرة من كعكة عيد الميلاد وأضاف: «...عثروا على جثة (أيجور كاركاروف) بكوخ بأعلى الشمال وكانت علامة الظلام موضوعة فوقه، حسنًا، بصراحة أنا مندهش أنه استمر على قيد الحياة قرابة العام بعد أن ترك (آكلى الموت)، فإذا لم تخنِّى الذاكرة، فإن (ريجولوس) أخا (سيريوس) لم يتمكن من البقاء على قيد الحياة أكثر من أيام معدودة».

قالت السيدة (ويسلى): «نعم، حسنًا، ربما يجدر بنا أن نتكلم عن شىء مختـ...».

سأل (بيل): «هل سمعت أى شىء عن (فلورين فورتيسكو)، الرجل الذى يدير...» بينما كانت (فلور) تعطيه بعض النبيذ.

قاطعه (هارى): «محل الآيس كريم فى حارة (دياجون)؟» شعر (هارى) بشعور فظيع بالخواء داخل معدته، ثم أضاف: «لقد اعتاد أن يعطينى الآيس كريم بالمجان، ما الذى حدث له؟».

(بيل) «مظهر المكان يشير إلى أنه قد تم سحبه بالقوة».

قال (رون): «لماذا؟». بينما السيدة (ويسلى) تحدق فى (بيل) وتشير له بعينيها.

(بيل): «لا أحد يعلم، لقد كان (فلورين) رجلاً طيبًا، ولكن يبدو أنه أزعجهم بطريقة ما».

قال السيد (ويسلى): «بمناسبة الحديث عن حارة (دياجون)، يبدو أن (أوليفاندر) قد اختفى أيضًا».

قالت (جينى) وهى تبدو مندهشة. «صانع العصى السحرية!».

«هو بعينه، المتجر وُجد خاليًا، ولا أثر للمقاومة، ولا أحد يعلم إن كان قد غادر طواعية أم خطف».

«ولكن العصى... كيف سيحصل الناس على عصيهم السحرية؟».

قال (لوبين): «سوف يشترونها من صناع آخرين، إلا أن (أوليفاندر) كان الأفضل، وإذا كان الجانب الآخر قد استحوذ عليه، فلن يكون هذا فى صالحنا».

وفى اليوم التالى لحفل عيد الميلاد الكئيب وصلت خطاباتهم بقوائم الكتب من (هوجوورتس) وتضمنت مفاجأة لـ(هارى) فقد أصبح كابتن فى لعبة (الكويدتش).

صاحت (هرميون) بفرحة: «هذا يمنحك درجة مساوية لرائد الفصل! يمكنك الآن استخدام الحمام الخاص بنا وكل شىء!».

قال (رون) وهو يفحص الشارة بمرح: «أذكر (شارلى) عندما كان يضع إحدى هذه الشارات، إن هذا شيء رائع يا (هارى)، ستكون كابتنى، هذا إذا سمحت لى بالعودة إلى الفريق، على ما أفترض، هه هه...».

تنهدت السيدة (ويسلى) وهى تنظر إلى قائمة الكتب الخاصة بـ(رون) وقالت: «حسنًا، أفترض بأننا لا نستطيع تأجيل رحلتنا إلى حارة (دياجون) أكثر من ذلك بعد أن وصلتنا هذه، سوف نذهب يوم السبت إذا لم يضطر أبوكم للذهاب إلى العمل مرة أخرى، فأنا لن أذهب إلى هناك بدونه».

قال (رون) وهو يضحك ضحكة مكبوتة: «هل تعتقدين حقًا يا أمى أن (أنت تعرف من) سوف يذهب للاختفاء خلف رف كتب فى (فلوريش ويلوتس)؟».

قالت السيدة (ويسلى) وقد تملكها الغضب على الفور: «(فورتيسكو) و(أوليفاندر) ذهبا فى عطلة، أليس كذلك؟ إذا كنت تعتقد أن أمور الأمن تدعو إلى الضحك، فيمكنك ألا تأتى معنا، وأنا سأجلب لك أشياءك بنفسى».

قال (رون) بسرعة: «لا، أريد الذهاب، أريد أن أرى محل (فريد) و(جورج)!».

قالت السيدة (ويسلى) غاضبة: «إذن، فلتدع أفكارك جانبًا أيها الشاب، قبل أن أقرر أنك لن تحضر معنا!» ثم انتزعت الساعة التى تشير عقاربها إلى خطر الموت، ووضعتها باتزان فوق كومة من المناشف المكوية لتوها وأضافت: «وهذا ينطبق على عودتك إلى (هوجوورتس) أيضًا».

واستدار (رون) ليحدق فى (هارى) بينما كانت أمه ترفع سلة الملابس المغسولة، والساعة تتأرجح فى ذراعها وهى تندفع خارج الغرفة بعنف.

وقال: «... إنك لا تستطيع إطلاق دعابة هنا بعد الآن...».

إلا أن (رون) كان حريصًا على عدم الثرثرة حول (فولدمورت) خلال الأيام القليلة التالية. وجاء يوم السبت دون أن يحدث شيء آخر يثير

غضب السيدة (ويسلى)، ولكنها بدت متوترة جدًا على الإفطار، ومرر (بيل) حقيبة مملوءة بالمال عبر المائدة إلى (هارى).

وكان (بيل) سينتظر فى البيت مع (فلور) مما أسعد (هرميون) و(جينى).

قال (رون) وقد اتسعت عيناه: «أين حقيبتى؟».

قال (بيل): «هذا المال ملك لـ(هارى) أيها الأبله، لقد سحبته لك من القبو يا (هارى)؛ لأن الحصول على الذهب من البنك يستهلك من الشخص العادى خمس ساعات فى الوقت الراهن، فقد أحكم (الأقزام الأسطوريون) إجراءات الأمن بدرجة كبيرة. فمنذ يومين، حدث حادث لـ(أركى فيلبوت)، حيث التصق مسبار الأمان فى...، حسنًا، ثق بى، هذه الطريقة أسهل».

قال (هارى) وهو يضع الذهب فى جيبه. «شكرًا يا (بيل)».

قالت (فلور) بطريقة فاتنة وهى تمسح على أنف (بيل): «إنه دائمًا يفكر فى راحة الآخرين».

مثلت (جينى) من خلف (فلور) كأنها على وشك التقيؤ داخل إفطارها الذى يتكون من الحبوب، أما (هارى) فقد أصابه الاختناق من الكورن فليكس، فدق (رون) على ظهره.

كان يومًا معتمًا مكفهرًا. وكانت إحدى سيارات الوزارة الخاصة، التى ركبها (هارى) من قبل، منتظرة فى الفناء الأمامى عندما خرجوا من المنزل وهم يرتدون عباءاتهم.

قال (رون) وقد بدا عليه الإعجاب بالسيارة وهو يشعر بالرفاهية: «من الجيد يا أبى أنك تستطيع الحصول على هذه مرة أخرى» ثم تحركت السيارة بسلاسة مبتعدة عن الجحر، بينما (بيل) و(فلور) يلوحان من نافذة المطبخ وقد جلس هو و(هارى) و(هرميون) و(جينى) جميعهم فى المقعد الخلفى العريض الرحب والمريح.

قال السيد (ويسلى) من خلف كتفه: «لا تَعْتَدْ على ذلك، كل هذا بسبب (هارى) فقط»، كان هو والسيدة (ويسلى) جالسين فى المقدمة مع سائق الوزارة. وقد تحول مقعد الراكب الأمامى إلى ما يشبه أريكة لشخصين، وأضاف: «لقد تمت إحاطة (هارى) بأعلى درجة من الإجراءات الأمنية، وسينضم إلينا المزيد من الأمن عند (ليكى كاولدرون) أيضًا».

لم يقل (هارى) شيئًا، فلم يكن يتخيل أن يشترى أشياءه وهو محاط بكتيبة من محاربى السحر الأسود. لقد أحضر معه عباءة التخفى فى جيبه الخلفى، وشعر بأنه إذا كان هذا ما أوصاه به (دمبلدور)، فإنه يجب أن يكون كافيًا بالنسبة للوزارة ولكنه عندما فكر بالأمر، لم يكن واثقًا أن الوزارة تعرف بأمر العباءة.

قال السائق بعد لحظة قصيرة على حين غرة: «لقد وصلنا»، وكانت هذه أول مرة يتكلم بها، ثم هدأ من سرعته عند مفترق طرق ووقف خارج منزل (ليكى كاولدرون)، وأضاف: «سأنتظركم هنا، هل تعرفون كم ستستغرقون من الوقت؟».

قالت السيدة (ويسلى): «أتوقع أن نغيب حوالى ساعتين، آه، جيد، ها هو ذا!».

نظر (هارى) من النافذة مثل السيدة (ويسلى)، فقفز قلبه من السعادة، فلم تكن هناك فرقة من مدافعى السحر الأسود فى انتظارهم أمام النزل بل هناك بدلاً منها (روبياس هاجريد) العملاق ذو اللحية السوداء، حارس الطرائد فى (هوجوورتس)، مرتديًا معطفًا مصنوعًا من فرو القندس، وابتسم (هاجريد) عندما رأى وجه (هارى) ولم يهتم بنظرات القلق التى يرميه بها العامة المارون.

وصاح: «(هارى)» واحتضن (هارى) فى اللحظة التى خرج فيها من السيارة بقوة تحطم العظام وقال: «(باك بيك)، أقصد (ويزروينجز)، نعم، يجب أن تراه يا (هارى)، إنه سعيد جدًا بعودته إلى الهواء الطلق مرة أخرى».

قال (هارى) وهو يبتسم ويدلك أضلاعه: «أنا سعيد؛ لأنه مرتاح، لم نكن نعرف أن المزيد من الأمن يعنى أنت!».

قال (هاجريد) بفخر: «أعرف، مثل الأيام الخوالى، أليس كذلك؟ لقد أرادت الوزارة إرسال مجموعة من المدافعين ضد السحر الأسود ولكن (دمبلدور) قال إن وجودى سيوفر أمنًا كافيًا». ثم نفخ صدره ووضع إبهامه داخل جيبه وأضاف: «فلنذهب إذن، بعدك يا (مولى) وأنت يا (آرثر)».

كانت هذه هى أول مرة بالنسبة لـ(هارى) يرى فيها منزل (ليكى كاولدرون) خاليًا من الرواد. لم يكن هناك إلا (توم)، مالك المكان، الأهتم، يجلس منزويًا متذكرًا الزحام القديم. وعندما دخلوا، رفع رأسه بأمل ولكن قبل أن يتحدث، قال (هاجريد) بجدية: «إننا سنعبر اليوم فقط يا (توم)، أنا متأكد أنك ستفهم مهام (هوجورتس) كما تعلم».

أومأ (توم) برأسه بكآبة وعاد لمسح الأكواب، وسار (هارى) و(هاجريد) و(هرميون) وآل (ويسلى) عبر الحانة إلى الساحة الصغيرة الباردة التى فى الخلف، حيث تقف صناديق القُمامة. رفع (هاجريد) مظلته الوردية وقرع على جزء معين فى الحائط، فانفتح على الفور ليشكل مدخلاً إلى شارع (ملتو) مرصوف بالحجر.

ثم دخلوا عبر المدخل وتوقفوا لينظروا حولهم.

لقد تغيرت حارة (دياجون) واختفت «الفاترينات» الزاهية البراقة التى كانت تعرض كتب التعاويذ ومكونات الوصفات السحرية والمراجل خلف ملصقات وزارة السحر الكبيرة التى تم لصقها فوقها. ومعظم هذه الملصقات العريضة البنفسجية هى نسخ مكبرة من النصائح الأمنية الموجودة بكتيب الوزارة، الذى تم إرساله للجميع خلال الصيف. ولكن هناك ملصقات أخرى تحمل صورًا بالأبيض والأسود لـ(آكلى الموت) الهاربين. كان هناك ملصق يحمل صورة لـ(بيلاتريكس ليسترانج) وهى تبتسم ساخرة على مقدمة صيدلية (متجر

عطارة) قريب. بعض الفاترينات كانت مغلقة، بما فيها محل الآيس كريم الخاص بـ(فلورين فورتيسكو). ومن ناحية أخرى، ظهرت مجموعة من المعارض الرثة على طول الشارع، وكان أقربها إليهم مشيدًا خارج متجر (فلوريش وبلوتس)، تعلوه مظلة من القُماش المخطط، بها بقع واضحة، وكانت هناك لافتة من الكرتون مثبتة فى مقدمتها.

تمائم.. مفيدة ضد (الذئاب المتحولين) و(الدمنتور) و(الأنفيرى).

كان هناك ساحر قصير يرتدى ثيابًا رثة، واقفًا فى وسط الطريق وهو يهز مجموعة من السلاسل الفضية معلق بها تمائم؛ لتصدر صوت صلصلة.

دعا السيدة (ويسلى) لتشترى بينما يمرون بالقرب منه وهو ينظر إلى (جينى) شزرًا: «واحدة لابنتك الصغيرة يا مدام؛ لحماية رقبتها الجميلة».

قال السيد (ويسلى) وهو ينظر بغضب واضح إلى بائع التمائم: «لو أننى كنت فى وقت العمل...».

قالت السيدة (ويسلى) بعصبية وهى تنظر إلى قائمة المشتريات: «نعم، ولكن لا تذهب الآن للقبض على أى شخص، فوراءنا الكثير لنفعله، أعتقد أنه من الأفضل أن نذهب إلى متجر مدام (مالكين) أولاً، فـ(هرميون) تريد أثوابًا جديدة، وملابس (رون) المدرسية أصبحت قصيرة وتُظهر كاحله وأنت كذلك يا (هارى)، لقد زاد طولك كثيرًا - هيا - فلنذهب جميعًا».

قال السيد (ويسلى): «من غير المعقول أن نذهب جميعًا إلى متجر مدام (مالكين)، لماذا لا يذهب ثلاثتهم مع (هاجريد)؟ ويمكننا نحن أن نذهب إلى (فلوريش وبلوتس) لإحضار الكتب المدرسية للجميع».

قالت السيدة (ويسلى) بقلق: «لا أعرف»، كان من الواضح أنها موزعة بين توقها لإنهاء رحلة الشراء بسرعة، وبين رغبتها فى أن يبقوا معًا كمجموعة واحدة، ثم أضافت: (هاجريد)، هل تعتقد...؟

قال (هاجريد) مطمئنًا وهو يلوح بيديه التى فى حجم غطاء صندوق القمامة فى الهواء: «لا تخافى يا (مولى)، سيكونون على ما يرام معى».

لم تبد السيدة (ويسلى) مقتنعة تمامًا، ولكنها سمحت بانفصالهم، واتجهت إلى (فلوريش وبلوتس) مع زوجها و(جينى)، بينما انطلق (هارى) و(رون) و(هرميون) و(هاجريد) إلى متجر مدام (مالكين).

ولاحظ (هارى) أن الناس الذين يمرون بهم لديهم نفس النظرة القلقة التى لدى السيدة (ويسلى)، وقد أقلعوا عن التوقف للتحدث معًا مثلما كان يحدث فى السابق، بل يبقى كل منهم ضمن مجموعته لا يتركها، وهم يتحركون قاصدين قضاء حوائجهم، وقد بدا أنهم توقفوا عن الذهاب للتسوق وحدهم.

قال (هاجريد): «المكان لن يسعنا جميعًا» وقد وقف خارج متجر مدام (مالكين)، وانحنى إلى أسفل لينظر إلى نافذة العرض، ثم أضاف: «من الأفضل أن أقف هنا للحراسة».

فدخل (هارى) و(رون) و(هرميون) إلى المتجر الصغير معًا، الذى بدا فى البداية خاليًا، ولكن ما كاد الباب يتأرجح مغلقًا وراءهم حتى سمعوا صوتًا مألوفًا يصدر من خلف حامل للملابس ذات اللونين الأخضر والأزرق والمزينة بقطع معدنية براقة:

«أنا لست طفلاً، إذا لم تكونى قد لاحظت يا أمى. أنا قادر تمامًا على شراء احتياجاتى بنفسى».

ثم سمعوا صوت ضجة، وقال صوت عرف (هارى) أنه صوت مدام (مالكين): «والآن يا عزيزى، والدتك على حق تمامًا، فلا يجب على أى منا أن يتجول وحده بعد الآن، وهذا ليس له علاقة بكونك طفلاً».

«لاحظى أين تضعين دبابيسك لو سمحت!».

ثم ظهر من خلف حامل الملابس فتى مراهق ذو وجه شاحب مدبب، وشعر أصفر فاتح، وكان يرتدى رداء جميلاً لونه أخضر غامق، تلمع الدبابيس حول ذيله ونهايات أكمامه، ثم خطا نحو المرآة؛ ليتفحص نفسه.

ومرت بضع لحظات قبل أن يلاحظ انعكاس صورة (هارى) و(رون) و(هرميون) فوق كتفه، فضاقت عيناه ذات اللون الرمادى الفاتح.

ثم قال (دراكو مالفوى): «إذا كنت تتساءلين عن الرائحة العفنة يا أمى، فإنها رائحة دم العامة الذين دخلوا إلى المكان الآن».

قالت مدام (مالكين) وهى تخرج من خلف حامل الملابس وتحمل شريط القياس وعصا: «لا أعتقد أن هناك داعيًا لاستخدام مثل هذه الألفاظ»، ثم أضافت بسرعة عندما نظرت إلى الباب ورأت (هارى) و(رون) واقفين هناك وقد وجه كل منهما عصاه إلى (دراكو): «لا أريد أن يسحب أحد عصاه فى متجرى، أيضًا!».

قالت (هرميون) التى كانت تقف على بعد قليل منهما هامسة. «لا، لا تفعلا ذلك، إن الأمر لا يستحق فعلاً...».

قال (دراكو) بسخرية: «أجل، وكأنكما تجرؤان على أداء أى سحر خارج المدرسة، من الذى سود عينيك هكذا يا (جرانجر)؟ أريد أن أرسل إليه باقة زهور».

قالت مدام (مالكين) بحدة: «هذا يكفى»، ثم نظرت إلى وراء كتفها؛ بحثًا عن التأييد وأضافت: «مدام... أرجوكِ...».

خرجت (ناركيسا مالفوى) من خلف حامل الملابس. وقالت ببرود لـ(هارى) و(رون): «أبعدا عصويكما، إذا اعتديتما على ابنى مرة أخرى، فأنا على يقين أن هذا هو آخر ما تفعلانه فى حياتكما».

تقدم (هارى) خطوة إلى الأمام محدقًا إلى الوجه المتعجرف الأملس، وقال: «حقًا». كان وجهها بالرغم من شحوبه الشديد مازال يشبه وجه أختها.

وكان (هارى) قد أصبح فى نفس طولها الآن، ثم أضاف: «ماذا ستفعلين؟ هل ستدعين بعض (آكلى الموت) من رفاقك لقتلنا؟».

صرخت مدام (مالكين) ووضعت يدها على قلبها.

وقـالت: «لا يـجب أن تتـهموا أحدًا ـ أو تقولوا مثل هذه الأشيـاء الخطرة ـ ابعدوا عصيكم لو سمحتم!».

ولـكـن (هـاري) لم يـخـفض عصـاه، وابـتسـمت (نـاركـيسـا مـالـفوي) ابتسامة بغيضة وقالت: «أعرف أن كونك مفضلاً عند (دمبلدور) أعطاك إحساسًا زائفًا بالأمان يا (هاري بوتر)، ولكن (دمبلدور) لن يكون دائمًا موجودًا لحمايتك».

نظر (هاري) بسخرية إلى المتجر من حوله. وقال: «انظري إلى هذا، إنه ليس هنا الآن! فلماذا لا تحاولين معي الآن؟ يمكن أن يجدوا لكما في (أزكابان) زنزانة مزدوجة لتجتمعي فيها مع زوجك الخائب!».

حاول (دراكو) التحرك نحو (هاري) بغضب، إلا أنه تعثر في ردائه الطويل.

وضحك (رون) بصوت عالٍ.

فصاح (دراكو) قائلاً: «كيف تجرؤ على الكلام مع أمي بهذه الطريقة يا (هاري)؟».

قـالت (نـاركـيسـا) محـاولـة تـهدئـة (دراكـو) وقـد وضعت أصـابعـها البيضاء الرفيعة على كتفه: «إن الأمر على ما يرام يا (دراكو)، وأتوقع أن يجتمع (بوتر) مع العزيز (سيريوس) قبل أن أجتمع أنا و(لوكيوس)».

فرفع (هاري) عصاه إلى أعلى أكثر.

قالت (هرميون). «لا يا (هاري)» وأخذت تشد ذراعه محاولة إنزالها إلى جانبه، ثم أضافت: «فكر... لا يجب أن تفعل هذا... سوف تتعرض إلى الكثير من المتاعب إذا فعلت ذلك».

ارتعشت مدام (مالكين) في مكانها، ثم يبدو أنها قررت أن تتصرف كأن شيئًا لا يحدث على أمل ألاَّ يحدث شيء بالفعل. فانحنت في اتجاه (دراكو) الذي كان لايزال يحدق بـ(هاري) في غضب.

وقالت: «أعتقد أن الكُم الأيسر يجب أن يقصر قليلاً يا عزيزي، اتركني فقط...».

صاح (دراكو) متألمًا: «آى» ونزع يدها بعيدًا عنه قائلاً: «ألا تنظرين أين تضعين دبابيسك يا امرأة؟! أمى، أعتقد أننى لا أريد شراء هذه الملابس بعد الآن».

وخلع الثوب من رأسه ورمى به على الأرض عند أقدام مدام (مالكين).

قالت (ناركيسا) وهى تنظر باحتقار إلى (هرميون): «أنت على حق يا (دراكو)، أعرف الآن أى نوع من الحثالة موجود بهذا المتجر.. سنشترى ما نحتاجه من (تويليفيت تاتنج)».

ثم اتجه (دراكو) وأمه بخطوات سريعة إلى خارج المتجر وقد حرص (دراكو) على دفع (رون) بكل ما يمكنه من قوة وهو فى طريقه إلى الخارج.

قالت مدام (مالكين): «حسنًا!» ثم التقطت الثوب من الأرض وحركت طرف عصاها عليه مثل المكنسة الشافطة حتى أزالت التراب من عليه.

كانت مدام (مالكين) مشتتة طوال الوقت الذى كانت تعدل فيه ملابس (رون) و(هارى) الجديدة وحاولت أن تبيع لـ(هرميون) ثوب ساحر بدلاً من ثوب ساحرة.

وعندما انحنت لهم فى النهاية وهم يغادرون المتجر كان من الواضح أنها سعيدة بالتخلص منهم أخيرًا.

وما إن وصلوا إلى جانب (هاجريد) حتى سألهم بإشراق: «هل اشتريتم كل ما تريدون؟»».

قال (هارى): «تقريبًا، هل شاهدت آل (مالفوى)؟».

قال (هاجريد) بلا اهتمام: «أجل، ولكنهم لا يجرءون على افتعال أى مشاكل فى وسط حارة (دياجون)، لا تقلق بخصوصهم يا (هارى)».

تبادل (هارى) و(رون) و(هرميون) النظرات ولكن قبل أن يصححوا لـ(هاجريد) اعتقاده الخطأ ظهر السيد والسيدة (ويسلى) ومعهما (جينى) وهم يحملون رزمًا ثقيلة من الكتب.

قالت السيدة (ويسلى). «هل الجميع على ما يرام؟ واشتريتم الأثواب التى تحتاجونها؟ حسنًا إذن يمكننا أن نمر فى طريقنا إلى متجر (فريد) و(جورج) ومتجر العطارة و(الأيلويس) ـ ابقوا معًا، الآن...».

لم يشترِ (هارى) و(رون) أىّ مكونات من متجر العطارة، بما أنهما لن يدرسا مادة الوصفات السحرية بعد الآن، ولكنَّ كليهما اشترى أقفاصًا كبيرة لـ(هيدويج) و(بيجوديجين) من سوق (أيلويس) للبوم. وكانت السيدة (ويسلى) تنظر إلى ساعتها كل دقيقة أو اثنتين، وأخيرًا اتجهوا إلى أعلى الشارع باحثين عن (ويسلى ويزرد ويزيس)، متجر المقالب الذى يديره (فريد) و(جورج).

قالت السيدة (ويسلى). «ليس لدينا الكثير من الوقت؛ لذلك فسوف نلقى نظرة سريعة على المكان ثم نعود إلى السيارة. ويجب أن نبقى قريبين من بعضنا البعض. هذا رقم ٩٢ ... ٩٤ ...».

قال (رون) وقد توقف فجأة: «أوه ه ه!».

فمقارنة بالمحال الكئيبة التى تغطيها الملصقات من حولهم، كانت فاترينة عرض (فريد) و(جورج) تخطف البصر مثل الألعاب النارية. فكان الذين يمرون مصادفة أمام المتجر، يعودون للنظر من فوق أكتافهم على الفاترينات وكان هناك القليل من الأشخاص الذين يبدو عليهم الاندهاش قد توقفوا ليتأملوها. كانت «الفاترينة» التى على اليسار مصممة بطريقة مبهرة، وتضم بضائع تدور وتفرقع وتومض وتقفز وتصرخ، حتى أن عينى (هارى) قد دمعتا من مجرد النظر إليها، أما «الفاترينة» التى على اليمين فكانت مغطاة بملصق ضخم لونه بنفسجى مثل ملصقات الوزارة ولكنه مزين بحروف صفراء وامضة.

لماذا تقلق بخصوص (أنت تعرف من)؟

يجب أن تكون قلقًا

على أنت تعرف...

حالة من الإمساك تمغص الأمة

بدأ (هارى) يضحك وسمع صوتًا بدا مثل أنين مكتوم بجواره، ونظر حوله ليجد السيدة (ويسلى) تحدق فى الملصق وهى مصعوقة بينما شفتاها تتحركان وتنطقان (أنت تعرف...) بصمت.

ثم همست: «سيقتلون فى أسرتهم!».

قال (رون) الذى كان يضحك مثل (هارى): «لا، لن يحدث هذا. هذا فى منتهى البراعة!».

ثم سلك هو و(هارى) الطريق إلى داخل المتجر الذى كان مزدحمًا بالرواد لدرجة أن (هارى) لم يستطع الاقتراب من الأرفف وأخذ يحدق فيما حوله ناظرًا إلى الصناديق المكدسة حتى السقف. كانت هناك (حلوى التزويغ) التى برع فيها التوءم خلال عامهما الأخير غير المكتمل بـ(هوجوورتس)، ولاحظ (هارى) أن (نوبة نزيف الأنف) هى الأكثر شعبية.

حيث لم يبق منها سوى صندوق واحد فقط مهشّم على الرف، وكانت هناك علب ممتلئة بعصى سحرية مقلدة، أرخصها يتحول إلى دجاج مطاطى أو إلى سراويل عندما يلوح بها، وأغلاها يضرب مستخدمها الغافل على الرأس والرقبة، وكان هناك أيضًا صناديق ممتلئة بريش الكتابة الذى يملأ نفسه بالحبر أو يصحح أخطاء الهجاء ومختلف أنواع ريش الإجابات الذكية، ظهرت فسحة بين حشد من الناس، فاندفع (هارى) فى طريقه نحو النضد حيث كانت هناك جماعة من الأطفال، أعمارهم فى حوالى العاشرة تراقب بسعادة رجلاً خشبيًا صغيرًا جدًا يصعد ببطء على سلالم نحو مجموعة من المشانق الصغيرة وكل منها مثبت فوق صندوق مكتوب عليه: *القرصان الذى يشنق أكثر من مرة ـ انطق التعويذة وإلا سوف يتأرجح على المشنقة!*

قالت (هرميون): «أحلام اليقظة السحرية المرخصة».

ثم انحشرت وسط الزحام متجهة نحو «فاترينة» كبيرة بالقرب من النضد وبدأت تقرأ التعليمات التى خلف صندوق يحمل صورة ملونة زاهية لشاب وسيم وفتاة يبدو عليها النشوة يقفان فوق ظهر سفينة قراصنة.

تعويذة صغيرة واحدة تدخلك إلى ثلاثين دقيقة من أحلام يقظة ذات نوعية ممتازة لن تفصلها عن الحقيقة، من السهل أن تقوم بها أثناء حصص المدرسة العادية ولا يمكن اكتشافها فعليًا (الآثار الجانبية تتضمن تعبيرًا من الخواء يظهر على الوجه وبعض الجريان البسيط فى اللعاب)، لا تباع لمن هم دون السادسة عشرة. قالت (هرميون) ناظرة إلى (هارى): «هذا سحر استثنائى حقًا».

قال صوت من خلفهم: «يمكنك الحصول على واحدة مجانًا بسبب ما قلتِه يا (هرميون)».

وقف أمامهم (فريد) وهو يبتسم، مرتديًا طقمًا لونه «فوشيا» يتناسب بشكل رائع مع شعره المتوهج.

وقال: «كيف حالك يا (هارى)؟» وتصافحا وأضاف: «ما الذى حدث إلى عينيك يا (هرميون)؟».

قالت بحزن: «تلسكوبكم اللاكم».

قال (فريد): «آه، حقًا، لقد نسيت أمرهما، خذى هذا».

وسحب علبة صغيرة من جيبه وسلمها لها، فأدارت (هرميون) غطاءها بحذر شديد ليظهر بها مرهم أصفر ثقيل القوام.

قال (فريد): «ادهنيهما فقط، وسوف تختفى هذه الكدمة خلال ساعة، كان علينا أن نجد مزيلاً جيدًا للكدمات؛ لأننا نجرب معظم منتجاتنا على أنفسنا أولاً».

بدت (هرميون) عصبية وهى تقول: «هل هو آمن؟».

قـال (فريد) مشجعًا: «بـالطبع، آمن، هيا يا (هـارى)؛ لأريك المكان».

ترك (هـارى) (هرميون) تدهن عينيهـا السوداوين بـالمرهم وتبع (فريد) فـى اتجاه الجزء الخلفـى مـن المتـجـر، حـيث رأى قـائـمًـا عـلـيـه أوراق كوتشينة وحبـال خداعية.

قال (فريد) بسعادة وهو يشير إليهما: «خدع سحرية خاصة بـالعامة لغريبى الأطوار ـ مثل أبى ـ الذين يحبون أشياء العامة. ليس عليهم طلب كثير، ولكننـا نفضل أن نقوم بـتـجـارتـنـا بـثـبـات مـعـتـدل، إنـهـا أشـيـاء جديدة... آه، هـا هو (جورج)...».

صافح توءم (فريد) (هـارى) بحرارة.

وقـال: «هل تريه المكان؟ تعال إلى الجزء الخلفى يا (هـارى)، حيث نجنى الأربـاح الحقيقية»، ثم أضـاف محذرًا لولد صغير: «*ضع أيًا منها فى جيبك وسوف تندم! (سوف تدفع ما هو أكثر من الجالونات!)*».

فسحب الولد يده بسرعـة من علبـة مكتوب عليـهـا (علامـات ظلام صالحة للأكل.. من يأكلها يصاب بـالمرض).

دفع (جورج) الستائر الموجودة بجوار خدع العامة ورأى (هـارى) غرفًا أكثر ظلمة وأقل زحامًا وكان تغليف المنتجات التى تملأ هذه الرفوف أقل إبهارًا.

قال (فريد): «لقد أنشأنا هذا الخط من الإنتاج الأكثر جدية منذ وقت قريب، شىء غريب!.. كيف حدث هذا...؟».

قال (جورج): «لن تصدق عدد النـاس، بمن فيهم بعض الذين يعملون فـى الوزارة، الذين لا يستطيعون تـأديـة تعويذة درع بشكل صـحيح، بـالطبع، لم يجدوا شخصًا مثلك ليعلمهم إياهـا يا (هـارى)».

ثم أكمل: «هذا حقيقى... حسنًا، لقد اعتقدنا أن قبعات الدرع سوف تكون مضحكة إلى حد مـا، أتعرف، تحدَّ زميلك أن يقوم بإلقاء أى تعاويذ عليك وأنت ترتديها وراقب وجهه عندما ترتد عنك ولا تؤذيك، ولكن الوزارة

اشترت خمسمائة منها لكل العاملين المساعدين! ومازلنا نتلقى كمًّا هائلاً من الطلبات؛ولذلك فنحن نتوسع وبدأنا ننتج عباءات وقفازات الدرع...».

وأكمل (جورج) الحديث بحماس: «... أعنى أنهم لن يوفروا الكثير من الحماية ضد التعاويذ التى لا تغتفر، ولكنها ستحمى من التعاويذ البسيطة والمتوسطة. وعندها قررنا أن ندخل فى مجال الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود؛ لأنه يدر مالاً كثيرًا. هذا رائع، انظر، مسحوق الظلام الفورى، الذى نقوم باستيراده من (بيرو) ملائم للاستعمال فى حالات الرغبة فى الهروب السريع».

قال (فريد): «وهناك أيضًا المفجر الخداعى الذى بدأ ينفد من فوق الرفوف انظر، وأشار إلى مجموعة من الأجسام السوداء غريبة الشكل التى تشبه البوق والمتعلقة بالتأكيد بالفرار بعيدًا عن المكان»، وأضاف: «فقط، أسقط واحدة منها خلسة وسوف تبدأ بالعمل مصدرة صوتًا عاليًا لطيفًا متواريًا عن الأنظار، مما يشتت انتباه من حولك إذا احتجت إلى ذلك».

قال (هارى) معجبًا بالفكرة: «قد يكون مفيدًا لى».

قال (جورج) وهو يلتقط اثنتين ويرمى بهما إلى (هارى): «خذ».

أدخلت ساحرة شابة رأسها عبر الستائر، كانت ذات شعر أشقر قصير وترتدى الزى «الفوشيا» المميز للعاملين بالمتجر.

وقالت: «هناك عميل يبحث عن غلاية خادعة يا سيد (ويسلى)».

(هارى) وجد الأمر عجيبًا أن يدعو أحد (فريد) و(جورج) سيد (ويسلى)، ولكنهما استقبلا الكلمة بشكل طبيعى.

قال (جورج): «سأحضر حالاً يا (فيرتى)، خذ ما يعجبك يا (هارى) حسنًا! بلا مقابل».

ولكن (هارى) كان بالفعل قد سحب كيس نقوده لدفع ثمن المفجر الخداعى.

قال (فريد) بعزم: «إنك لن تدفع هنا، وهو يُبعد ذهب (هارى)».

(هارى): «ولكن».

قال (جورج): «لقد أعطيتنا القرض الذى بدأنا به مشروعنا. إننا لم ننس هذا، خذ ما تريده ولكن تذكر فقط أن تخبر الناس من أين حصلت عليه إذا سألوك».

خرج (جورج) بسرعة عبر الستائر؛ ليساعد الزبائن، وقاد (فريد) (هارى) عائدًا إلى الجزء الرئيسى من المتجر ليجدا (هرميون) و(جينى) مازالتا تتأملان أحلام اليقظة السحرية المرخصة.

قال (فريد): «ألم تريا يا فتيات منتجاتنا الرائعة المخصصة للساحرات بعد، اتبعانى لأريكما إياها».

وبالقرب من فاترينة العرض، كان هناك عدد كبير من المنتجات ذات اللون الوردى الصارخ وكانت هناك حولها مجموعة من الفتيات يضحكن فى حماس وقد بدت عليهن الإثارة. وترددت (هرميون) و(جينى) وقد بدا عليهما الحذر.

قال (فريد) بفخر: «ها هو ذا، أفضل مجموعة من وصفات الحب السحرية لا يمكن أن تجدوها فى أى مكان».

رفعت (جينى) أحد حاجبيها بشك وسألت: «هل تعمل حقًا؟».

(فريد): «بالتأكيد تعمل، لمدة ٢٤ ساعة فى كل مرة، حسب وزن الولد الذى سيتناولها».

قال (جورج) الذى ظهر فجأة بجوارهم: «وحسب جاذبية الفتاة»، ثم أضاف وقد ظهرت عليه الجدية: «ولكننا لن نبيعها لأختنا، ليس عندما يكون لديها خمسة من المعجبين دفعة واحدة كما...».

قالت (جينى) بثبات: «مهما كان ما سمعتموه من (رون)، فهو كذبة كبيرة» ثم انحنت لتلتقط وعاءً صغيرًا ورديًا من فوق أحد الرفوف، ثم قالت: «ما هذا؟».

قال (فريد): «مزيل بثور الوجه خلال عشر ثوان، وهو مضمون، إنه ممتاز ومناسب لكل مشاكل البشرة بداية من البثور وحتى الرءوس السوداء، ولكن لا تغيرى الموضوع. هل تواعدين ولدًا يدعى (دين توماس) فى الوقت الحالى؟».

قالت (جينى): «نعم، أفعل، ولكن آخر مرة رأيته، كان بالتأكيد ولدًا واحدًا وليس خمسة.. ما هذه الأشياء؟».

كانت تشير إلى عدد من الكرات المغطاة بزغب منفوش وذات ألوان متدرجة من اللون الوردى إلى اللون البنفسجى، التى تتدحرج حول قاع أحد الأقفاص وتصدر صوت صرير عاليًا مجلجلاً.

قال (جورج). «(بدارات قزمة)، ولكنها مازالت لفائف صغيرة جدًا، فنحن لا نستطيع جعلها تتوالد وتنمو بسرعة كافية لتوازى الطلب عليها، ماذا عن (مايكل كورنر)؟».

قالت (جينى). «لقد تركته، لم تكن لديه روح رياضية»، ثم وضعت إصبعها من خلال قضبان القفص وأخذت تراقب البدارات الصغيرة وهى تتسلقه وقالت. «إنها فى منتهى الظرف».

قال (فريد) موافقًا: «نعم، إنها مخلوقات جذابة إلى حد كبير، ولكن ألا ترين أنك تنتقلين من صديق لآخر بسرعة إلى حد ما؟».

لفت (جينى) لتنظر إليه ويدها على أردافها، كانت نظرتها تشبه نظرة السيدة (ويسلى) فى توهجها، حتى أن (هارى) كان مندهشًا أن (فريد) لم يتراجع أمامها.

وقالت: «ليس هذا من شأنك»، ثم أضافت وهى تنظر بغضب إلى (رون) الذى ظهر بجوار كوع (جورج): «أرجو أن تتوقف عن رواية القصص عنى إلى هذين الاثنين!».

قال (فريد) وهو يفحص الصناديق الكثيرة التى يحملها (رون) بين ذراعيه: «ثمنها ثلاثة جالونات وتسعة سيكلسات ونوت واحد، ادفع».

(رون): «ولكننى ليس معى ثلاثة جالونات وتسع سيكلسات!».

(فريد): «إذن، فلترجع كل شىء، ولو سمحت ضعها فى أماكنها الصحيحة على الرفوف».

أوقع (رون) العديد من الصناديق، وأخذ يسب وأشار بيده إشارة وقحة إلى (فريد) ولكن لسوء حظه، فقد شاهدته السيدة (ويسلى) التى اختارت هذه اللحظة لتظهر فيها.

وقالت بعنف: «إذا رأيتك تفعل هذا مرة أخرى، فسوف أرميك بتعويذة تلصق أصابعك معًا».

قالت (جينى) فورًا: «أمى، هل أستطيع أن أحصل على بدارة قزمة؟».

قالت السيدة (ويسلى)؛ بحذر: «ماذا؟».

(جينى): «انظرى، إنها لطيفة جدًّا...».

فتحركت السيدة (ويسلى)؛ لتلقى نظرة على البدارات القزمة، وفى نفس اللحظة شاهد (هارى) و(رون) و(هرميون) فى الخارج أمام الفاترينة (دراكو مالفوى) وهو يسرع إلى آخر الشارع وحده وعندما مر أمام متجر (ويسلى ويزرد ويزيس)، نظر من فوق كتفيه، ثم تحرك بعد ثوان بعيدًا عن «الفاترينة» مختفيًا عن نظرهم.

قال (هارى) متجهمًا: «أتسأل أين ذهبت أمه؟».

قال (رون): «يبدو أنه تسلل بدون علمها».

قالت (هرميون): «ولماذا؟».

لم يقل (هارى) شيئًا، بل كان يفكر بشدة فى: لم تكن (ناركيسا مالفوى) لتترك ابنها الغالى يغيب عن نظرها برغبتها، يجب أن يكون (دراكو) قد بذل كل ما بوسعه؛ ليتحرر منها ولأن (هارى) يعرف ويكره (دراكو)، فقد كان متأكدًا أن السبب لا يمكن أن يكون بريئًا.

نظر حوله، فوجد السيدة (ويسلى) و(جينى) منحنيتين فوق (البدارات القزمة) وكان السيد (ويسلى) يفحص بسرور مجموعة من أوراق اللعب المعلمة الخاصة بالعامة، وكان كل من (فريد) و(جورج) يساعدان العملاء وعلى الجانب الآخر من الزجاج، كان (هاجريد) واقفًا وظهره لهما، وهو ينظر إلى كلا اتجاهى الشارع.

قال (هارى) بسرعة وهو يجذب عباءة الإخفاء من كيسه: «ادخلا تحتها بسرعة».

قالت (هرميون) وهى تنظر بتردد ناحية السيدة (ويسلى): «أوه، لا أعرف يا (هارى)».

قال (رون): «هيا».

ترددت لمدة ثانية، ثم انحنت داخلة تحت العباءة مع (هارى) و(رون). ولم يلاحظ أحد أنهم قد اختفوا؛ فقد كانوا جميعًا فى غاية الاهتمام بمنتجات (فريد) و(جورج). تحرك (هارى) و(رون) و(هرميون) شاقين طريقهم إلى الباب بأسرع ما يمكنهم، ولكن فى اللحظة التى وصلوا فيها إلى الشارع، لم يكن هناك أثر لـ(دراكو) الذى اختفى كما اختفوا هم تمامًا.

غمغم (هارى) بصوت منخفض قدر الإمكان؛ حتى لا يسمعه (هاجريد) الذى كان يهمهم: «لقد كان ذاهبًا فى هذا الاتجاه، هيا بنا».

أخذوا يَعْدُونَ وهم ينظرون يمينًا ويسارًا إلى الفاترينات وأبواب المتاجر، حتى أشارت (هرميون) إلى الأمام.

وهمست: «هذا هو، هناك الذى ينعطف ناحية اليسار».

همس (رون): «مفاجأة كبيرة» حينما رأى (دراكو) ينظر حوله، قبل أن يتسلل إلى حارة (نكتورن) مبتعدًا عن مجال نظرهم.

قال (هارى) وهو يسرع: «بسرعة، وإلا سنفقده».

قالت (هرميون) بقلق: «أقدامنا سوف تظهر» عندما رفرفت العباءة حول كواحلهم؛ فقد كان من الصعب إخفاء ثلاثتهم تحتها هذه الأيام.

قال (هارى) وقد نفد صبره: «لا يهم، فقط أسرعوا!».

ولكن حارة (نكتورن)، وهو الشارع الجانبى المخصص للسحر الأسود، بدت خالية تمامًا. ثم أخذوا ينظرون عبر الفاترينات وهم يمرون أمام المتاجر ولكنها بدت خالية من الزبائن، وافترض (هارى) أن شراء

الأشياء المتعلقة بالسحر الأسود فى هذه الأيام الخطيرة والممتلئة بالشكوك قد يثير الاشتباه، أو على الأقل إذا شوهدوا وهم يشترونها.

لكزته (هرميون) بقوة.

(هارى): «آى».

ثم همست فى أذن (هارى): «ششش! انظر، إنه هناك».

كانوا قد وصلوا إلى المتجر الوحيد فى حارة (نكتورن) الذى زاره (هارى) من قبل وهو (بورجين وبوركيس)، الذى يبيع مجموعة مختلفة من الأشياء المشئومة، ورأى (دراكو مالفوى) واقفًا بين الصناديق المليئة بالجماجم والزجاجات القديمة وظهره لهم، ظاهرًا خلف الخزانة السوداء الكبيرة التى اختبأ (هارى) بها مرة؛ ليتجنب (دراكو) ووالده. وبالنظر إلى حركة يد (دراكو) أدركوا أنه يتحدث بحماس. وكان صاحب المتجر السيد (بورجين) الأحدب ذو الشعر المشع بالزيت يقف مواجهًا له. وكان تعبير وجهه غريبًا فقد كان خليطًا من الاستياء والخوف.

قالت (هرميون): «لو أن باستطاعتنا أن نسمع ما يقولانه!».

قال (رون) بحماس: «نستطيع، انتظرا... اللعنة...».

أسقط صندوقين آخرين من الصناديق التى كان مازال يحملها وهو يتحسس باحثًا عن أكبرها.

وقال: «آذان قابلة للمد، انظرا!».

قالت (هرميون): «رائع» وحل (رون) الحبال التى فى لون الجلد البشرى ويدأ فى توجيههم فى اتجاه أسفل الباب وقال: «أرجو ألا يكون الباب مانعًا للصوت».

وأضاف بمرح: «لا! استمعا!».

وضعوا رءوسهم معًا ليستمعوا إلى الحديث الصادر عن الآذان القابلة للمد، وسمعوا صوت (دراكو) واضحًا ومرتفعًا كأن هناك مذياعًا يعمل. «... تعرف كيف تصلحه؟».

قال (بورجين) بنبرة صوت تعكس عدم رغبته فى إلزام نفسه: «من المحتمل، ولكننى أحتاج إلى رؤيته، مع هذا لماذا لا تجلبه إلى المتجر؟».

قال (دراكو): «لا أستطيع، يجب أن يبقى فى مكانه. كل ما أحتاجه هو أن تخبرنى كيف أفعل هذا».

رأى (هارى) (بورجين) وهو يلعق شفتيه بعصبية. وقال: «حسنًا، بدون رؤيته، يجب أن أقول أن هذا سيكون عملاً صعبًا إن لم يكن مستحيلاً. لا أستطيع أن أضمن أى شىء».

قال (دراكو): «لا» وعرف (هارى) من لهجته أنه يتهكم ثم أضاف: «ربما هذا سيجعلك أكثر ثقة».

واقترب من (بورجين) ومنعت الخزانة رؤيته. فتحرك (هارى) و(رون) و(هرميون) إلى الجنب محاولين أن يروه ولكنهم لم يروا سوى (بورجين) وهو يبدو خائفًا جدًا.

قال (دراكو): «لو أخبرت أى شخص، فسوف تنال عقوبتك. أتعرف (فينر جراى باك)؟ إنه صديق للعائلة، سوف يحضر إليك من وقت لآخر؛ ليتأكد أنك تعطى الاهتمام الكامل للموضوع».

(بورجين): «لن يكون هناك داع...».

قال (دراكو): «أنا الذى يحدد هذا، حسنًا، سوف أذهب الآن، ولا تنس المحافظة على هذا بأمان، فسوف أحتاج إليه».

(بورجين): «ربما تريد أن تأخذه معك الآن».

(دراكو): «لا بالطبع أيها الأحمق، كيف سأبدو وأنا أحمل هذا فى الشارع؟ فقط لا تبعه».

(بورجين): «بالطبع يا سيدى».

وانحنى (بورجين) بنفس الطريقة التى رآه (هارى) يومًا ينحنى بها لـ(لوكيوس مالفوى).

(دراكو): «أحذرك أن تقول أى كلمة لأى أحد، بمن فى ذلك أمى».

غمغم (بورجين) وهو ينحنى ثانية: «بالطبع، بالطبع».

وبعد لحظة، جلجل الجرس المعلق على الباب مدويًا، بينما كان (دراكو) يخرج من المتجر وهو يبدو سعيدًا بنفسه ومر قريبًا جدًا من (هاري) و(رون) و(هرميون) حتى أنهم أحسوا بالعباءة ترفرف حول ركبهم مرة أخرى. وداخل المتجر سكن (بورجين) متجمدًا وقد تلاشت ابتسامته المتملقة وبدا عليه القلق.

همس (رون): «عن ماذا كانوا يتحدثون؟» وهو يطوى الآذان القابلة للمد.

قال (هارى) وهو يفكر بعمق: «لا أعرف، إنه يريد إصلاح شيء ويريد أن يحتفظ (بورجين) له بشيء هناك... هل يمكنك أن ترى ما الذى أشار إليه عندما قال هذا الشيء؟».

(رون): «لا، فقد كان خلف تلك الخزانة».

همست (هرميون): «أنتما الاثنان ابقيا هنا».

«ما الذى...؟».

ولكن (هرميون) كانت قد تملصت من تحت العباءة وراحت تسوى شعرها فى صورتها المنعكسة على الزجاج ثم سارت إلى داخل المتجر الذى جلجل جرس بابه مرة أخرى مع دخولها، وبسرعة فرد (رون) الأذن القابلة للمد مرة أخرى من أسفل الباب وأعطى أحد الخيوط إلى (هارى).

قالت (هرميون) لـ(بورجين) بإشراق: «مرحبًا، صباح فظيع، أليس كذلك؟».

ولكنه لم يرد ورماها بنظرة ارتياب وبدأت (هرميون) تتجول عبر فوضى الأشياء وهى تدندن بابتهاج.

ثم سألت وهى تتوقف أمام الواجهة الزجاجية لأحد الصناديق: «هل هذا العقد للبيع؟».

قال (بورجين) ببرود: «هذا إذا كان معك ألف وخمسمائة جالون».

قالت (هرميون): «أوه... آه... لا، ليس معى هذا القدر من المال».

وتحركت إلى الأمام ثم قالت: «وماذا... عن هذه الـ... أمم... الجمجمة الجميلة؟».

(بورجين): «ستة عشر جالونًا».
(هرميون): «إنها للبيع إذن، ولا يتم الاحتفاظ بها لأى شخص».
نظر إليها (بورجين) شزرًا. تملك (هارى) شعور بأنه يعرف ما الذى ترمى إليه (هرميون) بالضبط ومن الواضح أن (هرميون) شعرت أنها كشفت عن نيتها أيضًا؛ لأنها قررت فجأة أن تضرب بالحذر عرض الحائط.
فقالت: «الموضوع هو... أن الولد الذى كان هنا لتوه، (دراكو مالفوى)، هو أحد أصدقائى، وأنا أريد أن أشترى له هدية لعيد ميلاده، ولكن إذا كان قد حجز أى شىء، فبالطبع لا أريد أن أشترى له نفس الشىء؛ ولذلك... أنا...».
اعتقد (هارى) أن قصتها لم تكن محبوكة بالقدر الكافى ومن الواضح أن (بورجين) قد ظن نفس الشىء؛
لأنه قال بحدة: «إلى الخارج، أخرجى من هنا فورًا!».
لم تنتظر (هرميون) أن تسمع ذلك مرة أخرى ولكنها أسرعت إلى الباب و(بورجين) فى أعقابها وبينما أخذ الجرس يجلجل مرة أخرى صفق (بورجين) الباب وراءها بعنف ووضع لافتة مكتوبًا عليها: مغلق.
قال (رون) وهو يلقى العباءة فوق (هرميون) مجددًا: «آه، حسنًا، محاولة جيدة، ولكن نواياكِ كانت مكشوفة إلى حد ما».
سخرت منه (هرميون) قائلة: «حسنًا، المرة القادمة، تستطيع أن ترينى كيف تكون الحيلة يا أستاذ الأساتذة».
وظل (رون) و(هرميون) يتشاجران طوال الطريق وهم عائدون إلى متجر (ويسلى ويزرد ويزيس)؛ حيث كانوا مجبرين على التوقف؛ حتى يستطيعوا المراوغة بدون أن ينكشفوا أمام السيدة (ويسلى) و(هاجريد) اللذين ينم مظهرهما عن غاية القلق واللهفة، ومن الواضح أنهما لاحظا غيابهم، وما أن دخلوا إلى المتجر حتى خلع (هارى) عباءة الإخفاء وأخفاها فى حقيبته وانضم إلى (رون) و(هرميون) وهم يصرون أمام اتهامات السيدة (ويسلى) على أنهم كانوا فى الغرفة الخلفية طوال الوقت وأنها هى التى لم تبحث عنهم جيدًا.

٧ نـــادى سلوج

قضى (هارى) معظم الأسبوع الأخير من إجازته يفكر مليًا فى مغزى تصرف (دراكو مالفوى) فى حارة (نكتورن) وكان أكثر ما يقلقه هو نظرة الرضا على وجه (دراكو) وهو يترك المتجر، فهو يعرف أن أى شىء يسعد (دراكو) إلى هذا الحد لا يمكن أن يكون خيرًا أبدًا. ولم يبد (رون) و(هرميون) نفس القدر من الفضول عن أنشطة (دراكو) أو على الأقل أصبحا يشعران بالملل من مناقشة الأمر بعد بضعة أيام، مما أصابه بالضيق إلى حد ما.

قالت (هرميون) وقد نفد صبرها قليلاً: «أجل، لقد سبق واتفقت معك أن الأمر يدعو للشك يا هارى» وكانت تجلس على إفريز النافذة فى حجرة (فريد) و(جورج) وقدماها فوق أحد الصناديق الكرتونية وكانت ترفع عينيها عن كتاب ترجمة الكتابات القديمة على مضض: «ولكن ألم نتفق على أن هناك الكثير من التفسيرات؟».

قال (رون) بغموض وهو مشغول بمحاولة تقويم الاعوجاج الموجود فى ذيل مكنسته السحرية: «ربما كسر يد المجد تلك اليد المجعدة التى يملكها (دراكو)».

كرر (هارى) السؤال الذى سأله كثيرًا من قبل: «ولكن ما الشىء الذى كان يعنيه عندما قال: «ولا تنس أن تحافظ على هذه سالمة؟»».

ثم أكمل (هارى). «يبدو الأمر بالنسبة لى كأن (بورجين) لديه واحدة أخرى من الشىء المكسور وأن (دراكو) يريدهما معًا».

قال (رون) وهو الآن يحاول كشط بعض القذارة من على مقبض مكنسته: «هل تعتقد هذا؟».

قال (هاري): «نعم، بالفعل» وعندما لم يُجب كل من (رون) و(هرميون). قال: «والد (دراكو) في (أزكابان) ألا تعتقدان أن (دراكو) قد يفكر في الانتقام؟».

رفع (رون) نظره وعيناه تطرفان. وقال: «(دراكو)، ينتقم، وما الذي يمكنه أن يفعله؟».

قال (هاري) محبطًا: «لا أعرف، وهذا ما يقلقني، ولكنه ينوي على شيء، وأعتقد أننا يجب أن نأخذه بجدية؛ فأبوه هو أحد (آكلي الموت) و...».

توقف (هاري) فجأة عن الكلام وعيناه مثبتتان على الشباك خلف (هرميون) وفمه مفتوح، فلقد خطر بباله شيء مروع فجأة.

قالت (هرميون) بصوت قلق: «(هاري)! ماذا دهاك؟».

سأل (رون) بعصبية: «هل تؤلمك ندبتك من جديد؟».

قال (هاري) بهدوء: «إنه أحد (آكلي الموت)، لقد حل محل أبيه وأصبح أحد (آكلي الموت)».

ساد الصمت لبعض الوقت ثم انفجر (رون) في الضحك. وقال: «(دراكو)؟ إنه مازال في السادسة عشرة يا (هاري)! هل تعتقد أن (أنت تعرف من) سيسمح لـ(دراكو) بالانضمام لـ(آكلي الموت)؟».

قالت (هرميون) بصوت زاجر نوعًا ما: «ولكن هذا مستبعد يا (هاري)، ما الذي يجعلك تفكر...؟».

(هاري): «عندما كنا في متجر مدام (مالكين) لم تلمسه، ولكنه أخذ يصيح بها وجذب ذراعه بعيدًا عنها عندما أرادت أن تثني له كمه وكانت هذه يده اليسرى.. فلقد دمغ بعلامة الظلام».

نظر (رون) و(هرميون) لبعضهم بعضًا.

قال (رون) وقد نمّ صوته عن عدم اقتناع: «حسنًا...».

قالت (هرميون): «أعتقد أنه أراد أن يخرج من المكان فقط».

قال (هارى) وقد أصر على رأيه بعناد: «لقد أظهر لـ(بورجين) شيئًا لم نستطع رؤيته. شيئًا أرعب (بورجين) بشدة. إنها العلامة، أنا متأكد، لقد كان يريد أن يعرف (بورجين) من الذى يتعامل معه، لقد رأيتم كيف أخذه (بورجين) على محمل الجد!».

تبادل (رون) و(هرميون) نظرة أخرى.

«أنا لست متأكدة من هذا يا (هارى)».

«نعم، ومازلت لا أصدق أن (أنت تعرف من) سيسمح لـ(دراكو) بدخول المنظمة».

كان (هارى) منزعجًا، ولكنه كان مقتنعًا تمامًا بأنه على حق، فالتقط كومة من ملابس (الكويدتش) المتسخة وترك الغرفة.

لقد كانت السيدة (ويسلى) تلح عليهم منذ أيام ألا يتركوا غسل ملابسهم وحزم أمتعتهم لآخر لحظة. وأثناء نزوله صادف (جينى) التى كانت عائدة إلى غرفتها وهى تحمل كومة من الملابس المغسولة.

حذرته قائلة: «لم أكن لأذهب إلى المطبخ فى هذه اللحظة، فهناك الكثير من المخاط فى المكان».

قال (هارى) مبتسمًا: «سآخذ حذرى ألاً أنزلق فيه».

وعندما دخل المطبخ، وجد (فلور) جالسة إلى مائدة المطبخ بالفعل وكانت تتحدث بسرعة عن خطط حفل زفافها إلى (بيل)، بينما السيدة (ويسلى) مستمرة فى مراقبة كومة من الخضار وهى تقشر نفسها وقد بدا عليها الغضب.

«... أنا و(بيل) تكريبًا كررنا أن نكتفى بإشبينتين للعروس فكط، (جينى) و(جابريل) ستبدوان فاتنتين معًا، وأنا أفكر فى أن يلبسا اللون الذهبى الشاحب، فاللون الوردى سيكون فظيعًا على (جينى)».

قالت السيدة (ويسلى) بصوت عالٍ وهى تقطع حديث (فلور) المنفرد: «آه، (هارى)، جيد، لقد أردت أن أشرح لك الترتيبات الأمنية لرحلة

(هوجوورتس) غدًا. سوف نحصل على سيارة الوزارة مرة أخرى، وستكون هناك فرقة من المدافعين ضد السحر الأسود منتظرة فى المحطة».

قال (هارى) وهو يناولها الملابس الخاصة بـ(الكويدتش): «وهل ستكون (تونكس) هناك؟».

السيدة (ويسلى): «لا، لا أعتقد هذا، فقد تم إرسالها إلى موقع آخر كما فهمت من (آرثر)».

قالت (فلور): «لقد نكلت نفسها، تلك (تونكس)»، وأخذت تتفحص انعكاسها الفاتن على ظهر إحدى الملاعق. وأضافت: «خطأ كبير إذا سألت...».

قالت السيدة (ويسلى) بحدة مقاطعة أفكار (فلور) هذه المرة: «نعم، شكرًا لكِ، من الأفضل أن تصعد يا (هارى)، أريد أن تكون هذه الحقائب جاهزة الليلة، لو أمكن، حتى لا يحدث زحام فى آخر لحظة كالمعتاد».

ولكن رحيلهم فى اليوم التالى كان أيسر من المعتاد، حيث انزلقت سيارات الوزارة أمام الباب الأمامى للجحر لتجدهم منتظرين، وقد تم غلق الحقائب ووضع (كروكشانكس) قط (هرميون) بأمان داخل سلة السفر الخاصة به، كما تم وضع (هيدويج) و(بيجوديجين) بومة (رون) و(أرنولد) (البيجمى باف) البنفسجى الجديد الخاص بـ(جينى) فى أقفاصها.

قالت (فلور) بصوتها المبحوح: «مع السلامة يا (أرى) وقبلته مودعة».

أسرع (رون) بالتقدم وهو يبدو متطلعًا، ولكن (جينى) وضعت قدمها فى طريقه فوقع، وانبطح فى التراب عند أقدام (فلور).

أسرع (رون) إلى السيارة وهو غاضب محمر الوجه مُتَّسخ ولم يودع أحدًا.

وبدلاً من (هاجريد) المرح، كان بانتظارهم فى محطة (كينج كروس) اثنان من المدافعين ضد السحر الأسود متجهمين، ذوى لحى ويرتديان بدلاً سوداء خاصة بالعامة، ثم بدءوا التحرك إلى الأمام فى اللحظة التى توقفت فيها السيارات، ومشوا معهم إلى داخل المحطة دون كلام.

قالت السيدة (ويسلى) التى بدت متوترة قليلاً بسبب الجدية الزائدة للمدافعين: «بسرعة، بسرعة، اعبروا الحاجز».

وأضافت: «من الأفضل أن يذهب (هارى) أولاً مع...».

ثم نظرت متسائلة إلى أحد المدافعين الذى أومأ برأسه باختصار ثم أمسك بذراع (هارى) وحاول دفعه للسير فى اتجاه الحاجز بين الرصيفين ٩ و ١٠.

قال (هارى) بانفعال: «يمكننى المشى، شكرًا».

وانتزع ذراعه من قبضة المدافع ودفع الحامل المتحرك مباشرة إلى الحاجز الصلب، متجاهلاً مرافقه الصامت ووجد نفسه بعد لحظة واقفًا على رصيف ٩ ٣/٤ حيث يقف قطار (هوجوورتس) السريع نافثًا البخار إلى الرصيف المزدحم ولحق به آل (ويسلى) و(هرميون) فى ثوان.

بدون انتظار مشاورة المدافع ذى الوجه المتجهم، أشار (هارى) لـ(رون) و(هرميون) حتى يتبعاه إلى أعلى الرصيف ليبحثوا عن مقصورة خالية.

قالت (هرميون) وهى تنظر إليه نظرة اعتذار: «لا نستطيع يا (هارى) أنا و(رون) يجب أن نذهب إلى مقصورة رواد الفصل أولاً ثم نحرس الممرات قليلاً».

قال (هارى): «آه، نعم، لقد نسيت».

قالت السيدة (ويسلى) وهى تنظر إلى ساعتها: «من الأفضل أن تصعدوا مباشرة إلى القطار، كل ما لديكم بضع دقائق، حسنًا، أتمنى لك فصلاً دراسيًا ممتعًا يا (رون)...».

قال (هارى) وقد اتخذ قراره: «سيد (ويسلى)، هل يمكننى أن أتكلم معك للحظة؟».

قال السيد (ويسلى) الذى بدا متفاجئًا قليلاً: «بالطبع» وتبع (هارى) مبتعدين عن مسمع الآخرين.

فكر (هارى) فى الأمر بعناية وتوصل إلى أنه إذا كان سيخبر أى شخص فإن السيد (ويسلى) هو الشخص المناسب، أولاً؛ لأنه يعمل فى الوزارة ولهذا فهو فى وضع ملائم لعمل تحريات أكثر عن الموضوع. وثانيًا؛ لأنه من المستبعد أن ينفجر غاضبًا.

كان يستطيع رؤية السيدة (ويسلى) والمدافع ذى الوجه المتجهم ينظران إليهما بارتياب عندما تحركا مبتعدين.

قال (هارى): «عندما كنا فى حارة (دياجون)...». ولكن السيد (ويسلى) توقع ما سيقوله وتجهم.

وقال: «هل أنا على وشك اكتشاف أين اختفيت أنت و(رون) و(هرميون) بينما كان من المفترض أنكم كنتم فى الغرفة الخلفية لمتجر (فريد) و(جورج)؟».

(هارى): «كيف ع...؟».

السيد (ويسلى): «(هارى)، ماذا كنت تتوقع؟ إنك تتكلم مع الشخص الذى ربى (فريد) و(جورج)».

(هارى): «نعم، حسنًا، لم نكن فى الغرفة الخلفية».

السيد (ويسلى): «جميل، أخبرنى الأسوأ».

(هارى): «حسنًا، لقد تبعنا (دراكو مالفوى) مستخدمين عباءة الإخفاء الخاصة بى».

السيد (ويسلى): «وهل كان لديكم سبب محدد للقيام بذلك، أم كان هذا من وحى اللحظة».

قال (هارى) متجاهلاً نظرة السيد (ويسلى) الغاضبة الممزوجة بالتسلية: «لأننى اعتقدت أن (دراكو) ينوى شيئًا، فقد تسلل بعيدًا عن عين أمه وأردت أن أعرف لماذا».

قال السيد (ويسلى) وقد بدا مستسلمًا: «بالطبع، حسنًا، وهل اكتشفتم السبب؟».

قال (هاری): «لقد ذهب إلى (بورجين ويوركيس) وبدأ في إرهاب مالك المتجر هناك، وطلب من (بورجين) أن يساعده في إصلاح شيء ما، ثم طلب منه أن يحتفظ له بشيء آخر. وقد بدا أن هذا الشيء من نفس نوع الشيء الذي يحتاج إلى الإصلاح، وكأنه شيء مؤلف من قطعتين و...».

ثم أخذ (هاری) نفسًا عميقًا.

وأضاف: «وهناك أمر آخر، لقد رأينا (دراكو) يقفز مبتعدًا بسرعة عندما حاولت مدام (مالكين) أن تلمس ذراعه اليسرى. أعتقد أنه دمغ بعلامة (آكلى الموت)، أعتقد أنه قد خلف والده كآكل للموت».

فوجئ السيد (ويسلى) وبعد لحظة قال: «(هاری)، أشك أن (أنت تعرف من) سيسمح لفتى في السادسة عشرة من...».

قال (هاری) بغضب: «سيد (ويسلى)، أنا آسف ولكن ألا يستحق الأمر التحرى عنه؟ إذا كان (دراكو) يريد إصلاح شيء ويهدد (بورجين) حتى يقوم بذلك، فربما يكون شيئًا له علاقة بالسحر الأسود أو خطيرًا، أليس كذلك؟».

قال السيد (ويسلى) بهدوء: «لأكون صريحًا معك يا (هاری)، فإننى أشك في هذا، فعندما قبض على (لوكيوس مالفوى)، قمنا بحملة على منزله وأخذنا كل شيء يمكن أن يكون خطيرًا».

قال (هاری) بعناد: «أعتقد أنكم قد فاتكم شيء ما».

قال السيد (ويسلى): «حسنًا، ربما» إلا أن (هاری) شعر أن السيد (ويسلى) يسايره فقط.

ثم سمعا صوت صفارة خلفهما؛ فقد صعد الجميع تقريبًا إلى القطار وبدأت الأبواب تغلق.

قال السيد (ويسلى): «من الأفضل أن تسرع» بينما صاحت السيدة (ويسلى): «بسرعة يا (هاری)».

أسرع (هاری) متقدمًا وساعده السيد والسيدة (ويسلى) في تحميل حقيبته إلى القطار.

قالت السيدة (ويسلى) من خلال النافذة: «الآن، يا عزيزى، نحن ننتظر حضورك فى عيد الميلاد، لقد اتفقنا مع (دمبلدور) على هذا، لذلك فسوف نراك قريبًا جدًّا»، ثم أغلق (هارى) الباب بقوة وبدأ القطار يتحرك، بينما علا صوت السيدة (ويسلى): «فلترعَ نفسك جيدًا و...».

كان القطار قد بدأ يزيد من سرعته.

السيدة (ويسلى): «كن ولدًا طيبًا و...».

وكانت تهرول؛ لمتابعة القطار.

«ابقَ فى أمان...».

ظل (هارى) يلوح حتى انعطف القطار فى أحد المنعطفات وأصبح لا يرى السيد والسيدة (ويسلى) ثم التفت؛ ليرى أين ذهب الباقى، وتوقع أن (رون) و(هرميون) قد ذهبا إلى مقصورة رائدى الفصل، ولكن (جينى) كانت على بعد قريب فى الممر تتحادث مع بعض الأصدقاء، فأخذ طريقه فى اتجاهها وهو يسحب حقيبته.

كان الناس يحدقون فيه بلا خجل وهو يقترب، بل كانوا يلصقون وجوههم فى زجاج مقصوراتهم ليلقوا نظرة عليه، لقد كان يتوقع زيادة كم فَغرِ فِيهِ والتحديق ببلاهة، والذى يجب عليه أن يتحمله هذا الفصل الدراسى بعد كل هذه الإشاعات التى أعلنتها (المتنبئ اليومى) عن كونه المختار، ولكنه لم يستمتع بكونه فى دائرة ضوء مشعة، فربت على كتف (جينى).

(هارى): «هيا فلنحاول إيجاد مقصورة».

قالت (جينى) بإشراق: «لا أستطيع يا (هارى)، لقد أخبرت (دين) بأننى سأقابله، أراك لاحقًا».

قال (هارى): «صحيح» شعر بوخز غريب من الضيق عندما مشت مبتعدة وشعرها الأحمر الطويل يتراقص خلفها، لقد اعتاد على وجودها خلال الصيف حتى إنه نسى تقريبًا أن (جينى) لا تتسكع عادة معه هو و(رون) و(هرميون) أثناء وجودهم فى المدرسة، ثم طرف بعينيه ونظر حوله، كان محاطًا بفتيات مبهورات به.

قال صوت مألوف من خلفه: «أهلاً، يا (هارى)!».

قال (هارى) بارتياح: «(نيفيل)!» واستدار ليرى الولد ذا الوجه المستدير وهو يناضل للوصول إليه.

قالت فتاة خلف (نيفيل) مباشرة وذات شعر طويل وعينين واسعتين غامضتين: «أهلاً، يا (هارى)».

(هارى): «(لونا) أهلاً كيف حالك؟».

قالت (لونا): «بخير حال، شكرًا» وكانت تحتضن مجلة، وكانت الحروف الكبيرة فى مقدمتها تعلن أن هناك زوجًا من النظارات الطيفية داخلها.

سأل (هارى): «مازالت (الموارب)، ناجحة إذن؟» وقد كان معجبًا بالمجلة، التى أعطاها مقابلة حصرية العام الماضى.

قالت (لونا) بسعادة: «آه، نعم، إنها تنتشر بشكل جيد».

قال (هارى): «فلنجد لأنفسنا مقاعد» ومضى ثلاثتهم بطول القطار عبر حشود الطلاب الصامتة المحدقة، وأخيرًا وجدوا مقصورة خالية وأسرع (هارى) إلى الداخل وهو ممتن.

قال (نيفيل) وهو يشير إلى نفسه وإلى (لونا): «لقد كانوا يحدقون فينا نحن أيضًا؛ لأننا كنا معك».

قال (هارى) وهو يرفع حقيبته فوق حامل الأمتعة: «لقد كانوا يحدقون فيك أيضًا؛ لأنك كنت فى الوزارة وقد نشرت أخبار مغامرتنا الصغيرة فى (المتنبئ اليومى)، لابد أنك رأيتها».

قال (نيفيل): «أجل، لقد اعتقدت أن جدتى ستكون غاضبة بسبب كل هذه الدعاية، ولكنها كانت سعيدة فعلاً وتقول: إننى بدأت أصبح مثل أبى أخيرًا، لقد اشترت لى عصا جديدة، انظر».

ثم جذب عصاه ليريها لـ(هارى).

وقال بفخر: «لونها أحمر وبها شعرة وحيد القرن، نعتقد أنها من آخر العصى التى باعها (أوليفاندر) فقد اختفى فى اليوم التالى.. (تريفور)، ارجع إلى هنا!».

وغاص تحت المقعد ليستعيد ضفدعه عندما حاول كعادته الهرب.

قالت (لونا) وهى تنتزع من وسط مجلة (الموارب) تلك النظارة التى تجعلك ترى خيالات سعيدة: «هل ستكون هناك لقاءات لتعلم الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود هذا العام يا (هارى)؟».

قال (هارى) وهو يجلس: «ليس هناك داعٍ الآن بعد أن تخلصنا من (أمبريدج)، أليس كذلك؟» ارتطم رأس (نيفيل) بالمقعد وهو يخرج من تحته، وقد بدا خائب الأمل بشدة.

وقال: «خسارة، لقد أحببت تلك الدروس! وقد تعلمت منها الكثير معك!».

قالت (لونا) بوداعة: «لقد استمتعت باللقاءات أيضًا، كانت بمثابة أننى أصبح لى أصدقاء».

كان هذا أحد الأشياء غير المريحة التى تقولها (لونا) عادة والتى أشعرت (هارى) بمزيج مريك من الشفقة، ولكن قبل أن يستطيع الرد، كانت هناك جلبة خارج باب مقصورتهم، كانت هناك مجموعة من طالبات السنة الرابعة يهمسن متضاحكات على الجانب الآخر من الزجاج.

«اسأليه أنت!».

«لا أنت!».

«سأفعل أنا!».

ثم دخلت إحداهن من الباب، وكانت الجراءة تبدو على عينيها السوداوين وذقنها البارز وشعرها الأسود الطويل، ثم قالت بصوت عالٍ وبثقة: «أهلاً يا (هارى)، أنا (روميلدا فان)، لِمَ لا تنضم إلينا فى مقصورتنا؟» ثم أضافت بصوت هامس لكن مسموع: «ليس عليك الجلوس معهم» وهى تشير إلى مؤخرة (نيفيل) البارزة من تحت المقعد مرة أخرى، بينما يحاول الإمساك بـ(تريفور) و(لونا) التى ارتدت النظارات المجانية وقد أعطتها مظهر بومة مخبولة متعددة الألوان.

قال (هارى) ببرود: «إنهم أصدقائى».

قالت الفتاة وقد بدت متفاجئة: «أوه، حسنًا».

وانسحبت مغلقة الباب المنزلق وراءها.

قالت (لونا) وقد عادت إلى طريقتها فى قول الأشياء بصدق يسبب الشعور بالإحراج: «الناس يتوقعون أن يكون لديك أصدقاء أكثر براعة».

قال (هارى) باختصار: «أنتم بارعون، فلم يكن أى منهم فى الوزارة، ولم يحارب أيهم معى».

ابتسمت (لونا) وقالت: «ما قلته فى منتهى اللطف»، ثم دفعت نظارتها إلى أعلى أنفها أكثر وارتاحت فى جلستها؛ لتقرأ مجلة (الموارب).

أخرج (نيفيل) رأسه من تحت المقعد وقد غطى شعره الغبار والأتربة وهو ممسك بـ(تريفور) الذى بدت عليه نظرة رافضة.

وقال: «ولكننا لم نواجهه مع ذلك، وأنت فعلت يجب أن تسمع ما تقوله جدتى عنك «إن لدى (هارى بوتر) عزيمة أكثر مما لدى وزارة السحر بأكملها، إنها على استعداد للتضحية بأى شىء ليكون لها حفيد مثلك»».

ضحك (هارى) وهو يشعر بعدم الارتياح وغيَّر الموضوع إلى نتائج (أو - دبليو - إل) بأسرع ما يمكنه، وبينما كان (نيفيل) يتلو تقديراته ويتساءل بصوت عال إذا كان سيسمح له بأخذ التحويل بعد أن حصل على مقبول كان (هارى) يراقبه بدون أن يستمع إليه بالفعل.

لقد أفسد (فولدمورت) طفولة (نيفيل) بنفس القدر الذى حدث لـ(هارى)، ولكن (نيفيل) لا يعلم أنه اقترب من أن يكون له قدر (هارى)، فقد كان يمكن أن تكون النبوءة تشير إلى أى منهما. ومع ذلك ولأسباب غامضة، اختار (فولدمورت) أن يصدق أن (هارى) هو المقصود.

لو أن (فولدمورت) اختار (نيفيل) لكان (نيفيل) هو الشخص الجالس أمام (هارى) ويحمل على جبهته الندبة التى لها شكل البرق وحمل النبوءة... أو ربما.. هل كانت والدة (نيفيل) لتموت؛ لكى تنقذه، كما فعلت (ليلى) من أجل (هارى)؟

بالتأكيد سوف تفعل... ولكن ماذا لو لم تستطع الوقوف بين ابنها و(فولدمورت)؟ هل كان سينتهى المختار تمامًا حينئذ؟ ويكون المقعد الذى يجلس فيه (نيفيل) الآن خاليًا ويكون (هارى) الذى بلا ندبات قد قبل مودعًا والدته وليس والدة (رون)؟

قال (نيفيل): «هل أنت على ما يرام يا (هارى)؟ إنك تبدو غريبًا».

حدق (هارى) فيه.

وقال: «آسف... كنت...».

قالت (لونا) مواسية: «هل دخلت فى أذنك حشرة (راك سبارت)؟».

(هارى): «أنا... ماذا؟».

(لونا): «حشرة (راك سبارت)... إنها خفية، وتطير إلى داخل الجسم من خلال الأذن وتجعل عقلك يتوه، أعتقد أننى شعرت بأزيز إحداها هنا».

وصفقت فى الهواء بيديها كأنها تضرب حشرة خفية كبيرة، نظر (هارى) و(نيفيل) إلى بعضهما البعض وبدأا بسرعة يتكلمان عن (الكويدتش)، كان الطقس خارج نوافذ القطار مليئًا بالغيوم كما كان طوال الصيف، مر القطار خلال مساحات ممتدة من الضباب البارد ثم خرجوا إلى ضوء الشمس الصافى وأثناء أحد الأوقات التى بدا فيها ضوء الشمس وكانت الشمس تكاد تكون فوق الرءوس مباشرة، دخل (رون) و(هرميون) إلى المقصورة أخيرًا.

قال (رون) باشتياق: «أتمنى أن تسرع عربة الغداء أكاد أموت جوعًا» ثم رمى نفسه على مقعد بجوار (هارى) وهو يمسح على بطنه. وأضاف: «أهلاً (نيفيل)، أهلاً (لونا)، هل يمكنك تخمين ما حدث؟» وهو يستدير إلى (هارى) ثم أكمل: «توقف (دراكو) عن أداء مهام رائد الفصل، وهو يجلس فى مقصورته مع باقى أفراد بيت (سليذرين) لقد رأيناه ونحن نمر».

اعتدل (هارى) فى جلسته وقد بدا عليه الاهتمام، وفكر فى أن هذ غريب، فـ(دراكو) ليس من النوع الذى يضيع فرصة إظهار نفوذه كرائد للفصل، والتى أساء استخدامها بسعادة طوال الصيف الماضى.

(هـارى): «وما الذى فعله عندما رآكم؟».

قال (رون) بلا اهتمام: «المعتاد»، ثم أشار بيده إشارة وقحة وأضاف: «وإن كان، مع ذلك يبدو مختلفًا، أليس كذلك؟ حسنًا.. هذا هو» وكرر الإشارة الوقحة بيده مرة أخرى وقال: «ولكن لماذا هو ليس فى الخارج هناك ليضايق طلاب السنوات الأولى؟».

قال (هارى): «لا أعلم» ولكن عقله كان يعمل بسرعة. ألا يبدو الأمر كما لو أن (دراكو) لديه أشياء أكثر أهمية من مضايقة الطلاب الأصغر سنًا؟

قالت (هرميون): «ربما يفضل فرقة التفتيش، كونه رائدًا للفصل يبدو ألطف قليلاً مقارنة بها».

قال (هارى). «لا أعتقد هذا، أعتقد أنه...».

ولكن قبل أن يشرح نظريته انزلق باب المقصورة منفتحًا وخطت فتاة فى السنة الثالثة مقطوعة النَّفَس إلى الداخل.

وتلعثمت قائلة: «من المفترض أن أسلم هؤلاء إلى (نيفيل لونجبوتم) و(هارى بـ... بوتر)» وعندما التقت عيناها بعينى (هارى)، تحول لونها إلى اللون القرمزى. وكانت تحمل لفافتين من الجلد مربوطتين بشرائط بنفسجية. كان (هارى) و(نيفيل) حائرين ولكنهما أخذا اللفائف الموجهة لكل منهما وتعثرت الفتاة وهى تخرج من المقصورة.

سأل (رون) بإلحاح: «ما هذا؟» بينما كان (هارى) يفرد رسالته.

قال (هارى): «إنها دعوة».

«*(هارى) سأكون سعيدًا لو انضممت لى أثناء الغداء فى المقصورة (ت) (س) مع خالص تحياتى» الأستاذ: (اتش. إيه. إف سلجهورن)*».

سأل (نيفيل) وهو ينظر إلى دعوته حائرًا: «من هو الأستاذ (سلجهورن)؟».

قال (هارى): «مدرس جديد، حسنًا، أفترض أنه يجب علينا الذهاب، أليس كذلك؟».

سأل (نيفيل) بعصبية كأنه يتوقع أن يتم احتجازه: «ولكن لأى سبب يريدنى؟».

قال (هارى): «لا أعلم». وكان على حق تمامًا، رغم أنه لم يكن لديه دليل بعد أن هاجسه صحيح، ثم أضاف وقد استولى عليه خاطر مفاجئ: «اسمعوا، فلنذهب تحت عباءة التخفى، وبهذا يمكننا أن نلقى نظرة جيدة على (دراكو) ونحن فى طريقنا، ونعرف ما الذى ينويه».

ومع ذلك، فقد ذهبت الفكرة سُدًى؛ فقد كان الممر مزدحمًا بالناس الذين يترقبون عربة الغداء وكان من المستحيل المرور منه وهم يرتدون العباءة؛ لذلك فقد أعادها (هارى) إلى حقيبته وهو يفكر أنه كان سيكون من اللطيف أن يتفادى كل التحديق الذى يبدو أن شدته قد زادت أكثر حتى عن آخر مرة مشى فيها بالقطار، فقد كان الطلاب يندفعون خارجين من مقصوراتهم بين الحين والآخر؛ ليلقوا عليه نظرة. الاستثناء الوحيد كان (تشو تشانج) التى اندفعت إلى داخل مقصورتها عندما رأت (هارى) قادمًا. وبينما كان (هارى) مارًا من أمام شباك مقصورتها رآها مندمجة بعمق فى حديث مع صديقتها (ماريتا) التى كانت تضع طبقة سميكة من مساحيق التجميل لم تغط بشكل كامل كل البثور الغريبة المتناثرة عبر وجهها. وأسرع (هارى) فى السير وهو يبتسم ابتسامة متكلفة.وعندما وصلوا إلى المقصورة (جيم) أدركوا على الفور أنهم لم يكونوا المدعوين الوحيدين. بالرغم أنه إذا تم الحكم من خلال حماس (سلجهورن) فى الترحيب، سنجد أن (هارى) نال أكبر قدر من حرارة الترحيب عند استقباله.

قال (سلجهورن): «(هارى)، يا بنى!» وقفز واقفًا عند رؤيته حتى إن كرشه الكبيرة المغطاة بالمخمل بدت كما لو أنها قد ملأت المساحة المتبقية فى المقصورة، وومض رأسه الأصلع اللامع وشاربه الفضى الكثيف فى ضوء الشمس بنفس الإشراق الذى تلمع به الأزرار الذهبية

فى صدريّته وقال: «من الجميل أن أراك، من الجيد أن أراك! وأنت يجب أن تكون السيد (لونجبوتم)».

أومأ (نيفيل) برأسه وهو يبدو خائفًا وبإشارة من (سلجهورن) جلس كلاهما يواجهان بعضهما بعضًا فى المقعدين الوحيدين الخاليين، وهما من المقاعد الأقرب إلى الباب.

نظر (هارى) حوله إلى رفقائه من الضيوف. وعرف أحد (السليذرين) وهو فى نفس العام الدراسى معهم، وكان ولدًا طويلاً له شعر أسود وعظمتا الوجنتين عاليتان، وعينان مائلتان، وكان هناك أيضًا فتيان فى الفصل السابع لا يعرفهما (هارى). وفى الركن بجوار (سلجهورن) كانت (جينى) جالسة، وهى تبدو غير متأكدة تمامًا، كيف أتت إلى هناك.

وسأل (سلجهورن) (هارى): «الآن، هل تعرفان الجميع؟ (بليز زابينى) فى نفس السنة الدراسية معك، بالطبع».

لم يبد (بليز) أى إشارة على أنه يعرفه أو حتى قام بالتحية، وهو نفس ما فعله (هارى) و(نيفيل)، فقد كان طلاب (جريفندور) وطلاب (سليذرين) يكرهون بعضهم بعضًا فى الأساس.

قال (سلجهورن): «هذا هو (كورماك ماكلاجين)، ربما التقيته من قبل، وربما لا».

رفع (ماكلاجين) يده بالتحية لـ(هارى) و(نيفيل) وردًا عليه بإيماء من رأسيهما، كان (ماكلاجين) شابًا ضخمًا له شعر خشن.

«وهذا هو (ماركيس بيلباى)، لا أعرف إذا...».

فابتسم (بيلباى) بتوتر وكان نحيفًا ويبدو عصبيًا.

وأنهى (سلجهورن) التعريف: «وهذه الشابة الجذابة تقول لى: إنها تعرفك!».

ولوت (جينى) وجهها لـ(هارى) و(نيفيل) من خلف ظهر (سلجهورن).

قال (سلجهورن) براحة: «حسنًا الآن، إنها مناسبة لطيفة، وفرصة

لأقترب منكم وأعرفكم أكثر. ها هى، خذ منشفة لقد أحضرت معى غذائى الخاص، فعادة ما تكون عربة الغذاء كما أتذكر، مليئة بعيدان العرقسوس.

ونظام هضم رجل عجوز مسكين مثلى لا يناسبه مثل هذه الأشياء... دجاج يا (بيلباى)».

حدق (بيلباى) ثم قبل ما بدا له مثل نصف دجاجة بارد.

قال (سلجهورن) لـ(هارى) و(نيفيل) وهو يمرر سلة مليئة بلفائف الطعام: «لقد كنت أخبر (ماركيس) الشاب هنا أننى كان لى شرف التدريس لعمه (داموكليس)، وهو ساحر بارز، إنه يستحق رتبة (ميرلين) عن جدارة. هل ترى عمك كثيرًا يا (ماركيس)؟».

ولكن لسوء الحظ، كان (بيلباى) قد ملأ فمه بقطعة كبيرة من لحم الدجاج وأثناء تسرعه لإجابة (سلجهورن)، ابتلعها بسرعة، فتحول لون وجهه إلى اللون البنفسجى بعد أن انحشر الطعام فى حلقه، وبدأ يختنق.

قال (سلجهورن) بهدوء: «أنا بنيو» وهو موجه عصاه إلى (بيلباى) الذى بدا أنه استعاد قدرته على التنفس فورًا.

قال (بيلباى) وهو يشهق وعيناه تدمعان: «لا، ليس... ليس كثيرًا».

قال (سلجهورن): «بالطبع، لابد أنه مشغول». ثم نظر إلى (بيلباى) متسائلاً وأضاف: «فبالتأكيد ابتكار شىء مثل وصفة نبات خانق الذئب يحتاج إلى الكثير من العمل الشاق!».

كان (بيلباى) يبدو خائفًا من أن يأكل قطعة أخرى من الدجاج قبل أن يتأكد أن (سلجهورن) قد انتهى من أسئلته له وقال: «أفترض هذا... فهو وأبى لا يتفقان كثيرًا؛ لذلك فإننى لا أعرف الكثير فعلاً عن...».

وتضاءل صوته تدريجيًا عندما رماه (سلجهورن) بنظرة باردة والتفت إلى (ماكلاجين) بدلاً منه.

قال (سلجهورن): «الآن، أنت، يا (كورماك)، فإننى أفترض أنك ترى عمك (تيبيريوس) كثيرًا؛ لأن لديه صورة بديعة لكما معًا وأنتما تصطادان (النوجتيل) فى (نورفولك) على ما أعتقد».

قال (ماكلاجين): «آه، نعم، لقد كان هذا ممتعًا، كان هذا عندما ذهبنا مع (بيرتى هيجس) و(روفوس سكريمجور).. كان هذا قبل أن يصبح وزيرًا بالطبع».

ابتسم (سلجهورن): «آه، أنت تعرف (بيرتى) و(روفوس)، أيضًا؟» وبدأ يوزع هنا وهناك صينية صغيرة عليها فطائر، وبطريقة ما تم تفويت (بيلباى).

كان الأمر كما توقع (هارى). كل واحد من الموجودين تمت دعوته بسبب علاقتهم بأشخاص مشهورين أو لهم نفوذ ـ كلهم ما عدا (جينى). واتضح أن والدة (زابينى) الذى تم استجوابه بعد (ماكلاجين) ساحرة جميلة ومشهورة ومما استنتجه (هارى)، أنها تزوجت سبع مرات، وفى كل مرة يموت زوجها فجأة بطريقة غامضة تاركًا لها تلاً من الذهب وجاء دور (نيفيل) بعد ذلك واستمرت المناقشة طوال عشر دقائق مزعجة؛ لأن والدى (نيفيل) كانا من المدافعين ضد السحر الأسود المشهورين وقد قامت (بيلاتريكس ليسترانج) وبعض أصدقائها من (آكلى الموت) بتعذيبهما بشدة حتى أصابهما الجنون. وفى نهاية أسئلته لـ(نيفيل)، شعر (هارى) أن (سلجهورن) كان متحفظًا فى حكمه على (نيفيل)، حتى يتأكد إن كان يتمتع بأى من مواهب والديه أم لا.

قال (سلجهورن): «والآن» وهو يتحول بمقعده كليًا كأنه أحد مقدمى النجوم على المسرح الذى يستعد لتقديم بطل العرض: «(هارى بوتر)! من أين أبدأ؟ أشعر أننى بالكاد خدشت السطح عندما التقينا خلال الصيف!».

وتأمل (هارى) للحظة وكأنه قطعة كبيرة من لحم الدجاج، ثم قال: «المختار، هذا ما يطلقونه عليك الآن!».

لم يقل (هارى) شيئًا. وأخذ (بيلباى) و(زابينى) و(ماكلاجين) يحدقون به.

قال (سلجهورن) وهو يراقب (هارى): «بالطبع، كانت هناك شائعات لسنوات... أذكر عندما... حسنًا... بعد هذه الليلة الفظيعة... (ليلى)...

(جيمس)... ونجوت أنت... واعتقد الجميع أنه يجب أن تكون قواك فوق العادية...».

سعل (زابينى) وكان من الواضح أنه قصد بها التشكيك الساخر فى ذلك الكلام.

اندفع صوت غاضب من خلف (سلجهورن).

«أجل يا (زابينى)، لأنك موهوب جدًّا... فى الجلوس...».

قال (سلجهورن) وهو يضحك بخفوت «ما هذا؟!» وهو يستدير إلى (جينى) التى كانت تحدق إلى (زابينى) بغضب من وراء بطن (سلجهورن) الضخم. قال (سلجهورن): «يجب عليك أن تحترس يا (بليز)! فقد رأيت هذه الشابة الصغيرة وهى تؤدى تعويذة خفاش شبح رائعة عندما كنت مارًّا بجوار مقصورتها! فلو كنت مكانك فلن أضايقها!».

وكان تعبير وجه (زابينى) ساخرًا.

قال (سلجهورن) وهو يستدير إلى (هارى) مرة أخرى: «على أية حال، مثل هذه الشائعات هذا الصيف، بالطبع، لا تعرف ما الذى تصدقه أو تكذبه، فجريدة (المتنبئ اليومى) معروف عنها أنها تكتب أخبارًا غير دقيقة وترتكب أخطاء. ولكن نسبة الخطأ فى هذا الموضوع ضئيلة؛ لأن عددًا كبيرًا من الشهود أكدوا أنه كان هناك اضطراب كبير فى الوزارة وأنك كنت موجودًا وسط كل هذا».

فكر (هارى) أنه ليس هناك مخرج من كل هذا سوى بالكذب، كان كل ما فعله هو الإيماء برأسه دون قول أى شىء، فابتسم (سلجهورن) له. وقال: «إنك متواضع، متواضع جدًّا، لا عجب أن (دمبلدور) مغرم بك، لقد كنت هناك إذن؟ ولكن باقى القصة مبالغ فيها، لا يعرف الشخص ما يصدقه بالضبط... هذه النبوءة الأسطورية، على سبيل المثال...».

قال (نيفيل): «لم نسمع أى نبوءة قط» ثم تحول لونه إلى اللون الأحمر القانى.

تصدت له (جينى) قائلة: «هذا صحيح، لقد كنا أنا و(نيفيل) هناك أيضًا، كل هذا الهراء عن المختار مجرد افتراءات اخترعتها (المتنبئ) كالمعتاد».

قال (سلجهورن) باهتمام كبير: «وهل كنتم هناك أنتم أيضًا؟» وهو ينقل بصره بين (جينى) و(نيفيل) ولكنَّ كليهما جلس هادئًا قبل أن يبتسم (سلجهورن) مشجعًا.

استأنف (سلجهورن) حديثه وقد ظهر فى صوته القليل من خيبة الأمل: «نعم... حسنًا... كثيرًا ما تبالغ (المتنبئ) بالطبع... أتذكر عندما كان العزيز (جوينج جونس) يقول لى، أقصد بالطبع كابتن فريق (هوليهيد هاربين)...»

وانعطف فى الحديث عن ذكريات ماضية مستفيضة ولكن (هارى) كان لديه انطباع أكيد أن (سلجهورن) لم ينته منه بعد وأنه لم يقتنع بكلام (نيفيل) و(جينى).

ومرت فترة الظهيرة وهو يروى لهم المزيد من الطرائف عن سحرة ذائعى الصيت درس لهم (سلجهورن) من قبل، وكلهم كانوا سعداء بالانضمام لـ(نادى سلوج) كما أسماه، بـ(هوجوورتس).

كان ينتظر الرحيل بفارغ الصبر، ولكنه لم يجد طريقة ليفعل ذلك بشكل مهذب. أخيرًا خرج القطار من إحدى مناطق الضباب الممتدة إلى غروب الشمس الأحمر ونظر (سلجهورن) حوله وهو يطرف بعينيه فى ضوء الشفق.

وقال: «عجيب، لقد حل الظلام بالفعل! لم ألاحظ أنهم أضاءوا المصابيح! من الأفضل أن تذهبوا لتبدلوا ملابسكم وترتدوا زيكم المدرسى، جميعًا. (ماكلاجين)، يجب أن تمر علىَّ لتستعير هذا الكتاب عن (نوجتيلس). (هارى) و(بليز).. مروا علىَّ فى أى وقت وأنت أيضًا يا آنسة» وطرف بعينه إلى (جينى) ثم أضاف: «حسنًا، هيا اذهبوا، هيا اذهبوا!».

وبينما كان (زابينى) يمر بجوار (هارى) فى الممر المعتم رماه بنظرة احتقار وردها (هارى) عليه، ومشى هو و(جينى) و(نيفيل) خلف (زابينى) بطول القطار عائدين.

غمغم (نيفيل): «أنا سعيد أن هذا اللقاء انتهى، رجل غريب، أليس كذلك؟».

قال (هارى) وعيناه على (زابينى): «نعم، إلى حد ما، كيف انتهى بك الأمر هناك يا (جينى)؟».

قالت (جينى): «لقد رآنى وأنا ألقى تعويذة على (زاكرياس سميث)، هل تذكر هذا الأحمق من (هافلباف) الذى كان معنا فى دروس الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود؟ لقد ظل يسألنى مرة بعد مرة عن الذى حدث فى الوزارة وفى النهاية ضايقنى جدًا حتى إننى رميته بتعويذة وعندما دخل (سلجهورن)، اعتقدت أننى سوف أعاقب بالاحتجاز، ولكنه اعتقد أنها كانت تعويذة جيدة ودعانى إلى الغداء معه! مجنون هه؟».

قال (هارى): «هذا سبب أفضل من دعوة شخص ما لأن أمه مشهورة».

وهو يقطب جبينه فى مواجهة خلفية رأس (زابينى) وأضاف: «أو لأن أعمامه...».

ولكنه توقف فجأة عن إتمام كلامه، فقد واتته فكرة حالا قد تكون فكرة طائشة إلا أنها يمكن أن تكون رائعة.. ففى خلال دقائق سوف يدخل (زابينى) مرة أخرى إلى مقصورة (سليذرين)... لو أن (هارى) يستطيع الدخول وراءه يستطيع أن يسمع ويرى الكثير بدون أن يراه أحد، صحيح إن الوقت الباقى من الرحلة قليل ـ حيث لا تبعد محطة (هوجسميد) أكثر من نصف ساعة، كما يبدو من المشاهد البرية التى تظهر من النوافذ ـ ولكن لا أحد آخر يبدو مستعدًا لأخذ شكوك (هارى) بجدية؛ لذلك فمن الواجب عليه أن يثبتها.

قال (هارى) بصوت هامس: «أراكما فيما بعد» ثم جذب عباءة الإخفاء وألقاها على نفسه.

سأل (نيفيل): «ولكن، أين ستذ...؟».

همس (هارى): «فيما بعد! وانطلق خلف (زابينى) بأقصى هدوء ممكن، برغم أن ضجيج القطار جعل هذا الحذر بلا معنى تقريبًا.

كانت الممرات تكاد تكون خالية. فقد عاد الجميع إلى مقصوراتهم لتبديل ملابسهم وارتداء زى المدرسة وحزم أمتعتهم، وبالرغم أنه كان قريبًا من (زابينى) على قدر المستطاع دون أن يلمسه إلا أن (هارى) لم يكن سريعًا بقدر كافٍ ليتسلل إلى المقصورة عندما فتح (زابينى) الباب. وكان (زابينى) يدفع الباب لينزلق مغلقًا عندما أسرع (هارى) بوضع قدمه ليمنعه من الانغلاق.

قال (زابينى) بغضب وهو يصدم الباب المنزلق إلى قدم (هارى) مرة بعد أخرى: «ما خطب هذا الشيء؟».

وضع (هارى) يده على الباب ودفعه لينفتح بقوة، فسقط (زابينى) الذى كان ما زال ممسكًا بمقبض الباب عبر ممر المقصورة ليقع على حجر (جريجورى جويل). وأثناء الاضطراب الذى سببه ذلك، تسلل (هارى) إلى المقصورة وجلس فوق مقعد (زابينى) مؤقتًا، ثم قفز إلى أعلى فوق حامل الأمتعة. كان من حسن الحظ، أن (جويل) و(زابينى) كانا ينظران إلى بعضهما بعضًا بغضب ويجذبان كل العيون إليهما؛ لأن (هارى) كان واثقًا أن قدميه وكاحليه قد ظهرا لأن عباءة الإخفاء رفرفت حولهما، وللحظة مزعجة اعتقد أنه رأى عين (دراكو) تتبع حذاءه الرياضى وهو يختفى فى لمح البصر بعيدًا عن الأنظار؛ ثم دفع (جويل) الباب لينغلق، ودفع (زابينى) بعيدًا عنه.

انهار (زابينى) فى مقعده وهو يبدو متضايقًا، وعاد (فينسنت كراب) إلى مجلته المصورة، وعاد (دراكو) ليستلقى على كرسيه ورأسه على حجر (بانسى باركنسون). استلقى (هارى) منكمشًا تحت العباءة وهو غير مطمئن إلى أن العباءة تغطى كل بوصة من جسمه، وأخذ يراقب

(بانسى) وهى تمسح على شعر (دراكو) الأشقر الناعم على جبهته، وتبتسم بتكلف بينما تفعل ذلك، وكان شخصًا آخر يتمنى أن يكون فى مكانها. وكان مصباح الإضاءة المتأرجح من سقف المقصورة يلقى بضوء قوى على المشهد، فكان بإمكان (هارى) رؤية كل كلمة من مجلة (كراجلى) مباشرة من تحته.

قال (دراكو): «إذن يا (زابينى)، ما الذى أراده (سلجهورن)؟».

قال (زابينى) وهو مازال يحملق إلى (جويلى): «يحاول أن يشكل مجموعة من الطلاب الذين لهم علاقات بذوى النفوذ، ولكنه لم يجد الكثير منهم على ما يبدو!».

لم تعجب هذه المعلومة (دراكو) على ما يبدو.

فسأله: «من أيضًا تمت دعوته؟».

قال (زابينى): «(ماكلاجين) من (جريفندور)».

قال (دراكو) «آه، أجل، عمه موظف كبير فى الوزارة».

(زابينى): «وشخص آخر يدعى (بيلباى) من (رافينكلو)».

قالت (بانسى): «ليس هو، إنه ثرثار!».

أنهى (زابينى) كلامه: «و(لونجبوتم) و(بوتر) وابنة (ويسلى) هذه».

اعتدل (دراكو) جالسًا فجأة مبعدًا يد (بانسى) عنه.

(دراكو): «دعا (لونجبوتم)».

قال (زابينى) بلا مبالاة: «حسنًا، أفترض هذا، بما أن (لونجبوتم) كان هناك».

(دراكو): «ما الذى يثير اهتمام (سلجهورن) لدى (لونجبوتم)؟».

هز (زابينى) كتفيه.

قال (دراكو) ساخرًا: «(بوتر)، (بوتر) العزيز، من الواضح أنه أراد أن يلقى نظرة على (المختار) ولكن تلك الفتاة من آل (ويسلى)! ما الذى يميزها؟».

قالت (بانسى) وهى تراقب (دراكو) بطرف عينيها لترى رد فعله: «الكثير من الأولاد يعجبون بها، حتى أنت تعتقد أنها جميلة يا (بليز) أليس كذلك؟ ونحن جميعًا نعلم أنك صعب الإرضاء!».

قال (زابينى) ببرود: «لا يمكن أن ألمس فتاة خائنة للدم صغيرة قذرة مثلها مهما كان مظهرها». وبدت (بانسى) سعيدة، وأعاد (دراكو) رأسه إلى حجرها وسمح لها أن تستأنف المسح على شعره.

(دراكو): «حسنًا، ذوق (سلجهورن) أصبح يدعو للرثاء، ربما بدأ يخرف قليلاً، عار عليه، لقد كان أبى دائمًا يقول لى إنه كان ساحرًا جيدًا فى أيامه. وكان أبى من المفضلين لديه. ربما لم يعرف (سلجهورن) أننى فى القطار، أو...».

قال (زابينى): «لو كنت مكانك ما انتظرت دعوته، فقد سألنى عن والد (نوت) أول ما وصلت، فقد كانا أصدقاء مقربين فيما مضى على ما يبدو، ولكن عندما سمع بالقبض عليه فى الوزارة، لم يبد سعيدًا، ولم يحصل (نوت) على دعوة، أليس كذلك؟ لا أعتقد أن (سلجهورن) مهتم بـ(آكلى الموت)».

ظهر الغضب على (دراكو) ولكنه ضحك ضحكة متكلفة خالية من المرح.

وقال: «حسنًا، من الذى يهمه، الأشياء التى تهمه؟ من هو على أية حال؟ مجرد مدرس غبى» ثم تثاءب (دراكو) وهو يتفاخر.

وقال: «أعنى، ربما لا أكون فى (هوجوورتس) حتى العام القادم، ما الذى يهمنى إن أحبنى رجل عجوز سمين أو لا؟».

قالت (بانسى) باستياء وقد توقفت عن المسح على شعره فورًا: «ما الذى تعنيه بأنك قد لا تكون فى (هوجوورتس) العام القادم؟».

قال (دراكو) وقد تراقص على شفتيه خيال ابتسامة متكلفة: «حسنًا، لا تعرف أبدًا ما قد يحدث، ربما أكون قد انتقلت إلى أشياء أكبر وأفضل».

تسارعت ضربات قلب (هارى) وهو رابض فوق حامل الأمتعة. ما الذى سيقوله (رون) و(هرميون) عن هذا؟

نظر (كرابى) و(جويل) ببلاهة إلى (دراكو)، وكان من الواضح أنهم ليس لديهم أى معرفة حتى ولو كانت طفيفة بأى خطط للانتقال إلى أشياء أكبر وأفضل. حتى (زابينى) سمح لنظرة فضول أن تفسد ملامحه المزهوة. واستأنفت (بانسى) المسح البطىء لشعر (دراكو) وهى تبدو مذهولة.

«هل تعنيه... هو؟».

هز (دراكو) كتفيه.

وقال: «أمى تريدنى أن أكمل تعليمى، ولكنى شخصيًا لا أرى أنه مهم فى هذه الأيام، أعنى، فكروا فى الأمر... عندما يتولى سيد الظلام زمام الأمور. فهل سيهتم بعدد مواد (أو. دبليو. إل) أو (إن. إيه. دبليو) التى حصل عليها أى شخص؟ بالطبع لن يهتم... سيكون اهتمامه منصبًا على نوع الخدمة التى أديت إليه ومستوى التفانى الذى أظهره الشخص».

سأله (زابينى) بقسوة: «وأنت تعتقد أنه سيكون بإمكانك أن تفعل شيئًا له.. هذا مع أنك مازلت فى السادسة عشرة ولست مؤهلاً تمامًا بعد؟».

قال (دراكو) بهدوء: «ألم تسمع ما قلته قبل قليل؟ ربما لا يهم إن كنت مؤهلاً أو لا.. ربما الوظيفة التى يريدنى أن أقوم بها ليس شيئًا يحتاج إلى أن تكون مؤهلاً له».

كان (كرابى) و(جويل) جالسين وفماهما مفتوحان مثل مزرابين، بينما كانت (بانسى) تحدق إلى (دراكو) كأنها لم تر فى حياتها أبدًا شيئًا مهيبًا إلى هذا الحد.

قال (دراكو): «أستطيع أن أرى (هوجوورتس)، من الأفضل أن نرتدى زينا المدرسى».

كان من الواضح أنه يتلذذ بالتأثير الذى أحدثه وهو يشير إلى خارج النافذة السوداء.

كان (هارى) مشغولاً بالتحديق إلى (دراكو)، فلم يلاحظ (جويل) وهو يحاول الوصول إلى حقيبته، وبينما يُؤرجحها منزلاً إياها؛ خبطت

(هارى) بشدة على جانب رأسه فأفلتت منه آهة ألم غير إرادية، ورفع (دراكو) بصره إلى حامل الأمتعة وقد تجهم وجهه.

لم يكن (هارى) خائفًا من (دراكو)، ولكنه مع ذلك لم تعجبه فكرة أن يتم اكتشافه وهو مختبئ تحت عباءة الإخفاء وبواسطة مجموعة من طلاب بيت (سليذرين) غير الودودين وكانت عيناه مازالتا تدمعان ورأسه مازال ينبض بالألم، ولكنه سحب عصاه بحذر حتى لا يحرك العباءة، وانتظر وكتم نفسه. ولكن يبدو أن (دراكو) قد قرر أنه تخيل الضجة مما أراح (هارى)، فقد لبس زى المدرسة مثل الآخرين، وأغلق حقيبته، وبينما كان القطار يبطئ وأصبح يسير بزحف متصلصل كان (دراكو) يزرر عباءة سفر ثقيلة جديدة حول عنقه.

كان بمقدور (هارى) رؤية الممرات وقد امتلأت بالطلاب مرة أخرى، وتمنى أن (رون) و(هرميون) يأخذان أشياءه معهما إلى الرصيف بالخارج لأجله. فقد كان لا يستطيع التحرك من مكانه حتى يخرج جميع من فى المقصورة.

وأخيرًا، استقر القطار واقفًا بعد أن تمايل ميلة أخيرة. ففتح (جويل) الباب وأخذ يشق طريقه بين طلاب السنة الثانية وهو يلكمهم ويدفعهم جانبًا و(كراب) و(زابينى) يتبعانه.

قال (دراكو) لـ(بانسى) التى كانت تنتظره ويدها ممدودة إلى الخارج وكأنها تتمنى أنه سوف يمسك بها: «اذهبى أنتِ، أريد أن أتأكد من شيء.. فقط».

ذهبت (بانسى) وأصبح (هارى) و(دراكو) وحدهما فى المقصورة الآن. كان الطلاب يتدافعون وهم ينزلون إلى الرصيف المظلم. تحرك (دراكو) إلى باب المقصورة وأنزل الستائر حتى لا ينظر الناس الذين فى الممرات خلفها من خلالها. ثم انحنى على حقيبته وفتحها مرة أخرى.

نظر (هـارى) إلى أسفل من فوق حـامل الأمتعة وقد تسارعت ضربـات قلبه قليلاً. ما الذى أراد (دراكو) أن يخفيه عن (بـانسى)؟ هل هو على وشك رؤية الشيء المكسور الغامض الذى كان من المهم إصلاحه؟

«*بتريفيكوس توتـالوس!*»

وبدون إنذار، أشار (دراكو) إلى (هـارى) بعصـاه فأصابه بـالشلل فورًا. كما يحدث عندما تبطئ الكاميرا الحركة، وسقط من فوق حامل الأمتعة إلى الأرض عند أقدام (دراكو) وهو يتـألم بشدة من الارتطام الذى هز الأرضية واشتبكت عباءة الإخفاء أسفل جسمه، فـانكشف جسمه بـالكامل بينما رجلاه مـازالتـا ملتفتين على نحو سخيف فى وضع ركوع متشنج، فلم يكن يستطيع تحريك أى عضلة من عضلات جسمه. كل ما كان يستطيع فعله هو التحديق إلى (دراكو) الذى انفرجت أساريره بـالابتسام.

قال (دراكو) وهو مبتهج: «هذا ما اعتقدته، لقد سمعت حقيبة (جويلى) وهى تصطدم بك، واعتقدت أننى رأيت شيئًا أبيض يلمع فى الهواء عندما عاد (زابينى)...» وتعلقت عيناه للحظة بحذاء (هـارى) الرياضى ثم أكمل: «لقد كنت أنت من يعترض الباب عندما عاد (زابينى) إلى الداخل على ما أعتقد!».

تـأمل (دراكو) (هـارى) للحظة.

ثم قـال: «إنك لن تسمع شيئًا أقلق بشأنه يا (بوتر). ولكن بمـا أنك هنـا...».

وسحق وجه (هـارى) بحذائه بقوة. وشعر (هـارى) بـأن أنفه قد انكسر، وتدفق الدم فى كل مكـان.

«وهذا لأجل أبى والآن، فلنر...».

فسحب (دراكو) العبـاءة من تحت جسم (هـارى) المجمد فى مكانه ورمـاهـا فوقه.

وقـال (دراكو) بهدوء: «لا أعتقد أنهم سيجدونك قبل أن يعود القطار مجددًا إلى لندن، أراك فى الجوار يا (بوتر)... أو ربما لا».

حرص (دراكو) على أن يدوس على أصـابع (هـارى) قبل أن يخرج من المقصورة.



٨ انتصار سناب

لم يكن (هارى) يستطيع تحريك أى عضلة من عضلاته. وكان مستلقيًا هناك تحت عباءة الإخفاء وهو يشعر بالدم يتدفق من أنفه، ساخنًا ورطبًا فوق وجهه، يستمع إلى الأصوات والخطوات فى الممر خارج المقصورة. وكان أول ما فكر به أن أحدًا سوف يفحص المقصورات قبل أن يغادر القطار مرة أخرى بالتأكيد. ولكن على الفور أدرك شيئًا قبض صدره وهو أنه حتى لو نظر أى شخص داخل المقصورة، فلن يستطيع أن يراه أو يسمعه. وكان أفضل ما يتمناه هو أن يدخل أحد إلى المقصورة ماشيًا ويدوس فوقه.

لم يكره (هارى) (دراكو مالفوى) فى حياته أبدًا كما كرهه وهو مستلقٍ مثل سلحفاة سخيفة ملقاة على ظهرها. بينما يقطر الدم إلى فمه المفتوح بطريقة مثيرة للاشمئزاز. يا له من وضع سخيف وضع فيه نفسه! والآن أخذت الخطوات القليلة الباقية تبتعد وأصواتها تتلاشى، كان الجميع يجرون خطاهم على الرصيف المظلم بالخارج، وكان يستطيع أن يسمع صوت احتكاك الحقائب بالأرض وأصوات الهمهمة العالية للحديث.

سيعتقد (رون) و(هرميون) أنه نزل من القطار بدونهما. وعندما يصلون إلى (هوجوورتس) ويأخذون أماكنهم فى البهو العظيم، سينظرون إلى أعلى وأسفل مائدة (جريفندور) عدة مرات بحثًا عنه قبل أن يدركوا أخيرًا أنه ليس هناك، بينما سيكون هو، بلا شك، فى منتصف طريقه عائدًا إلى لندن.

حاول (هارى) أن يصدر أى صوت حتى ولو كان صوت همهمة ولكن كان هذا مستحيلاً، ثم تذكر أن بعض السحرة مثل (دمبلدور) يستطيعون

تـأديـة تـعـويـذات بـدون أن يـتـكـلـمـوا، فـحـاول أن يـسـتـدعـى عـصـاه، الـتـى سقطت من يده، عن طريق تكرار كلمات «احضرى أيتها العصا»، مرة بعد مرة فى عقله، ولكن شيئًا لم يحدث.

اعتقد أنه يستطيع أن يسمع حفيف الأشجار التى تحيط بالبحيرة، وصوت صياح بومة قادمًا من بعيد ولكنه لم يسمع أى إشارة تنم عن أنهم يبحثون عنه أو حتى أصواتًا مذعورة تتساءل أين ذهب (هارى بوتر) احتقر نفسه قليلاً لأنه تمنى ذلك. واستولى عليه اليأس عندما تخيل قافلة عربات «ثيسترال» المجرورة، وهى تمضى إلى المدرسة بينما يعلو صوت دحرجة العجلات على الطريق وصيحات الضحك المكتومة التى تتصاعد من العربة التى يركبها (دراكو) الذى سيروى قصة هجومه على (هارى) لزملائه من منزل (سليذرين).

اهتز القطار، فتدحرج (هارى) حتى استقر على جنبه، كان الآن يحدق إلى الجانب السفلى المترب للمقاعد بدلاً من السقف. وبدأت الأرضية تهتز عندما هدر موتور القطار ليبدأ العمل.

كـان الـقـطـار الـسريـع مـغـادرًا ولا أحد يـعـلـم أنـه مـازال عـلـى مـتـنـه... وحينئذ شعر بعباءة الإخفاء ترفع عنه وصوت فوق رأسه يقول: «(وتشر) يا (هارى)».

ثم ومض ضوء أحمر وانتهى تجميد (هارى) وأصبح بإمكانه أن يدفع جسده إلى وضع جلوس أكثر وقارًا مما كان عليه.

وبسرعة مسح الدم بمؤخرة يده من على وجهه الذى تغطيه الكدمات ورفع وجهه لينظر إلى (تونكس) التى كانت تحمل عباءة الإخفاء التى سحبتها من عليه منذ لحظة.

كانت نوافذ القطار قد أصبحت محجوبة بسبب البخار، وعندما بدأ القطار يتحرك خارجًا من المحطة قالت (تونكس): «من الأفضل أن نخرج من هنا، بسرعة، هيا بنا، سنقفز».

أسرع (هارى) خلفها إلى الممر. وشدت (تونكس) باب القطار لتفتحه، ثم وثبت إلى الرصيف الذى بدا كأنه ينزلق تحتهم بعد أن بدأ القطار يسرع، وتبعها (هارى) مترنحًا قليلاً عند هبوطه إلى الرصيف، ثم اعتدل واقفًا فى الوقت المناسب ليرى وميض البخار ذا اللون القرمزى للقطار الذى رفع سرعته، وهو يختفى عن مجال نظرهم خلف المنعطف.

كان هواء الليل البارد يخفف من وجع أنفه النابض بالألم. وكانت (تونكس) تنظر إليه؛ فشعر بالغضب والإحراج من اكتشافه فى مثل هذا الوضع السخيف. سلمته (تونكس) عباءة الإخفاء بدون أن تتكلم.

وقالت: «من الذى فعل بك هذا؟».

قال (هارى) بمرارة: «(دراكو مالفوى)، شكرًا على... حسنًا...».

قالت (تونكس) بدون أن تبتسم: «ليست هناك مشكلة» كل ما كان بإمكان هارى رؤيته فى الظلمة، هو لون شعرها الرمادى «الفِيرانى» وأنها مازالت تبدو بائسة مثلما كانت عندما رآها فى الجحر. أضافت (تونكس): «يمكننى أن أصلح أنفك إذا وقفت ثابتًا» لم تعجب (هارى) الفكرة كثيرًا؛ فقد كان ينوى زيارة مدام (بومفرى) المعالجة، التى يثق بها أكثر قليلاً عندما يتعلق الأمر بتعويذات العلاج، ولكن كان من سوء الأدب أن يقول هذا، لذلك فقد ظل واقفًا بلا حراك وأغلق عينيه.

قالت (تونكس): «*إبيسكى*».

شعر (هارى) بسخونة شديدة فى أنفه تحولت إلى برودة شديدة، ثم رفع يده وأخذ يتحسس أنفه بحذر، وشعر أنه قد أصلح.

قال (هارى): «أشكرك كثيرًا!».

قالت (تونكس): وهى لاتزال غير مبتسمة: «من الأفضل أن تضع العباءة مرة أخرى ويمكننا أن نمشى إلى المدرسة» وبينما (هارى) يؤرجح العباءة راميًا إياها فوقه، أشارت هى بعصاها، فخرج منها مخلوق فضى ضخم له أربعة قوائم ثم اختفى وسط الظلام.

سأل (هارى): «هل كان هذا (باتروناس)؟» كان (هارى) قد رأى (دمبلدور) وهو يرسل رسائل مثل هذه من قبل.

ردت (تونكس): «نعم، لقد أرسلت رسالة إلى القلعة أخبرهم فيها أنك معى حتى لا يقلقوا، هيا، من الأفضل ألا نضيع الوقت سدى».

ومضوا فى اتجاه الممر الضيق المفضى إلى المدرسة.

(هارى): «كيف عثرت على؟».

(تونكس): «لقد لاحظت أنك لم تغادر القطار، وكنت أعرف أن بحوزتك تلك العباءة؛ فاعتقدت أنك قد تكون مختبئًا لسبب ما، وعندما رأيت الستائر مغلقة بتلك المقصورة، فكرت أن أفحصها».

سأل (هارى): «ولكن ما الذى تفعلينه هنا على أية حال؟».

قالت (تونكس): «أنا مرابطة فى (هوجسميد)، لأعطى المدرسة حماية زائدة».

(هارى): «هل أنت وحدك المرابطة هنا، أو...؟».

(تونكس): «لا، (برودفوت)، و(سافاج)، و(دوليش) معى هنا أيضًا».

(هارى): «(دوليش) ذلك الساحر الذى هاجمه (دمبلدور) العام الماضى؟».

(تونكس): «هذا صحيح».

مشوا لمدة طويلة فى الظلام حتى تركوا الممر وتتبعوا الآثار الحديثة لعجلات العربات. نظر (هارى) بطرف عينه إلى (تونكس) من تحت عباءة الإخفاء، وفكر أنها كانت فى العام الماضى فضولية جدًا لدرجة تسبب الإزعاج فى بعض الأحيان، وكانت تضحك بسهولة وتلقى الدعابات، ولكنها الآن تبدو أكبر سنًا وأكثر جدية وتصميمًا. هل كان هذا كله من تأثير ما حدث فى الوزارة؟ وتذكر بضيق أن (هرميون) كانت تقترح أن يقول شيئًا ليواسيها عن (سيريوس)، وأنه لم يكن خطؤها بالمرة، ولكنه لم يستطع أن يفعل ذلك، لم يكن يلومها على موت

(سيريوس)؛ لم يكن خطؤها أكثر من أى شخص آخر و(أقل من خطئه هو نفسه بالتأكيد)، ولكنه لا يحب أن يتكلم عن (سيريوس) إذا كان يستطيع تفادى ذلك، وهكذا أخذا يمشيان خلال الليل البارد وهما صامتان، بينما كانت عباءة (تونكس) الطويلة تصدر حفيفًا على الأرض خلفها. لم يشعر (هارى) أبدًا كم هى بعيدة (هوجوورتس) عن محطة (هوجسميد) لأنه كان دائمًا يذهب إليها بالعربة. ولذلك فقد شعر بارتياح عظيم عندما رأى أخيرًا الأعمدة الطويلة على كلا جانبى البوابات التى يعلوها خنازير مجنحة.

كان يشعر بالبرد والجوع وكان راغبًا إلى حد كبير فى ترك (تونكس) الجديدة المتجهمة وراءه، ولكن عندما حاول دفع البوابات بيده، وجدها مغلقة بالسلاسل.

قال بثقة: «*ألو هومورا*» وهو يشير بعصاه إلى القفل، ولكن لم يحدث شىء.

قالت (تونكس): «لن يجدى هذا نفعًا، فقد سحرها (دمبلدور) بنفسه».

نظر (هارى) حوله.

ثم اقترح: «يمكننى أن أتسلق الجدار».

قالت (تونكس) بصورة حازمة: «لا، لا يمكنك هذا، فتعاويذ منع المتطفلين موجودة عليها جميعًا، فقد تم تشديد الإجراءات الأمنية، أكثر بمائة مرة، خلال هذا الصيف».

قال (هارى) وقد بدأ يشعر بالضيق من عدم محاولتها مساعدته: «حسنًا إذًا، أفترض أن كل ما يمكننى فعله هو النوم هنا والانتظار حتى الصباح».

قالت (تونكس): «هناك شخص قادم لأجلك، انظر».

كان هناك مصباح يتمايل عند قاعدة القلعة البعيدة. وكان (هارى) سعيدًا لرؤيته، حتى إنه شعر أن بإمكانه تحمل صوت (فيلتش)

المتحشرج وهو ينتقده على تأخره وحديثه الصاخب عن أنه يواظب على المحافظة على مواعيده إذا ما تعرض بانتظام لقراصة الإبهام.

وعندما أصبح الضوء الأصفر المتوهج على بعد عشر أقدام منهما، سحب (هارى) عباءة الإخفاء حتى يراه الشخص القادم، تعرف (هارى) على الأنف المعقوف والشعر الدهنى الأسود الطويل لـ(سيفيروس سناب) مما جعل الكراهية الخالصة تتدفق إلى مشاعره.

قال (سناب) بتهكم: «رائع، رائع، رائع، ثم أخرج عصاه وضرب بها القفل مرة واحدة فانسلت السلاسل إلى الخلف، وفتحت البوابات مصدرة صوت صرير عاليًا وأضاف: «شيء جميل منك يا (بوتر) أن تأتى على الرغم من أنك على ما يبدو قد قررت أن ارتداءك زى المدرسة سوف يحط من قدرك».

قال (هارى): «لم أستطع تغيير ملابسى، لأن..» ولكن (سناب) قاطعه قائلاً: «ليس هناك داعٍ للانتظار يا (نيمفادورا)، فـ(بوتر) بالفعل ـ آه ـ بين أيد أمينة».

قالت (تونكس) وقد عبست: «لقد أرسلت الرسالة إلى (هاجريد)».

قال (سناب) وهو يفسح لـ(هارى) ليسمح له بالمرور: «لقد تأخر (هاجريد) عن مأدبة بداية العام الدراسى مثل (بوتر)، لذلك فقد تسلمتها بدلاً منه، بالمناسبة، لقد كنت حريصًا على رؤية (البروتاس) الجديد الخاص بك».

وأغلق البوابات فى وجهها بصوت قعقعة عالٍ ثم طرق على السلاسل بعصاه مرة أخرى، فانزلقت متماسكة عائدة إلى مكانها.

قال (سناب) بخبث واضح: «أعتقد أنك كنت فى حال أفضل مع السابق يا (نيمفادورا) لأن الجديد يبدو ضعيفًا».

وبينما كان (سناب) يؤرجح المصباح أمامه، رأى (هارى) فى لمحة سريعة نظرة الصدمة والغضب على وجه (تونكس) ثم اختفت فى الظلام مرة أخرى.

قال (هارى) من فوق كتفه: «تصبحين على خير، شكرًا على كل شىء»
وبدأ يمشى صاعدًا مع (سناب) إلى المدرسة.
(تونكس): «أراك قريبًا يا (هارى)».

بقى (سناب) صامتًا لدقيقة أو نحوها، وشعر (هارى) كأن جسمه يولد موجات قوية جدًا من الكره، حتى بدا من الغريب أن (سناب) لا يشعر بها تحرقه، لقد كره (سناب) من أول لقاء بينهما، ولكن (سناب) وضع نفسه إلى الأبد ونهائيًا بعيدًا عن أى إمكانية لأن يغفر له (هارى) بسبب موقفه تجاه (سيريوس).

ومهما كان ما يقوله (دمبلدور)، كان لدى (هارى) وقت كاف ليفكر خلال الصيف، وقد توصل إلى أن ملاحظات (سناب) الخبيثة إلى (سيريوس) بخصوص بقائه مختفيًا بأمان، بينما باقى أعضاء جماعة العنقاء يحاربون (فولدمورت) ربما كانت عاملاً قويًا فى إسراع (سيريوس) إلى الوزارة تلك الليلة التى قتل فيها، وقد تعلق (هارى) بهذه الفكرة لأنها أعطته الفرصة لأن يلوم (سناب) مما أشعره بالرضا، وكذلك لأنه كان يعلم أنه إذا كان هناك أى شخص ليس حزينًا على موت (سيريوس)، سيكون هذا الشخص الذى يخطو بجواره فى الظلام.

قال (سناب): «سأخصم ٥٠ نقطة من (جريفندور) بسبب التأخير، كما أعتقد، ودعنى أَرَ ٢٠ نقطة أخرى لملابس العامة التى ترتديها. أتعرف؟ لا أعتقد أن أى منزل حصل على مثل هذه الدرجات السلبية فى وقت مبكر هكذا من العام الدراسى أبدًا ـ فنحن حتى لم نبدأ تناول الحلوى، ربما تكون قد سجلت رقمًا قياسيًا يا (بوتر)».

كانت الرغبة فى الانتقام، والكراهية التى تغلى داخل (هارى) قد احتدمت بشدة لدرجة أنه فكر فى أنه يفضل أن يبقى متجمدًا طوال الطريق عائدًا إلى لندن عن أن يقول لـ(سناب) سبب تأخره.

واستأنف (سناب) حديثه: «أفترض أنك أردت أن تلفت الأنظار إليك كالمعتاد، أليس كذلك؟ وبما أن السيارة الطائرة ليست متاحة، قررت أن اندفاعك إلى داخل البهو العظيم فى منتصف الوليمة سوف يحقق الأثر المسرحى المطلوب».

لم ينطق (هارى) بحرف، رغم أنه شعر أن صدره على وشك الانفجار. وأدرك أن (سناب) ما جاء ليحضره إلا لهذا، لكى يستغل تلك الدقائق فى تأنيب (هارى) وتعذيبه دون أن يسمعه أحد.

وصلوا إلى سلالم القلعة أخيرًا وعندما انفتحت الأبواب البلوطية الكبيرة على بهو الدخول الفسيح المرصوف، استقبلتهم أصوات الضحكات وجلجلة أصوات الأطباق والكئوس من باب البهو العظيم المفتوح. تساءل (هارى) إذا كان بإمكانه أن ينسل تحت عباءة الإخفاء مرة أخرى، وبهذه الطريقة يصل إلى مقعده على مائدة (جريفندور) ـ التى كانت لسوء حظه الأبعد عن بهو الدخول ـ بدون أن يلاحظه أحد.

ولكن (سناب) قال وكأنه قرأ ما دار بخلده: «لا، لن تستخدم العباءة، يمكنك أن تمشى إلى هناك لكى يراك الجميع، أنا متأكد من أن هذا ما أردته».

استدار (هارى) فى مكانه ومشى مباشرة عبر الأبواب المفتوحة، كان يريد أن يفعل أى شىء حتى يبتعد عن (سناب). كان البهو العظيم به موائد المنازل الأربعة الطويلة كالمعتاد، ومزينًا بمئات الشموع الطائرة التى كانت تلقى أضواءها على الأطباق فتجعلها تشع وتتلألأ تحتها.

بالنسبة لـ(هارى) كان كل هذا يبدو مثل غشاوة ضبابية متألقة، ولكنه مشى بسرعة جدًا حتى إنه عبر أمام مائدة (هافلباف) قبل أن يبدأ الناس فى التحديق إليه وعندما بدأوا يقفون لينظروا إليه جيدًا، كان قد حدد مكان (رون) و(هرميون) وأسرع بطول المقاعد فى اتجاههم ثم أفسح لنفسه مكانًا وجلس بينهما.

قال (رون): «أين كنت؟ ـ ما هذا؟ ـ ما الذى فعلته بوجهك؟» كان يحملق إليه ومعه كل شخص آخر فى الجوار.

قال (هارى): «لماذا؟ ما خطب وجهى؟» ثم سحب ملعقة ونظر إلى انعكاس وجهه المعوج.

قالت (هرميون): «أنت مغطى بالدم! تعالَ إلى هنا» ورفعت عصاها وقالت: «تيرجيو!» فاختفى كل الدم الجاف من على وجهه.

قال (هارى): «شكرًا» وأخذ يتحسس وجهه الجديد النظيف وهو يسأل: «كيف يبدو أنفى؟».

قالت (هرميون) بقلق: «طبيعى، ولكن ما سبب قلقك بشأنها يا (هارى)؟ ما الذى حدث؟، لقد كنا مرعوبين!».

قال (هارى) باقتضاب: «سأخبركم لاحقًا» كان مدركًا أن (جينى) و(نيفيل) و(دين) و(سيموس) يستمعون إليهم؛ وحتى (نيك شبه مقطوع الرأس) شبح (جريفندور) أتى طائرًا عبر المقعد ليسترق السمع.

قالت (هرميون): «ولكن..».

قال (هارى) بصوت يوحى بالغموض: «ليس الآن يا (هرميون)» تمنى هارى بشدة أنهم جميعًا سوف يفترضون أنه كان متورطًا فى شىء بطولى، ومن الأفضل أن يكون عددًا من (آكلى الموت) أو أحد (الديمنتورات).

بالطبع، سوف ينشر (دراكو مالفوى) القصة إلى أقصى وأبعد الحدود التى يمكنه أن يصل إليها، ولكن هناك دائمًا فرصة ألا تصل إلى آذان العديد من طلاب منزل (جريفندور).

تناول من أمام (رون) اثنتين من أفخاذ الدجاج وحفنة من رقائق البطاطس، ولكن قبل أن يبدأ بأكلهم اختفوا واستبدلوا بالحلوى.

قالت (هرميون): «لقد فاتتك مراسم التصنيف، على أية حال» بينما انقض (رون) على قطعة جاتوه كبيرة مغطاة بالشيكولاتة.

سأل (هارى): «هل قالت القبعة شيئًا مهمًا؟» وأخذ قطعة من الكعك المحشو بالعسل.

ردت (هرميون): «لا جديد فعلاً... ولكنها نصحتنا جميعًا أن نتحد فى مواجهة عدونا، كما تعرف».

سأل (هارى): «هل ذكر (دمبلدور) (فولدمورت) بالمرة؟».

أجابته (هرميون): ليس بعد، عادة ما يؤجل خطبته الأساسية إلى ما بعد الوليمة، أليس كذلك؟ لقد اقترب موعدها الآن».

(هارى): «قال (سناب): إن (هاجريد) تأخر عن الوليمة».

قال (رون): «هل رأيت (سناب)؟ كيف حدث هذا؟» ثم أسرع بملء فمه بالجاتوه مرة أخرى.

قال (هارى) متهربًا: «لقد صادفته».

قالت (هرميون): «لقد تأخر (هاجريد) لدقائق قليلة فقط، انظر يا (هارى) إنه يلوح لك».

نظر (هارى) إلى أعلى مائدة هيئة التدريس وابتسم لـ(هاجريد)، الذى كان بالفعل يلوح له، لم يستطع (هاجريد) أبدًا أن يعود نفسه على الانسجام مع وقار الأستاذة (ماكجونجال)، رئيسة منزل (جريفندور) التى كانت قمة رأسها تصل إلى مكان ما بين كوع (هاجريد) وكتفه بينما كانا جالسين جنبًا إلى جنب والتى كانت تنظر باستهجان إلى التحية الحماسية.

كان (هارى) قد فوجئ عند رؤيته مدرسة التنجيم، الأستاذة (تريلاونى) جالسة على الجانب الآخر من (هاجريد)، فقد كانت قليلاً ما تغادر غرفتها فى البرج، وهو لم يرها تحضر وليمة بداية العام الدراسى من قبل. وكانت تبدو غريبة الشكل مثل المعتاد وهى تتألق بسبب العقود الكثيرة وشالها المتدلى وكانت عيناها تبدوان ضخمتين إلى حد كبير من خلف نظارتها المكبرة.

ولأن (هارى) كان دائمًا يعتقد أنها مخادعة إلى حد ما، فقد صدم عندما اكتشف فى نهاية العام الماضى أنها هى التى تنبأت بالنبوءة التى جعلت (فولدمورت) يقتل والدى (هارى) ويهاجمه هو نفسه. وقد جعلته هذه المعرفة أقل رغبة فى أن يلتقى بها، لذلك فقد كان سعيدًا أنه لن يدرس مادة التنجيم هذا العام.

كانت عيناها الكبيرتان اللامعتان موجهتين فى اتجاهه، فأبعد نظره بسرعة فى اتجاه مائدة (سليذرين). كان (دراكو مالفوى) يقلد تحطيم أنف، وقد تعالت حوله الضحكات المبحوحة وصيحات التشجيع. فأخذ (هارى) يحدق إلى قطعة الحلوى التى أمامه بينما كان داخله يحترق مرة أخرى. إنه مستعد للتضحية بأى شىء فى سبيل فرصة للمبارزة أمام (دراكو)، واحدًا أمام واحد...

سألت (هرميون): «إذًا ما الذى أراده الأستاذ (سلجهورن)؟».

قال (هارى): «أن يعرف ما الذى حدث حقيقة داخل الوزارة».

نفخت (هرميون) وقالت: «هو وكل شخص آخر هنا، كان الناس يستجوبوننا عن هذا فى القطار، أليس كذلك يا (رون)؟».

قال (رون): «أجل، كلهم كانوا يريدون أن يعرفوا إن كنت فعلاً المختار...».

قاطعهم (نيك شبه مقطوع الرأس): «كان هناك الكثير من الكلام حول هذا الموضوع بالذات، حتى بين الأشباح» وهو يميل برأسه الذى كان بالكاد ملتصقًا بجسمه فى اتجاه (هارى) حتى إنه ترنح على نحو خطر فوق عنقه وأضاف: «إنهم يعتبروننى خبيرًا بأحوال (بوتر) نوعًا ما، فمن المعروف على نحو واسع أننا أصدقاء وقد طمأنت مجتمع الأرواح أننى لن أثقل عليك لأحصل على المعلومات، ولكن مع ذلك فإن (هارى بوتر) يعرف أنه يمكنه أن يأتمننى على كل أسراره وأن يودعنى ثقته كاملة، وقد قلت لهم إننى أفضل الموت عن خيانة ثقته فى».

قال (رون): «إن هذا لا يعنى شيئًا، بالنظر إلى أنك ميت بالفعل».

قال (نيك شبه مقطوع الرأس): وهو يشعر بالإهانة: «إنك تظهر قدرًا كبيرًا من الحساسية نحو تلك الفأس ذات النصل غير الحاد مرة أخرى».

ثم صعد إلى الهواء وانزلق عائدًا فى اتجاه النهاية البعيدة لمائدة (جريفندور) فى نفس اللحظة التى وقف فيها (دمبلدور) عند مائدة هيئة التدريس. فتلاشت الأصوات والضحكات التى كانت تتردد حول البهو فورًا تقريبًا.

قال (دمبلدور) وهو يبتسم ابتسامة عريضة ويداه مفتوحتان على اتساعهما وكأنه يعانق الغرفة بأسرها: «أفضل مساء لكم جميعًا».

شهقت (هرميون) وقالت: «ما الذى حدث ليده؟».

لم تكن الوحيدة التى لاحظت أن يد (دمبلدور) اليمنى كانت مسودة مثلما كانت فى الليلة التى حضر فيها ليأخذ (هارى) من منزل آل (درسلى) سادت الهمسات الغرفة، ولأن (دمبلدور) فسرها بشكل صحيح، فقد ابتسم فقط وأخذ يهز أكمامه ذات اللون البنفسجى والذهبى فوق جرحه.

وقال بحيوية: «أمر بسيط لا يدعو للقلق، الآن... مرحبًا بطلابنا الجدد، وأهلاً وسهلاً مجددًا بطلابنا القدامى! عام آخر ملىء بالتعليم السحرى فى انتظاركم...».

همس (هارى) إلى (هرميون): «لقد كانت يده على هذا الحال عندما رأيته خلال الصيف، اعتقدت أنه سيكون قد عالجها قبل الآن، مع ذلك... أو أن مدام (بومفرى) قد فعلت».

قالت (هرميون) وقد ارتسم على وجهها تعبير مشمئز: «إنها تبدو ميتة، فهناك بعض الجروح التى لا يمكن أن تعالجها اللعنات القديمة... وهناك أنواع من السموم ليس لها ترياق...».

(دمبلدور): «... طلب منى السيد (فيلتش) وكيلنا، أن أقول لكم إن هناك حظرًا عامًا على كل الخدع والمقالب التى تم شراؤها من متجر يسمى (ويسلى ويزرد ويزيس).

والذين يرغبون فى اللعب مع فريق (الكويدتش) الخاص بمنزلهم يجب أن يعطوا أسماءهم إلى رؤساء البيوت كالمعتاد، كما أننا نبحث عن معلق جديد على (الكويدتش)، من يرغب يفعل نفس الشيء.

نحن سعداء أن نرحب بعضو جديد فى هيئة التدريس هذا العام. الأستاذ (سلجهورن)» وقف (سلجهورن) وكان رأسه الأصلع يومض فى ضوء الشموع، وكان بطنه الكبير الذى تغطيه صدريته يلقى بظلال على المائدة. وأضاف (دمبلدور): «إنه أحد زملائى السابقين وقد وافق على أن يستأنف عمله السابق كمعلم لمادة الوصفات السحرية».

«الوصفات السحرية؟».

«الوصفات السحرية؟».

ترددت الكلمة فى جميع أنحاء البهو، بينما كان الناس يتساءلون إن كانوا قد سمعوا جيدًا.

قال (رون) و(هرميون) معًا: «الوصفات؟» ثم التفتا ليحدقا إلى (هارى) وقالوا: «ولكنك قلت...».

قال (دمبلدور) وقد رفع صوته حتى يعلو على أصوات الهمهمة: «وفى هذه الأثناء سيتولى الأستاذ (سناب) منصب مدرس مادة الدفاع عن النفس ضد فنون الظلام».

قال (هارى): «لا» وكان صوته عاليًا حتى إن الكثير من الرءوس قد التفتت فى اتجاهه ولكنه لم يهتم، واستمر يحدق إلى مائدة التدريس وهو غاضب. كيف يمكن أن يعطى (سناب) وظيفة الدفاع ضد فنون الظلام بعد كل هذا الوقت؟ ألم يكن معروفًا جدًا ولسنوات أن (دمبلدور) لم يكن يثق به ليقوم بها؟

قالت (هرميون): «ولكنك يا (هارى) أخبرتنا أن (سلجهورن) سيقوم بتدريس مادة الدفاع ضد فنون الظلام!».

قال (هارى): «لقد اعتقدت هذا!» وأخذ يجهد عقله ليتذكر متى قال له (دمبلدور) هذا، ولكن عندما فكر فى الأمر، لم يستطع أبدًا أن يتذكر (دمبلدور) وهو يقول له ما الذى سيدرسه (سلجهورن).

لم يقف (سناب) الذى كان يجلس على يمين (دمبلدور) عندما ذكر اسمه، وكل ما فعله هو رفع يده ليرد على تحية مائدة (سليذرين)، ومع ذلك كان (هارى) متأكدًا أن هناك نظرة انتصار على هذه الملامح التى يكرهها بشدة.

قال (هارى) بوحشية: «حسنًا، هناك أمر واحد جيد وهو أن (سناب) سوف يذهب بنهاية العام».

سأل (رون): «ما الذى تعنيه؟».

(هارى): «إنها وظيفة ملعونة، لم يستمر أحد بها أكثر من عام... (كويريل) مات وهو يؤديها. شخصيًا سوف أظل أدعو أملاً فى أن تحدث وفاة أخرى...».

قالت (هرميون) بلهجة مؤنبة وهى مصدومة: «(هارى)!».

قال (رون) بعقلانية: «ربما يعود بنهاية العام إلى تدريس مادة الوصفات السحرية مرة أخرى، فقد لا يرغب (سلجهورن) فى الاستمرار بالتدريس لمادة طويلة. (مودى) لم يفعل».

تنحنح (دمبلدور) فلم يكن (هارى) و(رون) و(هرميون) هم الوحيدين الذين كانوا يتكلمون، كان البهو بأكمله قد امتلأ بأزيز المناقشات عندما سمعوا بخبر فوز (سناب) أخيرًا بأمنية فؤاده. كان (دمبلدور) يبدو غير مدرك للطبيعة الحساسة للأخبار التى أذاعها، فلم يقل أى شىء عن التعيينات الجديدة فى هيئة التدريس، ولكن انتظر لبضع ثوان حتى يتأكد أن الصمت أصبح مطلقًا قبل أن يكمل قائلاً: «الآن، كما يعرف كل من بالبهو، فإن لورد (فولدمورت) وأتباعه عادوا مرة أخرى أحرارًا وتزيد قوتهم كل يوم».

بدأ التوتر والانفعال يسرى وسط جموع الصامتين فى البهو وبينما (دمبلدور) يتكلم، نظر (هارى) إلى (دراكو) فوجده لا ينظر إلى (دمبلدور)، ولكن يحرك شوكته بعصاه ويجعلها تحوم فى وسط الهواء وكأنه يجد كلمات الناظر غير جديرة بالاهتمام.

«... لا يمكننى أن أشدد بما يكفى على مدى خطورة الوضع الحالى وكمٍ الحذر الذى يجب علينا جميعًا فى (هوجوورتس) أن نتوخاه لنضمن البقاء سالمين. التحصينات السحرية للقلعة تمت تقويتها خلال الصيف. ونحن محميون بطرق جديدة وأكثر قوة. ولكن يجب علينا مع ذلك أن نحذر بشدة من الإهمال من طرف الطلاب أو أعضاء هيئة التدريس. أطلب منكم لهذا السبب أن تلتزموا بأى قيود أمنية يفرضها مدرسوكم عليكم مهما كنتم تجدونها مزعجة أو مملة وخاصة قاعدة عدم الخروج من الأسرة بعد المواعيد المحددة. وأناشدكم إذا ما لاحظتم أى شىء غريب أو مثير للشك داخل أو خارج القلعة أن تسارعوا بإبلاغ أحد أعضاء هيئة التدريس فورًا، أنا واثق بأنكم ستهذبون سلوككم دائمًا مع وضع الأولوية القصوى لسلامتكم وسلامة الآخرين».

مسح (دمبلدور) بعينيه الزرقاوين البهو قبل أن يبتسم مجددًا.

«... والآن، أسرتكم بانتظاركم دافئة ومريحة كما تتمنونها، فأنا أعلم أن الراحة على رأس أولوياتكم الآن، حتى تأخذوا ما تحتاجونه منها قبل دروس الغد، لذلك فلنقل لكم: تصبحون على خير، بيب بيب!».

دفعت المقاعد إلى الوراء وبدأ المئات من الطلاب يخرجون من البهو العظيم فى اتجاه مبانى النوم (المهاجعِ) محدثين الضجة المعتادة التى تصم الآذان. لم يكن (هارى) مستعجلاً بالمرة ليرحل مع الجمع الذى يهمهم، أو متفاديًا الاقتراب من (دراكو مالفوى) حتى لا يسمح له بإعادة قصة سحق الأنف، فتلكأ وهو يتظاهر بربط حذائه الرياضى ليسمح لمعظم طلاب (جريفندور) أن يسبقوه، أما (هرميون) فمضت لتقوم بدورها كرائد للفصل لتوصل طلاب السنة الأولى، ولكن (رون) لم يترك (هارى).

قال (رون) بصراحة: «لقد رأيت (دراكو) يقلد شيئًا له علاقة بالأنف».

قال (هارى) بمرارة: «نعم، حسنًا، لا يهمك هذا، استمع إلى ما كان (دراكو) يقوله قبل أن يكتشف أننى هناك».

توقع (هارى) أن يندهش (رون) عندما يسمع ما كان يتفاخر به (دراكو) وهو ما اعتقده (هارى) عنادًا خالصًا، إلا أن (رون) لم يشعر بهذا.

(رون): «هيا يا (هارى) لقد كان يتباهى أمام (باركنسون)... ما نوع المهمة التى يمكن أن يكلفه بها (أنت.. تعرف.. من)؟».

(هارى): «وكيف تعرف إن كان (فولدمورت) يريد أحدًا فى (هوجوورتس)؟ لن يكون الأول...».

قال صوت مؤنب من خلفهم: «كم أتمنى أن تتوقف عن قول الاسم يا (هارى)» نظر (هارى) من فوق كتفه ليرى (هاجريد) يهز رأسه.

قال (هارى) بعناد: «(دمبلدور) يستخدم هذا الاسم».

قال (هاجريد) بغموض: «أجل، حسنًا، هذا (دمبلدور)، أليس كذلك؟ ما الذى أخرك يا (هارى) لقد كنت قلقًا عليك».

قال (هارى): «لقد تم احتجازى فى القطار».

قال (هاجريد) بسعادة: «كنت مع...».

■ ■ ■

٩ الأمير الهجين

وفى اليوم التالى التقى (هارى) و(رون) و(هرميون) فى الغرفة العامة قبل الإفطار. وبدأ (هارى) على الفور يحكى لـ(هرميون) ما سمع (دراكو) يقوله فى قطار (هوجوورتس) السريع وهو يأمل أن يكون هذا دعمًا لنظريته.

وقبل أن تنطق (هرميون) بكلمة اندفع (رون) قائلاً: «ولكن من الواضح أنه كان يتظاهر أمام (باركنسون)، أليس كذلك؟».

قالت (هرميون) بصوت متردد: «لا أعرف.. فشخص كـ(دراكو) يمكن أن يحاول أن يبدو أكثر أهمية من حقيقته.. ولكن أن يحكى مثل هذه الكذبة الكبيرة...».

قال (هارى): «بالضبط» ولكنه لم يستطع أن يؤكد أكثر من ذلك على ما قالته (هرميون)؛ لأن الكثير من الأشخاص كانوا يحاولون الاستماع للحديث إذا ما أغفل هؤلاء الذين يحدقون إليه وقد رفعوا أيديهم لتغطية شفاههم وهم يهمسون.

نهر (رون) طالبًا صغيرًا جدًّا من طلاب السنة الأولى قائلاً: «من سوء الأدب الإشارة إلى الناس» كانوا قد انضموا إلى الطابور الذى يستعد للمغادرة من خلال فتحة اللوحة، فتحول وجه الولد، الذى كان يغمغم بشىء عن (هارى) من وراء يده، فورًا إلى اللون الأحمر القانى، وخرج بسرعة من الفتحة منزعجًا وضحك (رون) ضحكة مكتومة. وقال: «كم أحب كونى من طلاب السنة السادسة. كما أننا سنحصل على أوقات فراغ هذا العام. فترات بأكملها يمكننا أن نجلس فيها هنا فقط ونسترخى».

قالت (هرميون): «سنحتاج إلى استخدام هذا الوقت فى المذاكرة يا (رون)!». بينما كانوا فى طريقهم للنزول عبر الممر.

قال (رون): «أجل، ولكن ليس اليوم، فاليوم سيكون مخصصًا للاسترخاء كما أعتقد».

قالت (هرميون): «توقف» وهى ترفع ذراعها أمام أحد طلاب السنة الرابعة المارين لتوقفه، وكان يحاول المرور بجوارها وهو يمسك أسطوانات لونها أخضر ليمونى فى إحدى يديه بإحكام، وقالت له بصرامة: «الأطباق الطائرة ذات الأنياب ممنوعة... سلمها لى». سلم الولد - وهو عابس - الطبق الطائر إلى (هرميون) وانحنى ليعبر أسفل ذراعها ومضى خلف أصدقائه. انتظر (رون) حتى اختفى الولد ثم سحب الطبق من قبضة (هرميون).

وقال: «رائع، لقد أردت دائمًا أن أحصل على واحد من هؤلاء».

ارتفع صوت ضحك عال فحجب احتجاج (هرميون)؛ كان من الواضح أن (لافيندر براون) قد وجدت تعليق (رون) مضحكًا جدًّا، واستمرت تضحك وهى تمر بجوارهم وتنظر إلى (رون) من فوق كتفيها. وقد بدا (رون) سعيدًا بنفسه إلى حد ما.

كان سقف البهو العظيم أزرق صافيًا وصحوًا مخططًا بخيوط رفيعة من السحاب الهش وكأنها مثل مربعات من السماء، مرئية من خلال نوافذ مقسمة عالية. وبينما كانوا يلتهمون العصيدة مع البيض واللحم المقدد، قام (رون) و(هارى) بإخبار (هرميون) عن المحادثة المحرجة مع (هاجريد) الليلة السابقة.

قالت (هرميون) وهى تبدو حزينة: «ولكن لا يمكنه أن يعتقد فعلاً أننا سنستمر فى دراسة العناية بالمخلوقات السحرية! أعنى متى أظهر أى منا.. أى حماس للمادة؟».

قال (رون) وهو يبتلع بيضة مقلية بأكملها: «يبدو هذا، ومع ذلك لقد كنا الوحيدين الذين يبذلون أكبر مجهود فى الحصص، لأننا نحب (هاجريد) ولكنه يعتقد أننا نحب المادة الغبية، هل تعتقدون أن أى شخص سيدرس هذه المادة فى مستوى (إن. إيه. دبليو. تى)؟».

لم يرد (هارى) و(هرميون)؛ فلم تكن هناك حاجة للإجابة، فقد كانا يعرفان تمامًا أن لا أحد بسنتهم الدراسية يريد أن يستمر فى دراسة العناية بالمخلوقات السحرية. وعندما لوح لهم (هاجريد) وهو يغادر مائدة هيئة التدريس بعد عشر دقائق تفادوا النظر إلى عينيه وردوا على تلويحه المرح بحماس فاتر.

وبعد أن أنهوا طعامهم، لم يغادروا أماكنهم وبقوا منتظرين نزول الأستاذة (ماكجونجال) من مائدة هيئة التدريس. فقد كان توزيع جداول الحصص أكثر تعقيدًا عن المعتاد هذا العام؛ لأن الأستاذة (ماكجونجال) كانت تحتاج إلى التأكد من أن كل واحد منهم قد حصل على التقديرات الضرورية فى (أو. دبليو. إل) (امتحانات السحر العامة) أولاً حتى يستكملوا دراسة مواد (إن. إيه. دبليو. تى) التى يختارونها.

سمح لـ(هرميون) على الفور بمتابعة دراسة مواد (التعاويذ، الدفاع ضد فنون الظلام، التحويل، علم النباتات، والرياضيات السحرية، الكتابات القديمة، الوصفات السحرية) ثم غادرت بسرعة إلى الحصة الأولى لمادة الكتابات القديمة دون المزيد من الجلبة.

أخذ (نيفيل) وقتًا أطول لتحديد المواد التى سيدرسها، وكان القلق يبدو على وجهه المستدير بينما كانت الأستاذة (ماكجونجال) تنظر إلى استمارة الطلب الخاصة به، وتقيس تقديراته فى نتائج (أو. دبليو. إل).

ثم قالت: «علم النباتات، جيد، سيكون الأستاذ (سبراوت) سعيدًا بعودتك بعد أن حصلت على (امتياز) فى (أو. دبليو. إل) ويمكنك متابعة مادة الدفاع ضد فنون الظلام بعد أن حصلت على (تخطى التوقعات)

ولكن المشكلة فى مادة التحويل، أنا آسفة يا (لونجبوتم) ولكن لا يمكنك مواصلة دراستها فى مستوى (إن. إيه. دبليو. تى) بعد حصولك على (مقبول) فقط. لا أعتقد أنه يمكنك متابعة الأعمال المطلوبة للمادة».

أحنى (نيفيل) رأسه ونظرت إليه الأستاذة (ماكجونجال) من وراء نظارتها المربعة.

وقالت: «لماذا ترغب فى متابعة دراسة مادة التحويل، على أية حال فلم أشعر أبدًا أنك تستمتع بها بوجه خاص».

ظهرت التعاسة على (نيفيل) وغمغم: «جدتى تريد...».

نفخت الأستاذة (ماكجونجال): «هوفف، آن الأوان أن تتعلم جدتك كيف تفخر بحفيدها الذى رزقت به بدلاً من الحفيد الذى تعتقد أنها كان يجب أن تحصل عليه خاصة بعد الذى حدث فى الوزارة».

تحول لون (نيفيل) إلى اللون الوردى وأخذ يطرف بارتباك، فلم يسبق أن امتدحته الأستاذة (ماكجونجال) أبدًا من قبل.

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «أنا آسفة يا (لونجبوتم) ولكن لا أستطيع أن أدعك تلتحق بفصل (إن. إيه. دبليو. تى) الخاص بمادتى.. أرى أنك قد حصلت على (تخطى التوقعات)، فى مادة التعاويذ مع ذلك.. فلماذا لا تلتحق بمادة التعاويذ فى مستوى (إن. إيه. دبليو. تى)؟».

غمغم (نيفيل): «ولكن جدتى تعتقد أن التعاويذ خيار سخيف».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «خذ التعاويذ وسوف أتصل بـ(أوغستا) لأذكرها بأن مجرد رسوبها فى مادة التعاويذ فى امتحانات (أو. دبليو. إل) لا يعنى بالضرورة أن المادة عديمة الفائدة».

ابتسمت الأستاذة (ماكجونجال) ابتسامة خفيفة عندما رأت نظرة عدم التصديق الممزوج بالسرور على وجه (نيفيل) ثم دقت على أحد جداول الدراسة الخالية بطرف عصاها وسلمته إلى (نيفيل) وقد بدأ الجدول يمتلئ بتفاصيل حصصه الجديدة.

ثم التفتت الأستاذة (ماكجونجال) إلى (بارفاتى باتيل) التى كان أول سؤال سألته إن كان (فيرنز) القنطور الوسيم ما زال يدرس مادة التنجيم.

قالت الأستاذة (ماكجونجال) وقد ظهر فى صوتها رنة استهجان: «هو والأستاذة (تريلاونى) يقسمان الحصص بينهما هذا العام».

فقد كان معلومًا أنها تحتقر مادة التنجيم، وأضافت: «الأستاذة (تريلاونى) تدرس للسنة السادسة».

بعد خمس دقائق، التحقت (بارفاتى) بمادة التنجيم وقد بدا عليها الاكتئاب قليلاً.

قالت الأستاذة (ماكجونجال) بينما تراجع ملاحظاتها وتنظر إلى (هارى): «إذن يا (بوتر)، ستأخذ التعاويذ والدفاع ضد فنون الظلام وعلم النباتات والتحويل... جيد، يجب أن أقول إننى كنت سعيدة بدرجاتك فى مادة التحويل يا (بوتر)، سعيدة جدًا فى الحقيقة، والآن لماذا لم تتقدم لمتابعة مادة الوصفات السحرية؟ كنت أعتقد أن طموحك هو أن تصبح مدافعًا ضد السحر الأسود».

(هارى): «هذا صحيح ولكنك أخبرتنى أننى يجب أن أحصل على امتياز فى امتحانات (أو. دبليو. إل) يا أستاذة».

الأستاذة (ماكجونجال): «هذا كان الوضع عندما كان الأستاذ (سناب) يدرس المادة أما الآن فإن الأستاذ (سلجهورن) ليس لديه أى مانع من قبول الحاصلين على (تخطى التوقعات) فى (أو. دبليو. إل) لمواصلة دراسة مادة الوصفات السحرية فى مستوى (إن. إيه. دبليو. تى). هل ترغب فى مواصلة دراسة الوصفات السحرية؟».

قال (هارى): «أجل.. ولكنى لم أشتر الكتب أو المكونات أو أى شيء».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «أنا متأكدة أن الأستاذ (سلجهورن) سيكون قادرًا على إعارتك بعض الأشياء، حسنًا يا (بوتر) ها هو جدولك آه على فكرة.. هناك عشرون شخصًا سجلوا أسماءهم من أجل فريق

(جريفندور) لـ(الكويدتش). سوف أعطيك القائمة فى الوقت المناسب يمكنك أن تحدد مواعيد التجارب أثناء أوقات فراغك».

وبعد دقائق معدودة، تم السماح لـ(رون) بمواصلة نفس المواد التى أخذها (هارى)، وتركا كلاهما المائدة معًا.

قال (رون) مبتهجًا وهو يحدق إلى جدوله: «انظر.. لدينا وقت فراغ الآن.. ووقت فراغ آخر بعد وقت الراحة... وبعد الغداء... رائع!».

ثم عادوا إلى الغرفة العامة، والتى كانت خالية إلا من نصف دستة من طلبة السنة السابعة من ضمنهم (كاتى بيل) وهى العضوة الوحيدة الباقية من فريق (الكويدتش) الذى التحق به (هارى) فى عامه الأول.

ونادت على (هارى) وأشارت إلى شارة الكابتن التى على صدره وقالت: «توقعت أنك ستحصل عليها، أحسنت، أخبرنى عندما تبدأ فى التجارب!».

قال (هارى): «لا تكونى حمقاء. أنت لا تحتاجين إلى أى تجارب، لقد شاهدتك وأنت تلعبين طوال خمس سنوات...».

قالت محذرة: «لا يجب أن تبدأ بهذه الطريقة، فمن الممكن أن يكون بين المتقدمين من هم أفضل منى بكثير، فقد تم تخريب الكثير من الفرق الجيدة من قبل؛ لأن الكباتن استمروا فى ضم نفس الأشخاص إليها أو أدخلوا أصدقاءهم...».

بدا (رون) متضايقًا قليلاً وبدأ يلعب بالطبق الطائر ذى الأنياب الذى أخذته (هرميون) من طالب السنة الرابعة، فأخذ يصدر أزيزًا حول الغرفة ويزمجر محاولاً عض الزخارف بها. وتبعته عيون (كروكشانكس) الصفراء وأصدر صوت هسهسة عندما اقترب منه.

وبعد ساعة غادروا الغرفة العامة المشمسة على مضض إلى فصل الدفاع ضد فنون الظلام الذى يقع على بعد أربعة طوابق إلى أسفل. ووجدوا (هرميون) هناك تقف فى طابور خارج الغرفة وتحمل ملء ذراعيها كتبًا ثقيلة وبدت كأنها تعمل بالسخرة، وعندما انضم إليها

(هـاري) و(رون)، قـالت بـقـلـق: «عـنـدنـا الـكـثير مـن الـواجـبـات لمادة الكتابات القديمة: مقال بطول خمسين بوصة، وقطعتان للترجمة كما عليّ قراءة كل هذه الكتب بحلول يوم الأربعاء!».

قال (رون) وهو يتثاءب: «يا له من أمر مؤسف».

قالت وهي ممتعضة: «أراهن أن (سناب) سوف يعطينا الكثير من الواجبات».

وبينما تتكلم فتح باب الفصل وخطا (سناب) خارجًا إلى الممر، وكان وجهه الشاحب يحيط به كالمعتاد شعره الأسود الدهني الطويل. فساد الصمت الطابور فورًا.

وقال: «ادخلوا».

نظر (هاري) حوله بينما يدخلون إلى الغرفة. كانت شخصية (سناب) قد انعكست على المكان، فأصبحت أكثر كآبة عن المعتاد، خاصة والستائر تغطي كل النوافذ بها، وتضيئها أضواء الشموع. وكانت هناك صور جديدة تزين الحوائط، تظهر هذه الصور العديد من الأشخاص يبدو عليهم الألم، أو يعانون من جروح رهيبة أو بعض أطراف الجسم شكلها غريب، لم يتكلم أحد بينما يستقرون في أماكنهم، وهم ينظرون حولهم إلى الصور المخيفة.

قال (سناب) بعد أن أغلق الباب واستدار ليواجههم من خلف مكتبه: «أنا لم أطلب منكم أن تُخرجوا كتبكم» وضعت (هرميون) بسرعة نسختها من كتاب (مواجهة الذي بلا وجه) إلى داخل حقيبتها ووضعتها تحت كرسيها. قال (سناب): «أرغب أن أتحدث إليكم أولاً وأريد انتباهكم بالكامل لما أقوله».

كانت عيناه السوداوان تمران على وجوههم الشاخصة وتباطأتا قليلاً فوق وجه (هاري) أكثر من أي شخص آخر.

وقال: «لقد درس لكم هذه المادة خمسة مدرسين حتى الآن، كما أعتقد».

فكر (هاري) بمرارة: «تعتقد... كأنك لم تشاهدهم يأتون ويذهبون يا (سناب). أتمنى أن تكون التالي».

(سناب): «ومن الطبيعى أن كل واحد من هؤلاء المدرسين كان له طريقته فى التدريس وأولوياته، لذلك فقد فاجأنى نجاح العديد منكم فى المادة فى امتحانات (أو. دبليو. إل) بالرغم من هذا الإرباك الذى تعرضتم له. سأكون متفاجئًا أكثر إذا استطعتم جميعًا القيام بالأعمال المطلوبة منكم فى مستوى (إن. إيه. دبليو. تى) والتى ستكون أكثر تقدمًا بكثير».

أخذ (سناب) يلف حول أطراف الغرفة وهو يتكلم بصوت منخفض، فرفع الطلاب أعناقهم حتى يستطيعوا إبقاءه فى مجال نظرهم.

قال (سناب): «فنون السحر الأسود كثيرة، ومتنوعة، ودائمة التغير، وأبدية، محاربتها تشبه محاربة وحش له عدة رءوس، كلما قُطِع رأس منها نبت رأس آخر أعنف وأبرع عن الذى سبقه. فأنت تحارب ذلك الشىء المتغير المتبدل الذى لا يفنى».

حدق (هارى) إلى (سناب)، فمن المؤكد أن هناك اختلافًا بين اعتبار فنون الظلام كعدو خطر وبين الكلام عنهم كما يفعل (سناب) بطريقة يظهر فيها حبه لهم؟

قال (سناب) بصوت أعلى قليلاً: «لهذا يجب أن تكون الوسائل التى تستخدمونها للدفاع على نفس القدر من المرونة والإبداع الموجود فى الفنون التى ترغبون فى تعطيلها».

ثم أكمل: «هذه الصور» وأشار إلى بعضها وهو يمر بجوارها وأضاف: «تعطيكم تمثيلاً حقيقيًا لما يعنيه من يتعرض لتعويذة التعذيب على سبيل المثال» وأشار بيده إلى ساحر كان من الواضح أنه يصرخ من شدة الألم وأضاف: «أو يشعر بقبلة (الدمنتور)» ثم أشار إلى ساحر يرقد مكومًا على الأرض وعيونه الخالية من التعبير تحدق إلى الجدار وقال: «أو يتعرض لاعتداء من (الأنفيرى)» وهو يشير إلى صورة لأشلاء متناثرة على الأرض مخضبة بالدماء.

سألت (بارفاتى باتيل) بصوت حاد ومجلجل: «هل رأى أحد أى (أنفيرى) إلى الآن؟ هل من المؤكد أنه يستخدمهم؟».

قال (سناب): «لقد استخدم سيد الظلام (الأنفيرى) فى الماضى وهذا يعنى أنه من الحكمة أن نفترض أنه يمكن أن يستخدمهم مرة أخرى الآن...».

مضى مرة أخرى حول الجانب الآخر من الفصل متجهًا إلى مكتبه ومرة أخرى أخذ الفصل يراقبه وهو يمشى بينما عباءته السوداء تتماوج خلفه.

وأكمل: «... إنكم كما أعتقد مبتدئون تمامًا فى استخدام التعاويذ غير المنطوقة. ما فائدة التعاويذ غير المنطوقة؟».

ارتفعت يد (هرميون) فورًا فى الهواء. وأخذ (سناب) وقته فى النظر إلى الآخرين، للتأكد أنه ليس لديه خيار آخر قبل أن يقول بجفاف: «حسنًا - آنسة (جرانجر)».

قالت (هرميون): «لن يكون لدى غريمك أي إنذار عن نوع السحر الذى تنوى استخدامه مما يعطيك ميزة زمنية أقل من لمح البصر».

قال (سناب) رافضًا الإجابة: «إجابة منقولة تقريبًا كلمة بكلمة من *الكتاب النموذجى للتعاويذ، الصف السادس*». وعند الركن ضحك (دراكو مالفوى) ضحكة نصف مكبوتة، وأضاف (سناب): «ولكنه صحيح فى أساسه. نعم، إن هؤلاء الذين يريدون الوصول إلى استخدام السحر بدون نطق التعويذة يكسبون عامل المفاجأة فى رمى التعويذة. ولا يستطيع كل السحرة أداء هذا، بالطبع، فهى مسألة تركيز وقوة عقلية لا يملكها البعض» ثم تمهلت نظرته بخبث فوق (هارى) مرة أخرى.

عرف (هارى) أن (سناب) يفكر بدروس (الأوكلومينسى) المشئومة خلال العام الماضى. فاستمر فى مبادلة (سناب) التحديق حتى أبعد (سناب) نظره عنه.

أكمل (سناب) قائلاً: «وسوف تنقسمون الآن إلى ثنائيات، سيحاول واحد من كل ثنائى أن يلقى بتعويذة على الآخر بدون أن يتكلم. بينما الآخر سيحاول مقاومة التعويذة وهو صامت أيضًا. هيا ابدءوا».

وبالرغم من أن (سناب) لا يعلم هذا، فإن (هارى) قد قام بتعليم نصف هذا الفصل على الأقل، الذين كانوا من أعضاء جماعة الدفاع ضد فنون الظلام، كيف يؤدون تعويذة الدرع العام الماضى، ولكن مع ذلك فإن أحدًا منهم لم يؤد التعويذة بدون كلام. فقد كان هناك الكثير من الغش؛ فالبعض كانوا يهمسون بالتعويذة فحسب بدلاً من نطقها بصوت عال، وبعد عشر دقائق من الدرس استطاعت (هرميون) بدون أن تنطق كلمة واحدة أن تقاوم تعويذة الأقدام الهلامية التى غمغم بها (نيفيل)، وفكر (هارى) بمرارة أن عملاً كهذا كان يمكن أن يكسب (جريفندور) ٢٠ نقطة من أى أستاذ عقلانى ولكن (سناب) تجاهله.

وأخذ يتنقل بينهم وهم يتدربون، وهو يبدو كالمعتاد كخفاش أفرط فى النمو، ثم تريث ليراقب (هارى) و(رون) يكافحان فى أداء المهمة.

كان (رون) الذى من المفترض أن يلقى بتعويذة على (هارى) قد تحول وجهه إلى اللون البنفسجى وهو يضغط شفتيه بإحكام ليمنع نفسه من إغراء الغمغمة بالتعويذة، وكان (هارى) يمسك بعصاه عاليًا وينتظر على أحر من الجمر ليَصُدَّ التعويذة التى يبدو من غير المحتمل قدومها أبدًا.

قال (سناب) بعد لحظة: «مثير للشفقة يا (ويسلى)، انتظر.. اتركنى لأريك..».

ثم أدار عصاه فى اتجاه (هارى) بسرعة جدًا حتى أن (هارى) تصرف بشكل غريزى؛ ونسى كل ما يتعلق بالتعاويذ غير المنطوقة وصاح: «*بروتيجو!*».

كان سحر الدرع الخاص به قويًا جدًا حتى أنه أفقد (سناب) توازنه واصطدم بالمكتب. ونظر الفصل كله إليهم وأخذوا يراقبون (سناب) وهو يعدل نفسه، وهو مقطب.

ثم قال: «هل تتذكر أننى قلت لك إننا نتدرب على التعاويذ غير *المنطوقة* يا (بوتر)؟».

قال (هارى) بتصلب: «أجل».

(سناب): «أجل يا سيدى».

(هارى): «ليس هناك داع أن تدعونى سيدى، يا أستاذ».

انطلقت الكلمات من لسانه قبل أن يعرف ما يقوله فشهق العديد من الطلبة ومن بينهم (هرميون) وإن كان (رون) و(دين) و(سيموس) يبتسمون بتقدير من خلف (سناب).

قال (سناب): «ستعاقب بالاحتجاز يا (هارى)، مساء يوم السبت فى مكتبى، فأنا لا أقبل الوقاحة من أى شخص يا (بوتر)... حتى ولو كان المختار».

وعندما أصبحوا فى أمانٍ وهم فى طريقهم لفترة الراحة بعد لحظة قصيرة، قال (رون) ضاحكًا: «كان هذا رائعًا يا (هارى)!».

قالت (هرميون) وهى تقطب جبينها فى وجه (رون): «لم يكن عليك فعل ذلك، ما الذى جعلك تفعله؟».

قال (هارى) بغضب: «لقد حاول رميى بتعويذة.. إذا لم تلاحظى! لقد حصلت على ما يكفينى من هذا أثناء دروس (أوكلومينسى)! لماذا لا يستخدم شخصًا آخر غيرى فى تجاربه على سبيل التغيير؟ وما الذى يرمى إليه (دمبلدور) على أية حال بتركه يدرس مادة الدفاع؟ هل سمعتموه وهو يتكلم عن فنون الظلام؟ إنه يحبهم! كل هذا الذى يقوله عن أنها متبدلة وسرمدية..».

قالت (هرميون): «حسنًا، لقد اعتقدتِ أنه يبدو مثلك إلى حد ما».

(هارى): «مثلى».

(هرميون): «أجل، عندما كنت تصف لنا كيف يبدو الأمر عند مواجهة (فولدمورت). لقد قلت إن الأمر ليس مجرد حفظ مجموعة من التعاويذ. وقلت إنك وحدك أنت وعقلك وإرادتك وشجاعتك، حسنًا، أليس هذا ما كان يقوله (سناب)؟ ذلك أن الأمر يتوقف على شجاعتك وسرعة تفكيرك؟».

اعتقاد (هرميون) أن كلمات (هارى) تستحق الحفظ هدأ من غضب (هارى) حتى إنه لم يجادل.

«(هـارى)! يا (هـارى)!».

نظر (هـارى) حوله، فشاهد (جاك سلوبر)، أحد الضاربين فى فريق (جريفندور) (للكويدتش) العام الماضى يسرع فى اتجاهه وهو يمسك رقعة جلدية ملفوفة.

قال (سلوبر) وهو يلهث: «هذه لك، اسمع، لقد سمعت أنك الكابتن الجديد. متى ستعقد اختبارات القبول؟».

قال (هـارى): «لست متأكدًا بعد» وهو يفكر بينه وبين نفسه أن (سلوبر) سيكون سعيد الحظ جدًا لو عاد إلى الفريق، ثم أضاف. «سأخبرك عندما أحدد الوقت».

(سلوبر): «آه، حسنًا، ولكنى كنت آمل أن يكون هذا خلال عطلة نهاية الأسبوع القادمة...».

ولكن (هارى) لم يكن يستمع إليه؛ فقد عرف الكتابة المائلة الرفيعة الموجودة على الرقعة الجلدية. فترك (سلوبر) قبل أن يكمل كلامه وأسرع مبتعدًا مع (رون) و(هرميون) وأخذ يبسط الرقعة وهو ماض فى طريقه.

عزيزى (هارى)..

أحب أن نبدأ دروسنا الخاصة يوم السبت القادم، أرجو أن تتفضل بالحضور إلى مكتبى فى الثامنة مساءً. وأتمنى أن تكون مستمتعًا بأول يوم دراسى بعد العودة.

المخلص

(ألباس دمبلدور)

ملحوظة: أستمتع بفقاقيع الحمض

قال (رون) الذى قرأ الرسالة من فوق كتف (هـارى): «يستمتع بفقاعات الحمض؟» وقد ظهرت عليه الحيرة والدهشة.

قال (هارى) بصوت منخفض: «إنها كلمة السر التى تتيح لك اختيار المزراب خارج مكتبه. ها! لن يكون (سناب) سعيدًا... فلن يكون باستطاعتى تنفيذ الاحتجاز!».

قضـى (هـارى) و(رون) و(هـرمـيـون) فترة الـراحـة بـأكـمـلـهـا وهـم يحضرون الدروس التى سيعلمها (دمبلدور) لـ(هـارى). فكر (رون) أنها فى أغلب الظن سوف تكون تعاويذ أسحار عالية المستوى من النوع الذى لا يعرفه (آكلو الموت). فقالت (هرميون): «إن هذه الأشياء ستكون غير قانونية، وأعتقد أن الأحرى أن (دمبلدور) يريد تعليم (هارى) تعاويذ دفـاعـيـة مـتـقـدمـة» وبـعـد الاستراحـة، ذهـبت (هـرمـيـون) إلى حصـة الرياضيات السحرية، بينما عاد (هارى) و(رون) إلى الغرفة العامة حيث بدأا فى عمل واجب (سناب) وهما ممتعضان. واتضح أنه واجب معقد جدًا حتى إنهما لم يكونا قد انتهيا منه عندما عادت (هرميون) وانضمت إليهما خلال الفترة الحرة بعد الغداء، ولكنها عجلت من انتهاء الواجب إلى حد كبير. كانوا بالكاد قد انتهوا عند رن جرس حصة بعد الظهر المضاعفة لمادة الوصفات السحرية، فمضوا فى طريقهم المعتاد نازلين إلى الزنزانة المظلمة التى كانت لفترة طويلة تخص (سناب).

عندما وصلوا إلى الممر وجدوا أن عدد من واصلوا دراسة المادة إلى مستوى (إن. إيه. دبليو. تى) اثنا عشر فقط. كان من الواضح أن (كراب) و(جويل) قد فشلا فى الحصول على التقدير المطلوب فى (أو. دبليو. إل). ولكن أربعة آخرين من منزل (سليذرين)، بينهم (مالفوى) قد نجحوا. وأربعة من منزل (رافينكلو) وواحد من (هافلباف)، (إيرنى ماكميلان) الذى يحبه (هارى) بالرغم من أسلوبه المتسم بالزهو المبالغ إلى حد ما.

قال (إيرنى) بزهو: «(هارى)» ومد يده ليسلم على (هارى) عندما اقترب منه وأكمل: «لم أجد الفرصة لأكلمك فى محاضرة الدفاع ضد فنون الظلام هذا الصباح. درس جيد وإن كنت أعتقد أن تعويذة الدرع أصبحت موضة قديمة، فهى بالنسبة لنا وسائل دفاع قديمة... وكيف حالك يا (رون) وأنت يا (هرميون)؟».

كان كل ما استطاعوا قوله هو: «بخير»، قبل أن ينفتح باب الزنزانة. وتخرج كرش (سلجهورن) قبله من الباب. وبينما كانوا يدخلون إلى الغرفة تقوس شاربه الذى يشبه شارب فيل البحر فوق فمه المبتسم وحيًا (هارى) (وزابينى) بحماس واضح.

كانت الزنزانة على غير المعتاد ممتلئة بروائح غريبة وأبخرة استنشقها (هارى) و(رون) و(هرميون) باهتمام وهم يمرون بالغلايات التى تغلى وتخرج منها فقاقيع. أخذ طلاب منزل (سليذرين) مائدة وحدهم وكذلك فعل طلاب (رافينكلو) الأربعة. وشارك (إيرنى) (هارى) و(رون) و(هرميون) مائدتهم. واختاروا مائدة قريبة من غلاية ذات لون ذهبى، والتى كان يتصاعد منها إحدى أكثر الروائح إغراء، لم يستنشقها (هارى) قط فى حياته. ذكرته بشكل ما برائحة كعك السكر الذى يحبه، ورائحة خشب ذراع مكنسته وبعض الروائح الزهرية التى يعتقد أنه قد استنشقها فى الجحر، وجد أنه كان يستنشقها ببطء وعمق، ويخار الوصفة يملؤه مثل الشراب، واجتاحه شعور بالرضا فابتسم إلى (رون) ورد (رون) ابتسامته بكسل.

كانت حدود جسم (سلجهورن) الضخم ترتعش خلف الأبخرة الكثيرة البراقة وقال (سلجهورن): «الآن، حان الوقت.. حان الوقت لتخرجوا موازينكم وأدوات الوصفات ونسخكم من *المستوى المتقدم فى تحضير الوصفات*».

قال (هارى) وهو يرفع يده: «سيدى؟».

(سلجهورن): «(هارى)، يا بنى؟».

قال (هارى): «ليس لدى ميزان أو أدوات وكذلك (رون).. لأننا لم نكن نعلم أنه سيكون بإمكاننا متابعة المادة إلى مستوى (إن. إيه. دبليو. تى)».

قال (سلجهورن): «آه، نعم، لقد ذكرت الأستاذة (ماكجونجال) شيئًا عن هذا.. لا تقلق يا ولدى العزيز، لا تقلق على الإطلاق. يمكنك

الاستخدام من المكونات المخزنة بالخزانة اليوم، وأنا متأكد أننا يمكننا إعارتك بعض الموازين كما يوجد لدينا مخزون من الكتب القديمة هنا، ستكون كافية حتى تراسلوا (فلوريش وبلوتس)....».

ثم خطا (سلجهورن) باتجاه خزانة ركنية وبعد لحظة من البحث ظهر ومعه نسختان باليتا المظهر من كتاب المستوى المتقدم فى تحضير الوصفات، لكاتبه (ليبانيوس بوريج) وأعطى لـ(هارى) و(رون) مع الكتب اثنين من الموازين المتسخة.

عاد (سلجهورن) إلى مقدمة الفصل ونفخ صدره ـ المنتفخ فى الأصل ـ حتى إن أزرار معطفه القصير بدت مهددة بالانخلاع من مكانها. وقال: «الآن، لقد أعددت لكم بعض الوصفات لنلقى نظرة عليها فقط على سبيل التشويق. فهذه الوصفات هى من نوعية الأشياء التى يجب أن تعرفوا كيف تعدونها بعد أن تنهوا دراسة المادة فى مستوى (إن. إيه. دبليو. تى) وأنتم فى الأغلب قد سمعتم بها من قبل، حتى وإن لم تقوموا بتحضيرها بعد، هل يستطيع أحدكم أن يقول لى ما هذه؟».

وأشار إلى المائدة التى بالقرب من مائدة (سليذرين). رفع (هارى) نفسه قليلاً عن مقعده وشاهد ما يبدو مثل ماء يغلى داخل الغلاية فقط.

ارتفعت يد (هرميون) المدربة فى الهواء قبل أى شخص آخر؛ فأشار (سلجهورن) إليها.

قالت (هرميون): «إنه مصل الحقيقة، إنها وصفة بلا لون أو رائحة، تجبر من يشربها على قول الحقيقة».

قال (سلجهورن) بسعادة: «جيد جدًا، جيد جدًا، والآن» وأكمل حديثه وهو يشير إلى الغلاية التى بجوار مائدة (رافينكلو): «هذه هنا معروفة جدًا.. فقد تم ذكرها فى منشورات الوزارة مؤخرًا أيضًا... من يستطيع...؟».

وكانت يد (هرميون) هى الأسرع مرة أخرى.

وقالت: «إنها وصفة التخفى يا سيدى».

تعرف (هارى) أيضًا على الوصفة التى تشبه الوحل وتغلى ببطء فى الغلاية الثانية ولكنه لم يمتعض من إعطاء (هرميون) حق الإجابة، فهى رغم كل شىء كانت الشخص الذى نجح فى تحضيرها، عندما كانوا فى عامهم الدراسى الثانى.

قال (سلجهورن): «رائع، رائع، الآن، هذه هناك... نعم يا عزيزتى».

بدا (سلجهورن) متحيرًا قليلاً عندما ضربت يد (هرميون) الخواء مرة أخرى.

وقالت: «إنها أمور تينتيا!».

قال (سلجهورن): «إنها هى بالفعل، قد يبدو من الغباء أن أسأل عنها».

وقد بدا عليه الإعجاب الشديد وأضاف: «أفترض أنك تعرفين تأثيرها».

قالت (هرميون): «إنها أقوى وصفة للحب فى العالم!».

قال (سلجهورن): «هذا صحيح تمامًا! لقد ميزتها إذن، ربما بلمعان عرق اللؤلؤ المميز».

قالت (هرميون) بحماس: «والبخار المتصاعد على شكل لولبى، والرائحة التى من المفترض أن تبدو مختلفة لكل واحد منا، فهى تشكل حسب ما يجذبنا، ويمكننى شم رائحة عشب تم جزه مؤخرًا ورقعة جلدية جديدة و...».

ولكن لونها تحول إلى اللون الوردى قليلاً ولم تكمل الجملة.

قال (سلجهورن) متجاهلاً إحراج (هرميون): «هل يمكننى أن أسألك عن اسمك يا عزيزتى؟».

(هرميون): (هرميون جرانجر) يا سيدى».

(سلجهورن): (جرانجر)؟ (جرانجر)؟ هل يمكن أن تكونى قريبة لـ(هكتور دوجورث - جرانجر) الذى أسس إحدى أكثر جمعيات صانعى الوصفات استثنائية؟».

(هرميون): «لا أعتقد يا سيدى، فأنا مولودة للعامة».

رأى (هارى) (دراكومالفوى) يميل مقتربًا من (نوت) ويهمس له بشىء وضحك كلاهما، ولكن (سلجهورن) لم يظهر أى رفض أو قلق؛ بل على العكس، ابتسم ونقل نظره من (هرميون) إلى (هارى)، الذى كان يجلس بالقرب منها.

وقال: «آه! إحدى صديقاتى مولودة للعامة وهى أفضل الطلاب فى عامنا الدراسى!) أفترض أن هذه هى الصديقة التى تكلمت عنها يا (هارى)».

قال (هارى): «نعم يا سيدى».

قال (سلجهورن) بخفة دم: «حسنًا، حسنًا، خذى عشرين نقطة تستحقها (جريفندور) بجدارة يا آنسة (جرانجر)».

بدا منظر (دراكو) مصعوقًا كما لو أن (هرميون) قد لكمته فى وجهه، والتفتت (هرميون) إلى (هارى) ووجهها يشع بالسعادة وهمست: «هل حقًا قلت له إننى الأفضل بين طلاب الفصل؟ آه يا (هارى)!».

همس (رون) الذى بدا لسبب ما متضايقًا: «حسنًا، ما الشىء الرائع فى هذا؟ إنك بالفعل أفضل طلاب الصف ـ كنت سأقول له ذلك لو سألنى!».

ابتسمت (هرميون) ولكنها أشارت بيدها ليسكتوا حتى يسمعوا ما كان (سلجهورن) يقوله. وقد بدا (رون) متضايقًا قليلاً.

قال (سلجهورن): «أمورتينتيا لا تخلق الحب فعلاً، بالطبع، فمن المستحيل تصنيع الحب أو تقليده، لا، هذا سوف يسبب الافتتان الشديد أو هوس الحب. ومن المحتمل أن تكون أكثر الوصفات قوة وخطورة فى هذه الغرفة الآن ـ أجل» قال هذا وأخذ يومئ برأسه مؤكدًا إلى (مالفوى) و(نوت) اللذين كانا يبتسمان بتشكك. وأضاف: «عندما ترى من الحياة قدر ما رأيت، لن تقلل من قوة الحب الذى يصل إلى درجة الهوس...».

وأكمل: «والآن، لقد حان الوقت لنبدأ فى العمل».

قال (إيرنى ماكميلان): «سيدى، إنك لم تقل لنا ما الموجود فى هذه الغلاية» وأشار إلى غلاية صغيرة تقف فوق مكتب (سلجهورن) وكانت

الوصفة بها تتناثر بفرحٍ، وكان لونها مثل الذهب المنصهر وقطرات كبيرة تقفز فوق السطح مثل الأسماك الذهبية بدون أن تسقط خارج الغلاية أى ذرة.

قال (سلجهورن) مرة أخرى: «آه» كان (هارى) واثقًا أن (سلجهورن) لم ينس الوصفة ولكنه انتظر أن يسأله أحد عنها حتى تحقق الأثر المسرحى وأضاف: «نعم، هذه.. حسنًا، سيداتى وسادتى هذه هى أكثر وصفة صغيرة مثيرة للفضول. يطلق عليها فليكس فلسيس. لا أتصور أنكم تعرفونها».

ثم استدار وهو يبتسم ونظر إلى (هرميون) التى أخرجت تنهيدة مسموعة وأضاف: «هل تعرفينها يا آنسة (جرانجر)؟».

قالت (هرميون) وهى متحمسة: «إنها الحظ السائل، إنها تجعلك محظوظًا!».

انتبه الفصل بأكمله واعتدلوا فى جلستهم قليلاً. وأصبح كل ما يمكن لـ(هارى) رؤيته هو خلفية رأس (دراكو مالفوى) الشقراء الناعمة لأنه على الأقل الآن كان منتبهًا إلى (سلجهورن) بكل حواسه.

قال (سلجهورن): «هذا صحيح تمامًا، خذى عشر درجات أخرى لـ(جريفندور). أجل، إنها وصفة صغيرة وغريبة وتتطلب دقة وبراعة شديدة حتى يمكن تحضيرها، ويمكن أن تسبب كارثة عند حدوث خطأ فى تحضيرها ومع ذلك إذا صنعت بالشكل الصحيح ـ كما حدث مع هذه ـ سوف تجد أن كل محاولاتك تنجح... على الأقل حتى ينتهى تأثير الوصفة».

قال (تيرى بوت) بحماس: «ولماذا لا يشربها الناس طوال الوقت يا سيدى؟».

قال (سلجهورن): «لأنه لو أخذت بإسراف تسبب الدوار والاستهتار وفرط الثقة بالناس الذى يكون خطرًا، وتجاوزا للحد فى شىء جيد. أتعرف؟ كما أنها سامة جدًا إذا تم تناولها بكميات كبيرة ولكن يجب أن تؤخذ بكميات قليلة وعلى فترات متباعدة جدًا...».

قال (مايكل كورنر) باهتمام كبير: «وهل تناولتها أبدًا يا سيدى؟».
قال (سلجهورن): «مرتين فى حياتى، إحداهما عندما كنت فى الرابع والعشرين، والمرة الأخرى عندما كنت فى السابعة والخمسين وق تناولت ملء ملعقتين من ملاعق المائدة وحصلت على يومين مثاليين،
ثم حدق حالمًا فى الخلاء وسواء كان هذا تمثيلاً أم لا، فقد اعتق (هارى) أن تأثيره كان جيدًا.
قال (سلجهورن) وقد بدا أنه عاد إلى الأرض: «وهذه هى جائزتى لهذ الدرس».
وساد الصمت حتى بدا صوت غليان ويقبقة كل وصفة من الوصفات المحيطة بالمكان عاليًا جدًا.
وأضاف: «زجاجة صغيرة من فليكس فلسيس» وأخرج من جيب زجاجة صغيرة مصنوعة من الزجاج بها سدادة من الفلين وأراهم إياه وأضاف: «تكفى لمدة اثنتى عشرة ساعة من الحظ، وستكون محظوظ فى كل شىء تقدم عليه من شروق الشمس إلى غروبها».
والآن، يجب أن أحذركم بأن فليكس فلسيس مادة ممنوعة فى المسابقات المنظمة... مثل الأحداث الرياضية على سبيل المثال والامتحانات والانتخابات. لذلك فالفائز سوف يستخدمها فى يو عادى فقط... ويشاهد كيف يتحول هذا اليوم إلى يوم استثنائى!».
قال (سلجهورن) وقد نشط فجأة: «إذن، كيف ستكسبون جائزتى الخرافية؟ حسنًا بفتح صفحة رقم عشرة من كتاب المستوى المتقدم فى تحضير الوصفات. مازال لدينا وقت يزيد على الساعة بقليل وهو الوقت الذى سيكون عليكم من خلاله أن تقوموا بمحاولةمرضية لتحضير شراب حياة الموت. أنا أعرف أنه أكثر تعقيدًا من أى شىء حاولتم عمل من قبل، وأنا لا أتوقع وصفة مثالية من أى منكم. إلا أن الشخص الذى سيحقق أفضل نتيجة سوف يكسب زجاجة الفيلكس هنا. هيا ابدءوا!».

كان هناك صوت احتكاك حين سحب كل منهم غلايته قريبًا منه، ثم صوت صليل عالٍ عندما بدءوا فى إضافة الأثقال إلى الموازين ولم يتكلم أى منهم حتى بدا التركيز كأنه شىء ملموس تقريبًا. رأى (هارى) (دراكو) يقلب صفحات نسخته من كتاب المستوى المتقدم فى تحضير الوصفات باهتياج واضطراب. كان من الواضح جدًا رغبة (دراكو مالفوى) الشديدة فى الحصول على يوم الحظ. انحنى (هارى) بسرعة على الكتاب البالى الذى أعاره إياه (سلجهورن) وتضايق جدًا عندما وجد أن مالكه السابق قد كتب فى كل مكان بالصفحات حتى أصبحت الهوامش فى سواد الأجزاء المطبوعة من الكتاب. فاضطر إلى الانحناء أكثر على الكتاب ليقرأ المكونات. حتى هنا كان المالك السابق قد وضع حواشى تفسيرية وشطب على بعض الأشياء وأسرع (هارى) إلى خزانة المكونات ليحضر ما يحتاجه. وأثناء عودته مسرعًا إلى غلايته، شاهد (دراكو مالفوى) وهو يقطع جذور نبات حشيشة القط بأسرع ما يستطيع.

ودأب كل واحد منهم على النظر حوله ليرى ما يفعله الآخرون، وكان هذا ميزة وعيب مادة الوصفات، وهو صعوبة الإبقاء على عملك سريًا. وبعد عشر دقائق كان المكان كله مملوءًا ببخار لونه أزرق. وبدت (هرميون) بالطبع متقدمة أكثر من الجميع. كانت وصفتها تشبه السائل السلس ذا اللون الأسود الذى يشبه لون الزبيب الذى تمت الإشارة إليه كمرحلة مثالية متوسطة.

وبعد أن انتهى (هارى) من تقطيع الجذور، انحنى مرة أخرى فوق الكتاب فقد كانت محاولة قراءة الإرشادات من بين كل هذه الشخابيط الغبية الخاصة بالمالك السابق للكتاب تثير حنقه.

ولكن المالك السابق لسبب ما أهمل التعليمات الخاصة بتقطيع حبوب نبات سويفوروس ودون بدلاً منها تعليمات أخرى (اسحقها بالجانب المسطح لخنجر فضى والذى يخرج العصير الذى بداخلها أفضل من التقطيع).

ثم سمع (هارى) صوتًا يقول: «سيدى، أعتقد أنك تعرف جدى (أراكساس مالفوى)؟» فرفع (سلجهورن) بصره وهو يمر بجوار مائدة طلاب (سليذرين) وقال: «نعم» وبدون أن ينظر إلى (دراكو مالفوى) أضاف: «لقد حزنت عندما علمت بموته، بالرغم من أنه كان متوقعًا بالطبع بعد إصابته بجدرى التنين فى مثل عمره...».

ثم مشى مبتعدًا. وانحنى (هارى) فوق غلايته مرة أخرى وابتسم. فقد عرف أن (دراكو) كان يتوقع أن تتم معاملته مثل (هارى) أو (زابينى) وربما توقع حتى بعض المعاملة التمييزية من النوع الذى تعلم أن يتوقعه من (سناب). ولكن من الواضح أن (دراكو) ليس لديه ما يركن إليه سوى موهبته ليكسب زجاجة فليكس فلسيس.

وجد (هارى) صعوبة شديدة فى تقطيع حبوب سويوفوروس فالتفت إلى (هرميون).

وسألها: «هل يمكننى استعارة سكينك الفضية؟».

فأومأت برأسها موافقة بنفاد صبر بينما لم تبعد عينيها عن وصفتها، والتى كان لونها مازال بنفسجيًا داكنًا، على الرغم من أنه وفقًا للكتاب كان يجب أن تكون قد تحولت إلى اللون البنفسجى الفاتح الآن، قام (هارى) بسحق الحبوب بالجانب المسطح للسكين واستغرب عندما أفرزت على الفور كمية كبيرة من العصير حتى إنه استغرب أن هذه الحبوب الذابلة يمكن أن تحمل كل هذه الكمية بداخلها وقام (هارى) بسرعة بوضعها كلها بداخل الغلاية، وتفاجأ عندما رأى أن لون الوصفة قد تحول على الفور إلى نفس درجة اللون البنفسجى الفاتح الموصوفة فى الكتاب.

واختفى ضيقه من المالك السابق للكتاب على الفور، وتحول (هارى) بنظره إلى السطر التالى للتعليمات طبقًا للمذكور فى الكتاب كان يجب عليه أن يقلب الوصفة عكس اتجاه عقارب الساعة. حتى تصبح فى صفاء الماء، ولكن طبقًا للتعليمات التى أضافها المالك السابق للكتاب،

كان عليه أن يقلب الوصفة مرة فى اتجاه عقارب الساعة بعد كل سبع مرات يتم تقليبها عكس اتجاه عقارب الساعة.

بدأ (هارى) فى التقليب عكس اتجاه عقارب الساعة ثم أمسك تنفسه وهو يقلب مرة فى اتجاه عقارب الساعة. وكان التأثير فوريًا حيث تحولت الوصفة إلى اللون الوردى الفاتح.

سألت (هرميون): «كيف تفعل هذا؟» كان وجهها محمرًا وقد ازدادت كثافة شعرها أكثر وأكثر تحت الأبخرة المتصاعدة من غلايتها ولون وصفتها كان بنفسجيًا لا يتغير.

(هارى): «قلبى مرة فى اتجاه عقارب الساعة».

قالت بحدة: «لا، لا، الكتاب يقول عكس عقارب الساعة».

هز (هارى) كتفيه وأكمل ما كان يفعله، وأخذ يقلب سبع مرات عكس عقارب الساعة ومرة فى اتجاه عقارب الساعة، وينتظر قليلاً ثم يواصل سبع مرات عكس عقارب الساعة ومرة فى اتجاه عقارب الساعة..

وعبر المائدة كانت لعنات (رون) تتدفق بصوت منخفض؛ فقد كانت وصفته تبدو مثل العرقسوس. نظر (هارى) حوله ووجد أنه لا أحد من الذين يمكنه رؤيتهم قد تحول لون وصفته إلى اللون الشاحب مثله فشعر بالسعادة، وهو شىء لم يحدث له من قبل فى هذه الزنزانة.

قال (سلجهورن): «انتهى.. الوقت! توقفوا عن التقليب لو سمحتم!».

وتحرك (سلجهورن) ببطء بين الموائد وأخذ ينظر داخل الغلايات الصغيرة. ولم يعلق على شىء ولكنه أحيانًا ما كان يحدق بالوصفة أو يستنشق رائحتها.

وأخيرًا وصل إلى المائدة التى يجلس عليها (هارى) و(رون) و(هرميون) و(إيرنى)، وابتسم برثاء عندما شاهد المادة التى تشبه القطران فى غلاية (رون) وتجاهل الخليط ذا اللون الأزرق الداكن الخاص بـ(إيرنى) وأومأ برأسه استحسانًا لوصفة (هرميون) ثم شاهد وصفة (هارى) وغمرت وجهه نظرة سرور ودهشة.

ثـم أعلـن لـكل الموجـودين بـالـغرفـة. «الـفـائـز الأوحد! رائـع، رائـع، يـا (هـارى)! يـاللعجب! يبدو أنك قد ورثت موهبة والدتك فقد كانت (ليلى) بـارعة فى مـادة الوصفات، خذ، إذن، خذ... زجاجة من فليكس فلسيس كمـا وعدت، وأرجو أن تحسن استخدامهـا!».

وضع (هـارى) الزجاجة الصغيرة المملوءة بـالسائل الذهبى داخل جيبه الداخلى، وهو يشعر بخليط عجيب من السرور بسبب النظرات الغاضبة التى ارتسمت على وجوه طلاب (سليذرين) والذنب بسبب تعبير خيبة الأمل المرتسم على وجه (هرميون)، أمـا (رون) فكـان يبدو واجمًا.

همس (رون) إلى (هـارى): «كيف فعلت ذلك؟».

قـال (هـارى): «كنت محظوظًا على مـا أعتقد» لأن (دراكو مـالفوى) كـان قريبًا منهم. وعندمـا وصلوا إلى مـائدة (جريفندور) وجلسوا عليهـا بـأمـان فى انتظار العشاء. شعر (هـارى) أن بـإمكـانه أن يقول لهم، وكـان وجه (هرميون) يتحول ليصبح أكثر جمودًا مع كل كلمة ينطقهـا (هـارى).

وفى النهـاية قـال (هـارى) وقد استفزه تعبير وجههـا: «أفترض أنك تعتقدين أننى قد قمت بـالغش».

قـالت بتصلب: «حسنًـا، لم يكن هذا من عملك تمـامًـا، أليس كذلك؟».

قـال (رون): «لقد اتبع تعليمـات مختلفة عن التى اتبعنـاهـا، كـان يمكن أن تسبب كـارثة، أليس كذلك؟ ولكنه غـامر ونجح الأمر معه» ثم تنهد وأكمل قـائلاً: «كـان يمكن أن يعطينى (سلجهورن) هذا الكتـاب، ولكن لا، لقد حصلت على الكتـاب الذى على هوامشه كـان أى شخص يتقيأ عليه من منظر صفحة اثنين وخمسين، ولكن...».

قـال صوت بـالقرب من أذن (هـارى) اليسرى: «انتظروا!» وتنشق (هـارى) فجأة رائحة خفيفة من الزهور التى تنشقهـا فى زنزانة (سلجهورن)، فنظر حوله ووجد أن (جينى) قد انضمت إليهم وأكملت قـائلة: «هل مـا سمعته صحيح؟ هل كنت تتبع أوامر شخص مـات داخل كتـاب يـا (هـارى)؟».

بدت مذعورة وغاضبة. عرف (هارى) ما الذى كانت تفكر فيه على الفور.

فقال مهدئًا وهو يخفض صوته: «إنه لا شيء، إنه ليس مثل مذكرات (ريدل) مثلاً إنه فقط كتاب مدرسى قديم، كتب شخص ما على هوامشه وحواشيه».

(جينى): «ولكنك تفعل ما يقوله».

قال (هارى): «لقد جربت بعض الملاحظات المكتوبة على الهوامش، هذا كل ما فى الأمر يا (جينى)، لا شيء غريب».

قالت (هرميون) وهى تمد عنقها فجأة: (جينى) على حق، يجب أن نتحقق من عدم وجود شيء غريب فى الأمر. أقصد كل هذه الإرشادات العجيبة، من يعلم؟».

هتف (هارى) مستاءً عندما شدت (هرميون) نسخته من كتاب المستوى المتقدم فى تحضير الوصفات من حقيبته: «ما الأمر؟» ورفعت عصاها.

وقالت: «*سبيشيال ريفليو*» وهى تدق بخفة على الغلاف الأمامى، ولكن شيئًا لم يحدث. ثبت الكتاب فى مكانه ببساطة وهو يبدو قديمًا ومتسخًا وصفحاته مطوية الزوايا.

قال (هارى) بانفعال: «هل انتهيت؟ أم تريدين الانتظار لترى إذا كان سيقوم ببعض الشقلبات الخلفية؟».

قالت (هرميون) وهى مازالت تحدق إلى الكتاب بارتياب: «إنه يبدو على ما يرام، أقصد، إنه بالفعل يبدو مجرد كتاب مدرسى».

قال (هارى) وهو يخطفه من فوق المائدة: «جيد، يمكننى أن أسترجعه إذن...» ولكنه انزلق من يده وهبط مفتوحًا على الأرض.

لم يكن أحد غيره ينظر. وبينما ينحنى ليستعيد الكتاب، وجد شيئًا مكتوبة بطول أسفل غطاء الكتاب الخلفى من الداخل وبنفس الخط الصغير الضيق الذى كتبت به التعليمات التى أكسبت (هارى) زجاجة (الفليكس فلسيس)، والمخفية الآن بأمان داخل شراب فى حقيبته فوق. وكان الخط يقول:

(هذا الكتاب ملك الأمير الهجين)



١٠ منزل آل «جاونت»

استمر (هارى) فى اتباع تعليمات الأمير الهجين، خلال بقية حصص مادة الوصفات لهذا الأسبوع، مهما اختلفت عن تعليمات (ليبانيوس بوريج)، فكانت النتيجة أنه بحلول الحصة الرابعة، كان (سلجهورن) يمتدح قدرات (هارى) ويقول إنه نادرًا ما قام بالتدريس لشخص على هذا القدر من الموهبة. ولم يكن (رون) و(هرميون) مسرورين بذلك. رغم أن (هارى) عرض عليهما أن يشاركاه فى الكتاب ولكن (رون) وجد صعوبة كبيرة فى فك طلاسم الخط ولم يكن بإمكانه أن يظل يطلب من (هارى) أن يقرأ له بصوت عالٍ؛ لأن الأمر كان يبدو مريبًا. وفى هذه الأثناء كانت (هرميون) تتقدم بصعوبة وهى مصممة على اتباع ما أطلقت عليه التعليمات الرسمية، ولكن طباعها كانت تزداد حدة لأن نواتج تلك التعليمات كانت أقل دقة مما تعطيه تعليمات كتاب الأمير.

تساءل (هارى) بغموض عمن يكون الأمير الهجين ورغم الكم الكبير من الواجبات التى يأخذها منعه من قراءة نسخته من كتاب المستوى المتقدم فى تحضير الوصفات بالكامل إلا أنه تصفحه جيدًا ليجد أنه تقريبًا لا توجد صفحة واحدة لم يكتب عليها الأمير ملاحظات إضافية وإن لم تتعلق كلها بتحضير الوصفات. فقد كانت هناك إرشادات متناثرة تبدو مثل تعاويذ ابتكرها الأمير بنفسه.

قالت (هرميون) بانفعال: «أو بنفسها» كانت قد سمعت (هارى) مصادفة وهو يذكر لـ(رون) بعض هذه الأشياء فى الغرفة العامة مساء يوم السبت.

أضافت: «من الممكن أن تكون فتاة، فالخط يبدو خط فتاة أكثر من خط فتى».

قال (هارى): «لقد كان يطلق عليه الأمير الهجين. وأظن أن الفتاة يقال لها أميرة وليس أميرًا».

لم تجد (هرميون) ما ترد به على (هارى).

وانتزعت مقالها عن مبادئ التجسيد بعيدًا عن (رون) الذى كان يحاول قراءته بالمقلوب.

نظر (هارى) إلى ساعته ثم أسرع بوضع نسخته القديمة من كتاب المستوى المتقدم فى تحضير الوصفات فى حقيبته.

وقال: «إنها الثامنة وخمس دقائق، من الأفضل أن أذهب وإلا سوف أتأخر على (دمبلدور)».

شهقت (هرميون): «آآآه!» ونظرت إليه على الفور وقالت: «حظ سعيد! سوف ننتظرك، نريد أن نعرف ما الذى يعلمك إياه!».

قال (رون): «أرجو أن يمر الأمر على ما يرام» وأخذ يراقب (هارى) وهو يرحل خارجًا من فتحة اللوحة.

مشى (هارى) عبر الممرات الخالية، وعندما ظهرت الأستاذة (تريلاونى) عند المنعطف، أسرع بالاختباء خلف أحد التماثيل. وكانت تتمتم بشىء لنفسها بينما تخلط مجموعة من أوراق اللعب التى تبدو متسخة وتقرؤها وهى تمشى.

أخذت تغمغم وهى تمر بالمكان الذى يربض به (هارى) مختبئًا: «اثنان بستونى خلاف، سبعة بستونى فأل سيئ، عشرة بستونى عنف، ولد بستونى شاب أسمر، وربما تواجهه مشكلات، ولد يكره التساؤل».

توقفت فجأة عند الطرف الآخر من التمثال الذى كان (هارى) يختبئ وراءه بالضبط.

وقالت: «حسنًا، لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا» وسمعها (هارى) وهى تعيد خلط الأوراق بقوة، ثم بدأت تمشى من جديد. انتظر (هارى) حتى تأكد تمامًا أنها ذهبت ثم أسرع فى طريقه مرة أخرى حتى وصل إلى المكان الذى يوجد به تمثال يقف وحيدًا بجوار الحائط فى دهليز الدور السابع.

قال (هارى): «فقاعات الحمض» قفز التمثال جانبًا وانزلق الحائط خلفه كاشفًا عن سلم حجرى لولبى متحرك، فخطا (هارى) إليه فحمله فى دوائر حتى وصل إلى الباب ذى المطرقة النحاسية الذى يفضى إلى مكتب (دمبلدور).

طرق (هارى) الباب.

قال صوت (دمبلدور): «ادخل».

قال (هارى). «مساء الخير يا سيدى» وهو يدخل إلى مكتب الناظر.

قال (دمبلدور) مبتسمًا: «آه، مساء الخير يا (هارى)، اجلس، هل كان أول أسبوع من العودة للمدرسة ممتعًا؟».

قال (هارى): «نعم، شكرًا يا سيدى».

(دمبلدور): «يبدو أنك كنت مشغولاً جدًا حتى إنك حصلت على احتجاز مبكرًا هكذا!».

ارتبك (هارى) وحاول أن يتكلم: «أ أ أ...» إلا أن (دمبلدور) لم تكن تبدو عليه الصرامة الشديدة.

قال (دمبلدور). «لقد رتبت الأمر مع الأستاذ (سناب)، سوف تنفذ الاحتجاز يوم السبت القادم بدلاً من اليوم».

قال (هارى): «حسنًا»، كان ذهنه مشغولاً بأمور أكثر أهمية من احتجاز (سناب)، وأخذ يختلس النظر حوله باحثًا عن أى دلائل على ما ينوى (دمبلدور) عمله معه هذا المساء. كانت حجرة المكتب المستديرة تبدو كالمعتاد تمامًا، وكانت المعدات الفضية الحساسة تقف فوق الموائد ذات الأرجل الطويلة وكانت صور المديرات والمديرين السابقين

نائمة داخل إطاراتها وهى تنفخ الدخان وتصدر طنينًا وكانت عنقاء (دمبلدور) الرائعة، (فاوكس) تقف على القائم الخاص بها خلف الباب وتراقب (هارى) باهتمام مبتهج، ولم يبد أن (دمبلدور) قد جهَّز مكانًا للتدريب على المبارزة.

قال (دمبلدور) فى صوت عملى: «إذن يا (هارى)، أنا متأكد أنك كنت تتساءل عن الذى خططت له بالنسبة لك أثناء هذه... ربما أفضل كلمة تعبر عنها... دروس».

قال (هارى): «نعم يا سيدى».

قال (دمبلدور): «حسنًا، لقد قررت أن الوقت قد حان الآن لتعرف ما الذى دفع لورد (فولدمورت) لمحاولة قتلك منذ خمسة عشر عامًا، لقد حان الوقت لتعرف معلومات محددة».

ومرت فترة لم يتكلم فيها أحد.

قال (هارى) «ولكنك قلت فى نهاية السنة الدراسية الماضية، إنك سوف تقول لى كل شىء يا سيدى» ولم يستطع (هارى) منع نبرة اتهام من الظهور فى صوته.

قال (دمبلدور) بهدوء: «وهذا ما فعلت، لقد قلت لك ما أعرفه ولكن منذ هذه اللحظة سوف نترك الأساس الثابت للحقائق ونتجول معًا خلال مستنقع الذكريات الضبابى المظلم وداخل أدغال أكثر التخمينات جموحًا. ومنذ الآن يا (هارى) قد أخطئ لدرجة مثيرة للشفقة مثلما أخطأ (همفرى بيلتشر) عندما اعتقد أن الوقت أصبح مواتيًا لمرجل الجبن».

سأل (هارى): «ولكنك تعتقد أنك على حق؟».

قال (دمبلدور): «من الطبيعى أن أعتقد هذا ولكن كما سبق أن أوضحت لك فأنا أرتكب الأخطاء مثل أى شخص آخر، والحقيقة هى أن كونى أكثر براعة من معظم الرجال، يجعل أخطائى على نفس القدر من الجسامة».

قال (هارى) مبتدئًا: «سيدى.. هل هناك علاقة بين الأشياء التى تقولها لى وبين النبوءة؟ وهل ستساعدنى معرفتها... على النجاة؟».

قال (دمبلدور): إنها لها علاقة كبيرة جدًا بالنبوءة» قالها بنفس البساطة كما لو أن (هارى) يسأل عن أحوال الطقس فى اليوم التالى وأكمل قائلاً: «وأنا بكل تأكيد أتمنى أن تساعدك على النجاة».

وقف (دمبلدور) على رجليه ودار حول مكتبه مارًا بـ(هارى) الذى التفت بحماس فى مقعده ليشاهد (دمبلدور) ينحنى فوق خزانة بجوار الباب. وعندما اعتدل (دمبلدور) واقفًا، كان يحمل قاعدة حجرية مألوفة توجد فوق حافتها نقوش غريبة. ووضع جهاز تسجيل المذكرات السحرية فوق المكتب أمام (هارى).

قال (دمبلدور): «تبدو قلقًا».

كان (هارى) بالفعل ينظر إلى الجهاز ببعض القلق.

فقد كانت تجاربه السابقة مع الجهاز الغريب الذى يخزن ويكشف عن الأفكار والذكريات مزعجة، وإن كانت تثقيفية أيضًا. وفى آخر مرة دخل إلى محتويات الجهاز، ضايقه كثيرًا ما شاهده ولكن (دمبلدور) كان يبتسم.

وقال: «لا تقلق، هذه المرة ستدخل جهاز (بنيسيف) معى، وخلافًا للمعتاد سيكون معك رخصة للقيام بذلك».

سأل (هارى): «أين سنذهب يا سيدى؟».

قال (دمبلدور): «سنذهب فى رحلة إلى طريق الذكريات الخاص بـ(بوب أوجدن)» وهو يخرج من جيبه زجاجة بلورية تحتوى على مادة فضية تتحرك على شكل دوامات.

سأل (هارى): «من هو (بوب أوجدن)؟».

قال (دمبلدور): «كان موظفًا فى إدارة تنفيذ القوانين السحرية، ومات منذ فترة، ولكن قبل ذلك كنت قد وصلت إليه وأقنعته أن يفضى إلى بأسراره وذكرياته. ونحن على وشك مرافقته فى زيارة قام بها أثناء قيامه بعمله. إذا وقفت يا (هارى)...».

ولكن (دمبلدور) وجد صعوبة فى جذب سدادة الزجاجة البلورية، فقد بدت ذراعه المجروحة متيبسة ومتألمة.

(هارى): «هل... هل أقوم بذلك عنك، يا سيدى؟».

(دمبلدور). «لا عليك يا (هارى)».

أشار (دمبلدور) بعصاه إلى الزجاجة فخرجت الفلينة منها.

سأل (هارى) مرة أخرى: «سيدى، كيف جرحت يدك؟».

وهو ينظر إلى الأصابع السوداء بخليط من الاشمئزاز والشفقة.

(دمبلدور): «الآن ليست اللحظة المناسبة لهذه القصة يا (هارى) ليس بعد. فلدينا موعد مع (بوب أوجدن)».

سكب (دمبلدور) محتويات الزجاجة الفضية إلى داخل جهاز (البنيسيف) حيث أخذت تدور فى دوامات وتومض، فلم تكن تلك المحتويات سائلة ولا حتى غازية.

قال (دمبلدور) وهو يشير نحو الوعاء: «تفضل».

انحنى (هارى) إلى الأمام وأخذ نفسًا عميقًا وغمس وجهه فى المادة الفضية. وشعر بقدمه تترك أرضية المكتب وأخذ يسقط مندفعًا خلال الظلام، ثم فجأة كان يطرف بسبب ضوء الشمس الباهر، وقبل أن تتكيف عيناه مع الضوء هبط (دمبلدور) بجواره.

كانوا يقفون فى طريق ريفى محاط بسياج من الشجيرات المتشابكة، تحت سماء صيفية زرقاء وصافية تشبه فى لونها زهور نبات (لاتنسانى). وعلى بعد عشر أقدام أمامهم، كان يقف رجل قصير وبدين يرتدى نظارة سميكة جدًا حتى إنها قلصت حجم عينيه إلى بقعة تشبه الشامة، وكان يقرأ لافتة خشبية مثبتة داخل شجيرة على الجانب الأيسر من الطريق. عرف (هارى) أن هذا هو (أوجدن) فلم يكن هناك شخص آخر فى المكان. كما أنه كان يرتدى مجموعة من الملابس عادة ما يختارها السحرة عديمو الخبرة الذين يريدون الظهور بمظهر العامة، فقد كان يرتدى معطفًا أسود طويلاً يصل للركبتين فوق بذلة سباحة مخططة قطعة واحدة وغطاء للحذاء.

وقبل ان يستطيع (هارى) فعل أى شىء أكثر من ملاحظة مظهر الغريب، بدأ (أوجدن) يمشى بنشاط نازلاً على الطريق وتبعه (دمبلدور و(هارى) وبينما يمرون باللافتة الخشبية نظر (هارى) إلى ذراعيها كانت إحداهما تشير إلى الطريق الذى أتوا منه ومكتوب عليه (هانجلتون) الكبرى خمسة أميال، والأخرى تشير إلى الطريق الذى مضى فيه (أوجدن) وكان مكتوبًا عليها (هانجلتون) الصغرى ميل واحد.

مشى لمسافة كبيرة، ولم ير شيئًا سوى سياج الأشجار والسماء الزرقاء الواسعة فوق رءوسهم وحفيف المعطف الأسود الذى يرتديه الشخص الذى يتبعونه، ثم انعطف الطريق إلى اليسار وأصبح منحدرًا وواسعًا ومتجهًا إلى أسفل التل، فرأوا فجأة مشهدًا غير متوقع، الوادى بأكمله مسجى أمامهم. وكان بإمكان (هارى) أن يرى قرية، من المؤكد أنها (هانجلتون) الصغرى، وكانت تقبع فى حضن الوادى وقد أحاط بها تلان منحدران وكانت كنيستها ومقابرها واضحة للعيان. وعبر الوادى وفوق التل المقابل، كان هناك منزل ريفى جميل تحيط به مروج خضراء مخملية شاسعة.

وبدأ (أوجدن) ينزل التل بصعوبة نظرًا لانحداره الشديد إلى أسفل، ومشى (دمبلدور) بخطوات واسعة وأسرع (هارى) ليجاريه فى سرعته، وفكر أن قرية (هانجلتون) الصغرى يجب أن تكون مقصدهم الأخير، وتساءل كما كان يفعل فى الليلة التى وجدوا فيها (سلجهورن): لماذا كان عليهم أن يمشوا كل هذه المسافة ليصلوا إليها؟ إلا أنه اكتشف بعد قليل أنه كان على خطأ عندما اعتقد أن القرية هى مقصدهم، فقد انحرف الطريق إلى اليسار وعندما لفوا حول المنعطف وجدوا آخر جزء من معطف (أوجدن) يختفى فى فجوة داخل السياج.

وتبعه (دمبلدور) و(هارى) إلى الدرب الضيق الموحل الذى يحده سياج أعلى من الشجيرات المتشابكة التى تركوها خلفهم وكان الممر غير ممهد وممتلئًا بالأحجار ومتعرجًا وينحدر نحو أسفل التل مثل

الطريق السابق ويبدو أنه متجه نحو رقعة من الأشجار ذات اللون الداكن أسفلهم بقليل وهذا ما حدث بالفعل فقد انفرج الدرب كاشفًا عن أجمة من الشجيرات الصغيرة وتوقف (هارى) و(دمبلدور) خلف (أوجدن)، الذى توقف وسحب عصاه.

وبالرغم من السماء الخالية من السحب فوقهم، كانت الأشجار القديمة أمامهم تلقى بظلال سوداء وباردة، ومرت بضع ثوان قبل أن يستطيع (هارى) تمييز المبنى الذى يختفى نصفه بين جذوع الأشجار المتقاربة، وقد بدا له أنه موقع غريب يتم اختياره لبناء منزل. أو قرار عجيب أن تترك الأشجار لتنمو على هذا القرب منه وتمنع عنه كل الضوء ومشهد الوادى بالأسفل. وتساءل إن كان أحد يسكنه، فقد كانت حوائطه مكسوة بالطحالب. وقد سقط العديد من قوالب الطوب من سطحه حتى إن الدعامات الخشبية كانت ظاهرة فى المكان الذى سقطت منه. وقد نمت النباتات حوله حتى وصل طرفها إلى النوافذ والتى كانت صغيرة جدًا ويكسوها السخام، وعندما توصل إلى أنه من المستحيل أن يكون هناك من يعيش بالمكان، فتحت إحدى النوافذ مصدرة صوتًا صاخبًا وخرج منها شريط رفيع من الدخان أو البخار، وكأن شخصًا يقوم بالطبخ.

تحرك (أوجدن) إلى الأمام بهدوء وبدا لـ(هارى) أنه يتحرك بحذر. وعندما سقطت الظلال السوداء للأشجار فوقه، توقف مرة أخرى وأخذ يحدق بالباب الأمامى الذى كان أحدهم قد علق عليه ثعبانًا ميتًا.

ثم سمعوا صوت حفيف وطقطقة، وسقط رجل يرتدى أسمالاً بالية من فوق شجرة قريبة هابطًا على قدميه أمام (أوجدن) الذى قفز متراجعًا بسرعة حتى إنه وقف على ذيل معطفه فتعثر به.

«إنك غير مرحب بك هنا».

كان الرجل الواقف أمامهم له شعر كثيف ملبد بالأوساخ حتى إن لونه لم يكن واضحًا وكانت العديد من أسنانه مفقودة، وكانت عيناه

صغيرتين وذواتى لون داكن وتحدقان فى اتجاهين متقابلين. كان يمكن أن يبدو مظهره مضحكًا ولكنه لم يكن كذلك بالنسبة لهم؛ فقد كان شكله مخيفًا، حتى إن (هارى) لم يستطع لوم (أوجدن) على تراجعه عدة خطوات أخرى قبل أن يتكلم.

قال: «صباح الخير. أنا من وزارة السحر».

الرجل: «لست مرحبًا بك هنا».

قال (أوجدن) بعصبية: «أنا آسف ـ لا أفهمك».

فكر (هارى) أن (أوجدن) يبدو غبيًا إلى حد كبير، فقد كان كلام الشخص الغريب واضحًا جدًا فى رأى (هارى)، خاصة أنه كان يلوح مهددًا بعصاه السحرية فى إحدى يديه وسكين قصير يغطيه الدم بعض الشىء فى اليد الأخرى.

قال (دمبلدور) بهدوء: «أنا متأكد أنك تفهمه يا (هارى)؟».

قال (هارى) وهو متحير قليلاً: «أجل بالطبع، ولكن لماذا لا يفهمه (أوجدن)؟».

ولكن ما إن وقعت عيناه على الثعبان الميت المدقوق على الباب مرة أخرى، حتى أدرك الأمر فجأة.

(هارى): «إنه يتكلم بلغة الثعابين».

قال (دمبلدور): «جيد جدًا» وأومأ برأسه وهو يبتسم.

كان الرجل ذو الأسمال البالية يتقدم الآن نحو (أوجدن) والسكين فى إحدى يديه والعصا فى يده الأخرى.

قال (أوجدن): «الآن، انظر...» ولكن الوقت كان متأخرًا فقد قام الرجل بتوجيه ضربة قوية إليه، ووقع (أوجدن) على الأرض ممسكًا بأنفه، بينما تخرج من بين أصابعه مادة لزجة ذات لون أصفر مقرف.

قال صوت عال: «مورفين!».

وخرج رجل عجوز مسرعًا من داخل الكوخ، وصفق الباب خلفه حتى إن الثعبان الميت تأرجح بطريقة مثيرة للشفقة. وكان هذا الرجل أقصر فى الطول من الرجل الآخر، وجسده غير متناسق، فقد كانت أكتافه عريضة جدًا وذراعاه طويلتين جدًا وكانت عيناه لامعتين ذواتى لون بنى، وكان شعره قصيرًا وخشنًا ووجهه متغضنًا مما أعطاه مظهر قرد عجوز جبار. توقف الرجل العجوز بالقرب من الرجل ذى السكين الذى كان الآن يضحك بصوت عال على منظر (أوجدن) وهو واقع على الأرض.

قال الرجل العجوز وهو ينظر إلى (أوجدن): «قادم من الوزارة، أليس كذلك؟».

قال (أوجدن) بغضب: «بالضبط!» وأخذ يربت على وجهه وأضاف: «وأنت، أظن أنك السيد (جاونت)؟».

قال (جاونت): «أجل، ضربك فى الوجه أليس كذلك؟».

قال (أوجدن) بحدة: «أجل، لقد فعل!».

قال (جاونت) بلمحة عدائية: «كان يجب أن تعلن عن حضورك، هذه ممتلكات خاصة، لا يمكنك أن تمشى هنا ببساطة ولا تتوقع أن يقوم ابنى بالدفاع عن نفسه».

قال (أوجدن) وهو يقوم ليقف على قدميه: «يدافع عن نفسه ضد ماذا يا رجل؟».

(جاونت): «الفضوليين والمتطفلين والعامة والدنس».

أشار (أوجدن) بعصاه إلى أنفه التى كانت مازالت يخرج منها كميات كبيرة مما بدا مثل الصديد الأصفر فتوقف تدفق المادة على الفور. وتحدث السيد (جاونت) من ركن فمه إلى (مورفين).

قائلاً: «ادخل إلى المنزل، ولا تجادل».

هذه المرة، كان (هارى) مستعدًا، بعد أن عرف أنها لغة الثعابين، ورغم أنه فهم ما يقال، إلا أنه استطاع كذلك تمييز صوت الفحيح

الغريب الذى لم يكن بإمكان (أوجدن) سماع غيره. كان (مورفين) على وشك الاعتراض، ولكن والده رماه بنظرة تحذير جعلته يغير رأيه ويبتعد متجهًا إلى الكوخ بمشية متدحرجة غريبة، وأغلق الباب الأمامى خلفه حتى إن الثعبان تأرجح بطريقة محزنة مرة أخرى.

قال (أوجدن): «لقد جئت لرؤية ابنك يا سيد (جاونت)».

وأخذ يمسح ما تبقى من الصديد على معطفه. وأضاف: «كان هذا (مورفين) أليس كذلك؟».

قال الرجل العجوز بلا مبالاة: «نعم كان هذا هو (مورفين)».

ثم سأل وقد أصبح صوته عدائيًا فجأة: «هل أنت من ذوى الدم النقى؟».

قال (أوجدن) ببرود: «لا أختلف عن الكثير من الناس» وشعر (هارى) أن احترامه لـ(أوجدن) قد زاد.

ولكن يبدو أن شعور (جاونت) كان مختلفًا، فقد نظر إلى (أوجدن) شزرًا وغمغم بلهجة كان من الواضح أنها من المفترض أن تبدو مهينة: «الآن، وقد فكرت فى الأمر، أعرف أننى رأيت أنوفًا مثل أنفك فى القرية من قبل».

قال (أوجدن): «لا أستبعد هذا، إذا ما ترك ابنك حرًا ليهاجم الناس. ربما يمكننا أن نكمل هذه المناقشة بالداخل؟».

قال (جاونت): «بالداخل؟».

(أوجدن): «نعم يا سيد (جاونت)، لقد سبق أن أخبرتك أننى جئت إلى هنا لأجل (مورفين) لقد أرسلنا بومة».

قال (جاونت): «أنا لا أستخدم البوم، ولا أفتح الخطابات».

قال (أوجدن) بحدة: «إذن، كيف يمكنك الشكوى من أنك لم تحصل على تحذير مسبق بقدوم زائرين؟ أنا هنا بسبب انتهاك خطير لقانون السحرة، حدث هذا فى الساعات الأولى من الصباح».

قال (جاونت) بصوت يبدو كالخوار: «حسنًا، حسنًا، حسنًا ! تعال إلى المنزل اللعين، لنرى الغرض من وراء كل هذا!».

كان المنزل يتكون من ثلاث غرف على ما يبدو حيث كان هناك بابان فى الغرفة الرئيسية التى كانت تستخدم كمطبخ وكغرفة معيشة فى نفس الوقت. وكان (مورفين) يجلس على مقعد قذر ذى ذراعين بجوار النار التى يخرج منها الدخان، وهو يثنى أفعى حية بين أصابعه الضخمة ويدندن بلغة الثعابين بنعومة ويقول:

هسهس أيها الثعبان الصغير
وانزلق على الأرض بسلام
كن طيبًا مع (مورفين)
وإلا سيثبتك على الباب

وكان هناك صوت جلبة عالية فى الركن بجوار النافذة المفتوحة فأدرك (هارى) أن هناك شخصًا آخر فى الغرفة، وهى فتاة يضاهى لون فستانها الرمادى البالى لون الحائط الحجرى القذر خلفها. وكانت تقف بجوار قدر يخرج منه البخار وموضوع فوق موقد أسود مكسو بالسخام وكانت تتحرك فى المكان وتحرك القدور والطاسات القذرة الموجودة على الرف. كان شعرها مسترسلاً وباهتًا وكان وجهها خاليًا من الجمال وشاحبًا وملامحها غليظة إلى حد ما وكانت عيناها كعينى أخيها تحدقان فى اتجاهين متقابلين. ورغم أنها كانت تبدو أنظف قليلاً من الرجلين، إلا أن (هارى) فكر أنه لم ير فى حياته أبدًا شخصًا يبدو مقهورًا إلى هذه الدرجة.

وعندما نظر (أوجدن) إليها مستفسرًا.

قال (جاونت) على مضض: «(ميروب)، ابنتى».

قال (أوجدن): «صباح الخير».

ولكنها لم ترد عليه وبعد أن ألقت نظرة سريعة على والدها التفتت معطية ظهرها للغرفة واستمرت فى نقل القدور الموجودة على الرف خلفها.

قال (أوجدن): «حسنًا يا سيد (جاونت)، فلندخل فى الموضوع مباشرة، عندنا سبب يدعونا للاعتقاد أن ابنك (مورفين) قد قام بتأدية سحر أمام أحد العامة فى وقت متأخر الليلة الماضية».

وسمعوا صوت ضجة عالية، حيث أسقطت (ميروب) إحدى القدور.

صاح (جاونت) فى وجهها قائلاً: «التقطيه! أنت تنحنين على الأرض مثل أحد العامة القذرين، ما فائدة عصاك إذن، يا جراب الوحل الذى بلا فائدة؟».

قال (أوجدن) بصوت مصدوم: «سيد (جاونت) أرجوك!» بينما تورد وجه (ميروب) التى كانت قد التقطت القدر بالفعل وأصبح ملطخًا بالاحمرار. فأفلتت القدر من قبضتها مرة أخرى، فسحبت عصاها من جيبها، ووجهتها ناحية القدر وغمغمت تعويذة سريعة غير مسموعة جعلت القدر تنطلق على الأرضية مبتعدة عنها حتى ضربت الحائط المقابل وانكسرت إلى جزأين.

فأطلق (مورفين) ضحكة مجنونة عالية، أما (جاونت) فقد صرخ قائلاً: «أصلحيه، أيتها الكتلة التافهة، أصلحيه!».

مشت (ميروب) عبر الغرفة وهى تتعثر فى خطواتها ولكن قبل أن تجد وقتًا لرفع عصاها، كان (أوجدن) قد رفع عصاه وقال بثبات: «(ريبارو)» فقامت القدر بإصلاح نفسها فى الحال.

بدا (جاونت) للحظة كما لو أنه على وشك الصياح فى وجه (أوجدن) ولكن يبدو أنه غير رأيه وقال لابنته ساخرًا بدلاً من ذلك: «من حسن حظك أن هذا الرجل الطيب القادم من الوزارة هنا، أليس كذلك؟، ربما سيأخذك بعيدًا عنى لأرتاح منك، هذا إن كان لا يمانع من أخذ الصراصير القذرة...».

وبدون أن تنظر إلى أى شخص أو تشكر (أوجدن)، التقطت (ميروب) القدر وأعادتها إلى رفها ويداها ترتجف.

ووقفت فى مكانها هادئة وظهرها إلى الحائط بين الموقد والنافذة القذرة، وكأنها لا تتمنى شيئًا أكثر من أن تغرق فى الجُحر وتختفى تمامًا.

قال (أوجدن) مرة أخرى: «سيد (جاونت)، كما سبق أن قلت لك إن سبب زيارتى..».

قال (جاونت) بحدة: «لقد سمعت ما قلته فى المرة الأولى! وماذا بعد؟ دافع (مورفين) عن نفسه ضد أحد العامة ـ ما الذى حدث إذن؟».

قال (أوجدن) بتجهم: «لقد خرق (مورفين) قانون السحرة».

قال (جاونت) مقلدًا صوت (أوجدن) جاعلاً إياه رنانًا ومنغمًا: «لقد خرق (مورفين) قانون السحرة»، انفجر (مورفين) فى الضحك مرة أخرى وأضاف (جاونت): «لقد علم أحد العامة القذرين درسًا قاسيًا، هل أصبح هذا غير قانونى الآن إذًا؟».

قال (أوجدن): «أجل، أخشى أن هذا هو الوضع».

وجذب من جيبه الداخلى رقعة جلدية صغيرة ملفوفة وقام بفردها.

صاح (جاونت) بنبرة غاضبة: «ما هذا إذن، عقوبته...».

قال (أوجدن): «إنه استدعاء إلى الوزارة لحضور جلسة استماع».

قال (جاونت): «*استدعاء! استدعاء*؟ من تعتقد نفسك حتى تستدعى ابنى إلى أى مكان؟».

قال (أوجدن): «أنا رئيس فرقة تنفيذ القانون السحرى».

صرخ (جاونت) قائلاً: «أنت تعتقد أننا حثالة، أليس كذلك؟» وهو يتحرك فى اتجاه (أوجدن) مشيرًا إليه بإصبع متسخ ذى ظفر مصفر نحو صدره وأكمل قائلاً: «الحثالة هو الذى يسرع بالحضور عندما تطلب منه الوزارة ذلك. هل تعرف من الذى تتحدث إليه يا ذا الدم الموحل يا مولود العامة القذر، هل تعرف من؟».

قال (أوجدن) وقد بدا عليه الحذر دون أن يتزحزح عن موقفه: «لقد كنت أعتقد أننى أتحدث مع السيد (جاونت)».

صاح (جاونت): «هذا صحيح» وللحظة اعتقد (هارى) أن (جاونت) يشير بإصبعه إشارة قذرة ولكنه أدرك بعدها أنه كان يعرض لـ(أوجدن) الخاتم القبيح ذا الحجر الكريم الأسود الذى يرتديه فى إصبعه الوسطى وأخذ يلوح به أمام عيون (أوجدن) قائلاً: «هل ترى هذا؟ هل ترى هذا؟

هل تعرف ما هو؟ هل تعرف من أين أتى؟ لقرون ظل هذا الخاتم فى عائلتنا شاهدًا على عراقتنا ونقاء دمائنا طوال هذه القرون! هل تعرف كم عرض على ثمنًا لهذا الخاتم، وخاصة أن شعار النبالة الخاص بآل (بيفيرل) محفور على الحجر الكريم؟».

قال (أوجدن) وهو يطرف لأن الخاتم كان يتحرك على بعد بوصة واحدة من أنفه: «فى الحقيقة، ليست لدى أى فكرة، ولكن هذا بعيد عن موضوعنا يا سيد (جاونت). إن ابنك قد ارتكب...».

صرخ (جاونت) صرخة غضب وجرى إلى ابنته ولأقل من الثانية اعتقد (هارى) أنه سيقوم بخنقها فقد ارتفعت يده إلى حلقها؛ ولكنه شد السلسلة الذهبية التى ترتديها حول رقبتها ساحبًا ابنته فى اتجاه (أوجدن) وصاح فى وجه (أوجدن): «أترى هذا؟» وأخذ يهز المدلاة الذهبية الثقيلة أمامه بينما (ميروب) تغمغم وتلهث لالتقاط أنفاسها.

قال (أوجدن) بسرعة: أراها، أراها!

هتف (جاونت) «إنها لعائلة (سليذرين)! كانت لـ(سالازار سليذرين) نفسه! نحن آخر الأحياء من أفراد سلالته، ما الذى يمكنك قوله عن هذا.. هه؟».

قال (أوجدن) فى ذعر: «سيد (جاونت)، ترفق بابنتك!» ولكن (جاونت) كان قد حرر ابنته (ميروب)، وابتعدت عنه مترنحة لتعود إلى الركن الذى كانت تقف فيه وهى تدلك عنقها وتلتقط أنفاسها.

قال (جاونت) بلهجة انتصار وكأنه أثبت نقطة معقدة إثباتًا مفحمًا يجعلها غير قابلة لأى جدال: «إذن، توقف عن الكلام معنا وكأننا قذارة فوق حذائك! فنحن سلالة أجيال عريقة من ذوى الدم النقى، كلهم من السحرة ولا شك أنه يصعب عليك تخيل هذا!».

ويصق (جاونت) على الأرض بجوار قدم (أوجدن)، وضحك (مورفين) مرة أخرى، بينما وقفت (ميروب) ساكنة بجوار النافذة ورأسها منحن، بينما يخفى شعرها المسترسل وجهها.

قال (أوجدن) مصممًا على رأيه: «سيد (جاونت)، أخشى أنه لا شأن لأجدادك أو أجدادى بالمسألة التى نناقشها الآن. أنا هنا بسبب (مورفين) وما فعله عندما اعتدى على هذا العامى الليلة الماضية، ومعلوماتنا» وألقى نظرة على الرقعة الجلدية الملفوفة وأكمل قائلاً: «إن (مورفين) قام بإلقاء تعويذة على هذا العامى مما سبب له طفحًا جلديًا مؤلمًا جدًا».

ضحك (مورفين) مقهقهًا.

وزمجر (جاونت) بلغة الثعابين قائلاً: «*اسكت يا ولد*» فعاد (مورفين) إلى الصمت.

قال (جاونت) متحديًا (أوجدن). «وإذا كان قد فعل ماذا بعد إذن؟، أتوقع أنكم قد نظفتم الوجه القذر للعامى، ومسحتم ذاكرته لأجله».

قال (أوجدن): «ليست هذه هى المشكلة يا سيد (جاونت)، لقد قام ابنك بمهاجمة شخص أعزل وبدون سبب».

قال (جاونت) متهكمًا: «لقد عرفت أنك من محبى العامة فى اللحظة الأولى التى رأيتك فيها» ثم بصق على الأرض مرة أخرى.

قال (أوجدن) بحزم: «هذه المناقشة لن توصلنا إلى شىء، والواضح من موقف ابنك أنه لا يشعر بأى ندم على تصرفاته» ثم ألقى نظرة أخرى على الرقعة الجلدية وأضاف: «سيحضر (مورفين) جلسة استماع يوم الرابع عشر من سبتمبر ليجيب على تهم استخدام السحر أمام العامة والتسبب فى أذى وألم نفس هذا الشخص من العامة».

توقف (أوجدن) فجأة عندما سمع صوت حوافر خيل تقترب وأصوات ضحك عال تنساب عبر النافذة المفتوحة. كان من الواضح أن الممر الضيق الملتف الذى يفضى إلى القرية يمر قريبًا جدًا من دغل الأشجار الذى توقفت عنده الخيول. تجمد (جاونت) وأخذ يسمع وقد اتسعت عيناه، وأصدر (مورفين) صوت فحيح ثم التفت فى اتجاه الصوت وقد ارتسم على وجهه تعبير جائع.

ورفعت (ميروب) رأسها فشاهد (هارى) وجهها الذى كان شاحبًا بشدة.

وتردد صوت فتاة قائلاً: «يا إلهى ما هذا المنظر القبيح! ألا يستطيع والدك إزالة هذا الكوخ الفظيع يا توم؟» وكان صوتها يأتى واضحًا من خلال النافذة المفتوحة وكأنها تقف فى الغرفة الملاصقة لهم.

رد صوت شاب: «إنه ليس لنا، إن أملاكنا فوق الجانب الآخر من الوادى ولكن هذا الكوخ ملك رجل عجوز صعلوك يدعى (جاونت) وأولاده، ولديه ابن مجنون تمامًا، يجب أن تسمعى بعض القصص التى يحكونها عنه فى القرية».

ضحكت الفتاة وكان صوت حوافر الخيل يزداد علوًا كل لحظة وحاول (مورفين) القيام من مقعده؛ إلا أن والده قال له محذرًا بلغة الثعابين: «*لا تتحرك من مقعدك*».

وعلا صوت الفتاة مرة أخرى: «(توم)، ربما أكون مخطئة ـ ولكن هل ثبت أحدهم ثعبانًا على هذا الباب؟» كان من الواضح أنهم يمرون بجوار المنزل بالضبط لأن صوتها بدا قريبًا جدًا هذه المرة.

رد صوت الشاب: «يا إلهى، إنك على حق، من المؤكد أنه الابن، ألم أقل لكِ إن عقله ليس على ما يرام. لا تنظرى إليه يا عزيزتى (سيسيليا)».

وأخذت أصوات الحوافر والكلام تخفت مبتعدة مرة أخرى.

همس (مورفين) بلغة الثعابين وهو ينظر إلى أخته: «عزيزتى، لقد دعاها عزيزتى إذن، لن يحصل عليك على أية حال».

كان وجه (ميروب) شاحبًا جدًا حتى إن (هارى) كان متأكدًا أنها على وشك الإغماء.

وقال (جاونت) بلغة الثعابين أيضًا وهو ينظر من ابنه إلى ابنته: «ما هذا؟ ما الذى قلته يا (مورفين)؟».

قال (مورفين): «إنها تحب النظر إلى هذا العامى، دائمًا ما تكون فى الحديقة عندما يمر وتنظر إليه عبر سياج الشجيرات. أليس كذلك؟ والليلة

الماضية...» قال هذا وقد ارتسم على وجهه تعبير خبث وهو يحدق إلى أخته التى بدت مرتعبة الآن.

هزت (ميروب) رأسها وهى ترتعش مستعطفة. ولكن (مورفين) أكمل بقسوة: «*لقد تدلت من النافذة وهى منتظرة لتراه وهو يمر عائدًا بجوار المنزل، أليس كذلك؟*».

قال (جاونت) بهدوء: «*تدلت من النافذة لتنظر إلى عامىٍّ؟*».

بدا أن آل (جاونت) الثلاثة قد نسوا وجود (أوجدن) الذى بدا متحيرًا وغاضبًا فى نفس الوقت بسبب اندلاع كل ذلك الفحيح والأصوات الخشنة الجديدة المبهمة.

وتقدم (جاونت) خطوة نحو الفتاة المرعوبة وسأل بصوت مميت: «هل هذا صحيح؟ *ابنتى أنا ذات الدم النقى سليلة (سالازار سليذرين)، تسعى خلف عامى قذر يجرى فى عروقه وحل؟*».

وأخذت (ميروب) تهز رأسها كالمحمومة وهى تضغط نفسها إلى الحائط، بدون أن تستطيع النطق كما هو واضح.

ضحك (مورفين) قائلاً: «لكنى نلت منه يا أبى! ورميته بتعويذة عندما كان يمر بالقرب منا ولم يكن يبدو جميلاً عندما غطته الدمامل، أليس كذلك يا (ميروب)؟».

صرخ (جاونت): «*أنت أيتها الصرصور المقرف يا خائنة الدم القذرة!*» كان قد فقد تحكمه فى أعصابه حتى إن يديه أغلقتا حول عنق ابنته.

صرخ (هارى) و(أوجدن) فى نفس الوقت: «لا» ، ورفع (أوجدن) عصاه وصاح: «*(ريلاشيو)!*» فارتمى (جاونت) إلى الوراء مبتعدًا عن ابنته، ثم تعثر فى كرسى وسقط منبطحًا على ظهره. وأطلق (مورفين) صرخة غضب وقفز من مقعده وجرى نحو (أوجدن) وهو يلوح مهددًا بسكينه الدامى ومطلقًا اللعنات من عصاه دون تمييز.

وجرى (أوجدن) لينجو بحياته. وأشار (دمبلدور) أن عليهم أن يتبعوه وأطاعه (هارى) بينما يتردد صدى صراخ (ميروب) فى أذنه.

انطلق (أوجدن) صاعدًا الممر وخرج منه إلى الطريق الرئيسى بينما ذراعاه فوق رأسه، وعندها اصطدم بالحصان الكستنائى الجميل الذى يركبه شاب وسيم جدًا ذو شعر أسود وقد انفجر فى الضحك هو والفتاة الجميلة التى تعلو الحصان الرمادى بجواره عندما رأوا (أوجدن) الذى ارتد عن جانب الحصان ثم انطلق ثانية ومعطفه يطير خلفه وهو مغطى من رأسه حتى أخمصى قدميه بالأتربة ويجرى فى فوضى إلى أعلى الطريق.

قال (دمبلدور): «أعتقد أن هذ يكفى، يا (هارى)» ثم أمسك (هارى) من المرفق وسحبه. وفى اللحظة التالية، كان كلاهما يحلق بلا وزن خلال الظلام حتى هبطا واقفين على أقدامهما وقد عادا إلى غرفة مكتب (دمبلدور) المضاءة بضوء ضعيف.

سأل (هارى) على الفور. «ما الذى حدث للفتاة التى بالكوخ (ميروب)، أو مهما كان اسمها؟» بينما كان (دمبلدور) يضىء المزيد من اللمبات بضربة خفيفة بعصاه.

قال (دمبلدور): «آه، لقد نجت» وجلس خلف مكتبه وأشار إلى (هارى) ليجلس أيضًا. وأكمل قائلاً: «انتقل (أوجدن) آنيًا عائدًا إلى الوزارة وعاد مع تعزيزات خلال ١٥ دقيقة. وحاول (مورفين) وأبوه المقاومة ولكن تم القبض عليهما ونقلهما من الكوخ وفيما بعد تمت إدانتهما بواسطة محكمة (ويزنجاموت) وتم الحكم على (مورفين) الذى له سجل بمهاجمة العامة بالسجن لمدة ثلاث سنوات فى (أزكابان) أما (مارفولو) الذى جرح العديد من موظفى الوزارة بالإضافة إلى (أوجدن) فقد تم الحكم عليه بستة أشهر».

كرر (هارى) متسائلاً: «(مارفولو)؟».

قال (دمبلدور) وهو يبتسم باستحسان: «هذا صحيح، أنا سعيد أن أرى أنك تتابعنى».

قال (هارى): «هذا الرجل العجوز كان..».

قال (دمبلدور): جد (فولدمورت)، نعم، كان (مارفولو) وابنه (مورفين) وابنته (ميروب) آخر أفراد عائلة (جاونت)، إحدى عائلات السحرة القديمة والتى اشتهرت بأن بها عرقًا من الاختلال والعنف انتقل عبر الأجيال بسبب عادة زواجهم من أبناء عمومتهم. وقد اجتمع بهم الافتقار إلى حسن الفهم وحب العظمة مما أدى إلى ضياع ذهب العائلة قبل ميلاد (ميروب) بأجيال عديدة وكما رأيت فقد عاش (مارفولو) فى القذارة والفقر وكان طبعه سيئًا جدًا ولم يكن لديه سوى كمية مهولة من الكبرياء والتعجرف، وبعض المتاع الموروث الذى يحافظ عليه ويهتم به كما يهتم بابنه وأكثر من اهتمامه بابنته بعض الشىء».

قال (هارى) وهو يميل فى جلسته إلى الأمام ليحدق إلى (دمبلدور): «إذن (ميروب)، كانت... يا سيدى، هل هذا يعنى أنها كانت... أم (فولدمورت)؟».

قال (دمبلدور): «بالضبط، غير أننا قد ألقينا نظرة خاطفة على والد (فولدمورت) أيضًا، أتساءل إن كنت قد لاحظت هذا؟».

قال (هارى): «العامى الذى هاجمه (مورفين)، وهو الرجل الذى كان فوق الحصان؟».

قال (دمبلدور) مبتسمًا: «رائع بالتأكيد، نعم، كان هذا (توم ريدل) الأب، العامى الوسيم الذى اعتاد التجول على حصانه مارًا بكوخ آل (جاونت) وهو نفس الشخص الذى كانت (ميروب جاونت) تضمر له عاطفة سرية متقدة.

قال (هارى) وهو لا يكاد يصدق أو يتخيل اثنين أبعد منهما عن الوقوع فى الحب: «وانتهى الأمر بهما إلى الزواج؟».

قال (دمبلدور): «أعتقد أنك تهمل نقطة مهمة وهى أن (ميروب) كانت ساحرة. لا أعتقد أن قواها السحرية كانت فى أحسن حالاتها عندما كانت مرعوبة من أبيها. ولكنى متأكد أنه ما إن استقر (مارفولو) و(مورفين) بأمان فى (أزكابان) وأصبحت وحيدة وحرة لأول مرة فى

حياتها، حتى أطلقت العنان لقدراتها لتخطط لهروبها من الحياة البائسة التى عايشتها مدة ثمانية عشر عامًا.

«ألا يمكنك التفكير بأى إجراء يمكن أن تقوم به (ميروب) لجعل (توم ريدل) ينسى رفيقته العامية ويقع فى غرامها هى؟».

هز هارى كتفيه وقال: «تعويذة تحكم؟ أو وصفة حب سحرية؟».

قال (دمبلدور). «جيد جدًا، شخصيًا، أميل إلى الاعتقاد بأنها استخدمت وصفة حب سحرية. أنا متأكد أنها كانت تفكر أنها أكثر رومانسية، كما لا أعتقد أنه سيكون من الصعب عليها إقناع (توم ريدل) بتناول بعض الماء عندما يكون مارًا على حصانه وحيدًا فى أحد أيام الصيف الحارة. على أية حال، بعد بضعة شهور من المشهد الذى شهدناه منذ قليل، شهدت قرية (هانجلتون الصغرى) فضيحة عظيمة، فلا يمكنك تخيل كم الشائعات التى سببها هروب ابن مالك الأرض الرئيسى بالمنطقة مع (ميروب) ابنة المتسول».

«ولكن صدمة القرويين لم تكن شيئًا، مقارنة بصدمة (مارفولو) الذى عاد من (أزكابان) متوقعًا أن يجد ابنته البارة فى انتظاره وقد أعدت له وجبة ساخنة على المائدة. فوجد بدلاً من ذلك التراب يغطى كل شىء ورسالة وداع توضح ما فعلته ابنته.

«ومما استطعت التوصل إليه، أنه لم يأت على ذكر اسمها أو وجودها قط منذ هذه اللحظة. ويبدو أن صدمة هجرها له قد أسهمت فى موته المبكر، أو ربما أنه ببساطة لم يستطع أن يتعلم كيف يطعم نفسه، فقد أضعف (أزكابان) (مارفولو) كثيرًا، حتى إنه لم يعش ليشهد عودة (مورفين) إلى الكوخ.

قال (هارى). «و(ميروب)؟ لقد... ماتت، أليس كذلك؟ ألم ينشأ (فولدمورت) يتيمًا؟».

قال (دمبلدور): «أجل، بالطبع، وإن كنا سنلجأ إلى التخمين، إلا أننى أعتقد أنه ليس من الصعب استنتاج ما حدث، فبعد بضعة شهور من

هروبهما ليتزوجا، ظهر (توم ريدل) مرة أخرى فى منزل مالك الضيعة وحيدًا بدون زوجته. وانتشرت الشائعات فى المنطقة المجاورة عن كونه قد تعرض «للخداع» أو تم «الاحتيال» عليه. ولكننى واثق أن ما كان يعنيه أنه كان واقعًا تحت تأثير سحر وقد انتهى الآن إلا أنه لم يجرؤ على استخدام هذه الكلمات بالتحديد، خوفًا من أن يعتقد الناس أنه مجنون. وقد خمن القرويون من كلامه أن (ميروب) قد كذبت على (توم ريدل) وادعت أنها حامل بطفله وأنه تزوجها لهذا السبب».

قال (هارى): «ولكنها بالفعل أنجبت طفله».

قال (دمبلدور): «أجل، ولكن ليس قبل عام من زواجهما وقد تركها (توم ريدل) وهى ما زالت حاملاً».

سأل (هارى): «ولكن ما الخطأ الذى حدث؟ لماذا توقفت وصفة الحب السحرية عن العمل؟».

قال (دمبلدور): «مرة أخرى نعود للتخمين، ولكنى أعتقد أن (ميروب) التى كانت تحب زوجها بشدة لم تستطع أن تتحمل الاستمرار فى جعله متيمًا بها باستخدام الوسائل السحرية. وأعتقد أنها اختارت أن تتوقف عن إعطائه الوصفة. ربما حبها له قد سلبها عقلها، وأقنعت نفسها أنه أصبح يبادلها الحب مع مرور الوقت، أو ربما اعتقدت أنه سيبقى معها من أجل الطفل. ولكن إذا كان هذا هو ما فكرت هى به، فقد أخطأت فى ظنونها. فقد تركها، ولم يحاول رؤيتها مرة أخرى أبدًا، ولم يحاول حتى أن يزعج نفسه باكتشاف ما الذى حدث لطفله».

كانت السماء بالخارج فى سواد الحبر وبدت اللمبات فى مكتب (دمبلدور) أكثر سطوعًا عن ذى قبل.

قال (دمبلدور) بعد لحظة أو اثنتين: «أعتقد أن هذا يكفى الليلة يا (هارى)».

قال (هارى): «حسنًا يا سيدى».

ووقف (هارى) على قدميه ولكنه لم يرحل.

وقال: «سيدى،... هل هناك أهمية لمعرفة كل هذه الأشياء عن ماضى (فولدمورت)؟».

قال (دمبلدور): «مهم جدًا، كما أعتقد».

(هارى): «وهل له علاقة ما بالنبوءة؟».

(دمبلدور): «بالتأكيد له علاقة بالنبوءة».

قال (هارى): «حسنًا» كان يشعر بالحيرة قليلاً ولكن متأكد فى نفس الوقت.

وما إن التفت ليذهب حتى خطر بباله سؤال آخر فرجع أدراجه مرة أخرى.

وقال: «سيدى، هل مسموح لى أن أخبر (رون) و(هرميون) عن كل شىء أخبرتنى به؟».

نظر (دمبلدور) إلى (هارى) مليًا ثم قال: «نعم، أعتقد أن السيد (ويسلى) والآنسة (جرانجر) قد أثبتا أنهما جديران بالثقة ولكن يا (هارى)، سوف أطلب منك أن تخبرهما ألا يكررا أيًا من هذا الكلام أمام أى شخص آخر، فلن يكون الأمر جيدًا لو انتشر أى كلام عن مدى ما أعرفه أو أظنه عن أسرار لورد (فولدمورت)».

قال (هارى): «لا يا سيدى، بالطبع سوف أتأكد أن الأمر لن يتعدى (رون) و(هرميون)، تصبح على خير».

التفت (هارى) مرة أخرى، وكان تقريبًا قد وصل إلى الباب عندما رآه. كان موضوعًا على إحدى الموائد ذات الأرجل الطويلة الرفيعة التى تحمل الكثير من الأدوات الفضية التى تبدو سهلة الانكسار، خاتم ذهبى قبيح مزين بحجر كريم أسود كبير مكسور.

قال (هارى) وهو يحدق إليه: «سيدى، هذا الخاتم».

قال (دمبلدور): «نعم».

قال (هارى). «لقد كنت ترتديه عندما قمنا بزيارة الأستاذ (سلجهورن) فى تلك الليلة».

وافق (دمبلدور): «هذا صحيح».

سأل (هارى): «ولكن أليس هو... يا سيدى؟ أليس هو نفس الخاتم الذى عرضه (مارفولو جاونت) لـ(أوجدن)؟».

أحنى (دمبلدور) رأسه موافقًا.

وقال: «نعم هو نفسه».

قال (هارى): «ولكن كيف؟ هل كان دائمًا معك؟».

قال (دمبلدور) «لا، لقد حصلت عليه منذ وقت قريب، منذ أيام قليلة قبل حضورى لأخذك من منزل خالتك وعمك فى الحقيقة».

(هارى): «هذا تقريبًا نفس الوقت الذى جرحت فيه يدك إذن يا سيدى».

(دمبلدور). «أجل تقريبًا فى نفس الوقت».

تردد هارى ولكن (دمبلدور) كان يبتسم.

(دمبلدور): لقد تأخر الوقت يا (هارى)! وسوف تستمع إلى القصة فى المرة القادمة، تصبح على خير».

(هارى): «تصبح على خير يا سيدى».

■ ■ ■

١١ بفضل مساعدة (هرميون)

كما سبق وتنبأت (هرميون)، لم تكن الفترات الحرة لطلاب السنة السادسة ساعات للاسترخاء وراحة البال التى توقعها (رون) ولكنها أوقات لمحاولة متابعة الكميات الهائلة من الواجبات التى يأخذونها. وكانت الدروس قد أصبحت تحتاج إلى المذاكرة الدائمة وكأن لديهم امتحانات كل يوم، كما أصبحت أكثر تطلبًا بكثير مما كانت عليه من قبل. فقد كان (هارى) بالكاد يفهم نصف ما كانت تقوله الأستاذة (ماكجونجال) هذه الأيام، وحتى (هرميون) كانت تضطر إلى أن تطلب منها تكرار الإرشادات مرة أو مرتين. ومما زاد من استياء (هرميون) أن مادة الوصفات أصبحت ـ فجأة وبشكل لا يصدق ـ المفضلة لدى (هارى) والفضل للأمير الهجين.

وأصبحت التعاويذ غير المنطوقة متوقعة الآن، ليس فى مادة الدفاع ضد فنون الظلام فقط ولكن فى مواد التعاويذ والتحويل كذلك. وكثيرًا ما تطلَّع (هارى) إلى رفقائه فى الصف وهم جالسون فى الغرفة العامة أو فى أوقات الوجبات ليرى وجوههم قد تحولت إلى اللون البنفسجى وظهر عليهم التوتر الشديد وكأنهم يتعرضون لحالة إمساك مستعصية (أنت... لست... أف)، ولكنه كان يعلم أنهم كانوا فى الحقيقة يكافحون لتأدية تعاويذ بدون نطقها بصوت عال، وأصبح الخروج إلى الصوبة الزجاجية نوعًا من الترويح إلى حد ما، بالرغم من أنهم كانوا يتعاملون مع نباتات أكثر خطورة من المعتاد فى مادة علم النباتات ولكن على الأقل كان مسموحًا لهم بالسباب بصوت عال إذا ما أمسك بهم نبات (فينوموس تينتاكولا) السام بقرون استشعاره الحادة من الخلف.

وكانت إحدى نتائج هذا الكم من الأعمال وساعات التدريب المحمومة على التعاويذ غير المنطوقة أن (هارى) و(رون) و(هرميون) لم يجدوا حتى هذه اللحظة الوقت الكافى ليذهبوا لزيارة (هاجريد) الذى كان قد توقف عن تناول الطعام على مائدة هيئة التدريس، وهى علامة منذرة بالشر، وعندما يمرون بالقرب منه فى أحد الأروقة أو فى المناطق المفتوحة بالخارج، فإنه بطريقة غامضة لم يكن يلاحظهم أو يسمع تحيتهم.

قالت (هرميون) وهى تنظر إلى كرسى (هاجريد) الضخم الخالى على مائدة هيئة التدريس خلال إفطار يوم السبت التالى «يجب أن نذهب لنشرح له الأمر».

قال (رون): «لدينا تجارب اختيار فريق (الكويدتش) هذا الصباح! كما أننا من المفترض أن نتدرب على تعويذة القشعريرة لمادة (فليتويك)! وعلى أية حال، ما الذى سنشرحه له؟ كيف سنقول له إننا نكره مادته الغبية؟».

قالت (هرميون): «نحن لا نكرهها!».

قال (رون) بتجهم: «تكلمى عن نفسك، فأنا لم أنس (السكروتس)، وأقول لكم الآن: إننا قد نفدنا بجلدنا، فأنت لم تسمعيه وهو يتكلم عن أخيه الأحمق. لو أننا لم نهرب، لَكُنَّا الآن نعلِّم (جرواب) كيف يربط حذاءه».

قالت (هرميون) وهى تبدو منزعجة: «أكره عدم الكلام مع (هاجريد)».

قال (هارى) مؤكدًا: «سنذهب إليه بعد (الكويدتش)».

كان (هارى) يفتقد (هاجريد) أيضًا رغم أنه مثل (رون) يرى أنهم أفضل حالاً بدون (جرواب) فى حياتهم، وأضاف قائلاً: «ولكن التجارب قد تستغرق النهار بأكمله، نظرًا لكثرة عدد المتقدمين، لا أعرف لماذا ازدادت شعبية الفريق فجأة هكذا»، كان (هارى) يشعر بالقليل من العصبية فى مواجهة أول عقبة فى عمله ككابتن للفريق.

قالت (هرميون) وقد فقدت صبرها فجأة: «دعك من هذا يا (هارى)، ليست (الكويدتش) هى التى أصبحت شعبية، إنه أنت! فأنت لم تكن يومًا - وبصراحة - أكثر إثارة للاهتمام ولا للإعجاب كما أصبحت اليوم».

كان (رون) قد ملأ فمه بقطعة كبيرة من سمك السالمون المدخن، فـألقت عليـه (هرميون) نظرة اشمئزاز، ثم عـادت تنظر إلى (هـارى) وأكملت قـائلة: «أصبح الجميع يعلمون الآن أنك كنت تقول الحقيقة، أليس كذلك؟ وأصبح على مجتمع السحر بأكمله أن يعترف بـأنك كنت على حق بشأن عودة (فولدمورت) وأنك قد حاربته مرتين خلال العامين الماضيين ونجوت فـى كـلـتـا المرتين. والآن يـطـلقون عليك المختـار ـ حسنًا، ألا ترى لماذا أصبح الناس مفتونين بك؟».

شعر (هـارى) أن البهو العظيم قد أصبح حـارًا فجأة، حتى وإن كـان السقف يبدو بـاردًا وممطرًا.

أكملت (هرميون) قـائلة: «وقد تعرضت لكل ذلك الاضطهاد من الوزارة عندما كـانوا يحاولون أن يثبتوا أنك غير مستقر عقليًا وكاذب، ولايزال بإمكانك رؤية العلامات التى جعلتك تلك المرأة الشريرة تكتبها بدمك واضحة للعيان، ولكنك تمسكت بقصتك رغم كل هذا...».

قـال (رون) وهو يهز أكمـامه للخلف: «ومـازال بـالإمكان رؤية المكان الذى أمسكتنى منه تلك العقول فى الوزارة، انظرى».

أكملت (هرميون) حديثها متجاهلة (رون): «هذا بـالإضـافة إلى أن طولك قد زاد حوالى قدم خلال الصيف أيضًا».

علق (رون) مبتعدًا عن الموضوع: «أنا طويل».

وصل بريد البوم منقضًا من النوافذ التى تغطيها قطرات المطر، مبعثرًا قطرات الماء على الجميع، معظم الناس كانوا يتسلمون بريدًا أكثر من المعتاد، فقد كـان الأهالى القلقون يريدون الاطمئنان على أطفالهم وأن يطمئنوهم فى المقابل بأن كل شىء فى البيت على مـا يرام أيضًا، لم يتسلم (هـارى) أى بريد منذ بداية العام الدراسى، فالشخص الوحيد الذى كان يراسله بانتظام مـات الآن وبالرغم من أنه تمنى أن يراسله (لوبين) أحيانًا، فإن ظنه قد خاب حتى الآن، ولهذا السبب، فقد فوجئ عند رؤية

بومته الثلجية (هيدويج) وهى تدور بين كل البومات البنية والرمادية ثم تهبط أمامه وهى تحمل طردًا كبيرًا مربعًا. وبعد لحظة، هبط طرْد مماثل أمام (رون) وهو يسحق تحته بومته (بيجويدجين) الصغيرة المرهقة.

فتح (هارى) الطرد ليجد نسخة جديدة من كتاب (المتقدم فى تحضير الوصفات) من (فلوريش وبلوتس) وقال. «آه».

قالت (هرميون) بسعادة: «آه، جيد، الآن يمكنك أن تعيد تلك النسخة الممتلئة بالنقوش».

قال (هارى): «هل أنت مجنونة؟ سوف أحتفظ بها بالطبع! انتظرى، لقد فكرت فى الأمر».

ثم سحب النسخة القديمة من الكتاب خارج حقيبته وضرب الغلاف بعصاه، وهو يغمغم: «(ديفيندو)!».

فوقع الغلاف وفعل نفس الشىء مع الكتاب الجديد، ثم قام بمبادلة غلافى الكتابين وضرب كلاً منهما بعصاه وقال: «*(ريبارو)!*».

وبدت (هرميون) مروعة وكأن ما يحدث غير أخلاقى.

وأصبحت نسخة الأمير متخفية فى صورة كتاب جديد والكتاب الجديد القادم من (فلوريش وبلوتس) يبدو مثل المستعمل.

(هارى): «سوف أعيد لـ(سلجهورن) النسخة الجديدة، لا يمكنه الشكوى، فثمنها تسعة جالونات».

عضت (هرميون) على شفتيها وظهر عليها الغضب والاستهجان ولكن شتت انتباهها هبوط بومة ثالثة أمامها وهى تحمل عدد اليوم من (المتنبئ اليومى)، ففتحتها بسرعة وأخذت تقرأ الصفحة الأولى بعينيها.

سألها (رون) بصوت صمم على أن يبدو عاديًا: «هل مات أحد نعرفه؟» وكان دائمًا ما يسأل نفس السؤال فى كل مرة تفتح فيها (هرميون) جريدتها.

قالت (هرميون): «لا، ولكنْ هناك اعتداءات جديدة من (الدمنتور) واعتقال».

قال (هارى) وهو يفكر فى (بيلاتريكس ليسترانج): «رائع، من...؟».
قالت (هرميون): «(ستان شونبيك)».
قال (هارى) وهو متعجب: «ماذا؟».
«وتم القبض على (ستان شونبيك)، المرشد على مركبة السحر المشهورة، (حافلة الفروسية)، بسبب الاشتباه فى قيامه بأنشطة خاصة بمنظمة (آكلى الموت)، وقد تم وضع السيد (شونبيك) البالغ من العمر ٢١ عامًا فى السجن مساء أمس بعد القيام بحملة على منزله فى (كلافام)...».
قال (هارى) وهو يتذكر الشاب ذا النمش الذى لقيه للمرة الأولى قبل ثلاث سنوات: «(ستان شونبيك) من (آكلى الموت)؟ لا يمكن!».
قال (رون) بعقلانية: «ربما تم وضعه تحت تعويذة التحكم، لا يمكنك أبدًا أن تعرف».
قالت (هرميون) التى كانت لاتزال تقرأ: «لا يبدو الأمر كذلك، مذكور هنا أنه تم القبض عليه بعد سماعه مصادفةً وهو يتكلم عن خطة سرية لـ(آكلى الموت) فى إحدى الحانات».
رفعت رأسها وقد كسا وجهها تعبير مضطرب وأضافت: «لو كان تحت تأثير تعويذة التحكم لم يكن ليستطيع الانتقال من مكان إلى مكان وهو يثرثر عن خططهم، أليس كذلك؟».
قال (رون): «يبدو الأمر كأنه كان يتظاهر بمعرفة أكثر مما يعرفه فعلاً، أليس هو نفس الشخص الذى ادعى أنه سيصبح وزيرًا للسحر وهو يثرثر مع فتيات الفيللا؟».
قال (هارى): «بلى، إنه نفس الشخص، لا أعرف ما الذى يرمون إليه من أخذ كلام شخص كـ(ستان) بجدية؟».
قالت (هرميون) متجهمة: «من المحتمل أنهم يريدون الظهور كمن يفعل شيئًا، فالناس مرعوبون ـ أتعرف التوأم من عائلة (باتيل)، يريد والدهما أن يعودا إلى المنزل، وقد تم سحب (إلويس ميدجين) بالفعل؛ فقد أتى والدها لاصطحابها الليلة الماضية».

قال (رون) وهو يحملق إلى (هرميون): «ماذا؟! ولكن (هوجوورتس) أكثر أمانًا من منازلهم! فلدينا مدافعون ضد السحر الأسود، بالإضافة إلى كل تعاويذ الحماية الإضافية، كما أن لدينا (دمبلدور)!».

قالت (هرميون) بهدوء شديد: «أنا لا أعتقد أنه معنا طوال الوقت».

ونظرت فى اتجاه مائدة هيئة التدريس من فوق جريدتها (المتنبئ)، وأضافت: «ألم تلاحظ؟ كان مقعده خاليًا معظم الأسبوع الماضى مثل مقعد (هاجريد)».

نظر (هارى) و(رون) إلى مائدة هيئة التدريس، فقد كان مقعد الناظر خاليًا بالفعل، وأخذ (هارى) يفكر الآن فى أنه بالفعل لم ير (دمبلدور) منذ درسهم الخصوصى قبل أسبوع.

قالت (هرميون) بصوت خافت: «أعتقد أنه ترك المدرسة؛ ليفعل شيئًا مع الجماعة، أعنى أن الأمر كله يبدو جديًا، أليس كذلك؟».

ولم يرد (هارى) أو (رون)، ولكن (هارى) عرف أنهم كانوا يفكرون جميعًا فى نفس الشيء؛ فقد حدث حادث فظيع أمس، عندما تم إخراج (هانا أبوت) من حصة علم النباتات ليخبروها أن أمها وجدت مقتولة، ولم يروا (هانا) من وقتها.

وعندما تركوا مائدة (جريفندور) بعد خمس دقائق متجهين إلى ملعب (الكويدتش)، مروا بالقرب من (لافيندر براون) و(بارفاتى باتيل). وتذكر (هارى) ما قالته (هرميون) عن رغبة عائلة (باتيل) أن يتركوا طفليها التوأم فى (هوجوورتس)، فلم يكن مندهشًا أن يرى الصديقتين المقربتين تتهامسان معًا وقد بدا عليهما الحزن. ولكن ما أثار دهشته أنه عندما مر (رون) بالقرب منهما، لكزت (بارفاتى) فجأة (لافيندر)، التى نظرت حولها ومنحت (رون) ابتسامة عريضة. طرف (رون) بعينه فى اتجاهها ورد ابتسامتها بعدم ثقة وقد أصبح يمشى فى اختيال فجأة، قاوم (هارى) إغراء الضحك وهو يتذكر أن (رون) امتنع عن ذلك بعد أن كسر

(مـالـفـوى) أنـف (هـارى)، إلا أن (هـرمـيـون) بـدت بـاردة ومـنـزويـة طـوال الطريق إلى الإستـاد عبر الرذاذ البـارد والأجواء الضبـابية، وعندما وصلوا، تركتهم لتجد مكانًا على المدرجات بدون أن تتمنى لـ(رون) حظًا سعيدًا.

وكما توقع (هـارى)، فقد استغرقت التجـارب معظم الصبـاح. وقد بدا أن نصف منزل (جريفندور) قد أتوا للاختبـار.

بداية من طلاب السنة الأولى الذين كانوا يقبضون بعصبية على مجموعة من عِصِى مكانس المدرسة القديمة والمريعة مرورًا بطلاب السـنـة السـابـعـة الـذيـن يـبـدون واثـقين بـأنـفسـهم عن الآخـريـن وواقـفين بريـاطة جأش، وكـان بين هـؤلاء ولد ضخم ذو شعر خشن عرفه (هـارى) على الفور؛ فقد قـابله فى قطـار (هـوجـوورتس) السريـع.

قـال بثقة وهـو يخطو خـارجًا من الزحـام؛ ليسلم على (هـارى): «لقد الـتـقـيـنـا فى الـقـطـار، فى مـقـصـورة (سـلـوجـى) الـعـجـوز. أنـا (كـورمـاك مـاكلاجين)، حـارس».

سـأله (هـارى): «إنك لم تشارك فى اختبـارات الـعـام المـاضى، أليس كذلك؟» ـ سـأله وهـو يـلاحظ ضخـامـة حجمه ويفكر فى أنه من المحتمل أن يغلق كل جوانب طوق المرمى الثلاثة بدون حتى أن يتحرك.

قـال (مـاكلاجين) بزهـو ـ نوعًـا مـا ـ: «لقد كنت فى جنـاح المستشفى عـنـدمـا عـقـدت تجارب الـعـام المـاضـى، بـعد أن أكلت رطلاً مـن بـيض (الدوكس) خلال أحد الرهـانـات».

قـال (هـارى): «آه، حسنًـا... يمكنك الانتظـار هنـاك...».

وأشـار بيده إلى حـافـة الملعب، بـالقرب من المكان الذى كـانت تجلس فيه (هرميون) واعتقد أنه رأى وميضًـا من الضيق على وجه (مـاكلاجين) وتساءل إن كـان (مـاكلاجين) قد توقـع معـاملة متميزة؛ لأن كليهمـا من طلاب (سلوجى) المفضلين.

وقـرر (هـارى) أن يـبدأ بـاخـتـبـار أسـاسـى، فطلب من كل المتقدمين لـلانضـمـام لـلـفـريـق أن يـنـقسـموا إلى مجموعـات، على أن تـتـكـون كل

مجموعة من عشرة لاعبين يقومون بالطيران فى دورة حول الملعب وكان هذا قرارًا صائبًا؛ فقد كانت المجموعة الأولى مكونة من طلبة الصف الأول وكان من الواضح جدًّا أنهم لم يطيروا قط من قبل ولم يستطع إلا ولدٌ واحد منهم فقط أن يبقى فى الجو لأكثر من بضع ثوان، مما أدهشه، إلا أنه اصطدم بإحدى عوارض المرمى فورًا.

كانت المجموعة الثانية مكونة من عشر من أكثر الفتيات سخافةً اللاتى التقاهن (هارى) فى حياته، وعندما نفخ (هارى) فى صفارته أخذن يضحكن ويمسكن ببعضهن. وكانت بينهن (روميلدا فان). وعندما طلب منهن (هارى) أن يتركن أرض الملعب، فعلن هذا وهنَّ سعيدات وذهبن للجلوس فى المدرجات ليضايقن جميع الموجودين.

المجموعة الثالثة حدث بينهم تصادم فى منتصف الطريق حول الملعب. أما المجموعة الرابعة، فقد أتى معظمهم بدون أن يحضروا عصى مكانس معهم. والمجموعة الخامسة كانت من منزل (هافلباف).

صاح (هارى) الذى كان قد بدأ يشعر بالضيق الشديد: «إن كان هناك شخص آخر لا ينتمى لـ(جريفندور) فى المكان فليرحل فورًا، لو سمحتم!».

مرت لحظة صمت، ثم جرت مجموعة من طلاب (رافينكلو) الصغار بسرعة خارجين من الملعب وهم يضحكون.

وبعد ساعتين تخللهما الكثير من الشكاوى والعديد من نوبات الغضب، كانت إحداها بسبب تحطم مكنسة (كوميت) طراز (٦٢) وتكسر العديد من الأسنان، وجد (هارى) أخيرًا ثلاثة مطاردين. وقد عادت (كاتى بيل) إلى الفريق بعد تجربة أداء ممتازة واكتشف (هارى) لاعبًا جديدًا يدعى (ديميلزا روبينز) الذى كان جيدًا بشكل خاص فى مراوغة (البلادجر) وكذلك (جينى ويسلى) التى تفوقت فى كل المنافسات وسجلت ١٧. هدفًا وحدها. كان (هارى) سعيدًا باختياراته رغم اضطراره للصياح مع المعترضين الكثيرين حتى بح صوته وكان يتعرض لشىء مماثل مع الضاربين المرفوضين.

علا صوته وهو يقول: «هذا قرارى النهائى وإذا لم تُخْلُوا الطريق للحراس فسوف أرميكم بتعويذة».

لم يكن أى من الضاربين الذين اختارهم يتمتع ببراعة (فريد) و(جورج) ولكنه مع ذلك كان راضيًا إلى حد كبير عنهم، الأول كان (جيمى بيكيس)، وهو ولد قصير ذو صدر عريض من الصف الثالث والذى تسبب فى ظهور نتوء فى حجم البيضة فى خلفية رأس (هارى) بضربة (بلادجر) قوية جدًا، والثانية كانت (ريتشى كوتى) التى كانت تبدو شديدة النحول إلا أنها بارعة جدًا فى توجيه (البلادجر)، وكانا الآن قد انضما إلى (كاتى) و(ديميلزا) و(جينى) فى المدرجات؛ ليشاهدوا اختيار آخر عضو فى الفريق.

تعمد (هارى) تأجيل اختبار الحراس إلى النهاية، وهو يتمنى أن يصبح الإستاد أقل امتلاء ليكون الضغط النفسى أقل عليهم. ولكن لسوء الحظ، فإن كل اللاعبين المرفوضين وعددًا من الناس الذين أتوا للمشاهدة بعد إفطار طويل كانوا قد انضموا الآن إلى المشاهدين بالمدرجات، فأصبح عددهم أكثر من ذى قبل. وطار الحراس إلى أعلى فى اتجاه طوق المرمى، وسط صياح الجمهور المعتاد وتهكمه. ونظر (هارى) إلى (رون) الذى كان دائمًا يعانى مشكلة فى أعصابه، وتمنى (هارى) أن يكون فوزهم بمباراتهم الأخيرة العام الماضى قد شفاه ولكن من الواضح أن هذا لم يحدث، كان لون (رون) قد تحول إلى درجة من درجات الأخضر الخفيف.

لم يستطع أى من الخمسة المتقدمين الأوائل أن يصد أكثر من هدفين، ولكن أمل (هارى) خاب بشدة عندما استطاع (كورماك ماكلاجين) صد أربع كرات من خمس ولكنه فى الأخيرة، مع ذلك، رفع الكرة فى اتجاه خاطئ تمامًا، وضحك الجمهور وسخروا منه وعاد (ماكلاجين) إلى الأرض وهو يجز على أسنانه.

كان (رون) يبدو على وشك الإغماء وهو يمتطى مكنسته (الكليف سويب)!!

صاح صوت من المدرجات: «حظ سعيد!» نظر (هارى) حوله وهو يتوقع رؤية (هرميون) ولكنها كانت (لافيندر براون). كم كان يود لو أن بإمكانه أن يخفى وجهه بين يديه، كما فعلت هى بعد لحظة، ولكنه فكر بما أنه الكابتن، فمن الواجب عليه أن يكون أكثر تمالكًا لأعصابه، وهكذا فقد استدار؛ ليشاهد (رون) وهو يؤدى تجربته.

ولكنه لم يكن يحتاج إلى أن يقلق، فقد صد (رون) واحدة، اثنتين، ثلاثًا، أربعًا، خمس كرات فى جولة.

كان (هارى) سعيدًا وقاوم بصعوبة مشاركة الجمهور فى تشجيعه، واستدار (هارى) إلى (ماكلاجين)؛ ليخبره أنه للأسف الشديد أن (رون) قد هزمه ليجد أن وجه (ماكلاجين) الأحمر لا يبعد أكثر من بوصات قليلة عن وجهه. فتراجع خطوة للخلف بسرعة.

قال (ماكلاجين) متوعدًا: «إن أخته لم تحاول بجدية إحراز هدف وأعطته ضربة سهلة»، وكان لديه شريان ينبض فى صدغه، تمامًا مثل الذى اعتاد (هارى) الإعجاب به لدى عمه (فرنون).

قال (هارى) ببرود: «هراء، كانت هذه التى كاد يخطئها».

تحرك (ماكلاجين) خطوة فى اتجاه (هارى) الذى لم يتزحزح من مكانه هذه المرة وقال: «أعطنى فرصة أخرى».

قال (هارى): «لا، لقد أخذت فرصتك وقد قمت بصد أربع كرات، بينما نجح (رون) فى صد خمس، وقد أصبح (رون) الحارس وكان فوزه عادلاً ونزيهًا. ابتعد عن طريقى».

اعتقد (هارى) أن (ماكلاجين) على وشك أن يلكمه ولكنه اكتفى بتكشيرة قبيحة واندفع مبتعدًا وهو يغمغم بما بدا مثل الوعيد والتهديد فى الهواء.

والتفت (هارى) ليجد فريقه الجديد يبتسم له.

فقال لهم: «أحسنتم، لقد كان أداؤكم طيبًا».

«لقد كان أداؤك رائعًا يا (رون)!».

هذه المرة كانت (هرميون) هى التى قالت هذا وهى تجرى قادمة فى اتجاههم من المدرجات، ورأى (هارى) (لافيندر) وهى تخرج من الملعب وذراعها فى ذراع (بارفاتى) بينما يغطى وجهها تعبير ضِيق. كان (رون) يبدو سعيدًا بنفسه إلى حد كبير ويبدو حتى أطول من المعتاد وهو يبتسم إلى (هرميون).

وبعد الاتفاق على أول موعد للتدريب الكامل يوم الخميس القادم، ودَّع (هارى) و(رون) و(هرميون) باقى الفريق واتجهوا إلى كوخ (هاجريد). وكانت الشمس تحاول إرسال أشعتها عبر السحاب بعد أن توقف المطر أخيرًا.

شعر (هارى) بجوع شديد، وتمنى أن يكون لدى (هاجريد) ما يأكله.

قال (رون) بسعادة: «اعتقدت أننى سوف أخطئ الضربة الرابعة، فقد كانت ركلة بارعة من (ديميلزا)، هل رأيتها؟ فقد كان بها بعض اللولبية».

قالت (هرميون) وهى تبدو مستمتعة: «نعم، نعم، لقد كنت عظيمًا».

قال (رون) برضا: «لقد كنت أفضل من (ماكلاجين) على أية حال، هل رأيت كيف ذهب فى الاتجاه الخطأ أثناء صده للضربة الخامسة؟ كان يبدو مذهولاً».

دهش (هارى) عندما وجد وجه (هرميون) قد تحول إلى اللون الوردى عند سماعها لهذا الكلام. ولكن (رون) لم يلاحظ شيئًا، فقد كان مشغولاً بوصف كل واحدة من الكرات التى صدها بالتفصيل الدقيق.

كان (الهيبوجريف) الضخم الرمادى (باك بيك) مربوطًا أمام كوخ (هاجريد). وعندما اقتربوا منه، طرقع منقاره الحاد كشفرة الموسى وحوَّل رأسه الضخم فى اتجاههم.

قالت (هرميون) بعصبية: «يا إلهى، إنه مازال مخيفًا إلى حد ما، أليس كذلك؟».

قال (رون): «دعك من هذا، إنك قد امتطيته من قبل، أليس كذلك؟».

تقدم (هارى) إلى الأمام، ثم انحنى أمام (الهيبوجريف) بدون أن يبعد عينيه عن عينه أو يطرف. وبعد بضع ثوان، انحنى له (باك بيك) أيضًا.

سأله (هارى) بصوت خفيض: «كيف حالك؟»، ثم تقدم ليربّت على الرأس ذى الريش، وأكمل قائلاً: «هل تفتقده؟ ولكنك على خير حال هنا مع (هاجريد)، أليس كذلك؟».

قال بصوت عال: «أوه!».

تقدم (هاجريد) وهو يخطو بخطوات واسعة حول ركن كوخه مرتديًا مريلة مزينة بالزهور، حاملاً جرابًا مملوءًا بالبطاطس. وكان كلب الصيد البرى الخاص به (فانج) قادمًا فى أعقابه، نبح (فانج) بقوة ووثب إلى الأمام.

(هاجريد): «اذهبوا بعيدًا عن طريقه، فسوف يأكل أصابعكم».

كان (فانج) يقفز على (هرميون) و(رون) وهو يحاول لعق آذانهما. وقف (هاجريد) وأخذ ينظر إليهم للحظة قصيرة، ثم استدار وخطا بخطوات واسعة إلى داخل كوخه وصفق الباب خلفه.

قالت (هرميون) وقد صُدمت: «يا إلهى!».

قال (هارى) بتجهم: «لا تقلقوا»، ثم مشى إلى الباب وبدأ فى طرقه بصوت عال.

وقال: «افتح يا (هاجريد)، نريد أن نتحدث معك!».

ولم يكن هناك صوت فى الداخل.

قال (هارى) وقد سحب عصاه: «إذا لم تفتح الباب فسوف أفجره!».

قالت (هرميون) وقد بدت مصدومة: «(هارى)! لا يمكنك...».

قال (هارى): «بل أستطيع! ارجعوا إلى الوراء».

ولكن قبل أن يقول أى شىء آخر، انفتح الباب مرة أخرى كما توقع (هارى)، ووقف (هاجريد) على عتبته محملقًا إليه، ورغم ملابسه الزهرية كان يبدو متوعدًا.

وصاح فى وجه (هارى) قائلاً: « أنا مدرس، مدرس يا (بوتر)! كيف تجرؤ على التهديد بتدمير بابى!».

قال (هارى): «أنا آسف يا سيدى»، وأكد على الكلمة الأخيرة وهو يعيد عصاه إلى داخل ملابسه.

وبدا (هاجريد) مندهشًا.

وقال: «منذ متى وأنت تدعونى سيدى؟».

قال (هارى): «ومنذ متى وأنت تدعونى (بوتر)؟».

قال (هاجريد) متجهمًا: «أوه، منتهى الذكاء، ومضحك أيضًا. لقد تفوقت علَىَّ بالحيلة، أليس كذلك؟ حسنًا ادخلوا إذن، أنتم يا ناكرى الجميل، أيها...».

وأخذ يغمغم وهو يفسح لهم الطريق ليدخلوا. أسرعت (هرميون) بالدخول بعد (هارى) وهى تبدو خائفة إلى حد ما.

وبعد أن جلس (هارى) و(رون) و(هرميون) حول المائدة الخشبية الضخمة وأصبح رأس (فانج) الضخم لتوِّه فوق ركبة (هارى) ولعابه يسيل على ملابسه، قال (هاجريد) وهو يبدو بمزاج نكد: «حسنًا! ما الأمر؟ هل تشعرون بالأسف لأجلى؟ أو ربما تظنون أننى وحدى أو شيئًا من هذا القبيل؟».

قال (هارى) على الفور: «لا، لقد أردنا أن نراك».

قالت (هرميون) وهى ترتعد: «لقد افتقدناك!».

قال (هاجريد): «افتقدتمونى! فعلاً؟ آه، صحيح».

وضرب الأرض بقدميه ـ وهو يغلى الشاى فى غلايته النحاسية الضخمة ـ وهو يغمغم طوال الوقت، وأخيرًا وضع على المائدة ثلاثة أكواب فى حجم الدِّلاء مملوءة بشاى لونه بنى باحمرار أمامهم، وطبقًا من الكعك الحجرى. وكان (هارى) جائعًا لدرجة أنه لم يكن لديه مانع أن يأكل من طهى (هاجريد)؛ لذلك فقد تناول واحدة على الفور.

وعندما انضم إليهم على المائدة وبدأ فى تقشير البطاطس بعنف وكأن كل درنة منها قد ارتكبت خطأ كبيرًا فى حقه، قالت (هرميون) بخوف: «(هاجريد)، لقد أردنا بالفعل أن نستمر فى دراسة العناية بالمخلوقات السحرية».

نفخ (هاجريد) نفخة قوية حتى أن (هارى) فكر فى أن شيئًا من داخل أنفه يمكن أن يكون قد وقع على البطاطس، وكان سعيدًا بينه وبين نفسه أنهم لن يبقوا لتناول العشاء معه.

قالت (هرميون): «لقد حاولنا! ولكنَّ أحدًا منا لم يستطع أن يجد لها وقتًا فى جَدْولِه!».

قال (هاجريد) مرة أخرى: «آه، صحيح».

ثم سمعوا صوتًا غريبًا لشىء يتحرك داخل الماء؛ فنظروا جميعًا حولهم، وأطلقت (هرميون) صرخة صغيرة وقفز (رون) مبتعدًا عن مقعده وأسرع بالدوران حول المائدة بعيدًا عن البرميل الواقف فى الركن الذى لم يلاحظوه إلا منذ لحظة، وكان ممتلئًا بشىء يبدو مثل يرقات طولها قدم، وتبدو بيضاء لزجة وتتلوى.

سأل (هارى): «ما هذه الأشياء يا (هاجريد)؟» وكان يحاول أن يبدو مهتمًا أكثر منه مشمئزًا، ولكنه أعاد الكعكة الحجرية مكانها.

قال (هاجريد): «إنها مجرد يرقات عملاقة».

قال (رون) وهو يبدو متوجسًا: «وهى تنمو لتصبح...».

قال (هاجريد): «إنها لن تنمو لتصبح أى شىء، إننى أحضرها؛ لأطعم (أراجوج)».

وبدون أى تحذير مسبق، انفجر (هاجريد) باكيًا.

صاحت (هرميون): «(هاجريد)!» وقفزت واقفة وأسرعت تلف حول المائدة متخذة الطريق الأطول؛ لتتفادى برميل اليرقات ووضعت ذراعها حول كتفيه المرتعدتين متسائلة: «ما الأمر؟».

شهق (هاجريد) قائلاً: «إنه... هو...» وعيناه السوداوان، اللتان يعلوهما حاجباه الكثيفان، تسيلان بينما يمسح وجهه بمريلته.

وأضاف: «إنه... (أراجوج)... أعتقد أنه يموت... لقد مرض خلال الصيف ولم يتحسن من وقتها... لا أعرف ماذا أفعل... إذا ما... لقد قضينا معًا وقتًا طويلاً».

وأخذت (هرميون) تربّت على كتفه، وقد بدا أنها متحيرة ولا تجد ما تقوله له بالمرة، كان (هارى) يعرف ما تشعر به. لقد كان يعرف أن (هاجريد) يشبه طفل تنين متوحش ومعه دمية على شكل دُبٍّ؛ لذلك فقد كانت رؤيته وهو يهمهم ويبكى على عنكبوت عملاق سام له مماصات وإبر (زبانى) تكاد تتماشى مع طبيعة العمالقة الشرسة لأخيه نصف الشقيق.

ولكن هذا العنكبوت المتكلم الضخم - (أراجوج) - الذى يعيش فى الغابة المحرمة والذى هرب منه هو و(رون) بشق الأنفس منذ أربع سنوات كان الأكثر غرابة بين كل الوحوش التى يعجب بها (هاجريد) ويحبها.

قالت (هرميون) متجاهلة تكشيرة (رون) الشديدة وهزه لرأسه: «هل هناك... هل هناك شىء يمكننا عمله؟».

غطَّ (هاجريد) بالبكاء وهو يحاول أن يوقف فيضان دموعه: «لا أعتقد يا (هرميون)، فباقى قبيلته.. وعائلة (أراجوج).. قد بدءوا يتصرفون بغرابة الآن بعد أن أصبح مريضًا.. وأصبحوا أكثر جموحًا..».

قال (رون) بصوت خفيض: «أظن أننا رأينا قليلاً من هذا الجانب منهم».

وأنهى (هاجريد) حديثه: «لا أظن أن الاقتراب من المستعمرة سيكون آمنًا لأى أحد غيرى» ثم مخط أنفه فى مئزره بقوة ورفع رأسه قبل أن يضيف: «ولكن، شكرًا على كل شىء يا (هرميون)... لقد عنى ذلك الكثير بالنسبة لى...».

وبعد ذلك، خفت وطأة غضب (هاجريد) إلى حد كبير، وبالرغم من أن (هارى) و(رون) لم يظهرا أى رغبة فى الذهاب لإطعام العنكبوت العملاق القاتل بهذه اليرقات العملاقة، فإن (هاجريد) بدا متأكدًا أنهم كانوا يحبون فعل ذلك ورجع إلى طبيعته معهم مرة أخرى.

وقال بصوت أجش وهو يَصُبُّ لهم المزيد من الشاى: «لقد عرفت دائمًا أنكم ستجدون صعوبة لإيجاد وقت لى فى جداولكم، ربما يمكنكم اللجوء إلى تدوير الزمن».

قالت (هرميون): «لم نستطع فعل هذا؛ لأننا قمنا بتحطيم كل مخزون الوزارة من مدورات الزمن عندما كنا هناك خلال الصيف. لقد تم نشر ما حدث فى المتنبئ اليومى».

قال (هاجريد): «حسنًا، إذن ليست هناك أى طريقة يمكنكم بها فعل هذا... أنا آسف، إننى كنت... أتعرفون... لقد كنت قلقًا على (أراجوج).. كما أننى كنت أتساءل إن كانت الأستاذة (جرويلى ـ بلانك) تدرِّس لكم».

فرد ثلاثتهم عليه بطريقة قاطعة كاذبين: «إن الأستاذة (جرويلى ـ بلانك)، التى تم إستبدال (هاجريد) بها بضع مرات، كانت مدرسة سيئة وسارت الأمور على ما يرام، حتى إنه عندما حان وقت رحيلهم عند الغروب، وقف (هاجريد) يلوح لهم من أمام كوخه وهو يبدو مرِحًا إلى حدٍّ بعيد».

وما أن أغلق الباب وراءهم، وأسرعوا عبر الأراضى المظلمة الخالية من المارّة، قال (هارى): «أنا جائع جدًّا».

فقد ترك الكعك الحجرى بعد أن شعر بكسر لا يبشر بخير فى إحدى أسنانه الخلفية وأضاف: «كما أن عندى هذا الاحتجاز مع (سناب) الليلة، ولا يوجد لدىَّ وقت كاف للعشاء».

وعندما دخلوا القلعة، رأوا (كورماك ماكلاجين) يدخل البهو العظيم. واحتاج إلى محاولتين؛ ليدخل من الباب، فقد ارتطم فى إطار الباب فى أول محاولة. ضحك (رون) متشفيًا، ثم أسرع خطاه ليدخل البهو خلفه ولكن (هارى) أمسك ذراع (هرميون) ليؤخرها.

قالت (هرميون) متخذة موقفًا دفاعيًا: «ماذا؟».

قال (هارى) بهدوء: «إذا سألتنى أقول لكِ إن (ماكلاجين) كان يبدو مذهولاً وقد كان جالسًا بالضبط أمام نفس المكان الذى كنتِ تجلسين فيه».

تورد وجه (هرميون) وهمست: «أوه، حسنًا، إذن لقد فعلت هذا، ولكن كان يجب أن تسمع الطريقة التى كان يتكلم بها عن (رون) و(جينى)! على أية حال، فإن له طباعًا سيئة، لقد رأيت كيف كان رد فعله عندما لم يُقبل بالفريق، لم تكن لتريد شخصًا مثله فى الفريق».

قال (هارى): «لا، أفترض أن هذا حقيقى. ولكن، ألم يكن هذا غشًّا يا (هرميون)؟ أعنى أنكِ لا تقبلين بالغش، أليس كذلك؟».

قالت (هرميون) بحدة: «أوه، لا تنطق بكلمة». بينما ابتسم (هارى) ابتسامة متكلفة.

ظهر (رون) عند باب البهو العظيم مرة أخرى وسألهم وهو يبدو متشككًا: «ما الذى تفعلانه؟».

قال (هارى) و(هرميون) معًا: «لا شىء». ثم أسرعا وراء (رون). رائحة اللحم المشوى جعلت بطن (هارى) يتلوّى من الجوع ولكنهم بالكاد خطوا ثلاث خطوات فى اتجاه مائدة (جريفندور) عندما ظهر الأستاذ (سلجهورن) أمامهم وأغلق عليهم الطريق.

وقال بصوت مدوٍّ وخفة دم: «(هارى)، (هارى)، الشخص الذى كنت أتمنى أن أراه!» وأخذ يبرم أطراف شاربه الذى يشبه شارب فيل البحر، ونفخ بطنه الضخم وأضاف: «لقد كنت آمل أن ألقاك قبل العشاء! ما رأيك أن تتعشى معى فى حجرتى الليلة! فنحن نعقد حفلة صغيرة، سيحضرها عدد من النجوم الصاعدين، منهم (ماكلاجين) و(زابينى) والفاتنة (فيلد داروبين)، لا أعرف إن كنت تعرفها أم لا؟ فأسرتها تمتلك سلسلة كبيرة من الصيدليات.. وطبعًا أتمنى جدًا أن تشرفنى الآنسة (جرانجر) بالحضور، أيضًا».

وانحنى (سلجهورن) انحناءة صغيرة لـ(هرميون) وهو ينهى كلامه، ولم ينظر (سلجهورن) إلى (رون) بالمرة، وكأنه لم يكن موجودًا.

قال (هارى) على الفور: «لا أستطيع القدوم يا أستاذ، فلدىَّ هذا الاحتجاز مع الأستاذ (سناب)».

قال (سلجهورن) وقد تغير وجهه بشكل مضحك: «يا للأسف، لقد كنت أعتمد عليك، يا (هارى)! حسنًا، الآن، سوف أتكلم مع (سيفيروس) وأشرح له الوضع، وأنا متأكد أننى سأكون قادرًا على إقناعه بتأجيل احتجازك. أراكما لاحقًا!».

واندفع خارجًا من البهو بنشاط.

قال (هارى) بعد أن أصبح (سلجهورن) بعيدًا عن مرمى السمع: «ليس لديه فرصة لإقناع (سناب)، فقد تم تأجيل هذا الاحتجاز مرة من قبل، وقد وافق (سناب) لأجل خاطر (دمبلدور)، ولكنه لن يفعل هذا لأى شخص آخر».

قالت (هرميون) بقلق: «آه، أتمنى لو أن بإمكانك الحضور، فأنا لا أريد الذهاب وحدى!» وعرف (هارى) أنها كانت تفكر فى (ماكلاجين).

قال (رون) متجهمًا وقد بدا أنه لم يأخذ مسألة تجاهل (سلجهورن) ببساطة: «أشك أنكِ ستكونين وحيدة، فـ(جينى) ستكون مدعوة فى الأغلب».

وبعد العشاء، عادوا إلى برج (جريفندور). وكانت الغرفة العامة مزدحمة، بعد أن أنهى معظم الطلاب عشاءهم الآن، ولكنهم استطاعوا أن يجدوا مائدة خالية وجلسوا عليها، وكانت حالة (رون) النفسية قد أصبحت سيئة منذ التقوا بالأستاذ (سلجهورن)، فطوى ذراعيه معًا وأخذ ينظر للسقف وهو مقطب. مدت (هرميون) يدها لتجلب نسخة من *(المتنبئ المسائى)*، تركها أحدهم على أحد الكراسى.

قال (هارى): «هل هناك شىء جديد؟».

كانت (هرميون) قد فتحت الجريدة وأخذت تنظر إلى الصفحات الداخلية وقالت: «لا... أوه، انظر، هناك خبر عن والدك يا (رون)»، ثم أضافت بسرعة: «إنه على ما يرام!»؛ لأن (رون) نظر حوله فى قلق. وأكملت قائلة *«إنها تقول: إنه قد قام بحملة على منزل آل (مالفوى)» ولم يسفر التفتيش الثانى لمنزل (آكلى الموت) عن أى نتيجة، وقال (أرثر ويسلى) من مكتب كشف ومصادرة التعاويذ الدفاعية المقلدة والأشياء الوقائية: «إن فريقه قام بحملة، بناءً على معلومات سرية من مصدر موثوق به»*.

قال (هارى): «صحيح، أنا! لقد أخبرته فى محطة (كينج كروس) عن (مالفوى) وهذا الشىء الذى كان يحاول أن يجعل (بروجين) يقوم بإصلاحه! حسنًا، إذا لم يكن فى منزلهم، فيجب أن يكون قد جلب هذا الشىء مهما كان معه إلى (هوجوورتس)».

قالت (هرميون) وهى تنزل الجريدة وترميه بنظرة استغراب: «ولكن كيف فعل هذا، يا (هارى)؟ لقد تم تفتيشنا جميعًا عندما وصلنا، أليس كذلك؟».

قال (هارى) وقد فوجئ: «حقا؟ لم يحدث هذا لى!».

قالت (هرميون): «آه، صحيح، بالطبع لم يتم تفتيشك، لقد نسيت أنك جئت متأخرًا.. حسنًا، لقد قام (فيلتش) بتفتيش جميع حقائبنا بجهاز كشف الأشياء المخفية عندما دخلنا إلى بهو الدخول. لو كان هناك أشياء خاصة بالسحر الأسود لكان قد تم اكتشافها، فأنا أعلم أن (كراب) كان معه رأس منكمش وقد تمت مصادرته؛ لذلك ـ فكما ترى ـ لا يمكن أن يكون (مالفوى) قد أحضر شيئًا خطيرًا معه!».

شعر (هارى) بالحرج، وأخذ يراقب (جينى) وهى تلاعب (أرنولد) (البيجمى باف) لفترة قبل أن يجد مخرجًا لذلك.

فقال: «ربما أرسله إليه أحدهم مع بومة والدته أو أى شخص آخر».

قالت (هرميون): «يتم تفتيش جميع البوم، أخبرنا (فيلتش) بهذا وهو يقوم بإدخال جهاز الكشف عن الأشياء المخفية فى كل مكان يمكن الوصول إليه».

لم يجد (هارى) ما يقوله، فلم يكن يخطر بباله أى طريقة يمكن أن يحضر بها (مالفوى) أى شيء خطير أو متعلق بالسحر الأسود إلى داخل المدرسة.

فنظر بأمل إلى (رون)، الذى كان لايزال جالسًا وذراعاه مطويتان، وهو يرنو إلى (لافيندر براون) قائلاً: «هل تستطيع التفكير فى طريقة يستطيع بها (مالفوى)؟...».

قال (رون): «آه، اصرف النظر عن الموضوع يا (هارى)».

قال (هارى) وقد اشتعل غضبًا: «اسمع، إنه ليس خطئى، إن (سلجهورن) دعانى أنا و(هرميون) إلى حفلته السخيفة، فلا أحد منا يريد الذهاب كما تعرف!».

قال (رون) وقد وقف على قدميه: «حسنًا، بما أننى لست مدعوًا إلى أية حفلات، أعتقد أننى سأذهب للنوم».

وأخذ يدبدب على الأرض بقدميه وهو متجه إلى باب جناح النوم الخاص بالأولاد، تاركًا (هارى) و(هرميون) يحدقان إليه.

قال (ديميلزا روبينز) المطارد الجديد بفريق (الكويدتش) الذى ظهر بجوار كتف (هارى): «(هارى)، لدىَّ رسالة لك».

سأل (هارى) وهو يجلس معتدلاً بأمل: «من الأستاذ (سلجهورن)؟».

قال (ديميلزا): «لا.. من الأستاذ (سناب)». فسقط قلب (هارى) وأكمل (ديميلزا) قائلاً: «يقول لك أن تأتى إلى مكتبه الليلة فى الساعة الثامنة والنصف؛ لأجل الاحتجاز، مهما كان عدد دعوات الحفلات التى تلقيتها، ويريدك أن تعلم أنه سيكون عليك أن تفرز دود (الفلوبر) الفاسد من الجيد؛ لاستخدامه فى مادة الوصفات، ويقول لك كذلك إنه لا داعِىَ لإحضار القفازات الوقائية معك».

قال (هارى) بتجهم: «حسنًا، شكرًا لك يا (ديميلزا)».

■ ■ ■



الفضة وأحجار الأوبال

أين كان (دمبلدور)؟ وماذا كان يفعل؟ لم ير (هارى) الناظر إلا مرتين فقط خلال الأسابيع التالية. وكان نادرًا ما يظهر فى أوقات الوجبات، وأصبح (هارى) متأكدًا من أن ظن (هرميون) فى محله بأن الناظر يترك المدرسة لمدة قد تصل لعدة أيام أحيانًا. هل نسى (دمبلدور) الدروس التى كان من المفترض أن يعطيها لـ(هارى)؟ لقد قال (دمبلدور): «إن هذه الدروس ستوصلهم إلى شىء يتعلق بالنبوءة... وقد منحت (هارى) شعورًا بالدعم والراحة أيضًا أما الآن فيشعر بأنه وحيد ـ متروك ـ بعض الشىء».

ويحلول منتصف أكتوبر حان موعد رحلتهم الأولى إلى (هوجسميد) خلال هذا الفصل الدراسى. وكان (هارى) قد تساءل إن كان لايزال مسموحًا بهذه الرحلات فى ظل تلك الظروف الأمنية المشددة. وابتهج عندما عرف أنهم سيقومون بالرحلة. فمن المستحسن دائمًا الخروج من هذه القلعة من وقت لآخر ولو لبضع ساعات.

وفى صباح يوم الرحلة استيقظ (هارى) مبكرًا وكان يومًا عاصفًا وأمضى (هارى) وقته فى قراءة نسخة من كتاب «*المستوى المتقدم فى تحضير الوصفات السحرية*» حتى جاء وقت الإفطار ولم تكن من عادة (هارى) أن يقرأ كتبه المدرسية فى الفراش، فقد كان يتفق مع ما يقوله (رون) عن كون هذا سلوكًا غير لائق بالنسبة لأى شخص ما عدا (هرميون) ـ بالطبع ـ التى كانت غريبة فى هذا الشأن. وشعر (هارى) أن نسخة الأمير الهجين من كتاب «*المستوى المتقدم فى تحضير الوصفات السحرية*» بالكاد يمكن اعتمادها ككتاب مدرسى. فكلما تقدم (هارى) فى قراءة الكتاب أدرك مدى أهميته،

ليس فقط لما فيه من ملاحظات مفيدة وطرق مختصرة لعمل الوصفات السحرية جعلت منه طالبًا مميزًا لدى (سلجهورن)، ولكن لما يحتويه أيضًا من تعاويذ سحرية مبتكرة مكتوبة فى الهوامش، وكان (هارى) متأكدًا أن الأمير اخترعها بنفسه بسبب كثرة علامات الشطب والمراجعات بها.

وقد جرَّب (هارى) بعض هذه التعاويذ التى وضعها الأمير بنفسه.. هناك تعويذة تجعل أظافر أصابع الأقدام تنمو بسرعة مذهلة وقد جربها على (كراب) فى الرواق وأعطت نتائج مسلية، وهناك تعويذة تلصق اللسان بسقف الحلق، ولقد استخدمها مرتين على (أرجس فيلش) غير المرتاب ونالت استحسان الجميع وكانت أهم تعويذة جربها (هارى) هى *(موفلياتو)*. وهى تقوم بتشويش سمع أيِ شخص قريب حتى لا يسمع أى حوار فى الفصل مهما يكن طويلاً. وكانت (هرميون) هى الوحيدة التى لم تعجبها هذه التعاويذ. وقد صممت على استنكارها لها بصورة صارمة لدرجة أنها رفضت تمامًا أن تتكلم مع (هارى) إذا استخدم تعويذة (موفلياتو) على أى شخص ممن حولهم.

جلس (هارى) فى الفراش وأخذ يقلب الكتاب من كل جوانبه لكى يفحص عن قرب إرشادات إحدى التعاويذ التى يظهر من طريقة كتابتها أنها قد سببت للأمير بعض العناء. فقد كان هناك العديد من علامات الشطب والتعقيبات، ولكنه فى النهاية كتب فى طرف الصفحة كلمة *(ليفيكوريوس) (غ - م)*.

وبينما كانت الرياح والثلوج تدق بعنف على النوافذ و(نيفيل) يغط فى نومه، أخذ (هارى) يحدق فى الحروف التى بين الأقواس *(غ - م)* والتى كانت تعنى غير منطوق. وكان (هارى) يشكك فى قدرته على القيام بهذه التعويذة بالذات؛ فقد كان لايزال يواجه صعوبة مع التعاويذ غير المنطوقة. وهو ما داوم (سناب) على التعليق عليه فى كل حصة من حصص مادة الدفاع ضد السحر الأسود. ومن ناحية أخرى، فقد أثبت الأمير حتى الآن أنه مدرس أفضل بكثير من (سناب).

أشار (هارى) بعصاه بدون أن يحدد هدفًا معينًا ثم حركها حركة سريعة إلى أعلى وهو يردد كلمة *(ليفيكوريوس)* فى رأسه.

«اااااااااااا ررررج!».

ومض ضوء مبهر فجأة وامتلأت الغرفة بالأصوات بعد أن استيقظ الجميع عندما أطلق (رون) صرخة قوية. ورمى (هارى) الكتاب فى فزع عندما رأى (رون) وقد انقلب رأسًا على عقب وأصبح معلقًا فى الهواء؛ كأن خطافًا خفيًا قد أمسكه من كاحله ورفعه فى الهواء.

صاح (هارى): «آسف!!» بعد أن انفجر (دين) و(سيموس) فى الضحك. بينما كان (نيفيل) يحاول النهوض من الأرض بعد أن سقط من فراشه.

وأضاف (هارى): «انتظر لحظة، سوف أنزلك حالاً...».

والتقط الكتاب سريعًا وأخذ يبحث فيه بذعر محاولاً أن يجد الصفحة الصحيحة، وفى النهاية وجدها وأخذ يحاول فك شفرة تلك الكلمة المعقدة المكتوبة تحت التعويذة راجيًا من كل قلبه أن تكون هى التعويذة المضادة، وأخذ يردد فى ذهنه بكامل قوته «*ليبراكوريوس!*».

وظهر وميض آخر من الضوء وإذا بـ(رون) يسقط مكومًا على مرتبته.

وكرر (هارى) بوهن: «آسف» بينما لم ينقطع (دين) و(سيموس) عن الضحك والقهقهة.

وقال (رون) بصوت مكتوم: «من الأفضل أن تضبط ساعة المنبه فى الغد».

وبعد أن ارتدوا ملابسهم وحشوها بالعديد من الكنزات الصوفية التى صنعتها لهم السيدة (ويسلى) بنفسها، وأخذوا يحملون العباءات والأوشحة والقفازات، كانت صدمة (رون) قد زالت وقرر أن تعويذة (هارى) الجديدة مثيرة للغاية؛ حتى إنه لم يضيع أى وقت، وبدأ يقص على (هرميون) تلك القصة بمجرد أن جلسوا على الإفطار.

وقال (رون) وهو يبتسم ابتسامة عريضة وقد بدأ فى أكل المقانق «..ثم ظهر وميض ضوء آخر وإذا بى أسقط على الفراش مرة أخرى!».

لم تبتسم (هرميون) مطلقًا وهى تسمع تلك النادرة بل نظرت إلى (هارى) وقد ظهر على وجهها الاستهجان الشديد.

وتساءلت: «هل هذه تعويذة أخرى من كتاب *الوصفات السحرية* الذى معك؟».

قطب (هارى) جبينه وهو ينظر إليها.

وقال: «دائمًا ما تفترضين أسوأ الاحتمالات.. أليس كذلك؟».

(هرميون): «هل هذا صحيح؟».

(هارى): «حسنًا.. نعم، إنه كذلك ولكن ماذا بعد؟».

(هرميون): «إذن فقد قررت أن تجرب إحدى التعاويذ غير المعروفة والمكتوبة بخط اليد لترى ما قد يحدث».

وقال (هارى): «وما الفرق إن كانت مكتوبة بخط اليد..؟» مفضلاً ألا يجيب على بقية سؤالها.

قالت (هرميون): «الفرق أنها قد لا تكون قد نالت موافقة وزارة السحر، كما أننى...»، ثم أضافت بعد أن أدار (هارى) و(رون) أعينهما فى اتجاهها: «بدأت أعتقد أن شخصية الأمير مراوغة بعض الشىء».

صاح فيها كلٌّ من (هارى) و(رون) ليجبراها على الصمت.

وقال (رون) وهو يفرغ زجاجة الكاتشاب على ساندويتش المقانق الذى أمامه: «إنها مزحة.. مجرد مزحة يا (هرميون)».

ردت (هرميون): «تعليق الناس من أرجلهم؟ من هذا الذى يضيع وقته وجهده فى ابتكار مثل هذه التعويذة؟».

قال (رون) وهو يهز كتفيه: «(فريد) و(جورج).. إنهما يحبان صنع هذه الأشياء».

قال (هارى) وقد تذكر أمرًا: «ووالدى».

قال (رون) و(هرميون) معًا: «ماذا؟».

(هارى): «لقد استخدم والدى هذه التعويذة من قبل. أخبرنى (لوبين) ذلك».

كان هذا الجزء الأخير غير صحيح.. فلقد رأى (هارى) والده بنفسه وهو يستخدم هذه التعويذة على (سناب) ولكنه لم يقل لـ(رون) و(هرميون) أى شىء مطلقًا عن هذه الرحلة داخل جهاز الذكريات (البنيسيف)، وخطر لـ(هارى) فجأة احتمال مثير.. هل يمكن أن يكون الأمير الهجين...؟

وقالت (هرميون): «ربما يكون والدك قد استخدمها يا (هارى) ولكنه ليس الوحيد، فقد رأينا مجموعة كبيرة من الناس تستخدمها، لو أنك قد نسيت، فقد قاموا بتعليق الناس وجعلوهم يطيرون فى الهواء وهم نائمون ولا حيلة لهم».

حدق (هارى) إليها وقد تملكه شعور سيئ حين تذكر سلوك آكلى الموت أثناء كأس العالم لـ(الكويدتش)، إلا أن (رون) حاول مساعدته.

وقال (رون) بقوة: «كان هذا مختلفًا» وأضاف: «لقد كانوا يسيئون استخدامها، أما (هارى) ووالده فلم يقصدا سوى المزاح».

وأضاف وهو يشير إليها ـ متجهمًا ـ بأحد المقانق التى يأكلها: «إنك لا تحبين الأمير يا (هرميون) وذلك لأنه أفضل منك فى عمل الوصفات...».

أجابت (هرميون) وقد احمرت وجنتاها: «إن هذا ليس له صلة بالموضوع، إننى فقط أرى أنه تصرف غير مسئول أن تبدأ فى تجربة تعاويذ لا تعرف حتى استخدامها، ثم تَوَقَّفْ عن الكلام عن «الأمير» وكأنه لقبه بالفعل إنه مجرد اسم مستعار غبى، كما أنه لا يبدو لى شخصًا لطيفًا على الإطلاق».

ورد عليها (هارى) بحدة: «لا أعرف من أين أتيت بكل هذا، لو أنه من (آكلى الموت)، ما كان قد تفاخر بأنه هجين.. أليس كذلك؟».

ما أن قال (هارى) ذلك حتى تذكر أن والده كان من السحرة أصحاب الدم النقى، ولكنه أبعد هذا الخاطر عن فكره الآن، سوف يفكر فى هذا الأمر فيما بعد...

ردت (هرميون) بإصرار: «لا يمكن أن يكون جميع (آكلى الموت) من أصحاب الدم النقى، فليس هناك عددٌ كاف منهم؛ لذلك فأنا أتوقع أن

يكون معظمهم من أصحاب الدم الخليط الذين يتظاهرون أن دماءهم نقية. إنهم يكرهون مولودى العامة فقط. ولن يكون لديهم مانع من انضمامك أنت و(رون) إليهم».

قال (رون) باستياء، بعد أن سقطت قطعة مقانق من شوكته التى كان يلوح بها فى وجه (هرميون) وضرب بها (إيرنى ماكميلان) على رأسه: «من المستحيل أن يسمحوا لى بالانضمام إليهم، إن أسرتى بأكملها من خائنى الدم! وهو ما يكرهه (آكلو الموت) بنفس قدر كرههم لمولودى العامة!».

وقال (هارى) ساخرًا: «أما أنا فسيفرحون بانضمامى إليهم، وسنكون من أفضل الأصدقاء لو أنهم فقط توقفوا عن محاولة القضاء علىَّ».

وانفجر (رون) فى الضحك وابتسمت (هرميون) على مضضٍ وجاءت (جينى) وقطعت حديثهم قائلة: «(هارى) من المفترض أن أعطيك هذا».

وكانت رقعة من جلد ملفوفة ومنقوشًا عليها اسم (هارى) بخط مائل رفيع مألوف.

وقال (هارى): «شكرًا يا (جينى)» ثم التفت لـ(رون) و(هرميون) وقال: «إنه درس (دمبلدور) القادم». وأخذ يفتح الخطاب بسرعة ليقرأ محتواه. وأضاف: «مساء الإثنين!» وفجأة شعر (هارى) بالسعادة والخفة وسأل: «هل ترغبين فى الانضمام إلينا فى (هوجسميد) يا (جينى)؟».

وردت (جينى) وهى تلوح إليهم مبتعدة: «سأذهب مع (دين) قد أراكم هناك».

وكان (فيلتش) واقفًا كعادته عند الباب الأمامى المصنوع من خشب البلوط ليتأكد من أسماء الأشخاص الذين لديهم تصريح بالذهاب إلى (هوجسميد) ولقد استغرقت هذه العملية مدة أطول بكثير من المعتاد حيث أخذ (فيلتش) يفتش الجميع ثلاث مرات بمجس الأشياء المخفية.

وأخذ (رون) يتساءل وهو يراقب ذلك المجس الطويل الرفيع باهتمام: «ماذا يهم لو أننا نهرب أشياء تخص السحر الأسود إلى الخارج، الأهم أن تفحص ما سنحضره معنا إلى الداخل».

تسبب كلامه فى أن ينال عدة وخزات إضافية من ذلك المجس، وكان لايزال ينتفض من الألم عندما خرجوا إلى الرياح والثلج بالخارج.

لم يكن التجول إلى (هوجسميد) ممتعًا وأخذ (هارى) يلف وشاحه حول الجزء الأسفل من وجهه، ولكن الجزء الآخر سرعان ما شعر بالبرودة والتنميل. وكان الطريق إلى القرية مليئًا بالطلبة الذين ينحنون بشدة ضد الرياح القوية، وفكر (هارى) أكثر من مرة، إنهم كانوا يقضون وقتًا أفضل فى الغرفة العامة الدافئة. وعندما وصلوا أخيرًا إلى (هوجسميد) وجدوا محل (زونكو جوك) مغلقًا، مما أكد لـ(هارى) أن هذه الرحلة لن يكون مقدرًا لها أن تكون ممتعة على الإطلاق، وأشار (رون) بيده التى يغطيها القفاز الثقيل إلى محل حلويات (هنى ديوكس) والذى كان لحسن الحظ مفتوحًا وأخذ (هارى) و(هرميون) يتبعانه وهما يتمايلان فى سيرهما من شدة الزحام فى المحل.

وقال (رون) وهو يرتجف ـ وإن كان بدأ الدفء ورائحة التوفى تطوقهم: «الحمد لله، دعونا نقضى كل الأمسية هنا».

وإذا بصوت مدوٍّ يأتى من خلفهم قائلاً: «(هارى) ولدى».

وقال (هارى) فى ضيق: «آه.. لا» واستدار الثلاثة لرؤية الأستاذ (سلجهورن) الذى كان يرتدى قبعة ضخمة من الفَرْوِ وياقة من الفَرْوِ تتناسب معها ويمسك بحقيبة كبيرة من الأناناس المبلور، ويشغل ربع المحل على الأقل.

وقال (سلجهورن) وهو يلكز (هارى) على صدره برفق: «(هارى) إنك لم تحضر ثلاثًا من حفلات العشاء التى أقمتها حتى الآن، إن هذا لن يجدى يا بنى، فأنا مصمم على دعوتك! إن الآنسة (جرانجر) تحب تلك الحفلات.. أليس كذلك؟».

وقالت (هرميون) بائسة: «نعم.. إنها فعلاً..».

وتساءل (سلجهورن): «لماذا لم تأتِ إذن يا (هارى)؟».

ورد (هارى): «لقد كان عندى تدريب على (الكويدتش) يا سيدى».

وكان (هارى) بالفعل يضع التدريب فى جدوله فى كل مرة يرسل إليه (سلجهورن) تلك الدعوة الملفوفة بالشريط البنفسجى، وكانت هذه الإستراتيجية تعنى أن (رون) لن يبقى وحيدًا، وعادة ما كانوا يضحكون مع (جينى) كلما تخيلوا (هرميون) وهى صامتة تمامًا مع (ماكلاجين) (وزابينى).

وقال (سلجهورن): «حسنًا.. إننى أتوقع بالتأكيد أنك ستفوز فى أول مباراة لك بعد كل هذا العمل الشاق! ولكن بعض الترفيه لن يُؤْذِى أحد.. ماذا عن ليلة الإثنين... لا يمكنك أن تفكر فى التدريب فى هذا المناخ..».

(هارى): «لا أستطيع يا أستاذ، فلدى موعد مع الأستاذ (دمبلدور) فى هذه الليلة بالتحديد».

وصاح (سلجهورن) بصورة درامية: «سيئ الحظ مرة أخرى! حسنًا، ولكن لا تستطيع أن تتحاشانى للأبد يا (هارى)!».

ثم لوَّح إليهم بطريقة ملكية، وأخذ يتهادى فى مشيته خارجًا من المحل وهو يبدو بالكاد قد لاحظ (رون) وكأن بصره قد وقع على مجموعة من الصراصير.

قالت (هرميون) وهى تهز رأسها: «لا أستطيع أن أصدق أنك استطعت أن تتهرب من حفلة جديدة، إن الحفلات ليست بهذا السوء بل إنها أحيانًا ما تكون ممتعة إلى حد كبير». ولكنها تنبهت بعد ذلك للتعبيرات التى على وجه (رون) فأضافت: «آه، انظر... إن لديهم غزل البنات الفاخر.. قد يستغرق هذا ساعات!».

وشعر (هارى) بالارتياح عندما غيرت (هرميون) الموضوع، وأظهر اهتمامًا أكبر من المعتاد بغزل البنات الجديد الكبير الحجم، ولكن (رون) ظل فى مزاج سيئ حتى إنه هز كتفيه فقط عندما سألته (هرميون): إلى أين تريد الذهاب بعد ذلك؟

ورد (هارى): «فلنذهب إلى حانة المكانس الثلاثة سيكون المكان دافئًا هناك».

ثم قاموا بلف الأوشحة على وجوههم وتركوا محل الحلويات، وكانت الرياح القاسية تضرب وجوههم كالسكاكين، خاصة بعد الدفء الذى شعروا به فى محل (هنى ديوكس)، لم يكن الشارع شديد الازدحام، وليس هناك أحد يتوقف للحديث والثرثرة، فالجميع يسرعون؛ كلٌ إلى وجهته. وكان الاستثناء الوحيد من ذلك رجلين يسبقانهم بمسافة قصيرة ويقفان خارج حانة (المكانس الثلاثة) أحدهما طويل ورفيع؛ ينظر بعينين شبه مغلقتين من نظارته التى غسلتها الأمطار. ولقد تعرف (هارى) على النادل الذى كان يعمل فى حانة (هوجسميد) الأخرى (رأس الهوجز) وعندما اقترب (هارى) و(رون) و(هرميون) منه، شد النادل عباءته بإحكام حول عنقه، وسار مبتعدًا تاركًا ذلك الشخص القصير يتحسس شيئًا فى ذراعه، وعندما أصبحوا على بعد قدم واحدة منه عرف (هارى) الرجل.

وقال: «موندوجس!».

وإذا بالرجل ذى الأرجل المقوسة والشعر البنى الأشعث الطويل يقفز موقعًا حقيبة قديمة انفتحت بدورها لتكشف عمًا بدا مثل محتويات نافذة عرض بمحل خردة.

قال (موندوجس فيلتش) وهو يحاول أن يبدو طبيعيًا بدون جدوى: «آه، مرحبًا يا (هارى). حسنًا، لا أريد أن أطيل عليك».

وبدا يزحف بصعوبة على الأرض ليستعيد محتويات حقيبته بطريقة تظهر رغبته فى الرحيل بأسرع ما يمكن.

وسأل (هارى) وهو يراقب (موندوجس) يجمع مجموعة من الأشياء الحقيرة الملقاة على الأرض: «هل تبيع هذه الأشياء؟».

وأجاب (موندوجس): «حسنًا، يجب أن أكسب عيشى. أعطنى هذا!».

انحنى (رون) إلى أسفل والتقط شيئًا فضيًا.

ثم قال بهدوء: «انتظر.. يبدو هذا مألوفًا لدىَّ».

وقال (موندوجس) وهو ينتزع الكأس من يد (رون) ويعيدها إلى حقيبته: «أشكرك، أراكم لاحقًا... أى!».

كان (هـارى) قد ثبت (موندوجس) من عنقه على حائط الحـانـة ممسكًا به بإحدى يديه ومخرجًا عصاه باليد الأخرى.

وصرخت (هرميون): «(هـارى)!».

وقـال (هـارى) وأنفه يكاد يلتصق بـأنف (موندوجس) الذى كانت تفوح منه رائحة التبغ القديم والخمور الكريهة: «لقد أخذت هذه من منزل (سيريوس)، إن عليه علامة عائلة (بلاك)».

وأخذ (موندوجس) الذى كان لونه يتحول ببطء إلى اللون البنفسجى يغمغم قائلاً: «أنا... لا... ماذا؟».

وأخذ (هـارى) يزمجر قـائلاً: «مـاذا فعلت؟! هل قمت بـالعودة فى الليلة التى مات فيها وسرقت المكان؟».

(موندوجس): «أنا... لا...».

(هـارى): «أعطها لى!».

صاحت (هرميون) عندما بدأ وجه (موندوجس) يتحول إلى اللون الأزرق: «(هـارى).. لا يجب أن تفعل ذلك».

وفجأة سمع صوت ضجة عالية وشعر (هـارى) بيده تطير بعيدًا عن عنق (موندوجس) الذى أخذ يلهث ويغمغم ثم التقط حقيبته من الأرض قبل أن يختفى مخلفًا صوت فرقعة.

وأخذ (هـارى) يـهدده ويـتوعده بـأعلى صوتـه ويشب على أطراف أصابعه ليرى إلى أين ذهب (موندوجس).

(هـارى): «عد إلى هنـا أيها اللص!».

«أوه.. (هـارى).. لا فائدة من ذلك».

وإذا بـ(تونكس) تظهر فجأة وشعرها ذو اللون «الفيرانى» مبتلٌ من أثر الثلج.

وتقول: «لا فائدة من الصياح، غالبًا ما سيكون (موندوجس) قد وصل إلى لندن الآن».

(هـارى): «*لقد سرق أشياء (سيريوس)! سرقها!*».

وقالت (تونكس) التى لم يبد عليها أى انزعاج مما سمعته: «نعم، ولكن مع ذلك يجب أن تبتعد عن هذا البرد القارص».

وأخذت تراقبهم يدخلون من خلال باب حانة (المكانس الثلاثة). وما أن أصبح (هارى) بالداخل حتى انفجر: «لقد سرق أشياء (سيريوس)!».

همست (هرميون): «أعرف يا (هارى).. ولكن أرجوك لا تَصِح هكذا، إن الناس تنظر إلينا، اذهب واجلس، سوف أحضر لك مشروبًا».وكان (هارى) مازال يستشيط غضبًا عندما عادت (هرميون) إلى المائدة حاملة ثلاث زجاجات من الجعة.

وسأل (هارى) بهمس غاضب إلى رفقائه: «ألا تستطيع الجماعة إيقاف (موندوجس)؟ ألا يستطيعون على الأقل منعه من سرقة أى شىء ليس مثبتًا فى مكانه؟».

قالت (هرميون) بيأس: «شششش!» بينما كانت تنظر حولها لتتأكد من أن أحدًا لا يسمعهم، وكان هناك اثنان من المشعوذين يجلسان بالقرب منهم، وينظران إلى (هارى) فى اهتمام شديد، وكان (زابينى) يستند على عمود قريب منهم وقال (رون): «آه يا (هارى) كنت منزعجًا أيضًا، فأنا أعرف أن الأشياء التى سرقها إنما هى أشياؤك».

وأخذ (هارى) يرتشف من جعته، فلقد نسى للحظة أنه يملك المنزل رقم اثنى عشر شارع (جريمولد)».

قال (هارى): «نعم إنها أشيائى، لا عجب أنه لم يكن مسرورًا لرؤيتى! حسنًا، سوف أقول لـ(دمبلدور) عما يحدث، فهو الشخص الوحيد الذى يخشاه (موندوجس)».

وردت (هرميون) هامسة: «فكرة حسنة» وقد بدت سعيدة أن (هارى) بدأ يستعيد هدوءه، وأضافت: «(رون).. ما الذى تحدق إليه؟».

وأجاب (رون) وهو يحول نظره بسرعة بعيدًا عن البار: «لا شىء» ولكن (هارى) عرف أنه كان يحاول أن يلفت نظر تلك النادلة الجذابة ذات القوام الجميل مدام (روزمرتا) والتى كان معجبًا بها منذ فترة طويلة.

وقالت (هرميون) بسخرية لاذعة: «أتوقع أن «لا شيء» تحضر المزيد من الويسكى النارى من الخلف».

وتجاهل (رون) سخريتها وأخذ يكمل مشروبه فى حالة يمكن أن يطلق عليها الصمت الرهيب، وكان (هارى) يفكر فى (سيريوس)، وكيف أنه كان يكره تلك الأوعية الفضية على أية حال.. وأخذت (هرميون) تدق بأصابعها على المنضدة وعينها تنتقل حائرة بين كلٍّ من (رون) والبار.

قالت (هرميون) فى اللحظة التى كان يشرب فيها (هارى) آخر قطرات من الزجاجة: «هل يمكن أن نعتبره يومًا وانتهى ونعود إلى المدرسة؟».

وأومأ الاثنان الآخران برأسيهما بالموافقة، فلقد كانت رحلة غير ممتعة، وكان المناخ يزداد سوءًا كلما أمضوا وقتًا أطول بالخارج، ومرة أخرى أخذوا يشدّون عباءاتهم حول أجسامهم ويهندمون أوشحتهم ويرتدون قفازاتهم قبل أن يخرجوا من الحانة خلف (كاتى بيل) وصديقتها عائدتين إلى الشارع الرئيسى، وبينما هم سائرون بتثاقل فى طريقهم إلى (هوجوورتس) وسط تلك الأمطار الثلجية، شرد تفكير (هارى) إلى (جينى) فهم لم يلتقوا بها فى (هوجسميد)، وفكر (هارى) أنها - ولا شك - مع (دين) فى مقصورة دافئة فى مقهى مدام (بوديفوت) الذى يذهب إليه عادة العشاق. وأخذ يحنى رأسه عابسًا أمام تلك الرياح الثلجية الدوارة وهو يمشى متثاقلاً.

وسريعًا ما أدرك (هارى) أن أصوات (كاتى بيل) وصديقتها التى كانت تعود إليهم بفعل الرياح قد علت وأصبحت أكثر حدة، وأخذ (هارى) ينظر إلى أجسامهم غير واضحة المعالم. وكانت الفتاتان تتجادلان بخصوص شيء تحمله (كاتى) فى يدها.

وسمع (هارى) (كاتى) وهى تقول: «إن الأمر لا يعنيكِ يا (لينى)».

ولفوا حول منعطف فى الطريق، وقد أصبحت الأمطار الثلجية أكثر سرعة وكثافة حتى إنها غطت نظارة (هارى). وما أن رفع يده التى يغطيها القفاز

ليمسحها حتى شدت (لينى) سريعًا تلك الحزمة التى تحملها (كاتى) ولكن (كاتى)، سحبتها منها مرة أخرى فوقعت الحزمة على الأرض.

وفى الحال ارتفعت (كاتى) فى الهواء، ليس كما فعل (رون) عندما تعلق بصورة كوميدية من كاحله فى الهواء ولكن برشاقة وهى تبسط ذراعيها، فلقد كانت على وشك أن تطير.. إنما كان هناك شىء ما خطأ فيما يحدث، شىء مخيف... كان شعرها يتطاير ويلتف حولها بفعل الرياح الشديدة ولكن عينيها كانتا مغلقتين ووجهها خاليًا من أى تعبير، فتوقف (هارى) و(رون) و(هرميون) و(لينى) جميعهم يراقبون ما يحدث.

وعلى بعد ست أقدام من الأرض، أطلقت (كاتى) صرخة مدوية وانفتحت عيناها، ولكن يبدو أن ما كانت تراه أو ما تشعر به كان يسبب لها ـ بلا شك ـ ألمًا مبرحًا، وأخذت تصرخ وتصرخ، وبدأت (لينى) تصرخ أيضًا وأخذت تمسك كاحل (كاتى) محاولة شدها مرة أخرى إلى الأرض، وأسرع (هارى) و(رون) و(هرميون) لمساعدتها وعلى الرغم من أنهم أمسكوا بها من قدمها؛ إلا أنها سقطت فوقهم، واستطاع (رون) و(هارى) الإمساك بها ولكنها كانت تتلوى كثيرًا من الألم حتى إنهم كانوا بالكاد يستطيعون إمساكها، فقاموا بإنزالها إلى الأرض بدلاً من ذلك وأخذت تتلوى وتصرخ، وكان من الواضح أنها غير قادرة على تمييز أى منهم.

وأخذ (هارى) يتلفت حوله ولكنه لم يجد أى شخص على مرمى البصر فى كل الاتجاهات.

ثم صاح فى الآخرين بينما كانت الرياح تعصف: «ابقوا هنا، سوف أذهب لأحضر مساعدة!».

وعدا بأقصى سرعة متجهًا إلى المدرسة، لم يكن قد رأى حياته أبدًا من قبل شيئًا مثل الذي حدث مع (كاتى) منذ قليل، ولم يستطع أن يفهم سببه، وانطلق حول منعطف فى الطريق، وتصادم مع شىء بدا كأنه دب ضخم يقف على قدميه الخلفيتين.

وصاح لاهثًا: «(هاجريد)!» بينما كان يحاول أن يخلص نفسه من سياج الشجيرات الذى سقط فيه.

وقال (هاجريد): «(هارى)!» بينما كانت الأمطار الثلجية قد غطت حاجبه وذقنه، وكان يرتدى معطفه الفاخر المصنوع من فرو القندس. وأضاف: «لقد كنت أزور (جراوب) فقط، إنه فى حالة جيدة، إنك لن...».

قاطعه (هارى): «(هاجريد)، هناك شخص أصيب أو أصابته لعنة أو شىء من هذا القبيل..».

وقال (هاجريد): «ماذا؟». وانحنى مقتربًا من (هارى) ليسمع ما يقوله حيث كان صوت الرياح الثائرة يغطى على الصوت.

وصاح (هارى) بأعلى صوته: «نعم هناك شخص أصابته لعنة!».

(هاجريد): «لعنة؟ من الذى أصابته لعنه ـ ليس (رون)؟ أو (هرميون)؟».

(هارى): «لا ليسا هما.. إنها (كاتى بيل)... من هنا».

وأخذ الاثنان يجريان عائدين بأقصى سرعة بطول الطريق، ولم يحتاجا وقتًا طويلاً ليجدا مجموعة الناس التى تلتف حول (كاتى) التى كانت مازالت تصرخ وتتلوى من الألم على الأرض، بينما (رون) و(هرميون) و(لينى) يحاولون تهدئتها.

وصاح (هاجريد): «عودوا للخلف! دعونى أراها!».

وقالت (لينى) وهى تنتحب: «شىء ما حدث لها! لا أعرف ما هو».

وحدق (هاجريد) إلى (كاتى) للحظة ثم انحنى بدون أن ينطق بكلمة، ورفعها بين ذراعيه وجرى وهو يحملها عائدًا إلى القلعة، وخلال لحظات اختفت صرخات (كاتى) المدوية، ولم يتبقَّ غير صوت زئير الرياح.

وأسرعت (هرميون) إلى صديقة (كاتى) المنتحبة ولفت ذراعها حولها.

وقالت: «أنت (لينى).. أليس كذلك؟».

أومأت الفتاة برأسها.

(هرميون): «هل حدث كل هذا فجأة أم...؟».

قالت (لينى) وهى تشهق من البكاء وتشير إلى الرزمة الورقية البنية المبللة على الأرض، والتى تمزقت كاشفة عن بريق أخضر بداخلها: «لقد حدث هذا عندما تمزقت الحزمة» وانحنى (رون) ويسط يده ليمسك بها، ولكن (هارى) قبض على ذراعه وجذبها للخلف، قائلاً: «لا تلمسها».

وانحنى مقتربًا بحذر من اللفافة؛ ليرى عقد أوبال مزخرفًا ظاهرًا من بين الورق.

قال (هارى) وهو يحدق بهذا الشيء: «لقد رأيته من قبل.. لقد كان معروضًا فى محل (بورجين وبوركس) منذ زمن طويل. وكانت البطاقة الموضوعة عليه تقول: «إنه ملعون.. يبدو أن (كاتى) لمسته» ثم نظر إلى (لينى) التى بدأت ترتجف بشدة وسألها: «كيف حصلت (كاتى) على هذا الشيء؟».

ردت قائلة: «حسنًا، لقد كان هذا ما كنا نتشاجر بشأنه، لقد عادت من الحمام فى حانة (المكانس الثلاثة) وهى ممسكة به، وقالت: إنه مفاجأة لشخص ما فى (هوجوورتس) ويجب عليها أن تسلمه له، وكانت تبدو غريبة وهى تقول هذا.. يا إلهى، يا إلهى، لا، أراهن أنها كانت تحت تأثير تعويذة تحكم، ولكنى لم أدرك هذا!».

وأخذت (لينى) ترتجف وقد بدأت فى النحيب من جديد و(هرميون) تربت على كتفها بلطف.

وسألتها: «ألم تقل لكِ من الذى أعطاها هذه الرزمة يا (لينى)؟».

(لينى): «لا.. لم تقل لى، ولكنى قلت لها إنها حمقاء ولا يجب عليها أن تأخذها معها إلى المدرسة، ولكنها لم تستمع إلىّ، ثم حاولت شدها منها... و... و...» وانخرطت (لينى) فى نحيب يائس.

قالت (هرميون) - ومازال ذراعاها حول (لينى) -: «من الأفضل أن نذهب إلى المدرسة.. وهناك سنستطيع أن نعرف كيف حالها.. هيا بنا».

وتردد (هارى) للحظة ثم قام بنزع وشاحه من حول وجهه متجاهلاً صيحة (رون) التحذيرية، وغطى العقد بالوشاح بحرص ثم حمله.

وقال: «سوف نحتاج أن نعرض هذا على مدام (بومفرى)».

بينما كانوا يتبعون (هرميون) و(لينى)، كان (هارى) يفكر غاضبًا، وبمجرد أن دخلوا الفناء بدأ يتكلم حيث لم يعد يستطيع الاحتفاظ بأفكاره بداخله أكثر من هذا.

(هارى): «إن (مالفوى) يعلم بأمر هذا العقد.. فقد كان موجودًا داخل خزانة فى محل (بورجين وبوركس) منذ أربع سنوات مضت، وقد رأيته وهو ينظر إليه بتمعن، بينما كنت أختبئ منه هو ووالده. هذا هو ما كان يشتريه فى ذلك اليوم عندما تبعناه! ولقد تذكره الآن وعاد من أجله!».

قال (رون) بتردد: «لا، لا أعرف يا (هارى)، فعدد كبير من الناس يذهب إلى (بورجين وبروكس)... ثم ألم تقل تلك الفتاة إن (كاتى) حصلت عليه من حمام الفتيات؟».

(هارى): «لقد قالت إنها عادت من الحمام به، وليس بالضرورة أن تكون قد حصلت عليه من الحمام نفسه».

قال (رون) محذرًا: «(ماكجونجال)!».

رفع (هارى) نظره ليجد الأستاذة (ماكجونجال) تنزل بسرعة على السلالم الحجرية وسط تلك الأمطار الثلجية العاصفة لتقابلهم.

وتقول: «(هاجريد) يقول إنكم أنتم الأربعة.. رأيتم ما حدث لـ(كاتى بيل).. اصعدوا حالاً إلى مكتبى، لو سمحتم!.. ما هذا الذى تحمله يا (بوتر)؟».

قال (هارى): «إنه الشىء الذى لمسته (كاتى)».

وأجابت الأستاذة (ماكجونجال): «يا إلهى» وبدت قلقة وهى تأخذ العقد من (هارى). وأضافت بسرعة حين رأت (فيلتش) قادمًا بحماس عبر بهو الدخول وهو يرفع مجسه عاليًا: «لا لا يا (فيلتش) إنهم معى! خذ هذا العقد إلى الأستاذ (سناب) فورًا وكن حذرًا ألا تلمسه، دعه ملفوفًا فى هذا الوشاح!».

تبع (هارى) والآخرون الأستاذة (ماكجونجال) صاعدين السلم إلى مكتبها، كانت النوافذ المغطاة بالثلوج تهتز داخل إطاراتها مصدرة صوت جلبة عالية، وكانت الغرفة باردة على الرغم من صوت طقطقة النيران

داخل المدفأة. وأغلقت الأستاذة (ماكجونجال) الباب، ودارت حول مكتبها لتواجه (هارى) و(رون) و(هرميون) و(لينى) التى كانت مازالت تبكى.

وقالت بحدة: «حسنًا. ماذا حدث؟».

توقفت (لينى) عن البكاء وأخذت تحكى للأستاذة (ماكجونجال)، على فترات متقطعة محاولة السيطرة على بكائها، كيف ذهبت (كاتى) إلى الحمام فى حانة المكانس الثلاثة، وعادت وهى تحمل هذه الرزمة الغامضة، وكيف بدت (كاتى) غريبة الأطوار بعض الشيء، وكيف أنهم تجادلوا حول مدى صواب تسليم أشياء غير معروفة، وكيف تصاعدت المجادلة بينهما حتى تحولت إلى صراع على هذه الرزمة التى تمزقت وفتحت. وعند هذه النقطة استولت الصدمة على (لينى) وأصبحت غير قادرة على نطق كلمة واحدة بعدها.

قالت الأستاذة (ماكجونجال) بغير قسوة: «حسنًا، اذهبى إلى جناح المستشفى من فضلك يا (لينى)، واطلبى من مدام (بومفرى) أن تعطيك علاجًا للصدمات».

وبعد أن تركت الغرفة التفتت الأستاذة (ماكجونجال) إلى (هارى) و(رون) و(هرميون).

وقالت: «ماذا حدث عندما لمست (كاتى) العقد؟».

وأجاب (هارى) قبل أن يتكلم (رون) و(هرميون): «ارتفعت فى الهواء، ثم بدأت تصرخ وانهارت، لو سمحتِ يا أستاذة، هل أستطيع رؤية الأستاذ (دمبلدور)؟».

ردت الأستاذة (ماكجونجال) مندهشة: «الناظر غائب حتى يوم الإثنين يا (بوتر)».

ردد (هارى) ما قالته بغضب: «غائب؟».

وأجابت الأستاذة (ماكجونجال) بحدة: «نعم يا (بوتر) غائب! ولكنى متأكدة أن أى شيء تود قوله عن ذلك الحادث الفظيع يمكن أن يقال لى!».

وتردد (هارى) للحظة، فالأستاذة (ماكجونجال) لا توحى بالثقة،

ورغم أن (دمبلدور)، ربما يوحي بالخوف أكثر منها، إلا أنه لا يستخف بما يقال له أبدًا مهما كان غريبًا، ولكنها مسألة حياة أو موت، ولا يجب الانتظار لمجرد الخوف من السخرية من كلامها.

(هاري): «أعتقد أن (دراكو مالفوي) هو الذي أعطى (كاتي) العقد يا أستاذة».

على أحد جانبيه، حك (رون) أنفه وبدا واضحًا أنه يشعر بالحرج، وعلى الجانب الآخر أخذت (هرميون) تحرك قدميها وكأنها تريد وضع مسافة بينها وبين (هاري).

وقالت الأستاذة (ماكجونجال) بعد لحظة توقف بسبب الصدمة: «هذا اتهام خطير جدًّا يا (بوتر)، هل لديك أي دليل عليه؟».

قال (هاري): «لا.. ولكن...» وأخذ يحكي لها عما حدث عندما تتبعوا (مالفوي) إلى (بورجين وبوركس) والمحادثة التي سمعوها بينه وبين (بورجين).

وعندما انتهى من الحديث، بدت الأستاذة (ماكجونجال) حائرة إلى حد ما.

وقالت: «أخذ (مالفوي) شيئًا إلى (بورجين وبوركس) ليصلحه؟».

(هاري): «لا يا أستاذة، لقد طلب من (بورجين) أن يقول له كيف يقوم بإصلاح شيء ما؟ ولم يكن هذا الشيء معه. ولكن هذا ليس هو صلب الموضوع، فـ(مالفوي) قد قام بشراء شيء في نفس الوقت وأعتقد أن هذا الشيء هو هذا العقد».

الأستاذة (ماكجونجال): «هل رأيت (مالفوي) يرحل من المحل ومعه لفة مشابهة؟».

(هاري): «لا يا أستاذة، لقد طلب من (بورجين) أن يحتفظ له به في المحل».

وقاطعتهم (هرميون): «ولكن يا (هاري).. إن (بورجين) سأله إن كان يرغب في أن يأخذه معه ولكن (مالفوي) قال: لا».

وأجاب (هاري) بغضب: «من الواضح أنه كان لا يريد أن يلمسه!».

وقالت (هرميون): «إن ما قاله بالفعل هو: كيف سأبدو وأنا أحمل هذا وسط الشارع؟».

تدخل (رون) قائلاً: «حسنًا، إنه كان سيبدو إلى حد ما أحمق، وهو يحمل عقدًا فى الشارع».

ردت (هرميون) بيأس: «آه.. يا (رون)، سيكون ملفوفًا ولن يكون مضطرًا للمسه، ومن السهل أن يخفيه داخل عباءته؛ حتى لا يراه أحد! أعتقد أنه مهما كان ما يحتفظ به فى (بورجين وبوركس) فإنه إما أن يكون شيئًا يصدر ضجة عالية أو ضخمًا جدًّا.. شيئًا يعرف أنه سوف يلفت الانتباه إليه لو حمله فى الشارع، وعلى أية حال...» وأكملت بصوت عالٍ قبل أن يقاطعها (هاري): «لقد سألت (بورجين) عن العقد، ألا تذكر؟ عندما دخلت المحل لأحاول أن أعرف ما الذى طلب منه (مالفوى) أن يحفظه له، لقد رأيته هناك، وقال لى (بورجين) وقتها السعر، ولم يقل لى شيئًا عن أنه مبيع، أو شيئًا من هذا القبيل».

رد (هارى): «حسنًا، لقد كانت واضحة إلى حد ما، وقد أدرك ما تريدينه على الفور، وبالطبع لم يكن ليقول لك، وعلى أية حال، فإن (مالفوى) يمكن أن يكون قد أرسل يطلبه منذ...».

وقالت الأستاذة (ماكجونجال) بغضب بينما كانت (هرميون) على وشك الرد: «هذا يكفى! أقدر ما قلته لى يا (بوتر)، ولكننا لا نستطيع أن نتهم السيد (مالفوى) لمجرد أنه قد زار المحل الذى ربما قد تم شراء العقد منه، فنفس الشىء ربما ينطبق على مئات الأشخاص».

وتمتم (رون): «هذا هو ما قلته».

أكملت الأستاذة (ماكجونجال): «...وعلى أية حال، لقد وضعنا إجراءات أمنية مشددة هذا العام؛ لذلك فأنا لا أعتقد أن هذا العقد يمكن أن يكون قد دخل المدرسة بدون علمنا».

قال (هارى): «ولكن...».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) بأسلوب يوحى بنهاية فظيعة: «وأكثر من كل هذا، فإن السيد (مالفوى) لم يكن فى (هوجسميد) اليوم».

وحدق إليها (هارى) مشدوهًا.

وقال: «وكيف عرفتِ ذلك يا أستاذة؟».

قالت وهى تمشى حتى تخطتهم: «لأنه كان معاقبًا بالاحتجاز معى، بسبب عدم نجاحه فى إتمام واجبه فى مادة التحويل مرتين حتى الآن؛ لذلك أشكرك لإفصاحك لى عن شكوكك يا (بوتر) ولكنى أريد أن أذهب الآن إلى جناح المستشفى لأطمئن على (كاتى بيل).. إلى اللقاء جميعًا».

وأبقت باب مكتبها مفتوحًا، فلم يكن أمامهم خيار غير الرحيل دون النطق بكلمة أخرى.

وكان (هارى) غاضبًا من الاثنين الآخرين لانحيازهما إلى جانب (ماكجونجال)، ومع ذلك، فقد شعر أنه مضطر للاشتراك فى الحديث معهما عندما تناقشوا فيما حدث.

وتساءل (رون) بينما يصعدون الدرج إلى الغرفة العامة: «فى اعتقادِك، من الشخص الذى كان من المفترض أن تعطيه (كاتى) العقد؟».

أجابت (هرميون): «الله وحده يعلم، ولكن مهما كان هذا الشخص، فإنه قد نجا بشق الأنفس، فلم يكن أى شخص يستطيع فتح هذه اللفافة بدون أن يلمس العقد».

قال (هارى): «هناك أشخاص كثيرون يمكن أن يكونوا مستهدفين، (دمبلدور) مثلاً. إن (آكلى الموت)، سيفرحون بالتخلص منه، فهو بالتأكيد من أول أهدافهم أو (سلجهورن)، إن (دمبلدور) يظن أن (فولدمورت) كان يريده بشدة، ومن المؤكد أن انضمام (سلجهورن) إلى (دمبلدور) قد أغضبهم أو...».

قالت (هرميون) وهى تبدو منزعجة: «أو أنت...».

قال (هارى): «لا يمكن أن يكون أنا.. وإلا كانت (كاتى) قد التفتت فى الطريق وأعطتنى إياها، أليس كذلك؟ لقد كنت خلفها طوال الطريق بعد خروجنا من حانة المكانس الثلاثة. كان الأمر يبدو منطقيًا أكثر بكثير

لو تم تسليم الطرد خارج (هوجوورتس)، بعيدًا عن (فيلتش) الذى يقوم بتفتيش كل من يدخل أو يخرج. أتعجب لماذا قال لها (مالفوى) أن تأخذه إلى داخل القلعة؟».

قالت (هرميون) وهى تضرب الأرض بقدميها بإحباط: «إن (مالفوى) لم يكن فى (هوجسميد) يا (هارى)».

قال (هارى): «لابد أنه استخدم شريكًا، إذن، ربما يكون (كراب) أو (جويل)، أو هناك احتمال آخر، وهو أن يكون شخصًا آخر من (آكلى الموت)، فبعد أن انضم إليهم أصبح له الآن أصدقاء كثيرون أفضل من (كراب) و(جويل)».

تبادل (رون) و(هرميون) النظرات، من الواضح أنها تقول إنه: «لا توجد أى جدوى من مناقشته».

وعندما وصلوا إلى لوحة السيدة البدينة، قالت (هرميون) بحزم: «دليجروت».

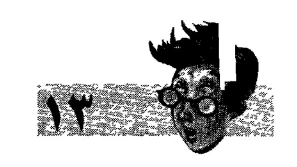
وتأرجحت الصورة فاتحة الطريق أمامهم للدخول إلى الغرفة العامة التى كانت ممتلئة وتفوح منها رائحة الملابس الرطبة، يبدو أن العديد من الناس قد بكروا بالعودة من (هوجسميد) بسبب سوء الأحوال الجوية. كان من الواضح أن أخبار ما حدث لـ(كاتى) لم تنتشر بعد، فلم تكن تسود المكان أجواء وأحاديث الخوف والتوقعات.

قال (رون) وهو يحث أحد طلاب الصف الأول على ترك أحد الكراسى ذات الذراعين الجيدة والقريبة من النار حتى يجلس: «عندما تفكر فى الأمر، تجد أنه لم يكن اعتداء جيدًا على الإطلاق، أعنى أن اللعنة لم تصل إلى... حتى داخل القلعة، لم يكن الأمر خطيرًا».

ردت (هرميون) وهى تحث (رون) على القيام من مقعده بقدميها وتقدمه إلى طالب الصف الأول مرة أخرى: «إنك على حق».

سأل (هارى): «منذ متى و(مالفوى) من أعظم المفكرين فى العالم؟».

ولم يجبه (رون) أو (هرميون).



(ريدل) الغامض

وفى اليوم التالى، تم نقل (كاتى) إلى مستشفى سان مونجو للأمراض والإصابات السحرية، وكانت أخبار إصابتها باللعنة قد انتشرت فى كل مكان بالمدرسة، إلا أن التفاصيل كانت مشوشة، وبدا أنه لا أحد باستثناء (هارى) و(رون) و(هرميون) و(لينى) يعرف أن (كاتى) لم تكن هى المستهدفة.

قال (هارى) لـ(رون) و(هرميون): «آه، (مالفوى) أيضًا يعرف بالطبع» إلا أنهما استمرا بالتظاهر بعدم السمع كما يفعلان عندما يبدأ (هارى) بالكلام عن نظرية أن (مالفوى) هو أحد (آكلى الموت).

وتساءل (هارى) إن كان (دمبلدور) سوف يعود من المكان الذى ذهب إليه فى الوقت المناسب لدرس ليلة الإثنين، ولكن بما أنه لم تصله أى أخبار عن حدوث أى تغيير، فقد ذهب إلى مكتب (دمبلدور) فى تمام الساعة الثامنة، ودق الباب ودخل عندما قيل له أن يفعل. وكان (دمبلدور) جالسًا هناك، وقد ظهر عليه الإجهاد أكثر من المعتاد، وإن كانت يده المصابة ما زالت سوداء ومحروقة كالمعتاد، ولكنه ابتسم وهو يشير لـ(هارى) أن يجلس. كان جهاز الذكريات السحرى (البنيسيف) موضوعًا فوق المكتب مرة أخرى وهو يعكس بقعة ضوء فضية على السقف.

قال (دمبلدور): «يبدو أنك كنت مشغولاً وأنا غائب، أعتقد أنك شاهدت حادث (كاتى)».

قال (هارى): «نعم يا سيدى، كيف حالها؟».

قال (دمبلدور): «ما زالت فى حالة سيئة، بالرغم من أنها كانت محظوظة نسبيًا، فيبدو أنها مست العقد بأقل قدر ممكن من بشرتها، حيث كانت هناك فتحة صغيرة جدًا فى قفازها، لو كانت قد لبسته أو حتى لمسته بيدها العارية، لكانت قد ماتت.. ربما على الفور. ومن حسن الحظ، أن الأستاذ (سناب) تمكن من فعل اللازم لمنع انتشار اللعنة بسرعة».

سأل (هارى) بسرعة: «ولكن لماذا هو؟ وليس مدام (بومفرى)؟».

قال صوت هادئ من إحدى اللوحات المعلقة على الحائط: «وقاحة، لم أكن لأسمح لطالب بالاعتراض على الطريقة التى تدار بها (هوجوورتس) فى أيامى»، كان المتحدث هو (فينيس نيجيلوس بلاك)، جد (سيريوس بلاك) الأكبر الذى رفع رأسه من بين ذراعيه حيث كان على ما يبدو نائمًا.

قال (دمبلدور) ليسكته: «أجل، شكرًا لك، يا (فينيس)».

ثم أكمل: «الأستاذ (سناب) يعرف عن السحر الأسود أكثر بكثير مما تعرف مدام (بومفرى) يا (هارى)، وعلى أية حال، فإن إدارة (سان مونجو) ترسل لى تقريرًا كل ساعة عن حالتها، وأرجو أن تشفى (كاتى) تمامًا مع الوقت».

سأل (هارى): «أين كنت فى نهاية الأسبوع يا سيدى؟» متجاهلاً شعورًا قويًا بأنه قد تعدى الحدود قليلاً، وهو شعور يبدو أن (فينيس نيجيلوس) يشاركه فيه حيث أصدر صفيرًا خافتًا.

قال (دمبلدور): «أفضل ألا أقول لك هذا الآن، ولكنى سوف أقول لك فى الدرس المقبل».

قال (هارى) مجفلاً: «هل ستفعل؟».

قال (دمبلدور): «نعم، أتوقع هذا»، وسحب زجاجة من الذكريات الفضية من داخل ملابسه، وقام بنزع سدادتها بطرقة من عصاه.

قال (هارى) بتردد: «سيدى، لقد التقيت (موندوجس) فى (هوجسميد)».

قال (دمبلدور) وقد تجهم قليلاً: «آه، صحيح، أنا على علم بأن (موندوجس) يمارس خفة اليد فى سرقة ميراثك بطريقة مخزية، وقد اختفى تمامًا منذ أمسكت به خارج حانة المكانس الثلاثة، مما يجعلنى أعتقد أنه يتحاشى مواجهتى، ومع ذلك، اطمئن، إنه لن يبدد المزيد من ممتلكات (سيريوس) القديمة».

قال (فينيس نيجيلوس) غاضبًا: «هل كان ذلك الحقير ذو الدم الخليط يسرق ممتلكات آل (بلاك)؟» ثم مشى متشامخًا خارجًا من إطاره، ليزور صورته فى المنزل رقم ١٢ فى شارع (جريمولد).

قال (هارى) بعد فترة توقف قصيرة: «أستاذ، هل أخبرتك الأستاذة (ماكجونجال) بالذى قلته لها بعد إصابة (كاتى) عن (دراكو مالفوى)؟».

قال (دمبلدور): «لقد أخبرتنى عن شكوكك، أجل؟».

(هارى): «وهل...؟».

قال (دمبلدور): «سوف أتخذ كل الإجراءات اللازمة للتحرى عن أى شخص قد يكون له أى يد فيما حدث لـ(كاتى)، ولكن ما يشغل بالى الآن يا (هارى) هو درسنا».

شعر (هارى) بالقليل من الامتعاض من هذا الكلام، إذا كانت دروسهم مهمة جدًا هكذا، فلماذا كانت هناك فترة طويلة بين الأول والثانى؟ ولكنه لم يقل المزيد عن (دراكو مالفوى)، وأخذ يراقب (دمبلدور) وهو يسكب الذكريات النشطة إلى داخل جهاز الذكريات (البنيسيف) ويحرك القاعدة الحجرية بين يديه ذات الأصابع الطويلة حركة مستديرة مرة أخرى.

قال (دمبلدور): «أنا متأكد أنك تتذكر أننا تركنا قصة بدايات لورد (فولدمورت) عند النقطة التى ترك فيها العامى الوسيم (توم ريدل) زوجته الساحرة (ميروب) وعاد إلى منزل عائلته بقرية (هانجلتون) الصغرى تاركًا (ميروب) وحدها فى لندن وهى حامل بالجنين الذى سيصبح فيما بعد لورد (فولدمورت)».

سأل (هارى): «وكيف تعرف أنها كانت فى لندن يا سيدى؟».

قال (دمبلدور): «بسبب شهادة (كاراستاكوس بوركى) الذى كان بمصادفة غريبة هو أحد المؤسسين لنفس المحل الذى أتى منه العقد الذى كنا نناقشه منذ قليل».

وأخذ يحرك محتويات جهاز الذكريات (البنيسيف) بنفس الطريقة التى رآه (هارى) يحركه بها من قبل والتى تشبه طريقة المنقب عن الذهب وهو يغربل مصفاته بحثًا عن الذهب. وظهر من داخل الدوامة الفضية داخل الجهاز رجل عجوز قصير، أخذ يدور بهدوء داخل (البنيسيف). كان فضيًا مثل الشبح ولكنه بدا مجسمًا أكثر منه، وكان شعره كثيفًا ويغطى عينيه تمامًا.

قال الرجل: «نعم، لقد حصلنا عليه فى ظروف غريبة. فقد أحضرته إلينا ساحرة صغيرة قبل عيد الميلاد منذ سنوات طويلة. وقالت: إنها تحتاج إلى الذهب بشدة، حسنًا، لقد كان ذلك واضحًا، فقد كانت ترتدى ملابس رثة وأكثر من هذا فقد كانت تبدو على وشك الولادة، وقالت إن المدلاة تخص عائلة (سليذرين). حسنًا، لقد كنا نسمع مثل هذا النوع من الحكايات طوال الوقت «كان هذا يخص (مارلين)، كان هذا إبريق الشاى المفضل لديه»، وأشياء من هذا القبيل ولكن ما أن نظرت إلى المدلاة حتى وجدت علامة (سليذرين) عليها وبعد إلقاء بعض التعاويذ البسيطة عليها؛ تأكدت أنها أصلية. بالطبع، كان هذا يعنى أنها لا تقدر بثمن، ولكن الفتاة لم يكن لديها أى فكرة عن قيمتها وكانت سعيدة بالحصول على عشرة جالونات ثمنًا لها. وكانت هذه أفضل صفقة عقدناها على الإطلاق!».

وهز (دمبلدور) الجهاز هزة قوية أخرى فاختفى (كاراستاكوس بوركى) داخل دوامة الذكريات التى أتى منها.

قال (هارى) باستياء: «أعطاها عشرة جالونات فقط؟».

قال (دمبلدور): «لم يكن (كاراستاكوس بوركى) مشهورًا بكرمه؛ لذلك فنحن نعلم أنه قرب موعد ولادة طفلها كانت (ميروب) وحيدة فى لندن

وفى حاجة شديدة للذهب، وكانت يائسة لدرجة أنها باعت الشيء الوحيد الثمين الذى تملكه، وهى تلك المدلاة التى كانت إحدى ممتلكات العائلة التى كان (مارفولو) يحافظ عليها».

قال (هارى) بعدم صبر: «ولكنها كانت تستطيع استخدام السحر! كان يمكنها الحصول على الطعام وكل شيء آخر باستخدام السحر! أليس كذلك؟».

قال (دمبلدور): «آه، ربما كانت تستطيع، ولكنى أعتقد ـ وهو مجرد استنتاج وإن كنت متأكدًا أننى على حق ـ أنها توقفت عن استخدام السحر بعد أن هجرها زوجها. لا أعتقد أنها أرادت أن تصبح ساحرة بعد ذلك، ولكن من الممكن طبعًا أن الحب غير المتبادل واليأس المصاحب له قد عطلا قواها السحرية، يمكن لهذا أن يحدث. وعلى أية حال، كما سوف ترى، رفضت (ميروب) أن ترفع عصاها حتى ولو لإنقاذ حياتها هى».

قال (هارى): «لم تكن تحرص على البقاء على قيد الحياة لأجل ابنها على الأقل».

رفع (دمبلدور) حاجبيه،

وقال: «هل من الممكن أن تشعر بالرثاء لأجل لورد (فولدمورت)؟».

قال (هارى) بسرعة: «لا، ولكن كان لديها اختيار، أليس كذلك؟ ليس مثل أمى».

قال (دمبلدور) بلطف: «والدتك كان لديها اختيار أيضًا. ولكن، أجل، لقد اختارت (ميروب ريدل) الموت بالرغم من احتياج ابنها إليها، ولكن لا تَقْسُ فى حكمك عليها يا (هارى). كانت قد أصبحت ضعيفة جدًا بسبب المعاناة الطويلة ولم يكن لديها شجاعة والدتك. والآن هل تسمح بالوقوف...؟».

سأل (هارى) عندما انضم إليه (دمبلدور) عند مقدمة المكتب: «أين سنذهب؟».

قال (دمبلدور): «هذه المرة، سوف ندخل فى ذاكرتى وأعتقد أنك ستجدها غنية بالتفاصيل ودقيقة إلى درجة مرضية أيضًا. بعدك يا (هارى)...».

انحنى (هارى) فوق (البنيسيف)؛ وأدخل وجهه إلى السطح البارد للذكريات ثم سقط خلال الظلام مرة أخرى... وبعد لحظات اصطدمت قدماه بالأرض الصلبة، وفتح عينيه ليجد نفسه مع (دمبلدور) واقفين فى أحد شوارع لندن الصاخبة ذات الطراز القديم.

قال (دمبلدور) بمرح: «ها هو أنا، وأشار أمامهم إلى شخص طويل يعبر الطريق أمام عربة لبان يجرها حصان».

كان الشعر الطويل واللحية الخاصة بـ(ألباس دمبلدور) الشاب لونهما بنى باحمرار. وعندما وصل إلى جانب الطريق الذى يقفان به، بدأ يخطو على الرصيف وهو يجذب الأنظار الفضولية للعديد من المارة بسبب طراز البذلة الحريرية ذات الألوان البراقة اللافتة للنظر التى كان يرتديها.

وقبل أن يستطيع (هارى) منع نفسه قال: «بذلة لطيفة يا سيدى» ولكن (دمبلدور) ضحك بخفوت وهما يتبعان شخصه الشاب من مسافة قريبة، وهو يعبر من خلال بوابة حديدية داخلاً إلى ساحة خالية أمام مبنى مربع، محاط بسياج عالٍ، وكئيب إلى حد ما. وصعد درجات السلم القليلة المفضية إلى الباب الأمامى وطرق طرقة واحدة. وبعد لحظة فتحت الباب فتاة رثة الهيئة ترتدى مئزرًا.

قال (دمبلدور) الشاب: «مساء الخير. لدى موعد مع السيدة (كولى)، التى أعتقد أنها المديرة هنا؟».

قالت الفتاة وهى تبدو حائرة بسبب مظهر (دمبلدور) الغريب: «هه... لحظة واحدة...» ثم صاحت من فوق كتفها: «سيدة (كولى)!».

سمع (هارى) صوتًا يصيح ليرد بشىء، فالتفتت الفتاة إلى (دمبلدور) مرة أخرى.

وقالت: «تفضل، ستحضر حالاً».

دخل (دمبلدور) إلى الرواق المبلط ببلاط أسود وأبيض؛ كان المكان بأكمله باليًا ولكنه نظيف تمامًا. وتبعه (هارى) و(دمبلدور) الأكبر سنًا.

وقبل أن يغلق الباب الأمامى خلفهم، حضرت امرأة نحيفة، قلقة المظهر تمشى بسرعة فى اتجاههم. وكانت ملامح وجهها حادة، وإن بدت قلقة أكثر منها قاسية، وكانت تتكلم من فوق كتفها إلى مساعدة أخرى، ترتدى مئزرًا بينما تتجه نحو (دمبلدور).

وقالت: «... وخذى اليود إلى (مارثا) فى الدور العلوى، لأن (بيلى ستوبس) يرفع القشرة عن جروحه ورشح (إريك والى) يغطى كل الملاءات ـ الجديرى الكاذب يغطى كل شىء» لم يكن كلامها موجهًا لشخص بالتحديد، ثم وقعت عيناها على (دمبلدور)، فوقفت بلا حراك، وهى تبدو مندهشة وكأنها رأت زرافة تعبر عتبة بابها.

قال (دمبلدور): «مساء الخير» وهو يمد يده.

ففغرت السيدة (كولى) فاهًا.

قال (دمبلدور): «اسمى (ألباس دمبلدور)، وقد أرسلت إليكم خطابًا، أطلب موعدًا وقد تفضلتِ بدعوتى إلى هنا اليوم».

طرفت السيدة (كولى) ومن الواضح أنها توصلت أخيرًا إلى أن (دمبلدور) ليس مجرد هلوسة، فقالت بصوت واهن: «آه، حسنًا ـ حسنًا إذن، من الأفضل أن ندخل إلى غرفتى».

وقادت (دمبلدور) إلى غرفة صغيرة، بدا أن جزءًا منها يستخدم كغرفة جلوس والجزء الآخر غرفة مكتب، وكانت رثة مثل الرواق بالخارج، وكان الأثاث قديمًا وغير متناسق. ودعت (دمبلدور) للجلوس فوق كرسى متداع، وجلست وراء مكتب تشمله الفوضى وهى تنظر إليه بعصبية.

قال (دمبلدور): «لقد حضرت، كما سبق وأخبرتك فى رسالتى لمناقشة ترتيبات مستقبل (توم ريدل)».

سألت السيدة (كولى): «هل أنت من أسرته؟».

قال (دمبلدور): «لا، أنا مدرس، وقد حضرت لأقدم لـ(توم) مكانًا فى مدرستى».

السيدة (كولى): «أى مدرسة هذه، إذن؟».

قال (دمبلدور): «إنها تدعى (هوجوورتس)».

السيدة (كولى): «وما الذى يجعلك مهتمًا بـ(توم) بالذات؟».

(دمبلدور): «نحن نعتقد أن لديه صفات معينة نبحث عنها».

السيدة (كولى): «أتعنى أنه حصل على منحة دراسية؟ ولكن كيف فعل هذا؟ إنه لم يتقدم إلى إحداها قط».

(دمبلدور): «حسنًا، إن اسمه كان مدونًا لدينا منذ ميلاده».

السيدة (كولى): «من الذى سجل اسمه؟ والداه؟».

لم يكن هناك شك أن السيدة (كولى) كانت منزعجة جدًا. ويبدو أن (دمبلدور) الشاب فكر فى نفس الشىء؛ لأن (هارى) رآه الآن يخرج عصاه من جيب بذلته الحريرية ويلتقط فى نفس الوقت قطعة من الورق الخالية تمامًا من فوق سطح مكتب السيدة (كولى).

قال (دمبلدور): «خذى»، ولوح بعصاه مرة بينما يمرر الورقة إليها هو يضيف: «أعتقد أن هذا سيجعل كل شىء واضحًا».

بدت عين السيدة (كولى) كأنها فقدت التركيز للحظة، ثم عادت مرة أخرى وأخذت تحدق بفحوى الورقة البيضاء للحظة، ثم قالت بهدوء وهى تعيدها إليه: «يبدو هذا مطابقًا للقواعد تمامًا» ثم وقعت عيناها على زجاجة جين وكأسين لم يكونا بالتأكيد موجودين منذ بضع لحظات.

وقالت بصوت مهذب: «أ... هل يمكننى أن أقدم لك كأسًا من الجين؟».

قال (دمبلدور) مبتسمًا: «شكرًا جزيلاً».

وسرعان ما بدا على السيدة (كولى) أنها لم تكن المرة الأولى التى تشرب فيها الجين. فقد ملأت الكأسين بسخاء وشربت كأسها على الفور وأخذت تستطعمه بين شفتيها، ثم ابتسمت لـ(دمبلدور) لأول مرة، ولم يتردد هو فى استغلال الفرصة.

قال: «كنت أتساءل إن كان يمكنك إخبارى أى شىء عن تاريخ (توم ريدل)؟ أعتقد أنه قد ولد هنا فى الملجأ؟».

قالت السيدة (كولى) وهى تصب لنفسها المزيد من الجين: «هذا صحيح، أتذكر هذه الليلة جيدًا؛ لأنى كنت فى بداية عملى هنا، كانت ليلة رأس السنة وكان البرد شديدًا والثلج يسقط، أتعرف، كانت ليلة فظيعة وحضرت هذه الفتاة، التى لم يكن عمرها يزيد على عمرى فى هذا الوقت تترنح على عتبة الباب. حسنًا، لم تكن الأولى، أدخلناها، ووضعت الطفل فى خلال ساعة ثم ماتت بعد ساعة أخرى».

أومأت السيدة (كولى) برأسها بطريقة عاطفية وشربت جرعة سخية من الجين.

سأل (دمبلدور): «هل قالت أى شىء قبل أن تموت؟ أى شىء عن والد الطفل، على سبيل المثال؟».

قالت السيدة (كولى): «نعم، أتذكر أنها قالت شيئًا». وبدت مستمتعة إلى حد ما الآن بشراب الجين فى يدها والجمهور المتشوق لسماع قصتها.

وأكملت: «أتذكر أنها قالت لى: «أرجو أن يبدو مثل أبيه» ولن أكذب عليك، كانت على حق أن تتمنى هذا، لأنها لم تكن جميلة - ثم أخبرتنى أنها تريد أن يطلق عليه اسم (توم) على اسم أبيه و(مارفولو) على اسم أبيها هى - أجل، أعلم، اسم غريب، أليس كذلك؟ لقد تساءلنا إن كانت قادمة من سيرك - ثم قالت: إن اسم عائلة الولد هو (ريدل). وماتت بعدها بوقت قصير بدون أن تنطق بكلمة أخرى».

«حسنًا، لقد أسميناه كما قالت، فقد بدا الأمر مهمًا للفتاة المسكينة ولكن لم يحضر أحد يسمى (توم) أو (مارفولو) أو أى شخص يطلق عليه (ريدل) ليبحث عنه، ولا أى أسرة، إطلاقًا؛ لذلك فقد بقى فى الملجأ منذ وقتها وإلى الآن».

صبت السيدة (كولى) لنفسها كأسًا أخرى من الجين تقريبًا بلا وعى، وظهرت على عظمتى خدها بقعتان ورديتان.

ثم قال: «إنه ولد غريب».

قال (دمبلدور): «نعم، اعتقدت أنه قد يكون كذلك».

السيدة (كولى): «لقد كان غريبًا حتى وهو رضيع، فلم يكن يبكى أبدًا تقريبًا، أتعرف، ثم بعدها عندما كبر قليلاً، أصبح... عجيبًا».

سأل (دمبلدور) برفق: «عجيبًا من أى ناحية؟».

السيدة (كولى): «حسنًا، لقد».

ولكن السيدة (كولى) كبحت جماح نفسها بسرعة، وكان واضحًا من النظرة التى رمت بها (دمبلدور) من فوق كأس الجين أنها قلقة.

قالت: «أنت تقول إن له مكانًا فى مدرستك بالتأكيد؟».

قال (دمبلدور): «بكل تأكيد».

قالت السيدة (كولى): «ولا شىء مما سأقوله سيغير ذلك؟».

قال (دمبلدور): «لا شىء».

السيدة (كولى): «سوف تأخذه بعيدًا مهما كان الأمر؟».

كرر (دمبلدور) بجدية: «مهما كان الأمر».

حدقت إليه وكأنها تقرر إن كانت تستطيع الوثوق به أم لا ثم بدا أنها قررت الثقة به؛ لأنها قالت بعجلة مفاجئة: «إنه يخيف الأولاد الآخرين».

سأل (دمبلدور): «هل تعنين أنه يهددهم؟».

قالت السيدة (كولى) وهى متجهمة قليلاً: «أعتقد أنه يفعل، ولكن من الصعب جدًا ضبطه وهو يفعل ذلك. وكانت هناك حوادث... أشياء مزعجة...».

لم يضغط (دمبلدور) عليها، رغم أن (هارى) كان واثقًا أنه مهتم بسماع المزيد، ولكنها أخذت جرعة أخرى من الجين وازداد تورد خديها أكثر وأكثر.

وقالت: «هناك حادثة أرنب (بيلى ستوبس)... حسنًا، أنكر (توم) قيامه بذلك وأنا لا أستطيع أن أرى كيف فعلها، ولكن مع ذلك، لا يمكن أن يكون الأرنب قد علق نفسه بنفسه بالعارضة وخنق نفسه، أليس كذلك؟».

قال (دمبلدور) بهدوء: «لا يمكن الاعتقاد بذلك، لا».

قالت: «ولكنى أستغرب ولا أعرف كيف يمكنه أن يصعد إلى هناك ليفعلها. كل ما أعرفه أنه هو و(بيلى) تشاجرا فى اليوم الذى سبق تلك الحادثة، ثم» أخذت السيدة (كولى) جرعة كبيرة من الجين، سال القليل منه على ذقنها هذه المرة وأضافت: «فى بداية الصيف ـ عادة ما نأخذهم إلى رحلة ـ نذهب بهم إلى الريف أو إلى شاطئ البحر مرة فى العام ـ حسنًا ـ، (إيمى بينسون) و(دينس بيشوب) لم يعودا إلى طبيعتهما بعدها، وكل ما استطعنا أن نعرفه منهما أنهما ذهبا إلى داخل كهف مع (توم ريدل). لقد أقسم أنهم ذهبوا لاستكشاف المكان فقط، ولكن شيئًا حدث هناك، أنا متأكدة من هذا، حسنًا، كان هناك أشياء كثيرة، أشياء غريبة...».

ونظرت إلى (دمبلدور) مرة أخرى، رغم أن خديها كانا موردين، إلا أن نظرها كان ثابتًا.

وأضافت: «لا أعتقد أن هناك من سيحزن لرحيله».

قال (دمبلدور): «إنك تفهمين بالطبع، أننا لن نحتفظ به بشكل دائم؟ فسوف يعود إلى هنا فى نهاية كل عام دراسى لقضاء الصيف».

قالت السيدة (كولى) وقد أصابها الفواق قليلاً: «آه، حسنًا، هذا أفضل من ضربه على الأنف بقضيب صدئ» ثم وقفت على قدميها وكان (هارى) متعجبًا أن يراها متمالكة لنفسها تمامًا رغم أنها شربت ثلثى زجاجة الجين وأضافت: «أفترض أنك تريد رؤيته؟».

قال (دمبلدور) وقد وقف هو أيضًا: «إلى حد كبير».

قادته إلى خارج المكتب وصعدا معًا سلمًا حجريًا وهى تصيح بالتعليمات والنصح للمساعدين والأطفال وهى تمر بجوارهم، وكان الأيتام ـ كما رأى (هارى) ـ يرتدون جميعًا نفس السترة الطويلة التى يميل لونها إلى اللون الرمادى. وكانوا يبدون فى صحة جيدة إلى حد معقول، ولكن لا يمكن إنكار أنه مكان كئيب يمكن للمرء أن ينشأ فيه.

قالت السيدة (كولى): «ها نحن قد وصلنا» وكانوا قد وصلوا إلى مُنْبَسط دَرَج الطابق الثانى ووقفت خارج الباب الأول فى رواق طويل، ثم دقت على الباب دقتين ودخلت.

وقالت: «(توم)؟ لقد جاءك زائر. هذا هو السيد (دمبلترون) ـ آسفة (دمبلدور) لقد أتى ليخبرك ـ حسنًا، سأتركه هو يقول لك».

دخل الاثنان (هارى) ومعه (دمبلدور) إلى الغرفة وأغلقت السيدة (كولى) الباب عليهما. كانت غرفة صغيرة جرداء ولم يكن بها شىء سوى دولاب قديم وسرير حديدى. وكان هناك ولد يجلس فوق بطانية رمادية وقدماه ممدودتان أمامه وهو يمسك كتابًا.

لم يكن (توم) يشبه آل (جاونت) على الإطلاق. فقد حصلت (ميروب) على الأمنية التى تمنتها قبل موتها، وكان نسخة مصغرة من أبيه الوسيم، طويلاً بالنسبة لولد فى الحادية عشرة وكان ذا شعر أسود ووجه شاحب.

ضاقت عيناه قليلاً عندما وقعت على مظهر (دمبلدور) الغريب ومرت لحظة صمت.

قال (دمبلدور) وهو يمشى فى اتجاهه ويمد له يده: «كيف حالك يا (توم)؟».

تردد الولد قليلاً، ثم مد يده وتصافحا. وجذب (دمبلدور) الكرسى الخشبى بجوار (ريدل) حتى بدا كلاهما كأنهما مريض فى مستشفى وشخصٌ يزوره.

قال (دمبلدور): «أنا الأستاذ (دمبلدور)».

كرر (ريدل) وقد بدا خدرًا: «أستاذ، هل هذا يعنى مثل دكتور؟ لماذا أنت هنا؟ هل أحضرتك لتفحصنى؟».

كان يشير إلى الباب الذى خرجت منه السيدة (كولى) منذ لحظة.

قال (دمبلدور) وهو يبتسم: «لا، لا».

قال (ريدل): «أنا لا أصدقك، إنها تريد أن يتم فحصى، أليس كذلك؟ أخبرنى بالحقيقة!».

وقال الكلمات الثلاث الأخيرة بصوت مدوٍّ يكاد يكون صاعقًا، لقد كان هذا أمرًا، وكان يبدو أنه معتاد على إعطاء مثل هذه الأوامر من قبل. وقد اتسعت عيناه وأخذ يحدق إلى (دمبلدور) الذى لم يبدِ أى استجابة بل استمر فى الابتسام بشكل لطيف. وبعد بضع ثوان، توقف (ريدل) عن التحديق وإن بدا أكثر حذرًا مع ذلك.

وسأل (ريدل): «من أنت؟».

قال (دمبلدور): «لقد سبق وأخبرتك، اسمى الأستاذ (دمبلدور) وأنا أعمل فى مدرسة تدعى (هوجوورتس). ولقد جئت لأعرض عليك مكانًا فى مدرستى ـ مدرستك الجديدة، إذا رغبت فى الانضمام إليها».

وكان رد فعل (ريدل) مفاجئًا إلى حد كبير. فقد قفز من السرير وابتعد عن (دمبلدور) وهو يبدو فى شدة الغضب.

وقال: «لا يمكنك أن تخدعنى! إنك قادم من مصحة الأمراض العقلية. أليس كذلك؟ يا أستاذ، أجل بالطبع، حسنًا، أنا لن أذهب، أتفهم؟ هذه القطة العجوز هى التى يجب أن تذهب للمصحة، أنا لم أفعل شيئًا قط لـ(إيمى بينسون) و(دينيس بيشوب)، ويمكنك أن تسألهما، وسوف يقولان لك!».

قال (دمبلدور): «أنا لست قادمًا من مصحة، أنا مدرس وإذا جلست هادئًا؛ فسوف أخبرك عن (هوجوورتس). وبالطبع إذا فضلت عدم القدوم إلى المدرسة، فلن يجبرك أحد على ذلك».

قال (ريدل) ساخرًا: «أحب أن أراهم يحاولون».

وأكمل (دمبلدور) كلامه وكأنه لم يسمع كلمات (ريدل) الأخيرة: «(هوجوورتس) هى مدرسة للناس الذين لديهم قدرات خاصة».

(ريدل): «أنا لست مجنونًا!».

(دمبلدور): «أعلم أنك لست مجنونًا. (هوجوورتس) ليست مدرسة للمجانين. إنها مدرسة لتعليم السحر».

ساد الصمت المكان وتجمد (ريدل) ووجهه خالٍ من التعبير ولكن عيناه كانتا تنتقلان ما بين عينى (دمبلدور)، وكأنه يحاول أن يلمح الكذب فى أى منهما.

ثم كرر فى همس: «السحر؟».

قال (دمبلدور): «هذا صحيح».

(ريدل): «إنه السحر، ذلك الذى يمكننى فعله».

(دمبلدور): «ما هذا الذى تستطيع فعله؟».

زفر (ريدل) قائلاً: «كل الأنواع». وتملكه الحماس وتصاعد التورد من عنقه إلى خديه الغائرين حتى بدا كأنه أصيب بالحمى. وأكمل قائلاً: «يمكننى أن أجعل الأشياء تتحرك بدون أن ألمسها، ويمكننى أن أجعل الحيوانات تفعل ما أريده بدون أن أدربهم على ذلك. يمكننى أن أجعل أشياء سيئة تحدث للناس الذين يضايقوننى. يمكننى أن أجعلهم يتألمون لو أردت ذلك».

كانت قدماه ترتجفان فتقدم نحو السرير وجلس عليه، وهو يحدق إلى يديه، ورأسه محنىٌّ كأنه فى صلاة.

ثم همس إلى أصابعه المرتجفة: «لقد كنت أعرف أننى مختلف، أعرف أننى متميز. دائمًا، ما عرفت أن هناك شيئًا».

قال (دمبلدور) الذى توقف عن الابتسام وأصبح يراقب (ريدل) عن قرب: «حسنًا، لقد كنت على حق تمامًا، فأنت ساحر».

فرفع (ريدل) رأسه وتحول تعبير وجهه، وارتسمت السعادة الشديدة عليه ولكن لسبب ما لم تحسن السعادة من مظهره؛ بل على العكس. فقد بدت ملامحه المنحوتة بشكل ممتاز قاسية، إلى حد ما، وتعبيره بدا وحشيًا.

(ريدل): «هل أنت ساحر أيضًا؟».

قال (دمبلدور): «أجل».

قال (ريدل) على الفور: «اثبت لى»، قالها بنفس اللهجة الآمرة التى استخدمها قبل ذلك عندما قال: «أخبرنى بالحقيقة».

رفع (دمبلدور) حاجبيه.

قال (دمبلدور): «إذا كنت، كما فهمت؛ فسوف تقبل بالانضمام إلى مدرسة (هوجوورتس)».

(ريدل): «بالطبع، سأقبل!».

قال (دمبلدور): «إذن يجب عليك أن توجه لى الحديث بـ (يا أستاذ أو سيد)».

تصلب تعبير وجه (ريدل) للحظة خاطفة قبل أن يقول بصوت مهذب: «أنا آسف يا سيدى. أقصد ـ أرجوك يا أستاذ، هل يمكنك أن تريني؟».

كان (هارى) متأكدًا أن (دمبلدور) سيرفض، وأنه سوف يقول لـ(ريدل) إن هناك الكثير من الوقت للإثبات العملى فى (هوجوورتس)، وإنهم الآن فى مبنى ملىء بالعامة ـ ويجب عليهم لهذا السبب أن يكونوا حذرين. ولكن لدهشته الشديدة مع ذلك، سحب (دمبلدور) عصاه من الجيب الداخلى لبذلته ووجهها إلى الدولاب البالى الموجود فى الركن وحرك عصاه حركة عفوية فاشتعلت النيران بالدولاب؛ فقفز (ريدل) واقفًا على قدميه. ولم يستطع (هارى) أن يلومه على صياحه مصدومًا وغاضبًا؛ فكل ما يملكه من العالم كان يوجد بداخل هذا الدولاب، ولكن ما كاد (ريدل) يستدير ليواجه (دمبلدور) حتى كانت النيران قد اختفت تاركة الدولاب سليمًا تمامًا.

فأخذ (ريدل) ينقل بصره بين الدولاب و(دمبلدور)، ثم علا وجهه تعبير بشع وأشار إلى العصا السحرية.

وقال: «من أين أحضر واحدة مثل هذه؟».

قال (دمبلدور): «كل شىء فى وقته، أعتقد أن هناك شيئًا يحاول الخروج من دولابك».

كان هناك صوت خشخشة خافتة يسمع بداخله. ولأول مرة ظهر الخوف على (ريدل).

تردد (ريدل)، ثم عبر الغرفة، وفتح باب الدولاب. كان هناك صندوق صغير من الكرتون فوق الرف العلوى الذى يوجد أسفله مشجب معلق عليه ملابس بالية. وكان الصندوق يهتز ويخشخش كأن به عددًا من الفئران المسعورة محبوسة بداخله.

قال (دمبلدور): «أخرجه».

فأنزل (ريدل) الصندوق وهو يبدو واهنًا.

سأل (دمبلدور): «هل هناك شيء فى هذا الصندوق ليس من حقك أن تأخذه؟».

رمى (ريدل) (دمبلدور) بنظرة طويلة حذرة.

وقال أخيرًا بصوت خالٍ من التعبير: «نعم، أعتقد هذا يا سيدى».

قال (دمبلدور): «افتحه».

ورفع (ريدل) الغطاء وأفرغ محتويات الصندوق على السرير دون أن ينظر إلى هذه المحتويات. كان (هارى) يتوقع رؤية شيء مشوق، إلا أن كل ما رآه كان خليطًا من الأشياء العادية، يويو، أنبوبًا فضيًا، وبينهما هارمونيكا متسخة. وما أن خرجوا من الصندوق حتى توقفوا عن الحركة واستقروا ساكنين فوق البطانية البالية.

قال (دمبلدور) بهدوء وهو يعيد عصاه إلى داخل سترته: «سوف تعيدهم إلى ملاكهم وتعتذر لهم؛ وسوف أعرف إن كنت قد قمت بذلك أم لا. وأنبهك أنه لا يتم التسامح مع السرقة فى (هوجوورتس)».

لم يحنِ (ريدل) وجهه خجلاً، بل ظل يحدق ببرود إلى (دمبلدور) كأنه يقيمه، وأخيرًا قال بصوت حيادى: «أجل يا سيدى».

وأكمل (دمبلدور) حديثه قائلاً: «فى (هوجوورتس) نحن لا ندرس كيفية استخدام السحر فقط، ولكن كيفية التحكم به أيضًا. لقد قمت باستخدام السحر بطريقة لا نعلمها ولا نقبل بها فى مدرستنا، ولكنى متأكد أن هذا تم عفويًا. إنك لست الأول ولن تكون الأخير الذى سمح

لسحره أن يجمح به. ولكنك يجب أن تعلم أن (هوجوورتس) يمكن أن تفصل الطلبة، وأن وزارة السحر ـ نعم، هناك وزارة للسحر ـ تعاقب الذين يخرقون القانون بكل صرامة. يجب على كل السحرة الجدد أن يعرفوا أنه بدخولهم إلى عالمنا، يجب عليهم أن يلتزموا بقوانيننا».

قال (ريدل) مرة أخرى: «أجل يا سيدى».

كان من المستحيل معرفة ما الذى يفكر به؛ حيث ظل وجهه خاليًا من التعبير تمامًا وهو يعيد الأشياء المسروقة إلى الصندوق الكرتونى. وعندما انتهى، التفت إلى (دمبلدور) وقال بصراحة شديدة: «ليس لدى أى مال».

قال (دمبلدور): «هذا شىء يمكن علاجه بسهولة» ثم أخرج حقيبة نقود جلدية من جيبه وأضاف: «هناك صندوق فى (هوجوورتس) لهؤلاء الذى يحتاجون مساعدة فى شراء الكتب والملابس. ربما تحتاج إلى شراء بعض من كتب التعاويذ وأشياء أخرى مستعملة، ولكن».

قاطعه (ريدل): «من أين تشترون كتب التعاويذ؟» كان قد أخذ كيس المال الثقيل بدون أن يشكر (دمبلدور) وكان الآن يفحص أحد الجالونات الذهبية.

قال (دمبلدور): «من حارة (دياجون)، معى هنا قائمة الكتب والمعدات الخاصة بك، يمكننى أن أساعدك لتجد ما تحتاج إليه».

سأل (ريدل) وقد رفع بصره إلى (دمبلدور): «هل ستأتى معى؟».

(دمبلدور): «بالتأكيد، إذا كنت».

قال (ريدل): «أنا لا أحتاج إليك، فأنا معتاد على فعل الأشياء بنفسى، وعادة ما أتجول حول لندن وحدى طوال الوقت. كيف تصل إلى حارة (دياجون) هذه؟» ثم أضاف: «يا سيدى» وقد تلاقت عيناه بعين (دمبلدور).

اعتقد (هارى) أن (دمبلدور) سوف يصمم على مصاحبة (ريدل) ولكنه دهش مرة أخرى، فقد سلم (دمبلدور) المظروف الذى يحوى قائمة الكتب

والمعدات إلى (ريدل)، وبعد أن أخبره عن كيفية الوصول إلى (ليكى كولدرون) من الملجأ وقال: «سيكون بإمكانك رؤيتها، بينما العامة من حولك ـ من غير السحرة ـ لن يستطيعوا ذلك. اسأل عن (توم) الساقى ـ من السهل أن تتذكره لأنه له نفس اسمك».

انتفض (توم) منفعلاً، وكأنه يزيح ذبابة مزعجة بعيدًا عنه.

(دمبلدور): «أتكره اسم (توم)؟».

فتمتم (ريدل): «هناك الكثيرون يحملون اسم (توم)» ثم بدا كأنه لا يستطيع كبت السؤال أو كأنه انطلق منه رغم إرادته. وسأل: «هل كان أبى ساحرًا؟ كان اسمه (توم ريدل) أيضًا، لقد أخبرونى بذلك».

قال (دمبلدور) وقد رق صوته: «أخشى أننى لا أعرف».

قال (ريدل) وهو يوجه الكلام لنفسه أكثر من (دمبلدور): «لا يمكن أن تكون أمى ساحرة، وإلا ما كانت ماتت، يجب أن يكون هو إذن، عندما أحصل على كل أشيائى... كيف أستطيع الوصول إلى (هوجوورتس)؟».

قال (دمبلدور): «كل التفاصيل موجودة فى رقعة الجلد الثانية فى الظرف، سوف ترحل من محطة (كنج كروس) فى الأول من سبتمبر. سوف تجد داخل الظرف تذكرة قطار أيضًا».

أومأ (ريدل)، ووقف (دمبلدور) على قدميه ومد يده مرة أخرى. صافحه (ريدل) وقال: «يمكننى أن أتكلم مع الثعابين، لقد اكتشفت هذا عندما كنت فى رحلات الريف ـ إنهم يأتون ويهمسون إلى. هل هذا شىء عادى بالنسبة لساحر؟».

أدرك (هارى) أن (ريدل) أجل ذكر أكثر قواه غرابة إلى هذه اللحظة حتى يكون لها وقع مؤثر.

قال (دمبلدور) بعد لحظة تردد: «إنه شىء نادر ولكن ليس غير معهود من قبل».

كانت لهجته عادية ولكنَّ عينيه تحركتا بفضول فوق وجه (ريدل). ووقفا للحظة يحدقان ببعضهما. ثم نفض كل منهما يد الآخر وأصبح (دمبلدور) عند الباب.

وقال: «إلى اللقاء يا (توم)، سوف أراك فى (هوجوورتس)».

قال (دمبلدور) ذو الشعر الأبيض الواقف بجوار (هارى): «أظن أن هذا يكفى، ثم بعد ثوان كانا يطيران خلال الظلام بلا وزن مرة أخرى حتى هبطا فى مكتبه فى اليوم الحاضر تمامًا.

قال (دمبلدور) وهو يهبط بجواره: «اجلس».

أطاعه (هارى) وعقله مازال ممتلئًا بكل ما شاهده منذ لحظة.

قال (هارى): «لقد صدق الأمر أسرع مما فعلت أنا بكثير، أعنى عندما قلت له: إنه ساحر، بينما لم أصدق أنا (هاجريد) عندما قال لى هذا فى البداية».

قال (دمبلدور): «أجل، كان (ريدل) مستعدًّا تمامًا لتصديق أنه ـ كالكلمة التى استخدمها ـ مميز».

سأل (هارى): «هل عرفت ـ وقتها؟».

قال (دمبلدور): «هل عرفت أننى قد التقيت أكثر سحرة الظلام خطورة فى كل الأزمنة؟ لا، لم يكن لدى أى فكرة أنه سيكبر ليصبح ما هو عليه الآن. لقد أثار استغرابى بالتأكيد وعدت إلى (هوجوورتس) وأنا أنوى مراقبته، وهو شيء ما كنت لأفعله فى أى حالة مشابهة؛ لأنه كان وحيدًا ويدون أصدقاء، ولكن فى هذه الحالة، شعرت أننى يجب أن أفعل هذا لأجل مصلحة الآخرين بقدر ما هو مصلحته».

«لقد كانت قواه كما سمعت متقدمة لدرجة مثيرة للدهشة، خاصة بالنسبة لساحر صغير مثله ـ أما الأكثر غرابة وإنذارًا بالسوء ـ فهو أنه كان قد اكتشف بنفسه بعض الوسائل للسيطرة على هذه القوى بالفعل، وبدأ باستخدامها وهو واعٍ بما يفعله. وكما رأيت، فإنها لم تكن تجارب عشوائية

مثل التى تحدث للسحرة الصغار. لقد كان يستخدم السحر ضد الآخرين سواء لإخافتهم أو لمعاقبتهم أو التحكم بهم. فما قاله: «يمكننى *أن أجعلهم يتألمون لو أردت ذلك*»، يوضح حقيقة القصص عن الأرنب المخنوق والولد والبنت الصغيرين اللذين تم استدراجهما إلى داخل الكهف...».

قاطعه (هارى): «وكان يتحدث بلغة الثعابين».

(دمبلدور): «أجل، بالطبع، إنها موهبة نادرة ومن المفترض أن لها صلة بالسحر الأسود، بالرغم أنه كما نعلم، هناك من لديهم هذه الموهبة بين السحرة العظماء والخيرين أيضًا. ولكن قدرته على الكلام مع الأفاعى لم تقلقنى كما أقلقنى ميله الطبيعى الواضح للقسوة والتكتم والسيطرة».

قال (دمبلدور): «وهو يشير إلى السماء السوداء وراء الشباك: «مر الوقت سريعًا دون أن نشعر به ولكن قبل أن نفترق أريد أن أجذب انتباهك إلى أشياء معينة فى المشهد الذى شاهدناه منذ قليل؛ لأنها سيكون لها دخل كبير بالموضوعات التى سنناقشها فى لقاءاتنا القادمة:

أولاً: أرجو أن تكون قد لاحظت رد فعل (ريدل) عندما ذكرت له أن شخصًا آخر يشاطره نفس الاسم (توم)».

أومأ (هارى) برأسه.

وأكمل (دمبلدور) قائلاً:

«لقد أظهر احتقارًا لأى شىء يربطه بالناس الآخرين، أى شىء يجعله عاديًا. حتى وقتها كان يريد أن يكون مختلفًا ومنعزلاً ومشهورًا. فقد تخلص من اسمه كما تعلم بعد هذه الحادثة بسنوات قليلة وضع لنفسه قناع لورد (فولدمورت) الذى اختفى وراءه لفترة طويلة».

«أنا واثق أنك لاحظت أن (توم ريدل) كان بالفعل مكتفيًا بذاته، متكتمًا، ومن الواضح أنه كان بلا أصدقاء، لم يكن يريد المساعدة أو المصاحبة فى رحلته إلى حارة (دياجون) وفضل أن يقوم بها وحده. و(فولدمورت)

البالغ يتصرف بنفس الطريقة، سوف تسمع العديد من (آكلى الموت) يدعون أنهم موضع ثقته وأنهم الوحيدون المقربون إليه ويستطيعون فهمه. ولكن جميعهم مخدوعون لأن لورد (فولدمورت) لم يكن له أصدقاء أبدًا ولم يرد قط أن يكون له صديق أيضًا كما أعتقد».

«وأخيرًا - أرجو ألا تكون ناعسًا لدرجة ألا تأخذ بالك من هذا يا (هارى) - فـ(توم ريدل) الصغير كان يحب جمع التذكارات. هل رأيت صندوق الأشياء المسروقة الذى كان يخفيه فى غرفته؟ كان مملوءًا بأشياء أخذها من ضحايا سلوكه العدوانى، تذكارات تخص بعض ضحايا سحره البغيض. تذكر جيدًا ميله إلى جمع الأشياء الصغيرة والاحتفاظ بها؛ لأن هذا بالتحديد، سوف يكون مهمًا فيما بعد».

«أما الآن، فقد حان موعد النوم فعلاً».

وقف (هارى)، وبينما يقطع الغرفة متجهًا إلى الباب وقعت عيناه على المائدة الصغيرة التى كان عليها خاتم (مارفولو جاونت) فى آخر مرة كان هنا، ولكن الخاتم لم يكن هناك.

توقف (هارى) عن المشى وقال له (دمبلدور): «نعم، يا (هارى)».

قال (هارى) وهو يتلفت حوله: «الخاتم لم يعد موجودًا، ولكنى اعتقدت أنه قد يكون لديك الهارمونيكا أو شىء آخر».

ابتسم له (دمبلدور) ونظر له من فوق نظارته الهلالية.

وقال: «لديك قوة ملاحظة ممتازة يا (هارى) ولكن الهارمونيكا لم تكن سوى مجرد هارمونيكا».

وبهذا التعليق الغامض، لوح لـ(هارى)، الذى فهم أن عليه أن ينصرف.

■ ■ ■



١٤ فليكس فلسيس

فى صباح اليوم التالى، كانت أول محاضرة لدى (هارى) هى مادة علم النباتات، ولم يستطع إخبار (رون) و(هرميون) بشأن الدرس الذى أعطاه له (دمبلدور) خوفًا من أن يسمعهم أحدٌ مصادفة أثناء تناولهم الإفطار، ولكنه أخبرهم بكل شىء أثناء عبورهم حوض الخضراوات متجهين إلى الصوب الزجاجية. وكانت رياح نهاية الأسبوع الشديدة قد تلاشت أخيرًا وعاد الضباب العجيب ثانية؛ مما جعلهم يستغرقون وقتًا أطول من المعتاد لإيجاد الصوبة الزجاجية التى يقصدونها.

قال (رون) بخفوت: «ياه، فكرة مخيفة، (أنت تعرف من) الصبى!». كانوا قد أخذوا أماكنهم حول جذع أحد أشجار (سنارجالوف) كثيرة العقد التى تمثل مشروع الفصل الدراسى الحالى، ثم بدءوا فى لبس قفازاتهم الواقية وأكمل (رون) حديثه قائلاً: «ولكنى مازلت لا أفهم لماذا يريك (دمبلدور) كل هذا؟ أقصد أن ذلك مثير للاهتمام، ولكن ما هدفه من ذلك؟».

رد (هارى) وهو يدخل إلى الدرع المطاطى: «لا أعرف، ولكنه يقول: إن كل تلك الأشياء مهمة وإنها سوف تساعدنى على النجاة».

فقالت (هرميون) بجدية: «أعتقد أن الأمر مشوق، ومن المنطقى جدًا أن تحاول معرفة كل ما يمكنك أن تعرفه عن (فولدمورت) وإلا كيف ستعرف نقاط ضعفه؟».

فسألها (هارى) بصوت غير واضح من خلال الدرع المطاطى: «كيف كان آخر حفل لـ(سلجهورن)؟».

فأجابت (هرميون) قائلة: «كان ممتعًا حقًا» ثم ارتدت النظارة الواقية وقالت: «أعنى أنه أخذ يتحدث برتابة عن تلاميذه السابقين المشهورين

قليلاً، ثم أخذ بالطبع يتودد إلى (ماكلاجين)، لأنه على علاقة وثيقة بذوى السلطة ولكنه قدم لنا طعامًا لذيذًا جدًا، ثم عرفنا إلى (جوينوج جونيس)».

قال (رون) غير مصدق وقد اتسعت حدقتاه من خلف نظارته الواقية: «(جوينوج جونيس)!» ثم أكمل قائلاً: «هل تقصدين (جوينوج جونيس) كابتن (هوليهيد هاربيز)؟».

أجابت (هرميون): «هذا صحيح، وأنا شخصيًا اعتقدت أنها مغرورة إلى حد ما ولكن...».

ثم قاطعتها الأستاذة (سبراوت) قائلة بحدة وهى تتحرك بنشاط وتبدو متجهمة: «كفاكم ثرثرة هنا! إنكم تتلكأون بينما بدأ الجميع فى العمل وحصل (نيفيل) على ثمرته الأولى!».

فنظروا حولهم ليتأكدوا فوجدوا (نيفيل) وشفتاه ملوثة بالدماء وقد امتلأ جانب وجهه بالعديد من الجروح المقززة، ولكنه قابض بيده على جسم أخضر نابض كريه الشكل فى حجم حبة الجريب فروت.

وقال (رون): «حاضر يا أستاذة، سوف نبدأ الآن» ثم همس عندما التفتت الأستاذة: «كان عليك استخدام (موفلياتو) يا (هارى)».

فردت عليه (هرميون) فى الحال: «لا، لا يجب علينا فعل ذلك!» كانت تبدو كعادتها معارضة بشدة لكل ما يتعلق بالأمير الهجين وتعاويذه، وأضافت: «حسنًا، هيا، من الأفضل أن نبدأ».

ثم ألقت عليهما نظرة متوجسة، فأخذوا نفسًا عميقًا وغاصوا فى جذع الشجرة الموجود بينهم.

وفجأة عادت الشجرة للحياة وخرجت من قمتها أغصان طويلة ذات أشواك، سريعة التسلق مثل الكرمة، مندفعة عبر الهواء وشبكت إحداها فى شعر (هرميون) ولكن (رون) قصها بمقص التقليم ونجح (هارى) فى الإمساك بزوج من تلك الأغصان وربطهما معًا، ثم انفتحت فتحة فى سط تلك الأوراق الشبيهة بالمجسات وأدخلت (هرميون) ذراعها

بشجاعة داخل تلك الفتحة التى انغلقت حول مرفقها مثل الفخ فأخذ (هارى) و(رون) يشدان ويلويان الأغصان بقوة حتى أجبراها أن تفتح الفخ مرة أخرى؛ فنزعت (هرميون) ذراعها لتتحرر وهى ممسكة بين أصابعها حبة تشبه تلك التى كان (نيفيل) يمسك بها. وفجأة عادت الأغصان السريعة التسلق إلى مكانها بداخل جذع الشجرة كثير العقد؛ وبدا الجذع مثل قطعة خشب ميتة فى براءة.

قال (رون) وهو يرفع نظارته على جبهته ويمسح عرقه من على وجهه: «أتعرفون، لا أعتقد أننى سأقتنى واحدة من تلك النباتات فى حديقتى عندما يكون لدى منزل خاص بى».

وقالت (هرميون) وهى تمسك الثمرة النابضة على طول ذراعها: «ناولنى إناء» فناولها (هارى) واحدًا فوضعت فيه الثمرة بينما ارتسمت على وجهها نظرة اشمئزاز.

فقالت لها الأستاذة (سبراوت): «لا تصابى بالغثيان، اعصريها فهى أفضل وهى طازجة!».

قالت (هرميون) مكملة حديثها الذى انقطع كما لو أن قطعة الخشب لم تهاجمهم منذ قليل: «على أية حال سيقيم (سلجهورن) حفل الكريسماس يا (هارى) ولن تكون هناك طريقة لتتملص بها من حضور هذا الحفل؛ لأنه طلب منى أن أراجع الليالى غير المشغولة لديك ومن ثم سيكون واثقًا من إقامة الحفل فى ليلة تستطيع الحضور فيها».

همهم (هارى) مستنكرًا، ولكن (رون) الذى كان يحاول فتح الثمرة الموجودة فى الإناء بوضع كلتا يديه والضغط عليها بكل قوته ليسحقها وهو واقف، قال بغضب: «وهذا بالطبع حفل آخر لطلاب (سلجهورن) المفضلين فقط.. أليس كذلك؟».

فقالت (هرميون): «إنه من أجل أعضاء نادى (سلوغ) فقط، أجل؟».

وطارت الثمرة من بين أصابع (رون) وضربت زجاج الصوبة وارتدت لترتطم بمؤخرة رأس الأستاذة (سبراوت) وتصيب قبعتها القديمة المرقعة.

ذهب (هارى) لاسترداد الثمرة وعندما عاد كانت (هرميون) تقول: «أنا لم أبتكر اسم نادى (سلوغ)».

فكرر (رون) ساخرًا بأسلوب يشبه أسلوب (مالفوى): «نادى (سلوغ)! إنه أمر مثير للشفقة، حسنًا، أتمنى أن تستمتعى بحفلك، لماذا لا تحاولين اصطحاب (ماكلاجين) ومن ثم يجعلكما (سلجهورن) ملك وملكة نادى (سلوغ)».

قالت (هرميون) التى لسبب ما تحول وجهها إلى اللون القرمزى: «لقد سمح لنا باصطحاب ضيوف، وكنت سأطلب منك الحضور معى، ولكن إذا كنت تعتقد أنه أمر سخيف إلى هذه الدرجة، فإننى لن أفعل!».

وتمنى (هارى) لو أن الثمرة قد طارت لمسافة أطول ومن ثم لم يكن ليضطر إلى أن يجلس معهم. وبدون أن يلاحظه أى منهما أمسك بالإناء الذى به الثمرة وبدأ فى محاولة فتحها بأكثر الوسائل قوة وإحداثًا للضجة خطرت بباله، ولكن لسوء الحظ، كان لايزال يستطيع سماع كل كلمة من حديثهما.

فسألها (رون) فى صوت مختلف تمامًا: «هل كنت تنوين دعوتى حقًا؟».

فأجابت (هرميون) بغضب: «أجل، ولكن بالطبع، إذا كنت تفضل أن أذهب مع *(ماكلاجين)*...».

وصمتا لفترة بينما استمر (هارى) فى محاولة سحق الثمرة المرنة بواسطة أداة مسطحة.

قال (رون) بصوت شديد الهدوء: «لا، لا أريد هذا».

أفلت (هارى) الثمرة فضربت الإناء فانشطر.

ثم ضرب القطع المكسورة بعصاه السحرية قائلاً بعجلة: «*(ريبارو)*» فعاد الإناء سليمًا مرة أخرى. ولكن صوت التحطيم لفت نظر (هرميون) و(رون) إلى وجود (هارى) وبدت (هرميون) مرتبكة، وبدأت فى الحال تبحث بتوتر فى نسختها من كتاب *(أشجار العالم الآكلة للحوم)* لإيجاد

الطريقة الصحيحة لعصير ثمار شجرة (سنارجالوف) وكان (رون) يبدو مرتبكًا، ولكنه كان يبدو مسرورًا بنفسه إلى حد ما أيضًا.

قالت (هرميون) بسرعة: «ناولنى ذلك يا (هارى) فمن المفترض أن نثقبها بشيء حاد...».

فأعطاها (هارى) الإناء وبه الثمرة وأعاد كل من (هارى) و(رون) نظارتيهما بسرعة على أعينهما، ثم غاصا مرة أخرى داخل جذع الشجرة.

لم يندهش (هارى) كثيرًا مما يحدث بين صديقيه، وأخذ يتصارع مع الكرمة الشائكة التى تريد خنقه، وهو يفكر أنه كان يعلم أن هذا قد يحدث إن عاجلاً أو آجلاً. ولكنه لم يكن متأكدًا كيف يشعر حيال ذلك... فقد أصبح هو (وتشو) محرجين من النظر إلى بعضيهما الآن، ناهيك عن التحدث مع بعضيهما، وتساءل (هارى) فى نفسه: «ماذا لو أن (رون) و(هرميون) بدأا بالخروج معًا ثم انفصلا؟ هل ستستمر صداقتهما بعدها؟ ثم تذكر (هارى) الأسابيع القليلة التى توقفا خلالها عن التحدث معًا أثناء عامهما الدراسى الثالث، فلم تكن محاولة إعادة المياه لمجاريها أمرًا ممتعًا بالنسبة لـ(هارى). ولكن ماذا لو لم ينفصلا؟ ماذا يحدث إذا أصبحا مثل (بيل) و(فلور) وأصبح وجوده معهما يسبب الإحراج الشديد له فيضطر إلى الابتعاد عنهما إلى الأبد؟

صاح (رون) قائلاً وهو يسحب ثمرة ثانية من الجذع: «حصلت عليها!» وفى نفس اللحظة تمكنت (هرميون) من تفجير الثمرة الأولى وفتحها؛ ومن ثم امتلأ الإناء بدرنات صغيرة تتلوى مثل ديدان ذات لون أخضر شاحب.

مر باقى الدرس دون أى حديث آخر بشأن حفل (سلجهورن). وبالرغم من أن (هارى) راقب صديقيه عن قرب أكثر خلال الأيام القليلة التالية إلا أنه لم يبدُ على (رون) و(هرميون) أى اختلاف غير أنهما أصبحا أكثر أدبًا فى معاملة بعضهما عن المعتاد. ورأى (هارى) أنه من المفترض الانتظار لمعرفة ما سيحدث تحت تأثير تناول العصير السحرى فى

حجرة (سلجهورن) الخافتة الإضاءة خلال ليلة الحفل، ولكنه فى الوقت الراهن كان لديه بعض الأمور الملحة التى يجب عليه حلها.

فقد كانت (كاتى بيل) لا تزال فى مستشفى (سان مونجو) ولا يبدو أنها ستغادره قريبًا، مما يعنى أن فريق (جريفندور) الواعد الذى دربه (هارى) بعناية منذ سبتمبر الماضى كان ينقصه لاعب مطارد. وكان (هارى) قد استمر فى تأجيل استبدال (كاتى) أملاً فى عودتها، ولكن مبارة الافتتاح ضد (سليذرين) كانت تلوح من بعيد وقد اضطر أخيرًا إلى التسليم بأنها لن تعود فى الوقت المناسب للعب المباراة.

وفكر (هارى) أنه لا يستطيع تحمل عمل اختبارات جديدة لاختبار لاعبين يشارك فيها طلاب المنزل كله. وفى أحد الأيام، أوقف (هارى) (دين توماس) بعد انتهاء حصة مادة التحويل، وقد داهمه شعور بالضيق لا علاقة له بـ(الكويدتش). وكان أغلب الطلاب قد غادروا الفصل، إلا أنه كان هناك العديد من الطيور الصفراء المغردة مازالت تطن حول الغرفة. وكانت جميعها من صنع (هرميون)، حيث لم يفلح أى شخص آخر فى استحضار ولو ريشة من الهواء.

سأل (هارى) (دين): «هل لا تزال مهتمًا باللعب كمطارد؟».

قال (دين) بحماس: «ماذا؟ نعم بالطبع» ومن وراء كتف (دين) رأى (هارى) (سيموس فينجين) يضع كتبه بسرعة داخل حقيبته وقد بدا على وجهه الغضب، وكان أحد الأسباب التى جعلت (هارى) لا يفضل أن يطلب من (دين) الانضمام للفريق هو معرفته بأن (سيموس) لن يعجبه الأمر، ولكنه من ناحية أخرى يجب عليه عمل ما فى مصلحة الفريق، وقد تفوق (دين) على (سيموس) فى اختبارات اختيار الفريق.

قال (هارى): «حسنًا، لقد أصبحت فى الفريق، هناك تمرين الليلة فى الساعة السابعة».

قال (دين): «حسنًا، رائع يا (هارى)! لا أستطيع الانتظار حتى أخبر (جينى)!».

ثـم خـرج (ديـن) مسرعًـا مـن الحجـرة تـاركًـا (هـارى) و(سيـمـوس) بمفرديهما معًا، ومرت لحظة مزعجة، زادهـا سوءًا سقوط فضلات أحد الطيور على رأس (سيموس) عندما طارت أحد طيور الكناريا التى صنعتها (هرميون) فوقهم.

لم يكن (سيموس) هو الشخص الوحيد المستاء من اختيار (دين) كبديل لـ(كاتى)، فقد كان هناك الكثير من الغمغمة والتذمر فى الغرفة العامة حول اختيار (هارى) لاثنين من زملائه فى الصف للعب فى الفريق. إلا أن هذا ـ فى الواقع ـ لم يضايق (هارى) كثيرًا، فقد تعرض لغمغمة كثيرة أسوأ من ذلك خلال دراسته فى المدرسة، ومع ذلك كان يدرك أن الضغط قد تزايد عليه للفوز فى المباراة القادمة ضد فريق (سليذرين). فـ(هارى) يعلم أنه فى حال فوز فريق (جريفندور) سينسى المنزل بأكمله أنهم انتقدوا (هارى) على اختياره للفريق ويؤكدون أنهم كانوا دائمًا يعرفون أنه فريق عظيم، ولكن إذا خسر... فكر (هارى) بمرارة أنه سيكون عليه تحمل غمغمات أكثر سوءًا...

وأدرك (هارى) أن اختياره لـ(دين) كان فى محله عندما رآه وهو يطير فى تلك الليلة حيث لعب بتوافق تام مع (جينى) و(ديميلزا). وكان الضاربان (بيكس) و(كوت) يزدادان تحسنًا طوال الوقت ولم تبقَ غير مشكلة وحيدة هى (رون).

وكان (هارى) يعلم طوال الوقت أن (رون) لاعب متقلب، يعانى من اضطراب الأعصاب، وتنقصه الثقة بالنفس، ولسوء الحظ، يبدو أن الاحتمالات المتوقعة لمباراة افتتاح الموسم قد أظهرت كل مخاوفه. فبعد فشله فى صد ستة أهداف أحرزت (جينى) معظمها، أصبح أسلوبه أكثر عنفًا حتى إنه لَكَم (ديميلزا روبينز) فى فمها عندما دنت منه.

فنادى عليها (رون) وهى تعود إلى الأرض فى خط متعرج والدم يتساقط فى كل مكان: «لقد كان حادثًا، أنا آسف يا (ديميلزا) أنا فى غاية الأسف! لقد كنت...».

فأكملت (جينى) فى غضب وهى تهبط بجوار (ديميلزا) متفحصة شفتيها المتورمتين: «أيها الأخرق،(رون)، انظر إلى حالتها!».
فقال (هارى) وهو يهبط بجوار الفتاتين: «يمكننى معالجة ذلك» ثم أشار بعصاه تجاه فم (ديميلزا) وقال: «*(إبيسكى)*» ثم أضاف: «وأنت يا (جينى) لا تسمى (رون) بالأخرق فأنت لست كابتن هذا الفريق...».
ردت (جينى): «حسنًا، لقد بدوت مشغولاً عن مناداته بالأحمق، واعتقدت أنه يجب على أحد ما أن يفعل ذلك...».
منع (هارى) نفسه من الضحك بصعوبة.
وقال: «هيا، فليعد الجميع إلى الطيران من جديد...».
وكان ذلك أحد أسوأ التمرينات التى قاموا بها طوال الفصل الدراسى، إلا أن (هارى) شعر أن الأمانة ليست أفضل سياسة الآن مع اقتراب المباراة.
فقال لفريقه مشجعًا: «عمل جيد منكم جميعًا. أعتقد أننا سنسحق فريق (سليذرين)» وغادر المطاردون والضاربون حجرة تبديل الملابس وهم سعداء بأنفسهم إلى حد كبير.
وقال (رون) فى صوت ضعيف بعد أن تأرجح الباب مغلقًا خلف (جينى): «لقد لعبت مثل كيس من روث التنين».
فرد (هارى) بثبات: «لا لم تفعل. فأنت أفضل حارس مرمى اختبرته يا (رون). مشكلتك الوحيدة هى عصبيتك».
واستمر فى تشجيعه بدون انقطاع طوال طريق العودة إلى القلعة حتى إنهما عندما وصلا إلى الدور الثانى، كان (رون) قد أصبح مبتهجًا إلى حد ما. ولكن عندما دفع (هارى) النسيج المزين بالرسوم وفتحه ليسلكا طريقهما المختصر المعتاد إلى أعلى برج (جريفندور) وجدا نفسيهما ينظران إلى (دين) و(جينى) متعانقين يقبلان بعضيهما بحرارة كما لو كانا قد التصقا معًا بغراء.
وشعر (هارى) كما لو أن شيئًا كبيرًا وذا حراشف قد شق معدته وأخذ يخدشه من الداخل، وغلى الدم فى رأسه وتوقف تفكيره وحل محله باعث

بدائى همجى لسحر (دين) وتحويله إلى هلام، وأثناء تصارعه مع هذا الجنون المفاجئ الذى انتابه، سمع صوت (رون) كما لو أنه يأتى من مكان بعيد.

قال (رون): «ما هذا!».

فابتعد (دين) و(جينى) عن بعضيهما ونظرا حوليهما.

وقالت (جينى): «ماذا؟».

قال (رون): «لا أريد أن أرى أختى تعانق الناس وتقبلهم على الملأ!».

فردت عليه (جينى) قائلة: «كان هذا الرواق مهجورًا حتى أتيت أنت وتدخلت».

وبدا على (دين) الحرج فابتسم إلى (هارى) ليخفى حرجه، إلا أن (هارى) لم يبادله الابتسام حيث كان الوحش حديث الولادة فى داخله يزأر لطرد (دين) فورًا من الفريق.

فقال (دين): «هيا يا (جينى)، فلنعد إلى الغرفة العامة...».

ردت (جينى): «لا، بل اذهب أنت، أود التحدث قليلاً مع أخى العزيز!»

غادر (دين) وقد بدا كما لو كان غير آسف على مغادرة المكان.

قالت (جينى) وهى تدفع بشعرها الأحمر الطويل من على وجهها وتحملق إلى (رون) فى غضب: «فلنتحدث عن ذلك بصراحة لمرة واحدة حاسمة. ليس من شأنك الشخص الذى أواعده أو ما أفعله معه يا (رون)...».

فرد (رون) غاضبًا: «بل من شأنى! هل تعتقدين أنى أريد أن يقول الناس: إن أختى...؟».

فصاحت (جينى) مقاطعة له: «أنا ماذا؟» وسحبت عصاها السحرية وقالت: «أنا ماذا بالضبط؟».

فتدخل (هارى) سريعًا وقال: «إنه لا يقصد شيئًا يا (جينى)» وذلك على الرغم من زئير الوحش بداخله مؤيدًا كلام (رون).

فقالت لـ(هارى) وهى شديدة الغضب: «لا، إنه يقصد، وذلك لأنه لم يعانق أو يقبل أى فتاة فى حياته من قبل. إن أفضل قبلة حصل عليها هى تلك التى منحتها له (أنتى موريل)...».

صاح (رون) قائلاً: «اصمتى!» وقد تغير لون وجهه وتحول إلى اللون الأحمر القانى.

وصرخت (جينى): «لا، لن أصمت! لقد رأيتك مع (مخاط) أملاً فى كل مرة تقابلها أن تقبلك على خدك. يا له من أمر محزن! لو أنك فعلت هذا وقمت بقليل من العناق والتقبيل فلن تمانع كثيرًا من أن يقوم الجميع بفعل ذلك!».

فقام (رون) بإخراج عصاه هو أيضًا مما جعل (هارى) يخطو سريعًا ويقف بينهما.

صاح (رون): «إنك لا تعرفين ما تتحدثين عنه!» وهو يحاول أن يجد فرصة ليطلق عصاه على (جينى) حول (هارى) الذى يقف الآن أمامها وذراعاه ممتدتان، وأكمل (رون) قائلاً: «إننى فقط لا أفعل ذلك على الملأ...!».

فصرخت (جينى) فى ضحكة ساخرة محاولة دفع (هارى) بعيدًا عن طريقها.

وقالت: «هل كنت تقبل (بيجويدجين)؟ أم إنك تحتفظ بصورة (أنتى موريل) مخبأة تحت وسادتك؟».

(رون): «أنت».

مر شعاع ضوء برتقالى أسفل ذراع (هارى) اليسرى ولكنه أخطأ (جينى) بعدة بوصات، مما جعل (هارى) يدفع (رون) فى اتجاه الحائط وهو يقول: «لا تكن غبيًا».

صاحت (جينى) وقد بدا من صوتها أنها على وشك البكاء: «لقد عانق (هارى) (تشو تشانج) وقبلها! وكذلك فعلت (هرميون) مع (فيكتور كروم).

إنك أنت الوحيد الذى يتصرف كما لو كان الأمر مقززًا يا (رون) لأن خبرتك فى ذلك لا تتعدى خبرة من يبلغ من العمر اثنى عشر عامًا!».

وهكذا ابتعدت (جينى) مندفعة كالريح وأسرع (هارى) بإطلاق سراح (رون) الذى ارتسمت على وجهه نظرة قاتلة. ووقف كلاهما هناك يتنفسان بعمق حتى ظهرت قطة (فيلتش)، السيدة (نوريس)، عند المنعطف مما أنهى التوتر.

قال (هارى): «هيا» عندما سمع وقع أقدام (فيلتش) تقترب.

فأسرعا بصعود السلم وعبرا ممر الدور السابع. وصاح (رون) فى وجه فتاة صغيرة قائلاً: «أنت، ابتعدى عن الطريق!» فقفزت فى خوف وسقطت منها زجاجة بيض الضفادع.

بالكاد لاحظ (هارى) صوت تحطم الزجاج، فقد كان يشعر بالارتباك وشرود الذهن كما لو كان قد صعق بالبرق، وقال لنفسه: *«إن ما تشعر به بسبب أنها أخت (رون) فقط. إنك لم تعجبك رؤيتها وهى تقبل (دين) لأنها أخت (رون)...»*.

ولكن لا إراديًا تراءت إلى ذهنه صورة الممر المهجور وهو يقبل (جينى) بدلاً من (دين)... فخار الوحش بداخل صدره... ثم رأى (رون) وهو يفتح الستارة المزينة بالرسوم ويسحب عصاه ضد (هارى) ويصيح قائلاً أشياء مثل «خيانة الأمانة»... «من المفترض أنك صديقى»...

قال (رون) فجأة: «هل تعتقد أن (هرميون) عانقت (كروم) وقبلته؟» وكانا قد وصلا إلى صورة السيدة البدينة، فشعر (هارى) بالذنب وأبعد عن خياله صورة رواق خال يتواجد فيه مع (جينى) وحدهما بدون تطفل (رون).

فقال (هارى) مرتبكًا: «ماذا؟ آه، ...أ ...».

كانت الإجابة الأمينة لسؤال (رون) هى «نعم» ولكنه لم يرِد قولها، إلا أن (رون) بدا كما لو كان قد قرأ ما هو أسوء على وجه (هارى).

فقال بصوت خافت لصورة السيدة البدينة: (ديليجروت) ثم عبرا فتحة الصورة داخلين إلى الغرفة العامة.

ولم يذكر أى منهما (هرميون) أو (جينى) مرة أخرى، بل إنهما بالكاد تحدثا معًا فى تلك الليلة وذهب كل منهما إلى سريره فى صمت وكل منهما غارق فى أفكاره الخاصة.

ظل (هارى) راقدًا وهو مستيقظ لفترة طويلة متفحصًا مظلة (كنة) السرير والصور الأربع الملصوقة عليها، محاولاً إقناع نفسه أن مشاعره نحو (جينى) لا تتعدى مشاعر الأخ الأكبر. فقد عاشا معًا كأخ وأخت طوال فترة الصيف يلعبان (الكويدتش) ويغيظان (رون) ويسخران من (بيل) و(مخاط). أليس كذلك؟ إنه يعرف (جينى) منذ سنوات... فمن الطبيعى أن يرغب فى حمايتها... وطبيعى أن يريد رعايتها... وأن يرغب فى تمزيق أوصال (دين) لأنه قام بتقبيلها... لا... يجب عليه أن يسيطر على هذا النوع بالذات من مشاعر الجماعة...

وأحدث (رون) غطيطًا عاليًا فى نومه.

قال (هارى) لنفسه بحزم: *إنها أخت (رون). نعم أخت (رون) ويحظر عليه الاقتراب منها*. يجب عليه ألا يخاطر بصداقته مع (رون) لأى سبب، ثم ضرب وسادته بيده لتصبح فى وضع أكثر راحة وانتظر قدوم النوم إليه، وأخذ يبذل أقصى جهده ليمنع أفكاره من الشرود والتفكير فى (جينى) من جديد.

استيقظ (هارى) فى اليوم التالى وهو يشعر بالقليل من الشرود والارتباك بسبب سلسلة الأحلام التى داهمته فى نومه والتى يطارده فيها (رون) بعصا الضاربين، ولكن بحلول منتصف النهار، تمنى لو يستطيع استبدال (رون) الحقيقى بذلك الذى رآه فى حلمه. فلم يكن يعامل (دين) و(جينى) بعداء فقط ولكنه بدأ فى معاملة (هرميون) المجروحة والمذهولة بلامبالاة باردة وساخرة. وأكثر من ذلك، فقد بدا

(رون) كما لو أنه تغير خلال الليل وأصبح نزقًا وسريع الغضب ومستعدًا للهجوم بعنف على أى شخص. وقضى (هارى) اليوم محاولاً الحفاظ على السلام بين (رون) و(هرميون) ولكنه لم يفلح. وأخيرًا ذهبت (هرميون) إلى فراشها وهى حانقة وغاضبة بشدة، أما (رون) فمشى متباطئًا باتجاه مبنى نوم الطلبة بعد أن سب بغضب عددًا من طلاب السنة الأولى الخائفين لأنهم نظروا إليه.

أما أكثر ما أفزع (هارى) فكان عدم زوال عدوانية (رون) الجديدة خلال الأيام القليلة التالية، والأسوأ من ذلك أن هذا تزامن مع انخفاض شديد فى مهاراته كحارس مرمى مما جعله أكثر عدوانية، حتى إنه فشل فى صد جميع الأهداف التى وجهها المطاردون إليه خلال تدريب (الكويدتش) الأخير قبل مباراة السبت، وأخذ يصرخ بشدة فى الجميع حتى جعل (ديميلزا روبينز) تبكى.

فصاح (بيكس) الذى يبلغ طوله ثلثى طول (رون) وإن كان يحمل بيده مضربًا ثقيلاً بالتأكيد، قائلاً: «اصمت واتركها لحالها!».

فصاح (هارى): «كفى!» ورأى (جينى) تحدق إلى اتجاه (رون) وتذكر شهرتها بالبراعة فى تأدية التعاويذ فحلق عاليًا ليتدخل قبل أن تخرج الأمور من بين يديه. وقال: «(بيكس) اذهب واجمع كرات البلادجر، وأنت يا (ديميلزا) استجمعى قواك فقد لعبت بشكل جيد اليوم، وأنت يا (رون)...» ثم انتظر (هارى) خروج بقية الفريق حتى يكونوا بعيدين عن مرمى السمع ثم قال: «أنت أفضل صديق لى، ولكن إذا لم تتوقف عن معاملة بقية الفريق بهذه الصورة، فإننى سوف أطردك من الفريق».

وفكر (هارى) للحظة أن (رون) على وشك أن يضربه فعلاً، ولكن ما حدث كان أسوأ من ذلك، فقد ارتخى (رون) فوق مكنسته وخارت قواه ثم قال: «أنا مستقيل. لقد أصبحت مثيرًا للشفقة».

فرد (هارى) بحماسة: «أنت لست مثيرًا للشفقة ولا مستقيلاً!».

وأمسك (رون) من مقدمة ملابسه وقال: «إنك تستطيع صد أية أهداف عندما تكون فى حالتك الطبيعية. إنها مجرد مشكلة ذهنية».

قال (رون): «هل تدعونى بالمصاب عقليًا؟».

فرد (هارى): «نعم، ربما أكون كذلك!».

فحملق أحدهما إلى الآخر فى غضب للحظة ثم هز (رون) رأسه بضجر. وقال: «أعلم أنه ليس لديك وقت لإيجاد حارس آخر؛ ولذلك سوف ألعب غدًا، ولكن إذا انهزمنا - وهذا ما سيحدث - سوف أطرد نفسى من الفريق».

لا شىء مما قاله (هارى) أحدث اختلافًا، فقد حاول تعزيز ثقة (رون) بنفسه أثناء تناول الغداء، ولكن (رون) كان مشغولاً جدًا بشعوره بالكآبة ورغبته فى لفت نظر (هرميون)، واستمر (هارى) فى محاولاته لتشجيع (رون) تلك الليلة بالغرفة العامة مؤكدًا له أن الفريق سيصاب بنكبة لو غادره (رون) ولكن حقيقة أن بقية الفريق جلسوا يتشاورون فى ركن بعيد، وكان من الواضح أنهم يغمغمون بشأن (رون) ويرمقونه بنظرات كريهة أذهبت أى تأثير لكلمات (هارى). وأخيرًا حاول (هارى) أن يغضب مجددًا محاولاً بذلك إثارة حفيظة (رون)، أملاً فى أن يتماسك ويتخذ موقفًا متحديًا مناسبًا لصد الأهداف، ولكن يبدو أن هذه الإستراتيجية لم تفلح مثلما حدث مع إستراتيجية التشجيع. فذهب (رون) إلى فراشه كئيبًا ويائسًا كما هو.

رقد (هارى) مستيقظًا لفترة طويلة فى الظلام. إنه لا يريد خسارة المباراة القادمة، ليس فقط لأن هذه أول مباراة له ككابتن للفريق، ولكنه قرر هزيمة (دراكو مالفوى) فى (الكويدتش) حتى لو لم تثبت شكوكه بشأنه بعد. ولكن إذا لعب (رون) بنفس المستوى الذى لعب به فى التدريبات الأخيرة فإن فرص الفوز ستكون ضعيفة جدًا...

لو كان هناك شىء يمكن عمله لجعل (رون) يستجمع نفسه... ويلعب بكامل لياقته... شىء يؤكد أن (رون) سيقضى يومًا جميلاً حقًا...

وجاءت الإجابة لـ(هارى) عبر إلهام صاعق مفاجئ.

وكان الإفطار هو الشيء المثير المعتاد في صباح اليوم التالي. كان فريق (سليذرين) يصدر صفيرًا وأصوات ازدراء عالية كلما دخل أحد أفراد فريق (جريفندور) إلى البهو العظيم، وألقى (هارى) نظرة سريعة لأعلى ليرى السماء صافية شاحبة الزرقة، وقال: «فأل حسن».

هللت مائدة (جريفندور) التي بدت ككتلة من اللونين الأحمر والذهبي عند وصول (هارى) و(رون)، ابتسم (هارى) ابتسامة عريضة ولوح بيده ولكن (رون) عبس وهز رأسه.

قالت (لافيندر): «ابتهج يا (رون)! أنا متأكدة أنك ستكون رائعًا».

لكن (رون) تجاهلها.

ثم سأله (هارى): «هل تود شرب شاى أم قهوة أم عصير القرع؟».

قال (رون) وهو يبدو مكتئبًا: «أى شيء» وقضم قطعة توست.

بعد بضع دقائق توقفت (هرميون) وهي في طريقها إلى أعلى المائدة حيث تعبت من تصرفات (رون) المزعجة مؤخرًا، حتى إنها لم تنزل لتناول الإفطار معهم.

وسألتهم مترددة وهي تنظر إلى خلفية رأس (رون): «كيف تشعران؟».

فأجاب (هارى) وهو مشغول بمناولة (رون) كوبًا من عصير القرع قائلاً: «بخير»، ثم أكمل: «خذ ذلك يا (رون) واشربه».

رفع (رون) الكوب على شفتيه وفي نفس اللحظة قالت (هرميون) بحدة: «لا تشرب ذلك يا (رون)».

فنظر كل من (هارى) و(رون) إليها.

وسأل (رون): «ولماذا لا أشربه؟».

فأخذت (هرميون) تحدق في (هارى) وهي تبدو غير مصدقة لما يحدث.

وقالت: «لقد وضعت شيئًا في هذا الشراب».

وقال (هارى): «معذرة، ماذا تقولين؟!».

(هرميون): «لقد سمعتني، لقد رأيتك تضع شيئًا ما في شراب (رون) ولاتزال تمسك بالزجاجة في يدك الآن!».

فقال (هارى) وهو يدس زجاجة صغيرة بسرعة فى جيبه:
«أنا لا أعرف عمٌ تتحدثين؟».
فأعادت (هرميون) تحذيرها مرة أخرى: «إنى أحذرك. لا تشرب من ذلك الكوب!» ولكن (رون) التقط الكوب وشربه مرة واحدة وقال: «توقفى عن إصدار الأوامر لى يا (هرميون)».
وبدت (هرميون) مصدومة كما لو أنها رأت فعلاً لا أخلاقيًا. وانحنت حتى لا يسمعها أحد سوى (هارى) وهمست قائلة: «يجب فصلك من أجل فعلتك. لا يمكننى أن أصدق أنك تفعل ذلك يا (هارى)».
فهمس لها: «ما هذا؟ من يقول ذلك؟ هل وثقت بأى شخص على الإطلاق مؤخرًا؟».
فاندفعت بعيدًا عنهم ورآها (هارى) تذهب بدون ندم. فلم تستطع (هرميون) أن تفهم أبدًا مدى جدية لعبة (الكويدتش). ثم التفتت إلى (رون) الذى كان يعض على شفتيه.
قال (هارى) بمرح: «لقد حان الوقت تقريبًا».
وتكسر النبات المثلج تحت أقدامهم أثناء مشيهم بخطى واسعة نازلين إلى أرض الملعب.
وسأل (هارى) (رون): «من حسن الحظ أن الجو جميل اليوم. أليس كذلك؟».
فأجاب (رون) الذى بدا مريضًا وشاحبًا: «نعم إنه كذلك».
وفى حجرة الملابس كانت (جينى) و(ديميلزا) منتظرتين، وقد ارتدتا ملابس (الكويدتش).
قالت (جينى) متجاهلة (رون): «تبدو الظروف مواتية. وخمن ماذا حدث؟ إن مطارد فريق (سليذرين) (فيزى) أصيب ببلادجر فى رأسه أمس أثناء التدريب وإصابته لا تسمح له باللعب، والأفضل من ذلك أن (مالفوى) مريض أيضًا».

فقال (هارى) وهو يستدير تجاهها ويحدق إليها: «*ماذا؟* هل هو مريض فعلاً؟ ماذا ألم به؟».

فأجابت (جينى) مبتهجة: «لا أعرف. ولكنه شيء عظيم بالنسبة لنا. سيجعلون (هاربر) يلعب بدلاً منه. إنه فى نفس الصف معى ولكنه أبله».

فرد عليها (هارى) بابتسامة مبهمة، ولكن عقله ذهب بعيدًا عن (الكويدتش) أثناء ارتدائه لملابسه القرمزية. لقد ادعى (مالفوى) من قبل أنه لا يستطيع اللعب بسبب جرح أصابه، ولكنه فى هذه المناسبة تأكد من تحديد موعد آخر للمباراة مناسب أكثر لفريق (سليذرين). فكيف يترك شخصًا آخر ليلعب بدلاً منه ببساطة الآن؟ هل هو مريض حقًا أم إنه يدعى ذلك؟

وقال بصوت خفيض لـ(رون): «شيء غريب، أليس كذلك؟ (مالفوى) لن يلعب؟».

فقال (رون) الذى أصبح أكثر حيوية: «إنه يوم حظنا» ثم استطرد قائلاً: «و(فيزى) غير موجود أيضًا، إنه أفضل هداف لديهم، أنا لست أحلم، أليس كذلك؟» ثم تجمد فجأة وهو يرتدى قفازات حارس المرمى وحملق إلى (هارى).

(هارى): «ماذا؟».

انخفض صوت (رون) وهو يقول: «أنا... أنت...» ويبدا عليه الخوف والإثارة. وقال: «ماذا عن شرابى... عصير القرع... إنك لم تفعل ذلك...؟».

رفع (هارى) حاجبيه ولم يقل شيئًا إلا: «سوف نبدأ خلال خمس دقائق، ومن الأفضل أن ترتدى حذاءك ذا الرقبة».

ومشيا فى اتجاه المنحدر وسط أصوات الازدراء والصراخ الصاخب. كان أحد طرفى الملعب لونه أحمر فى ذهبى وكان الطرف الآخر أخضر فى فضى. وكان من الواضح أن العديد من بيت (هافلباف) وبيت (رافينكلو) قد أخذوا أماكنهم أيضًا. ووسط كل ذلك الصياح استطاع (هارى) تمييز زئير قبعة (لونا لافجود) الشهيرة التى يعلوها أسد.

خطا (هارى) نحو مدام (هوتش) الحكم التى كانت تقف استعدادًا لإطلاق الكرات من القفص.

وقالت: «على قائدى الفريقين مصافحة بعضهما بعضًا» وشعر (هارى) بيده تسحق فى يد كابتن فريق (سليذرين) الجديد (أوركوهارت) ثم أضافت: «اعتلوا مكانسكم، وابدءوا مع الصفارة... ثلاثة... اثنان... واحد...».

وانطلقت الصفارة وانطلق (هارى) والآخرون بصعوبة من الأرض المتجمدة مبتعدين عنها.

وحلق (هارى) حول الحد الخارجى للملعب باحثًا عن (السنيتش) ومراقبًا بعينه الأخرى (هاربر) الذى كان يطير فى خط متعرج أسفل منه. وبعد ذلك سمعوا صوتًا مختلفًا عن المعلق المعتاد.

«حسنًا ها هم قد بدءوا. وأعتقد أننا جميعًا مندهشون من الفريق الذى جمعه (بوتر) هذا العام؛ فقد اعتقد الكثيرون أنه نظرًا لأداء (رونالد ويسلى) السيئ كحارس مرمى العام الماضى فإنه سيكون خارج الفريق هذا العام، ولكن بالطبع الصداقة الشخصية للكابتن تكون ذات نفع بالتأكيد...».

وقوبلت تلك الكلمات بالسخرية والتصفيق من طلاب (سليذرين) فى نهاية الملعب. مد (هارى) عنقه من على مكنسته للنظر تجاه منصة المعلق. كان هناك ولد أشقر طويل ونحيف ذو أنف معقوف واقفًا هناك يتكلم عبر مكبر الصوت السحرى الذى كان يتكلم به (لى جوردان) فى الماضى، وتعرف (هارى) على (زاكرياس سميث) الذى لا يحبه، وهو أحد لاعبى (هافلباف).

«آه، ها هى المحاولة الأولى لفريق (سليذرين) لإحراز هدف. إنه (أوركوهارت) يتحرك بسرعة إلى أسفل الملعب و...».

وانقلبت معدة (هارى).

«يصدها (ويسلى). حسنًا. فهو يكون محظوظًا أحيانًا كما أفترض...».

وغمغم (هارى) قائلاً: «هذا صحيح يا (سميث) فهو فعلاً محظوظ وهو

يبتسم لنفسه، بينما يغوص بعينيه بين المطاردين باحثًا حوله عن أى أثر لـ(سنيتش) أو (الكرة الذهبية) المراوغة.

وبعد مضى نصف ساعة من المباراة أحرز (جريفندور) ست نقاط مقابل صفر، وقام (رون) بعدد من الصدات الرائعة بعضها بواسطة أطراف قفازه، وأحرزت (جينى) أربعة أهداف من الستة التى أحرزها فريق (جريفندور). وأوقف ذلك تساؤل (زاكرياس): إن كان انضمام فردين من عائلة (ويسلى) بسبب حب (هارى) لهما؟ وبدأ بـ(بيكس) و(كوت) بدلاً منهما.

قال (زاكرياس) فى غطرسة: «بالطبع إن بنية (كوت) ليست البنية المطلوبة للضارب حيث يكون لديه عادة عضلات أكثر».

فنادى (هارى) على (كوت) وهو يطير مارًا بجواره: «اضرب البلادجر عليه!» ولكن (كوت) ابتسم ابتسامة عريضة واختار ضرب البلادجر التالية على (هاربر) بدلاً من ذلك الذى كان يمر بجوار (هارى) قادمًا من الاتجاه المقابل، وسر (هارى) لسماع صوت الضربة الذى يعنى أن الكرة قد أصابت هدفها.

بدا الأمر كما لو كان فريق (جريفندور) لا يخطئ أبدًا، واستمروا فى إحراز الأهداف مرة بعد أخرى، واستمر (رون) فى صد الأهداف بيسر واضح فى الناحية الأخرى من الملعب، وقد أصبح مبتسمًا الآن، وعندما حياه الجمهور لصده إحدى الكرات ببراعة واضحة بترديد أغنية قديمة محببة: «*(ويسلى) هو مليكنا*» تظاهر بأنه يقودهم من أعلى.

قال صوت حقير: «يعتقد أنه مميز اليوم، أليس كذلك؟» وكاد (هارى) يسقط من فوق مكنسته حيث اصطدم (هاربر) به بقوة متعمدًا، وقال: «أيها الخائن للدم....».

حدث ذلك خلف ظهر مدام (هوتش) الحكم، بالرغم من أن مشجعى (جريفندور) صاحوا فى الأسفل بغضب.. وفى الوقت الذى التفتت فيه

كان (هـاربر) قد ابتعد مسرعًا. وبرغم الألم فى كتفه أسرع (هـارى) وراءه مصرًا على أن يصدمه...

قال (زاكرياس سميث) عبر البوق: «أعتقد أن (هـاربر) أحد أعضاء فريق (سليذرين) رأى (الكرة الذهبية)! نعم بالتأكيد لقد رأى شيئًا لم يره (بوتر)!».

فكر (هـارى) أن (سميث) هذا أبله. ألم يلاحظ أنهما تصادما؟ ولكن فى اللحظة التالية بدت معدة (هـارى) كأنها ستسقط من السماء، لقد كان (سميث) محقًا وكان هو مخطئًا. إن إسراع (هـاربر) بالابتعاد لم يكن عشوائيًا. فقد لاحظ ما لا يلاحظه (هـارى). كانت (الكرة الذهبية) تحلق بسرعة فوقهم وهى تلمع فى وسط السماء الزرقاء الصافية.

أسرع (هـارى) وكانت الرياح تصفر فى أذنه حتى إنه لم يعد يسمع تعليق (سميث) أو الجمهور، ولكن (هـاربر) كان لا يزال أعلى منه. وكان فريق (جريفندور) قد أحرز مائة نقطة فقط. وإذا وصل (هـاربر) هناك أولاً يكون (جريفندور) قد خسر... والآن أصبح (هـاربر) قريبًا منها ومد يده ليمسك بها...

صاح (هـارى) فى يأس: «(هـاربر)، كم دفع لك (مالفوى) لتلعب بدلاً منه؟».

لم يعلم (هـارى) ما الذى دفعه لقول ذلك، ولكن (هـاربر) حاول الإمساك بالكرة الذهبية ولكنها انزلقت من بين أصابعه وعبر بجوارها تمامًا، فمال (هـارى) بشدة مقتربًا من الكرة الصغيرة المرفرفة وأمسك بها.

صاح (هـارى): «هيه» ثم استدار واندفع عائدًا فى اتجاه الأرض وقد رفع الكرة الذهبية عاليًا فى يده وما إن أدرك الجمهور ما حدث حتى صدرت صيحة عالية كادت تحجب صوت الصفارة التى تشير إلى انتهاء المباراة.

صاح (هـارى) الذى وجد نفسه محبوسًا وسط عناق جماعى فى الهواء مع بقية فريقه: «(جينى)، أين تذهبين؟» ولكن (جينى) أسرعت مارة بهم حتى

اصطدمت بمنصة المعلق بكل قوتها. ومع تصاعد صوت صراخ وضحك الجمهور، هبط فريق (جريفندور) إلى جانب حطام من الخشب يتحرك أسفله (زاكرياس) بصعوبة وسمع (هارى) (جينى) تقول بغير اكتراث للأستاذة (ماكجونجال): «نسيت أن أستخدم الفرامل يا أستاذة، أنا آسفة».

وانفصل (هارى) عن بقية الفريق وهو يضحك ليعانق (جينى) ولكنه تركها تذهب بسرعة وهو حريص على تجنب النظر إليها، وربت على ظهر (رون) المبتهج وبعد أن ذابت كل الخلافات، غادر فريق (جريفندور) الملعب وكل منهم يمسك بذراع الآخر فى الهواء وهم يلوحون لمشجعيهم.

وكان الجو داخل حجرة تبديل الملابس شديد الابتهاج.

صاح (دين) بحماس: «قال (سيموس): إننا سنحتفل فى الغرفة العامة، هيا يا (جينى) وأنت يا (ديميلزا)!».

كان (هارى) و(رون) آخر الباقين بحجرة تبديل الملابس وكانا على وشك الخروج عندما دخلت (هرميون). وكانت تمسك وشاح الفريق وتلويه بين يديها وكانت تبدو مضطربة ولكنها عاقدة العزم على شىء فى نفس الوقت.

فأخذت نفسًا عميقًا وقالت: «أريد التحدث معك يا (هارى)، كان ينبغى عليك ألا تفعل ذلك، لقد سمعت (سلجهورن) ما فعلته غير قانونى».

سألها (رون): «وما الذى ستفعلينه؟ هل ستبلغين عنا؟».

وسأل (هارى) وهو يبتعد لتعليق ملابسه حيث لا يستطيع كلاهما رؤيته وهو يبتسم: «عن ماذا تتحدثان؟».

فقالت (هرميون) بحدة: «أنت تعرف جيدًا عن ماذا نتحدث! لقد خلطت عصير (رون) بجرعة حظ على الإفطار! (فليكس فلسيس)!».

قال (هارى) عائدًا لمواجهتها: «لا لم أفعل».

(هرميون): «بل فعلت يا (هارى)؛ ولهذا سارت كل الأمور على ما يرام، حتى إن بعض لاعبى فريق (سليذرين) لم يشاركوا فى المبارة وصد (رون) كل شىء!».

قال (هارى) وهو يبتسم ابتسامة عريضة: «أنا لم أضعه!» ثم دس يده داخل جيب الجاكت وسحب الزجاجة الصغيرة التى رأتها (هرميون) فى يده هذا الصباح. لقد كانت مملوءة بجرعة ذهبية ولا تزال الفلينة محكمة الغلق بالشمع، ثم أكمل: «لقد أردت أن يعتقد (رون) أنى فعلت ذلك، لذلك فقد تظاهرت بالأمر عندما وجدتك تنظرين» ثم نظر إلى (رون) وقال: «لقد قمت بصد كل تلك الكرات لأنك اعتقدت أنك محظوظ. لقد فعلت كل شىء بنفسك».

ثم دس الزجاجة فى جيبه مرة أخرى.

قال (رون) وهو يبدو مذهولاً: «هل حقًا لم تضع شيئًا فى عصيرى؟ ولكن الجو كان جميلاً... ولم يستطع (فيزى) اللعب... أنا لم أتناول حقًا جرعة حظ؟».

هز (هارى) رأسه بالنفى، ووقف (رون) مشدوهًا للحظة ثم استدار إلى (هرميون) مقلدًا صوتها، وقال: «*لقد أضفت (فليكس فلسيس) لعصير (رون) هذا الصباح؛ ولذلك فقد قام بصد كل شىء...!* أرأيت يمكننى صد الكرات بدون مساعدة يا (هرميون)».

(هرميون): «أنا لم أقل: إنك لا تستطيع يا (رون)، ولكنك اعتقدت أنك تناولتها أيضًا!».

لكن (رون) خطا مارًا بها ليخرج من الباب ومكنسته فوق كتفه.

وقال (هارى) وسط الصمت المفاجئ وهو غير متوقع أن تعطى خطته مثل هذه النتائج السلبية: «هيا، فلنصعد لحضور الحفل؟».

فقالت (هرميون) وهى توشك على البكاء: «لا، اذهب أنت، إننى منزعجة من (رون) الآن، ولا أدرى ماذا كان يجب على فعله...!».

وخرجت مندفعة من حجرة تبديل الملابس أيضًا.

مشى (هارى) ببطء عائدًا إلى الفناء ومتجهًا منه إلى القلعة. ومر بالطلبة المتجمهرين، فصاح العديد منهم مهنئًا إياه ولكنه مع ذلك ظل

يشعر بالإحباط. لقد كان متأكدًا أنه حال فوز (رون) بالمباراة، سيعود هو و(هرميون) أصدقاء فورًا. ولا يعرف كيف يمكن أن يشرح لـ(هرميون) أن ما فعلته لجرح مشاعر (رون) ـ كان تقبيل (فيكتور كروم) ـ خاصة أن هذه الإساءة حدثت منذ زمن طويل.

لم يتمكن (هارى) من رؤية (هرميون) فى احتفال (جريفندور) الذى كان على أشده حين وصوله، فتجددت الهتافات والتصفيق تحية لظهوره، ثم سرعان ما أحاطت به مجموعة من الناس ليهنئوه. وقضى وقتًا طويلاً وهو يحاول التملص من الإخوة (كريفى) الذين أرادوا تحليلاً تفصيليًا للمباراة، والتخلص من مجموعة الفتيات الكبيرات اللائى أحطن به وأخذن يضحكن على تعليقاته مهما كانت غير مسلية، وهن يغمزن بأعينهن قبل أن يبدأ فى البحث عن (رون)، وأخيرًا خلص نفسه من (روميلدا فان) التى لمحت بشدة إلى رغبتها فى الذهاب معه إلى حفل (سلجهورن) بمناسبة الكريسماس، وبينما كان متجهًا إلى مائدة المشروبات التقى بـ(جينى) وكان (أرنولد) الـ(بيجمى بوف) يقف على كتفها بينما يصدر القط (كروكشانكس) مواء عند قدميها.

فسألته مبتسمة بتكلف: «هل تبحث عن (رون)؟ إنه هناك، يا له من منافق قذر».

نظر (هارى) إلى الركن الذى تشير إليه. فشاهد (رون) يقف على مشهد مِن جميع مَن فى الغرفة وهو مطوق (لافيندر براون) بشدة لدرجة يصعب معها تمييز يديها من يده.

فقالت (جينى) بلهجة غير ودية: «إنه يبدو كما لو كان يأكل وجهها. أليس كذلك؟ ولكنى أعتقد أن عليه أن يحسن من أسلوبه بصورة ما. المباراة جيدة يا (هارى)».

ثم ربتت على ذراعه مما جعل (هارى) يشعر بانقباض شديد داخل معدته، ولكنها ذهبت بعد ذلك لإحضار شراب لنفسها، وهرول القط خلفها وعيناه الصفراوان مركزتان على (أرنولد).

التفت (هارى) بعيدًا عن (رون)، الذى بدا أنه لن يفيق قريبًا. فرأى فتحة اللوحة تغلق، واجتاحه شعور بالضيق لأنه اعتقد أنه رأى كتلة كثيفة من الشعر البنى وهى تختفى بسرعة عن نظره.

اندفع (هارى) للأمام متخذًا خطوة إلى الجنب ليتفادى (روميلدا فان) مرة أخرى ثم فتح صورة السيدة البدينة، ولكنه وجد الرواق يبدو خاليًا.

(هارى): «(هرميون)؟».

ووجدها فى أول فصل غير مغلق حاول دخوله. كانت جالسة على مكتب المدرس بمفردها. لم يكن معها إلا مجموعة من الطيور الصفراء المغردة الصغيرة التى كانت تحوم حول رأسها فى حلقة، وكان من الواضح أنها استحضرتهم من الهواء باستخدام السحر، ورغم أن الوقت لم يكن مناسبًا، لم يستطع (هارى) إلا أن يعجب بقدراتها السحرية الرائعة.

قالت (هرميون) فى صوت منفعل: «آه، أهلاً يا (هارى)، لقد كنت أتدرب فقط».

فرد (هارى): «آه! إنهم ـ أأأأ ـ فعلاً رائعون».

لم يعرف (هارى) ماذا يقول لها، وكان يتساءل: إن كان هناك أى احتمال لعدم رؤيتها لـ(رون) أو أنها غادرت الغرفة لأن الحفل لم يعجبها فقط، ولكنها قالت بصوت مرتفع وبصورة غير طبيعية: «يبدو أن (رون) يستمتع بالحفل كثيرًا».

فقال (هارى): «هل هو كذلك؟».

ردت (هرميون): «لا تتظاهر بأنك لم تره، فهو لم يكن يحاول الاختفاء حتى...».

انفتح الباب خلفهما فجأة وفزع (هارى) حين وجد (رون) يدخل ضاحكًا وهو يجذب (لافيندر) من يدها.

قال (رون): «آه» وتوقف قليلاً عندما رأى (هارى) و(هرميون).

قالت (لافيندر): «ياه» ثم خرجت من الغرفة مقهقهة وانغلق الباب وراءها.

وساد الغرفة صمت عارم ومريع حيث كانت (هرميون) تحدق إلى (رون) الذى رفض النظر إليها، ولكنه قال فى خليط غريب من التبجح وقلة الذوق: «أين أنت يا (هارى)؟ لقد كنت أتساءل أين ذهبت!».

نزلت (هرميون) من على المكتب واستمرت مجموعة الطيور الذهبية فى التغريد والطيران فى دوائر حول رأسها مما جعلها تبدو مثل نموذج ريشى غريب للمجموعة الشمسية.

وقالت بهدوء: «عليك ألا تترك (لافيندر) تنتظرك كثيرًا بالخارج. حتى لا تتساءل أين ذهبت وتركتها».

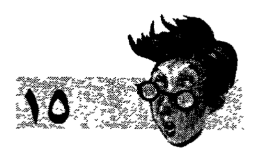
ثم مشت باعتدال وبطء شديد فى اتجاه الباب. ونظر (هارى) إلى (رون) فوجده يبدو مرتاحًا بانتهاء الأمور عند هذا الحد وعدم حدوث ما هو أسوأ.

ولكنها ما أن وصلت إلى مدخل الباب، حتى صاحت: «*(أوبوجنو)!*».

والتفت (هارى) ليجد (هرميون) تشير بعصاها تجاه (رون) وتعبير وجهها يبدو وحشيًا، ووجد مجموعة الطيور تندفع مثل سيل من الطلقات الذهبية السمينة متجهة نحو (رون) الذى صرخ ورفع يديه ليحمى بهما وجهه، ولكن الطيور هاجمته وأخذت تنقر وتخدش كل جزء تستطيع الوصول إليه من جسده.

فصاح (رون): «أبعديهم عنى!» ولكنها رمقته بنظرة حقود غاضبة أخيرة وسحبت الباب بقوة لتفتحه ثم اختفت خلاله، واعتقد (هارى) أنه سمع صوت نشيج قبل أن تغلق الباب وراءها بعنف.

■ ■ ■



١٥ القسم الذى لا يمكن الحنث فيه

مرة أخرى كان الثلج يدور فى دوامات أمام النوافذ الباردة جدًا، ومع اقتراب أعياد الكريسماس بسرعة، قام (هاجريد) وحده بإحضار شجرات الكريسماس الاثنتى عشرة المعتادة لتزيين البهو العظيم، وكانت أكاليل الزهور وأوراق الشجر وفروع ورق الزينة قد تم لفها حول درابزين السلالم فى كل مكان. والشموع التى لا تنطفئ، تشع من داخل خوذات الدروع الحديدية، وعناقيد نبات الدبق متدلية من الأسقف على مسافات متقاربة فى الدهاليز. وفى كل مرة يمر فيها (هارى) فى الدهاليز يجد جماعات من الفتيات متجمعات تحت عناقيد نبات الدبق مما يسد الطريق أمامه. ولكن لحسن الحظ، كانت كثرة تجوال (هارى) داخل القلعة خلال الأمسيات قد جعلته خبيرًا بكل دهاليزها السرية، فكان ينتقل بين الفصول الدراسية بدون مشاكل فى دهاليز خالية من العناقيد المتدلية.

وانفجر (رون) ضاحكًا عند سماعه بذلك، رغم أنه ـ ربما فيما مضى ـ كان يجد اضطرار (هارى) إلى اللجوء للدهاليز السرية للقلعة دافعًا للغيرة أكثر منه للمرح. ورغم أن (هارى) كان يفضل (رون) الجديد الضاحك المازح عن (رون) السابق الذى اضطر لتحمل حزنه الدائم وعدائه طوال الأسابيع الماضية، إلا أن هذا التحسن فى شخصيته كان له ثمن فادح، فأولاً: كان على (هارى) أن يتأقلم مع الوجود الدائم لـ(لافيندر براون) التى بدت كأنها تعتقد أن أى لحظة تمر دون أن يقبلها فيها (رون) لحظة ضائعة، وثانيًا: أن (هارى) وجد نفسه ثانية الصديق المقرب لشخصين يبدو من غير المحتمل أن يتكلما معًا مرة أخرى.

وكان (رون) الذى مازالت يداه وذراعاه مليئة بالخدوش والجروح التى سببها هجوم طيور (هرميون) عليه - دائمًا ما يتكلم بلهجة دفاعية ساخطة.

قال لـ(هارى): «ليس لديها الحق فى الشكوى. لقد قبلت (كروم) وعانقته، والآن وجدت أن هناك شخصًا ما يريد أن يعانقنى ويقبلنى أنا أيضًا. حسنًا، إنه بلد حر وأنا لم أفعل أى شىء خطأ».

لم يجبه (هارى) وتظاهر أنه منهمك فى قراءة كتاب *(الخلاصة: بحث)* الذى كان مفروضًا عليهم إنهاء قراءته قبل محاضرة التعاويذ فى اليوم التالى. وكان (هارى) مصرًا على أن يحافظ على صداقته لكل من (رون) و(هرميون)، لذلك كان يقضى معظم الوقت بدون أن يفتح فمه.

تمتم (رون): «أنا لم أعِد (هرميون) بأى شىء، أعنى حسنًا، كنت سأذهب معها إلى حفل الكريسماس الخاص بـ(سلجهورن) ولكنها لم تقل... كنا سنذهب كأصدقاء... فأنا حر فيما أفعله...».

قلب (هارى) صفحة من كتاب *(الخلاصة)* وهو مدرك أن (رون) يراقبه وانخفض صوت (رون) حتى أصبح همسًا مسموعًا بالكاد بسبب صوت طقطقة نيران المدفأة، ولكن (هارى) اعتقد أنه سمع كلمات مثل (كروم ولا يحق لها أن تشتكى مرة أخرى.

كان جدول (هرميون) مزدحمًا طوال الوقت، حتى إن (هارى) لم يكن يجد وقتًا للكلام معها إلا فى الأمسيات عندما يكون (رون) على أية حال مقيدًا بشدة حول (لافيندر) لدرجة لا يمكنه معها ملاحظة ما يفعله (هارى). وكانت (هرميون) ترفض الجلوس فى الغرفة العامة عندما يكون (رون) هناك. وهكذا كان (هارى) عادة ما ينضم إليها فى المكتبة مما يعنى أن أحاديثهما كانت تدور على شكل همس.

قالت (هرميون): «إنه حر تمامًا فى تقبيل من يحب تقبيله»، وكانت مدام (بينس) أمينة المكتبة تتجول بين رفوف الكتب خلفهم وأضافت (هرميون): «وأنا لا أهتم بالمرة».

ورفعت ريشتها ووضعت نقطة فوق أحد الحروف بقوة شديدة لدرجة أنها ثقبت الرقعة التى تكتب عليها. ولكن (هارى) لم يقل شيئًا، وفكر أن صوته سوف يختفى قريبًا وأن حنجرته قد تصدأ من قلة الكلام، وانحنى قليلاً فوق كتاب *(المستوى المتقدم فى تحضير الوصفات السحرية)* واستمر فى كتابة ملاحظات حول الإكسيرات الثابتة، وكان يتوقف أحيانًا ليحاول تتبع الإضافات المفيدة الخاصة بالأمير لنص (ليباتيوس بوراج).

قالت (هرميون) بعد عدة لحظات: «بالمناسبة، يجب أن تكون حذرًا».

قال (هارى) بصوت هامس مبحوح قليلاً بعد ثلاثة أرباع الساعة من الصمت: «أنا لن أعيد الكتاب، لقد تعلمت الكثير من الأمير الهجين أكثر مما تعلمت من (سناب) أو (سلجهورن) بكثير».

قالت (هرميون): «أنا لا أتكلم عن ذلك الغبى الذى تطلق عليه الأمير» ونظرت إلى الكتاب بازدراء وكأنه يستفزها وأضافت: «أنا أتكلم عما حدث اليوم قبل أن آتى إلى هنا، فقد التقيت مجموعة من الفتيات مصادفة فى الحمام وكان هناك حوالى دستة من الفتيات هناك بما فيهن (روميلدا فان) يحاولن أن يقررن أفضل طريقة لجعلك تشرب وصفة للحب. وجميعهن يأملن أن تدعوهن إلى حفلة (سلجهورن) ويبدو أنهن جميعًا قد اشترين وصفات للحب من متجر (فريد) و(جورج) وأخشى أن يكون لها تأثير بالفعل».

فسألها (هارى): «لماذا لم تصادريها منهن» فقد كان من غير المعقول أن يتغير هوس (هرميون) بالالتزام بالقواعد، أو يتركها فى هذه اللحظة الحرجة.

قالت (هرميون) هازئة: «إنهن لم يكنّ يحملن الوصفات معهن فى الحمام. كن فقط يدرسن الخطط، وأشك أنه حتى الأمير الهجين...» ثم ألقت نظرة ازدراء أخرى على الكتاب وأكملت: «...يمكن أن يبتكر ترياقًا

ضد تأثير اثنتى عشرة وصفة حب معًا؛ لذلك فمن الأفضل أن تسرع باختيار فتاة للذهاب معك، وهكذا سوف تتوقف الأخريات عن الاعتقاد بأن لديهن فرصة، فالحفلة غدًا مساءً وقد أصابهن اليأس».

فتمتم (هارى): «لا يوجد من أريد دعوته» كان مازال يحاول أن يمنع نفسه من التفكير بـ(جينى) ولكن بدون فائدة. ناهيك عن أنها دأبت على زيارة أحلامه حتى إنه كان سعيدًا جدًّا أن (رون) لا يمكنه أداء (اليجيمنسى).

قالت (هرميون) بتجهم: «حسنًا، فقط كن على حذر مما تشربه؛ لأن (روميلدا فان) كانت تبدو جادة فى الأمر».

لفت (هرميون) الرقعة الطويلة التى كانت تكتب عليها مقالة الرياضيات السحرية واستمرت فى الكتابة بريشتها. وأخذ (هارى) يراقبها وعقله سارح بعيدًا جدًّا.

ثم قال ببطء: «انتظرى قليلاً، لقد اعتقدت أن (فيلتش) قد منع دخول أى شىء تم شراؤه من (ويسلى ويزرد ويزيس)».

سألت (هرميون) ومازال تركيزها على المقالة التى تكتبها: «ومنذ متى كان أحد يبالى بما منعه (فيلتش)؟».

فرد (هارى): «ولكننى كنت أعتقد أن كل البوم يتم تفتيشه. فكيف استطاعت تلك الفتيات إحضار وصفات الحب داخل المدرسة؟».

فقالت (هرميون): «يقوم (فريد) و(جورج) بإرسالها داخل زجاجات عطور أو وصفات علاج السعال. فهذا جزء من خدمات توصيل البوم لديهم».

(هارى): «إنك تعرفين الكثير عن الأمر».

رمته (هرميون) بنفس نظرة الازدراء التى سبق وألقتها على نسخته من كتاب *(المستوى المتقدم فى تحضير الوصفات)*.

وقالت ببرود: «لقد كان كل ذلك مكتوبًا على ظهر الزجاجة التى شاهدناها أنا و(جينى) فى الصيف، فأنا لست من النوع الذى يتدنى لدرجة وضع وصفات فى شراب الناس... أو يتظاهر بذلك، وهو شىء على نفس الدرجة من السوء...».

قال (هارى) بسرعة: «حسنًا، ليس هذا هو المهم، أعنى أن (فيلتش) يتم خداعه، أليس كذلك؟ تلك الفتيات يدخلن أشياء إلى داخل المدرسة متنكرة فى شكل أشياء أخرى، لماذا إذن لا يستطيع (مالفوى) إدخال العقد إلى داخل المدرسة؟».

(هرميون): «آه... ليس هذا الأمر ثانية يا (هارى)؟».

تساءل (هارى): «اسمعينى فقط... لم لا؟».

تنهدت (هرميون) وقالت: «انظر، هناك أجهزة استشعار خفية لكشف السحر واللعنات والتعاويذ المخفية، أليس كذلك؟ تستخدم لكشف السحر الأسود والأشياء التى لها علاقة به. وكان يجب أن تلتقط لعنة قوية مثل التى كانت على هذا العقد خلال ثوان. ولكن شيئًا تم وضعه فى الزجاجة الخطأ لا يحس، وعلى أية حال وَصفات الحب ليست سحرًا أسود أو خطيرًا».

فغمغم (هارى) وهو يفكر بـ(روميلدا فان): «من السهل عليكِ قول ذلك».

وأكملت (هرميون): «وهكذا سيكون الأمر مرهونًا بمقدرة (فيلتش) على اكتشاف أنها ليست وصفة لعلاج السعال، وهو ليس ساحرًا جيدًا وأشك أن يكون بمقدوره التفرقة بين وصفة وأخرى».

وتوقفت (هرميون) عن الكلام فجأة، وقد أدرك (هارى) أيضًا أن شخصًا تحرك مقتربًا منهما من الخلف بين رفوف الكتب السوداء. وانتظرا وبعد لحظة ظهرت مدام (بينس) بوجهها الذى يشبه النسر عند المنعطف. كانت خدودها غائرة وجلدها يشبه رقع الكتابة الجلدية، وكان المصباح الذى تمسكه بيدها يلقى بضوئه على أنفها الطويل المعقوف.

وقالت: «المكتبة أغلقت الآن ـ أرجو أن تعيدا أى شىء استعرتماه إلى الرف. *ما الذى فعلته بهذا الكتاب، أيها الولد المُفسد؟*».

خطف (هارى) نسخته من كتاب *(المستوى المتقدم فى تحضير الوصفات)* من فوق الطاولة عندما حاولت أن تمسكه بيدها التى تشبه المخلب، وقال بسرعة: «إنه ملكى ولم أستعره من المكتبة».

فقالت بصوت الفحيح: «أفسدته! دنسته! لوثته!».

قال (هارى) وهو ينتزع الكتاب بقوة من قبضتها: «إنه مجرد كتاب تمت الكتابة فيه!».

بدت كأنها على وشك الإصابة بنوبة قلبية؛ فأسرعت (هرميون) تجمع أشيائها، وشدت (هارى) من ذراعه وقادته بعيدًا.

وقالت: «سوف تمنعك من دخول المكتبة لو لم تكن حريصًا. لم يكن عليك إحضار هذا الكتاب الغبى معك؟».

قال (هارى): «ليس ذنبى أنها تزعق بجنون يا (هرميون)، أم أنك تظنين أنها سمعتك وأنت تتكلمين عن (فيلتش) بطريقة سيئة؟ لقد اعتقدت دومًا أن هناك شيئًا ما يحدث بينهما...».

(هرميون): «حقًا، ها ها...».

كانوا سعداء أن بإمكانهما الكلام بطريقة طبيعية مرة أخرى، فأخذا طريقهما عبر الدهاليز المهجورة التى تنيرها المصابيح عائدين إلى الغرفة العامة وهم يتجادلان عما إذا كان (فيلتش) ومدام (بينس) يحب أحدهما الآخر سرًا بالفعل.

قال (هارى) للسيدة البدينة: «(بوبليس)» كانت هذه كلمة السر الجديدة للأعياد.

ردت السيدة البدينة بنظرة مداعبة: «وأنت طيب» ثم تأرجحت إلى الأمام لتسمح لهما بالدخول.

وما أن دخل (هارى) من خلال فتحة اللوحة حتى بادرته (روميلدا فان) قائلة: «أهلاً يا (هارى)، ما رأيك فى مشروب جيليووتر؟».

فنظرت (هرميون) له نظرة من فوق كتفها كأنها تقول له: «ألم أقل لك؟».

قال (هارى) بسرعة: «لا، شكرًا، فأنا لا أحبه كثيرًا».

قالت (روميلدا): «حسنًا، خذ هذا على أية حال» ودفعت إلى يده صندوقًا وأضافت: «إنها شيكولاتة (المراجل)، يوجد داخلها مكسرات (فايرويسكى) وقد أرسلته جدتى إلى ولكننى لا أحبه».

قال (هارى): «حسنًا، أشكرك كثيرًا» لم يستطع (هارى) أن يفكر فى شىء آخر يقوله، وأضاف: «هه... لقد كنت فقط أمر من هنا مع...».

وأسرع وراء (هرميون) وأخذ صوته يخفت.

قالت (هرميون) بإيجاز: «ألم أقل لك، سيكون عليك فى وقت قريب أن تطلب من أحد، وعما قريب سوف يتركونك فى حالك عندئذ ويمكنك...».

ولكن وجهها تحول فجأة وأصبح خاليًا من التعبير فى اللحظة التى التقت عيناها بمنظر (رون) و(لافيندر) وهما ملتصقان معًا فى نفس المقعد ذى الذراعين.

قالت (هرميون): «حسنًا، تصبح على خير يا (هارى)» رغم أن الوقت كان مازال السابعة مساءً، واتجهت إلى مبنى النوم المخصص للفتيات دون أن تضيف كلمة أخرى.

ذهب (هارى) إلى سريره وهو يحاول تهدئة نفسه بأنه لم يبق إلا يوم واحد من الدروس والمعاناة، بالإضافة إلى حفل (سلجهورن)، طبعًا حيث سيغادر بعدها هو و(رون) عائدين إلى الجحر. وفكر أنه أصبح من المستحيل الآن أن يتصالح (رون) و(هرميون) معًا قبل أن تبدأ الإجازة، ولكن ربما تعطيهما فترة الإجازة وقتًا للهدوء والتفكير بشكل أفضل فى سلوكهما...

ولكن آماله لم تكن مرتفعة، بل إنها انخفضت أكثر بعد أن حضرا معًا محاضرة مادة التحويل فى اليوم التالى، فقد كانا قد بدأا فى دراسة موضوع صعب جدًا وهو التحويل البشرى، وكانا يعملان أمام المرايا وكان من المفترض أن يغيرا لون حواجبهما، فضحكت (هرميون) بطريقة غير لطيفة من المحاولة الأولى الفاشلة لـ(رون) حيث استطاع بطريقة ما أن يصنع لنفسه شاربًا عجيبًا على جانبى وجهه، فثأر منها (رون) بأن قام بتقليد طريقتها فى القفز واقفة ثم جالسة فى كل مرة تسأل فيها الأستاذة (ماكجونجال) سؤالاً بأسلوب فظ، وإن كان مماثلاً لطريقتها بالفعل، وقد وجدت (لافيندر) و(بارفاتى) الأمر مضحكًا بشدة مما جعل

(هرميون) تدمع وتسرع خارجة من الفصل لحظة رنين الجرس تاركة نصف حاجاتها خلفها، وفكر (هارى) فى أنها تحتاج إليه أكثر من (رون) فجمع باقى حاجاتها وتبعها.

وأخيرًا وجدها وهى خارجة من حمام الفتيات فى الطابق الأسفل وكانت (لونا لافجود) بصحبتها، تربت على ظهرها بتعاطف.

قالت (لونا): «آه، أهلاً يا (هارى)، هل تعلم أن أحد حاجبيك لونه أصفر فاتح؟».

رد (هارى): «أهلاً يا (لونا) وأنت يا (هرميون)، لقد تركت حاجاتك...».

ومد يده إليها بكتبها.

قالت (هرميون) بصوت مختنق: «آه، نعم» ثم أخذت أشياءها واستدارت مبتعدة بسرعة لتخفى عنه حقيقة أنها كانت تمسح عينيها الدامعتين فى حقيبة أقلامها وهى تقول: «شكرًا يا (هارى). حسنًا، من الأفضل أن أذهب...».

وأسرعت بالابتعاد بدون أن تعطى لـ(هارى) وقتًا كافيًا ليحاول أن يتكلم معها أو يهدئها رغم أنه فى الحقيقة لم يكن يستطيع التفكير بشىء يقوله لها.

قالت (لونا): «إنها متضايقة قليلاً، لقد اعتقدت فى البداية أنها (ميريل) الباكية عندما سمعتها بالداخل، ولكن اتضح أنها (هرميون) وقالت شيئًا عن أن (رون ويسلى) قد...».

قال (هارى): «نعم، لقد حدث بينهما مشادة».

قالت (لونا) وهما يسيران معًا عبر الدهليز: «إنه أحيانًا يقول أشياء مضحكة جدًا، أليس كذلك؟ ولكنه أحيانًا ما يكون فظًا فى بعض الأوقات. لقد لاحظت ذلك العام الماضى».

قال (هارى): «على ما أعتقد...» كانت (لونا) تظهر براعتها المعتادة فى ذكر الحقائق بصراحتها المزعجة، إنه لم يلتق أبدًا من قبل بشخص يشبهها. وأكمل (هارى) قائلاً: «...هل قضيت فصلاً دراسيًا جيدًا؟».

قالت (لونا): «آه، لقد كان على ما يرام وإن كنت قد شعرت بالوحدة قليلاً بدون دروس الدفاع عن النفس ضد فنون الظلام. ولكن (جينى) كانت لطيفة معى جدًا حتى إنها أوقفت ولدين فى حصة التحويل عن مناداتى بـ(لونى المجنونة) فى أحد الأيام».

(هارى): «ما رأيك فى الذهاب معى إلى حفل (سلجهورن) الليلة؟».

انطلقت الكلمات من فم (هارى) قبل أن يستطيع إيقافها؛ لقد سمع نفسه يقولها كما لو أن شخصًا غريبًا يتكلم.

أدارت (لونا) عينيها البارزتين فى اتجاهه وهى تشعر بالمفاجأة، وقالت: «حفلة (سلجهورن)؟ معك؟».

قال (هارى): «أجل، من المفترض أن ندعو ضيوفنا معنا، لذلك اعتقدت أنك قد تحبين... أعنى...».

وكان (هارى) يريد أن تكون نواياه واضحة فأضاف: «أعنى، كأصدقاء فقط، أتفهمين ما أقصده؟ ولكن إذا كنت لا تريدين...».

كان بالفعل يكاد يتمنى ألا توافق.

قالت (لونا) وهى تبتسم بطريقة لم يرها تبتسم بها من قبل: «آه، لا، أحب أن أذهب معك كأصدقاء، لم يدعنى أحد للذهاب إلى حفل من قبل كصديقة! هل هذا هو السبب الذى جعلك تصبغ حاجبك؟ أعنى من أجل الحفل.. هل أقوم بصبغ حاجبى أنا أيضًا؟».

قال (هارى) بثبات: «لا، كان هذا خطأ، سوف أجعل (هرميون) تصلحه لى، حسنًا إذن، سوف أقابلك فى بهو الدخول فى الساعة الثامنة».

صرخ صوت من فوق رأسيهما: «ماذا!».

حتى إن كليهما قفز فزعًا، فبدون أن يلاحظا مرًا بالضبط من تحت (بيفز) الذى كان متدليًا من قدميه فى وضع رأسى من إحدى الثريات وهو ينظر إليهما مبتسمًا بخبث.

وأخذ يقول: *«(بوتى) دعا (لونى) إلى الحفل! (بوتى) يحب (لونى)! (بوتى) يحب (لونى)!».*

وانطلق مبتعدًا وهو يقهقه ويصيح: «(بوتى) يحب (لونى)!».

قال (هارى): «من الرائع أن نستطيع الحفاظ على خصوصياتنا» وهكذا وفى وقت لا يذكر، بدا أن المدرسة كلها عرفت أن (هارى بوتر) سوف يأخذ (لونا لوفجود) إلى حفل (سلجهورن).

قال (رون) بعدم تصديق على العشاء: «كان يمكنك أن تأخذ أى فتاة! أى فتاة! وأنت اخترت (لونى لوفجود)؟».

قالت (جينى) وهى تمر من وراء (هارى) للانضمام إلى أصدقائها: «لا تَدْعُهَا هكذا يا (رون)، أنا مسرورة أنك سوف تأخذها معك يا (هارى)، إنها سعيدة جدًا بالذهاب معك».

ومشت (جينى) بجانب المائدة حتى جلست بجوار (دين)، وحاول (هارى) أن يسعد لأن (جينى) سعيدة، إنه سوف يأخذ (لونا) معه إلى الحفل ولكنه لم يستطع النجاح فى ذلك، وبعيدًا عنهم بطول المائدة كانت (هرميون) تجلس وحدها وهى تلعب بطعامها، ولاحظ (هارى) أن (رون) ينظر إليها خلسة.

اقترح (هارى) بصراحة جافية: «يمكنك أن تعتذر لها».

غمغم (رون): «ماذا، ويهاجمنى سرب آخر من الكناريا؟».

قال (هارى): «لماذا قمت بتقليدها بهذا الشكل؟».

(رون): «لقد ضحكت من شكل شاربى!».

(هارى): «وكذلك فعلت أنا، كان أغبى شىء رأيته فى حياتى».

ولكن (رون) بدا كأنه لم يسمع ما قيل؛ فقد وصلت (لافيندر) مع (بارفاتى) التى أفسحت مكانًا لنفسها بين (هارى) و(رون) ووضعت (لافيندر) ذراعها حول عنق (رون).

قالت (بارفاتى): «أهلاً يا (هارى)» كانت مثله تشعر بالحرج والملل من تصرفات صديقيهما.

قال (هارى): «أهلاً، كيف حالك؟ إذن سوف تبقين فى (هوجوورتس)؟ لقد سمعت أن والديك يريدان أن تتركيها».

قالت (بارفاتى): «لقد نجحت فى إقناعهما بالعدول عن الأمر فى الوقت الحالى، لقد أفزعهما ما حدث لـ(كاتى) ولكن بما أن شيئًا لم يحدث من وقتها... آه، أهلاً يا (هرميون)!».

ابتسمت (بارفاتى) بإشراق، وأدرك (هارى) أنها تشعر بالذنب لأنها ضحكت على (هرميون) فى محاضرة التحويل. والتفت (هارى) ليجد (هرميون) تبتسم لها بالمقابل ربما بطريقة أكثر إشراقًا، ففكر فى أنه أحيانًا ما تكون الفتيات فى منتهى الغرابة.

قالت (هرميون) متجاهلة (رون) و(لافيندر) تمامًا: «أهلاً يا (بارفاتى)! هل ستذهبين إلى حفل (سلجهورن) الليلة؟».

قالت (بارفاتى) بحزن: «للأسف لم يدعنى أحد، رغم أننى كنت أود لو كان بإمكانى الذهاب، يبدو أنها ستكون رائعة فعلاً... إنك ذاهبة أليس كذلك؟».

ردت (هرميون): «أجل، سوف ألتقى (كورماك) فى الثامنة وسوف...».

كان هناك صوت مثل مضخة تسحب من حوض مسدود، وبدا أن (رون) قد انتبه، ولكن (هرميون) تصرفت كما لو أنها لم ترَ أو تسمع شيئًا.

وأكملت: «سوف نذهب إلى الحفل معًا».

قالت (بارفاتى): «(كورماك)؟ أتقصدين (كورماك ماكلاجين)؟».

قالت (هرميون) بعذوبة: «نعم هو، إنه ذلك الذى...» وضغطت بشدة على كلامها وأكملت: «كاد يصبح حارس المرمى فى فريق (جريفندور)».

سألت (بارفاتى) وقد اتسعت عيناها: «هل تخرجان معًا إذن؟».

قالت (هرميون) وهى تضحك بطريقة لا تشبه أسلوبها بالمرة: «آه ـ أجل ـ ألم تعرفى بذلك؟».

قالت (بارفاتى) وهى تبدو مستمتعة بمعرفة هذه المعلومة: «لا! ولكن يبدو أنك تفضلين لاعبى (الكويدتش)، أليس كذلك فأولاً كان هناك (كروم) ثم (ماكلاجين)...».

فصححت (هرميون) كلام (بارفاتى) وهى تبتسم: «*أحب البارعين منهم فقط*، حسنًا، أراك قريبًا... يجب أن أذهب لأستعد للحفل...».

انصرفت، وعلى الفور وضعت (لافيندر) رأسها فى رأس (بارفاتى) لمناقشة التطورات الجديدة وكل شىء يعرفونه عن (ماكلاجين) وكل شىء يظنانه عن (هرميون). وجلس (رون) ووجهه خالٍ من التعبير بطريقة غريبة ولم يقل شيئًا. وأخذ (هارى) يفكر ويتأمل ـ فى صمت ـ المدى الذى يمكن أن تصل إليه الفتيات لينتقمن.

وعندما وصل إلى بهو الدخول فى الثامنة مساءً هذه الليلة، وجد عددًا كبيرًا غير معتاد من الفتيات يتسكعن هناك، وكن جميعًا يحدقن به باستياء عندما وصل إلى (لونا) التى كانت ترتدى طقمًا من الملابس الفضية البراقة، وكان يبدو أن ملابسها تثير قدرًا معينًا من الانتقاد، ومع ذلك كان مظهرها يبدو لطيفًا إلى حد كبير، وعلى أية حال، كان (هارى) سعيدًا لأنها تركت قرطها الغريب وعقدها الذى يشبه سدادة الزجاجة ونظارتها العجيبة.

قال (هارى): «أهلا، هل نذهب إذن؟».

قالت بسعادة: «آه، طبعًا، أين الحفل؟».

قال (هارى) وهو يقودها إلى السلالم الرخامية بعيدًا عن التحديق والهمس: «فى مكتب (سلجهورن)، هل سمعت، يقولون: إن أحد مصاصى الدماء قادم إلى الحفل؟».

سألت (لونا): «(روفوس سكريمجور)؟».

قال (هارى) وهو مشوش: «أنا... ماذا؟ أتعنين وزير السحر؟».

قالت (لونا) مؤكدة: «أجل، إنه مصاص دماء، لقد كتب أبى مقالة طويلة جدًا عندما تولى (سكريمجور) وزارة السحر خلفًا لـ(كورنليوس فودج)، ولكن أحد العاملين فى الوزارة أرغمه على عدم نشرها. من الواضح أنهم لم يريدوا نشر الحقيقة!».

كان (هارى) يعتقد أنه من غير المحتمل أن يكون (روفوس سكريمجور) مصاص دماء، ولكنه كان معتادًا أن تردد (لونا) آراء والدها الغريبة كما لو أنها حقائق ولذلك فلم يرد عليها؛ وعلى أية حال كانا بالفعل قد وصلا إلى مكتب (سلجهورن) وكان صوت الضحكات والموسيقى والمحادثات العالية يعلو أكثر وأكثر مع كل خطوة يخطوانها مقتربين من المكان.

كان مكتب (سلجهورن) أكبر من مكاتب المدرسين المعتادة ولم يعرف (هارى) إن كان مبنيًا على هذا الشكل أساسًا أم أن (سلجهورن) قد استخدم الخدع السحرية لجعله على هذا الوضع. فقد حُجِبَ السقف والحوائط بستائر ذات ألوان زمردية وقرمزية وذهبية حتى بدا الأمر كما لو كانا داخل خيمة واسعة. وكانت الغرفة مزدحمة ومختنقة الهواء وتسبح فى الضوء الأحمر الذى يلقيه عليها المصباح الذهبى المزخرف المعلق فى وسط السقف الذى كانت ترفرف بداخله الجنيات، وكانت كل واحدة منهن عبارة عن بقعة متألقة من الضوء، وكان هناك صوت غناء عالٍ مصحوبًا بما بدا مثل عزف آلات مندولين قادمًا من ركن بعيد، وكان هناك ضباب من دخان الغليون منتشر فوق العديد من السحرة الكبار الغارقين فى المناقشات، وكان هناك عدد من الجن المنزلى يحاولون المرور بصعوبة بين غابات السيقان، وهم مختفون وراء أطباق الطعام الفضية الثقيلة التى يحملونها، حتى بدوا مثل موائد صغيرة متحركة.

ابتسم (سلجهورن) فى اللحظة التى استطاع فيها (هارى) و(لونا) الدخول من الباب: «(هارى)، بُنى!، ادخل، ادخل هناك الكثير من الناس أريدك أن تقابلهم!».

كان (سلجهورن) يرتدى قبعة مخملية لتتناسب مع سترة التدخين التى يرتديها. وجذب ذراع (هارى) بقوة وكأنهما على وشك الانتقال آنيًا معًا، وقاده (سلجهورن) بثبات إلى داخل الحفل، وأمسك (هارى) بيد (لونا) وجذبها معه.

قال (سلجهورن): «(هارى)، أود أن تلتقى (الدريد ووربل) أحد طلابى السابقين وهو صاحب كتاب أخوة الدم: *حياتى بين مصاصى الدماء* ـ وبالطبع صديقه (سانجوينى)».

وجذب (ووربل) الذى كان رجلاً قصيرًا يرتدى نظارة، يد (هارى) وسلم عليه بحرارة؛ أما مصاص الدماء (سانجوينى) الذى كان طويلاً ونحيلاً جدًا، وهناك ظلال سوداء تحت عينيه فقد هز رأسه فقط. كان يبدو عليه الشعور بالملل إلى حد كبير. وكانت هناك جماعة من الفتيات بالقرب منه يبدو عليهن الفضول والاستمتاع.

قال (ووربل) وهو يرفع بصره ناظرًا عن قرب إلى وجه (هارى): «(هارى بوتر)، أنا سعيد جدًا بلقائك! لقد كنت أقول للأستاذ (سلجهورن) منذ وقت قريب، *أين سيرة حياة (هارى بوتر) التى ننتظرها جميعًا؟*».

قال (هارى): «هه، حقا؟».

قال (ووربل): «إنك متواضع جدًا بالفعل كما وصفك (هوريس) ولكننى أتكلم بجدية...» وتغير أسلوبه وأصبح فجأة عمليًا وأكمل: «سأكون مسرورًا أن أقوم بكتابتها بنفسى ـ فالناس متشوقون جدًا لمعرفة المزيد عنك يا ولدى العزيز، وإذا كنت مستعدًا لمنحى بعض اللقاءات ربما تستغرق كل جلسة منها ٤ أو ٥ ساعات، ويمكننا أن ننشر الكتاب خلال شهور. ولن يكون عليك أن تبذل الكثير من الجهد، أؤكد لك ـ اسأل (سانجوينى) إذا لم يكن...» ثم أضاف (ووربل) بصوت غاضب فجأة: «(سانجوينى)، ابقَ هنا!» حيث كان مصاص الدماء متجهًا إلى جماعة الفتيات القريبة منهم وعلى وجهه نظرة جائعة. ثم أخذ فطيرة لحم من أحد الجن المنزليين المارين ودفعها إلى (سانجوينى) قائلاً: «خذ هذه الفطيرة» قبل أن يلتفت موجهًا اهتمامه لـ(هارى) مرة أخرى.

قائلاً: «إنك لا تعرف كم الذهب الذى يمكنك الحصول عليه يا ولدى العزيز، ليست لديك فكرة...».

قال (هارى) بعزم: «أنا لست مهتمًا بالأمر بالمرة، بعد إذنك، لقد رأيت أحد أصدقائى الآن».

وجذب (لونا) خلفه بين الزحام، كان بالفعل قد رأى كتلة من الشعر البنى الكثيف بين ما بدا مثل اثنتين من أعضاء جمعية الأخوات العرافات.

فنادى: «(هرميون)! (هرميون)!».

قالت (هرميون): «(هارى)، أخيرًا وجدتك، شكرًا لله، أهلاً يا (لونا)!».

سأل (هارى): «ما الذى حدث لك؟» فقد بدت (هرميون) مشعثة الشعر بوضوح وكأنها خرجت بصعوبة من داخل غابة مصيدة الشيطان.

ردت (هرميون): «آه، لقد هربت بالكاد ـ أعنى، لقد تركت (كورماك)» ثم أضافت عندما نظر إليها (هارى) مستفهمًا: «تركته تحت نبات الدبق».

قال لها (هارى) مؤنبًا: «لم يكن عليك القدوم معه من البداية».

قالت (هرميون) بفتور: «لقد اعتقدت أن هذا أكثر شىء يمكن أن يضايق (رون)، لقد فكرت لبعض الوقت فى (زاكرياس سميث) ولكنى اعتقدت أن...».

قال (هارى) مشمئزًا: «*هل حقًا فكرت فى (سميث)*؟».

ردت: «نعم فعلت ولقد بدأت أتمنى لو أننى اخترته بدلاً من (ماكلاجين)، الذى يبدو (كراب) مهذبًا مقارنة به. فلنذهب فى هذا الاتجاه، سيكون بإمكاننا رؤيته قادمًا فهو طويل جدًا...».

واتجه ثلاثتهم إلى الجانب الآخر من الغرفة وأخذوا فى طريقهم كئوسًا من نبيذ العسل، وقد أدركوا متأخرين أن الأستاذة (تريلاونى) تقف هناك وحدها.

قالت (لونا) بأدب للأستاذة (تريلاونى): «مرحبًا».

ردت الأستاذة (تريلاونى): «مساء الخير يا عزيزتى».

وقد بدت كأنها تجد صعوبة فى التركيز على (لونا) وكان باستطاعة (هارى) أن يشم رائحة خمر الشيرى مرة أخرى وأضافت: «لم أعد أراك فى فصولى فى الفترة الأخيرة...».

قالت (لونا): «لا، (فيرنز) هو الذى يدرس لنا هذا العام».

قالت الأستاذة بغضب وضحكة سكيرة نصف مكبوتة: «آه، بالطبع، الفرس، كما يحلو لى أن أسميه. ربما قد فكرت - أو ربما لا - أننى بعد أن عدت للمدرسة الآن، فقد يتخلص الأستاذ (دمبلدور) من هذا الحصان؟ ولكن لا... فالحصص مقسمة بيننا... إنها إهانة، بصراحة، إهانة، أتعرفين...».

بدت الأستاذة (تريلاونى) مخمورة لدرجة أنها لم تتعرف على (هارى). وبينما هى مشغولة بانتقادها الغاضب لـ(فيرنز)، اقترب (هارى) من (هرميون) وقال لها: «من الأفضل أن نكون صريحين معًا. هل تنوين إخبار (رون) بأنك تدخلت أثناء اختبارات اختيار حراس المرمى؟».

رفعت (هرميون) حاجبيها.

وردت: «هل تعتقد حقًا أننى سأنزل بنفسى إلى هذا المستوى؟».

نظر إليها (هارى) بتبصر.

وقال: «(هرميون)، إذا كان الأمر قد وصل بك إلى الخروج مع (ماكلاجين)».

قالت (هرميون) بكبرياء: «هناك فرق، وعمومًا ليس لدى أى نية لإخبار (رون) عن أى شىء كان سيحدث أو لا يحدث فى اختبارات حراس المرمى».

قال (هارى) بانفعال: «جيد، لأنه سوف ينهار من جديد وسوف نخسر المباراة القادمة».

قالت (هرميون) بغضب: «(الكويدتش)، هل هذا كل ما يهتم به الأولاد؟ لم يسألنى (كورماك) سؤالاً واحدًا عن نفسى، ولكننى اضطررت إلى الاستماع بدون توقف عن الصدات المائة الرائعة التى قام بها (ماكلاجين) - آه، لا، ها هو قادم!».

تحركت بسرعة جدًا حتى بدا كما لو أنها اختفت، كانت هنا ثم فجأة دخلت فجأة بين مجموعة من الساحرات الضاحكات ثم اختفت.

وبعدها بقليل ظهر (ماكلاجين) وهو يتقدم بصعوبة بين الحشود وقال: «(هارى)، هل رأيت (هرميون)؟».

قال (هارى): «لا، لم أرها» ثم استدار بسرعة للانضمام إلى محادثة (لونا) وقد نسى للحظة مع من كانت تتكلم.

قالت الأستاذة (تريلاونى) بلهجة رنانة عميقة وقد لاحظته للمرة الأولى: «(هارى بوتر)!».

رد (هارى) بلا حماس: «آه، أهلاً».

قالت بهمس ثقيل: «ولدى العزيز! الشائعات! القصص! المختار! بالطبع، لقد عرفت منذ وقت طويل جدًا... فلم يكن الطالع طيبًا أبدًا يا (هارى)... ولكن لماذا لم تعد لدراسة مادة التنجيم؟ فهذه المادة تعتبر مهمة جدًا بالنسبة لك من بين كل الناس!».

قال صوت عالٍ: «آه (سيبيل)، كلنا يعتقد أن موادنا هى الأكثر أهمية!» ثم ظهر (سلجهورن) على الجانب الآخر للأستاذة (تريلاونى) وكان وجهه محمرًا وقبعته المخملية مائلة قليلاً، وقد أمسك فى إحدى يديه كأسًا من نبيذ العسل بينما يمسك فى يده الأخرى قطعة ضخمة من فطير اللحم. وأضاف وهو ينظر لـ(هارى) بإعجاب بعينيه المحتقنتين: «ولكننى لم أرَ أبدًا مثل هذه الموهبة الطبيعية فى تحضير الوصفات! موهبة غريزية - أتعرفين - مثل أمه! لقد درست لعدد قليل من الناس يتمتعون بهذه القدرة، وأستطيع أن أقول هذا لك يا (سيبيل) - إنه، حتى (سيفيروس)».

وارتعب (هارى) عندما رمى (سلجهورن) بإحدى ذراعيه التى بدت كما لو كانت جذبت (سناب) من الهواء فى اتجاههم.

قال (سلجهورن) بسعادة وقد أصابه الفواق: «كف عن التجول يا (سيفيروس) وانضم إلينا! لقد كنت أتكلم عن قدرات (هارى) الاستثنائية فى تحضير الوصفات! بعض الفضل يعود إليك بالتأكيد، فأنت الذى درست له المادة خلال السنوات الخمس الماضية!».

نظر (سناب) إلى (هارى) من فوق أنفه المعقوف وضاقت عيناه السوداوان وقد أمسكت به ذراع (سلجهورن) التى فوق كتفه.

قال (سناب): «غريب، لم يكن لدى انطباع أبدًا أننى نجحت فى تعليم (بوتر) أى شىء على الإطلاق».

فصاح (سلجهورن): «حسنًا، إذن، يبدو أنها موهبة طبيعية! كان يجب أن ترى ما صنعه فى أول محاضرة، لم يستطع أى من طلابى تحقيق نتيجة أفضل من ذلك فى أول محاولة، ربما حتى أنت يا (سيفيروس)».

قال (سناب) بهدوء: «حقًا؟» واستمرت عيناه فى التطلع إلى (هارى) الذى شعر بقدر من الانزعاج. فقد كان آخر شىء يريده هو أن يبدأ (سناب) فى التحرى عن مصدر براعة (هارى) الفائقة المكتشفة حديثًا فى مادة الوصفات.

سأل (سلجهورن): «ذكرنى يا (هارى)، ما المواد الأخرى التى تدرسها؟».

(هارى): «الدفاع ضد فنون الظلام، والتعاويذ، والتحويل، وعلم النباتات...».

قال (سناب) بتهكم دفين: «باختصار كل المواد المطلوبة للمدافعين ضد فنون الظلام».

فرد (هارى) بجدية: «أجل، حسنًا، هذا ما أريد أن أكونه».

هدر صوت (سلجهورن) قائلاً: «وستكون أحد أعظم المدافعين أيضًا!».

قالت (لونا) فجأة: «لا أعتقد أنك يجب أن تصبح مدافعًا يا (هارى)» فنظر الجميع إليها وأكملت: «فالمدافعون هم جزء من مؤامرة (روتفانج)، لقد كنت أعتقد أن الجميع يعرف ذلك. إنهم يعملون فى الداخل للإطاحة بوزارة السحر باستخدام مزيج من السحر الأسود وأمراض اللبان».

أخرج (هارى) نصف مشروبه من أنفه عندما بدأ يضحك. وفكر فى أن الأمر يستحق إحضار (لونا) إلى الحفل ولو من أجل ذلك فقط، أنزل (هارى) كأسه وأخذ يسعل وقد انسكب الشراب عليه ولكنه كان مازال يبتسم، فقد رأى شيئًا آخر رفع حالته المعنوية أكثر وأكثر؛ كان (أرجوس فيلتش) يشد (دراكو مالفوى) من أذنه ويجره فى اتجاههم.

قال (فيلتش) بصوت يشبه الصفير: «أستاذ (سلجهورن)» كان فكه يرتعش وعيناه المنتفختان تلمعان وقد ظهرت فيهما سعادته الشديدة باكتشافه لشخص يقوم بمخالفة، وأضاف: «لقد اكتشفت هذا الولد مختبئًا في أحد دهاليز الدور العلوى وهو يدعى أنه مدعو إلى حفلتك وقد تأخر فى الذهاب إليها. هل حقًا قمت بدعوته؟».

حرر (مالفوى) نفسه من قبضة (فيلتش) وقد بدا عليه الغضب وقال: «حسنًا، لم أكن مدعوًّا! ولكنى كنت أحاول أن أدخل خلسة، هل أنت سعيد الآن؟».

قال (فيلتش): «لا، لست سعيدًا بالمرة!» وقد بدت العبارة متناقضة تمامًا مع الابتهاج الذى بدا على وجهه وأضاف: «فأنت فى مشكلة بالفعل! ألم يمنع الناظر التجوال خلال الليل، إلا إذا كان معك تصريح بذلك، ألم يفعل، هه؟».

قال (سلجهورن) وهو يلوح بيده: «لا بأس يا (أرجوس)، لا بأس، إنه الكريسماس وليست جريمة أن يرغب فى الذهاب إلى حفلة. فقط هذه المرة، سوف ننسى أى عقاب، يمكنك البقاء يا (دراكو)».

كان تعبير خيبة الأمل والغضب الذى غطى وجه (فيلتش) متوقعًا تمامًا ولكن ما أثار استغراب (هارى) وهو ينظر إلى (مالفوى) أنه كان على نفس القدر من التعاسة، وكان (سناب) ينظر إلى (مالفوى) وكأنه غاضب و... هل هذا ممكن... خائف إلى حد ما؟».

ولكن قبل أن يتأكد (هارى) مما رآه، التفت (فيلتش) وسار مبتعدًا وهو يغمغم بصوت غير مفهوم؛ وتحول تعبير (مالفوى) إلى الابتسام وأخذ يشكر (سلجهورن) على كرمه وعاد وجه (سناب) ـ ثانية ـ خاليًا من التعبير وغامضًا.

قال (سلجهورن) ردًّا على شكر (مالفوى): «إنه لا شيء، فعلى أية حال، لقد كنت أعرف جدك...».

قال (مالفوى) بسرعة: «لقد كان دائمًا يتكلم عنك بإعجاب يا سيدى ويقول: إنك أفضل صانع للوصفات قد عرفه...».

وحدق (هارى) إلى (مالفوى). ولم يكن نفاقه لـ(سلجهورن) هو ما لفت نظره، فقد اعتاد على رؤية (مالفوى) وهو يفعل ذلك مع (سناب) لمدة طويلة. ولكن ما أثار استغرابه هو أن (مالفوى) ورغم كل شيء بدا مريضًا بالفعل. وكانت هذه أول مرة يشاهد فيها (مالفوى) عن قرب منذ مدة طويلة؛ ولاحظ أن هناك ظلالاً سوداء تحت عينيه ولونًا رماديًا خفيفًا واضحًا على جلده.

قال (سناب) فجأة: «أريد أن أتكلم معك لحظة يا (دراكو)».

قال (سلجهورن) وقد أدركه الفواق مرة أخرى: «الآن، يا (سيفيروس)، إنه الكريسماس، لا تكن صارمًا لهذه الدرجة».

قال (سناب) بجفاف: «أنا رئيس منزله ولى الحق فى أن أقرر معاملته بصرامة أو بأى طريقة أخرى، اتبعنى يا (دراكو)».

وغادرا بينما يقود (سناب) الطريق و(مالفوى) يبدو عليه الاستياء. ووقف (هارى) فى مكانه للحظة متحيرًا ثم قال: «سوف أعود بعد لحظة يا (لونا) ـ سأذهب إلى الحمام».

ردت بمرح: «حسنًا» واعتقد أنه سمعها وهو يسرع بالمرور بين الزحام، وقد استأنفت الحديث عن موضوع مؤامرة (روتفانج) مع الأستاذة (تريلاونى) التى بدت مهتمة بالموضوع بصدق.

كان من السهل عليه بعد أن خرج من الحفلة أن يجذب عباءة الإخفاء من داخل جيبه ويلقيها فوق نفسه، فقد كان الدهليز خاليًا تمامًا. ولكن كان الأصعب هو إيجاد (سناب) و(مالفوى). فجرى (هارى) عبر الدهليز وقد غطت الموسيقى والأصوات العالية الآتية من مكتب (سلجهورن) خلفه على صوت قدميه. ربما يكون (سناب) قد أخذ (مالفوى) إلى مكتبه فى الزنازين... أو ربما صحبه عائدًا إلى الغرفة العامة فى منزل (سليذرين)...

ولكن (هارى) أخذ فى وضع أذنه على باب بعد باب وهو يجرى فى الدهليز حتى انحنى أخيرًا على فتحة المفتاح فى آخر فصل دراسى فى الدهليز، واستولت عليه حالة من الإثارة الشديدة عندما سمع أصواتًا داخله.

«... الأمر لا يحتمل أى أخطاء يا (دراكو)، لأنه إذا تم فصلك...».

(دراكو): «ليس لى أى دخل بالأمر، أهذا واضح؟».

(سناب): «أرجو أن تقول الحقيقة، فقد كان هذا عملاً غبيًا وأخرق. وهناك من يشك أن لك يدًا فيه بالفعل».

قال (مالفوى) بغضب: «من الذى يشك بى؟ للمرة الأخيرة، أقول لك إننى لم أفعل هذا. جيد؟ لابد أن هذه الفتاة (بيل) لها عدو لا يعرف أحد عنه شيئًا ـ لا تنظر إلى بهذه الطريقة! أنا أعرف ما تهدف إليه، فأنا لست غبيًا، ولكن الأمر لن ينجح ـ يمكننى أن أوقفك!».

مرت لحظة صمت ثم قال (سناب) بهدوء: «آه... خالتك (بيلاتريكس) كانت تعلمك (الأكلومينسى)، ما الأفكار التى تريد إخفاءها عن معلمك يا (دراكو)؟».

(دراكو): «لا أريد إخفاء أى شىء عنه، أنا فقط أريدك ألا تتدخل!».

قرب (هارى) أذنه أكثر من ثقب المفتاح... ما الذى يحدث ليجعل (مالفوى) يتحدث مع (سناب) بهذه الطريقة. أليس هذا (سناب) الذى كان يظهر له الاحترام وحتى الحب؟

قال (سناب): «إذن، هذا هو السبب الذى جعلك تتجنبنى خلال هذا الفصل الدراسى. إنك تخشى تدخلى، أتعرف ماذا كان يمكن أن أفعل بشخص غيرك إذا طلبت منه الحضور إلى مكتبى أكثر من مرة ولم يحضر يا (دراكو)؟».

فقال (مالفوى) ساخرًا: «إذن، ضعنى فى الاحتجاز! أو أبلغ (دمبلدور) عنى!».

ومرت لحظة صمت أخرى ثم قال (سناب): «إنك تعرف تمامًا أننى لا أحبذ أن أقوم بأى من هذه الخيارات».

(مالفوى): «إذن، توقف عن أن تطلب منى الحضور إلى مكتبك!».

قال (سناب) بصوت منخفض جدًا حتى إن (هارى) اضطر إلى دفع أذنه بقوة فى ثقب المفتاح لكى يسمع ما يقوله: «استمع إلى، فأنا أحاول مساعدتك. لقد أقسمت لوالدتك إننى سوف أقوم بحمايتك. لقد أديت القسم الذى لا يمكن التحلل منه يا (دراكو)».

(دراكو): «يبدو أن عليك التحلل منه، لأنى لا أحتاج إلى حمايتك! إنه عملى أنا، لقد طلبه منى وسوف أقوم به. لدى خطة وسوف تنجح، إنها فقط تحتاج إلى وقت أطول قليلاً مما ظننت!».

(سناب): «ما خطتك؟».

(مالفوى): «ليس هذا من شأنك!».

(سناب): «إذا أخبرتنى بما تنوى فعله، سوف أساعدك...».

(مالفوى): «لدى كل المساعدة التى أحتاج إليها، شكرًا، فأنا لست وحدى!».

(سناب): «لقد كنت وحيدًا الليلة، وهذا شىء فى منتهى الغباء، أن تتجول فى الدهاليز بدون أن يراقب لك أحدهم الطريق أو يساندك. هذه أخطاء بدائية».

(مالفوى): «كان من الممكن أن يكون معى (كراب) أو (جويل) لو لم تضعهما فى الاحتجاز!».

قال (سناب): «لا ترفع صوتك!» فقد كان صوت (مالفوى) قد ارتفع خلال ثورته وأضاف: «إذا كان صديقاك (كراب) و(جويل) ينويان النجاح فى مادة الدفاع ضد فنون الظلام فى امتحانات السحر العامة هذه المرة، فإنهما يجب أن يجتهدا قليلاً فى المذاكرة أكثر مما يفعلان الآن».

قال (مالفوى): «وماذا يهم؟ الدفاع ضد فنون الظلام - إنها مجرد مزحة، أليس كذلك مجرد تمثيل؟ وكأن أحدًا منا يحتاج إلى حماية نفسه ضد فنون الظلام».

قال (سناب): «إنه تمثيل ولكنه هام لنجاحك يا (دراكو). أين تظن أننى كنت سأكون طوال هذه السنوات إذا لم أكن أعرف كيف أمثل؟ الآن استمع إلى! لقد كنت قليل الحذر بقيامك بالتجوال خلال الليل حتى تم الإمساك بك، وإذا كنت تعتمد على مساعدة أشخاص مثل (كراب) و(جويل)...».

(مالفوى): «إنهم ليسوا الوحيدين، فأنا معى أشخاص آخرون يساعدوننى، أشخاص أفضل منهم!».

(سناب): «إذن، لماذا لا تضع ثقتك بى؟ يمكننى...».

(مالفوى): «أنا أعرف ما الذى تنوى فعله! فأنت تريد أن تسرق المجد منى».

مرت لحظة صمت أخرى ثم قال (سناب) ببرود: «إنك تتكلم كالأطفال، أنا أفهم تمامًا أن القبض على والدك وسجنه قد ضايقك، ولكن...».

لم يكن لدى (هارى) إلا ثانية واحدة للتحرك عندما سمع وقع خطوات (مالفوى) على الجانب الآخر من الباب، فاندفع مبتعدًا بسرعة عن الطريق فى نفس اللحظة التى فتح فيها (مالفوى) الباب بقوة، وخطا بسرعة مبتعدًا فى الدهليز مارًا بباب مكتب (سلجهورن)، ثم دار حول المنعطف فى آخره مختفيًا عن الأنظار.

لم يجرؤ (هارى) على التنفس، وبقى منحنيًا حتى خرج (سناب) من داخل الفصل الدراسى ببطء، وتعبير وجهه مبهم كالمعتاد، وعاد إلى الحفل.

واستقر (هارى) على الأرض مختبئًا تحت العباءة وعقله يعمل بشدة.

■ ■ ■

١٦ عيد ميلاد شديد البرودة

إذن هل كان (سناب) يعرض مساعدته؟ هل كان فعلاً يعرض أن يساعده؟
قال (هارى): «لو سألتَ هذا السؤال مرة أخرى سأدخل هذه النبتة».
قال (رون) «أنا أتأكد فقط». كانا يقفان وحدهما عند حوض المطبخ بمطعم (بورو) يقشران تلاً من الخضراوات للسيدة (ويسلى). وكان الثلج ينساب وراء النافذة أمامهما.

قال (هارى) «نعم، كان (سناب) يعرض مساعدته. قال إنه كان قد وعد والدة (مالفوى) برعايته، وإنه كان قد أقسم يمينًا لا حنث فيها أو شيئًا من هذا القبيل»

قال (رون) وقد بدا عليه الذهول «قسَم لا حنث فيه؟ لا، هذا غير ممكن... هل أنت متأكد؟»

قال (هارى) «نعم أنا متأكد. لِمَ؟ ماذا يعنى ذلك؟»
«حسنٌ، المرء لا يستطيع أن يحنث بيمين لا حنث فيها... »
«من الغريب أنى حاولت أن أتبين ذلك كثيرًا بنفسي. ماذا يحدث إن حنث المرء بيمينه إذن؟»

قال (رون) ببساطة « أن يموت. حاول (فريد) و(جورج) أن يدفعانى لحلف يمين كهذه حين كنتُ فى الخامسة تقريبًا. وكدتُ أقسم أنا أيضًا، كنتُ أمسك بيدى (فريد) وكل شيء، لكن أبى عثر علينا وجُن جنونه» قال (رون) ذلك وبدت فى عينيه بقايا وميض. «كانت هذه هى المرة الوحيدة التى رأيتُ فيها أبى غاضبًا غضب أمى. ومن يومها و(فريد) يعتبر أن ردفه الأيسر لم يعد كما كان».

«نعم، حسنٌ، دعنا الآن من ردف (فريد) الأيسر».

قال صوت (فريد) بينما كان التوائم يدخلون المطبخ: «لم أسمع».

«آه، انظر إلى هذا يا (جورج). إنهما يستعملان السكاكين وكل شيء. أنعم بهما!».

قال (رون) وهو متجهم «سأبلغ السابعة عشرة بعد شهرين ونيف من الزمن، وحينئذ سأتمكن من فعل ذلك بالسحر!».

قال (جورج) وهو يجلس على مائدة المطبخ رافعًا قدميه فوقها: «يمكننا أن نستمتع بمشاهدتك وأنت تستعرض الاستعمال الصحيح للسكين».

قال (رون) فى غضب وهو يمص إبهامه: «أنت الذى دفعتنى لأن أفعل ذلك! انتظر حتى أبلغ السابعة عشرة».

قال (فريد) وهو يتثاءب: «أنا على يقين من أنك ستبهرنا جميعًا بمهارات سحرية غير مشكوك فيها حتى اليوم».

قال (جورج): «بمناسبة الحديث عن المهارات غير المشكوك فيها يا (رونالد) ما هذا الذى نسمعه من (جينى) عنك أنت وفتاة اسمها ـ إن لم تكن معلوماتنا خطأ ـ (لافيندر براون)؟

احمرّ وجه (رون) قليلاً، ولكن لم يبدُ عليه الكدر وهو يعود إلى الخضراوات.

«لا شأن لك بهذا».

قال (فريد) «ياله من رد حاسم! حقيقةً لا أدرى كيف تفكر فيهن. لا، ما أردتُ أن أعرفه هو ... كيف حدث هذا؟».

«ماذا تقصد؟».

«هل تعرضَت لحادث أو شىء من هذا القبيل؟».

«ماذا؟».

«أقصد كيف تحملَت إصابة شديدة كهذه فى الدماغ؟ حذارِ الآن!».

دخلت السيدة (ويسلى) الغرفة فى هذا الوقت تمامًا لترى (رون) وهو يرمى بسكين الخضراوات على (فريد) الذى أحالها طائرة ورقية بضربة خفيفة بطيئة من عصاه السحرية.

قالت فى غيظ «(رون)! لا تدعنى أراك ترمى السكاكين مرة أخرى!»

قال (رون) «لن أدعكِ» ثم أردف قائلاً بينه وبين نفسه «ترييننى» وهو يستدير تجاه تل الخضراوات.

«(فريد)، (جورج)، معذرة يا أعزائى، لكن (ريموس) سيصل الليلة، لذا فإن (بيل) سيضطر لأن ينحشر بينكما!».

قال (جورج) «لا بأس».

قالت السيدة (ويسلى) وفى صوتها نبرة خوف خفيفة: «إذن بما أن (شارلى) غير عائد إلى البيت الليلة فإن (هارى) و(رون) يبقيان وحدهما بالغرفة العلوية، وإذا شاركَت (فلور) مع (جينى).

همهم (فريد) قائلاً: «ياله من عيد ميلاد بالنسبة لـ(جينى)».

«... سيكون الجميع مستريحًا. حسن، سيكون لهما سرير على أية حال».

سأل (فريد): «إذن هل من المؤكد أن (بيرسى) لن يرينا وجهه القبيح؟

استدارت السيدة (ويسلى) مبتعدة قبل أن تجيب:

«لا، فهو مشغول فى الوزارة على ما أعتقد». قال (فريد) بينما كانت السيدة (ويسلى) تغادر المطبخ: «أو لعله أكبر مدلل فى العالم. واحد من الاثنين . حسنٌ، لنذهب يا (جورج)».

سأل (رون) «ما وراءكما؟ ألن تقوما بمساعدتنا فى هذه الخضراوات؟ كل ما عليك هو أن تستعمل عصاك السحرية وبعدها سنفرغ نحن أيضًا».

قال (فريد) بجدية «لا، لا أظن أن بوسعنا أن نفعل ذلك. هذا شىء يساعد كثيرًا على بناء الشخصية، فتعلّم تقشير الخضراوات بدون سحر يجعلك تقدر ما يلقاه العامة والسكويب من مصاعب».

وأضاف (جورج) وهو يرمى الطائرة الورقية باتجاهه «وإن شئتَ أن يساعدك الناس يا (رون) فلن أرمى السكاكين عليهم. تلميح بسيط، نحن ذاهبان إلى القرية، فهناك فتاة جميلة للغاية تعمل فى حانوت للورق ترى فيما أقوم به من خدع بأوراق اللعب شيئًا رائعًا... كالسحر الحقيقى تقريبًا...».

قال (رون) فى تجهم وهو ينظر إلى كل من (فريد) و(جورج) وهما ينطلقان عبر الساحة المليئة بالثلج «ما كان الأمر ليستغرق أكثر من عشر ثوان وبعدها كنا سنذهب معهما».

قال (هارى) «لا أستطيع، فأنا وعدتُ (دَمبلدور) بأنى لن أتلكأ وأنا هنا».

قال (رون) «آه، نعم» . وقشر بضع حبات أخر من الخضراوات ثم قال: «هل ستقول لـ(دمبلدور) ما سمعتَ (سناب) و(مالفوى) يقولانه لبعضهما؟

قال (هارى) «نعم». سأقول لأى أحد يمكنه أن يوقف هذا، و(دمبلدور) أولهم. «وقد تكون لى كلمة مع أبيك أيضًا».

«ولكنك للأسف لم تسمع ما تفعله (مالفوى) فعلاً».

«ما كان بوسعى أن أسمع، أليس كذلك؟ هذه هى المسألة، كان يرفض أن يبلغ (سناب)».

خيم الصمت للحظة أو لحظتين، ثم قال (رون) «طبعًا، أتعرف ما سيقولونه جميعًا؟ أبى و(دمبلدور) والكل؟ سيقولون إن (سناب) لا يحاول فعلاً أن يساعد (مالفوى)، فهو لا يحاول إلا أن يعرف ما يدور برأس (مالفوى)».

قال (هارى) بفتور: «لم يسمعوه؛ فليس منهم من يجيد التمثيل إلى هذا الحد، حتى (سناب)».

قال (رون): «نعم ... ولكن كل ما أقصده ...».

التفت (هارى) ليواجهه فى تجهم.

«لكن هل تعتقد أنى على صواب؟».

قال (رون) فى عجلة: «نعم، أعتقد ذلك! فعلاً، أعتقد ذلك! لكنهم جميعًا مقتنعون بأن (سناب) ملاك، أليس كذلك؟».

لم يقل (هارى) شيئًا جال بخاطره فعلاً أن هذا سيكون أرجح اعتراض على دليله الجديد، وتردد فى رأسه صوت (هرميون) وهى تقول:

«من الواضح يا (هارى) أنه كان يتظاهر بأنه يعرض المساعدة حتى يخدع (مالفوى) لينبئه بما كان يفعل... ».

لكن هذا كان محض خيال «إذ لم تتح له الفرصة ليبلغ (مالفوى) بما سمع. كانت قد اختفت من حفل (سلجهورن) قبل أن يعود إليها، أو هكذا علم من شخص غاضب اسمه (ماكلاجين)، وكانت قد أوت إلى مخدعها حين عاد إلى غرفة الاستراحة. وعندما كان هو و(رون) قد غادرا متجهين إلى مطعم (بورو) مبكرًا غداة ذلك اليوم لم يكن لديه وقت ليتمنى لها عيد ميلاد سعيدًا ويبلغها بأن لديه أخبارًا على قدر كبير من الأهمية بعد أن عادوا من العطلة. ولكنه لم يكن على يقين تام من أنها سمعته؛ كان (رون) و(لافيندر) يودعانه بدون كلمات ومن وراء ظهره فى ذلك الوقت».

ومع ذلك لم يكن بوسع (هرميون) أن تنكر شيئًا: فكان (مالفوى) يدبر أمرًا بكل تأكيد، وكان (سناب) على علم بذلك، وبالتالى أحس (هارى) بأن لديه ما يبرر قوله: «سبق أن نبهتك» كما سبق له أن فعل مع (رون) مرات عدة من قبل.

لم تسنح لـ(هارى) فرصة التحدث إلى السيدة (ويسلى) التى ظلت تعمل لساعات طوال بالوزارة، حتى فى ليلة عيد الميلاد. كانت أسرة (ويسلى) وضيوفها يجلسون بغرفة المعيشة التى كانت (جينى) قد زينتها بسخاء لدرجة أن الجلوس فيها أصبح كالجلوس فى انفجار أوراق ملونة. كان (فريد) و(جورج) و(هارى) و(رون) الوحيدين الذين يعرفون أن الملاك القابع على قمة شجرة عيد الميلاد لم يكن سوى أحد أقزام الحدائق الخرافية التى سبق أن ضربت (فريد) على كاحله وهو يقطف

لجزر لعشاء عيد الميلاد. كان مخدرًا ومذهبًا ومحشورًا في تنورة دقيقة لحجم وعلى ظهره لُصق جناحان صغيران، وقد أخذ يحدق فيهم من علٍ، كان أقبح ملاك رآه (هارى) فى حياته، برأسه الأصلع الكبير الذى يشبه حبة البطاطس وقدميه المكسوتين بالشعر.

كان يُفترض أنهم جميعًا ينصتون لأنشودة من أناشيد عيد الميلاد بالإذاعة تشدو بها (سيلستينا واربيك) مطربة السيدة (ويسلى) المفضلة التى كان صوتها يصدح من داخل المذياع الخشبى الضخم. وكانت (فلور) تعتبر (سيلستينا) مملة للغاية فأخذت تتحدث بصوت مسموع فى الركن حتى أن السيدة (ويسلى) ظلت تدير زر المذياع بعصاها وهى مقطبة، فأخذ صوت (سيلستينا) يعلو ويعلو. وتحت غطاء أغنية مفعمة بالحيوية عنوانها«مرجل ملىء بحب قوى متقد» شرع كل من (فريد) و(جورج) فى لعبة «طقطقة متفجرة» مع (جينى) . وظل (رون) يرمى (بيل) و(فلور) بنظرات خفية كأنه يأمل أن يخرج بمعلومات مفيدة. وفى الوقت نفسه كان (ريموس لوبين) الذى بدا فى أنحف وأرث حالاته جالسًا بجانب النار محدقًا إلى أعماقها كأنه لا يسمع صوت (سيلستينا) وهى تشدو:

آه، تـــعـــالَ وحـــرِّك مـــرجـــلـــى،
وإن أفـــلـــحتَ فـــى تحريـــكـــه
سأغلى لك بعضًا من حب قوى يتقد
يـــبـــقـــيك الـــلـــيـــلـــة فـــى دفء»

قالت السيدة (ويسلى) وهى تمسح عينيها بشالها: «رقصنا على هذه الأغنية ونحن بعد فى الثامنة عشرة! أتذكر يا (آرثر)؟»

قال السيد (ويسلى) «ها؟» ورأسه منحنٍ فوق ثمرة كان يقشرها »آه، نعم... لحن بديع...».

واعتدل فى جلسته قليلاً فى جهد، وتلفت يبحث عن (هارى) الذى كان جالسًا بجانبه. وقال: «معذرة»، وهز رأسه ناحية المذياع فى الوقت الذى

قاطعت فيه (سيلستينا) جوقتها. «انتهِ بسرعة». قال (هارى) وهو يبتسم فى سخرية: «لا بأس. هل كان انشغالاً فى الوزارة؟».

قال السيد (ويسلى) «جدًّا؛ ما كنتُ لأهتم لو كنا سنصل لشيء، ولكن من بين المعتقلين الثلاثة الذين قبضنا عليهم خلال الشهرين الماضيين أشك فى أن أحدهم من (آكلى الموت) حقيقى، وأسرع مردفًا، وقد بدا أكثر يقظة فجأة «ولكن لا تردد ذلك يا (هارى)».

سأله (هارى) «لا يزالون يحتجزون (ستان شنبايك)، أليس كذلك؟».

قال السيد (ويسلى) «للأسف، أنا أعلم أن (دمبلدور) حاولت أن تلجأ لـ(سكريمجور) مباشرةً من أجل (ستان) ... أقصد أن كل من التقاه فعلاً يوافق على أنه من (آكلى الموت) كهذه الثمرة.. لكن المسئولين يودون أن يبدوا كما لو كانوا يحققون بعض التقدم، و«ثلاثة معتقلون» تبدو أفضل من «ثلاثة اعتُقلوا خطأً وأطلق سراحهم»... ولكن مرة أخرى، كل هذا سرى للغاية...».

قال (هارى) «لن أقول شيئًا». ثم تردد للحظة أخذ يفكر فيها عن أفضل طريقة لمواصلة ما أراد أن يقول؛ وفيما هو يرتب أفكاره بدأت (سيلستينا واربيك) أغنية عنوانها «أخذت قلبى بسحرك».

«سيد (ويسلى)، أنت تعرف ما قلته لك فى المحطة ونحن متجهان إلى المدرسة؟».

قال السيد (ويسلى) على الفور «بحثتُ يا (هارى)، ذهبتُ وبحثتُ عن بيت (مالفوى) . ولم أجد شيئًا يسترعى الانتباه على الإطلاق».

«نعم، أعرف، رأيتُ فى جريدة «بروفت» أنك بحثتَ ... لكن هذا شيء مختلف ... أعنى: شيء أكثر... ».

وباح للسيد ويسلى بكل ما سمع مصادفة بين (مالفوى) و(سناب)، وبينما كان هارى يتكلم رأى رأس (لوبين) يستدير ناحيته قليلاً مستوعبًا كل كلمة. وعندما انتهى كان هناك صمت إلا شدو (سيلستينا).

«آه، قلبى المسكين، أين ذهب؟

تركنى مفتونًا بسحر...

قال السيد (ويسلى) «هل خطرَ لك أن (سناب) كان يتظاهر فقط ».

قال (هارى) بسرعة: «يتظاهر بعرض تقديم المساعدة حتى يعرف ما يدبره (مالفوى): نعم، كنتُ أعرف أنك ستقول ذلك. ولكن كيف لنا أن نعرف؟».

فجأة قال (لوبين) «ليس من شأننا أن نعرف». وكان قد أدار ظهره للنار حينئذ وواجه (هارى) عبر السيد (ويسلى). «إنه شأن (دمبلدور). (دمبلدور) يثق فى (سيفيروس)، ويتعين أن يكون ذلك كافيًا لنا جميعًا».

قال (هارى) «ولكن، قلها.. قل إن (دمبلدور) على خطأ فيما يتعلق بـ(سناب)».

«قالها الناس، مرات عدة. ويبقى أن تحدد ما إذا كنتَ تثق بحكم (دمبلدور) . أنا أثق به؛ ومن ثم فأنا أثق بـ(سيفيروس)».

أجاب (هارى) «لكن (دمبلدور) يمكن أن يزل. هو نفسه يقول ذلك. وأنت».

ثم نظر إلى (لوبين) فى عينه مباشرةً.

«بصراحة، هل تحب (سناب)؟»

قال (لوبين) «لا أحب (سيفيروس) ولا أكرهه». ثم أضاف قائلاً: «لا يا (هارى)، أنا أقول الحق» قال ذلك فيما تفوه (هارى) بتعبير متشكك: «لن نكون أصدقاء حميمين، ربما؛ بعد كل ما حدث بين (جيمس) و(سيريوس) و(سيفيروس)، أصبح هناك قدر من المرارة كبير. ولكنى لا أنسى أنه فى أثناء السنة التى قمت فيها بالتدريس فى (هوجوورتس) كان (سيفيراس) يحضّر لى جرعة نبات.

«خانق الذئب» كل شهر،وكان يعدها بصورة مضبوطة، فلم يكن علىّ أن أعانى ما أعانى عادةً وقت اكتمال البدر».

قال(هارى) فى غضب: «ولكنه «مصادفة» تجاهل أنك مستذئب، وبالتالى اضطررتَ أن تذهب!» هز (لوبين) كتفيه فى لامبالاة.

«كان الخبر سيتسرب فى كل الأحوال. وكلانا نعلم أنه كان يريد أن يأخذ عملى، ولكنه كان يمكن أن يُنزل بى خسائر أسوأ كثيرًا بالتلاعب بالجرعة. ولكنه أبقانى سليمًا. لابد أن أكون شاكرًا له».

قال (هارى) «لعله لم يجرؤ على التلاعب بالجرعة فيما يرقبه (دمبلدور)!».

قال (لوبين) بابتسامة باهتة «مقدَّر لك أن تبغضه يا (هارى). وأنا متفهم؛ فعن أبيك (جيمس) وعن جدك (سيريوس) ورثتَ تحاملاً قديمًا. أبلغ (دمبلدور) بأية صورة ممكنة بما قلتَ لـ(آرثر) ولى، ولكن لا تنتظر منه أن يشاركك رأيك فى الموضوع؛ بل لا تتوقع منه أن يفاجأ بما تقول له .

وربما استجوب (سيريوس) (دراكو) بأوامر من (دمبلدور)».

«... والآن مزقته إربًا

سأشكرك إن أعدتَ لى قلبى!»

انتهت (سيلستينا) من أغنيتها بنغمة طويلة جدًا ومرتفعة وبتصفيق حاد علا من المذياع وشاركت فيه السيدة (ويسلى) بحماس.

قالت (فلور) بصوت عالٍ «هل انتهت؟ الشكر للرب، يالها من ... رهيبة».

سأل السيد (ويسلى) بصوت عالٍ: «هل لنا فى كأس شراب قبل النوم إذن؟» ثم وثب على قدميه قائلاً: «من يريد بيضًا مخفوقًا؟»

وبينما انطلق السيد (ويسلى) ليأتى بالبيض المخفوق وتمدد الآخرون وشرعوا فى الحديث سأل (هارى) (لوبين): «فيم انشغالك هذه الأيام؟»

قال (لوبين): «آه، كنتُ تحت الأرض، بالمعنى الحرفى للكلمة تقريبًا. وهذا هو السبب فى أنى لم أتمكن من الكتابة يا (هارى)؛ فإرسال الرسائل إليك كان سيصبح شيئًا من قبيل البوح غير المقصود».

«ماذا تقصد؟»

قال (لوبين): «كنتُ أعيش وسط رفاقى، أقرانى». وإزاء نظرة (هارى) التى تنم عن عدم الفهم أضاف «المستذئبون». «كلهم تقريبًا فى صف

(فولدمورت). كان (دمبلدور) يريد جاسوسًا وها أنا ذا ... كنتُ جاهزًا».

بدا فى صوته بعض المرارة، وربما أدرك ذلك، فقد ابتسم ابتسامة أكثر دفئًا وهو يواصل حديثه، «أنا لا أشكو؛ فهو عمل ضرورى ومن ذا الذى يؤديه أفضل منى؟ ومع ذلك كان من الصعب كسب ثقتهم . وتبدو علىّ أمارات غير خافية بأنى حاولتُ أن أحيا وسط السحرة، أترى؟ فى حين أنهم تجنبوا المجتمع السوى ليعيشوا على الهامش، يسرقون ـ وأحيانًا يقتلون ـ ليقتاتوا».

«ولم يحبون (فولدمورت)؟».

قال (لوبين) «يعتقدون أن حياتهم ستكون أفضل تحت سيطرته. ومن الصعب مناقشة (جريباك) هناك...».

«ومن هو (جريباك)؟».

تشابكت يدا (لوبين) فى حجره «ألم تسمع عنه؟ (فنرير جريباك) لعله أكثر المستذئبين الأحياء توحشًا حاليًا. يعتبر رسالته فى الحياة أن يعض ويعدى أكبر عدد ممكن من الناس؛ يريد أن يوجد من المستذئبين ما يكفى للتغلب على السحرة. وقد وعده (فولدمورت) بفريسة فى مقابل خدماته. (جريباك) متخصص فى الأطفال... يقول عضهم وهم صغار نشّأهم بعيدًا عن أهلهم، ورباهم على كره السحرة العاديين. وقد هدد (فولدمورت) بأن يطلقه على أولاد الناس، وبناتهم؛ وهو تهديد يسفر عادةً عن نتائج طيبة».

توقف (لوبين) ثم قال «جريباك هو الذى عضنى».

قال (هارى) مندهشًا «ماذا؟ متى.. تقصد عندما كنتَ طفلاً؟»

«نعم. كان أبى قد ضايقنى. وظللت لفترة طويلة لا أعرف هوية المستذئب الذى هاجمنى؛ بل إنى أحسست بالشفقة عليه اعتقادًا منى أنه لا يتحكم فى نفسه وعرفتُ حينها كيف يكون إحساس المرء حين يتحول. لكن (جريباك) ليس كذلك. فحين يكتمل البدر يكمن بالقرب من ضحاياه

ليضمن أن يكون قريبًا منهم بما يكفى ليضرب ضربته. فهو يخطط للأمر برمته، وهذا هو الرجل الذى يستعين به (فولدمورت) فى قيادة المستذئبين ولا أستطيع أن أتظاهر بأن صنفى الخاص من الجدل المنطقى يحقق كثيرًا من التقدم ضد إصرار (جريباك) على أننا ـ معشر المستذئبين ـ نستحق الدم، وأننا ينبغى أن نثأر لأنفسنا من الأسوياء».

قال (هارى) فى غيظ: «ولكنك سوىٌّ! كل ما هنالك أن لديك مشكلة».

فانفجر (لوبين) فى الضحك.

«أنت أحيانًا تذكرنى كثيرًا بـ(جيمس) . كان يسميها «مشكلتى الصغيرة ذات الفراء». كثير من الناس كان لديهم تصور أن لدىَّ أرنبًا سيئ الطبع».

وتناول كوبًا من البيض المخفوق من السيد (ويسلى) مع كلمة شكر بينما بدا أكثر مرحًا قليلاً. وأحس (هارى) فى الوقت نفسه بفورة من الإثارة : فهذه الإشارة الأخيرة إلى أبيه ذكرته بأن هناك شيئًا كان يتطلع لسؤال (لوبين) عنه.

«هل سمعتَ من قبل عن شىء اسمه «الأمير المهجَّن؟»

«المهجن ماذا؟»

قال (هارى): «الأمير». وهو يرقبه عن كثب بحثًا عن أمارات معرفته.

قال (لوبين) وهو يبتسم الآن «ليس هناك أمراء يعملون بالسحر. هل هذا لقب تفكر فى اتخاذه لنفسك؟ كنتُ أعتقد أن لقب «المختار» سيكون كافيًا لك».

قال (هارى) فى سخط: «هذا شىء لا صلة له بى! « الأمير المهجَّن» شخص كان يتردد على (هوجوورتس)، عندى كتابه القديم «الجرعات». كتبَ عليه وصفات سحرية فى كل موضع فيه تعاويذ من ابتكاره وكان أحدها «الجسد المجند».

قال (لوبين) مستعيدًا ذكرياته: «آه، هذه الوصفة كانت «موضة» فى أيامى فى (هوجوورتس) . كانت هناك بضعة أشهر فى عامى الخامس لم يكن بإمكانى أن أتحرك لأنى كنتُ معلقًا فى الهواء من كاحلى».

قال (هاري): «أبي استعملها. رأيته في «منخل الحظيرة»، طبقها على (سناب)».

كان يحاول أن يبدو غير مبال، كأن هذا كان تعليقًا جزافيًا ليست له أهمية فعلية، ولكنه لم يكن واثقًا من أنه ترك الأثر المطلوب؛ كانت ابتسامة (لوبين) تنم عن فهم أوضح من أن يخفَى.

قال «نعم، ولكنه لم يكن الوحيد. كانت شعبية جدًا كما قلتُ... أنت تعلم كيف تظهر هذه الوصفات السحرية وتختفي...».

واصل (هاري) إصراره «ولكن يبدو أنها اختُرعت حين كنتَ في المدرسة».

قال (لوبين) «ليس بالضرورة. فالتعاويذ تصبح «موضة» ثم تتقادم ككل شيء». ونظر في وجه (هاري) ثم قال بهدوء «(جيمس) كان كريم النسب غير مهجّن يا (هاري)، وأنا أؤكد لك أنه لم يحدث أن طلب منا أن نناديه بلقب «الأمير».

تخلى (هاري) عن تظاهره وقال: «ولم يكن (سيريوس) ولا أنت؟»

«بالطبع لا».

حدق (هاري) إلى النار قائلاً: «آه، فكّرتُ... حسنٌ، هو ساعدني كثيرًا في دروس «الجرعات»، الأمير ساعدني».

«كم عمر هذا الكتاب يا (هاري)؟»

«لا أدري، لم أتحقق قط».

قال (لوبين) «حسنٌ، هذا سيعطيك دليلاً عن وقت تواجد الأمير في (هوجوورتس)».

وبعد قليل قررت (فلور) أن تحاكي (سيلستينا) في غنائها «مرجل مليء بحب قوي متقد»، وهو ما اعتبره الجميع بمجرد أن لمحوا تعبير وجه السيدة (ويسلي) إشارة بأن تأوي إلى فراشها. وتسلق كل من (هاري) و(رون) المسافة كاملةً إلى حجرة نوم (رون) بالعلية حيث أضيف أحد أسرة المعسكرات من أجل (هاري).

راح (رون) فى النوم فى التو، أما (هارى) فغاص فى صندوقه الكبير وجذب منه نسخته من كتاب «تحضير الجرعات: المستوى المتقدم» قبل أن يأوى إلى مخدعه. وأخذ يقلب فى صفحاته باحثًا إلى أن عثر فى مقدمة الكتاب على التاريخ الذى صدر فيه. كان عمره خمسين سنة تقريبًا. لم يكن أبوه ولا أصدقاء أبيه فى (هوجوورتس) منذ خمسين سنة. فرمى (هارى) بالكتاب إلى الصندوق مرة أخرى وهو محبط، وأطفأ المصباح وتقلب وهو يفكر فى المستذئبين وفى (سناب) و(ستان شنبايك) و«الأمير الهجين»، وفى النهاية راح فى نوم مضطرب ملؤه ظلال زاحفة وصرخات أطفال معضوضين...

«لابد أنها تمزح ...»

استيقظ (هارى) مفزوعًا ليجد جوربًا منتفخًا ملقى على طرف سريره. فوضع نظارته على عينيه وتلفت حوله؛ كانت النافذة الصغيرة تكاد تختفى تمامًا وراء الثلج وأمامها كان (رون) جالسًا ينظر ذاهلاً فى سريره يتفحص ما بدا وكأنه سلسلة ذهبية سميكة.

سأله (هارى) «ما هذا؟»

قال (رون) بصوت مشمئز: «إنها من (لافيندر) . لا تستطيع أن تصدق أنى يمكن أن ألبس...»

ألقى (هارى) نظرة عن كثب وأطلق صرخة ضحك. كانت تتدلى من السلسلة كلمة «حبيبتى» بأحرف كبيرة من ذهب.

فقال «لطيفة، أنيقة. يجب أن ترتديها أمام (فريد) و(جورج)».

قال (رون) وهو يخفى السلسلة عن الأعين تحت وسادته «لو أخبرتهما ســ.ســ..».

قال (هارى) وهو يبتسم استهزاءً «ستتأتئ فىّ؟ يا رجل! وهل لى أن أفعل؟».

تحدث (رون) وهو يحدق فى الفراغ وقد بدت عليه الصدمة: «ولكن كيف خطر لها أنى سأعجب بشىء كهذا؟».

قال (هارى) «حسنٌ، عد بفكرك إلى الوراء، هل حدث أن زل لسانك بأنك تود أن تخرج على الملأ وحول جيدك كلمة «حبيبتى».

قال (رون) «حسنٌ، ... نحن لا نتحدث كثيرًا فى الحقيقة. مجرد...».

قال (هارى) «نظرات».

قال (رون) «حسنٌ، نعم» وتردد للحظة ثم قال «هل تخرج (هرميون) حقًا مع (ماكلاجين)؟»

قال (هارى) «لا أدرى. كانا معًا فى حفل (سلجهورن)، ولكنى لا أظن أن الأمور سارت على ما يرام إلى هذا الحد».

بدا (رون) أكثر مرحًا قليلاً وهو يحك على عمق أكبر فى جوربه.

اشتملت هدايا (هارى) على سترة لسان ذهبى كبير يبرز إلى الأمام، صنعته السيدة (ويسلى) يدويًا بالصنارة، وصندوق كبير من نواتج ألعاب آل (ويسلى) السحرية من التوءمين وعلبة كئيبة قليلاً لها رائحة الغبار جاءت وعليها رقعة كُتب عليها «إلى الأستاذ، من (كريتشر)».

حدق (هارى) فيها ثم سأل: «هل ترى أن هذه يؤمن فتحها؟».

أجاب (رون) مع أنه كان يرمق العلبة بارتياب: «لا يمكن أن تكون شيئًا خطيرًا، بريدنا كله لا يزال يخضع للتفتيش بالوزارة».

سأله (هارى) وهو ينخس العلبة فى حذر: «لم أفكر فى تقديم أى شىء لـ(كريتشر)! هل الناس فى العادة يعطون أقزام بيوتهم هدايا عيد الميلاد؟»

قال (رون) «(هرميون) قد تفعل، ولكن دعنا ننتظر لنرى ما هى قبل أن يبدأ شعورك بالذنب». وبعد برهة أطلق (هارى) صيحة مدوية وقفز من سرير المعسكرات؛ كانت العلبة تحوى عددًا كبيرًا من يرقات الديدان.

قال (رون) وهو يقهقه: «لطيف، فكرة مبتكرة جدًا»

قال (هارى) «أفضل أن آخذها بدلاً من هذه القلادة» وهو ما أفاق (رون) على الفور.

كان الجميع يرتدون سترات جديدة حين جلسوا يتناولون غداء عيد الميلاد، الكل عدا (فلور) ـ يبدو أن السيدة (ويسلى) بخلت بإحداها عليها ـ والسيدةِ (ويسلى) نفسها التى اعتمرت قبعة ساحرة زرقاء داكنة جديدة تتلألأ بما بدا كأنه ماسات صغيرة تشبه النجوم وقلادة ذهبية رائعة.
«أعطانيها كل من (فريد) و(جورج)! أليست جميلة؟»
قال (جورج) وهو يلوح بيد وهمية: «حسنٌ، نحن نحاول أن نقدرك أكثر وأكثر يا أمى، نحن الآن نغسل جوارينا بأنفسنا. الجزر الأبيض يا (ريموس)».
قالت (جينى) فى مرح «هناك دودة فى شعرك يا (هارى)» ومالت عبر المائدة لتلتقطها؛ أحس (هارى) بنقر حاد على رقبته لا علاقة له بالدودة.
قالت (فلور) برجفة خفيفة متكلفة «آه، رهيب».
قال (رون) «نعم، أليس كذلك؟ صلصة مرق لحم يا (فلور)؟»
وفى لهفته لمساعدتها نقر قارب الصلصة الطائر؛ ولوح (بيل) بعصاه فحلقت الصلصة فى الهواء ثم عادت فى هدوء إلى القارب.
قالت (فلور) لـ(رون) بعد أن فرغت من تقبيل (بيل) قبلة شكر: «أنت لا تقل سوءًا عن (تونكس)، فهى دائمة النقر».
قالت السيدة (ويسلى) وهى تربت على الجزر بقوة لا داعى لها وتحدق فى (فلور): «أنا دعوتُ (تونكس) العزيزة كى تأتى اليوم، ولكنها لن تأتى. هل تحدثت إليها مؤخرًا يا (ريموس)؟»
قال (لوبين) «لا، لم أتصل بأحد كثيرًا؛ ولكن (تونكس) لها أسرة تذهب إليها، أليس كذلك؟»
قالت السيدة (ويسلى) «ربما، لدىّ انطباع بأنها كانت تخطط لتقضى عيد الميلاد وحدها فى الحقيقة».

ورمقت (لوبين) بنظرة منزعجة مع أنه كان السبب فى تزويج ابنها لـ(فلور) بدلاً من (تونكس)، لكن (هارى) الذى كان ينظر إلى (فلور) وهى تطعم (بيل) قطعًا من لحم الديك الرومى بشوكتها. فكر فى أن السيدة (ويسلى) كانت تخوض معركة خسرتها منذ أمد بعيد. ولكنه تذكر سؤالاً كان يساوره عن (تونكس) وكان الأفضل أن يطرحه هو بدلاً من (لوبين)، من الرجل الذى كان يعرف كل شىء عن (السادة)؟

فقال له: «السيد الخاص بـ(تونكس) غير شكله. هذا ما قاله (سناب) على أية حال. ولم أكن أظن أن هذا يمكن أن يحدث. لم يتغير سيدك؟»

تمهل (لوبين) فى مضغ لحم الديك الرومى وبلعه ثم قال على مهل «أحيانًا... صدمة كبيرة... فوران عاطفى...».

قال (هارى) وقد أذهلته فكرة مفاجئة وبصوت خفيض «كان يبدو ضخمًا، وكانت له أربعة أرجل لا... مستحيل».

قالت السيدة (ويسلى) فجأة: «آرثر!» وكانت قد نهضت من مقعدها؛ كانت يدها تضغط على قلبها وكانت تحدق إلى خارج نافذة المطبخ «آرثر - إنه بيرسى!».

«ماذا؟».

التفت السيد (ويسلى). ونظر الجميع بسرعة إلى النافذة؛ ووقفت (جينى) حتى ترى أفضل. كان (بيرسى ويسلى) فعلاً يخطو خطوات واسعة عبر الفناء الملىء بالثلج، ونظارته ذات الحواف المدببة تتلألأ فى نور الشمس. ولكنه لم يكن وحده.

«آرثر، إنه مع الوزير!»

وفعلاً كان الرجل الذى رآه (هارى) فى جريدة «بروفت» اليومية - يتبع (بيرسى) وهو يعرج قليلاً بعرفه ذى الشعر الرمادى وعباءته السوداء وقد برقشها الثلج. وقبل أن يتمكن أى منهم من قول أى شىء، وقبل أن يتمكن السيد والسيدة (ويسلى) من تبادل النظرات الذاهلة انفتح الباب الخلفى وكان (بيرسى) واقفًا عنده.

مرت لحظة صمت أليم. ثم قال (برسى) بنبرة جافة قليلاً: «عيد ميلاد سعيد يا أمى».

قالت السيدة (ويسلى) «آه يا (بيرسى) » وألقت بنفسها بين ذراعيه.

توقف (روفوس سكريمجور) بالمدخل متكئًا على عصاه ومبتسمًا وهو يرقب هذا المشهد المؤثر. قال حين التفتت إليه السيدة (ويسلى) وهى تبتسم وتمسح عينيها «لابد أن تغفرى لى هذا التطفل. (بيرسى) وأنا كنا فى الجوار ـ نعمل ـولم يستطع أن يقاوم المجىء لرؤيتكم جميعًا».

لكن (بيرسى) لم يبد ما ينم عن رغبته فى تحية أى من بقية العائلة. فوقف مشدودًا وكان منظره غريبًا وأخذ يحدق فى رأس كل من الآخرين. السيد (ويسلى) و(فريد) و(جورج) كانوا جميعًا يرقبونه بوجوه متحجرة.

ارتبكت السيدة (ويسلى) وهى تعدل قبعتها وقالت «تناول قطعة من الديك الرومى أو بعض البودنج ... أقصد».

قال (سكريمجور): «لا، لا يا عزيزتى مولى». وحدس (هارى) أنه تعرف على اسمها من (بيرسى) قبل أن يدخلا البيت. «لا أريد أن أتطفل، ما كنت سآتى أصلاً لولا أن (بيرسى) أراد أن يراكم بشدة ...».

قالت السيدة (ويسلى) وهى تدمع وتشب لكى تقبّله «آه يا (بيرسى)!».

«... جئنا لخمس دقائق فقط، سأتمشى بالفناء بينما تتحدثين مع (بيرسى). لا، لا.. أؤكد لك أنى لا أريد أن أتدخل! حسنٌ لو تكرم أحد بأن يرينى حديقتكم الجميلة... آه، ذلك الفتى فرغ من طعامه، لمَ لا يتمشى معى؟».

تغير الجو حول المائدة بصورة محسوسة. ردد الجميع أنظارهم بين (سكريمجور) و(هارى) . لم يبدُ على أحد منهم أنه وجد تظاهر (سكريمجور) بأنه لا يعرف اسم (هارى) مقنعًا، أو وجد أنه كان من الطبيعى اختياره ليرافق الوزير فى الحديقة فى حين كانت صحون كل من (جينى) و(فلور) و(جورج) نظيفة أيضًا.

قطع (هارى) الصمت قائلاً: «نعم، ليكن».

لم ينخدع بكل ما قاله (سكريمجور) عن أنهما كانا فى المنطقة وأن (بيرسى) أراد أن يرى عائلته، لابد أن هذا هو السبب الحقيقى لمجيئهما، أن يتمكن (سكريمجور) من التحدث إلى (هارى) على انفراد.

قال وهو يمر بجوار (لوبين) الذى نهض قليلاً من مقعده «لا بأس» ثم أضاف: «حسنٌ» بينما فتح السيد (ويسلى) فمه ليتكلم. قال (سكريمجور): «عظيم» وتنحى جانبًا ليدع (هارى) يمر عبر الباب أمامه. «سنتمشى حول الحديقة ثم نمضى أنا و(بيرسى) . تفضلوا جميعًا!».

مشى (هارى) عبر الفناء متجهًا إلى حديقة آل ويسلى التى طال نجيلها وكساها الثلج، وكان (سكريمجور) يعرج قليلاً بجانبه. كان (هارى) يعلم أنه كان مدير مكتب (أورر)؛ كان يبدو قويًا وتبدو عليه ندب المعارك، كان مختلفًا تمامًا عن (فدج) البدين بقبعته المستديرة السوداء.

قال (سكريمجور) وقد توقف عند سور الحديقة وأخذ ينظر إلى الخارج فوق النجيل المكسو بالثلج والنباتات التى يصعب تمييزها: «رائع، رائع».

لم ينبس (هارى) ببنت شفة. كان يدرك أن (سكريمجور) يرقبه.

قال (سكريمجور) بعد لحظات: «كنتُ أريد أن ألقاك منذ مدة طويلة، هل تعلم ذلك؟».

قال (هارى) بصدق: «لا».

قال (سكريمجور): «نعم، منذ مدة طويلة. لكن (دمبلدور) كان يخاف عليك للغاية. هذا طبيعى بالطبع، طبيعى، بعد كل ما مررت به... لا سيما ما حدث بالوزارة...».

وانتظر أن يقول (هارى) شيئًا، لكن (هارى) لم يتكرم عليه بذلك . لذا فقد واصل كلامه: «كنتُ أتمنى أن تأتى مناسبة لكى أتحدث إليك منذ أن توليت المنصب، لكن (دمبلدور) حال دون ذلك لأسباب مفهومة تمامًا كما قلتُ».

لم يقل (هارى) شيئًا أيضًا، فهو ينتظر.

قال (سكريمجور): «الشائعات التى تطايرت فى كل مكان! حسنٌ بالطبع، كلانا يعلم كيف تتحرف هذه الحكايات... كل هذه الهمسات عن وجود نبوءة... وعن كونك «المختار» .

فكر (هارى) فى أنه يقترب من الموضوع، سبب وجود (سكريمجور) هنا.

«... أعتقد أن (دمبلدور) ناقش هذه الأمور معك».

فكر (هارى) مليًا وتساءل ما إذا كان عليه أن يكذب أم لا؟ نظر إلى آثار أقدام «الجنى الخرافى» الصغير حول المزهريات، والرقعة البالية التى ميزت النقطة التى كان (فريد) قد أمسك فيها «الجنى الخرافى» وهو يرتدى التنورة المنتفخة القصيرة فوق شجرة عيد الميلاد. وفى النهاية استقر رأيه على قول الصدق... أو بعض منه.

«نعم، ناقشناها».

قال (سكريمجور) «ناقشتماها فعلاً .... » كان (هارى) يرى بركن عينيه (سكريمجور) وهو ينظر إليه شزرًا، لذا فقط تظاهر بالاهتمام الزائد بقزم خرافى أبرز رأسه لتوه من تحت زهرة متجمدة.

«وماذا قال لك (دمبلدور) يا (هارى)؟»

قال (هارى): «آسف، ولكن هذا بينى وبينه».

واحتفظ بنبرة المرح فى صوته قدر إمكانه، وكانت نبرة صوت (سكريمجور) أيضًا خفيفة وودودة حين قال: «آه، طبعًا، فهى مسألة ثقة. ما كنت لأطلب منك أن تفشى سرًا .. لا، لا، .... وفى أى الأحوال هل يهم ما إذا كنتَ أنت «المختار» أم لم تكن؟».

كان على (هارى) أن يفكر مليًا فى تلك النقطة لبضع ثوانٍ قبل أن يجيب.

«حقيقةً لا أعلم ما تقصد أيها الوزير».

قال (سكريمجور) وهو يضحك: «حسنٌ بالطبع، بالنسبة لك ستعنى الكثير، أما بالنسبة لجماعة السحرة الطلقاء. فالمسألة كلها إدراك حسى، أليس كذلك؟ إنها ما يظن الناس أنه مهم».

لم يقل (هارى) شيئًا. فكّر فى أنه رأى بصورة مبهمة أين كانوا متوجهين، ولكنه لن يساعد (سكريمجور) على الوصول إليهم. كان «الجنى الخرافى» تحت الزهرة يحفر الآن بحثًا عن الديدان عند جذورها وثبت (هارى) عينيه عليه.

قال (سكريمجور): «الناس تعتقد أنك «المختار» . يظنون أنك البطل فعلاً... وهذا صحيح بالطبع يا (هارى) سواء أكنتَ مختارًا أم لم تكن! كم مرة واجهتَ «من لا يجب ذكر اسمه» الآن؟ حسن، على أية حال» وواصل الضغط دون أن ينتظر ردًا، «المسألة هى أنك رمز الأمل بالنسبة للكثيرين يا (هارى) . وفكرة أن هناك أحدًا بالخارج قد يستطيع، بل ربما مقدَّر له أن يقضى على «من لا يجب ذكر اسمه» تعطى الناس بعض الأمل. ولا يسعنى إلا أن أحس بأنك ما أن تدرك ذلك فقد تعتبره ـ حسنٌ ـ واجبًا تقريبًا أن تقف بجانب الوزارة وتعطى الكل دفعة».

كان «الجنى الخرافى» قد تمكن من القبض على دودة. وكان الآن يجذبها بكل قوة فى محاولة لإخراجها من الأرض المتجمدة. طال صمت (هارى) لمدة طويلة حتى قال (سكريمجور) وهو يردد نظراته بين (هارى) والقزم «فتية صغار مرحون، أليسوا كذلك؟ ولكن ما قولك يا (هارى)؟»

قال (هارى) بتؤدة: «أنا لا أفهم بالضبط ما تريد. «أقف بجانب الوزارة»... ما معنى هذا؟».

قال (سكريمجور): «آه، حسنٌ، لا شىء صعب البتة، أؤكد لك. لو كنتَ ستتردد على الوزارة من حين لآخر مثلاً فإن هذا سيعطى الانطباع السليم. وبالطبع حين تكون فيها ستتاح لك فرصة وافرة لتتحدث إلى (جاوين روباردس) خليفتى كمدير لمكتب (الدفاع ضد السحر الأسود). وقد قالت لى (دولورس أمبردج) إن لديك طموحًا فى أن تصبح (مدافعًا ضد السحر الأسود). حسنٌ، هذا أمر يمكن تدبيره بغاية السهولة..» أحس هارى بالحنق يفور فى حفرة معدته: إذن كانت (دولورس أمبردج) لا تزال بالوزارة هل كانت هناك فعلاً؟

قال كأنه لا يريد إلا أن يوضح بضع نقاط «أنت تريدنى أن أوحى بأنى أعمل لصالح الوزارة؟»

قال (سكريمجور) وقد بدا على صوته الارتياح بأن (هارى) قد لان بهذه السرعة: «أنا أعطى الكل دفعة ليظنوا أنك كنتَ أكثر تورطًا يا (هارى) . «المختار»، أترى؟... لا أكثر من إعطاء الناس الأمل، الشعور بأن أشياء مثيرة تحدث...».

قال (هارى) وهو لا يزال يسعى جاهدًا لأن يبقى على نبرة الود فى صوته: «ولكن لو ظللتُ أتردد على الوزارة ألن يبدو الأمر كما لو أنى موافق على ما تدبره الوزارة؟».

قال (سكريمجور) وهو مقطب قليلاً : «حسنٌ، حسنٌ، نعم، هذا جزء مما نريد».

قال (هارى) فى فرح: «لا، لا أعتقد أن هذا سيجدى نفعًا. تعرف، أنا لا تعجبنى بعض أفعال الوزارة، كحبس (ستان شنبايك) مثلاً ».

توقف (سكريمجور) عن الكلام لبرهة، لكن تعبيراته صارت قاسية على الفور.

ثم قال: «لم أتوقع منك أن تتفهم، ولم يفلح فى إبعاد الغضب عن صوته كما فعل (هارى). هناك أوقات خطيرة، وهناك إجراءات لابد من اتخاذها . أنت فى السادسة عشرة من عمرك».

قال (هارى): «إن (دمبلدور) عمره أكبر كثيرًا من ست عشرة سنة، وهو لا يعتقد أن (ستان) ينبغى أن يكون فى (أزكابان) أيضًا. أنت تتخذ من (ستان) كبش فداء، تمامًا كما تريدنى أن أكون تعويذة حظ».

نظر كل منهما إلى الآخر نظرات طويلة وقاسية. وفى النهاية قال (سكريمجور) بدون تظاهر بالدفء «فهمتُ، أنت تفضل - كبطلك (دمبلدور) - أن تنأى بنفسك عن الوزارة؟»

قال (هارى): «أنا لا أريد أن أستغَل».

«قد يقول البعض إن من واجبك أن تستغلك الوزارة!».

قال (هارى) وقد انفعل الآن: «نعم، وقد يقول آخرون إن من واجبك أن تتحقق من أن الناس (آكلو الموت) فعلاً قبل أن ترمى بهم فى السجن. أنت تفعل ما كان يفعله (بارتى كراوتش) . أنتم لا تفهمون الأمر يا معشر الناس، أليس كذلك؟ فأمامنا إما (فودج) ونتظاهر بأن كل شىء على ما يرام فى حين أن يُقتل الناس أمام ناظريه، أو أنت يا من تلقى بالأبرياء فى غيابات السجن وتتظاهر بأنك تستحوذ على «المختار» وتستخدمه!».

قال (سكريمجور): «إذن فلستَ المختار؟»

قال (هارى) بابتسامة مرة: «ألم تقل إن هذا لا يهم أيًا كان، أو بالنسبة لك على أية حال؟».

قال (سكريمجور) بسرعة: «ما كان لى أن أقول ذلك. كانت قلة لباقة منى».

قال (هارى) «لا، بل كانت صدقًا منك. بل إنها الشىء الصادق الوحيد فيما قلت لى. أنت لا تبالى إن عشتُ أنا أو متُّ، ولكنك تبالى بأن أساعدك فى إقناع الجميع بأنك منتصر فى الحرب على (فولدمورت). أنا لم أنسَ أيها الوزير...».

ورفع قبضته اليمنى، فبدت على ظهر يده الباردة الندب بيضاء لامعة، تلك الندب التى أرغمه (دولورس أمبردج) على نقشها فى لحمه ونصها: لا يجب أن أكذب.

«أنا لا أذكر أنك هُرعتَ للدفاع عنى حين كنتُ أحاول أن أقول للجميع إن (فولدمورت) عاد من جديد. لم يكن الوزير حريصًا على صداقتى السنة الماضية».

ووقفا فى صمت جليدى كالأرض تحت أقدامهما. كان القزم قد نجح أخيرًا فى استخلاص دودته وكان الآن يمتصها فى سعادة وهو متكئ على الأغصان السفلية من أجمة الزهور.

قال (سكريمجور) بفظاظة: «ما الذى يخطط له (دمبلدور)؟ أين يذهب حين يغيب عن (هوجوورتس)؟».

قال (هارى): «لا أدرى».

قال (سكريمجور): «وما كنتَ لتخبرنى لو كنتَ تدرى، أليس كذلك؟».

قال (هارى): «لا، ما كنتُ لأخبرك».

«حسنٌ إذن، سأرى ما إذا كنتُ سأتمكن من أن أعرف بوسيلة أخرى».

قال (هارى) فى لامبالاة: «يمكنك أن تحاول، ولكنك تبدو أذكى من (فدج)، وبالتالى كنت أظن أنك تعلمتَ من أخطائه. فقد حاول التدخل فى (هوجوورتس). ولعلك لاحظت أنه لم يعد وزيرًا، أما (دمبلدور) فلا يزال مدير المدرسة. لو كنتُ مكانك لتركتُ (دمبلدور) وشأنه».

وساد صمت طويل.

ثم قال (سكريمجور) بعينين باردتين وقاسيتين وراء نظارته مدببة الحواف: «حسنٌ، من الواضح لى أنه أحسن عمله معك. فأنت رجل (دمبلدور) على طول الخط، أليس كذلك يا (بوتر)؟»

قال (هارى): «بلى، أنا كذلك. وأنا سعيد بأننا حسمنا تلك المسألة».

ثم أدار ظهره للوزير من أجل «السحر»، ومشى بخطى واسعة نحو البيت.

■ ■ ■

١٧ ذاكرة كسول

فى وقت متأخر من بعد الظهر بعد بضعة أيام من السنة الجديدة اصطف كل من (هارى) و(رون) و(جينى) بجانب مدفأة المطبخ كى يعودوا إلى (هوجوورتس) . كان الوزير قد رتب هذا الاتصال الموحد لشبكة (فلو) لإعادة الطلاب على وجه السرعة وبأمان إلى المدرسة. ولم يكن موجودًا معهم سوى السيدة (ويسلى) لتودعهم، حيث كان كل من السيد (ويسلى) و(فريد) و(جورج) و(بيل) و(فلور) جميعًا فى أعمالهم. وانسابت دموع السيدة (ويسلى) فى لحظة الفراق. والحقيقة أنها لم تجد صعوبة فى ذرفها فى الآونة الأخيرة؛ إذ كانت دائمة البكاء منذ اندفع (برسى) خارجًا من البيت فى يوم عيد الميلاد بنظارته التى تناثر عليها الجزر الأبيض المهروس (وهو ما تباهى بعمله (فريد) و(جورج) و(جينى) جميعًا).

قالت لها (جينى) وهى تربت على ظهرها حيث كانت السيدة (ويسلى) تنشج بالبكاء على كتفها «لا تبكى يا أمى. كل شىء على ما يرام...».

وقال (رون) وقد سمح لأمه بغرس قبلة مبللة تمامًا على خده: «نعم، لا تقلقى علينا، ولا على (برسى) . إنه فتى مدلل، هذه ليست خسارة حقيقية، أليس كذلك؟».

وزاد نشيج السيدة (ويسلى) عن ذى قبل عندما ضمت (هارى) بين ذراعيها.

«عدنى أن تهتم بنفسك... وتجنب المتاعب....».

«قال (هارى): «أنا دائمًا أفعل ذلك. فأنا أحب الحياة الهادئة؛ أنتِ تعرفيننى».

فأطلقت ضحكة خافتة مبللة ثم تراجعت إلى الوراء.

«إذن كونوا فى خير حال، كلكم...».

دخل (هارى) النار الزمردية وصاح: «(هوجوورتس)!». وغمره مشهد واحد أخير سريع الزوال لمطبخ آل (ويسلى) ووجه السيدة (ويسلى) الدامع أمام لهيب النار؛ ثم أخذ يدور بسرعة كبيرة فألقى نظرات خاطفة مشوشة لبقية غرف السحر التى احتجبت قبل أن يتمكن من إلقاء نظرة تامة عليها؛ ثم أخذ يبطئ، وأخيرًا توقف فجأة فى المدفأة بمكتب البروفسورة (ماكجونجال). رفعت رأسها عن عملها وألقت عليه نظرة خاطفة بالكاد وهو يتسلق قضبان شبكة الوقود.

«مساء الخير يا (بوتر) . حاول ألا تنثر الكثير من الرماد على البساط».

«لا يا بروفسورة».

عدَّل (هارى) نظارته وسوى شعره بينما جاء (رون) وظهر وهو يدور بسرعة. وعندما وصلت (جينى) احتشد ثلاثتهم خارجين من مكتب (ماكجونجال) ومنطلقين إلى برج (جريفندور) . ألقى (هارى) نظرة خاطفة خارج نوافذ الدهليز وهو يمر بجانبها؛ كانت الشمس تغوص بالفعل فوق أراضٍ كساها ثلج أعمق مما ربض منه فوق حديقة (بورو). وعلى البعد تمكن من رؤية (هاجريد) يطعم (باك بيك) أمام قمرته.

قال (رون) فى ثقة حين وصلوا إلى السيدة البدينة التى بدت أكثر شحوبًا من المعتاد وجفلت من صوته المرتفع: «دُمى».

قالت: «لا».

«لا؟ ماذا تقصدين؟».

قالت «هناك كلمة سر جديدة، ولا تصرخ من فضلك».

«لكننا كنا غائبين، كيف لنا أن...؟».

«(هارى) ! (جينى)!».

كانت (هرميون) تأتى مسرعةً نحوهم بوجه محمرّ وترتدى عباءة وقبعة وقفازين.
قالت وهى تلهث «عدتُ منذ ساعتين، نزلتُ لتوى لزيارة (هاجريد) و(باك) ـ أقصد (ويذروينجز) . هل قضيتم عيد ميلاد سعيدًا؟».
قال (رون) على الفور «نعم، ملىء بالأحداث».
قالت (هرميون) دون أن تنظر إلى (رون) أو أن تبدى ما يدل على أنها سمعته: «لدى شىء لك يا (هارى). آه، انتظر... كلمة السر «امتناع عن الحلوى».
قالت السيدة البدينة بصوت واهن: «تمام» وسارت تؤرجح يديها إلى الأمام لتكشف عن ثقب اللوحة.
سأل (هارى): «ما الذى أصابها؟».
قالت (هرميون) وهى تدير عينيها وتقود الطريق إلى داخل غرفة الاستراحة: «أفرطت فى الشراب ليلة عيد الميلاد على ما يبدو. هى وصديقتها (فيوليت)، تجرعتا كل النبيذ الذى كان فى صورة الرهبان السكارى بأسفل فى دهليز تعاويذ السحر . على أية حال...».
وأخذت تفتش فى جيبها للحظة. ثم خرجت منه بلفافة من مخطوطات التعاويذ عليها خط (دمبلدور).
قال (هارى) وهو يفضها على الفور ليكتشف أن درسه التالى مع (دمبلدور) كان موعده الليلة التالية: «لدىّ الكثير مما أقوله له.. ولك.. لنجلس..».
ولكن فى تلك اللحظة كانت هناك صيحة طويلة حادةً (وون... وون!) وجاءت (لافيندر براون) على عجل من اللامكان وارتمت بين ذراعى (رون). أطلق العديد من المشاهدين ضحكات مكبوتة؛ وأطلقت (هرميون) ضحكة ذات رنين وقالت: «هناك مائدة هنا... هل أنت آتية يا (جينى)؟».
قالت (جينى): «لا، شكرًا» قلت: إنى سألتقى (دين) لكن (هارى) لاحظ على الرغم منه أنها لم تكن متحمسة كثيرًا. قاد (هارى) (هرميون) إلى

المائدة الخالية تاركًا كلاً من (رون) و(لافيندر) مشتبكين فيما يشبه معركة مصارعة رأسية.

«كيف قضيتِ عيد الميلاد إذن؟».

هزت كتفيها بلا مبالاة وقالت: «آه، بخير. لا شيء على وجه الخصوص. كيف كان الحال فى (وون... وون) ؟».

قال (هارى): «سأقول لك فى غضون دقيقة. اسمعى يا (هرميون)، ألا تستطيعين...؟».

قالت بصراحة: « لا، لا أستطيع . فلا تطلب».

«قلت: ربما، تعرفين، فى عيد الميلاد».

«السيدة البدنية هى التى تجرعت راقودًا من النبيذ عمره خمسمائة سنة يا (هارى) وليس أنا. ما الخبر المهم الذى أردتَ أن تخبرنى به».

كانت تبدو أشرس من أن تجادَل فى تلك اللحظة، فنحى (هارى) موضوع (رون) وتذكر كل ما استرق سمعه بين (مالفوى) و(سناب).

وعندما فرغ جلست (هرميون) تفكر للحظة ثم قالت: «ألا تظن...؟».

«...كان يتظاهر بعرض المساعدة حتى يتمكن من خداع (مالفوى) ليخبره بما يعمل؟».

قالت (هرميون): «حسنٌ، نعم».

قال (هارى) شاكيًا: «والد (رون) و(لوبين) يعتقدان ذلك. لكن هذا يثبت دون شك أن (مالفوى) يدبر أمرًا، لا يسعك أن تنكرى ذلك».

أجابت على مهل: «لا، لا يسعنى».

«وهو يتصرف بناء على أوامر (فولدمورت)، ولكن كما قلتُ!».

«آه، وهل ذكر أى منهما اسم (فولدمورت) فعلاً؟».

تجهم (هارى) محاولاً أن يتذكر.

«لستُ متأكدًا... المؤكد هو أن (سناب) قال «سيدك»: «ومن عسى أن يكون غيره؟».

قالت (هرميون) وهى تعض شفتيها «ربما أبوه؟».

وحدقت عبر الغرفة وغاصت فى التفكير بصورة واضحة ولم تلاحظ (لافيندر) وهى تدغدغ (رون). «كيف حال (لوبين)؟».

قال (هارى): «ليس فى أحسن حال» وأخبرها بكل شىء عن مهمة (لوبين) وسط المستذئبين والمصاعب التى كان يواجه. «هل سمعت بهذا الـ(فنرير جريباك)؟».

قالت (هرميون) فى رهبة: «نعم، سمعتُ وأنت أيضًا يا (هارى) إذن!».

«متى، «تاريخ السحر»؟ أنتِ تعرفين جيدًا أنى لا أصغى...».

قالت (هرميون): «لا، لا، ليس «تاريخ السحر»... (مالفوى) هدد (بورجين) به! فى زقاق (نكتورن)، ألا تتذكر؟ أبلغ (بورجين) بأن (جريباك) كان صديقًا قديمًا للعائلة وأنه سيتابع تقدم (بورجين)!».

شهق (هارى) قائلاً: «نسيت! لكن هذا يثبت أن (مالفوى) من (آكلى الموت)، وإلا فكيف تمكن من الاتصال بـ(جريباك) وتوجيهه إلى ما يفعل؟».

زفرت (هرميون) وقالت: «هذا أمر مريب للغاية. ما لم ...».

قال (هارى) ساخطًا «دعك من ذلك! لا يمكنك أن تبررى هذا!».

«حسنٌ، هناك احتمال أنه كان مجرد تهديد أجوف».

قال (هارى) وهو يهز رأسه: «سنرى من فينا على حق... ستتراجعين عما قلتِ يا (هرميون)، تمامًا كما فعل الوزير. نعم، كان لى موقف صعب مع (روفوس سكريمجور) أيضًا...».

ومرت بقية الليلة بشكل ودى وكلاهما يسبان الوزير بسبب السحر، إذ كانت (هرميون) تظن كما ظن (رون) أن الوزارة بعد كل ما تسببت فيه لـ(هارى) فى السنة السابقة تتحلى بدرجة عالية من الوقاحة إذ تعود تطلب منه العون الآن.

بدأ الفصل الدراسى الجديد فى الصباح التالى بمفاجأة سارة لذوى سنوات الست؛ لافتة كبيرة ثبتت على لوحة إعلانات غرفة الاستراحة ليلاً:

دروس فى ظهور الأشباح

لو كنتَ فى السابعة عشرة من عمرك، أو ستبلغ السابعة عشرة فى ٣١ أغسطس فأنت مؤهل لحضور دورة لدروس فى ظهور الأشباح يلقيها معلم من «وزارة السحر».

من فضلك سجل اسمك إذا رغبتَ فى الاشتراك.

التكلفة: ٢١ جالونًا.

انضم (هارى) و(رون) للزحام الذى احتشد حول اللافتة لتناوب كتابة الأسماء تحته. كان (رون) يخرج ريشته ليسجل اسمه بعد (هرميون) حين زحفت (لافيندر) وراءه ووضعت يديها على عينيه وتغنت قائلة «خمِّن من أنا يا (وون ... وون)؟» التفت (هارى) ليجد (هرميون) تسير ببطء؛ فلحق بها لعدم رغبته فى البقاء مع (رون) و(لافيندر)، ولكنه فوجئ بأن (رون) لحق بهما على مسافة غير بعيدة وراء ثقب اللوحة وقد احمرت أذناه وبدا عليه السخط. وبدون أن تتفوه بكلمة أسرعت (هرميون) لتسير مع (نيفيل).

«قال (رون) «ظهور الأشباح... إذن» وكانت نبرة صوته توضح تمامًا أن (هارى) ما كان ليذكر ما حدث توًا.

«ينبغى أن تكون مزحة، أليس كذلك؟».

قال (هارى): «لا أدرى، لعل الحال يكون أفضل إذا فعلتَ ذلك بنفسك، أنا لم أستمتع بها كثيرًا عندما أخذنى (دمبلدور) معه فى هذا المشوار».

قال (رون) وقد بدت عليه اللهفة: «نسيتُ أنك فعلتَ ذلك من قبل.... يستحسن أن أنجح فى الامتحان من أول مرة. (فريد) و(جورج) نجحا فيه».

«لكن (شارلى) رسب فيه، أليس كذلك؟».

رفع (رون) ذراعيه خارج جسمه كالغوريللا وقال: «نعم، لكن (شارلى) أضخم منى. إذن (فريد) و(جورج) لم يفلحا فيه كثيرًا... وجهه على الأقل...»

«متى يمكن لنا أن ندخل الامتحان الفعلى؟».

«بمجرد أن نبلغ السابعة عشرة. فى مارس القادم بالنسبة لى!».

«نعم، لكنك لن تتمكن من الظهور هنا، فى القلعة...».

«ليس الهدف، أليس كذلك؟ الكل يعرف أنى أستطيع الظهور إن أردت».

لم يكن (رون) الوحيد الذى يتوق لمشهد الظهور. طوال ذلك اليوم كان الحديث يدور حول الدروس الوشيكة؛ كم كبير من المخزون أطلقته القدرة على الاختفاء والظهور اختياريًا.

طقطق (سيموس) أصابعه إيحاءً بالاختفاء، وقال: «كم سيكون ممتعًا أن نتمكن من .... ابن عمى (فرجوس) يفعل ذلك ليضايقنى، انتظر حتى أتمكن من أن أردها له... لن يهنأ بلحظة سلام أخرى ...».

تاه فى رؤى عن هذا المشهد السعيد ونقر عصاه السحرية بحماس زائد قليلاً وبدلاً من إيجاد نافورة ماء زلال وهو الهدف من درس التعاويذ السحرية لذلك اليوم أطلق دفقة كالخرطوم اخترقت السقف ونزلت بشقة البروفسور (فليتويك) على وجهه.

قال (رون) لـ(سيموس) الذى كان مرتبكًا قليلاً بعد أن جفف البروفسور (فليتويك) نفسه بموجة من عصاه السحرية وأطلق سطور (سيموس): «أنا ساحر ولستُ قردًا يلوح بعصا». «(هارى) ظاهر بالفعل، (دم... ور)... أخذه شخص ما ... الأشباح، أتعرف؟».

همس (سيموس) قائلاً «ماذا؟» وقرَّب هو و(دين) و(نيفيل) رءوسهم قليلاً ليحسوا كيف يكون الظهور. وفى بقية اليوم ظل (هارى) محاصرًا بطلبات من بقية ذوى السنوات الست بأن يصف إحساس الظهور. كلهم بدت عليهم الرهبة أكثر من النفور حين وصف لهم كم هو غير مريح، وكان لا يزال يجيب أسئلة مفصلة حتى الثامنة إلا عشر دقائق فى تلك الليلة حين أرغم أن يكذب ويقول إنه مضطر لإعادة كتاب للمكتبة حتى يفلت فى الوقت المحدد لدرسه مع (دمبلدور).

المصابيح بمكتب (دمبلدور) كانت مضاءة، ولوحات صور النظار السابقين كانت تغط برفق فى أطرها، وكان المنخل جاهزًا على المكتب مرة أخرى. كانت يدا (دمبلدور) على كل من جانبيه، كانت اليد اليمنى مسودَة ومحترقة كالعادة. لم يبدُ أنها شفيت على الإطلاق وتساءل (هارى) ربما للمرة المائة عما تسبب فى إصابة متميزة كهذه، ولكنه لم يسأل، كان (دمبلدور) قد قال إنه سيعرف فى نهاية المطاف. وكان هناك على أية حال موضوع آخر يود أن يناقشه. ولكن قبل أن يتمكن (هارى) من قول أى شىء عن (سناب) و(مالفوى) تكلم (دمبلدور).

«سمعتُ أنك التقيت وزير السحر فى عيد الميلاد».

قال (هارى) «نعم، وهو غير راضٍ تمامًا عنى».

تنهد (دمبلدور) وقال: «لا، فهو غير راضٍ تمامًا عنى أنا أيضًا . لابد أن نحاول أن نغوص تحت آلامنا يا (هارى)، ولكن عليك أن تواصل المعركة»

تجهم (هارى).

كان يريدنى أن أبلغ جماعة السحرة بأن الوزارة تؤدى عملها على أكمل وجه ابتسم (دمبلدور).

«كانت هذه فكرة (فودج) أصلاً. فى أواخر أيامه فى المنصب حين كان يستميت فى محاولة التشبث بمنصبه سعيًا لمقابلتك على أمل أن تسانده».

قال (هارى) غاضبًا «بعد كل ما فعله (فودج) فى السنة الماضية؟ بعد (أمبردج)؟».

«أخبرت (كورنيليوس) باستحالة ذلك، لكن الفكرة لم تمت بتركه المنصب. ففى غضون ساعات من تعيين (سكريمجور) التقينا وطلب منى أن أرتب لقاء معك».

قال(هارى) دون تفكير: «هذا إذن هو السبب فى أنك جادلتنى! كانت فى جريدة (بروفت) اليومية».

قال (دمبلدور): «جريدة (بروفت) ملتزمة بنشر الحقيقة من حين لآخر، ولو عن طريق المصادفة، نعم، كان هذا هو السبب فى أننا جادلنا. حسنٌ، يبدو أن (روفوس) وجد طريقة لوضعك فى ركن على الأقل».

«اتهمنى بأنى رجل (دمبلدور) على طول الخط».

«هذا سخف منه».

«قلتُ له إنى كنتُ هكذا فعلاً».

فغر (دمبلدور) فاه ليتكلم ثم أغلقه مرة أخرى. ومن وراء (هارى) أطلق طائر العنقاء (فاوكس) صيحة موسيقية خفيضة رقيقة. وكان من دواعى الحرج بالنسبة لـ (هارى) أن أدرك فجأة أن عينى (دمبلدور) الزرقاوين البراقتين بدتا دامعتين، فحدق بسرعة إلى ركبتيه. ولكن عندما تكلم (دمبلدور) كان صوته ثابتًا تمامًا.

«أنا تأثرت للغاية يا (هارى)».

قال (هارى) وهو لا يزال ينظر بثبات إلى ركبتيه: «أراد (سكريمجور) أن يعرف إلى أين تذهب حين تغيب عن (هوجوورتس)».

قال (دمبلدور) بصوت تحول إلى المرح: «نعم، فهو شديد الفضول فى هذا الصدد» وظن (هارى) أن لا خطر من أن يعود فيرفع ناظريه. «بل إنه حاول أن يتبعنى . مسألة مسلية فعلاً. عيّن (دولش) ليتتبعنى . كان أمرًا غير لطيف. اضطررتُ فعلاً لإلقاء النحس على (دولش) ذات مرة؛ وأقدمتُ على ذلك مرة أخرى وأنا فى غاية الندم.

فسأله (هارى) على أمل الحصول على مزيد من المعلومات حول هذا الموضوع الشائك: «إذن فهم لا يزالون لا يعرفون إلى أين تذهب؟» لكن (دمبلدور) اكتفى بابتسامة من فوق نظارته الهلالية الشكل.

«لا، لا يعرفون، والوقت ليس مناسبًا تمامًا بالنسبة لك أنت أيضًا لكى تعرف. أرى أن نتوقف عند هذا الحد إن لم يكن ثم شىء آخر؟».

قال (هارى): «هناك شىء آخر فى الحقيقة يا سيدى، بخصوص (مالفوى) و(سناب)».

«البروفسور (سناب) يا (هارى) ؟».
«نعم سيدى، سمعتهما فى حفل البروفسور (سلجهورن).. حسنٌ تتبعتهما فى الحقيقة...».
أنصت (دمبلدور) لقصة (هارى) بوجه جامد. وحين فرغ (هارى) لم يتكلم لبضع لحظات، ثم قال «أشكرك على إبلاغك إياى يا (هارى)، ولكنى أقترح عليك أن تخرجها من رأسك. فلا أظن أنها مسألة على قدر كبير من الأهمية».
ردد (هارى) فى شك: «ليست على قدر كبير من الأهمية أيها البروفسور؟ هل فهمتَ..؟».
قال (دمبلدور): «نعم يا (هارى)، فمازلتُ أنعم بقوة عقل فائقة كعهدى دائمًا. فهمتُ كل ما قلتَ لى».
قال (دمبلدور) بشىء من الحدة: «أعتقد أنك قد تأخذ فى الحسبان احتمال أنى قد أدرك الأمر أكثر منك. ومرة أخرى، أنا سعيد بثقتك بى، ولكن دعنى أؤكد لك من جديد أنك لم تبلغنى بشىء يزعجنى».
جلس (هارى) فى صمت مضطرب يحدق فى (دمبلدور). ماذا يحدث؟ هل معنى هذا أن (دمبلدور) كان قد أمر (سناب) بالفعل بأن يقف على ما يفعله (مالفوى)، وبذلك يكون قد سمع كل ما أبلغه به (هارى) لتوه عن (سناب)؟ أم تراه انزعج لما سمع ولكنه يتظاهر بعكس ذلك؟
قال (هارى) بصوت هادئ تعشم أن يكون مهذبًا: «إذن سيدى فأنت لا تزال تثق...».
فقال (دمبلدور): «لدىّ من التسامح ما يسمح لى بأن أجيب هذا السؤال» لكن نبرة صوته لم تعد تبدو متسامحة. «ردى لم يتغير».
صوت مخادع قال: «لا أظن» كان من الواضح أن (فينياس نيجيلاس) كان يتظاهر بالنوم. فتجاهله (دمبلدور).
«وأنت يا (هارى)، أنا مصر على أن نواصل. لدىّ أشياء أهم أناقشها معك هذا المساء».

جلس (هارى) فى مكانه وهو يشعر بالتمرد. ماذا لو رفض السماح بتغيير الموضوع، لو أصر على مناقشة الأمر ضد (مالفوى)؟ هز (دمبلدور) رأسه كأنه قرأ عقل (هارى).

«آ... (هارى)، كثيرًا ما يحدث ذلك، حتى بين أقرب الأصدقاء! كلٌ منا يظن أن ما لديه لكى يقوله أهم من أى شىء لدى غيره!».

قال (هارى) بفظاظة: «أنا لا أعتبر ما تقوله غير مهم، سيدى».

قال (دمبلدور) بخفة: «حسن»، أنت على حق تمامًا، فهو ليس غير مهم. فلدىَّ ذاكرتان أخريان أريهما لك هذا المساء، حصلتُ على كلتيهما بصعوبة بالغة، وثانيتهما أهم ما تحصلتُ عليه على ما أعتقد».

لم يقل (هارى) شيئًا ردًا على هذا؛ كان لا يزال يشعر بالغضب إزاء الاستقبال الذى لقيه ثقاته، ولكنه لم ير فائدة من مواصلة الجدل.

قال (دمبلدور) بصوت رنان: «إذن لنلتقِ هذا المساء لنواصل حكاية (توم ريدل) الذى تركناه الدرس الماضى فى حالة توازن على عتبة سنواته فى (هوجوورتس). ستتذكر مدى شوقه لسماع أنه ساحر وأنه رفض رفقتى فى رحلة إلى زقاق (دياجون)، وإنى فى المقابل حذرته من الاستمرار فى السرقة عندما وصل إلى المدرسة.

تابع (دمبلدور) قائلاً: «حسنٌ، حلت بداية السنة الدراسية ومعها جاء (توم ريدل)، صبى هادئ يرتدى ثيابًا مستعملة وقف فى صفوف سائر المبتدئين بالسنة الأولى حتى يتم فرزه. ووضع فى بيت (سليذرين) تقريبًا فى اللحظة التى مست قبعة الفرز رأسه» ثم لوح بيده المسودّة تجاه الرف فوق رأسه حيث كانت قبعة الفرز عتيقة ولا تتحرك. «متى علم (ريدل) بأن المؤسس الشهير للبيت يستطيع أن يكلم الأفاعى؟ لا أدرى... ربما فى ذلك المساء نفسه. علمه به ما كان إلا أن يثير انتباهه ويضيف إلى شعوره بأهميته».

«على أيٍّ، فلو كان يخيف زملاءه ببيت (سليذرين) أو يبهرهم بعروض (بارسلتونج) في غرفة الاستراحة الخاصة بهم فلم يبلغ أي شيء منها طاقم الأساتذة. فلم يبدُ عليه أي دليل خارجي ينم عن الغطرسة أو العدوانية. فهو كيتيم موهوب بدرجة غير عادية وحسن الطلعة جدًّا، فقد كان من الطبيعي أن يجذب انتباه هيئة الأساتذة وتعاطفهم من لحظة وصوله تقريبًا. كان يبدو مهذبًا هادئًا ومتعطشًا للمعرفة. الكل تقريبًا كانوا منبهرين به لأقصى حد».

سأله (هاري): «ألم تبلغه سيدي بما كان عليه حين التقاك بملجأ الأيتام؟».

«لا، لم أبلغه. ومع أنه لم تبدُ عليه أي من أمارات الندم فلعله كان يشعر بالأسف على تصرفاته قبل أن يتقرر أن يقلب ورقة جديدة. اخترتُ أن أمنحه هذه الفرصة».

توقف (دمبلدور) وألقى نظرة متسائلة على (هاري) الذي فتح فمه ليتكلم. وهنا أيضًا كان ميل (دمبلدور) للثقة بالناس على الرغم من وجود أدلة دامغة على أنهم لا يستحقونها! لكن (هاري) تذكر حينها شيئًا...

«لكنك لم تكن تثق به فعلاً سيدي، أليس كذلك؟ هو قال لي... (ريدل) الذي خرج من تلك المفكرة قال: (دمبلدور) لم يكن يحبني قدر حب سائر المعلمين لي».

قال (دمبلدور): «دعنا نقول إني لم أسلم جدلاً بأنه جدير بالثقة. كنتُ كما سبق أن أشرتُ قد قررتُ أن أبقِي عيني عليه، وكذلك فعلتُ. لا أستطيع أن أتظاهر بأني جمعت الكثير من ملاحظاتي في بادئ الأمر. فقد كان شديد الحذر معي؛ أنا على ثقة من أنه كان يشعر أنه قال لي أكثر من اللازم في غمرة اكتشاف هويته الحقيقية. كان حريصًا ألا يكشف كل هذا القدر مرة أخرى، ولكنه لم يتمكن من استرجاع ما تفوه به في غمرة حماسته، ولا ما باحت لي به السيدة (كول). ومع ذلك كان يساوره شعور بألا يحاول أن يفتنني كما فتن العديد من زملائي.

«ومع تقدمه فى المدرسة جمع حوله مجموعة من الأصدقاء المخلصين؛ أنا أعتبرهم كذلك لعدم وجود وصف أفضل، ولو أن (ريدل) ـ كما سبق أن أشرتُ ـ لم يشعر دون شك بأية عاطفة لأى منهم. هذه المجموعة كان لديها نوع من الافتتان الأسود داخل القلعة. كانوا مجموعة متنافرة؛ مزيجًا من الضعفاء الباحثين عن حماية أو من الطموحين الساعين إلى قدر من الجد المشترك أو من القتلة المنجذبين إلى زعيم يدلهم على المزيد من أنماط أنقى من القسوة. بعبارة أخرى كانوا رواد (آكلى الموت)، وبالفعل أصبح بعضهم أول (آكلى الموت) موت بعد الرحيل عن (هوجوورتس).

«كانوا خاضعين لسيطرة صارمة من (ريدل) فلم يتم كشفهم يخطئون فى العلن قط، مع أن ذوى السنوات السبع منهم فى (هوجوورتس) كانوا يتميزون بعدد من الحوادث المزعجة التى لم يتم ربطهم بها بصورة كافية، وكان أخطرها بالطبع فتح غرفة الأسرار الذى أدى إلى موت فتاة. واتهم (هاجريد) خطأ كما تعلم بتلك الجريمة.

«ولم أتمكن من العثور على كثير من الذاكرات لكل من (ريدل) فى (هوجوورتس)». ثم وضع (دمبلدور) يده المشلولة على المنخل وقال: «قليل ممن كانوا يعرفونه حينئذٍ مستعدون للحديث عنه؛ وهم مذعورون أكثر من اللازم. وقد اكتشفتُ ما أعرف عنه بعد أن غادر (هوجوورتس)، بعد كثير من الجهد المضنى، وبعد تعقب القلة ممن أمكن خداعهم ليبوحوا، وبعد البحث فى السجلات القديمة واستجواب (مجل) والشهود السحرة على السواء.

«ومن أقنعتهم بالكلام أبلغونى أن (ريدل) كان مفتونًا بنسبه. وهذا أمر مفهوم بالطبع؛ فقد نشأ فى ملجأ للأيتام وكان بطبيعة الحال يتمنى أن يعرف كيف جاء إلى ذلك المكان. ويبدو أنه بحث دون طائل عن أثر لـ(توم ريدل سنيور) على زجاج غرفة التذكارات وفى قوائم

الولاة بسجلات المدرسة القديمة، بل فى كتب تاريخ السحر. وفى النهاية اضطر لتقبل فكرة أن أباه لم يخطُ بقدميه فى (هوجوورتس) قط. وأظن أنه حينها تخلى عن الاسم للأبد واتخذ هوية (لورد فولدمورت) وشرع فى تحقيقاته عن أسرة أمه التى كان يحتقرها فيما مضى - تلك المرأة التى ستتذكرها - كان يظن أن من المستحيل أن تكون ساحرة لو استسلمت للضعف البشرى المخزى المتمثل فى الموت.

«كل ما تمكن من العثور عليه هو اسم واحد: (مارفولو)، وقد عرف من القائمين على إدارة الملجأ أنه اسم والد أمه. وأخيرًا وبعد بحث مضنٍ فى الكتب القديمة عن عائلات السحرة اكتشف وجود نسل (سليذرين) مما كانوا على قيد الحياة. وفى صيف السنة السادسة عشرة من عمره غادر الملجأ الذى ظل يعود إليه كل سنة وانطلق يبحث عن أقربائه الكئيبين. والآن يا (هارى)، هلا وقفتَ...».

نهض (دمبلدور) ورأى (هارى) أنه كان مرة أخرى ممسكًا بزجاجة بلَورية صغيرة مملوءة بذاكرة لؤلئية تدور كالدوامة.

قال وهو يصب المقدار المتلألئ فى المنخل: «حالفنى الحظ إذا تمكنت من جمع هذه. ستفهم بعد أن نجربها، فهل نبدأ؟».

صعد (هارى) إلى أعلى الحوض الحجرى وانحنى فى طاعة إلى أن غاص وجهه فى سطح الذاكرة؛ وأحس بذلك الإحساس المألوف بالسقوط فى اللاشىء ثم هبط على أرضية حجرية قذرة فى ظلام تام تقريبًا.

استغرق الأمر ثوانى عدة ليتعرف على المكان وحينها كان (دمبلدور) قد هبط بجانبه. كان بيت الكئيبين الآن أقذر من أى مكان رآه (هارى) من قبل وبصورة لا توصف. كان السقف تكسوه طبقة سميكة من خيوط العنكبوت، والأرضية يغطيها السخام؛ طعام متحجر ونتن ملقى على المائدة وسط كم من القدور المقشورة. كان الضوء الوحيد يأتى من شمعة وحيدة ذائبة وضعت عند قدمى رجل شعره ولحيته طويلان حتى

أن (هارى) لم يتمكن من رؤية عينيه ولا فمه. كان مسترخيًا فى مقعد ذى ذراعين بجوار مدفأة، وتساءل (هارى) لبرهة عما إذا كان ميتًا. ولكن حينها دوت نقرة مدوية على الباب فانتفض الرجل مستيقظًا ورفع عصاه السحرية بيده اليمنى وسكينًا قصيرًا بيسراه.

صر الباب وهو ينفتح. كان يقف على العتبة صبى ممسكًا بمصباح من الطراز القديم تعرف عليه (هارى) على الفور، كان طويلاً شاحبًا داكن الشعر أنيقًا، إنه (فولدمورت) وهو بعد فى سن المراهقة.

جالت عينا (فولدمورت) ببطء فى أرجاء الكوخ ثم عثر على الرجل القابع بالكرسى ذى الذراعين. تبادلا النظرات لثوانٍ، ثم ترنح الرجل ووقف منتصبًا، فتدحرجت الزجاجات الفارغة التى كانت عند قدميه على الأرضية وأحدثت رنينًا.

صاح قائلاً: «أنت! أنت!».

فاندفع مترنحًا نحو (ريدل) رافعًا العصا السحرية والسكين عاليًا.

«قف».

تكلم (ريدل) بلغة (بارسلتونج). فانزلق الرجل فى المائدة مسقطًا القدور المتحجرة لتتحطم على الأرضية. وحدق فى (ريدل). وساد صمت طويل تأمل فيه كل منهما الآخر. وكسره الرجل.

«هل تتكلمها؟».

قال (ريدل) «نعم، أتكلمها؟». وتقدم إلى داخل الغرفة تاركًا الباب يتأرجح وينغلق وراءه. لم يسع (هارى) إلا أن يحس بإعجاب يشوبه امتعاض إزاء انعدام الخوف تمامًا من قلب (فولدمورت). كل ما بدا على وجهه كان تعبيرًا مشمئزًا وربما إحباطًا.

سأله: «أين (مارفولو)؟».

قال الآخر: «مات. مات منذ سنوات، أليس كذلك؟».

تجهم (ريدل).

«من أنت إذن؟».

«أنا مورفين. ألستُ كذلك؟».

«ابن (مارفولو)؟».

«بالطبع...».

دفع (مورفين) الشعر عن وجهه القذر، الأفضل رؤية (ريدل)، ورآه (هارى) وهو يرتدى خاتم (مارفولو) المتحجر الأسود فى يمناه.

همس (مورفين) قائلاً: «ظننتُ أنك (عامىّ). أنت تشبه ذلك الـ(عامىّ) تمامًا».

قال ريدل بحدة: «أى (عامىّ)؟».

قال (مورفين): «ذلك الـ(عامىّ) هو ما شغف أختى حبًا، ذلك الـ(عامىّ) وهو ما يعيش بالبيت الكبير على الطريق». ثم بصق بصورة مفاجئة على الأرضية بينهما. «أنت تشبهه تمامًا يا (ريدل)، ولكنه أكبر سنًا الآن، أليس كذلك؟ أكبر منك، الآن أفكر فيه...».

كان (مورفين) يبدو مترنحًا قليلاً ويتمايل بعض الشىء، لا يزال متشبثًا بحافة المائدة يستمد منها الدعم.

أضاف بغباء: «لقد عاد، أترى؟».

كان (فولدمورت) يحدق فى (مورفين) وكأنه يثنى على إمكاناته. ثم اقترب قليلاً وقال: «(ريدل) عاد؟».

قال (مورفين): «تركها، وهى تستحق ذلك، تتزوج القذر!» ثم بصق على الأرضية مرة أخرى. «سلبتنا عقولنا قبل أن تهرب! أين علبة التذكارات، ها، أين علبة (سليذرين)؟».

لم يجبه (فولدمورت). وثار غضب (مورفين) من جديد؛ فلوح بسكينه وصاح قائلاً: «لوثت سمعتنا، تلك العاهرة الصغيرة! ومن أنت حتى تأتى إلى هنا وتسألنى أسئلة عن كل هذا؟ هذا أمر انتهى، انتهى...».

وتحول بنظره وترنح قليلاً، وتقدم (فولدمورت). وبينما تقدم ساد ظلام غير طبيعى أطفأ مصباح (فولدمورت) وشمعة (مورفين)، أطفأ كل شىء...

أطبقت أصابع (دمبلدور) بإحكام حول ذراع (هارى) وحلقا عائدين إلى الحاضر مرة أخرى. بدا أن الضوء الذهبى الخافت فى مكتب (دمبلدور) بهر عينى (هارى) بعد هذا الظلام الدامس.

قال (هارى) مرة واحدة: «أهذا كل شىء؟ لماذا أظلمَت؟ ماذا حدث؟».

قال (دمبلدور) وهو يشير إلى (هارى) بالعودة إلى مقعده: «لأن (مورفين) لم يستطع أن يتذكر أى شىء من تلك النقطة فصاعدًا. حين استيقظ صباح اليوم التالى كان مستلقيًا على الأرضية وحيدًا، كان خاتم (مارفولو) قد ضاع.

فى الوقت نفسه وفى قرية (ليتل هانجلتون) كانت هناك فتاة تجرى فى الطريق وهى تصرخ بأن هناك ثلاث جثث ملقاة بقاعة الاستقبال بالبيت الكبير: (توم ريدل سنيور) وأمه وأبوه.

واحتارت سلطات (العامة). على حد علمى لا يعرفون إلى يومنا هذا كيف مات آل (ريدل)، فلعنة (أفادا كدافرا) عادةً لا تترك أى ضرر... الاستثناء جالس أمامى، وأضاف (دمبلدور) مع إشارة إلى ندبة (هارى): «الوزارة من ناحية أخرى عرفت فى التو أن هذه كانت جريمة ساحر. كما عرفوا أن أحد أعداء (العامة) يعيش عبر الوادى من بيت (ريدل)، أحد أعداء (مجل) كان قد أدخل السجن مرة لمهاجمته أحد القتلى.

وهكذا استدعت الوزارة (مورفين). لم تكن تريد سؤاله أو استغلال (فيريتاسيروم) أو (لجيليمنسى). واعترف بالجريمة على الفور وأعطى تفاصيل ما كان ليعرفها سوى القاتل. وقال إنه فخور بأنه قتل آل (العامة) وإنه كان ينتظر فرصته طوال تلك السنوات. وسلم عصاه السحرية والتى ثبت على الفور أنها استُعملت فى قتل آل (ريدل). وترك

نفسه ليُقتاد إلى (أزكابان) دون قتال. كل ما أزعجه هو اختفاء خاتم أبيه. وقال لآسريه مرارًا وتكرارًا: «سيقتلنى لفقده؛ سيقتلنى لفقد خاتمه». وكان هذا على ما يبدو كل ما ظل يردده. وعاش بقية عمره فى (أزكابان) ينعى ضياع آخر ما ورث عن (مارفولو) ودفن بجوار السجن جنبًا إلى جنب مع سائر المساكين الذين ماتوا داخل أسواره».

قال (هارى) وهو ينتصب فى جلسته: «إذن فقد سرق (فولدمورت) عصا (مورفين) السحرية واستعملها؟».

قال (دمبلدور): «هذا صحيح؛ ليس لدينا ذاكرات لتبين لنا هنا، لكنى أظن أننا يمكن أن نتأكد مما حدث. وصعق (فولدمورت) عمه وأخذ عصاه السحرية وتقدم عبر الوادى نحو «البيت الكبير على الطريق». وهناك قتل الرجل (العامىّ) الذى كان قد تخلى عن أمه الساحرة وجديه (من العامة)، ومحا بذلك آخر نسل (ريدل) التافه وثأر لنفسه من أب لم يكن يريده. ثم عاد إلى كوخ الكئيبين وأدى طقس سحر لزرع ذاكرة زائفة فى ذهن عمه، فوضع عصا (مورفين) السحرية بجانب صاحبها الغائب عن الوعى ووضع الخاتم العتيق الذى كان يلبسه وأطلق...».

«ولم يدرك (مورفين) أبدًا أنه لم يفعلها؟».

قال (دمبلدور): «أبدًا. قدم اعترافًا كاملاً ومتبجحًا كما قلتُ».

«ولكنه ظل بهذه الذاكرة الحقيقية بداخله طوال الوقت!».

قال (دمبلدور): «نعم، ولكن احتاج الأمر لقدر كبير من مهارة (لجيليمنسى) لانتزاعها منه بلطف، وما الداعى لأن ينقب أحد أكثر من ذلك فى ذهن (مورفين) فى حين أنه اعترف بالفعل بالجريمة؟ ومع ذلك فقد تمكنتُ من القيام بزيارة لـ(مورفين) فى الأسابيع الأخيرة من حياته كنتُ أسعى من ورائها إلى اكتشاف أكبر قدر ممكن من ماضى (فولدمورت). واستخلصتُ هذه الذاكرة بصعوبة. وعندما رأيتُ ما تحوى حاولتُ أن أستغله لضمان إطلاق سراح (مورفين) من (أزكابان). ولكن قبل أن تتوصل الوزارة إلى قرار كان (مورفين) قد مات».

فسأل (هارى) فى غضب: «ولكن لِمَ لَمْ تدرك الوزارة أن (فولدمورت) فعل كل ذلك لـ(مورفين)؟ فقد كان لا يزال قاصرًا آنذاك، أليس كذلك؟ كنت أظن أنهم يستطيعون كشف سحر القصَّر!».

«أنت على حق تمامًا... يستطيعون كشف السحر، ولكن دون الجانى: تتذكر أن الوزارة لامتك على «تعويذة التأرجح» التى أداها...».

همهم (هارى)؛ فهذا الظلم لا يزال يفور فى صدره: «(دوبى)؛ إذن فالقاصر إذا مارس السحر من خلال ساحرة بالغة أو فى بيت ساحر فإن الوزارة لن تعرف!».

قال (دمبلدور) وهو يبتسم قليلاً من نظرة السخط البالغ التى ارتسمت على وجه (هارى): «قطعًا لن يتمكنوا من تحديد هوية من مارس السحر. فهم يعتمدون على والدى الساحر فى إجبار ابنهما على الخضوع وهو لا يزال داخل أسوارهم».

قال (هارى) بسرعة: «حسنٌ، هذا هراء. انظر ماذا حدث هنا، انظر ماذا حدث لـ(مورفين)!».

قال (دمبلدور): «أنا أوافقك. مهما كان من أمر (مورفين) فإنه لم يكن يستحق أن يموت ميتة كهذه بسبب جرائم قتل لم يرتكبها. ولكن الوقت تأخر وأنا أريد أن أرى هذه الذاكرة الأخرى قبل أن نفترق...».

ثم تناول (دمبلدور) من جيب جانبى قارورة بلَورية أخرى فلاذ (هارى) بالصمت على الفور متذكرًا أن (دمبلدور) كان قد قال إنها أهم ما جمع. ولاحظ (هارى) صعوبة تفريغ محتواها فى المنخل كأنه تخثر قليلاً؛ فهل تبددت الذاكرات؟

قال (دمبلدور) بعد أن انتهى أخيرًا من إفراغ القارورة: «لن يستغرق الأمر وقتًا طويلاً. سنعود بأسرع ما يمكن. لندخل المنخل مرة أخرى إذن...».

وسقط (هارى) مرة أخرى فى السطح الفضى وهبط هذه المرة أمام رجل تعرف عليه فى التو.

كان (هوريس سلجهورن) فى مرحلة أصغر كثيرًا من عمره. كان (هارى) يألفه وهو أقرع وبالتالى كان منظر (سلجهورن) بشعر غزير لامع أصفر مريكًا؛ كان يبدو كأنه سقَفَ رأسه، ولو أنه كانت هناك بالفعل رقعة صلعاء لامعة فى حجم الغليون على تاجه. وشاربه أقل كثافة مما كان عليه هذه الأيام، وكان أشقر بلون الزنجبيل. لم يكن ممتلئ الجسم تمامًا كما عرفه (هارى)، ولو أن الأزرار الذهبية على سترته الغنية بالتطريز كانت تخفى قدرًا كبيرًا من حجمه. وكانت قدماه الصغيرتان ترتكزان على وسادة مخملية، وكان يجلس فى مقعد مريح مجنح وبإحدى يديه زجاجة نبيذ صغيرة وبالأخرى يفتش فى صندوق به ثمار أناناس متبلورة.

كان (هارى) يتلفت حوله حين ظهر (دمبلدور) بجانبه ورأى أنهما يقفان بمكتب (سلجهورن). نصف دستة صبيان كانوا جالسين حول (سلجهورن)، جميعهم على مقاعد إما أصلب أو أقصر من مقعده، وكلهم فى أواسط العقد الثانى من أعمارهم. تعرف (هارى) على (ريدل) على الفور. كان وجهه أكثر الوجوه وسامة وكان أكثر الصبيان استرخاء فى جلسته. كانت يده اليمنى ملقاة بلا مبالاة على ذراع مقعده؛ ويلمحة خاطفة رأى (هارى) أنه كان يرتدى خاتم (مارفولو) الذهبى والأسود؛ كان بالفعل قد قتل أباه.

سأل (ريدل): «سيدى، هل صحيح أن البروفسور (مريثوت) سيتقاعد؟».

قال (سلجهورن) وهو يحرك إصبعًا يكسوه السكر تجاه (ريدل) معنفًا إياه ولو أنه خفف تأثير تعنيفه بالغمز: «(توم)، (توم)، لو كنتُ أعرف لما استطعتُ أن أخبرك. لابد أن أقول إنى أود أن أعرف من أين جئتَ بمعلوماتك هذه أيها الفتى؛ فأنت أكثر علمًا من نصف المجموعة».

فابتسم (ريدل)؛ وضحك الصبية الآخرون ورمقوه بنظرات إعجاب.

«كم من أمور تعرفها بقدراتك الخارقة ولا ينبغى لك أن تعرفها، وتملقك الحذر لأصحاب الشأن.. شكرًا على الأناناس بالمناسبة، أنت على حق تمامًا، فهو المفضل عندى».

وبينما كان الصبية يضحكون ضحكات نصف مكبوتة حدث شىء فى غاية الغرابة. امتلأت الغرفة عن آخرها فجأة بضباب سميك أبيض حتى أن (هارى) لم يعد يستطيع أن يرى شيئًا سوى وجه (دمبلدور) الذى كان يقف بجانبه. ثم دوى صوت (سلجهورن) عبر الضباب دويًا خارقًا: *«ستخطئ أيها الفتى، ميِّز كلماتك»*.

وفجأة صفا جو الغرفة كما بدا ولكن أحدًا لم يبدِ إشارة إلى ذلك، ولا بدا على أحد أن شيئًا غير عادى قد حدث للتوِّ. تلفت (هارى) حوله فى ذهول حين دقت ساعة ذهبية صغيرة وضعت على مكتب (سلجهورن) معلنة الحادية عشرة.

قال (سلجهورن): «يا إلهى، مر الوقت هكذا سريعًا؟ يستحسن أن تنصرفوا أيها الفتيان وإلا تعرضنا جميعًا للمتاعب. (ليسترانج)، أريد مقالتك غدًا وإلا فأنت محتجَز. وأنت أيضًا يا (إفرى)».

نهض (سلجهورن) من مقعده وحمل قارورته الفارغة إلى مكتبه بينما انصرف الفتية. أما (ريدل) فظل بمكانه. بدا واضحًا لـ(هارى) أنه كان يتلكأ عامدًا حتى يكون آخر الصبية بالغرفة مع (سلجهورن).

استدار (سلجهورن) فوجده لا يزال موجودًا فقال له: «انتبه يا (توم)؛ لا ينبغى أن تُضبط خارج مخدعك بعد الموعد المحدد، وأنت والى...».

«أردتُ أن أسألك شيئًا سيدى».

«سل إذن يا ولدى، اطرح سؤالك...».

«سيدى؛ أنا أتساءل، ماذا تعرف عن... عن (هوركروكس)؟».

وحدث ما حدث مرة أخرى: ملأ الضباب الكثيف الغرفة حتى أن (هارى) لم يستطع أن يتبين (سلجهورن) أو (ريدل) على الإطلاق؛ لا أحد

سوى (دمبلدور) وهو يبتسم فى صفاء بجانبه. ثم دوى صوت (سلجهورن) مرة أخرى تمامًا كما دوى فى المرة السابقة.

«أنا لا أدرى شيئًا عن (هوركروكس) وما كنتُ سأخبرك لو كنتُ أعلم! والآن اخرج من هنا على الفور وإياك أن أضبطك تذكرهم مرة أخرى!».

قال (دمبلدور) فى هدوء وهو واقف بجانب (هارى): «حسنٌ، انتهى الأمر؛ آن الرحيل».

وارتفع قدما (هارى) عن الأرضية ليسقط بعد ثوانٍ على البساط المفروش أمام مكتب (دمبلدور).

قال (هارى) بوجه خلا من التعبير: «أهذا كل ما هنالك؟».

كان (دمبلدور) قد قال إن هذه أهم ذاكرة بين الذاكرات، ولكنه لم يدرك ما المهم فيها. صحيح، إن الضباب وعدم ملاحظة أحد لوجوده كان شيئًا غريبًا، ولكن عدا ذلك لم يحدث شىء سوى أن (ريدل) كان يطرح سؤالاً وأخفق فى الحصول على جواب.

قال (دمبلدور) وهو يعود للجلوس وراء مكتبه: «هذه الذاكرة كما لاحظتَ تم العبث بها».

ردد (هارى) وهو يعاود الجلوس هو أيضًا: «تم العبث بها؟».

قال (دمبلدور) «بكل تأكيد؛ بروفسور (سلجهورن) تدخل فى ذاكرته هو نفسه».

«ولكن لِمَ يفعل ذلك؟».

قال (دمبلدور): «لأنه على ما أظن يشعر بالخجل مما يتذكر؛ حاولَ أن يصلح الذاكرة بحيث تبينه فى ضوء أفضل ماحيًا الأجزاء التى لا يريد لى أن أرى. وقد تم ذلك بصورة ركيكة جدًا كما لاحظتَ. وهذا كله فى الصالح، فهو يبين أن الذاكرة الحقيقية لا تزال كامنة تحت التعديلات».

«وهكذا فأنا للمرة الأولى أعطيك واجبًا منزليًا، يا (هارى). ستكون مهمتك أن تقنع بروفسور (سلجهورن) بأن يفشى ذاكرته الحقيقية التى ستكون أخطر معلومة لدينا».

حدق إليه (هارى).

وقال وهو يحافظ على صوته فى أقصى حدود الاحترام الممكنة: «لكن من المؤكد سيدى أنى لستُ من تحتاج... يمكنك أن تستعين بـ(لجيليمنسى)... أو (فيريتاسيروم)...».

قال (دمبلدور): «بروفسور (سلجهورن) ساحر قدير لأقصى درجة وسيتوقعهما. وهو أنجح كثيرًا فى (أوكلومنسى) من (مورفين جاونت) المسكين، وسأندهش إن لم يكن قد أخذ معه ترياقًا إلى (فيريتاسيروم) منذ أن أجبرته على إعطائى هذه الصورة الزائفة من إحدى الذاكرات».

«لا، أعتقد أنه سيكون من الحمق محاولة انتزاع الحقيقة من بروفسور (سلجهورن) بالقوة، وقد تؤدى إلى ضرر أكبر كثيرًا مما قد تؤدى إليه من نفع؛ أنا لا أريده أن يرحل عن (هوجوورتس). ومع ذلك فلديه نقاط ضعف كبقيتنا وأنا أعتقد أنك الأقدر على اختراق دفاعاته. أهم شيء هو أن نضمن الذاكرة الحقيقية يا (هارى)... كم هذا مهم، ولن نعرف إلا حين نرى النسخة الحقيقية. حالفك الحظ إذن، وتصبح على خير».

صُدم (هارى) قليلاً بهذا الرفض غير المتوقع، فانتفض واقفًا بسرعة.

«تصبح على خير سيدى».

وبينما كان يوصد باب المكتب من ورائه سمع (فينياس نيجيلاس) يقول: «لا أدرى لَم يكون الصبى قادرًا على أداء هذه المهمة بشكل أفضل منك يا (دمبلدور)».

رد (دمبلدور) قائلاً: «ما كنتُ لأتوقع منك أن تؤديها يا (فينياس)» وأطلق (فاوكس) صيحة موسيقية أخرى خفيضة.

■ ■ ■



١٨ مفاجآت عيد الميلاد

فى اليوم التالى أفضى (هارى) لكل من (رون) و(هرميون) بالمهمة التى أسندها له (دمبلدور) ولكنه أفضى لكل منهما على حدة لأن (هرميون) ظلت ترفض البقاء فى وجود (رون) لمدة أطول مما يستغرقه إلقاء نظرة احتقار إليه.

استبعد (رون) أن يجد (هارى) أية متاعب مع (سلجهورن) على الإطلاق. قال له على الإفطار وهو يلوح بشوكة وهمية مليئة بالبيض المقلى: «هو يحبك ولن يرفض لك طلبًا، أليس كذلك؟ ولا «أمير الوصفات السحرية». انتظر بعد حصة هذا المساء وسله».

أما (هرميون) فتصورت مشهدًا أكثر كآبة.

قالت بصوت خفيض وهما واقفان بالفناء المهجور المكسو بالثلج فى فترة الاستراحة: «لابد أنه مصر على إخفاء حقيقة ما حدث إذا لم يتمكن (دمبلدور) من انتزاعها منه. آل *(هوركروكس)*... أنا حتى لم أسمع بهم من قبل...».

«لم تسمعى بهم؟».

أصيب (هارى) بالإحباط؛ إذ كان يأمل أن تتمكن (هرميون) من إعطائه لمحة عن كنه آل *(هوركروكس)*. «لابد أنهم سحر أسود شديد التقدم، وإلا فلم كان (فولدمورت) يريد أن يعرف شيئًا عنهم؟ أعتقد أن الحصول على معلومات عنهم سيكون عسيرًا يا (هارى)، لابد أن تكون حذرًا جدًا فى اقترابك من (سلجهورن)، فكر فى إستراتيجية...».

«(رون) يرى أنى ينبغى أن أنتظر إلى ما بعد «الوصفات السحرية» هذا المساء...».

قالت وقد انفجرت غضبًا على الفور: «حسن، لو كان (وون - وون) يعتقد ذلك فيستحسن أن تفعله. وعلى أى حال متى كان حكم (وون - وون) مخطئًا؟».

«(هرميون)، ألا تستطيعين؟».

قالت فى غضب وانصرفت هائجة تاركة (هارى) وحده وكاحله غارق فى الثلج: «*لا!*».

كانت دروس الوصفات السحرية غير مريحة بدرجة كافية هذه الأيام حيث كان على كل من (هارى) و(رون) و(هرميون) أن يشتركوا فى مكتب واحد، واليوم نقلت (هرميون) مرجلها حول المائدة بحيث تكون أقرب إلى (إيرنى) وتجاهلت كلاً من (هارى) و(رون).

همهم (رون) قائلاً لـ(هارى) وهو ينظر إلى جنب وجه (هرميون) المتغطرس: «ماذا فعلتَ؟».

ولكن قبل أن يتمكن (هارى) من الرد كان (سلجهورن) يدعو الجالسين فى مقدمة الفصل للسكوت.

«استقر، استقر من فضلك! بسرعة، الآن، لدينا الكثير من العمل لابد من إنجازه هذا المساء! قانون (جولبالوت) الثالث... من يستطيع أن يخبرنى..؟ لكن الآنسة (جرانجر) تستطيع بالطبع!».

سمعت (هرميون) الدرس بأقصى سرعة: «قانون - (جولبالوت) - الثالث - يقول - إن - ترياق - السم - المخلوط - يساوى - أكثر - من - كمية - السم - لكل - مكون - من - المكونات - كل - على - حدة».

ابتسم (سلجهورن) قائلاً: «صحيح تمامًا! عشر نقاط لـ(جرايفندر)! والآن، إذا قبلنا قانون (جولبالوت) الثالث كقانون صحيح...».

كان (هارى) سيأخذ كلام (سلجهورن) عن صحة قانون (جولبالوت) الثالث لأنه لم يفهم شيئًا منه. ولم يكن أحد أيضًا سوى (هرميون) يتابع ما قاله (سلجهورن) بعد ذلك.

«... ما يعنى بالطبع أننا على افتراض أننا حددنا مكونات الجرعة تحديدًا صحيحًا بتعويذة (سكارين) الخاصة بالظهور يصبح هدفنا الأول، ليس الهدف البسيط نسبيًا والمتمثل فى اختيار أنواع الترياق التى تصلح لهذه المكونات فينا ومنًا، بل أن نعثر على المكون المضاف الذى يحيل هذه العناصر المتباينة من خلال عملية كيميائية تقريبًا».

كان (رون) جالسًا بجانب (هارى) وفمه نصف مفتوح، يرسم وهو سارح رسمًا عابثًا على نسخته الجديدة من كتاب «تحضير *الوصفات السحرية: المستوى المتقدم*». فظل (رون) ينسى أنه لم يعد بوسعه الاعتماد على (هرميون) فى مساعدته على الخروج من المتاعب حين كان يفشل فى فهم ما يحدث.

واختتم (سلجهورن) قائلاً: «... وهكذا أريد من كل منكم أن يأتى ويأخذ واحدة من هذه القوارير من فوق مكتبى. عليكم أن تصنعوا ترياقًا للسم من داخله قبل انتهاء الحصة. حظ سعيد ولا تنسوا قفازاتكم الواقية!».

كانت (هرميون) قد تركت مقعدها وكانت فى منتصف الطريق إلى مكتب (سلجهورن) قبل أن يدرك بقية الفصل أن الوقت حان للتحرك، وحين عاد كل من (هارى) و(رون) و(إيرنى) إلى المنضدة كانت قد أفرغت محتوى قارورتها بالفعل فى مرجلها وأخذت تشعل النار تحته.

قالت فى مرح وهى تعتدل واقفة: «من العار أن الأمير لن يتمكن من مساعدتك كثيرًا فى ذلك يا (هارى). عليك أن تدرك المبادئ المتضمنة هذه المرة. فليس هناك طرق مختصرة ولا غش!».

أفرغ (هارى) فى ضيق السم الذى كان قد أخذه من فوق مكتب (سلجهورن) والذى كان ظلاً براقًا باللون الوردى، وأفرغه فى مرجله ثم أشعل نارًا تحته. ولم تكن لديه أدنى فكرة عما كان عليه أن يفعل بعد ذلك. ألقى نظرة خاطفة على (رون) الذى كان يقف مكانه ينظر فى بله بعد أن انتهى من نسخ كل ما فعله (هارى).

همهم (رون) قائلاً له: «متأكد أن الأمير ليس فيه أية تلميحات؟».

جذب (هارى) نسخته الموثوقة من كتاب «*تحضير الوصفات السحرية: المستوى المتقدم*» وفتحه على الفصل الخاص بأنواع الترياق. كان هناك قانون (جولبالوت) الثالث وكان نصه كما سمَّعته (هرميون) كلمة بكلمة، ولكن بدون أية إشارة إيضاحية واحدة بخط الأمير.

تشرح ما يعنيه. كان من الواضح أن الأمير ـ مثل (هرميون) ـ لم يجد صعوبة فى فهمه.

قال (هارى) فى تجهم: «لا شىء».

كانت (هرميون) تلوح بعصاها السحرية فى حماس فوق مرجلها. ومما يؤسف له أنهما لم يتمكنا من نسخ التعويذة التى كانت تحضِّرها لأنها أصبحت ماهرة فى التعاويذ لدرجة أنها لم تعد بحاجة لترديد الكلمات بصوت مسموع. أما (إيرنى ماكميلان) فكان يهمهم فوق مرجله قائلاً: «(سبسيالس رفليو!)» وكانت العبارة تبدو مبهرة، فأسرع كل من (هارى) و(رون) بمحاكاته.

لم يستغرق الأمر من (هارى) سوى خمس دقائق ليدرك أن صوته كأفضل محضِّر وصفات فى الفصل أصبح يصم الآذان. كان (سلجهورن) يمعن النظر فى مرجله فى رجاء فى أولى جولاته بالبرج الحصين استعدادًا للثناء والاستحسان كعهده دائمًا، وبدلاً من ذلك سحب رأسه بسرعة وسعل حيث غلبته رائحة البيض الفاسد. لم يكن يمكن لتعبير (هرميون) أن يكون أجمل من ذلك؛ كانت قد ملت تراجع مستواها فى كل فصل من فصول الوصفات السحرية. وكانت الآن تفرغ مكونات السم التى فصلتها بصورة غامضة فى قوارير بلورية مختلفة. ولكى يتجنب النظر إلى هذا المنظر المزعج ثنى (هارى) كتاب الأمير المهجن وقلب صفحات قلائل بعنف لا داعى له.

وهنا وجد الوصفة؛ مكتوبة على عجل بطول قائمة طويلة من أنواع الترياق.

عليك أن تدفع حصاة أمعاء حيوان مجتر فى حلوقهم.

حدق (هارى) إلى هذه الكلمات لبرهة. ألم يسمع ذات مرة منذ مدة طويلة بحصاة أمعاء الحيوانات المجترة؟ ألم يذكرها (سناب) فى أول حصة لهما فى الوصفات السحرية؟ «*حصاة تستخرج من معىً الماعز يحمى من أنقع السموم*».

لم تكن هذه إجابة لمشكلة (جولبالوت)، ولو كان (سناب) لا يزال معلمهم لما تجرأ (هارى) على ذلك، لكن هذه كانت لحظة اتخاذ التدابير اليائسة فأسرع إلى خزانة الخزين وأخذ يفتش فيها منحيًا قرون وحيد القرن وطحالب الأعشاب المجففة إلى أن عثر فى مؤخرة الخزانة على علبة بطاقات صغيرة كتبت عليها كلمة «حصى ترياق».

فتح العلبة فى اللحظة التى نادى فيها (سلجهورن) قائلاً: «بقيت دقيقتان للجميع!» وكان بداخلها نصف دستة حبات بنية اللون ذابلة تبدو أشبه بحبات اللوبيا المجففة منها بالحصى الحقيقى. أخذ (هارى) إحداها وأعاد العلبة إلى الخزانة وأسرع عائدًا إلى مرجله.

نادى (سلجهورن) بلطف: «الوقت... انتهى! حسنٌ، لنرَ ما فعلتم! (بليز)... ماذا لديك من أجلى؟».

وببطء تجول (سلجهورن) فى الغرفة فاحصًا أنواع الترياق المختلفة. لم يكن قد أنهى المهمة ولو أن (هرميون) كانت تحاول أن تحشو بضع مكونات إضافية فى قارورتها قبل أن يصل إليها (سلجهورن). وكان (رون) قد يئس تمامًا واكتفى بمحاولة تجنب استنشاق الأبخرة الفاسدة المتصاعدة من مرجله. ووقف (هارى) فى مكانه ينتظر ممسكًا بالحصاة فى يد بللها العرق قليلاً.

وصل (سلجهورن) إلى منضدتهم فى النهاية. وتشمم جرعة (إيرنى) ثم اجتازه إلى جرعة (رون) وهو متجهم. ولم يتلكأ عند مرجل (رون)، ولكنه تراجع بسرعة فى اشمئزاز.

قال: «وأنت يا (هارى)، ماذا لديك لترينى إياه؟».

فتح (هارى) يده وكانت الحبة مستقرة على كفه.

نظر (سلجهورن) إليها لعشر ثوانٍ كاملة. وتساءل (هارى) للحظة عما إذا كان سيصرخ فى وجهه. ثم تراجع برأسه وزأر ضاحكًا.

دوى صوته قائلاً: «كم أنت شجاع أيها الفتى!» وتناول الحصاة ورفعها لأعلى كى يراها الفصل. «أنت كأمك... حسن، لا أستطيع أن أعيب عليك... حصاة أمعاء الماعز تصلح بالتأكيد كترياق لهذه الوصفات السحرية كلها!».

بدا الشحوب على وجه (هرميون) التى غمرها العرق وعلى أنفها بعضِ السخام. كان ترياقها الذى لم يتم يتكون من اثنين وخمسين مكونًا بما فيها خصلة من شعرها. وكان يتدفق بالفقاقيع من وراء (سلجهورن) الذى لم يكن منتبهًا إلا لـ(هارى).

تساءلت من بين أسنانها وهى تصر عليها: «وهل فكرتَ فى حصاة أمعاء الماعز بنفسك يا (هارى)؟».

قال (سلجهورن) فى سعادة وقبل أن يتمكن (هارى) من الرد: «هذه هى الروح الفردية التى يحتاجها معدّ الوصفات السحرية الحقيقى! تمامًا كأمه، كانت لديها السيطرة الفطرية نفسها فى تحضير الوصفات السحرية... ورثها عن (ليلى) دون شك... نعم يا (هارى)، لو كانت لديك حصاة من أمعاء الماعز فهذه هى الخدعة... ومع أنها لا تصلح لكل شىء وهى نادرة جدًا فلا يزال الأمر يستحق معرفة كيفية مزج أنواع الترياق...».

كان الشخص الوحيد الذى بدا أكثر حنقًا من (هرميون) فى الغرفة هو (مالفوى) الذى كان يسر (هارى) أن يراه، وكان قد سكب على نفسه شيئًا يبدو كقىء القطط ورن الجرس قبل أن يتمكن أى منهما من التعبير عن حنقه لحصول (هارى) على المركز الأول على الفصل دون عمل أى شىء.

قال (سلجهورن): «حان وقت الانصراف. وعشر درجات إضافية من أجل (جريفندور) لوقاحته التامة!».

تهادى عائدًا إلى درجه وهو لا يزال يضحك ضحكة مكبوتة أمام البرج الحصين.

وتلكأ (هارى) من ورائه حيث أخذ مدة مبالغًا فيها لكى يحزم حقيبته. ولم يهنئه (رون) أو (هرميون) وهما ينصرفان؛ بل بدا كلاهما فى ضيق. وفى النهاية كان (هارى) و(سلجهورن) الوحيدين الباقيين فى الغرفة.

قال (سلجهورن) فى ود وهو ينقر الأقفال الذهبية التى تغلق حقيبته المصنوعة من جلد التنين: «هيا بنا الآن يا (هارى)، ستتأخر على حصتك التالية».

قال (هارى) وهو يذكِّر نفسه بـ(فولدمورت): «نعم سيدى؛ كنتُ أريد أن أسألك عن شىء».

«سل إذن يا بنى العزيز، سل...».

«سيدى، كنتُ أتساءل عما تعرف عنْ... عن آل (هوركروكس)».

تسمر (سلجهورن) فى مكانه. بدا وجهه المستدير وكأنه يغوص فى نفسه، لعق شفتيه وقال بصوت أجش: «ماذا قلت؟».

«سألتك عما إذا كنت تعرف أى شىء عن آل (هوركروكس) يا سيدى، أترى...».

قال (سلجهورن) وهو يهمس: «هل دفعك (دمبلدور) لذلك؟».

كان صوته قد تغير تمامًا. لم يعد ودودًا، بل صار مصدومًا، مذعورًا، تحسس جيبه العلوى وجذب منديلاً وأخذ يمسح حاجبه المبلل بالعرق.

قال (سلجهورن): «(دمبلدور) أراك تلك... تلك الذاكرة، ماذا؟ أليس كذلك؟».

قال (هارى) وقد قرر من فوره أن أفضل طريقة هى ألا يكذب.

قال (سلجهورن) فى هدوء وهو لا يزال يربت على وجهه الأبيض: «نعم، بالطبع، طبعًا... حسن، لو رأيت تلك الذاكرة يا (هارى) ستعرف أنــى لا أعــرف أى شــىء... *أى شــىء*...» وكرر الكلمة بقوة «عن آل (هوركروكس)».

وأمسك بحقيبته المصنوعة من جلد التنين وحشر منديله فى جيبه ِسار إلى باب البرج الحصين.

قال (هارى) فى يأس: «سيدى، ظننت أنه قد يكون هناك ما هو أكثر قليلاً بالنسبة للذاكرة».

قال (سلجهورن): «أهكذا؟ إذن فأنت على خطأ؛ ألستَ كذلك؟ على خطأ».

نطق الكلمة الأخيرة وهو يجأر، وصفق باب البرج الحصين وراءه قبل ٔن يتمكن (هارى) من قول كلمة أخرى.

لم يكن (رون) أو (هرميون) متعاطفًا على الإطلاق حين أخبرهما (هارى) بقصة مقابلته المروعة. كانت (هرميون) لا تزال حانقة على الطريقة التى انتصر بها (هارى) دون أداء العمل بالصورة الصحيحة. وكان (رون) حانقًا لأن (هارى) لم يدس له إحدى حصوات أمعاء الماعز خلسةً أيضًا.

قال (هارى) فى ضيق: «أما كان الأمر سيبدو غبيًا لو كان كلانا فعل ذلك! اسمع، كان علىّ أن أحاول تليينه حتى أسأله عن (فولدمورت)، أليس كذلك؟». وأضاف فى سخط بينما جفل (رون) لدى سماعه الاسم «*ألن تفهم المسألة!*».

.حنقًا لفشله ولموقف كل من (رون) أو (هرميون) ظل (هارى) يفكر طويلاً فى الأيام القليلة التالية، وفيما يفعل بعد ذلك مع (سلجهورن).

وقرر أن يترك (سلجهورن) يظن مؤقتًا أنه نسى كل شىء عن آل (هوركروكس)؛ كان الأفضل بالتأكيد أن يهدئه بإحساس زائف بالأمان قبل أن يعاود الهجوم.

عندما كف (هارى) عن استجواب (سلجهورن) مرة أخرى عاد أستاذ الوصفات السحرية إلى معاملته الودودة المعتادة له، وبدا وكأنه طرح الأمر عن خاطره. وانتظر (هارى) دعوة لإحدى حفلاته المسائية

الصغيرة، وقرر أن يقبلها هذه المرة حتى وإن اضطر لتغيير موعد تمرين (كويدتش). ولكن للأسف لم تصله دعوة كهذه. وراجع (هارى) كلاً من (هرميون) و(جينى)، ولم تتلق أى منهما دعوة، ولا أى أحد غيرهما أيضًا على حد علمهما. فلم يجد (هارى) من التساؤل عما إذا كان معنى ذلك أن (سلجهورن) لم يكن كثير النسيان كما كان يبدو وقرر أن يمنح (هارى) فرصة إضافية لسؤاله.

وفى الوقت نفسه أسقطت مكتبة (هوجوورتس) (هرميون) للمرة الأولى فى الذاكرة الحية. فصدمت، بل إنها نسيت أنها كانت حانقة على (هارى) لخدعته بحصاة أمعاء الماعز.

قالت له: «لم أجد تفسيرًا واحدًا لما يفعله آل (هوركروكس)! ولا تفسيرًا واحدًا! اخترقتُ القسم المحظور، ونقبت حتى فى *أبشع الكتب* التى تدلك على كيفية تحضير *أبشع الوصفات السحرية*.. ولكن لا شىء ! كل ما تمكنت من العثور عليه هو ما وجدته فى مقدمة كتاب «*أكثر أشكال السحر شرًا*»... اسمع... «لن نتكلم أو نعطى توجيهات عن (هوركروكس) الذى هو أشد الاختراعات السحرية شرًا»...». ثم قالت وقد نفد صبرها «لماذا يذكره إذن؟» ثم أغلقت الكتاب القديم بقوة فأطلق أنة تشبه أنات الأشباح، فأغلقته وحشرته فى حقيبتها.

ذاب الثلج حول المدرسة بحلول شهر فبراير ليحل محله البلل البارد الرهيب. وتلكأت السحب الضاربة إلى اللون الأرجوانى فوق القلعة.

وجعل هطول المطر البارد المستمر العشب زلقًا وموحلاً. كانت نتيجة ذلك أن تم إلقاء درس الظهور الأول لطلاب السنة السادسة والذى تحدد موعده بصباح يوم سبت بحيث لا تضيع عليهم الدروس العادية فى البهو العظيم بدلاً من الملاعب.

عندما وصل (هارى) و(هرميون) إلى القاعة ـ كان (رون) قد نزل مع (لافيندر) ـ وجدا المناضد قد اختفت. دفع المطر النوافذ العليا ودار السقف

المسحور كدوامة داكنة من فوقهم حيث تجمعوا أمام الأساتذة (ماكجونجال) و(سناب) و(فليتويك) و(سبراوت) ـ رؤساء الدار ـ وساحر صغير أخذه (هارى) ليكون معلم الظهور من الوزارة. كان بلا لون وأهدابه شفافة وشعره أشقر وفراغ أثيرى، وكأن عصفة ريح واحدة يمكن أن تطير به. وتساءل (هارى) عما إذا كان تكرار الاختفاء وعودة الظهور أدى إلى تخفيف جوهره أم أن هذا البناء الهش هو الأمثل لمن يرغب فى الاختفاء.

قال ساحر الوزارة بعد أن جاء كل الطلاب ورؤساء الدار: «صباح الخير»، وطلب الهدوء: «اسمى (ويلكى توايكروس) وسأكون معلم الظهور طوال الأسابيع الاثنى عشر القادمة، وأتمنى أن أتمكن من إعدادكم لامتحان الظهور فى هذه المدة».

قال الأستاذ (ماكجونجال) بصوت كالنباح: «(مالفوى)، الزم الهدوء وانتبه!».

التفت الجميع إليه. فاصطبغ وجه (مالفوى) بلون وردى باهت، وبدا عليه الغيظ وهو يسير مبتعدًا عن (كراب) الذى كان يبدو أن له معه شجارًا هامسًا. ألقى (هارى) نظرة خاطفة على (سناب) الذى يبدو عليه الضيق أيضًا ولو أن (هارى) ساوره شك قوى فى أن هذا لم يكن مرجعه فظاظة (مالفوى)، بل تأنيب (ماكجونجال) لأحد طلاب داره.

واصل (توايكروس) كلامه كما لو لم يقاطعه أحد: «وبعدها سيكون العديد منكم مستعدين للامتحان».

«وكما تعلمون، من المستحيل عادةً أن تظهر أو أن تختفى داخل (هوجوورتس). فالناظر ألغى هذه التعويذة داخل البهو العظيم وحدها لمدة ساعة واحدة حتى تتمكنوا من التدرب. وأؤكد لكم أنكم لن تتمكنوا من الظهور خارج جدران هذه القاعة وأن من غير الحكمة أن تحاولوا».

«وأود من كل واحد منكم أن يجلس بحيث يصبح أمامه خمسة أقدام من الفراغ».

حدث تدافع وتكالب كبير بينهم وهم يتباعدون، فتصادموا ببعضهم بعضًا، وخرج آخرون من أماكنهم. تنقل رؤساء الدار بين الطلاب ينظمونهم فى أماكنهم ويفصلون المشاجرات.

قالت (هرميون): «(هارى)، إلى أين أنت ذاهب؟».

لكن (هارى) لم يجبها؛ كان يتحرك بسرعة خلال الزحام وراء المكان الذى كان الأستاذ (فليتويك) يبذل محاولات مضنية ليضع فيه بضعة مخالب غراب، وكان الكل يريدون أن يكونوا بالقرب من الصف الأمامى أمام الأستاذ (سبراوت) الذى كان يطارد النافخات كى تنتظم فى الصف، إلى أن نجح بالالتفاف حول (إيرنى ماكميلان) فى اتخاذ مكان لنفسه فى مؤخرة الزحام وراء (مالفوى) الذى انتهز فرصة الاضطراب العام ليواصل شجاره مع (كراب) الذى وقف على بعد خمسة أقدام وبدا عليه التمرد.

صرخ فيه (مالفوى) غافلاً عن وجود (هارى) بجانبه قائلاً: «لا أعرف إلى متى، أفهمتَ؟ المسألة استغرقت وقتًا أطول مما ينبغى».

فغر (كراب) فمه لكن (مالفوى) بدا وكأنه حدس ما كان سيقول.

قال (هارى) بصوت عالٍ بحيث يسمعه (مالفوى): «اسمع، لا شأن لك بما أفعل يا (كراب)، أنت (وجويل) افعلا ما أمرتما به واتخذا رقيبًا!».

«سأخبر أصدقائى بما أنوى عمله لو أردتهم أن يكونوا رقباء لى».

التفت (مالفوى) فى التوِّ وطارت يده إلى عصاه السحرية، ولكن فى تلك اللحظة تمامًا صاح رؤساء الدار الأربعة قائلين: «هدوء!» فساد الصمت من جديد. واستدار (مالفوى) على مهل ليصبح وجهه للأمام.

قال (توايكروس): «شكرًا، والآن...».

لوح بعصاه السحرية، فظهرت على الأرضية أمام كل طالب من الطلاب أطواق خشبية من النوع القديم على الفور.

قال (توايكروس): «الأشياء المهمة التى تتذكرونها حين تظهرون تتمثل فى ثلاث خطوات: الهدف والعزم والتروى! الخطوة الأولى: ركز

ذهنك بثبات على الاتجاه المطلوب، وهو وفى هذه الحالة الجزء الداخلى من الطوق، والآن ركزوا من فضلكم على هذا الاتجاه».

تلفت كل منهم حوله خلسةً للتحقق من أن الآخر يحدق فى طوقه، ثم أسرعوا بأداء ما طُلب منهم. وحدق (هارى) فى الرقعة المستديرة من الأرضية المتربة التى يحدها طوقه وحاول جاهدًا ألا يفكر فى غيرها. وثبتت استحالة ذلك حيث إنه لم يتمكن من التوقف عن التفكير بعمق فيما يفعله (مالفوى) ويحتاج إلى رقباء لعمله.

قال (توايكروس): «ركز عزمك حتى تشغل الفراغ المرئى! دع شوقك تتخلله دفقة من ذهنك إلى كل جزئية من جسمك!».

استرق (هارى) نظرة خاطفة حوله. إلى يساره قليلاً كان (إيرنى ماكميلان) يتأمل طوقه بتركيز حتى احمر وجهه؛ كان يبدو وكأنه يجهد نفسه حتى يبيض بيضة من الحجم الكبير. كتم (هارى) ضحكة كادت تفلت منه وعاد مسرعًا ليركز نظره على طوقه.

نادى (توايكروس): «الخطوة الثالثة، لا تبدأ إلا حين أعطى الأمر... انقل على الفور إحساسك إلى اللاشىء، وتحرك بتروٍّ! حين أصدر الأمر، والآن، واحد...».

استرق (هارى) نظرة خاطفة حوله مرة أخرى؛ كثرة من الناس كانوا ينتظرون فى انتباه شديد أن يطلب منهم أن يظهروا بسرعة.

«اثنان...».

حاول (هارى) أن يركز تفكيره على طوقه مرة أخرى؛ وكان بالفعل قد نسى الخطوات الثلاثة.

«ثلاثة...».

دار (هارى) فى مكانه وفقد توازنه وكاد يسقط. لم يكن الوحيد فى ذلك. فجأة امتلأت القاعة كلها بالمترنحين؛ واستلقى (نيفيل) على ظهره؛ وقام (إيرنى ماكميلان) من ناحية أخرى بقفزة على ساق واحدة

إلى داخل طوقه وبدت عليه الإثارة لبرهة إلى أن لمح العميد (توماس) يجأر بالضحك عليه.

قال (توايكروس) بنبرة جافة إذ لم يكن يتوقع أفضل من ذلك: «لا بأس، لا بأس، عدلوا أطواقكم من فضلكم وعودوا لأوضاعكم الأصلية...».

ولم تكن المحاولة الثانية أفضل من سابقتها. ولم تكن الثالثة أقل سوءًا. ولم يحدث شيء مثير إلا فى الرابعة. كانت هناك صرخة ألم مخيفة تلفت الكل حوله على أثرها مفزوعًا ليجد (سوزن بونز) من (هافلباف) تترنح فى طوقها وساقها اليسرى لا تزال تقف على مسافة خمس أقدام من النقطة التى انطلقت منها.

تجمع رؤساء الدار حولها؛ كانت هناك ضجة كبرى ونفثة دخان أرجوانى تبددت لتكشف عن (سوزن) وهى تلهث وقد اتحدت مع ساقها ولكنها كانت تبدو مخيفة.

قال (ويلكى توايكروس) فى هدوء: «تفكك أو انفصال عشوائى لأوصال الجسم، يحدث حين لا يكون عزم الذهن كافيًا، لابد أن تركزو' باستمرار على هدفكم، وتحركوا دون عجلة، بل بتروٍّ... هكذا».

تقدم (توايكروس) إلى الأمام ثم استدار برشاقة فى مكانه وذراعا، ممدودتان ثم اختفى فى دوامة من الحبال، ثم عاد للظهور فى مؤخرة القاعة.

وقال: «تذكر الخطوات الثلاث وحاول مرة أخرى... واحد - اثنان - ثلاثة...».

ولكن بعد ساعة كان تفكك أوصال (سوزن) لا يزال أغرب شيء حدث. لم يبدُ على (توايكروس) أنه أحبط، بل ربط عباءته على رقبته واكتفى بأن قال: «أراكم السبت القادم جميعًا، ولا تنسوا: *الهدف، العزم، التروى*».

ثم لوح بعصاه السحرية وأخفى الأطواق واتجه إلى خارج القاعة بصحبة الأستاذ (ماكجونجال). وانفجر اللغط مرة واحدة بمجرد أن شرع الناس فى التحرك باتجاه قاعة المدخل.

هرع (رون) نحو (هارى) وسأله: «كيف فعلتَ؟ أعتقد أنى أحسست شيئًا فى آخر مرة حاولت فيها... وخز فى قدمىّ أو ما شابه».

قال صوت من ورائهما: «أعتقد أن مدربيك أصغر من اللازم، (وون - وون)» ثم التفتت (هرميون) لتواجههما وعلى وجهها ابتسامة متكلفة.

قال (هارى) متجاهلاً هذا التدخل: «أنا لم أحس شيئًا، ولكنى غير مهتم بذلك الآن».

قال (رون) بنبرة يشوبها الشك: «ماذا تقصد بأنك غير مهتم... ألا تريد أن تتعلم الظهور؟».

قال (هارى) وهو يلقى نظرة خاطفة من فوق كتفه ليرى أين (مالفوى): «لستُ قلقًا، فعلاً، فأنا أفضل الطيران» ثم أسرع خطاه وهما يدخلان قاعة المدخل وقال: «أسرع، هيا، هناك شيء أريد أن أعمله...».

تبع (رون) (هارى) فى حيرة عائدين عدوًا إلى برج (جريفندور). عطلهما مؤقتًا (بيفز) الذى أوصد بابًا بالطابق الرابع وأبى أن يدع أحدًا يمر إلا إذا أضرم النار فى سرواله، لكن (هارى) و(رون) أفلا عائدين واتخذا أحد طرقهما المختصرة الموثوقة. وفى غضون خمس دقائق كانا يتسلقان عبر ثقب اللوحة.

سأل (رون) وهو يلهث قليلاً: «ألن تخبرنى عما نفعله إذن؟».

قال (هارى): «اصعد» ثم عبر غرفة استراحة الأساتذة وتقدم الطريق عبر الباب إلى سلم الأولاد.

كان جناح غرف الأولاد خاليًا كما تمنى (هارى). فتح صندوقه بدفعة قوية وشرع فى التنقيب فيه، بينما وقف (رون) نافد الصبر يرقبه.

«(هارى)...».

«(مالفوى) يستغل (كراب) و(جويل) كمراقبين. كان يتشاجر مع (كراب) منذ قليل. أريد أن أعرف... أها».

عثر عليه، مربع مطوى من ورق خالٍ من الكتابة مسح عليه ثم نقر عليه بعصاه السحرية.

«أقسم بكل قداسة أنى مقدم على شر، أو (مالفوى)، على أى حال».

وفى التو ظهرت خارطة (مارودر) على سطح رقعة الورق. وظهر تخطيط مفصل لكل طابق من طوابق القلعة، وتتحرك من حوله النقط السوداء الصغيرة التى تميز كلاً من سكان القلعة.

قال (هارى) فى عجل: «ساعدنى فى العثور على (مالفوى)».

وضع الخارطة على سريره وانحنى هو و(رون) فوقها وأخذا يبحثان.

قال (رون) بعد دقيقة تقريبًا: «ها هو! إنه فى غرفة استراحة (سليذرين)، انظر... مع (باركنسون) و(زابينى) و(كراب) و(جويل)...».

نظر (هارى) فى الخارطة وأصيب بالإحباط، ولكنه سرعان ما استجمع نشاطه من جديد.

وقال بثبات: «حسنٌ، سأبقى عينًا عليه من الآن فصاعدًا، وفى اللحظة التى أراه فيها يتسلل إلى مكان بينما يحرسه كل من (كراب) و(جويل) فى خارجه سأشغلها بعباءة الإخفاء القديمة ثم أطفئها لأعرف ما».

وتوقف فجأة لدى دخول (نيفيل) جناح غرف الأولاد جالبًا معه رائحة نفاذة لمادة شيطت بالنار وشرع فى التنقيب فى صندوقه عن سروال نظيف.

على الرغم من إصرار (هارى) على الإمساك بـ(مالفوى).

فإن الحظ عانده طوال الأسبوعين التاليين. ومع أنه راجع الخارطة كل حين، وكان يقوم أحيانًا بزيارات غير ضرورية للحمام بين الدروس للبحث فيها، فإنه لم يضبط (مالفوى) فى أى مكان مريب. صحيح أنه ضبط كلاً من (كراب) و(جويل) يتحركان حول القلعة وحدهما بصورة أكثر من المعتاد ويقفان ثابتين فى الدهاليز المهجورة، إلا أن (مالفوى) لم يكن معهما فى هذه المرات، ولكن فى الوقت نفسه كان يستحيل تحديد موقعه على الخارطة. كان الأمر فى غاية الغموض. وساور (هارى) احتمال عزم (مالفوى) على مغادرة المدرسة، ولكنه لم ير إمكانية أن

يفكر فى ذلك نظرًا للمستوى الشديد الإحكام للأمن الذى تم تشغيله حاليًا داخل القلعة. ولم يستطع إلا أن يفترض أنه فقد أثر (مالفوى) وسط مئات النقط السوداء الضئيلة على الخارطة. أما مسألة افتراق (مالفوى) و(كراب) و(جويل) كلٌ فى طريقه بعد أن كانوا عادةً لا يفترقون، فإن هذه الأمور كانت تحدث مع تقدم الناس فى السن ـ وفكر (هارى) مليًا فى أسى فى أن (رون) و(هرميون) كانا دليلاً حيًا على ذلك.

أخذ شهر فبراير يتقدم نحو مارس دون تغير فى المناخ عدا أنه أصبح عاصفًا بدرجة أكبر ومطيرًا. ومما زاد فى السخط العام أن ظهرت لافتة على لوحات الإعلانات بغرفة استراحة الأساتذة بأن الرحلة التالية إلى داخل (هوجسميد) ألغيت. فاستشاط (رون) غضبًا.

وقال: «كان موعدها فى يوم ميلادى! كنتُ أتطلع إليها!».

فقال (هارى): «ولكنها ليست مفاجأة كبرى، أليس كذلك؟ لا سيما بعد ما حدث لـ(كيتى)».

«لم تكن قد عادت بعد من (سان مونجو). الأكثر من ذلك ورود تقارير بجريدة (بروفيت) اليومية عن حدوث المزيد من حالات الاختفاء منها عدد من أقرباء طلاب (هوجوورتس).

قال (رون) متذمرًا: «لكن كل ما لدىّ الآن لأتطلع إليه هو الظهور الغبى! يا لها من متعة عيد ميلاد كبرى...».

من بين ثلاثة دروس تبين أن الظهور لم يكن أقل صعوبة من ذى قبل. ولو أن بعض الناس نجحوا فى تفكيك أوصالهم. كان الإحباط يزداد وكان هناك قدر ما من الاستياء حيال (ويلكى توايكروس) وخطواته الثلاث التى أوحت بعدد من الكنى له كان أكثرها تهذيبًا «نفس الكلب» و«الرأس الملىء بالروث».

قال (هارى) حين أيقظهما (سيموس) و(دين) وهما خارجان فى صخب لتناول الإفطار يوم الأول من مارس: «عيد ميلاد سعيد يا (رون). هديتك».

وألقى إلى سرير (رون) بلفة انضمت إلى كومة صغيرة من مثيلاتها لابد أن أقزام الدار سلموها ليلاً كما افترض (هارى).

قال (رون) فى خمول «شكرًا»، وبينما كان ينزع الورق عنها غادر (هارى) فراشه وفتح صندوقه وشرع فى البحث عن خارطة (مارودر) التى كان يخفيها بعد كل استعمال. أخرج نصف محتويات صندوقه قبل أن يعثر عليها مختبئة تحت الجوارب الملفوفة التى كان لا يزال يحتفظ فيها بقارورة الوصفة المحظوظة (فليكس فلسيس).

همهم قائلاً: «صح» وأخذها وعاد بها إلى فراشه وهو ينقر عليها بهدوء ويتمتم: «*أقسم بكل قداسة أنى مقدم على شر*» حتى لا يسمعه (نيفيل) الذى كان يمر أمام فراشه فى ذلك الوقت.

قال (رون) فى حماس وهو يلوح بزوج قفازات حارس (كويديتش) الجديد الذى أهداه له (هارى): «جميل يا (هارى)!».

قال (هارى) وهو شارد الذهن بينما كان يفتش جناح غرف (سليذرين) بحثًا عن (مالفوى): «لا بأس؛ ما هذا؟... لا أظن أنه فى فراشه...».

لم يجبه (رون)؛ إذ كان منشغلاً تمامًا بفتح الهدايا، وكان من حين لآخر يطلق صيحة إعجاب.

وأعلن قائلاً وهو يرفع فى يده ساعة ذهبية ثقيلة على حافتها رموز غريبة وبدلاً من العقارب كانت بها نجوم صغيرة متحركة: «حصيلة طيبة فعلاً هذه السنة! انظر ما أحضره لى أبى وأمى؟ أظن أنى سأبلغ سن الرشد السنة القادمة أنا أيضًا يا (بليمى)...».

غمغم (هارى) وهو يبخل بنظرة خاطفة إلى الساعة قبل أن ينظر فى الخارطة عن كثب قائلاً: «رائعة. أين كان (مالفوى)؟ واضح أنه لم يكن على مائدة (سليذرين) بالقاعة الكبرى ليتناول إفطاره... ولم يكن بأى حال قريبًا من (سناب) الذى كان جالسًا فى مكتبه... ولم يكن فى أى من الحمامات أو بجناح المستشفى...

قال (رون) بنبرة غليظة وهو ممسك بعلبة مراجل شيكولاتة: «أتريد واحدة؟».

رفع (هارى) رأسه وقال: «لا، شكرًا، (مالفوى) اختفى مرة أخرى!».

قال (رون) وهو يحشو مرجلاً ثانيًا فى فمه وينزلق من فراشه ليرتدى ملابسه: «لا يمكن. هيا بنا، إن لم تعجل ستضطر للظهور على معدة خاوية... قد يجعل هذا الأمر أسهل على ما أظن...».

نظر (رون) بإمعان إلى علبة مراجل الشيكولاتة ثم هز كتفيه فى لامبالاة وتناول ثالثًا.

نقر (هارى) على الخارطة بعصاه السحرية وغمغم قائلاً: «أصيبت بضرر» مع أن هذا لم يحدث، ثم ارتدى ثيابه وهو مستغرق فى التفكير. لابد من وجود تفسير لاختفاء (مالفوى) من حين لآخر، ولكنه لم يتمكن من التوصل لكنه ذلك. أفضل طريقة للعثور عليه هى تعقبه، ولكن هذه كانت فكرة غير عملية حتى بعباءة الإخفاء؛ وكان لديه دروس، تمرين (كويديتش)، وواجب منزلى وظهور؛ لم يكن ليتمكن من تتبع (مالفوى) فى أرجاء المدرسة طوال اليوم دون أن يلاحظ غيابه.

قال لـ(رون) «مستعد؟».

كان فى منتصف الطريق إلى باب جناح غرف الأولاد حين أدرك أن (رون) لم يتحرك، بل كان يميل على قائم سريره محدقًا خارج النافذة التى غسلها المطر وعلى وجهه نظرة ذاهلة غريبة.

«(رون)، الإفطار».

«أنا لستُ جائعًا».

حملق فيه (هارى).

«أظن أنك قلت لتوك...».

تنهد (رون) وقال: «حسنٌ، ليكن، سأنزل معك» ولكنى لا أريد أن آكل».

تمعنه (هارى) فى ارتياب.

«أكلتَ لتوك نصف علبة مراجل شيكولاتة، أليس كذلك؟».

تنهد (رون) مرة أخرى وقال: «ليس هذا السبب، أنت... أنت لن تفهم».

قال (هارى) ولكن فى حيرة وهو يستدير ليغلق الباب قال (رون) فجأة «(هارى)!».

«ماذا؟».

«(هارى)، لا أستطيع أن أحتملها!».

سأله (هارى) وقد بدأ ينتبه بشدة «لا تستطيع أن تتحمل ماذا؟» كان (رون) شاحبًا ويبدو كأنه على وشك أن يتقيأ.

قال (رون) بصوت أجش: «لا أستطيع أن أتوقف عن التفكير فيها!».

حدق إليه (هارى) فاغرًا فاه. لم يكن يتوقع ذلك ولم يكن موقنًا من أنه يود أن يسمع ذلك. قد يكونان صديقين، ولكن لو بدأ (رون) ينادى (لافيندر) بـ«لاف ... لاف» فإن عليه أن ينزل قدمه.

سأله (هارى) محاولاً أن يضفى بعض المنطق على ما يحدث: «وكيف يمنعك ذلك عن تناول الإفطار؟».

قال (رون) بإيماءة يائسة: «لا أظنها تعرف حتى أنى موجود».

قال (هارى) فى حيرة: «بالتأكيد هى تعرف أنك موجود. فهى تلاحقك باستمرار، أليس كذلك؟».

نظر إليه (رون) فى دهشة.

«عمن تتحدث؟».

قال (هارى) بشعور متزايد بأن الحديث بينهما فقد كل منطق: «عمن تتحدث أنت؟».

قال (رون) برقة: (روميلدا فان)» وبدا كأن وجهه كله يضىء وهو يقول ذلك كأن شعاعًا من أنقى نور ترسله الشمس أصابه.

حدق كل منهما إلى الآخر لما يقرب من دقيقة كاملة ثم قال (هارى): «هذه مزحة، أليس كذلك؟ أنت تمزح».

قال (رون) بصوت مختنق: «أظن... (هارى)، أظن أنى أحبها».

قال (هارى): «ليكن» ثم صعد إلى (رون) ليلقى نظرة أفضل على العينين اللامعتين والبشرة الشاحبة «ليكن... قل هذا مرة أخرى بوجه جاد».

ردد (رون) لاهثًا: «أحبها، هل رأيتَ شعرها... أسود ولامعًا وناعمًا...، وعينيها؟ عينيها السوداوين الواسعتين؟ و...».

قال (هارى) وقد نفد صبره: «هذا أمر مضحك تمامًا، لكن المزاح انتهى، انتهى، هل تسمعنى؟ دعك من هذا».

واستدار ليخرج؛ وما كاد يقطع خطوتين باتجاه الباب حتى صفعته لطمة عنيفة على أذنه اليمنى. تلفت حوله وهو يترنح. انسحبت قبضة (رون) إلى الوراء، كان وجهه يتلوى غضبًا؛ كان على وشك أن يضربه مرة أخرى.

رد (هارى) بصورة غريزية؛ خرجت عصاه السحرية من جيبه ونبع التعزيم من ذهنه دون تفكير واعٍ: *(ليفيكوربس)*!

صرخ (رون) بينما التوى كعبه لأعلى مرة أخرى؛ وتدلى فى عجز وهو مقلوب ورداؤه يتدلى.

جأر (هارى) قائلاً: «*لمَ كان هذا؟*».

صاح (رون) ووجهه آخذ فى الأحمرار بعد أن تدفق الدم إلى رأسه: «أنت أهنتَها يا (هارى)! قلتَ إن هذه مزحة».

قال (هارى): «هذا جنون! ماذا دها...».

ثم رأى العلبة ملقاة مفتوحة على سرير (رون) فصدمته الحقيقة بقوة مارد يعدو مذعورًا.

«من أين جئتَ بمراجل الشيكولاتة هذه؟».

صاح (رون) وهو يستدير ببطء فى الهواء وهو يناضل حتى يخلص نفسه: «هدية عيد ميلاد! عرضت عليك واحدًا، ألم أفعل؟».

«أنت التقطتها من على الأرض، أليس كذلك؟».

«كانت قد سقطت من فوق سريرى، أفهمتَ؟ دعنى أذهب!».

«لم تسقط من فوق سريرك أيها الأخرق، ألا تفهم؟ إنها لى، أنا أخرجتها من صندوقى حين كنت أبحث عن الخارطة. أنها مراجل الشيكولاتة التى أعطتنى إياها (روميلدا فان) قبل الكريسماس وقد تم خلطها كلها بوصفة سحرية بالحب!».

ولكن يبدو أن كلمة واحدة من كلامه علقت فى ذهن (رون).

ردد قائلاً: «(روميلدا)؟ هل قلت (روميلدا)؟ (هارى) ـ هل تعرفها؟ أيمكنك أن تعرفنى بها؟».

حدق (هارى) إلى (رون) الذى كان متدليًا، وقد اكتسى وجهه الآن بقدر هائل من الأمل ويقاوم رغبة جامحة فى الضحك. جزء منه ـ الجزء الأقرب إلى أذنه اليمنى التى كانت ترتجف ـ متحمس لفكرة إنزال (رون) ومشاهدته يندفع إلى الشارع كالمجنون إلى أن يزول أثر الوصفة السحرية... ولكنهما من ناحية أخرى يفترض أنهما صديقان، و(رون) لم يكن طبيعيًا عندما هاجمه، وفكر (هارى) فى أنه يستحق لكمة أخرى لو سمح لـ(رون) بإعلان حبه الخالد لـ(روميلدا فان).

قال (هارى) وهو يفكر بسرعة: «نعم، سأعرفك بها. سأنزلك الآن، هل تسمعنى؟».

وترك (رون) يهوى على الأرضية (كانت أذنه تؤلمه كثيرًا)، لكن (رون) انتفض واقفًا على قدميه مرة أخرى وهو يبتسم.

قال (هارى) بثقة وهو يتقدم الطريق نحو الباب: «ستكون بمكتب (سلجهورن)».

سأله (رون) فى لهفة وهو يسرع ليلحق به «لم ستكون هناك؟».

قال (هارى) وهو يوغل فى التلفيق: «آه، لديها دروس إضافية فى الوصفات السحرية معه».

قال (رون) بشغف: «قد أسألها عما إذا أمكن لى حضورها معها؟».
قال (هارى): «فكرة رائعة».
كانت (لافيندر) تنتظر بجوار ثقب اللوحة، وهو أمر لم يكن (هارى) قد تنبأ به.
لوت شفتيها وقالت: «تأخرت يا (وون - وون)! جئت لك بهدية».
قال (رون) بنفاد صبر: «دعينى وشأنى، (هارى) سيعرفنى على (روميلدا فان)».
وبدون أن يقول كلمة أخرى لها اندفع خارجًا من ثقب اللوحة. حاول (هارى) أن يبدى ملامح تنم عن الاعتذار لـ(لافيندر)، ولكن ربما كانت ستنقلب إلى شيء مضحك لأنها بدت أكثر غضبًا من ذى قبل حين سدت السيدة البدينة الثقب وراءهما وهى تتأرجح.
كان بعض القلق يساور (هارى) من أن يكون (سلجهورن) يتناول إفطاره، لكنه رد على باب مكتبه من أول دقة وهو يرتدى جلبابًا مخمليًا أخضر وقلنسوة نوم تناسبه وكان يبدو غائم العينين.
غمغم قائلاً: «(هارى)، الوقت مبكر جدًا لأى اتصال... أنا عادةً أهجع إلى فراشى متأخرًا فى أيام السبت...».
قال (هارى) بأهدأ صوت ممكن بينما شب (رون) على أطراف أصابعه محاولاً أن ينظر داخل الغرفة وراء (سلجهورن): «يا أستاذ، أنا فى غاية الأسف أن أزعجك، لكن صديقى (رون) ابتلع وصفة سحرية للحب عن طريق الخطأ، فهل لك أن تحضر له ترياقًا؟ سآخذه إلى مدام (بومفرى)، ولكننا يفترض ألا نأخذ أى شيء من صافرات آل (ويسلى) السحرية، وأنت تعلم... أسئلة خرقاء...».
سأله (سلجهورن): «كنت أظن أن بإمكانك أن تحضّر له علاجًا على عجل يا (هارى)، رائد خبير مثلك؟».

قال (هارى) وقد أربكه أن (رون) أخذ يدفعه بمرفقه فى ضلوعه فى محاولة لشق طريقه إلى داخل الغرفة: «حسن، أنا لم أخلط ترياقًا لوصفة حب من قبل سيدى، وإلى أن أفلح فى تحضيرها قد يكون (رون) قد أقدم على فعل شىء خطير».

ومما أعانه أن اختار (رون) هذه اللحظة ليقول فى نواح: «لا أستطيع أن أراها يا (هارى) - هل هو يخبئها؟».

سأله (سلجهورن) وهو يرقب (رون) بعين المتخصص: «هل كانت هذه الوصفة فى حدود تاريخ الصلاحية؟ فمن الممكن أن يشتد مفعولها لو طال بقاؤها كما تعلم».

قال (هارى) فى لهفة وهو يصارع (رون) ليمنعه من الاصطدام بـ(سلجهورن): «هذا يفسر الكثير» ثم أردف متوسلاً: «إنه عيد ميلاده يا أستاذ».

قال (سلجهورن) وقد لان: «آه، ليكن، ادخلا إذن، ادخلا. لدى ما يلزم هنا فى حقيبتى. هو ليس ترياقًا صعبًا...».

اندفع (رون) عبر الباب ودلف إلى مكتب (سلجهورن) المزدحم الذى أفرط فى تدفئته، وتعثر فى مسند للقدمين مزين بشرابة، ثم استعاد توازنه بالتشبث برقبة (هارى) وغمغم قائلاً: «هى لم تر ذلك، أليس كذلك؟».

قال (هارى) وهو يرقب (سلجهورن) وهو يفتح حقيبة الوصفات السحرية ويضيف مقدارًا ضئيلاً من هذا وذاك إلى قارورة بلورية صغيرة: «لم تأتِ بعد».

قال (رون) فى حماس: «هذا جيد؛ كيف أبدو؟».

قال (سلجهورن) برقة وهو يناول (رون) كأسًا من سائل صاف: «غاية فى الأناقة، والآن اشرب هذا، إنه دواء منشط للأعصاب، يبقيك هادئًا حين تصل، أتعرف؟».

قال (رون) فى شغف: «رائع» وتجرع الترياق فى ضجيج.

أخذ كل من (هارى) و(سلجهورن) يرقبانه. وظل (هارى) يبتسم لهما لبرهة، ثم وهنت ابتسامته ببطء شديد واختفت ليحل محلها تعبير ينم عن أقصى أشكال الفزع.

قال (هارى) وهو يبتسم: «عاد إلى طبيعته الآن؟» ضحك (سلجهورن) ضحكة خافتة: «شكرًا جزيلاً يا أستاذ».

قال (سلجهورن): «العفو يا ولدى، العفو» بينما خار (رون) بجانب مقعد ذى ذراعين وبدا عليه التشتت، وواصل (سلجهورن) كلامه قائلاً: «خذنى»، هذا هو ما يحتاج إليه» ودعاه إلى مائدة عامرة بالمشروبات «لدى جعة زبد، ولدىّ نبيذ، ولدىّ زجاجة أخيرة من شراب البلوط المعتق هذا... م م م... كنت أود أن أعطيها لـ(دمبلدور) بمناسبة الكريسماس... ولكن حسنٌ... ثم هز كتفيه وقال: «... لن يفتقد ما لم يكن عنده أصلاً! لم لا نفتحها الآن ونحتفل بعيد ميلاد السيد (ويسلى)؟ فلا شىء يعدل مشروبًا روحيًا جيدًا لنسيان آلام الإحباط فى الحب...».

وترنم مبتهجًا وانضم إليه (هارى). كانت هذه أول مرة يجد نفسه وحده تقريبًا مع (سلجهورن) منذ محاولته الأولى العصيبة لاستخلاص الذاكرة الحقيقية منه. ربما، لو استطاع أن يبقى على (سلجهورن) فى حالة مزاجية طيبة... ربما لو أفرطا بعض الشىء فى شراب البلوط المعتق...

قال (سلجهورن) وهو يقدم لكل من (هارى) و(رون) كأسًا من شراب البلوط وقبل أن يرفع كأسه هو «حسن، عيد ميلاد سعيد جدًا يا (رالف)».

همس (هارى) قائلاً: «رون».

ولكن (رون) لم يكن مصغيًا للنخب المقترح على ما يبدو فكان قد صب شراب البلوط فى فمه وابتلعه.

فى لحظة واحدة أو ربما فيما لا يزيد عن نبضة قلب عرف (هارى) أن هناك شيئًا خطأ بشكل رهيب ولم يعرفه (سلجهورن) على ما يبدو.

«وهل لك أن تشرب المزيد».

«(رون)!».

كان (رون) قد أسقط كأسه؛ وحاول أن ينهض من مقعده ذى الذراعين ثم انهار، إذ كانت أطرافه ترتعش دون تحكم. وكان الزبد يسيل من فمه وجحظت عيناه من مآقيها.

جأر (هارى) قائلاً: «أستاذ، افعل شيئًا».

لكن (سلجهورن) بدا وقد شل من أثر الصدمة. انتفض (رون) واختنق. وأخذ جلده فى التحول إلى الزرقة.

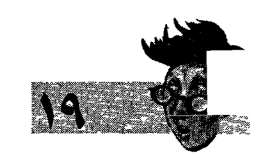
غمغم (سلجهورن) قائلاً: «ما... لكن...».

قفز (هارى) من فوق مائدة قصيرة واندفع نحو حقيبة وصفات (سلجهورن) المفتوحة وجذب منها أوعية وأكياسًا بينما كان صوت أنفاس (رون) الرهيبة المتهدجة تملأ الغرفة. ثم...

وجدها ـ الحصاة الذابلة التى تشبه حبات اللوبيا والتى كان (سلجهورن) قد أخذها منه فى حصة الوصفات السحرية.

واندفع عائدًا إلى جانب (رون) وفتح فكه قسرًا وحشر حصاة أمعاء الماعز فى فمه. فصدرت عن (رون) رجفة هائلة، لهاث يخشخش وصار جسمه منهكًا ساكنًا.

■ ■ ■



١٩ حكاية الجنى

قال (فريد): «إذن فهذا فى مجمله لم يكن واحدًا من أفضل أعياد ميلاد (رون)؟».

كان الوقت مساءً؛ كان جناح المستشفى هادئًا، ستائر النوافذ مسدلة والمصابيح مضاءة. كان سرير (رون) السرير الوحيد المشغول. كان كل من (هارى) و(هرميون) و(جينى) جالسين من حوله؛ كانوا قد قضوا اليوم بطوله منتظرين خارج الأبواب المزدوجة فى محاولة لرؤية ما بالداخل، كلما دخل أحد منها أو خرج. لم تدعهم مدام (بومفرى) يدخلون إلا فى الساعة الثامنة. ووصل (فريد) و(جورج) بعدها بعشر دقائق.

قال (جورج) وهو متجهم: «لم نتصور أن يكون تقديم الهدايا هكذا» ثم وضع هدية كبيرة ملفوفة على خزانة بجانب (رون) وجلس بجوار (جينى).

قال (فريد): «نعم، عندما التقطنا صورة للمشهد كان فى وعيه».

وقال (جورج): «كنا فى (هوجسميد) ننتظر كى نفاجئه».

سألته (جينى) وهى تنظر لأعلى: «كنتم فى (هوجسميد)؟».

قال (فريد) فى كآبة: «كنا نفكر فى الشراء من متجر (زونكو)، فرع من (هوجسميد)، أنت تعرفين، ولكن سيكون وبالاً علينا لو لم يُسمح لنا بعد ذلك بالخروج فى عطلات نهاية الأسبوع لشراء احتياجاتنا... ولكن دعكم من هذا الآن».

وجر مقعدًا بجانب (هارى) ونظر فى وجه (رون) الشاحب.

«كيف حدث ذلك بالضبط يا (هارى)».

أعاد (هارى) سرد الحكاية التى كان قد قصها فيما بدا وكأنه مئات المرات على كل من (دمبلدور) و(ماكجونجال) ومدام (بومفرى) و(هرميون) و(جينى).

«... ثم وضعت حصاة أمعاء الماعز فى حلقه فتحسن تنفسه قليلاً، وهرع (سلجهورن) لتقديم المساعدة، وصعد كل من (ماكجونجال) ومدام (بومفرى) وجاءا بـ(رون) إلى هنا. ويقولون: إنه سيكون بخير. وتقول مدام (بومفرى): إنه لابد أن يمكث هنا لمدة أسبوع تقريبًا... ليداوم على تناول خلاصة الفيجن...».

قال (جورج) بصوت خفيض: «كان من حسن طالعه أن فكرتَ فى حصاة أمعاء الماعز يا (بليمى)».

قال (هارى) الذى كان يشعر بالبرودة كلما فكر فيما كان سيحدث لو لم يتمكن من الوصول إلى الحصاة الصغيرة: «من طالعه أن كان معه أحد بالغرفة».

تشممت (هرميون) بصوت غير مسموع تقريبًا. كانت هادئة طوال اليوم على غير عادتها. ثارت فى وجه (هارى) خارج جناح المستشفى وطلبت أن تعرف ما حدث؛ إذ لم يكن لها دور فى النقاش المطول بين (هارى) و(جينى) حول الطريقة التى تسمم بها (رون)، فقد اكتفت بالوقوف بجانبهما مطبقة فكيها وقد بدا عليها الخوف، إلى أن سُمح لهم أخيرًا بالدخول لرؤيته.

سأل (فريد) (جينى): «هل عرفت أمى وأبى؟».

«رأياه بالفعل، جاءا منذ ساعة ـ وهما بمكتب (دمبلدور) الآن، ولكن سيعودان الآن...».

وتوقفوا عن الكلام بينما راقبوا جميعًا (رون) وهو يغمغم قليلاً فى نومه.

قال (فريد) فى هدوء: «إذن كان السم فى الشراب؟».

قال (هارى) على الفور: «نعم»؛ لم يفكر فى شيء آخر وغمره السرور لإتاحة الفرصة لبدء مناقشة الأمر مرة أخرى.

«(سلجهورن) صبه...».

«هل كان بمقدوره أن يدس شيئًا فى كأس (رون) دون أن تراه؟».

قال (هارى): «ربما، ولكن يريد (سلجهورن) تسميم (رون)؟».

قال (فريد) فى تجهم: «لا أدرى، هل تظن أنه ربما خلط الكأسين على سبيل الخطأ؟ بقصد إيذائك أنت؟».

سألته (جينى): «ولِم يريد (سلجهورن) أن يسمم (هارى)؟».

قال (فريد): «لا أدرى، ولكن لابد أن كثيرًا من الناس يودون تسميم (هارى)، أليس كذلك؟ «المختار» وكل هؤلاء؟».

قالت (جينى): «إذن فأنت تعتقد أن (سلجهورن) من آكلى الموت».

قال (فريد) فى تجهم: «كل شىء ممكن».

قال (جورج): «ربما كان تحت لعنة الإمبراطور».

قالت (جينى): «أو ربما كان بريئًا، ربما كان السم فى القارورة، وفى هذه الحالة ربما يكون المقصود هو (سلجهورن) نفسه».

«ومن الذى يريد أن يقتل (سلجهورن)؟».

قال (هارى): «(دمبلدور) يعتبر أن (فولدمورت) كان يريد (سلجهورن) فى صفه. و(سلجهورن) ظل مختبئًا لمدة سنة قبل أن يأتى إلى (هوجوورتس). و...» وفكر فى الذاكرة التى لم يتمكن (دمبلدور) من استخلاصها بعد من (سلجهورن)، «وربما يريد (فولدمورت) أن يتخلص منه، ربما كان يعتقد أن له قيمة بالنسبة لـ(دمبلدور)».

ذكرته (جينى) قائلة: «لكنك قلتَ إن (سلجهورن) كان يخطط لإعطاء تلك القارورة لـ(دمبلدور) فى الكريسماس. وبالتالى فربما كان مدبر مسألة التسميم يقصد (دمبلدور) بالسهولة نفسها».

قالت (هرميون) التى تكلمت للمرة الأولى منذ ساعات وبدت كأنها تعانى بردًا شديدًا فى رأسها: «إذن فمدبر مسألة التسميم لم يكن يعرف (سلجهورن) جيدًا. كل من يعرف (سلجهورن) يعرف أن هناك فرصة كبيرة لأن يحتفظ بشىء من هذه اللذة لنفسه».

أنَّ (رون) بصوت واهن وبشكل غير متوقع من بينهم قائلاً: «آه، ركبتى».

لاذوا جميعًا بالصمت وظلوا يرقبونه فى قلق، ولكنه بعد غمغمة غير مفهومة دامت لبرهة بدأ يغط.

انفتحت أبواب جناح الغرف مما جعلهم جميعًا ينتفضون؛ جاء (هاجريد) بخطا سريعة نحوهم وقد غطت شعره حبات المطر وسترته المصنوعة من فراء الدببة يرف خلفه، وبيده نشابية تاركًا وراءه خطًا من آثار أقدام موحلة بحجم الدلفين فى كل مكان على الأرضية.

قال لاهثًا: «كنتُ فى الغابة طوال النهار! (أراجوج) أسوأ، كنتُ أقرأ له ـ لم أنهض لتناول العشاء إلا الآن، وهناك أخبرتنى الأستاذة (سبراوت) عما حدث لـ(رون)، كيف حاله؟».

قال (هارى): «بخير، يقولون: إنه سيكون بخير».

قالت مدام (بومفرى) مهرولة من مكتبها: «ليس أكثر من ستة زوار فى المرة!».

أشار (جورج): «(هاجريد) هو السادس».

قالت مدام (بومفرى) التى يبدو أنها أحصت (هاجريد) عددًا من الناس بسبب ضخامته: «آه... نعم...». ولكى تغطى ارتباكها هرولت لتمسح آثار قدميه الموحلة بعصاها السحرية.

قال (هاجريد) بصوت أجش وهو يهز رأسه الكبير الأشعث وهو يحدق لأسفل فى (رون): «أنا لا أصدق هذا؛ أنا لا أكاد أصدق هذا... انظر إليه راقدًا هناك... من الذى يريد أن يؤذيه؟ ها!».

قال (هارى): «هذا بالضبط ما كنا نناقشه. لا ندرى».

قال (هاجريد) فى قلق: «قد يكون هناك من يكنّ ضغينة على فريق (جريفندور كويدتش)، ألا يُحتمل؟ (كيتى) أولاً والآن (رون)...».

قال (جورج): «لا أعرف أحدًا يحاول أن يقتل فريق (كويدتش)».

قال (فريد) بوضوح: «(وود) ربما كان سيحاول قتل آل (سليذرين) لو لم يكن قد أفلت بفعلته».

قالت (هرميون) فى هدوء: «حسنٌ، أنا لا أظن إنه (كويدتش)، ولكنى أظن أن هناك صلة بين الاعتداءين».

سألها (فريد): «كيف تفسرين ذلك؟».

«حسنٌ، من ناحية كان يفترض فى كل منهما أن يكون قاتلاً ولكن هذا لم يحدث، ولو أن هذه مسألة حظ بحتة. من ناحية أخرى فلا السم ولا العُقد وصلا إلى الشخص الذى يفترض قتله بالطبع» ثم أردفت قائلة وهى تفكر: «وهذا يجعل الشخص وراء هاتين الحادثتين أكثر خطرًا، إذ يبدو أنه لا يبالى كم من الناس يقتل قبل أن يصل إلى ضحيته».

وقبل أن يرد أى منهم على هذا الرأى المشئوم انفتح باب جناح الغرف مرة أخرى وهرول السيد والسيدة (ويسلى) إلى أعلى العنبر. لم يفعلا أكثر من استرضاء أنفسهما بأن (رون) سيَشفَى تمامًا فى زيارتهما الأخيرة للعنبر؛ والآن أمسكت السيدة (ويسلى) بـ(هارى) واحتضنته بشدة.

وقالت وهى تنشج: «أخبرنا (دمبلدور) كيف أنقذته بحصاة أمعاء الماعز. آه يا (هارى)، ماذا يمكن أن نقول؟ أنت أنقذتَ (جينى)... وأنقذتَ (آرثر)... والآن أنقذتَ (رون)...».

غمغم (هارى) فى ارتباك: «لا تقولا شيئًا... أنا لم...».

قال السيد (ويسلى) بصوت منقبض: «يبدو أن نصف عائلتنا يدينون لك بحياتهم، وأنا الآن أتوقف وأفكر فى الأمر. حسنٌ، كل ما يسعنى قوله هو أنه كان يوم سعد بالنسبة لآل (ويسلى) يوم أن قرر (رون) أن يجلس فى قمرتك فى القطار إلى (هوجوورتس) يا (هارى)».

لم يتمكن (هارى) من التفكير فى أى رد على هذا، وكان سعيدًا أو كاد عندما ذكرتهم مدام (بومفرى) مرة أخرى بأنه يفترض أن يكون هناك ستة زوار فقط حول سرير (رون) فنهض هو و(هرميون) على الفور ليغادرا وقرر (هاجريد) أن يرافقهما تاركًا (رون) مع أسرته.

دمدم (هاجريد) فى لحيته قائلاً: «هذا شنيع» بينما سار ثلاثتهم فى الدهليز نحو الدرج الرخامى: «كل هذا الأمن الجديد ولا يزال الأولاد يتعرضون للأذى... (دمبلدور) فى غاية القلق... هو لا يتكلم كثيرًا، ولكن يمكننى أن أدرك...».

سألته (هرميون) فى يأس: «ألم تواته أية أفكار يا (هاجريد)؟».

قال (هاجريد) بإخلاص: «أنا أتوقع أن لديه مئات الأفكار، فعقل كعقله... ولكنه لا يعرف من أرسل هذا العُقد أو من دس السم فى ذلك النبيذ، وإلا لتم الإمساك بهم، أليس كذلك؟» ثم قال وهو يخفض صوته ويشير بعينه من فوق كتفه، ومن باب الحيطة تفقد (هارى) السقف تحسبًا لوجود (بيفز): «ما يقلقنى هو إلى متى يمكن أن تظل (هوجوورتس) مفتوحًا لو ظل الأولاد يتعرضون للاعتداء. غرفة الأسرار مرة أخرى، أليس كذلك؟ سيعم الذعر، مزيد من الآباء سيخرجون أولادهم من المدرسة، والشىء التالى، كما تعرفون، مجلس المحافظين...».

وتوقف (هاجريد) عن الكلام حين مر بهم شبح امرأة ذات شعر طويل فى هدوء، ثم واصل كلامه بهمس أجش: «مجلس المحافظين سيتكلم عن إغلاق مكاننا هذا للأبد».

قالت (هرميون) وقد بدا عليها القلق: «قطعًا لا».

قال (هاجريد) فى تثاقل: «عليكِ أن تنظرى إلى المسألة من وجهة نظرهم. أقصد أن إرسال أى صبى إلى (هوجوورتس) يحمل دائمًا قدرًا من المجازفة، أليس كذلك؟ فأنت تتوقعين وقوع حوادث، أليس كذلك؟ حين يكون لديك مئات من السحرة القصَّر محبوسين معًا... لكن محاولة القتل، هذا شىء مختلف. ولا غرو أن (دمبلدور) غاضب من سنـ...».

وتوقف (هاجريد) فى مكانه وبدا على ما كان مرئيًا من وجهه فوق لحيته السوداء الشعثاء تعبير مألوف يوحى بالذنب.

قال (هارى) بسرعة: «(دمبلدور) غاضب على (سناب)؟».

قال (هاجريد): «أنا لم أقل هذا» لكن نظرة الذعر على وجهه ما كانت لتفصح عن غير ذلك: «انظر إلى الوقت، اقتربنا من منتصف الليل، لابد أن....».

قال (هارى) بصوت مسموع: «ما سبب غضب (دمبلدور) على (سناب)؟».

قال (هاجريد) وقد بدا عليه التوتر والغضب فى آن: «شش! لا ترفع صوتك بأشياء كهذه يا (هارى)، أتريدنى أن أفقد عملى؟ لا أظنك تكترث، أليس كذلك؟، خاصةً بعد أن تخليتَ الآن عن مجـ...».

قال (هارى) بنبرة صارمة: «لا تحاول أن تشعرنى بالذنب» لن تفلح! ماذا فعل (سناب)؟».

«لا أدرى يا (هارى)، ما كان ينبغى لى أن أسمع ذلك أصلاً! أنا... حسنٌ، كنتُ فى طريقى خارجًا من الغابة ذات مساء وسمعتهما يتحدثان... حسنٌ، يتشاجران. ولم أشأ أن ألفت أحدًا إلى وجودى، فتسللت وحاولت ألا أسمع، ولكنه كان نقاشًا حاميًا، ولم يكن من السهل صده».

حثه (هارى) قائلاً: «وبعد؟» بينما جر (هاجريد) قدميه بصعوبة.

«وبعد... سمعتُ (سناب) يقول: إن (دمبلدور) يستخف بالناس أكثر من اللازم وربما كان هو ـ (سناب) ـ يريد أن يكف عن القيام بذلك».

«القيام بمَ؟».

«لا أدرى يا (هارى)، بدا الأمر كأن (سناب) يشعر بأنه مثقل بالعمل، هذا كل ما هنالك... على أى، قال له (دمبلدور) صراحةً بأنه سبق أن وافق على ذلك، وأن هذا كل ما لديه فى هذا الصدد. كان صارمًا جدًّا معه. ثم قال الكثير عن قيام (سناب) بتحقيقات داخل داره فى (سليذرين)». وبينما تبادل (هارى) و(هرميون) نظرات مليئة بالمعانى أضاف (هاجريد) قائلاً: «حسنٌ، لا غرابة فى ذلك! فكل رؤساء الدار طُلب منهم بحث مسألة العُقد هذه».

قال (هارى): «نعم، لكن (دمبلدور) ليس على وفاق مع بقيتهم، أليس كذلك؟».

ثنى (هاجريد) نشابته بصورة غير مريحة فى يده فصدر عنها صوت تشقق ثم انفلقت إلى اثنين وقال: «اسمع، أنا أعرف إحساسك فيما يتعلق بـ(سناب) يا (هارى)، ولا أريدك أن تقرأ المزيد عن ذلك».

قالت (هرميون) فى حسم: «انتبها».

والتفتا فى الوقت المناسب تمامًا ليريا ظل (أرجوس فيلتش) يتضخم على الجدار من ورائهما قبل أن ينعطف الرجل نفسه بظهره الأحدب ولغده المترهل.

قال بصوت كالصفير: «هذا أنت! بقاؤك خارج مخدعك فى هذا الوقت المتأخر سيكون معناه الحبس!».

قال (هاجريد) بإيجاز: «لا، لن يكون كذلك يا (فيلتش). فهما معى، أليس كذلك؟».

سأله (فيلتش) باشمئزاز: «وما الفارق؟».

قال (هاجريد) وقد غضب على الفور: «أنا معلم متورد الوجه، ألستُ كذلك أيها الجبان المتسلل!».

كان هناك فحيح مقزز حين انتفخ (فيلتش) غاضبًا؛ كانت السيدة (نوريس) قد وصلت دون أن يراها أحد وكانت تتلوى بشكل أفعوانى حول كاحل قدمىِ (فيلتش) النحيفتين.

قال (هاجريد) بزاوية من فمه: «امش».

لم يكن (هارى) فى حاجة لتكرار ما قال؛ وأسرع هو و(هرميون) معًا حيث تردد صدى صوتى (هاجريد) و(فيلتش) وراءهما وهما يركضان. ومرا بـ(بيفز) بالقرب من المنعطف إلى داخل برج (جريفندور)، ولكنه كان مندفعًا بسرعة البرق نحو مصدر الصياح وهو يقهقه ويترنم قائلاً:

«حين يكون هناك شجار وحين يكون هناك متاعب

نادِ على (بيفسى) فيضاعفها!»

كانت السيدة البدينة تغفو ولم ترضَ بأن يوقظها أحد، لكنها سارت تترنح وهى تتذمر لكى تسمح لهما بالتسلق إلى داخل غرفة استراحة الأساتذة الهادئة والخالية. ولم يبدُ أن الناس علموا بما حدث لـ(رون) بعد؛ وشعر (هارى) براحة تامة؛ إذ تم استجوابه بما يكفى فى ذلك اليوم. وتمنت له (هرميون) ليلة سعيدة وانطلقت إلى جناح غرف البنات. إلا أن (هارى) بقى فى مكانه واتخذ مقعدًا بجوار المدفأة وظل ينظر إلى الجمرات وهى تنطفئ.

إذن فقد تشاجر (دمبلدور) مع (سناب). فقد أعصابه معه على الرغم من كل ما قاله لـ(هارى)، وعلى الرغم من إصراره على أنه يثق فى (سناب) تمامًا... كان يعتقد أن (سناب) لم يبذل محاولات كافية للتحقيق مع سكان (سليذرين)... أو ربما للتحقيق مع واحد من سكان (سليذرين)، ألا وهو (مالفوى)؟

هل كان ذلك لأن (دمبلدور) لم يكن يريد لـ(هارى) أن يقدم على أية حماقة أو أن يسيطر على الأمور فتظاهر بأن شكوك (هارى) لا تنطوى على شىء؟ كان هذا يبدو محتملاً. ولعل (دمبلدور) لم يكن يريد لشىء أن يشغل (هارى) عن دروسه أو عن جلب تلك الذاكرة من (سلجهورن). ربما لم يكن (دمبلدور) يرى أنه من الصواب أن يفضى بشكوك عن طاقمه لأولاد فى السادسة عشرة...

«ها أنت ذا يا (بوتر)!».

انتفض (هارى) واقفًا على قدميه مصدومًا، مستعدًا بعصاه السحرية. كان على اقتناع تام بأن غرفة استراحة الأساتذة خالية؛ ولم يكن مستعدًا على الإطلاق لأن يجد شخصًا ضخم الجثة ينهض فجأة من مقعد بعيد. وبينت له نظرة عن كثب أنه (كورماك ماكلاجين).

قال (ماكلاجين) دون اعتبار لعصا (هارى) السحرية المشرعة: «كنت فى انتظار عودتك. لابد أنى غفوتُ. اسمع، أنا رأيتهم مبكرًا يأخذون (ويسلى) لأعلى إلى جناح المستشفى. لم يبدُ عليه أنه سيكون جاهزًا لمباراة الأسبوع القادم».

استغرق الأمر من (هارى) بضع ثوان ليدرك ما كان (ماكلاجين) يتحدث عنه.

قال وهو يعيد عصاه السحرية إلى مكانها بحزام سرواله الجينز ويمرر يده خلال شعره فى ملل: «آه... صحيح... (كويدتش)، نعم... قد لا يتمكن من ذلك».

قال (ماكلاجين): «حسنٌ إذن، سألعب دور الحارس، أليس كذلك؟».

قال (هارى): «نعم، أعتقد ذلك».

لم يتمكن من التفكير فى الرد على ذلك؛ فلا شك أن (ماكلاجين) كان أداؤه ثانى أفضل أداء فى المحاولات.

قال (ماكلاجين) بصوت راضٍ: «ممتاز، إذن متى التمرين؟».

«ماذا؟ آه... هناك تمرين مساء غد».

«جيد، اسمع يا (بوتر)، ينبغى أن نتحدث قبلها. لدىّ بعض الأفكار عن الإستراتيجية قد تجدها مفيدة».

قال (هارى) دون حماس: «ليكن، حسنٌ، سأسمعها غدًا إذن، أنا متعب الآن... سأراك...».

انتشر خبر تعرض (رون) للتسمم بسرعة فى اليوم التالى، ولكنه لم يؤد إلى الإحساس الذى أحدثه الاعتداء على (كيتى). بدا أن الناس يعتقدون أنه قضاء وقدر، وبما أنه كان فى غرفة أستاذ الوصفات السحرية آنذاك وأنه أعطى ترياقًا على الفور، إذن فلم يكن ثم ضرر حقيقى. والحقيقة أن سكان (جريفندور) كانوا بصفة عامة أكثر اهتمامًا بمباراة (كويدتش) التالية ضد (هافلباف)، إذ كانت كثرة منهم يريدون أن يروا (زكرياس سميث) الذى كان يلعب «مطاردًا» فى فريق (هافلباف) وهو يعاقَب بشدة بسبب تعليقه فى أثناء المباراة الافتتاحية ضد (سليذرين).

ومع ذلك فإن (هارى) لم يكن يومًا أقل اهتمامًا بـ(كويدتش)؛ كان قلقه بـ(دراكو مالفوى) يزداد بسرعة. وكان لا يزال يتفقد خارطة

(مـارودر) كـلـمـا سـنـحت لـه الـفـرصـة؛ لذا كـان يـنـعطـف إلى أى مـكـان يتصـادف وجود (مـالفوى) فيه، ولكنه لم يكن قد ضبطه يفعل أى شىء غير المعتـاد بعد. وكـانت لا تزال هنـاك مرات غير قـابلة للتفسير يختفى فيها (مـالفوى) من الخـارطة ببسـاطة... لكن (هـارى) لم يتح لـه الوقت ليفكر فى المشكلة، مـا كـان من أمر تمرين (كويدتش) والواجب المنزلى ومطـاردة كل من (كورمـاك مـاكلاجين) و(لافيندر براون) إياه أينمـا ذهب.

لم يتمكن من تحديد أيهمـا أكثر مضـايقة لـه. ظل (مـاكلاجين) يردد سلسلة ثابتة من التلميحات بـأنه سيكون حـارسًـا دائمًـا أفضل للفريق من (رون) وأن (هـارى) كـان يراه يلعب بشكل منتظم، ومن ثم فمن المؤكد أنه سيقتنع يومًـا بذلك أيضًـا؛ كمـا كـان حريصًـا على انتقـاد سـائر اللاعبين وعلى إمداد (هـارى) بخطط تدريب مفصلة بحيث اضطر (هـارى) أكثر من مرة لتذكيره بمن هو قـائد الفريق.

فى الوقت نفسه ظلت (لافيندر) تلاحق (هـارى) لمنـاقشة موضـوع (رون)، وهـو مـا اعـتبره (هـارى) أكثر إمـلالاً مـن محـاضـرات (مـاكـلاجين) عـن (كويدتش). فى بـادئ الأمر كـانت (لافيندر) فى غـاية الضيق لأن أحدًا لم يفكر فى إبلاغها بـأن (رون) فى جنـاح المستشفى ـ «أقصد أنـا صديقته!» ـ ولكنهـا كـانت قد قررت الآن للأسف أن تغفر لـ(هـارى) هذه الزلة المتعلقة بـالذاكرة وكـانت حريصة على إجراء حوارات عميقة كثيرة معه عن مشاعر (رون)، وهى تجربة غـاية فى الإزعـاج كـان من دواعى سرور (هـارى) أن يتجنبهـا.

بعد استجواب مطول من (لافيندر) شمل كل شىء بدءًا ممـا قـالـه: (رون) تحديدًا عن ثيـابهـا الجديدة وانتهـاء بمـا إذا كـان (هـارى) يعتقد أن (رون) يعتبر علاقته بـ(لافيندر) «جادة» سألهـا (هـارى) قـائلاً: «اسمعى، لم لا تتحدثين مع (رون) عن كل هذا؟».

قـالت (لافيندر) وهـى متجهمة: «حسنٌ، كنت أود، ولكنه دائمًـا نـائم حين أذهب لأراه!».

قال (هارى) فى دهشة: «أهكذا؟»؛ إذ إنه كان يجد (رون) فى كامل نشاطه فى كل مرة يصعد فيها إلى جناح المستشفى، ومهتمًا لدرجة كبيرة بأخبار مشاحنة (دمبلدور) و(سناب) وفى الوقت نفسه حريصًا على سب (ماكلاجين) قدر الإمكان.

سألته (لافيندر) فجأة: «هل لا تزال (هرميون جرانجر) تزوره؟».

قال (هارى) دون ارتياح: «نعم، أظن ذلك، فهما صديقان، أليسا كذلك؟».

قالت (لافيندر) فى ازدراء: «صديقان، لا تضحكنى. لم تكلمه طوال أسابيع بعد أن بدأ يخرج معى! لكنى أعتقد أنها تود أن تتصالح معه الآن بعد أن أصبح مثيرًا الآن...».

سألها (هارى): «هل تسمين التسمم إثارة؟» ثم قال (هارى) فى عجلة: «على أية حال... آسف، لابد أن أذهب... ها هو (ماكلاجين) آتٍ ليتحدث عن (كويدتش)» واندفع إلى طريق جانبى ودلف عبر أحد الأبواب متظاهرًا بأنه جدار أصم وأسرع نحو الطريق المختصر الذى يفضى به إلى الوصفات السحرية حيث لا يمكن لـ(لافيندر) أو (ماكلاجين) أن يتبعاه إليها لحسن الطالع.

وفى صباح يوم مباراة (كويدتش) ضد (هافلباف) مر (هارى) بجناح المستشفى قبل أن يتوجه إلى الملعب. كان (رون) فى غاية الضيق؛ لأن مدام (بومفرى) لم تسمح له بالنزول لمشاهدة المباراة لإحساسها بأنها ستجعله ينفعل أكثر من اللازم.

سأل (هارى) بعصبية ناسيًا على ما يبدو أنه سبق أن طرح عليه السؤال نفسه مرتين: «وكيف حال (ماكلاجين)؟».

قال (هارى) فى صبر: «سبق أن قلت لك، قد يصبح مصنفًا عالميًا ولا أود أن أبقيه. وهو لا يكف عن محاولة الإملاء على كل واحد ما يفعل، يظن أنه يستطيع أن يلعب فى كل موقع أفضل من بقيتنا. أنتظر بفارغ الصبر أن

أنجو منه». ثم أردف (هارى) وهو ينهض على قدميه ويلتقط جمرة النار: «وبمناسبة الحديث عن النجاة من الناس، هل لك أن تكف عن التظاهر بالنوم حين تأتى إليك (لافيندر) لتراك؟ إنها تدفعنى للجنون أنا أيضًا».

قال (رون) وقد بدا عليه الخجل: «نعم، ليكن».

قال (هارى): «لو لم تكن تريد أن تخرج معها بعد ذلك أبلغها بذلك».

قال (رون): «نعم... حسنٌ... ليست المسألة بهذه السهولة، أليس كذلك» وتوقف ثم أضاف عن غير قصد قائلاً: «هل ستأتى (هرميون) للزيارة قبل المباراة؟».

«لا، هى نزلت فعلاً إلى الملعب مع (جينى)».

قال (رون) فى كآبة: «آه، صحيح، حسنٌ، حظ سعيد، أتمنى أن تهزم (ماكلاجين) ـ أقصد (سميث)».

قال (هارى) وهو يضع مكنسته على منكبه: «سأحاول. أراك بعد المباراة».

وأسرع بالنزول عبر الدهاليز المهجورة؛ كانت المدرسة كلها بالخارج إما جالسين بالإستاد أو متوجهين نحوه. كان ينظر من النوافذ وهو يمر بها فى محاولة لقياس سرعة الريح التى تواجههم فسمع ضجيجًا أمامه دفعه للنظر لأعلى فرأى (مالفوى) متجهًا نحوه وبرفقته فتاتان بدا على كلتيهما العبوس والغيظ.

توقف (مالفوى) لدى رؤية (هارى)، ثم أطلق ضحكة قصيرة غير مرحة وواصل السير.

سأل (هارى): «إلى أين أنت ذاهب؟».

قال (مالفوى) ساخرًا: «نعم، سأخبرك؛ لأن هذا من شأنك يا (بوتر). يستحسن أن تسرع، فهم فى انتظار «الكابتن المختار»... الفتى الذى سجل الأهداف... أو أيًا ما كانوا ينادونك به هذه الأيام».

صدرت عن إحدى الفتاتين ضحكة صاخبة عن غير قصد. حدق (هارى) بها. فاحمرّ وجهها. واندفع (مالفوى) مارًا بـ(هارى) وتبعته هى وصديقتها تهرولان، ثم انعطفوا عند الركن واختفوا عن الأنظار.

تسمر (هارى) فى مكانه وشاهدهم وهم يختفون. كان هذا أمرًا يثير الحنق؛ كان بالفعل عازمًا على التوجه للمباراة فى الوقت المحدد ولكن ها هو (مالفوى) يتسلل فى غياب بقية المدرسة: أفضل فرصة سنحت لـ(هارى) ليكتشف ما يدبره (مالفوى). مرت الثوانى متواترة وظل (هارى) حيث كان، متجمدًا يحدق إلى المكان الذى اختفى فيه (مالفوى)...

سألته (جينى) وهو يهرع إلى غرفة الملابس قائلة: «أين كنتَ؟» كان الفريق بأكمله يغيرون ملابسهم ويستعدون؛ كان كل من (كوتى) و(بيكس) و(بيترز) يضرب هراوته على ساقه بعصبية.

أخبرها (هارى) فى هدوء وهو يسحب ثوبه القرمزى فوق رأسه قائلاً: «قابلتُ (مالفوى)».

«وبعد؟».

«وبعد... كنتُ أريد أن أعرف سبب وجوده بالقلعة مع فتاتين بينما الكل هنا...».

«هل هذا يهم الآن؟».

قال (هارى) وهو يمسك بجمرته النارية ويعدل نظارته: «حسنٌ، من المستبعد أن أعرف، أليس كذلك؟ هيا إذن!».

وبدون أن يتفوه بكلمة أخرى سار متوجهًا نحو الملعب وصيحات الهتاف والاستهجان التى تصم الآذان. كان هناك قليل من الريح؛ وكانت السحب متفرقة؛ ومن حين لآخر كانت الشمس تسطع بوميض مبهر.

قال (ماكلاجين) وهو يشجع فريقه: «الظروف خادعة! (كوتى) و(بيكس) ستضطران لتجنب الشمس حتى لا يروكما آتيين...».

قال (هارى) غاضبًا: «أنا الكابتن يا (ماكلاجين)، كف عن إعطائهم التعليمات. انهض وقف عند قوائم المرمى!».

وما أن مشى (ماكلاجين) حتى التفت (هارى) إلى كل من (كوت) و(بيكس) وقال لهما فى غيظ:

«حاولا قدر جهدكما أن تتجنبا الشمس».

صافح كابتن فريق (هافلباف) وعند انطلاق صافرة مدام (هوتش) ركل وارتفع فى الهواء أعلى من بقية فريقه واندفع كالبرق حول الملعب يبحث عن «الكوافل». لو تمكن من الإمساك بها جيدًا وقبل غيره لسنحت له الفرصة بالعودة إلى القلعة والإمساك بخارطة (مارودر) ومعرفة ما يفعله (مالفوى)...

قال صوت حالم يتردد صداه فى الملاعب: «وها هو (سميث) من فريق (هافلباف) ومعه الكرة. كان يقوم بالتعليق فى المرة السابقة بالطبع، واصطدمت به (جينى ويسلى)، ربما عن عمد على ما أعتقد ـ هكذا تبدو. كان سميث فى غاية السخف فيما يتعلق بـ(جريفندور)، وأتوقع أنه نادم على أنه الآن يلعب لصالحهم... آه، انظروا، ضاعت منه الكوافل، أخذتها (جينى) منه، هى تعجبنى فعلاً، إنها لطيفة جدًا...».

حدق (هارى) إلى مقصورة المعلق. مؤكد... فلا أحد فى حالته العقلية السليمة كان سيدع (لونا لافجود) تتولى التعليق. ولكن حتى من أعلى لا تخطئ العين ذلك الشعر الطويل الأشقر القذر أو العُقد المصنوع من سدادات (بتربير)... وبجانب (لونا) كانت الأستاذة (ماكجونجال) تبدو غير مستريحة قليلاً، ولو أنها كانت مترددة بشأن هذا الموعد.

«...ولكن الآن لاعب (هافلباف) الضخم أخذ الكرة منها، لا أتذكر اسمه، إنه شىء من قبيل (بيبل)... لا (بَجِتر)...».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) بصوت عالٍ بجانب (لونا): «إنه (كدوالادر)!» فضجت الجموع بالضحك.

حدق (هارى) حوله بحثًا عن «الكوافل»؛ لم يكن ثم أثر لها. وبعد لحظات أحرز (كدوالادر) هدفًا. وكان (ماكلاجين) يصرخ فى (جينى) منتقدًا إياها لسماحها بأن تفلت الكرة منها فكانت النتيجة أنه لم يلاحظ الكرة الحمراء الكبيرة وهى تحلق بجانب أذنه اليمنى.

جأر (هارى) وهو يدور ليواجه حارس مرماه قائلاً: «(ماكلاجين)، هلا انتبهتَ إلى ما ينبغى عليك أن تفعله واترك غيرك فى حاله!».

أجابه (ماكلاجين) وهو يصيح وقد احمر وجهه واستشاط غضبًا: «أنت لستَ قدوة طيبة».

قالت (لونا) فى هدوء بينما كان مشجعو كل من (هافلباف) و(سليذرين) يهتفون ويسخرون تحتها وسط الجمهور: «(هارى بوتر) يتشاجر الآن مع حارس مرماه. لا أظن أن هذا سيساعده فى العثور على «الكوافل»، ولكن ربما كانت خدعة ذكية...».

دار (هارى) دورة وهو يسب فى غضب وانطلق حول المنحدر مرة أخرى وتفحص السماء بحثًا عن أثر للكرة الذهبية المجنحة الصغيرة.

أحرزت كل من (جينى) و(ديميلزا) هدفًا لكل منهما وأعطتا للمشجعين من ذوى القمصان الملونة بالأحمر والذهبى بأسفل شيئًا يهللون له. ثم أحرز (كدوالادر) مرة أخرى محققًا التعادل، ولكن لم يبدُ أن (لونا) لاحظت؛ كانت وحدها تبدو غير مكترثة بمثل هذه الأمور الدنيوية كالأهداف، وظلت تحاول أن تلفت الجمهور لأشياء كالسحب بأشكالها الغريبة، واحتمال أن يكون (زاكرياس سميث) الذى كان قد أخفق حتى الآن فى الاحتفاظ بالكوافل لأكثر من دقيقة واحدة يعانى ما يعرف بـ«عرَض الفشل».

صاح الأستاذ (ماكجونجال) فى مكبر صوت (لونا) قائلاً: «سبعون... أربعون لـ(هافلباف)!».

قالت (لونا) فى غموض: «هكذا فعلاً؟ آه، انظروا! حارس مرمى فريق (جريفندور) أمسك بأحد مضارب فريق (بيترز)».

دار (هارى) دورة فى الهواء. وكان (ماكلاجين) ولأسباب معروفة له قد جذب مضرب (بيكس) منه وكان يبدو أنه يستعرض كيفية الاصطدام بالرامى فى اتجاه (كدوالادر) وهو يقترب.

زأر (هارى) وهو منطلق تجاه (ماكلاجين) قائلاً: «*أعد له مضربه وعُد إلى قوائم المرمى!*» بينما وجه (ماكلاجين) ضربة عنيفة تجاه الرامى ولكنه أخطأه.

ألم يصب بـالـغـثـيـان والـعـمـى... وميض ضـوء... صرخـات بـعـيدة... وإحساس بـالسقوط فى نفق طويل...

وكان الشىء التالى الذى عرفه (هارى) هو أنه مستلق فى سرير دافئ ومريح وينظر لأعلى إلى مصباح يلقى دائرة من ضوء ذهبى على سقف ملىء بالظلال. رفع رأسه وهو متعب. على يساره كان شخص أحمر الشعر بوجهه نمش ويبدو مألوفًا.

قال (رون) وهو مبتسم: «جميل منك أن تمر لزيارتنا».

فتح (هارى) عينيه وأغمضهما ونظر حوله. طبعًا، كان بجناح المستشفى. كانت السماء بالخارج زرقاء مخططة باللون القرمزى. لابد أن المباراة انتهت منذ ساعات... وكذلك أى أمل فى ضبط (مالفوى). كان (هارى) يشعر بثقل غريب فى رأسه؛ رفع يده وتحسسها فوجد عمامة متيبسة من الأربطة.

«ماذا حدث؟».

قالت مدام (بومفرى) وهى تندفع لتعيده إلى وسائده: «تهشم فى الجمجمة. لا تقلق، أصلحتها على الفور، ولكنى سأحتجزك هنا حتى الصباح. لا تجهد نفسك كثيرًا لبضع ساعات».

قال (هارى) غاضبًا وهو يحاول الجلوس ويطرح عنه غطاءه: «لا أريد أن أبقى هنا حتى الصباح. أريد أن أبحث عن (ماكلاجين) لأقتله».

قالت مدام (بومفرى) وهى تدفعه لتعيده إلى الفراش وترفع عصاها السحرية على سبيل التهديد: «ستمكث هنا إلى أن أصرفك أنا يا (بوتر)، وإلا فسأستدعى الناظر».

واندفعت عائدة إلى مكتبها وعاد (هارى) ليغوص فى وسائده وهو غاضب.

سأل (هارى) (رون) عبر أسنان مطبقة: «أتعلم كم خسرنا؟».

رد (رون) فى ندم: «حسنٌ، نعم، أعلم. النتيجة النهائية كانت ثلاثمائة وعشرين إلى ستين».

قال (هارى) فى قسوة: «رائع، رائع حقًا! عندما أمسك (ماكلاجين)».

قال (رون) بتعقل: «أنت لا تستطيع أن تمسك به، فهو فى حجم حافلة. أنا شخصيًا أعتقد أن هناك الكثير مما يقال لإلقاء تعويذة عليه بظفر إصبع القدم هذا المذكور لدى الأمير. على أى حال، بقية الفريق ربما سيكونون قد نالوا منه قبل أن تخرج من هنا، فهم غير راضين...».

كانت هناك ملحوظة بأغنية مطموسة تمامًا بصوت (رون)، وأدرك (هارى) أنه سعيد بأن (ماكلاجين) فشل بهذه الصورة السيئة. ظل (هارى) مستلقيًا يحدق فى رقعة الضوء بالسقف وجمجمته التى أصلحت لتوها لا تؤلمه كثيرًا، ولكنه يشعر بالضعف تحت كل هذه الضمادات.

قال (رون) وصوته يرتعش بالضحك: «كنت أسمع صوت معلقة المباراة من هنا. أتمنى أن تتولى (لونا) التعليق دائمًا من الآن فصاعدًا... «عرَض *الفشل*»...».

لكن (هارى) كان لا يزال أشد غضبًا من أن يرى فى الموقف ما يدعو للمرح، وبعد برهة خمدت ضحكات (رون) التى تبدو كالشخير.

قال بعد صمت طويل: «(جينى) جاءت لزيارتك حين كنتَ فاقدًا للوعى»، وحلق خيال (هارى) بعيدًا ليتصور مشهدًا تبكى فيه (جينى) على جسده وهو فاقد الحياة وتعترف بمشاعرها بالانجذاب الشديد نحوه بينما يباركهما (رون)... «هى ترى أنك جئتَ فى الوقت المحدد للمباراة. لماذا؟ أنت خرجتَ من هنا مبكرًا».

قال (هارى) بعد أن تبدد المشهد فى عين ذهنه: «آه... نعم، حسنٌ، رأيت (مالفوى) يتسلل بصحبة فتاتين كان يبدو أنهما لا تريدان البقاء معه، وهذه هى المرة الثانية التى يتأكد فيها عدم وجوده فى ملعب الـ(كويدتش) مع بقية المدرسة. فقد تغيب عن المباراة الأخيرة أيضًا، أتتذكر؟» ثم تنهد (هارى) وقال: «ليتنى تتبعته الآن بعد أن كانت المباراة بهذا الفشل...».

قال (رون) فى حدة: «لا تكن أحمق، ما كان لك أن تغيب عن مباراة (كويدتش) لمجرد أن تتبع (مالفوى) فأنت الكابتن!».

قال (هارى): «أريد أن أعرف ما يدبر له، ولا تقل لى إن المسألة كلها محض أوهام منى، لاسيما بعد ما سمعته بينه وبين (سناب)».

قال (رون) وهو يرفع نفسه على أحد مرفقيه ويرمق (هارى) متجهمًا: «لم أقل إن المسألة كلها محض أوهام منك، ولكن ليست هناك قاعدة تقول إن شخصًا واحدًا يمكن أن يخطط لشىء فى هذا المكان! إن (مالفوى) مستحوذ عليك قليلاً يا (هارى). أقصد، أن تفكر فى التغيب عن مباراة لمجرد أن تتبعه...».

قال (هارى) فى إحباط: «أريد أن أضبطه متلبسًا! أقصد، إلى أين يذهب حين يختفى من الخارطة؟».

قال (رون) وهو يتثاءب: «لا أعلم... ربما إلى (هوجسميد)؟».

«لم يحدث أن رأيته يجتاز أيًا من الممرات السرية على الخارطة. على أية حال كنت أعتقد أنها مراقبة الآن؟».

قال (رون): «حسنٌ، إذن، لا أدرى».

وساد الصمت بينهما. وحدق (هارى) لأعلى فى دائرة ضوء المصباح فوقه وراح يفكر...

لو كانت لديه قدرة (روفوس سكريمجور)، لتمكن من تتبع (مالفوى)، ولكن للأسف لم يكن لديه مكتب ملىء بالتعاويذ تحت تصرفه... ففكر فى محاولة وضع خطة مع وكيل النيابة، ولكن برزت أيضًا مشكلة أن من يتغيب عن الدروس يُعرف؛ فمعظمهم لا تزال لديهم جداول محددة على أية حال...

كان هناك غطيط منخفض يقرقر صادرًا عن سرير (رون). وبعد قليل خرجت مدام (بومفرى) من مكتبها، وفى هذه المرة مرتدية ثوبًا سميكًا. كان أسهل شىء أن يتظاهر بالنوم؛ تقلب (هارى) على جنبه وأنصت

للستائر وهى تسدل نفسها وهى تلوح لها بعصاها السحرية. وانطفأت المصابيح، ثم عادت هى إلى مكتبها؛ سمع الباب يصفق وراءها، وعرف أنها أوت إلى فراشها.

أخذ (هارى) يفكر فى الظلام؛ كانت هذه المرة الثالثة التى يتم إحضاره فيها إلى جناح المستشفى بسبب إصابة من لعب الـ(كويدتش). فى المرة السابقة كان قد سقط عن مكنسته بسبب وجود مشوَّشين حول المنحدر، والمرة التى قبلها أزيلت كل العظام من ذراعه على يد الأستاذ (لوكهارت) الأحمق الذى لا يشفى من حمقه... وكانت هذه أكثر إصاباته ألمًا... وتذكر تباريح إعادة نمو عظام ذراع بأكملها فى ليلة واحدة، ألم لم يخف بوصول زائر غير متوقع فى منتصف الـ...؟

اعتدل (هارى) فى جلسته وكان قلبه يدق بقوة وعمامة الضمادات معوجة. أخيرًا توصل للحل: كانت هناك طريقة لتتبع (مالفوى)... كيف نسى؟ لِمَ لم تخطر على باله من قبل؟

ولكن كان السؤال هو كيف يناديه؟ ماذا فعلتَ؟

أخذ (هارى) يتكلم فى هدوء وفى تردد فى الظلام.

«كريتشر؟».

انطلق صوت تشقق يصم الآذان وملأت صمت الغرفة أصوات هياج وصرير. استيقظ (رون) وهو يعوى.

«ماذا يحدث؟».

أشار (هارى) بعصاه السحرية بسرعة إلى باب مكتب مدام (بومفرى) وغمغم قائلاً: «*(موفلياتو)!*» حتى لا تأتى مسرعة. ثم اندفع إلى طرف فراشه لينظر بشكل أفضل إلى ما يحدث.

اثنان من أقزام الدار كانا يتدحرجان على الأرضية فى وسط جناح الغرف، يرتدى أحدهما سترة حمراء داكنة منكمشة وعدة قبعات صوفية، والآخر خرقة بالية قذرة منكمشة على ردفيه كالمئزر. ثم كان

هناك صوت انفجار مروع آخر، وظهر (بيفز) «شبح الضجيج» في الهواء فوق القزمين وهما يتصارعان.

قال لـ(هاري) وهو يشير إلى العراك من تحته وقبل أن يطلق ضحكة عالية: «كنت أرقب هذا يا (بوتي)! انظر إلى المخلوقين الضئيلين وهما يتشاجران، (بيتي بيتي؛ بونشي بونشي)...».

صاح (دوبي) بصوت عظيم عال: «(كريتشر) لن يهين (هاري بوتر) أمام (دوبي)، لا، لن يفعل، وإلا فإن (دوبي) سيغلق فم (كريتشر)!».

صاح (بيفز) في فرح وهو يقذف قطعًا من الطباشير على القزمين ليزيد من غضبهما: «اركل، انبش أظافرك، اقرص، اطعن!».

«(كريتشر) سيقول ما يريد عن سيده، آه، نعم، وياله من سيد، صديق قذر من دماء طينية، آه، ماذا تقول سيدة (كريتشر) المسكينة؟».

لم يعرفا ماذا كانت سيدة (كريتشر) ستقول، في هذه اللحظة أدخل (دوبي) قبضته الصغيرة في فم (كريتشر) وهشم نصف أسنانه. فقفز كل من (هاري) و(رون) من فراشهما وفصلا بين القزمين ولو أن كلاً منهما ظل يركل ويلكم الآخر نتيجة لحث (بيفز) الذي زحف حول المصباح وهو يصيح قائلاً: «أدخل أصابعك في أنفه، اسحب سدادته وشد أذنيه...».

صوب (هاري) عصاه السحرية على (بيفز) وقال: «*لانجلوك!*» فأمسك (بيفز) حلقه وأخذ يبلع ثم زحف خارجًا من الغرفة وهو يومئ بإشارات قبيحة ولكنه عاجز عن الكلام نظرًا لأن لسانه التصق بسقف فمه.

قال (رون) شاكرًا وهو يرفع (دوبي) في الهواء بحيث لم تعد أطرافه المسننة تحتك بـ(كريتشر): «كانت هذه تعويذة أخرى من تعاويذ الأمير، أليس كذلك؟».

قال (هاري) وهو يلوي ذراع (كريتشر) الذابل نصف التواءة: «نعم، هذا صحيح... أنا أمنعكما من الاقتتال! حسن يا (كريتشر)، محظور عليك أن تقاتل (دوبي). (دوبي)، أعرف أنه غير مسموح لي أن أعطيك أوامر».

قال (دوبى) والدموع تنساب من وجهه الصغير المرتعش إلى جوبيته: «(دوبى) جنى حر من جن الدار ويمكن أن يطيع أيًّا ممن يحب، و(دوبى) سيفعل أى شىء يريده (هارى بوتر) أن يفعل!».

قال (هارى): «ليكن إذن». وأطلق (هارى) و(رون) الجنيين فسقطا على الأرض ولكنهما لم يواصلا الاقتتال.

نق (كريتشر) كالضفادع قائلاً: «هل نادانى سيدى؟» ثم غاص فى انحناءة وهو يرمق (هارى) بنظرة تنبئ عن أمنية صريحة بموت أليم.

قال (هارى) وهو ينظر بجنب عينه إلى باب مكتب مدام (بومفرى) ليتأكد من أن تعويذة *(موفلياتو)* لا تزال تعمل؛ ولم يكن هناك دليل على أنها سمعت أيًّا من هذا الهياج: «نعم، ناديتك. لدىَّ مهمة لك».

قال (كريتشر) وهو يغوص حتى كادت شفتاه تلامس أصابع قدميه الشائهة: «(كريتشر) سيفعل كل ما يريده السيد، لأن (كريتشر) ليس مخيرًا، بل إن (كريتشر) ليخجل من أن يكون له سيد مثلك، نعم».

صر (دوبى) كالصرار بعينين فى حجم كرة التنس كانتا لا تزالان تسبحان فى الدموع: «(دوبى) يؤدى المهمة يا (هارى بوتر)! (دوبى) سيشرُف بمساعدة (هارى بوتر)!».

قال (هارى): «تعاليا لتفكرا فى الأمر، سيكون من الأفضل أن تكونا معًا، حسنٌ، إذن... أريدكما أن تتعقبا (دراكو مالفوى)».

واصل (هارى) كلامه متجاهلاً نظرة اختلطت فيها الدهشة والسخط على وجه (رون) وقال: «أريد أن أعرف أين يذهب، من يقابل وماذا يفعل. أريدكما أن تتبعاه فى كل لحظة».

قال (دوبى) على الفور وقد لمعت عيناه الكبيرتان بالإثارة: «أمرك يا (هارى بوتر)! وإذا أخطأ (دوبى) فى مهمته فإنه سيُلقى بنفسه من أعلى البرج يا (هارى بوتر)!».

قال (هارى) بسرعة: «لن تكون هناك حاجة لذلك».

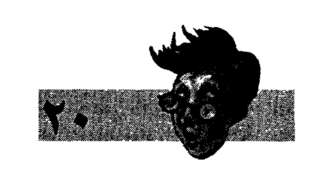
نق (كريتشر) قائلاً: «السيد يريد أن يتبع أصغر أفراد آل (مالفوى)؟ السيد يريدنى أن أتجسس على حفيد سيدتى السابقة ذى الدم النقى؟».

قال (هارى) وقد تنبأ بخطر عظيم وقرر أن يمنعه على الفور: «هذا هو، وممنوع عليك أن تلمح له أو أن تبين له ما تدبر له أو أن تتكلم معه أصلاً أو أن تكتب له رسائل أو... أو أن تتصل به بأية طريقة، أفهمت؟».

ظن أنه سيتمكن من رؤية (كريتشر) وهو يبذل كل جهده ليجد ثغرة فى التعليمات التى تلقى لتوه، فانتظر. وبعد لحظة أو لحظتين حدث ما أرضى (هارى) تمامًا، إذ انحنى (كريتشر) مرة أخرى وقال باستياء مرير: «السيد يفكر وعلى (كريتشر) أن يطيعه ولو أن (كريتشر) كان يود أن يكون خادمًا للصبى (مالفوى)، نعم،...».

قال (هارى): «اتفقنا إذن، سأحتاج إلى تقارير منتظمة، ولكن تأكدا من أن أحدًا ليس معى حين تأتيان. لا بأس من وجود (رون) أو (هرميون). ولا تنبئا أحدًا بما تفعلان. كل ما عليكما هو أن تلازما (مالفوى) كلصقتين على دمل».

■ ■ ■



طلب اللــورد (فولدمورت)

غادر كل من (هارى) و(رون) جناح المستشفى فى صباح يوم الإثنين بعد أن استردا عافيتهما كاملة نتيجة لإسعافات مدام (بومفرى) وأصبح بإمكانهما الآن أن يتمتعا بميزات الضرب والتسمم، وأولها عودة الصداقة بين (رون) و(هرميون)، بل إن (هرميون) رافقتهما إلى الإفطار وجلبت معها خبر شجار (جينى) مع (دين). فرفع المخلوق الناعس فى صدر (هارى) رأسه فجأة يستنشق الهواء فى أمل.

سألها محاولاً أن يبدو سؤاله عرضيًا وهم ينعطفون نحو دهليز بالطابق السابع كان مهجورًا إلا من طفلة صغيرة جدًا كانت تتفحص قماشًا يزدان بالصنانير على تنورة منتفخة. فبدا عليها الهلع مع اقتراب أطفال السنة السادسة فسقط منها الميزان النحاسى الثقيل الذى كانت تحمله. قالت (هرميون) بعطف وهى تهرع لتساعدها: «لا تخافى، خذى...» ونقرت على الميزان المكسور بعصاها السحرية وقالت: «*(ريبارو)*».

لم تتفوه الطفلة بكلمة شكر، بل ظلت مسمرة فى مكانها وهم يمرون، وراقبتهم حتى اختفوا عن ناظريها؛ وألقى (رون) نظرة خاطفة عليها.

قال: «أقسم إنهم يصغرون».

قال (هارى) وقد نفد صبره قليلاً: «دعك منها، ما سبب شجار (جينى) و(دين) يا (هرميون)؟».

قالت (هرميون): «آه، كان (دين) يضحك من ضرب (ماكلاجين) المضرب فيك».

قال (رون) فى تؤدة: «لابد أنى كنت أبدو مضحكًا».

قالت (هرميون) بحماس: لم يبدُ الأمر مضحكًا على الإطلاق! بل كان رهيبًا، ولولا أن أمسك كل من (كوت) و(بيكس) بـ(هارى) لأصيب إصابة سيئة جدًا!».

قال (هارى) وهو لا يزال يحاول أن يبدو سؤاله عرضيًا: «نعم، حسنٌ، لم يكن هناك داعٍ لأن ينفصل (جينى) و(دين) لهذا السبب، أم تراهما لا يزالان معًا؟».

سألت (هرميون) (هارى) وهى ترمقه بنظرة حادة: «نعم، لا يزالان معًا ـ ولكن لِمَ تهتم بهذا الشكل؟».

فقال بسرعة: «كل ما هنالك أنى لا أريد لفريقى للعبة الـ(كويدتش) أن يفسد الأمور مرة أخرى!» لكن (هرميون) واصلت نظرة الشك، وشعر براحة غامرة حين أتاه صوت من ورائهم ينادى: «(هارى)!» مما أعطاه العذر لأن يوليها ظهره.

«أهلاً يا (لونا)».

قالت (لونا) وهى تفتش فى حقيبتها: «ذهبتُ إلى جناح المستشفى لكى أجدك، ولكن قيل لى إنك خرجتَ...».

ودفعت إليه بما بدا وكأنه بصلة خضراء، ثمرة كبيرة منقوطة من فطر الغاريقون السام، وكمّ كبير مما بدا كمهاد قطة فى يدى (رون)، وأخيرًا جذبت لفافة متواضعة من الرق ناولتها لـ(هارى).

«... طُلب منى أن أعطيك هذه».

كانت لفافة صغيرة من الرق تعرف عليها (هارى) على الفور، دعوة أخرى لدرس مع (دمبلدور).

وما إن فضها حتى قال لـ(رون) و(هرميون): «الليلة». قال (رون) لـ(لونا) بعد أن استعادت البصلة الخضراء وثمرة الغاريقون ومهاد القطة: «كان تعليقكِ لطيفًا فى المباراة السابقة». فابتسمت (لونا) فى غموض. قالت: «أنت تسخر منى، أليس كذلك؟ الكل يقولون إنى كنتُ بغيضة».

قال (رون) فى جد: «لا، أنا جاد! لا أتذكر أنى استمتعتُ بتعليق أكثر من تعليقك!» ثم سألها وهو يرفع الشىء الذى يشبه البصلة إلى مستوى العين قائلاً: «ما هذه بالمناسبة؟».

فقالت وهى تعيد مهاد القطة وثمرة الغاريقون إلى حقيبتها: «آه، إنها جذر ثمرة (جوردى)، يمكنك أن تحتفظ بها إن شئت، عندى بعض منها. وهى ممتازة جدًا فى صد المخلوقات المزدردة».

ثم مشت تاركة (رون) فى نشوته وهو لا يزال يمسك بجذر ثمرة الـ(جوردى).

قال وهم فى طريقهم مرة أخرى نحو البهو العظيم: «أتدرى، هى تأسرنى، (لونا)، أعرف أنها مجنونة، ولكنها تمتاز بحسن».

ثم توقف عن الكلام فجأة. كانت (لافيندر براون) واقفة أسفل الدرج الرخامى وقد بدت ثائرة.

قال (رون) بعصبية: «أهلاً».

غمغم (هارى) لـ(هرميون) قائلاً: «هيا»، ثم تجاوزاهما مسرعين ولكن ليس قبل أن يسمعا (لافيندر) تقول: «لِمَ لم تبلغنى بأنك ستخرج اليوم؟ ولِمَ كانت هى معك؟».

بدا (رون) واجمًا وفى ضيق حين ظهر على الإفطار متأخرًا نصف ساعة، ومع أنه جلس مع (لافيندر) فإن (هارى) لم يرهما يتبادلان كلمة طوال المدة التى ظلا فيها معًا. وكانت (هرميون) تتصرف كأنها غير مدركة تمامًا لكل هذا، إلا أن (هارى) لمح على وجهها ابتسامة متكلفة لا تفسير لها مرة أو مرتين. كانت تبدو فى حالة مزاجية طيبة بشكل خاص طوال ذلك اليوم، بل إنها وافقت فى مساء ذلك اليوم بغرفة العموم على تفحص (بعبارة أخرى تنهى كتابة) مقال (هارى) فى علم الأعشاب، وهو شىء ظلت ترفض بإصرار أن تقوم به حتى ذلك الوقت، لأنها كانت تعرف أن (هارى) سيترك (رون) ينسخ عمله.

قال (هارى): «شكرًا يا (هرميون)» وربت على ظهرها ربتة سريعة وهو ينظر فى ساعته ورأى أنها حوالى الثامنة. «اسمعى، لابد أن أسرع وإلا لتأخرت على (دمبلدور)...».

لم تجبه، بل اكتفت بتمرير بعض من عباراته الضعيفة بصورة ملولة نوعًا ما. وأسرع (هارى) وهو متجهم فعبر ثقب اللوحة ومنه إلى مكتب الناظر. وقفز الكرغل جانبًا لدى ذكر (طوفى إكليرن) وأخذ (هارى) الدرج الحلزونى درجتين فى كل مرة ودق على الباب بينما كانت ساعة فى داخله تدق فيها الثامنة.

نادى (دمبلدور): «ادخل، ولكن بينما مد (هارى) يدًا ليدفع الباب التوى وانفتح من الداخل. وكانت الأستاذة (تريلاونى) واقفة.

صاحت وهى تشير بصورة مفاجئة إلى (هارى) وتنظر إليه خلال نظارتها قائلة: «أها! إذن فهذا هو السبب الذى أُطرد لأجله بكل فظاظة من مكتبك يا (دمبلدور)!».

قال (دمبلدور) بصوت يشوبه قليل من الغضب: «عزيزتى سيبيل، لاشك فى طردك بكل فظاظة من أى مكان، لكن (هارى) عنده موعد فعلاً وأنا لا أظن أن هناك المزيد ليقال...».

قالت الأستاذة (تريلاونى) بصوت من أصيبت بجرح غائر: «حسنٌ جدًّا، إن لم تطرد الفرس الغاصبة ليكن إذن... لعلى أجد مدرسة تقدر فيها مواهبى...».

واندفعت متجاوزة (هارى) واختفت فى الدرج الحلزونى؛ وسمعا تعثرها فى منتصف الدرج وحدس (هارى) أنها تعثرت فى أحد شيلانها التى تجرها وراءها.

قال (دمبلدور) بصوت ينم عن إرهاق: «أغلق الباب من فضلك واجلس يا (هارى)».

أطاع (هارى) ولاحظ وهو يتخذ مقعده المعتاد أمام مكتب (دمبلدور) أن المنخل يقع بينهما مرة أخرى، وكذلك قارورتان بلوريتان صغيرتان ممتلئتان بذاكرة تدور.

سأله (هـارى): «إذن فـالأستـاذة (تريلاونى) لاتزال غير سعيدة بـأن (فـايرنز) يقوم بـالتدريس؟».

قـال (دمبلدور): «لا، ثبت أن العرافة تجر من المتـاعب أكثر ممـا كنتُ أتنبأ، إذ لم أدرس الموضوع بنفسى. لا أستطيع أن أطلب من (فيرنز) أن يعود إلى الغـابة التى أصبح الآن منبوذًا منـهـا، ولا أستطيع أن أطلب من (سيبيل تريلاونى) أن ترحل. بينى وبينك، هـى ليست لديهـا أية فكرة عن الخطر الذى يتـهددهـا خـارج القلعة. هـى لا تدرى ـ وأعتقد أن من الحمق تنبيهها ـ أنهـا هـى صاحبة النبوءة عنك أنت و(فولدمورت)، أترى؟».

وأطلق (دمبلدور) تنهيدة عميقة ثم قـال: «ولكنِ لا تـهتم بمشكلات هيئة التدريس. لدينـا أمور أهم كثيرًا لنناقشهـا. أولاً... هل تدبرتَ المهمة التى أسندت إليك فى ختـام درسنـا السابق؟».

قـال (هـارى): «أخ» وتوقف فجأة. ففى خضم مـا حدث فى حصص الظهور والـ(كويدتش) وتسمم (رون) وجرح جمجمته هو وإصراره على كشف مـا يدبره (دراكو مـالفوى)، كـاد (هـارى) ينسى مسألة الذاكرة التى كـان (دمبلدور) قد طلب منه أن ينتزعها له من الأستـاذ (سلجهورن)... «حسنٌ، سـألتُ الأستـاذ (سلجهورن) عنهـا فى ختـام الوصفات يا سيدى، ولكنه لم يكن ليعطيهـا لى».

وسـاد قليل من الصمت.

وفى النهـاية قـال (دمبلدور) وهو يرمق (هـارى) من فوق نظارته الهلالية الشكل موحيًا له بـالشعور المعتـاد بـأنه تم مسحه بـأشعة إكس: «وأنت تشعر أنك بذلتَ قصارى جهدك فى هذا الشأن، أليس كذلك؟ وأنك مـارست كل مـا لديك من براعة هـائلة؟ وأنك لم تترك غور مكر لم تسبره فى سعيك لاستعـادة الذاكرة؟».

أُسقِطَ فـى يـد (هـارى) وتحير فـيمـا يـقـول بـعـد ذلك. فـجـأة بدت محاولته للاستيلاء على الذاكرة واهية بصورة محرجة. قـال: «حسنٌ، حسنٌ... فى اليوم الـذى ابـتـلـع فـيـه (رون) وصفـة الحب السحـريـة خطأً اصطحبتـه إلى الأستـاذ (سلجهورن). ظننت أنى لو جعلت الأستـاذ (سلجهورن) فى حـالة مزاجية طيبة..

سأله (دمبلدور): «وهل أفلحت؟».

«حسنٌ، لا، لأن (رون) تسمم».

«ما جعلك تنسى طبعًا أن تحاول استعادة الذاكرة؛ ما كنت لأتوقع غير ذلك بينما كان أقرب أصدقائك فى خطر. ما أن بات واضحًا أن السيد (ويسلى) كان سيشفَى تمامًا كنتُ أتعشم منك أن تعود إلى المهمة التى أسندت إليك. أظن أنى أوضحت لك مدى أهمية تلك الذاكرة. أنا فعلاً بذلت كل جهدى لأوحى لك أنها أخطر من أية ذاكرة وأننا بدونها سنبدد وقتنا».

شعور ساخن شائك بالخجل غمر (هارى) من مفرق رأسه نزولاً إلى أخمص قدميه. لم يكن (دمبلدور) قد رفع صوته، بل لم يبدُ عليه الغضب، إلا أن (هارى) كان يفضل منه أن يصرخ؛ فهذا الإحباط البارد كان أسوأ من أى شىء.

قال بشىء من اليأس: «سيدى، المسألة ليست أنى أكلف خاطرى أو أى شىء من هذا القبيل، مجرد أنى كانت لدىّ أشياء ـ أشياء أخرى...».

أنهى (دمبلدور) الجملة له قائلاً: «أشياء أخرى شغلت بالك! فهمتُ».

وساد الصمت بينهما من جديد، أثقل صمت مر به (هارى) مع (دمبلدور)؛ وبدا أنه استمر واستمر، لا يقطعه سوى الغطيط الناخر الخفيض الصادر من لوحة (أرماندو ديبت) فوق رأس (دمبلدور). أحس (هارى) بأنه انكمش بصورة غريبة، كأنه تقلص قليلاً منذ أن دخل الغرفة.

وعندما لم يعد يتحمله قال: «أنا فعلاً آسف يا أستاذ (دمبلدور). كان ينبغى أن أفعل المزيد... كان ينبغى أن أدرك أنك ما كنت لتطلب منى أن أقوم بالمهمة لو لم تكن فى غاية الأهمية».

قال (دمبلدور) فى هدوء: «شكرًا لك أن قلتَ ذلك يا (هارى). أتعشم منك إذن أن تولى المسألة أولوية قصوى من الآن فصاعدًا؟ لن يكون للقائنا بعد الليلة هدف ما لم نحصل على تلك الذاكرة».

قال (هارى) بجد: «سأفعل يا سيدى، سآتى بها منه».

قال (دمبلدور) برقة أكبر: «إذنَ لن نقول المزيد عنها الآن، ولكن استمر فى قصتنا حيث تركناها. أتتذكر أين كان هذا؟».

قال (هارى) بسرعة: «نعم يا سيدى». ثم غمغم بوجه ينم عن الخجل: «قتل (فولدمورت) أباه وجديه وجعل المسألة تبدو كأن عمه (مورفين) هو الذى فعلها. ثم عاد إلى (هوجوورتس) وسأل... سأل الأستاذ (سلجهورن) عن آل (هوركروكس)».

قال (دمبلدور): «حسن جدًا، والآن، ستتذكر كما أتعشم أنى أخبرتك فى البدايات الأولى للقاءاتنا هذه أننا سندخل عوالم الحدس والتكهن؟».

«نعم سيدى».

«أوضحت لك حتى الآن وأتعشم أن تتفق معى المصادر الموثوقة لاستنتاجاتى فيما يتعلق بما فعل (فولدمورت) حتى سن السابعة عشرة؟».

أومأ (هارى) برأسه.

قال (دمبلدور): «لكن الآن يا (هارى)، الآن أصبحت الأمور أكثر غموضًا وغرابة. لو كان من الصعب أن تعثر على دليل عن الصبى (ريدل) فمن المستحيل تقريبًا أن تجد أحدًا مستعدًا لأن يتذكر الرجل (فولدمورت). والحقيقة أنى أشك فى وجود أحد سواه يمكن أن يمدنا برواية كاملة عن حياته منذ أن غادر (هوجوورتس). ومع ذلك فلدىّ ذاكرتان أود أن أعرضهما عليك». وأشار (دمبلدور) إلى القارورتين البلوريتين الصغيرتين المتلألئتين بجوار المنخل: «وسأسعد برأيك فيما إذا كانت النتائج التى استقيتها منهما تبدو راجحة».

كانت فكرة تقدير (دمبلدور) الكبير لرأيه جعلت (هارى) يشعر بخزى أعمق من إخفاقه فى مهمة استعادة ذاكرة (هوركروكس)، واستدار بخزيه فى مقعده بينما رفع (دمبلدور) أولى القارورتين إلى الضوء وتفحصها.

قال: «أتعشم ألا تكون قد تعبتَ من الغوص فى ذاكرات الآخرين، فهما ذاكرتان غريبتان، الأولى هذه جاءت من قزمة بيت عجوز جدًا اسمها

(هوكى). وقبل أن نرى ما شهدته (هوكى) لابد أن أروى لك كيف رحل (فولدمورت) عن (هوجوورتس).

«بلغ سنته السابعة فى دراسته ـ كما قد تكون قد توقعتَ ـ بدرجات عالية فى كل امتحان خاضه. وكل من كانوا حوله من زملائه يحددون أى الوظائف سيمتهنون حين يخرجون من (هوجوورتس). كان الكل تقريبًا يتوقعون أشياء مذهلة من (توم ريدل) الفتى الكامل العبقرى الحائز على (الجائزة الخاصة للخدمات المسداة للمدرسة). وأعرف أن عددًا من المعلمين، ومنهم الأستاذ (سلجهورن)، اقترحوا إلحاقه بوزارة السحر وعرضوا تحديد مواعيد له وتقديمه لشخصيات تفيده. ورفض كل العروض. والشىء التالى الذى عرفته هيئة معلمى المدرسة أن (فولدمورت) كان يعمل فى (بورجين) و(بوركس)».

ردد (هارى) فى ذهول: «(بورجين) و(بوركس)؟».

كرر (دمبلدور) فى هدوء: «(بورجين) و(بوركس). أعتقد أنك سترى المغريات التى قدمها المكان له حين ندخل ذاكرة (هوكى). لكن هذه لم تكن أول اختيارات (فولدمورت) فى الوظائف. لم يكن هناك أحد يعرف عنه شيئًا فى ذلك الوقت ـ كنتُ واحدًا من قلائل ممن وثق الناظر آنذاك بهم ـ بل تقرب (فولدمورت) أولاً من الأستاذ (ديبت) وسأله عما إذا كان بإمكانه البقاء فى (هوجوورتس) كمعلم».

سأله (هارى) فى دهشة أكبر: «أراد أن يبقى هنا؟! لِمَ؟».

قال (دمبلدور): «أظن أنه كانت لديه أسباب عدة مع أنه لم يكن يبوح بأى منها للأستاذ (ديبت). أولاً وهذا مهم جدًّا أن (فولدمورت) كان على ما أعتقد أكثر ارتباطًا بالمدرسة منه بأى شخص. وكانت (هوجوورتس) هى المكان الذى كان أسعد ما يكون فيه؛ المكان الأول والوحيد الذى أحس فيه أنه فى بيته».

شعر (هارى) بعدم الارتياح قليلاً لهذه الكلمات، لأن هذا كان شعوره تمامًا تجاه (هوجوورتس) أيضًا.

«ثانيًا: إن القلعة معقل السحر القديم. ولاشك أن (فولدمورت) كان قد اخترق أسرارها أكثر من معظم الطلاب الذين يمرون بالمكان، ولكن لعله شعر بأنه لا يزال هناك المزيد من الألغاز عليه أن يحلها، خزائن من السحر عليه أن يفتحها».

«ثالثًا: إنه كمعلم كان سيصبح له سلطان ونفوذ على السحرة والساحرات الصغار. ربما كان قد اكتسب الفكرة من الأستاذ (سلجهورن)، المعلم الذى كان على وفاق تام معه والذى كان قد أثبت الدور المؤثر الذى يمكن للمعلم أن يلعبه. ولا أتخيل للحظة أن (فولدمورت) تصور قضاء بقية عمره فى (هوجوورتس)، ولكنى أعتقد أنه رأى فيها مركز تجنيد مفيد ومكانًا يمكن أن يبدأ فيه بناء جيش لنفسه».

«ولكنه لم يحصل على الوظيفة يا سيدى؟».

«لا، لم يفعل. فالأستاذ (ديبت) أخبره أنه أصغر من اللازم، فى سن الثامنة عشرة، ولكنه دعاه لإعادة التقديم فى غضون سنوات قلائل لو كان لا يزال يرغب فى التدريس».

سأله (هارى) فى تردد: «ما شعورك حيال ذلك يا سيدى؟».

قال (دمبلدور): «عدم ارتياح عميق. كنتُ قد نصحت (أرماندو) بخلف الموعد لم أقدم الأسباب التى قدمتها لك، فالأستاذ (ديبت) كان يحب (فولدمورت) ومقتنعًا بإخلاصه... ولكنى لم أكن أريد للورد (فولدمورت) أن يعود إلى هذه المدرسة، لاسيما فى منصب ذى نفوذ».

«وما الوظيفة التى كان يريدها سيدى؟ أى المواد كان يرغب أن يدرِّس؟».

بصورة ما كان (هارى) يعرف الإجابة حتى قبل أن ينطق بها (دمبلدور).

«صد السحر الأسود. كان يتولى تدريسها فى ذلك الوقت أستاذة عجوز اسمها (جاليشيا ميريثوت) كان لها فى (هوجوورتس) حوالى خمسين سنة.

«فذهب (فولدمورت) إلى (بورجين) و(بوركس)، وقال أعضاء هيئة التدريس ممن كانوا يعجبون به: يا لها من خسارة، ساحر شاب ذكى

كهذا يعمل فى حانوت. لكن (فولدمورت) لم يكن مجرد مساعد. فبأخلاقه ووسامته وذكائه سرعان ما تولى وظائف خاصة من نوعية لا وجود لها إلا فى مكان مثل (بورجين) و(بوركس) المتخصص كما تعلم يا (هارى) فى أشياء ذات خصائص قوية وغير عادية. تم إيفاد (فولدمورت) لإقناع الناس بأن يتنازلوا عن كنوزهم ليبيعها الشركاء، وكان بكل المقاييس موهوبًا بصورة غير عادية فى ذلك».

لم يتمالك (هارى) نفسه فقال: «لا شك عندى فى ذلك».

قال (دمبلدور) بابتسامة باهتة: «حسنٌ، تمامًا. وحان الوقت الآن لأن نسمع من (هوكى) قزمة البيت التى عملت لدى ساحرة عجوز جدًّا وغنية جدًّا اسمها (هبزيباه سميث)».

نقر (دمبلدور) على إحدى القارورتين بعصاه السحرية، فطارت السدادة وسكب الذاكرة الدوارة فى المنخل وهو يقول: «تفضل يا (هارى)».

نهض (هارى) وانحنى مرة أخرى فوق المحتوى الفضى المتموج بالحوض الحجرى ولامسه بوجهه. فهوى فى عدم مظلم وهبط فى غرفة جلوس أمام عجوز شديدة البدانة، تضع على رأسها شعرًا مستعارًا بنىّ اللون، وطاقم ثياب وردى لامع ينساب حولها فى كل اتجاه فجعلها تبدو مثل كعكة مثلجة ذاب عنها الثلج. كانت تنظر فى مرآة صغيرة مرصعة وتنسج بالأحمر على وجنتيها القرمزيتين أصلاً بمبدرة كبيرة بينما كانت أصغر وأكبر قزمة بيت سنًّا، رآها (هارى) تشد على قدميها الممتلئتين خفًّا أطلسيًّا ضيقًا.

قالت (هبزيباه) فى غطرسة: «عجلى يا (هوكى)! فقد قال إنه آتٍ فى الرابعة، لم يبق سوى دقيقتين وهو لم يتأخر من قبل قط!».

طوت مبدرتها بينما انتصبت قزمة البيت واقفة. كانت قمة رأس قزمة البيت لا تكاد تصل إلى لوح مقعد (هبزيباه) وكان جلدها الورقى يتهدل من هيكلها كما تتدلى الملاءة الكتانية المتجعدة التى كانت ترتديها كالتوجة الرومانية.

قالت (هبزيباه) وهى تدير رأسها إعجابًا بمختلف زوايا وجهها فى المرآة: «كيف أبدو».

قالت (هوكى) بصوت كالصرير: «فاتنة يا مدام».

لم يسع (هارى) سوى أن يفترض أن عقد (هوكى) كان ينص على ضرورة أن تكذب حتى أسنانها حين يوجه لها هذا السؤال، لأن (هبزيباه سميث) كانت تبدو بعيدة كل البعد عن الفتنة فى رأيه.

دق جرس باب منغم فقفزت السيدة وقزمتها معًا.

صاحت (هبزيباه) قائلة: «بسرعة، بسرعة، لقد وصل يا (هوكى)!» فانطلقت القزمة خارجة من الغرفة التى كانت تكتظ بأشياء يصعب تصور أن أحدًا يمكن أن يجد طريقه خلالها دون أن يتعثر فى اثنى عشر شيئًا منها على الأقل؛ كانت هناك خزائن ملأى بعلب صغيرة مصقولة وصناديق ملأى بكتب منقوشة بالذهب وأرفف تعلوها أفلاك سماوية وكرات أرضية وعديد من النباتات المزدهرة مغروسة فى أوعية نحاسية؛ كانت الغرفة فى الحقيقة تبدو كتقاطع بين حانوت عاديات سحرية وصوبة زجاجية.

عادت جنية البيت فى غضون دقائق ويتبعها شاب طويل، لم يجد (هارى) صعوبة فى إدراك أنه (فولدمورت). كان يرتدى بزة سوداء بسيطة؛ كان شعره أطول قليلاً مما هو عليه فى المدرسة ووجنتاه غائرتان، لكن هذا كله كان لائقًا عليه؛ كان يبدو أوسم من أى وقت آخر. شق طريقه عبر الغرفة المكتظة بصورة تنم عن أنه زارها مرات عديدة من قبل وانحنى لأسفل على يد (هبزيباه) الصغيرة الممتلئة ومسها بشفتيه.

قال فى هدوء وهو يوجد باقة ورد من اللامكان: «أتيتك بزهور».

أطلقت العجوز (هبزيباه) صرخة طويلة حادة وقالت: «أيها الولد الشقى، ما كان ينبغى لك!...» مع أن (هارى) لاحظ أنها كانت لديها زهرية فارغة تقف جاهزة على أقرب مائدة صغيرة. «أنت فعلاً تدلل هذه السيدة العجوز يا (توم)... اجلس، اجلس... أين (هوكى)... آه...».

عادت جنية البيت تهرول على عجل إلى الغرفة وهى تحمل صينية فوقها كعكات صغيرة وضعتها عند مرفق سيدتها.

قالت (هبزيباه): «تفضل يا (توم)، أنا أعرف كم تحب كعكى. والآن، كيف أنت؟ يبدو عليك الشحوب. لابد أنهم يجهدونك فى العمل فى ذلك الحانوت، هذا ما قلتُ مائة مرة...».

ابتسم (فولدمورت) آليًا وتكلفت (هبزيباه) الابتسام.

سألته وهى تطرف أهدابها: «حسنٌ، ما عذرك لزيارتى هذه المرة؟».

قال (فولدمورت): «السيد (بورك) يود أن يقدم عرضًا أفضل للدرع صنعة الجن، خمسمائة جالون، ويشعر بأن هذا أكثر من معقول».

لوت (هبزيباه) شفتيها وقالت: «الآن، الآن، ليس بهذه السرعة، وإلا لظننتُ أنك لم تأت إلا لأجل أشيائى التافهة!».

قال (فولدمورت) فى هدوء: «أُمرتُ بأن آتى إلى هنا بسببها، فما أنا إلا مساعد مسكين يا مدام، عليه أن ينفذ ما يؤمر به. السيد (بورك) يريدنى أن أستعلم».

قالت (هبزيباه) وهى تلوح بيد صغيرة: «آه، السيد (بورك)، آه منه! لدىّ شىء أريك إياه ولم أرِه للسيد (بورك)! هل لك أن تحفظ سرًا يا (توم)؟ أتعدنى ألا تخبر السيد (بورك) أنه عندىَ؟ لن يتركنى أستريح لو علم أنى أريتك إياه، وهو ليس للبيع، لا لـ(بورك) ولا لغيره! أما أنت يا (توم) فستقدره، فهو تاريخ وليس كم غليونًا يمكن أن تحصل عليه فى مقابله...».

قال (فولدمورت): «يسعدنى أن أرى أى شىء ترينى إياه الآنسة (هبزيباه)» فأطلقت (هبزيباه) قهقهة أخرى من قهقهات البنات.

«سأجعل (هوكى) تخرجه لى... يا (هوكى)، أين أنت؟ أريد أن أُرى السيد (ريدل) أنفس كنوزنا... فى الحقيقة، أحضرى الاثنتين بينما أنت هناك...».

صرخت جنية البيت قائلة: «تفضلى يا مدام» فرأى (هارى) علبتين جلديتين إحداهما فوق الأخرى تتحركان عبر الغرفة كما لو كانتا

تتحركان من تلقاء انفسهما مع أنه كان يعرف أن قزمة البيت الضئيلة الحجم كانت تمسك بهما فوق رأسها تتابع طريقها بين الموائد والبفات ومساند القدمين.

قالت (هبزيباه) في سعادة وهي تتناول العلبتين من قزمة البيت وتضعهما في حجرها وتستعد لفتح العليا منهما: «أظن أنك ستعجب بذلك يا (توم)... آه، لو علمت عائلتي أني أريك إياها... كم يتمنون أن يضعوا أيديهم عليها!».

وفتحت الغطاء. وتقدم (هاري) قليلاً ليلقي نظرة أفضل فرأى ما بدا وكأنه كأس ذهبية بمقبضين منمقين بإتقان.

همست (هبزيباه) قائلة: «ترى هل تعرف ما هي يا (توم)؟ أمسكها، ألق نظرة جيدة!» فمد (فولدمورت) يدًا أصابعها طويلة ورفع الكأس من أحد مقبضيها من غلافها الحريري الناعم. ظن (هاري) أنه رأى وميضًا أحمر في عينيه الداكنتين. وانعكس تعبير وجهه الشره على وجه (هبزيباه) بيد أن عينيها الصغيرتين كانتا تركزان على ملامح (فولدمورت) الوسيمة.

غمغم (فولدمورت) وهو يتمعن النقش على الكأس قائلاً: «حيوان الغرير، إذن وهذه كانت...؟».

قالت (هبزيباه): «هيلجا هافلباف كما تعلم جيدًا أيها الولد الذكي»، قالتها وهي تميل إلى الأمام مع صرير مدوٍّ صادر عن مشدات الصدر والردفين وهي تقرص وجنته الغائرة. ألم أقل لك إني أنحدر من سلالة عريقة؟ توارثت العائلة هذه لسنوات وسنوات. جميلة، أليس كذلك؟ وبكل أنواع القوى التي يفترض أن تستحوذ عليها أيضًا، ولكني لم أختبرها بدقة، بل أكتفي بأن أحفظها جميلة وآمنة هنا...».

والتقطت الكأس من سبابة (فولدمورت) الطويلة وأعادتها برقة إلى علبتها وهي أحرص ما تكون على وضعها بعناية في موضعها لكي تلاحظ الظل الذي عبر وجه (فولدمورت) بعد أن أُخذت منه الكأس.

قالت (هبزيباه) فى سعادة: «والآن إذن، أين (هوكى)؟ آه نعم، ها أنتِ ـ خذى هذه بعيدًا الآن يا (هوكى)».

أخذت القزمة العلبة بالكأس فى طاعة، ثم حولت (هبزيباه) انتباهها إلى العلبة الأجمل فى حجرها. وهمست قائلة: «أعتقد أنك ستعجب بهذه أكثر يا (توم). مل قليلاً أيها الفتى العزيز حتى ترى... (بورك) يعلم أن هذه عندى بالطبع، فقد اشتريتها منه، وأحسبه يود لو استعادها بعد موتى...».

أرجعت الأبزيم المنمق المتقن إلى الوراء وفتحت العلبة. وفوق المخمل القرمزى الناعم رقدت علبة ذهبية صغيرة ثقيلة.

مد (فولدمورت) يده دون دعوة هذه المرة ورفعها إلى الضوء وهو يحدق فيها.

وقال فى هدوء بينما أخذ الضوء يتلاعب على حرف S أفعوانى مزخرف: «وسام (سليذرين)».

قالت (هبزيباه) وقد سرها كما هو واضح مرأى (فولدمورت) وهو يحملق فى العلبة وهى مثبتة: «هذا صحيح، اضطررت أن أدفع فى مقابلها ذراعًا وساقًا، ولكن لم يكن بوسعى أن أتركها، فهى كنز حقيقى، كان لابد أن أمتلكها ضمن مجموعتى. اشتراها (بروك) على ما يبدو من امرأة رثة الثياب يبدو أنها سرقتها، ولكن لم تكن لديها أية فكرة عن قيمتها الحقيقية».

لم يكن هناك لبس هذه المرة؛ فعينا (فولدمورت) ومضتا بلون قرمزى لكلماتها ورأى (هارى) مفاصل أصابعه تبيضّ على سلسلة العلبة.

«أعتقد أن (بورك) دفع لها ثمنًا بخسًا، ولكن ها هى... جميلة، أليست كذلك؟ ومرة أخرى، بكل أنواع القوى التى تُنسب لها، ولو أنى أكتفى بالمحافظة عليها جميلة وآمنة...».

ومدت يدها لتستعيد العلبة. ظن (هارى) للحظة أنه لن يتركها، ولكنها كانت قد انزلقت من بين أصابعه وعادت لوسادتها المخملية الحمراء.

«وهأنت ذا يا عزيزى (توم)، وأتمنى أن تكون استمتعتَ بذلك!».

ونظرت إليه فى وجهه للمرة الأولى، رأى (هارى) ابتسامتها الحمقاء تخفت.

«هل أنت بخير يا عزيزى؟».

قال (فولدمورت) بسرعة: «آه نعم، نعم، أنا بخير تمامًا...».

قالت (هبزيباه) وقد بدا أنها فقدت شجاعتها، وظن (هارى) أنها هى أيضًا رأت الوميض القرمزى الخاطف فى عينى (فولدمورت). «ظننت ـ لكن خداع الضوء، أعتقد ـ إليكِ يا (هوكى)، خذى هاتين بعيدًا وأوصدى عليهما... الكلمات السحرية المعتادة...».

قال (دمبلدور) فى هدوء: «آن وقت الرحيل يا (هارى)»، وبينما كانت القزمة الصغيرة تترنح وهى تحمل العلبتين قبض (دمبلدور) على (هارى) مرة أخرى من فوق مرفقه وارتفعا معًا عبر النسيان عائدين إلى مكتب (دمبلدور).

قال (دمبلدور) وهو يتخذ مقعده ويشير إلى (هارى) أن يفعل بالمثل: «ماتت (هبزيباه سميث) بعد يومين من ذلك المشهد القصير. أقنعت الوزارة (هوكى) قزمة البيت بدس السم لسيدتها فى كوب الكاكاو المسائى مصادفةً».

قال (هارى) فى غضب: «لا!».

قال (دمبلدور): «أرى أن كلينا نفكر فى شىء واحد. لاشك أن هناك العديد من أوجه التشابه بين هذه الميتة وميتة آل (ريدل). ففى كلتا الحالتين ألقيت التهمة على شخص آخر، شخص لديه ذاكرة واضحة لتسببه فى الوفاة».

«هل اعترفت (هوكى)؟».

قال (دمبلدور): «تذكرت، دست شيئًا لسيدتها فى الكاكاو ثبت أنه ليس سكرًا، بل سمًا قاتلاً وغير معروف. واستُنتج أنها لم تقدم على ذلك عن عمد، بل لكونها عجوزا ومشوشة».

«(فولدمورت) عدَّل ذاكرتها كما فعل مع (مورفين)!».

قال (دمبلدور): «نعم، هذا هو استنتاجى أنا أيضًا. وكانت الوزارة ميالة للشك فى (هوكى)».

قال (هارى): «لأنها قزمة بيت» ونادرًا ما شعر (هارى) بتعاطف مع الجمعية التى أنشأتها (هرميون).

قال (دمبلدور): «تمامًا، فهى عجوز، واعترفت بالتلاعب فى المشروب ولم يكلف أحد بالوزارة نفسه عناء التحقيق فى الأمر. وكما فى حالة (مورفين) ففى الوقت الذى تعقبتها فيه ودبرت أمر استخلاص هذه الذاكرة كانت حياتها قد انتهت أو كادت ـ لكن ذاكرتها لا تثبت شيئًا بالطبع عدا أن (فولدمورت) كان يعلم بوجود الكأس والعلبة الذهبية.

«وفى الوقت الذى تم فيه اتهام (هوكى) كانت عائلة (هبزيباه) قد أدركت أن كنزين من أعظم كنوزها كانا مفقودين. واستغرق الأمر منهم بعض الوقت حتى تأكدوا من ذلك، فقد كان لديها عدد من الأماكن تخفى فيها أشياءها وكانت دائمًا تحرس مجموعتها بأقصى حد من الحرص. ولكن قبل أن يتأكدوا دون أدنى شك من أن الكأس والعلبة الذهبية اختفيا فإن المساعد الذى كان يعمل لدى (بورجين) و(بوركس)، ـ أى الشاب الذى كان يتردد على (هبزيباه) باستمرار وفتنها تمامًا ـ كان قد استقال من وظيفته واختفى. ولم يكن لدى رؤسائه أدنى فكرة عن مكانه؛ وفوجئوا كغيرهم باختفائه. وكان هذا آخر ما شوهد أو سُمع عن (توم ريدل) لمدة طويلة جدًّا».

وأضاف (دمبلدور): «والآن، إذا لم يكن لديك مانع يا (هارى)، أود أن أتوقف مرة أخرى لأوجه انتباهك إلى بعض نقاط قصتنا. كان (فولدمورت) قد ارتكب جريمة أخرى؛ ولا أدرى ما إذا كانت هذه الجريمة هى الأولى منذ أقدم على قتل آل (ريدل) أم لا، ولكنى أظن أنها كانت كذلك. ففى ذلك الوقت

حما رايت لم يحن يفعل بدافع الانتقام، بل بدافع الكسب. كان يريد الكنزين العجيبين اللذين عرضتهما تلك العجوز المسكينة المخبولة عليه. فكما كان يسرق الأطفال الآخرين فى دار الأيتام التى نشأ فيها، وكما سرق خاتم عمه (مورفين)، اختفى الآن بكأس (هبزيباه) وعلبتها الذهبية».

قال (هارى) وهو متجهم: «ولكن، هذا جنون... يجازف بكل شيء ويتخلى عن وظيفته لمجرد هذين...».

قال (دمبلدور): «جنون بالنسبة لك ربما، ولكن ليس بالنسبة لـ(فولدمورت). أتمنى أن تدرك فى الوقت المناسب ما كانت هذه الأشياء تعنيه بالنسبة له، ولكن لابد أن تعترف بأنه ليس من الصعب تصور أنه نظر إلى العلبة الذهبية على الأقل باعتبارها من حقه».

قال (هارى): «العلبة الذهبية ربما، ولكن لِمَ يأخذ الكأس أيضًا؟».

قال (دمبلدور): «كانت تخص شخصًا آخر من مؤسسى (هوجوورتس)، وأعتقد أنه كان لا يزال يشعر بانجذاب شديد تجاه المدرسة وأنه لم يتمكن من مقاومة شيء ثمين كهذا فى تاريخ (هوجوورتس). وكانت هناك أسباب أخرى، أظن... أتعشم أن أتمكن من إيضاحها لك فى الوقت المناسب.

«والآن بالنسبة لآخر ذاكرة لدىّ أعرضها عليك على الأقل إلى أن تتدبر استعادة ذاكرة الأستاذ (سلجهورن) لنا. عشر سنوات تفصل بين ذاكرة (هوكى) وهذه الذاكرة، عشر سنوات لا يسعنا فيها إلا أن نحدس ما كان لورد (فولدمورت) يفعله...».

نهض (هارى) على قدميه مرة أخرى حين أفرغ (دمبلدور) الذاكرة الأخيرة فى المنخل.

وسأله: «ذاكرة من هذه؟».

قال (دمبلدور): «ذاكرتى».

وغاص (هارى) بعد (دمبلدور) عبر الكتلة الفضية المتحولة وهبط فى المكتب نفسه الذى غادره لتوه. كان (فاوكس) موجودًا يغفو سعيدًا على

مربضه، ووراء المكتب كان (دمبلدور) يبدو شبيهًا بـ(دمبلدور) الواقف بجوار (هارى) ولو أن كلتا يديه كانتا سليمتين لم يلحق بهما أذى، ووجهه ربما كان أقل تحديدًا قليلاً. الفارق الوحيد بين المكتب اليوم وهذا المكتب أن الثلج كان ينهمر فى الماضى؛ الرقائق الضارية إلى الزرقة كانت تنهمر وراء النافذة فى الظلام وتتراكم على الإفريز الخارجى.

كان يبدو أن (دمبلدور) الشاب فى انتظار شىء، وهو ما حدث، فبعد لحظات من وصولهما دق الباب فقال: «ادخل».

شهق (هارى) شهقة مخنوقة سريعة. إذ دخل (فولدمورت) الغرفة. لم تكن ملامحه هى نفسها التى رآها (هارى) وهى تخرج من المرجل الحجرى الكبير قبل سنتين تقريبًا؛ لم تكن ثعبانية هكذا، والعينان لم تتحولا إلى اللون القرمزى بعد، والوجه لم يكن كالقناع بعد، ولكنه لم يعد (توم ريدل) الوسيم. كأن ملامحه احترقت وتشوشت؛ كانت شمعية وشائهة بصورة غريبة، وبياض العينين كان به نظرة دموية ثابتة الآن، ولو أن البؤبؤين لم يصبحا هذين الشقين الطويلين اللذين عرف (هارى) أنهما سيكونان. كان يرتدى عباءة سوداء طويلة ووجهه كان فى شحوب الثلج الذى يتلألأ على منكبيه.

لم يبدِ (دمبلدور) الجالس وراء المكتب ما ينم عن الدهشة. من الواضح أن هذه الزيارة تمت بناء على موعد.

قال (دمبلدور) بارتياح: «مساء الخير يا (توم). هلاً جلستَ؟».

قال (فولدمورت): «شكرًا» ثم اتخذ مقعدًا أشار إليه (دمبلدور) ـ المقعد نفسه الذى كان (هارى) قد نهض من عليه فى الحاضر. قال: «سمعتُ أنك أصبحت الناظر» وكان صوته أعلى وأبرد قليلاً مما كان عليه: «اختيار موفق».

قال (دمبلدور) وهو يبتسم: «يسعدنى إطراؤك. هل لى أن أقدم لك شرابًا؟».

قال (فولدمورت): «سيكون هذا موضع ترحيب. فقد جئت من مكان بعيد».

نهض (دمبلدور) وهرول نحو الخزانة التى يحتفظ فيها حاليًا بالمنخل، ولكنها كانت آنذاك مليئة بالقوارير. وبعد أن ناول (فولدمورت) كأسًا من النبيذ وصب لنفسه كأسًا عاد إلى مقعده وراء المكتب.

«والآن يا (توم)... إلامَ أعزو شرف الزيارة؟».

لم يرد (فولدمورت) على الفور، بل اكتفى بأن احتسى رشفة من كأسه.

قال: «أنا لم أعد أُنادَى بـ(توم)، بل أُعرف هذه الأيام باسم...».

قال (دمبلدور) مبتسمًا فى مرح: «أعرف ما تُعرف به. ولكن بالنسبة لى فللأسف ستظل دائمًا (توم ريدل). هذه من الأشياء المزعجة فى المعلمين القدامى. للأسف لا ينسون البدايات الشابة لمهامهم تمامًا».

ورفع نظارته كما لو كان يشرب فى نخب (فولدمورت) الذى ظل وجهه خاليًا من التعبيرات. إلا أن (هارى) أحس بأن الجو فى الغرفة يتغير بحدة: فرفض (دمبلدور) أن يستعمل اسم (فولدمورت) المختار كان رفضًا للسماح لـ(فولدمورت) بإملاء شروط اللقاء، وأدرك (هارى) أن (فولدمورت) أخذها بهذا المعنى.

قال (فولدمورت) بعد صمت قصير: «أنا مندهش لبقائك هنا طوال هذه المدة. كنت دائمًا أتساءل لِمَ لم يتمن ساحر مثلك أن يغادر المدرسة».

قال (دمبلدور) وهو لا يزال يبتسم: «حسنٌ، لا شىء أهم من نقل المهارات العتيقة والمساعدة على شحذ العقول الصغيرة. لو صحت ذاكرتى فأنت عرفتَ مرة جاذبية التدريس أيضًا».

قال (فولدمورت): «مازلت أعرفها. كل ما هنالك أنى تعجبت، فأنت كثيرًا ما لجأت الوزارة إليك طلبًا للنصيحة وعُرض عليك منصب الوزير مرتين على ما أظن».

قال (دمبلدور): «ثلاث مرات فى الإحصاء الأخير فى الحقيقة. لكن الوزارة لم تجذبنى كمهنة. ومرة أخرى، هذا شىء مشترك بيننا على ما أظن».

مال (فولدمورت) برأسه غير مبتسم وتناول رشفة أخرى من النبيذ. ولم يكسر (دمبلدور) الصمت الذى طال بينهما الآن، بل انتظر وعلى وجهه نظرة ترقب سار أن يبدأ (فولدمورت) الكلام.

بعد قليل قال: «عدتُ متأخرًا ربما عما توقع الأستاذ (ديبت)... لكنى عدت مع ذلك لأطلب مرة أخرى ما قال لى مرة إنى أصغر من أن أناله. جئت لأطلب منك أن تسمح لى بالعودة إلى هذه القلعة، لكى أدرِّس. أعتقد أنك لابد أن تعلم أنى رأيت وفعلت الكثير منذ أن غادرت هذا المكان. بوسعى أن أُرى طلابك وأن أخبرهم بأشياء لا يمكن لهم أن يكتسبوها من ساحر آخر».

تأمل (دمبلدور) (فولدمورت) من فوق حافة كأسه لبرهة قبل أن يتكلم.

قال فى هدوء: «نعم، أعلم بكل تأكيد أنك رأيت وفعلت الكثير منذ أن رحلت عنا. شائعات عن أفعالك بلغت مدرستك القديمة يا (توم). يؤسفنى أن أصدق نصفها».

ظل تعبير وجه (فولدمورت) جامدًا وهو يقول: «العظمة تثير الحسد، والحسد يولد الحقد، والحقد يفرِّخ الأكاذيب. لابد أنك تعرف ذلك يا (دمبلدور)».

سأله (دمبلدور) فى رقة: «أنت تسمى ما كنت تفعله «عظمة»، أليس كذلك؟».

قال (فولدمورت): «بلى» وبدت عيناه كأنهما تحترقان من الاحمرار. «جربت ومددت حدود السحر ربما إلى ما هو أبعد مما مُدت إليه من قبل».

صحح له (دمبلدور) فى هدوء: «بعض أنواع السحر، بعض. أما البقية فمازلتَ... سامحنى... جاهلاً بصورة مفجعة».

وللمرة الأولى ابتسم (فولدمورت). كانت نظرة خبيثة متوترة، شيئًا شريرًا، أكثر تهديدًا من نظرة غيظ.

وقال برقة: «الجدل القديم نفسه، لكن لا شىء رأيته فى الدنيا أيد آراءك الشهيرة بأن الحب أقوى من نوعية السحر الذى عندى يا (دمبلدور)».

قال (دمبلدور): «ربما نبحث فى الأماكن الخطأ».

قـال (فـولـدمـورت): «حسـن إذن، أى مـكـان افضل مـن هـنـا، فـى (هوجوورتس)، لكى أبدأ أبحاثى الجديدة؟ هلا سمحت لى أن أعود؟ هلا أذنت لى أن أشرك طلابك فى علمى؟ أنا أضع نفسى ومواهبى تحت تصرفك. أنا تحت أمرك».

رفع (دمبلدور) حاجبيه.

«وماذا سيحدث لمن تأمرهم أنت؟ ماذا سيحدث لمن يسمون أنفسهم ـ أو هكذا شاع ـ (آكلى الموت)؟».

أدرك (هارى) أن (فولدمورت) لم يكن يتوقع أن يكون (دمبلدور) على علم بهذا الاسم؛ إذ رأى عينى (فولدمورت) تومضان بالاحمرار مرة أخرى وفتحتى أنفه تتسعان.

قال بعد صمت لحظة: «أصدقائى سيواصلون بدونى، أنا على يقين».

قال (دمبلدور): «يسرنى أن أسمع أنك تعتبرهم أصدقاء. كان تصورى أنهم أقرب إلى منزلة الخدم».

قال (فولدمورت): «أنت على خطأ».

«إذن فلو ذهبتُ إلى حان «رأس الخنزير» الليلة لن أجد جماعة منهم ـ (نوت) و(روزيار) و(ملسيبر) و(دولوهوف) ـ فى انتظار عودتك؟ أصدقاء مخلصون فعلاً حتى يسافروا هذه المسافة معك فى ليلة ثلجية لمجرد أن يتمنوا لك التوفيق، وأنت تحاول أن تضمن وظيفة التدريس».

لم يكن ثم شك فى أن إلمام (دمبلدور) المفصل بهوية من سافروا بصحبته كان موضع ترحيب أقل من جانب (فولدمورت)؛ إلا أنه استجمع قواه على الفور تقريبًا.

«أنت ذو علم بلا حدود كعهدى بك يا (دمبلدور)».

قال (دمبلدور) فى خفة: «آه، لا، مجرد ردود مع سقاة الحان المحليين. والآن يا (توم)...».

وخفض (دمبلدور) نظارته الخاوية ورفع نفسه فى مقعده، وأطراف أصابعه معًا فى إيماءة متميزة جدًا.

«... دعنا نتكلم بصراحة. لَم جئتَ إلى هنا الليلة محاطًا بأتباعك لتطلب وظيفة كلانا يعرف أنك لا تريدها؟».

نظر (فولدمورت) مندهشًا ببرود.

«وظيفة لا أريدها؟ بالعكس يا (دمبلدور)، أنا أريدها جدًّا».

«آه، تريد أن تعود إلى (هوجوورتس) ولكنك لا تريد أن تدرِّس أكثر مما كنتَ تريد حين كنت فى الثامنة عشرة، ما الذى تسعى إليه يا (توم)؟ لَم لا تجرب أن تلتمس ما تطلبه صراحةً لمرة؟».

نخر (فولدمورت) وقال: «إن كنتَ لا تريد أن تعطينى وظيفة...».

قال (دمبلدور): «بالطبع لا أريد، ولا أظن للحظة أنك تتوقع منى أن أريد. ومع ذلك فقد جئتَ إلى هنا وطلبتَ، لابد أن كان لك غرض».

نهض (فولدمورت) وبدا مختلفًا عن (توم ريدل) المعهود، إذ كسا الغيظ ملامحه.

«هذه كلمتك الأخيرة؟».

قال (دمبلدور) وهو ينهض أيضًا: «نعم».

«إذن ليس هناك ما يقوله كل منا للآخر».

قال (دمبلدور) وقد كسا وجهه حزن عظيم: «لا، لا شىء. فات الأوان حين كنت أستطيع أن أخيفك بخزانة ملابس تحترق، وأن أرغمك أن تكفر عن جرائمك. ولكن ليتنى يا (توم)... ليتنى كنت أستطيع...».

للحظة، كان (هارى) على وشك أن يطلق صرخة تحذير بلا هدف: كان موقنًا أن يد (فولدمورت) امتدت نحو جيبه وعصاه السحرية؛ ولكن كانت اللحظة قد فاتت، إذ استدار (فولدمورت)، وكان الباب ينغلق وكان هو قد مضى.

أحس (هارى) بيد (دمبلدور) تطبق على ذراعه مرة أخرى، وبعد لحظات كانا يقفان معًا فى الموضع نفسه تقريبًا، ولكن لم يكن هناك ثلج يتراكم على إفريز النافذة، واسودت يد (دمبلدور) وبدت ميتة مرة أخرى.

قال (هارى) على الفور وهو ينظر لاعلى فى وجه (دمبلدور): «لماذا؟ لماذا عدتَ؟ هل عرفتَ؟».

قال (دمبلدور): «عندى أفكار، ولكن لا مزيد».

«أية أفكار سيدى؟».

قال (دمبلدور): «سأقول لك يا (هارى) حين تأتينى بتلك الذاكرة من الأستاذ (سلجهورن). عندما يكون بحوزتك ذلك الجزء الأخير من اللغز، كل شيء سيتضح كما أتعشم... لكلينا».

كان (هارى) لا يزال يحترق من شدة الفضول، ومع أن (دمبلدور) كان قد سار نحو الباب وفتحه له فإنه لم يتحرك على الفور.

«هل كان يسعى لوظيفة «صد السحر الأسود» مرة أخرى يا سيدى؟ لم يقل...».

قال (دمبلدور): «آه، بالتأكيد كان يريد وظيفة «صد السحر الأسود». أحداث ما بعد لقائنا الصغير أثبتت ذلك. انظر، نحن لم نتمكن قط من الاحتفاظ بأى معلم «لصد السحر الأسود» لأكثر من سنة منذ رفضتُ أن أعطى الوظيفة للورد (فولدمورت).

■ ■ ■



٢١ الغرفة المجهولة

أجهد (هارى) عقله طوال الأسبوع التالى فى التفكير فى كيفية إقناع (سلجهورن) بتسليمه الذاكرة الحقيقية، ولكن لا شىء له طبيعة فكرة بارعة خطر له فتدنًى إلى ما كان يعمله كثيرًا هذه الأيام حين يحتار: الانكباب على كتاب الوصفات السحرية؛ أملاً فى أن يكون الأمير قد نقش شيئًا مفيدًا فى حواشيه كما فعل مرات عدة من قبل.

قالت (هرميون) بثبات فى وقت متأخر من مساء الأحد: «لن تجد شيئًا فيه».

قال (هارى): «لا تبدئى فى ذلك يا (هرميون). لولا الأمير ما كان (رون) جالسًا هنا الآن».

قالت (هرميون) فى إباء: «كان هذا سيحدث لو كنتَ قد أصغيتَ لـ(سناب) فى عامنا الأول». تجاهلها (هارى). كان قد عثر لتوه على تعويذة *(سيكتوم سيمبرا!)* منقوشة بحاشية فوق الكلمتين الخادعتين «لأجل الأعداء»، وكان متلهفًا على تجربتها، ولكنه فكر أن الأفضل ألا يقدم على ذلك أمام (هرميون)، واكتفى بأن طوى ركن الصفحة خلسةً.

كانا جالسين بجانب المدفأة بغرفة العموم؛ وكان الوحيدون المستيقظون غيرهم زملاءهم بالسنة السادسة. كان هناك قدر من الإثارة قبل ذلك حين عادوا من العشاء ليجدوا لافتة جديدة بلوحة الإعلانات تعلن تاريخ امتحان الظهور. ومن يبلغون السابعة عشرة فى أول تاريخ للامتحان أو قبله، أى فى الحادى والعشرين من إبريل، كانت لديهم فرصة التسجيل لجلسات تمرين إضافية تقام (تحت إشراف صارم) في (هوجسميد).

اصيب (رون) بالهلع حين قرا هذا الإعلان؛ لم يكن قد افلح بعد فى الظهور وخشى ألا يكون جاهزًا للامتحان. وكانت (هرميون) التى كانت الآن قد نفذت الظهور مرتين تشعر بثقة أكبر قليلاً؛ أما (هارى) الذى لم يكن سيبلغ السابعة عشرة إلا بعد أربعة أشهر أخر، فلم يكن ليدخل الامتحان سواء أكان جاهزًا له أم لم يكن.

قال (رون) فى توتر: «لكنك على الأقل تستطيع أن تظهر! لن تكون لديك مشكلة فى يولية القادم!».

فذكره (هارى) قائلاً: «لم أتمكن من ذلك إلا مرة واحدة»؛ وكان أخيرًا قد نجح فى الاختفاء والظهور من جديد داخل طوقه فى أثناء جلستهم السابقة.

وبعد أن ضيع الكثير من الوقت فى التعبير عن قلقه من الظهور كان (رون) يكافح الآن لينهى مقالاً شديد الصعوبة لـ(سناب) كان كل من (هارى) و(هرميون) قد انتهيا منه فعلاً. توقع (هارى) أن يحصل على درجات متدنية عن مقاله؛ لأنه كان قد اختلف مع (سناب) حول الطريقة المثلى للتعامل مع أرباب الجنون، ولكنه لم يكترث؛ فقد كانت ذاكرة (سلجهورن) أهم شىء بالنسبة له الآن.

قالت (هرميون) بصوت أعلى: «قلت لك: إن الأمير الغبى لن يفلح فى مساعدتك فى ذلك يا (هارى)! ليس هناك سوى طريقة واحدة لترغم أحدًا على فعل ما تريد، وهى (لعنة الإمبراطور)، وهى غير مشروعة».

قال (هارى) دون أن يرفع عينيه عن الكتاب: «نعم، لهذا فأنا أبحث عن شىء آخر. يقول «دمبلدور»: إن (فيريتاسيروم) لن يفعلها، ولكن قد يكون هناك شىء آخر، وصفة سحرية أو تعويذة...».

قالت (هرميون): «أنت تسير فى الطريق الخطأ، يقول (دمبلدور): إنك الوحيد الذى يمكن أن يحصل على الذاكرة. لابد أن هذا معناه أنك تستطيع أن تقنع (سلجهورن) بما لا يستطيعه غيرك. المسألة ليست أن تدس له وصفة، أى أحد يمكن أن يفعل ذلك».

قال (رون) وهو يهز ريشة كتابته بقوة بينما يحدق إلى رقعة الرق أمامه: «كيف تتهجين كلمة (بليجيرينت)؟ لا يمكن أن تكون ب... ى... م».

قالت (هرميون) وهى تجذب مقال (رون) نحوها: «لا، ليست هكذا، وكلمة «أوجورى» أيضًا لا تبدأ بـ «أو... آر... جى». أى نوع من ريش الكتابة تستعمل؟».

«إنها واحدة من ريش (فريد) و(جورج) التى تراجع التهجى... ولكنى أعتقد أن التعويذة السحرية بدأت تزول عنها ... ».

قالت (هرميون) وهى تشير إلى عنوان مقاله: «نعم، هذا مؤكد، لأننا سئلنا كيف نتعامل مع (الدمنتور) لا الـ(دجبوجز) كما أنى لا أظن أنك غيرتَ اسمك إلى (رونيل وازليب)».

قال (رون) وهو يحدق إلى رقعة الرق فى ذعر: «آه، لا ، لا تقولى إنى سأضطر لكتابة كل شىء من جديد!».

قالت (هرميون) وهى تسحب المقال ناحيتها وتخرج عصاها السحرية: «لا بأس، يمكننا أن نصلحه».

قال (رون) وهو يغوص فى مقعده ويَحُكُّ عينيه فى ملل: «كم أحبك يا (هرميون)».

احمر وجه (هرميون) فى شحوب ولكنها لم تقل سوى: «لا تدع (لافيندر) تسمعك تقول ذلك».

قال (رون) فى كفيه: «لن أفعل، أو لعلى أفعل ... وحينها ستخفينى...».

سأله (هارى): «لِمَ لا تخفيها إن شئت أن تنهى الأمر؟».

قال (رون): «لم يحدث لك أن طردتَ أحدًا، أليس كذلك؟ فأنت و(تشو) مجرد...».

قال (هارى): «افترقنا، نعم».

قال (رون) فى كآبة وهو يرقب (هرميون) وهى تنقر بطرف عصاها السحرية فى صمت على كل كلمة أخطأ فى هجائها بحيث تصحح

نفسها في الصفحة: «ولكنى كلما لمحتُ بأنى أود أن أنهى المسألة تزداد هى تمسكًا. المسألة تشبه الخروج مع (الحبار الأعظم)».

قالت (هرميون) بعد حوالى عشرين دقيقة وهى تعيد المقال لـ(رون): «ها هو».

قال (رون): «أشكرك مليون مرة. هل لى أن أستعير ريشتك لكتابة الخاتمة؟».

حين لم يجد (هارى) شيئًا مفيدًا فى ملاحظات الأمير الهجين حتى الآن نظر حوله؛ كان ثلاثتهم الآن الوحيدين الباقين بغرفة العموم بعد أن غادرها (سيموس) لتوه ليأوى إلى فراشه وهو يلعن (سناب) ومقاله. كانت الأصوات الوحيدة طقطقة النار و(رون) وهو يكتب فقرة واحدة أخيرة عن «الدمنتور» مستخدمًا ريشة (هرميون) . وكان (هارى) قد أغلق لتوه كتاب الأمير الهجين وأخذ يتثاءب وفجأة...».

«كراك».

أطلقت (هرميون) صرخة صغيرة؛ سكب (رون) الحبر على مقاله وقال (هارى): «(كريتشر)!» انحنى «جنى البيت» لأسفل وخاطب أصابع قدمه الشائهة قائلاً:

«قال سيدى إنه يريد تقارير منتظمة عما يعمله الصبى (مالفوى) ولذا جاء (كريتشر) ليقدم».

«كراك».

ظهر (دوبى) بجانب (كريتشر) بقبعة معوجة عبارة عن غطاء إبريق شاى.

رمى (كريتشر) بنظرة امتعاض وصرّ قائلاً: «كان دوبى يساعد أيضًا يا (هارى بوتر)! ويجب على (كريتشر) أن يبلغ (دوبى) حين يكون آتيًا لمقابلة (هارى بوتر) حتى يقدما تقريرهما معًا!».

سألت (هرميون) وهى لا تزال تبدو فى صدمة لهذين الظهورين المفاجئين: «ما هذا؟ ماذا يحدث يا (هارى)؟».

تردد (هارى) قبل أن يجيب (هرميون)؛ لأنه لم يكن قد ابلغها بتعيين كل من (كريتشر) و(دوبى) لتتبع (مالفوى)؛ وجن البيوت كانوا دائمًا موضوعًا حساسًا بالنسبة لها.

قال: «حسنٌ ... كلاهما يتتبعان (مالفوى) لأجلى».

صرَّ (كريشتر) قائلاً: «ليل نهار».

قال (دوبى) فى فخار وهو يتمايل فى مكان وقوفه: «(دوبى) لم ينم لمدة أسبوع يا (هارى بوتر)!».

نظرت (هرميون) فى سخط:

«أنت لم تنم يا (دوبى) ؟ ولكن المؤكد يا (هارى) أنك لم تطلب منه ألا ينام».

قال (هارى) بسرعة: «لا ، بالطبع، لم أفعل، يمكنك أن تنام يا (دوبى)، أتسمعنى؟ ولكن هل عثر أى منكما على أى شىء؟» تردد فى السؤال قبل أن تتدخل (هرميون) مرة أخرى.

نق (كريتشر) على الفور قائلاً: «السيد (مالفوى) يتنقل مع نبيل يليق بدمه الخالص. ملامحه تشبه عظام سيدتى الراقية وطباعه كطباع...».

صرَّ (دوبى) فى غضب قائلاً: «(دراكو مالفوى) فتى سيئ! فتى سيئ يـ... يـ...».

وارتعش من شرابة غطاء الإبريق الذى يعتمره إلى أصابع جوربه، ثم أسرع نحو المدفأة وكأنه سيغوص فيها؛ فأمسك به (هارى) حول خصره وتشبث، ولم يكن ذلك مفاجئًا تمامًا بالنسبة له.

أخذ (دوبى) يتململ لبضع ثوانٍ ثم مشى يترنح.

قال وهو يلهث: «شكرًا يا (هارى بوتر) . (دوبى) لا يزال يجد صعوبة فى ذكر سادته القدامى بسوء...».

أطلقه (هارى)؛ فعدل (دوبى) غطاء الإبريق على رأسه وقال لـ(كريتشر) فى تحدٍّ: «لكن (كريتشر) ينبغى أن يعرف أن (دراكو مالفوى) لا يصلح سيدًا لجنِّى بيت!».

قال (هارى) لـ(كريتشر): «نعم، لسنا فى حاجة لأن نسمع عن غرامك بـ(مالفوى) . دعنا نتجه بسرعة إلى حيث يذهب فعلاً».

انحنى (كريتشر) مرة أخرى وقد بدا عليه الغيظ ثم قال: «سيدى (مالفوى) يأكل فى «البهو العظيم» ، وينام فى المهجع بالأبراج الحصينة، ويحضر حصصه فى عديد من...»

قال (هارى) مقاطعًا (كريتشر): «قل لى أنت يا (دوبى)، هل ذهب إلى أى مكان لا ينبغى له أن يذهب إليه؟».

صرّ (دوبى) بعينيه الكبيرتين الشبيهتين بالكرة تومضان فى ضوء النار قائلاً: «سيدى (هارى بوتر) ، الفتى (مالفوى) لا يخالف أية قواعد يمكن لـ(دوبى) أن يكتشفها، لكنه لا يزال يحرص على تجنب أن يكشفه أحد. فهو يتردد بانتظام على الطابق السابع مع عدد من الطلاب الآخرين يراقبون له المكان حين يدخل».

قال (هارى) وهو يضرب على جبينه بقوة بكتاب (تحضير الوصفات السحرية: المستوى المتقدم): «غرفة الطلب» ! حدق إليه كل من (رون) و(هرميون) . «هذا هو المكان الذى يظل يتسلل إليه! هذا هو المكان الذى يعمل فيه... أيًا ما كان ما يعمله! وأنا واثق أن هذا سبب اختفائه من على الخارطة... كان لابد أن أفكر فيها، فأنا لم أر (غرفة الطلب) فيها!».

قال (رون): «لعل (المغيرين) لم يعرفوا بوجود (الغرفة) هناك!».

قالت (هرميون): «أعتقد أن هذا جزء من سحر (الغرفة). لو شئتَ لها أن تكون خفية تصبح كذلك».

قال (هارى) فى لهفة: « (دوبى)، هل نجحت فى الدخول لترى ما يعمله (مالفوى)؟»

قال (دوبى): «لا يا (هارى بوتر) ، هذا مستحيل».

قال (هارى) على الفور: « لا ، ليس مستحيلاً، (مالفوى) دخل مقرنا هناك فى السنة الماضية، وبالتالى سأتمكن من الدخول والتجسس عليه، ليس ثمة مشكلة».

قالت (هرميون) ببطء: «لكنى لا أظنك ستفعل يا (هارى)؛ لأن (مالفوى) عرف بالضبط كيف كنا نستعمل (الغرفة)، أليس كذلك؟ لأن الحمقاء (مارييتا) ثرثرت بالكلام، وكان هو فى حاجة لـ(الغرفة) لتصبح مقر وكيل النيابة، وهكذا أصبحت فعلاً. ولكنك لا تعرف ما تتحول إليه (الغرفة) حين يدخلها (مالفوى) ، ومن ثم فأنت لا تعلم ما ستطلب منها أن تتحول إليه».

قال (هارى) فى إباء: «لابد أن هناك طريقة لذلك، أحسنتَ يا (دوبى)».

قالت (هرميون) فى حنان: «و(كريتشر) أحسنَ أيضًا». إلا أن (كريتشر) تحول بعينيه الكبيرتين المحتقنتين دون أن يبدو عليه العرفان، وأخذ يصرّ فى السقف: «طينية الدماء تتحدث إلى (كريتشر) و(كريتشر) سيتظاهر بأنه لا يسمع». نهره (هارى) قائلاً: «اخرج منها» فانحنى (كريتشر) انحناءة أخيرة عميقة ثم اختفى: «يستحسن أن تذهب وتنام قليلاً أنت أيضًا يا (دوبى)».

صرَّ (دوبى) فى سعادة وقال: «شكرًا يا سيدى (هارى بوتر)!» واختفى هو أيضًا.

قال (هارى) فى حماس وهو يلتفت إلى (رون) و(هرميون) فى اللحظة التى خلت فيها الغرفة من جنٍّ البيوت مرة أخرى: «ما أحسن ذلك. نحن نعرف أين يذهب (مالفوى)! ضبطناه الآن!».

قال (رون) فى كآبة وهو يحاول أن ينظف البقعة المبللة بالحبر التى كادت منذ قليل تصبح مقالاً مكتملاً: «نعم، هذا عظيم». فجذبتها (هرميون) إليها وشرعت فى شفط الحبر بعصاها السحرية.

قالت (هرميون): «ولكن ما هذا الحديث عن ذهابه إلى هناك مع عدد من الطلاب؟ كم من الناس فى هذه العملية؟ لا أظنك تعتقد أنه سيثق بكثير من الناس أن يعرفوا ما يعمل.... ».

قال (هارى) وهو مقطب: «نعم، هذا شىء غريب، سمعته يقول لـ(كراب): «ليس شأنك ما أعمله ... » فماذا يقول لكل هؤلاء... كل هؤلاء؟...».

وامتد صوت (هارى) ؛ كان يحدق إلى نار المدفأة.

قال فى هدوء: «يا ربى، كم كنتُ غبيًا ، المسألة واضحة، أليست كذلك؟ كان هناك وعاء ضخم منها فى البرج الحصين... لعله حز بعضًا منها فى أى وقت فى أثناء الحصة..».

قال (رون): «ما الذى حزه؟».

قال (هارى) وهو يقفز لأعلى ويبدأ يذرع المكان جيئة وذهابًا أمام المدفأة: «جرعة العصير المنوع. سرق بعضًا من وصفة العصير المنوع الذى أراه لنا (سلجهورن) فى أولى حصص الوصفات... ليس هناك عدد كبير من الطلاب يقفون يراقبون المكان من أجل (مالفوى) ... فقط (كراب) و(جويل) كالمعتاد ... نعم، كل شىء مرتبط ببعضه! فلديهما من الغباء ما يكفى لأن يعملا ما يُطلب منهما، حتى وإن لم يخبرهما بما يدبر له... ولكنه لا يريد أن يراهما أحد وهما يتسكعان خارج (غرفة الطلب)؛ لذا فقد دفعهما لتناول العصير المنوع ليجعلهما يبدوان كسائر الناس ... هاتان البنتان اللتان رأيته معهما عندما غاب عن مباراة الـ(كويدتش)... آه! (كراب) و(جويل)!».

قالت (هرميون) بصوت هامس: «هل تقصد أن تقول: إنها تلك البنت الصغيرة التى أصلحتُ لها ميزانها ؟».

قال (هارى) بصوت مسموع وهو يحدق فيها: «نعم، طبعًا! طبعًا! لابد أن (مالفوى) كان داخل (الغرفة) فى ذلك الوقت، وهى ـ ما هذا الذى أقوله؟ ـ هو أوقع الميزان لينبه (مالفوى) ألا يخرج؛ لأن هناك أحدًا بالخارج! وكانت هناك تلك البنت الصغيرة التى أوقعت بيض الضفدع أيضًا! كنا نمر به طول الوقت دون أن ندرك!».

قهقه (رون) قائلاً: «حوّل (كراب) و(جويل) إلى بنتين؟ ... لا غرو أنهما لا تبدو عليهما السعادة كثيرًا هذه الأيام... أنا مندهش أنهما لا يطلبان منه أن يتوقف...».

قال (هارى): «حسنٌ، لم يكن بإمكانهما، أليس كذلك؟ لو أراهما (النقطة المظلمة)».

قالت (هرميون) فى تشكك وهى تلف مقال (رون) الذى جف قبل أن يلحق به أى أذى وتناوله له: «... (النقطة المظلمة) لا نعلم إن كان لها وجود».

قال (هارى) فى ثقة: «سنرى».

قالت (هرميون) وهى تنهض وتتمطى: «نعم، سنرى. ولكن قبل أن تفرح كثيرًا يا (هارى) ما زلت لا أظن أنك تستطيع أن تدخل (غرفة الطلب) دون أن تعرف ما بها أولاً. وأظنك لا ينبغى لك أن تنسى...»، ورفعت حقيبتها إلى كتفها ورمته بنظرة شديدة الجدية وقالت: «إن ما يفترض بك أن تركز عليه هو أن تأتى بتلك الذاكرة من (سلجهورن).. طاب مساؤك».

نظر إليها (هارى) وهى تخرج وأحس بشىء من الاستياء، وما أن أوصد الباب المؤدى إلى مهجع البنات وراءها استدار إلى (رون).

«ما رأيك؟».

قال (رون) وهو يحدق إلى النقطة التى اختفى عندها (دوبى): «ليتنى أستطيع أن أختفى كجنِّ البيوت، حينها كنت سأضمن امتحان الظهور فى جيبى».

لم ينم (هارى) جيدًا تلك الليلة، بل ظل يقظًا طوال ما بدا وكأنه ساعات يفكر فيما يستغل (مالفوى) (غرفة الطلب) لأجله وما سيراه هو نفسه حين يدخلها غداة ذلك اليوم. فمهما كان ما قالته (هرميون)، فقد كان (هارى) على يقين من أن (مالفوى) لو تمكن من رؤية مقر وكيل النيابة لتمكن هو من رؤية ما عند (مالفوى)... ترى ماذا يمكن أن يكون؟ غرفة اجتماعات؟ مخبأ؟ مخزنًا؟ ورشة؟ كان عقل (هارى) يعمل بشكل مُتَّقد، وأحلامه حين غلبه النوم فى النهاية، كانت تقطعها وتشوشها صور (مالفوى) وهو يتحول إلى (سلجهورن) ويتحول إلى (سناب).

كان (هارى) فى حالة انتظار كبير على الإفطار فى صباح اليوم التالى؛ كانت لديه فترة فراغ قبل «صد السحر الأسود» وكان عازمًا على قضائها فى محاولة دخول (غرفة الطلب). أما (هرميون) فلم تكن تبدى أى اهتمام بخططه الهامسة لدخول (الغرفة) عنوة، وهو ما أقلق (هارى)؛ لأنه كان يعتقد أنها يمكن أن تساعده كثيرًا لو أرادت.

قال فى هدوء وهو يميل إلى الأمام ويضع يدًا على جريدة «*المتنبئ اليومى*» التى كانت قد انتزعتها لتوها من عامل البريد ليمنعها من فتحها والاختفاء وراءها: «لم أنس مسألة (سلجهورن)، ولكن ليس لدىَّ أية فكرة عن كيفية الحصول على تلك الذاكرة منه، وإلى أن تراودنى فكرة مفاجئة لِمَ لا أستكشف ما يعمله (مالفوى) ؟».

قالت (هرميون): «سبق أن قلت لك: لابد أن تقنع (سلجهورن). المسألة ليست أن تخدعه أو أن تسحره، وإلا لتمكن (دمبلدور) من إتمامها فى لحظة، بدلاً من التسكع خارج (غرفة الطلب)». وانتزعت الجريدة من يد (هارى) وفتحتها لتنظر فى الصفحة الأولى: «عليك أن تذهب وتعثر على (سلجهورن) وتبدأ فى الاحتكام إلى طبيعته الطيبة».

سألها (رون) وهى تبحث فى العناوين الرئيسية: «أى أحد نعرفه؟».

قالت (هرميون): «نعم!» مما تسبب فى إسكات كل من (هارى) و(رون) على الإفطار، ولكن لا بأس، لم يمت، إنه (مندنجس) ، تم القبض عليه وأرسل إلى (أزكابان) مسألة لها صلة بانتحال شخصية «عفريت» فى أثناء محاولة سطو... وشخص يدعى (أكتافيوس بيبر) اختفى... آه، شىء مريع، صبى فى التاسعة تم القبض عليه لمحاولته قتل جديه، يُعتقد أنه كان تحت تأثير «لعنة الإمبراطور».

أنهوا إفطارهم فى صمت. ثم انطلقت (هرميون) من فورها إلى «الرونيين القدماء»، و(رون) إلى غرفة العموم حيث كان لا يزال عليه أن ينهى خاتمته لمقال (سناب) عن الجنون، و(هارى) إلى الدهليز بالطابق

السابع وامتداد الجدار المقابل لصورة (برنابه) المجنون وهو يعلم الأقزام رقص الباليه.

ارتدى (هارى) عباءة الإخفاء بمجرد أن عثر على ممر خالٍ، ولكنه لم يكن فى حاجة لأن يكلف نفسه العناء، فحين بلغ وجهته وجدها مهجورة. لم يكن (هارى) متأكدًا ما إذا كانت فرصه لدخول (الغرفة) أفضل حين يكون (مالفوى) داخل (الغرفة) أم خارجها، ولكن على الأقل لم تكن محاولته الأولى ستزداد تعقيدًا بوجود (كراب) أو (جويل) فى شكل فتاة فى الحادية عشرة من عمرها.

أغمض عينيه وهو يدنو من المكان الذى كان يختفى عنده باب (غرفة الطلب) . كان يعرف ما عليه أن يعمله؛ كان قد حقق فيها أكبر نجاح فى السنة الماضية. ركز كل قوته فى التفكير، *أريد أن أرى ما يعمله (مالفوى) بالداخل... أريد أن أرى ما يعمله (مالفوى) بالداخل... أريد أن أرى ما يعمله (مالفوى) بالداخل..*

مشى ثلاث مرات أمام الباب»، قلبه يدق من شدة الإثارة، فتح عينيه وواجهها، ولكنه كان لا يزال ينظر إلى امتداد جدار أرضى خالٍ.

خطا إلى الأمام ودفعه دفعة تجريبية. وظلت الأحجار صماء غير طيعة.

قال (هارى) بصوت عالٍ: «لا بأس ، لا بأس ... فكرتُ بصورة خطأ ..».

فكر للحظة، ثم انطلق من جديد، أغمض عينيه وركز قدر إمكانه.

أريد أن أرى المكان الذى يواظب (مالفوى) على دخوله سرًا ... أريد أن أرى المكان الذى يواظب (مالفوى) على دخوله سرًا..

وبعد ثلاث خطوات إلى الوراء فتح عينيه وهو يترقب.

لم يكن هناك باب.

قال للجدار فى ضيق: «آه، دعك من هذا، كان هذا أمرًا واضحًا... ليكن...».

ظل يعتصر فكره لدقائق عدة قبل أن يذرع المكان مرة أخرى.

... اريد منك ان تتحول إلى المكان الذى تكونه بالنسبة لـ(دراكو مالفوى)...

لم يفتح عينيه على الفور بعد أن أنهى ذرعه المكان جيئة وذهابًا؛ كان يصغى بشدة كأنه قد يسمع الباب يظهر فجأة إلى الوجود. لكنه لم يسمع شيئًا عدا تغريد الطيور بالخارج. ففتح عينيه.

لم يكن هناك باب أيضًا.

سب (هارى) . هناك من أطلق صرخة. تلفت حوله ليرى جماعة من طلاب السنة الأولى يعودون أدراجهم ركضًا حول الركن متصورين ما يبدو أنهم أمام شبح رائحة فمه كريهة.

جرب (هارى) كل تنويعة وردت على خاطره من عبارة: «أريد أن أرى ما يعمله (دراكو مالفوى) بداخلك، لمدة ساعة كاملة، اضطر بعدها للتسليم بأن (هرميون) كانت على حق؛ فالغرفة ببساطة لم تشأ أن تفتح له. فانطلق محبطًا ومنزعجًا إلى «صد السحر الأسود» وهو يخلع عنه عباءة الإخفاء ويحشرها فى حقيبته وهو ماشٍ.

قال (سناب) ببرود بينما كان (هارى) يسرع إلى داخل الفصل المضاء بشمعة: «تأخرتَ مرة أخرى يا (بوتر) . عشر درجات من (جريفندور)».

نظر (هارى) مقطبًا لـ(سناب) وهو يلقى بنفسه فى المقعد بجانب (رون)؛ كان نصف الفصل لا يزال واقفًا يخرج الكتب وينظم أشياءه؛ لم يكن متأخرًا كثيرًا عن أى منهم.

قال (سناب) وهو يلهو بعصاه السحرية بغير اكتراث: «قبل أن نبدأ، أريد مقالات الدمنتور»، فحلقت خمس وعشرون لفافة من الرق فى الهواء وهبطت فى شكل كومة منتظمة على مكتبه. «وأتمنى لكم أن تكون أفضل من التفاهات التى كان علىّ أن أتحملها فى مقاومة (لعنة الإمبراطور). والآن هلا فتحتم الكتاب جميعًا على صفحة ما الخطب يا سيد (فينيجان) ؟».

قال (سيموس): «سيدى، كنت أتساءل، كيف تفرق بين (العفريت)، و(الشبح)؟ كان هناك شيء فى جريدة *«المتنبئ»* عن «عفريت».

قال (سناب) بصوت ملول: «لا، لم يكن»

«ولكن سيدى، سمعتُ الناس يتكلمون».

«لو كنت قد قرأت المقال المقصود فعلاً يا سيد (فينيجان) لعرفت أن ما يعرف بـ(العفريت) لم يكن سوى لص متسلل كريه الرائحة يدعى (مندنجس فلتشر)».

غمغم (هارى) لكل من (رون) و(هرميون) قائلاً: «كنت أحسب أن (سناب) و(مندنجس) متحالفان. ألا ينبغى له أن ينزعج لإلقاء القبض على (مندنجس)؟.

قال (سناب) وهو يشير فجأة إلى خلف الغرفة وعيناه السوداوان مثبتتان على (هارى): «ولكن يبدو أن (بوتر) لديه الكثير مما يقول عن الموضوع . دعونا نسأل (بوتر) كيف نفرق بين (العفريت) و(الشبح)».

التفت الفصل كله نحو (هارى) الذى حاول بسرعة أن يتذكر ما قاله له (دمبلدور) ليلة أن ذهبا لزيارة (سلجهورن).

قال: «آه، حسنٌ... الأشباح شفافة».

قاطعه (سناب) وهو يلوى شفتيه: «آه، جيد جدًا ، نعم، من السهل أن نرى أن ست سنوات تقريبًا من تعليم السحر لم تضع هباء عليك يا (بوتر). *الأشباح شفافة!*».

أطلقت (بانسى باركنسون) ضحكة عالية مجلجلة. وابتسم عدد آخر ابتسامة متكلفة. أخذ (هارى) نفَسًا عميقًا وواصل كلامه فى هدوء ورغم أنه كان يغلى فى داخله: «نعم، الأشباح شفافة، أما العفاريت فأجسام ميتة، أليس كذلك؟ إذن فهى صماء».

قال (سناب) ساخرًا: «أى طفل فى الخامسة كان يمكن أن يقول لنا هذا. (العفريت) جثة أعيدت إلى الحياة بتعاويذ أحد سحرة الظلام. فهو

ليس حيًا، بل مجرد شيء يُسْتَغل كدمية لتنفيذ أمر الساحر. أما (الشبح) فكما أنا على ثقة من أنكم جميعًا تعرفون الآن، فأثر من روح صعدت، باقٍ على الأرض... وهو بالطبع شفاف كما يقول لنا (بوتر) بحكمته».

قال (رون): «حسنٌ ، ما قاله (هارى) هو الأكثر فائدة لو كنا نحاول أن نفرق بينهما! حين نواجه أحدهما فى الوادى المظلم سيكون معنا مجس لنعرف ما إذا كان أصم، أليس كذلك؟ لن نسأل قائلين: من فضلك، هل أنت أثر من روح صعدت؟».

علت موجة من الضحك أخمدتها على الفور نظرة وجهها (سناب) للفصل.

قال (سناب): «عشر درجات أخر من (جريفندور) . ما كنت لأتوقع منك شيئًا أكثر ثقافة، (رونالد ويسلى)، الصبى الأصم لدرجة أنه لا يستطيع أن «يظهر » مسافة نصف بوصة عبر الغرفة».

همست (هرميون) وهى تشد ذراع (هارى) وهو يفتح فمه فى غيظ قائلة: «لا! لا جدوى من ذلك، سينتهى بك الحال فى الحجز مرة أخرى، دعك منه!».

قال: (سناب) وهو يتكلف الابتسام قليلاً: «والآن افتحوا كتبكم على صفحة ثلاث عشرة ومائتين، واقرءوا الفقرتين الأوليين عن (لعنة العذاب)».

ظل (رون) مكبوتًا طول الحصة. وعندما دق الجرس معلنًا نهاية الحصة لحقت (لافيندر) بـ(رون) و(هارى)، ذابت (هرميون) عن الأنظار بصورة غامضة مع اقترابها وأخذت تسب (سناب) بحرارة لتحوله إلى مسألة «ظهور» (رون)، لكن هذا لم يؤد إلا إلى ضيق (رون) كما بدا، فدفعها عنه وهو ينعطف متجهًا إلى حمام الأولاد مع (هارى).

قال (رون) بعد أن حدق إلى مرآة مهشمة لمدة دقيقة أو دقيقتين: «سناب على حق مع ذلك، أليس كذلك؟ لا أدرى ما إذا كان الأمر يستحق منى أن أدخل الامتحان. أنا لا أستطيع أن أدرك مغزى الظهور».

قال (هاري) بتعقل: «يمكنك أيضًا أن تحضر جلسات التمرين الإضافية في (هوجسميد) وترى إلى أين يصلون بك. سيكون هذا أفضل من محاولة الدخول في طوق غبي على أية حال. وبعد إذا كنتَ لا تزال لم تبلغ المستوى الذي تريده يمكنك أن ترجئ الامتحان، أدخله معي في الصد - (ميرتل) ، هذا حمام الأولاد!».

خرج شبح فتاة من المرحاض في مهجع وراءهما، وكان يطفو في الهواء محدقًا فيهما خلال زجاجات سميكة بيضاء مستديرة.

قالت في كآبة: «آه ، هذان أنتما».

قال (رون) وهو ينظر إليها في المرآة: «ومن كنت تتوقعين؟».

قالت (ميرتل) في كآبة وهي تحك موضعًا في ذقنها: «قال إنه سيعود ويلقاني، ولكن أنت أيضًا قلتَ إنك ستأتي فجأة لتزورني...» . ورمت (هاري) بنظرة عتاب « ولم أرك منذ أشهر وأشهر. تعلمتُ ألا أتوقع الكثير من الصبيان».

قال (هاري) الذي كان يحرص على الابتعاد عن المكان منذ سنوات: «كنت أظن أنكِ تسكنين حمام البنات هذا».

قالت بهزة كتف لامبالية خفيفة: «أنا أسكنه فعلاً، لكن هذا ليس معناه ألا أزور أماكن أخرى. أتيتُ ورأيتك في حمامك مرة، أتتذكر؟».

قال (هاري): «بكل وضوح».

قالت في حزن: «لكني كنت أظنه أعجب بي. ربما لو خرجتما يعود مرة أخرى... كان هناك الكثير من السمات تجمع بيننا ... أنا متأكدة من أنه أحس بذلك...».

ونظرت تجاه الباب يحدوها الأمل.

قال (رون) وهو يبدو أكثر بهجة الآن: «حين تقولين: إن هناك الكثير مما يجمع بينكما فهل تقصدين أنه يسكن حمامًا أيضًا؟».

قالت (ميرتل) في تحدٍّ وصدى صوتها يتردد عاليًا في أرجاء الحمام القديم المكسو بالقرميد: «أقصد أنه عاطفي، الناس يستأسدون عليه أيضًا، ويشعر بالوحدة، وليس لديه أحد يتكلم معه، وهو لا يخاف من التعبير عن أحاسيسه ويبكي!».

قال (هارى) في فضول: «صبي كان يبكي هنا؟ صبي صغير؟».

قالت (ميرتل) وعيناها الصغيرتان الراشحتان مثبتتان على (رون) الذي كان يبتسم الآن بكل تأكيد: «لا تبالي! وعدتُ ألا أخبر أحدًا وسآخذ سره إلى الـ...».

قال (رون) بصوت كالشخير: «لا إلى القبر، متأكدة؟ ربما إلى المجارير..».

أطلقت (ميرتل) صرخة غضب، وغاصت في المرحاض من جديد، ففاض الماء على الأجناب ومنها إلى الأرضية. يبدو أن مشاكسة (ميرتل) بثت روحًا جديدة في (رون).

قال وهو يلقي بحقيبته المدرسية فوق كتفه: «أنت على حق، سأحضر جلسات التمرين في (هوجسميد) قبل أن أحدد موقفي من دخول الامتحان».

وهكذا ففي العطلة الأسبوعية التالية انضم (رون) إلى (هرميون) وبقية طلاب السنة السادسة ممن كانوا سيبلغون السابعة عشرة في الوقت المحدد لدخول الامتحان في غضون أسبوعين. وشعر (هارى) بالغيرة وهو يرقبهم جميعًا وهم يستعدون لدخول القرية؛ افتقد القيام برحلات إليها، كان يومًا ربيعيًّا جميلاً، أحد أوائل الأيام التي رأوا فيها السماء صافية منذ مدة طويلة. ولكنه كان قد قرر استغلال الوقت في محاولة شن غارة أخرى على (غرفة الطلب).

قالت (هرميون) حين أفضى لـ(رون) ولها بتلك الخطة في قاعة المدخل: «يستحسن أن تذهب مباشرةً إلى مكتب (سلجهورن) وتحاول أن تأخذ منه تلك الذاكرة».

قال: (هـارى) فى نزق: «حاولتُ» وهذا صحيح تمامًا. فقد أخذ يتلكأ بعد كل حصة من حصص الوصفات السحرية فى ذلك الأسبوع فى محاولة للانفراد بـ(سلجهورن) إلا أن أستاذ الوصفات السحرية كان يغادر البرج الحصين بسرعة حتى إن (هـارى) لم يكن يتمكن من اللحاق به. وذهب (هـارى) مرتين إلى مكتبه ودق الباب، ولكن لم يجبه أحد، مع أنه فى المرة الثانية كان متأكدًا من أنه سمع أصوات الجراموفون القديم المختنقة السريعة.

«هو لا يريد أن يتحدث إلىَّ يا (هرميون)! هو يعرف أنى حاولت أن أنفرد به مرة أخرى، ولن يدع ذلك يحدث!».

«حسنٌ، كل ما عليك هو أن تواصل المحاولة، أليس كذلك؟».

الطابور القصير لمن ينتظرون السير وراء (فيلتش) الذى كان يقوم بعملية النخس المعتادة بمجس السرية، يتقدم بضع خطوات ولم يردّ (هـارى) خشية أن يسترق الموظف السمع. دعا لـ (رون) و(هرميون) بالتوفيق. ثم استدار وتسلق الدرج الرخامى مرة أخرى عازمًا، مهما كان ما قالته (هرميون) على تخصيص ساعة أو ساعتين لـ(غرفة الطلب).

وما أن غاب عن أنظار قاعة المدخل جذب (هـارى) خارطة المغير وعباءة الإخفاء من حقيبته. وبعد أن أخفى نفسه نقر على الخارطة وغمغم قائلاً: «أقسم بكل جلال إنى مقدم على شر»، ثم تفحصها بعناية.

كان صباح الأحد، وبالتالى كان كافة الطلاب تقريبًا داخل غرف الاستراحة المتعددة، طلاب (جريفندور) فى برج، وطلاب (ريفنكلو) فى برج آخر، وطلاب (سليذرين) فى الأبراج الحصينة، وطلاب (هافلباف) فى الطابق الأرضى بجوار المطابخ. هناك من يتسكع حول المكتبة أو بآخر الدهليز هنا وهناك... كان قليل من الناس فى الملاعب بالخارج.. وفى دهليز الطابق السابع كان (جريجورى جويل) وحيدًا. لم يكن هناك أثر لغرفة الطلب، لكن (هـارى) لم يكن قلقًا حيال ذلك؛ فلو كان

(جويل) واقفا للمراقبه خارجها، فإن «الغرفة» تكون مفتوحة سواء أكانت الخارطة مدركة لذلك أم لم تكن؛ لذا فقد صعد السلم مسرعًا ولم يبطئ إلا حين بلغ الركن بالدهليز حيث بدأ يزحف ببطء شديد نحو البنت الصغيرة نفسها، وهى ممسكة بميزانها النحاسى الثقيل والتى ساعدتها (هرميون) بكل حنان قبل أسبوعين . انتظر إلى أن أصبح وراءها تمامًا ثم انحنى بشدة وقال هامسًا «أهلاً... أنت جميلة جدًا، أليس كذلك؟».

أطلق (جويل) صرخة رعب مدوية، ورمى الميزان لأعلى فى الهواء وانطلق يجرى واختفى عن الأنظار قبل مدة من توقف صوت الميزان وهو يتحطم ويدوى صداه فى الدهليز. واستدار (هارى) ضاحكًا ليتأمل الجدار الخالى الذى كان متأكدًا من أن (دراكو مالفوى) كان واقفًا وراءه متجمدًا وواعيًا بأن هناك أحدًا غير مرغوب فيه بالخارج، ولكنه لا يجرؤ أن «يظهر». ساور (هارى) شعور كبير بالقوة وهو يحاول أن يتذكر أى أشكال الكلمات، لم يجرب بعد.

إلا أن المزاج المتفائل لم يدم طويلاً. فبعد نصف ساعة من تجربة تنويعات عديدة على طلبه بأن يرى ما يدبر له (مالفوى) ظل الجدار بلا باب كما هو، شعر (هارى) بإحباط لا يصدق؛ فقد يكون (مالفوى) على بعد أقدام منه، واستمر عدم وجود أدنى دليل على ما يفعل بالداخل. وحين نفد صبر (هارى) تمامًا ركض نحو الباب وركله.

«آى!».

ظن أنه كسر إصبع قدمه؛ وبينما هو ممسك به ويقفز على قدم واحدة انزلقت عباءة الإخفاء من عليه.

«(هارى)؟».

استدار على ساق واحدة فسقط. ما أدهشه تمامًا أنه وجد (تونكس) قادمة نحوه كأنها كانت دائمة التجوال فى هذا الدهليز.

قال وهو يندفع على قدميه مرة أخرى: «ماذا تعملين هنا؟» لماذا يتصادف أن تجده دائمًا وهو مستلقٍ على الأرض؟

قالت (تونكس): «جئت لأرى (دمبلدور)».

ظن (هارى) أنها بدت مخيفة، أنحف من المعتاد، وشعرها الذى يشبه لونه لون الفأر كان هزيلاً.

قال (هارى): «مكتبه ليس هنا، إنه بالجانب الآخر من القلعة، وراء التمثال البشع».

قالت (تونكس): «أعرف ، وهو ليس هناك. من الواضح أنه خرج مرة أخرى».

قال (هارى) وهو يعيد قدمه المجروحة إلى الأرض مرة أخرى: «خرج؟ أنت لا تعلمين أين يذهب على ما أظن».

قالت (تونكس): «لا».

«لم كنتِ تريدين مقابلته؟».

قالت (تونكس) وهى تنتش لا إراديًا على ما يبدو فى كم ثوبها: «لا شىء مهم. ظننت أنه قد يعرف ما يحدث... سمعت شائعات... أناس يتعرضون للأذى...».

قال (هارى): «نعم، أعلم، كل شىء نشر فى الجرائد. ذلك الصبى الصغير يحاول قتل...».

قالت (تونكس) التى بدا أنها غير مصغية له: «جريدة *(المتنبئ)* تتأخر غالبًا، لم تصلك أية خطابات من أحد فى الجماعة مؤخرًا؟».

قال (هارى): «لم يعد أحد من الجماعة يكتب لى بعد (سيريوس)».

رأى عينيها تملؤهما الدموع.

غمغم فى بله قائلاً: «أنا آسف، أقصد... أنا أيضًا أفتقده..».

قالت (تونكس) مشدوهة كأنها لم تسمعه: «ماذا؟ حسنٌ، سأراك فيما بعد يا (هارى) ...».

ثم استدارت فجاة وعادت تسير فى الدهليز تاركة (هارى) يتتبعها وهو محدّق. وبعد دقيقة أعاد عباءة الإخفاء فوق كتفيه مرة أخرى واستأنف جهوده لدخول (غرفة الطلب)، إلا أنه فقد حماسه.

وفى النهاية فإن إحساسه بخواء معدته وعلمه بأن(رون) و(هرميون) سرعان ما يعودان للغداء جعلاه يتخلى عن المحاولة ويغادر الدهليز لبضع ساعات.

وجد (رون) و(هرميون) بالقاعة الكبيرة فى منتصف غداء مبكر.

قال (رون) لـ (هارى) فى حماس حين رآه: «فعلتها، حسنٌ، نوعًا ما! كان يُفترض أن «أظهر» خارج مقهى مدام (بديفوت) فتجاوزتها قليلاً، وانتهى بى الحال بالقرب من حانوت (سكريفنشافت) ، ولكنى تحركت على الأقل!».

قال (هارى): «أحسنتَ، ماذا فعلت يا (هرميون)؟».

قال (رون): «كانت رائعة على ما يبدو» قبل أن تتمكن (هرميون) من الرد: «تفكير رائع! وتنبؤ رائع! ويأس رائع! أو أيًّا كانت هذه اللعنة ـ ذهبنا جميعًا لتناول مشروب سريع فى مقهى «عصى المكانس الثلاثة» ولابد أنك سمعتَ (توايكروس) يشكو منها ـ سأدهش لو لم يسأل فورًا..».

سألته (هرميون) متجاهلة (رون) «وماذا عنك أنت؟ هل كنتَ بأعلى عند غرفة الطلب كل هذا الوقت؟».

قال (هارى): «نعم، وحَدِّسى من الذى قابلته بأعلى؟ (تونكس)!».

ردد (رون) و(هرميون) معًا فى دهشة: «تونكس؟».

«نعم ، قالت إنها جاءت لزيارة (دمبلدور)....».

وما إن انتهى (هارى) من سرد حواره مع (تونكس) حتى قال (رون): «لو سألتنى لقلتُ لك إنها محطمة قليلاً . فقدت أعصابها بعد ما حدث فى الوزارة».

قالت (هرميون) التى بدا عليها الاهتمام الشديد لسبب ما: «هذا غريب بعض الشىء، فيفترض أنها تحرس المدرسة، فلماذا تخلى موقعها فجأة وتأتى لمقابلة (دمبلدور) وفى وقت ليس موجودًا فيه هنا؟».

قال (هارى) فى تردد: «ساورتنى فكرة» . وأحس بالغرابة فى أن يقول ذلك؛ فهذا أقرب إلى أسلوب (هرميون) منه إلى أسلوبه هو. «ألا تظنين أنها ربما ... أتعرفين... مغرمة بـ (سيريوس)؟».

حدقت إليه (هرميون).

«ما الذى دفعك لهذا الظن؟

قال (هارى) وهو يهز كتفيه استخفافًا: «لا أعلم، ولكنها كانت تبكى أو تكاد حين ذكرتُ اسمه .... وراءها شىء ضخم من ذوات الأربع الآن... أنا فى دهشة عما إذا لم تكن قد أصبحت... هو».

قالت (هرميون) ببطء: «هى فكرة، ولكنى مازلت لا أدرى ما الذى جعلها تندفع إلى داخل القلعة لمقابلة (دمبلدور) لو كان هذا فعلاً سبب مجيئها...».

قال (رون) وهو يجرف البطاطس المهروسة فى فمه: «هذا يعيدنا إلى ما سبق أن قلتُ، أليس كذلك؟ أصبحت مضحكة قليلاً. فقدت أعصابها، النساء...» ثم قال لـ (هارى) فى تعقل: «سريعات الاضطراب».

قالت (هرميون) وهى تخرج من استغراقها فى التفكير: «ومع ذلك فأنا أشك فى أن تجد امرأة تظل عابسة لمدة نصف ساعة لمجرد أن مدام (روزمرتا) لم تضحك على نكتة قالتها عن الجنية الشريرة والمداوى و*(ميمبولوس ممبليتونيا)*».

فعبس (رون).

■ ■ ■

٢٢ بعد الدفن

رقع من سماء زرقاء صافية بدأت تظهر فوق أبراج القلعة، إلا أن هذه البشائر بقرب حلول الصيف لم تعدل مزاج (هارى). كان محبطًا سواء فى محاولاته اكتشاف ما يعمله (مالفوى) أو فى مساعيه لبدء حوار مع (سلجهورن) قد يؤدى بصورة ما لأن يسلم (سلجهورن) الذاكرة التى يبدو أنه أبقاها فى طى الكتمان لعشرات السنين.

قالت (هرميون) لـ(هارى) فى حزم «لآخر مرة، انس أمر (مالفوى)».

كانا جالسين مع (رون) فى ركن مشمس من الفناء عقب الغداء.

كان (رون) و(هرميون) ممسكين بملزمة خاصة بوزارة السحر: «*أخطاء شائعة فى الظهور وكيف تتجنبها*»، إذ كانا سيدخلان امتحاناتهما بعد ظهر ذلك اليوم، ولكن تبين أن الملازم وحدها لم تكن لتهدِّئ الأعصاب. وثب (رون) وحاول أن يختبئ وراء (هرميون) حين ظهرت فتاة حول الركن.

قالت (هرميون) فى ضجر «هذه ليست (لافيندر)».

قال (رون) بارتياح «آه، أحسن...».

قالت الفتاة: «(هارى بوتر) : طُلب منى أن أسلمك هذه».

«شكرًا...».

غاص قلب (هارى) وهو يتناول لفافة الرق الصغيرة. وما إن خرجت الفتاة من مرمى السمع قال (دمبلدور) : إننا لن تكون لدينا حصص أخرى إلا بعد أن أحصل على الذاكرة!».

قالت (هرميون) بينما كان (هارى) يفض لفافة الرق «ربما كان يريد أن يعرف كيف تعمل»؛ ولكن بدلاً من أن يجد خط (دمبلدور) المائل

الطويل الضيق وجد كتابة غير مرتبة يصعب قراءتها نظرًا لوجود بقع كبيرة على الورق سال عليها الحبر.

أعزائى (هارى) و(رون) و(هرميون):

نفقَ (أراجوج) ليلة أمس، قابلته يا (هارى) أنت و(رون)، وتعرفان كم كان مميزًا. وأنا أعرف يا (هرميون) أنكِ كنتِ ستحبينه. وحضوركم دفنه هذا المساء سيعنى لى الكثير، أنا أنوى أن يكون ذلك فى حوالى وقت الغروب، فقد كان هذا وقته المفضل من اليوم، أنا أعرف أنكم لا ينبغى أن تظلوا بالخارج حتى وقت متأخر، ولكن يمكنكم أن تستعينوا بالعباءة، ما كان لى أن أطلب منكم ذلك لولا أنى لا أستطيع أن أواجه الموقف بمفردى.

(هاجريد).

قال (هارى) وهو يناول الرقعة لـ(هرميون) «انظرى إلى هذه».

قالت وهى تقرؤها بسرعة «آه، ياللسماء!» وناولتها لـ(رون) الذى قرأها والشك بادٍ عليه.

قال فى غيظ «إنه مختل! هذا الشىء قال لرفاقه أن التهموا (هارى) و(رون)! وقال لهم أن يتفضلوا! والآن يتوقع منا (هاجريد) أن ننزل ونبكى على جثته المخيفة!».

قالت (هرميون) «ليس هذا وحسب، إنه يطلب منا أن نغادر القلعة ليلاً وهو يعلم أن الأمن أصبح أكثر إحكامًا مليون مرة ويعرف كَمَّ المتاعب التى قد نقع فيها لو تم الإمساك بنا».

قال (هارى) «نزلنا للقائه ليلاً من قبل».

قالت (هرميون) «نعم، ولكن لشىء كهذا، جازفنا بالكثير لمساعدة (هاجريد)، ولكن على أى الأحوال - أراجوج نفقَ. لو كان الأمر يتعلق بإنقاذه...».

قال (رون) فى حزم «... كانت رغبتى فى الذهاب أقل، أنتِ لم تقابليه يا (هرميون). صدقينى، لابد أن الموت حسَّنه كثيرًا».

استعاد (هارى) الرقعة وحدق إلى بقع الحبر فى انحائها. وانهمرت الدموع ثخينة وسريعة على الرقعة...

قالت (هرميون) : «(هارى)، لا يمكن أن تفكر فى الذهاب؛ فالأمر لا يستحق أن تُحتجز بسببه».

تنهد (هارى).

قال «نعم، أعرف. أظن أن (هاجريد) سيضطر لدفن (أراجوج) بدوننا».

قالت (هرميون) وقد بدا عليها الارتياح «نعم، سيفعل. اسمع، حصة الوصفات السحرية ستكون خالية تقريبًا بعد الظهر ونحن جميعًا فى امتحاناتنا... حاول أن تليِّن (سلجهورن) قليلاً فى ذلك الوقت!».

قال (هارى) فى مرارة «المرة السابعة والخمسون تجلب الحظ فى رأيك؟».

قال (رون) فجأة «الحظ، (هارى)، هذه هى... كن محظوظًا!».

«ماذا تقصد؟».

«استعمل وصفتك السحرية المحظوظة!».

قالت (هرميون) وقد بدا عليها الذهول «(رون)، هذه... هذه هى! بالطبع! لِمَ لم يرد ذلك على خاطرى؟».

حدق (هارى) إليهما معًا. وقال «(فليكس فلسيس). لا أدرى... كنت أدخرها...».

سأله (رون) فى شك «لأى شيء تدخرها؟».

وسألته (هرميون) «ما هو الأهم من هذه الذاكرة يا (هارى)؟».

لم يجبهما (هارى). فكرة تلك القارورة الذهبية الصغيرة حامت على حواف خياله لبعض الوقت؛ الخطط الغامضة غير المتبلورة التى أحاطت بفراق (جينى) عن (دين)، وسعادة (رون) برؤيتها مع صديق جديد، كانت تعتمل فى أعماق عقله وظلت غير معترف بها إلا فى الأحلام أو وقت الشفق بين المنام واليقظة...

سألت (هرميون): «(هارى)، هل لازلتَ معنا؟».

قال وهو يستجمع شتات نفسه: «ماذا...؟ نعم، طبعًا».

«حسنٌ، لا بأس، إذا لم أتمكن من حمل (سلجهورن) على الكلام بعد ظهر اليوم فآخذ بعضًا من الـ(فليكس) وسأدع آخر يذهب فى المساء».

قالت (هرميون) فى خفة وهى تنهض وتؤدى حركة باليه على ساق واحدة برشاقة «حُسم الأمر إذن» وأخذت تغمغم قائلة «قدَر... إصرار... ترو...».

توسل إليها (رون) قائلا «آه، كُفِّى عن هذا، أنا أشعر بالغثيان بما فيه الكفاية... بسرعة، خبئينى!».

قالت (هرميون) متبرمة «هذه ليست (لافيندر)!» بينما ظهرت فتاتان بالفناء وغاص (رون) وراءها.

قال (رون) وهو ينظر من فوق كتف (هرميون) كى يتحقق «رائع، جميل، لا تبدو عليهما السعادة، أليس كذلك؟»

قالت (هرميون) «إنهما الشقيقتان (مونتجمرى) وبالطبع لا تبدو السعادة عليهما، ألم يسمعا بما حدث لشقيقهما الصغير؟».

قال (رون) «أنا فى حيرة مما يحدث لأقارب الجميع، صدقًا».

«حسنٌ، شقيقهما هاجمه مستذئب. وهناك شائعة بأن أمهم رفضت أن تساعد (آكلى الموت). على أىٍّ، لم يكن إلا صبيًا فى الخامسة ومات فى (سان مونجو)، لم يتمكنوا من إنقاذه».

ردد (هارى) فى صدمة «مات؟! لكن المؤكد أن المستذئبين لا يقتلون، بل يحيلون المرء إلى واحد منهم؟».

قال (رون) وقد بدا عليه الوقار على غير العادة الآن «هم يقتلون أحيانًا. سمعت أن هذا يحدث عندما ينفعل المستذئب».

قال (هارى) بسرعة «ماذا كان اسم المستذئب؟».

قالت (هرميون) «حسنٌ، تقول الشائعة إنه كان (فنرير جريباك)».

قال (هارى) غاضبا «عرفت... إنه ذلك المخبول الذى يهوى مهاجمة الأطفال، الذى أخبرنى عنه (لوبين)!».

نظرت إليه (هرميون) ببرود.

وقالت «(هارى): لابد لك أن تحصل على تلك الذاكرة. المسألة كلها تتعلق بصد (فولدمورت)، أليس كذلك؟ هذه الأشياء المروعة التى تحدث هو السبب فيها...».

دق الجرس فوق الرءوس بالقلعة فانتفض كل من (هرميون) و(رون) واقفين وقد بدا عليهما الخوف.

قال (هارى) لكليهما وهما فى طريقهما إلى قاعة المدخل لمقابلة بقية الناس ودخول امتحان «الظهور» «حظًا سعيدًا».

قالت (هرميون) بنظرة لها مغزاها، بينما توجه (هارى) نحو الأبراج الحصينة: «ولك أيضًا!».

لم يكن هناك إلا ثلاثة فى حصة الوصفات السحرية بعد ظهر ذلك اليوم: (هارى) و(إيرنى) و(دراكو مالفوى).

قال (سلجهورن) فى هدوء «أنتم جميعًا أصغر من أن «تظهروا»؛ فلم تبلغوا السابعة عشرة بعد؟».

هزوا رءوسهم.

قال (سلجهورن) فى مرح «آه، حسنٌ، بما أننا قليلون هكذا فلنعمل شيئًا مرحًا. أريدكم جميعًا أن تدبروا لى شيئًا مسليًا!».

قال (إيرنى) فى ذلة وهو يحك عينيه معًا «هذا يبدو طيبًا سيدى!» أما (مالفوى) فلم يبتسم.

قال متبرمًا «ماذا تقصد بشىء مسلٍّ؟».

قال (سلجهورن) فى حيوية «آه، دبروا لى مفاجأة».

فتح (مالفوى) نسخته من كتاب *«الوصفات السحرية.. المستوى المتقدم»* وهو عابس. كان هذا أوضح دليل على أن هذه الحصة ليست سوى مضيعة

للوقت. فكر (هارى) وهو يرقبه من فوق طرف كتابه أن (مالفوى) كان بالطبع يضن بالوقت الذى كان سيقضيه فى «غرفة الطلب».

هل كان يتخيل أن (مالفوى) أصبح أكثر نحافة مثل (تونكس)؟ كان بالطبع يبدو أكثر شحوبًا؛ كانت بشرته لاتزال بها تلك المسحة الخفيفة من اللون الرمادى. ربما لأنه نادرًا ما كان يرى ضوء النهار فى هذه الأيام. ولكن لم يكن يبدو عليه كبر أو اعتداد بالنفس أو إثارة تفوق؛ لا وجود للخيلاء التى كانت بادية عليه فى قطار (هوجوورتس) السريع حين تفاخر علانيةً بالمهمة التى كلفه بها (فولدمورت)... لم يكن هناك إلا استنتاج واحد فى رأى (هارى): المهمة ـ أيًّا كانت ـ كانت تسير على غير ما يرام.

تهلل (هارى) بهذه الفكرة وأخذ يتصفح نسخته من كتاب «*الوصفات السحرية: المستوى المتقدم*» وعثر على نسخة معدلة منقحة بشدة من إكسير للأمير الهجين يثير الشعور بالخفة والمرح، وهو ما بدا كأنه لا يفى بتعليمات (سلجهورن) وحسب، بل قفز قلب (هارى) حين فاجأته الفكرة ربما تضع (سلجهورن) فى مزاج يعده لأن يسلم تلك الذاكرة لو أغراه (هارى) بتذوق بعض منها...

قال (سلجهورن) وهو يصفق بيديه معًا بعد ساعة ونصف الساعة «حسنٌ، هذا يبدو الآن رائعًا بحق» ثم حدق إلى المحتوى الأصفر البراق فى مرجل (هارى). «حيوية، أنا أتناولها؟ وما تلك الرائحة التى أشم؟... أنت أضفتَ ذرة نعناع، أليس كذلك؟ مبتكر، ولكن ياله من إلهام مفاجئ يا (هارى). هذا بالطبع سيعوض الآثار الجانبية للإفراط فى الغناء وقرص الأنوف من حين لآخر... حقيقةً أنا لا أدرى من أين تواتيك تلك الأفكار البارعة المفاجئة يا بنى... ما لم...».

دفع (هارى) بكتاب الأمير الهجين إلى داخل حقيبته بقدمه.

«... ما هى إلا جينات أمك تظهر فيك!».

قال (هارى) فى ارتياح «آه، نعم، ربما».

كان (إيرنى) يبدو متذمرًا؛ كان عازمًا على التفوق على (هارى) ولو لمرة، فاخترع بأسرع ما يمكن وصفة سحرية خاصة به تخثرت وكوّنت نوعًا من الزلابية القرمزية فى قاع مرجله. وكان (مالفوى) يحزم حقيبته وقد بدا الحزن على وجهه؛ كان (سلجهورن) قد وصف الحل الذى أوجده للفواق بأنه مجرد «مقبول».

دق الجرس فخرج كل من (إيرنى) و(مالفوى) على الفور.

بدأ (هارى) بقوله «سيدى»، إلا أن (سلجهورن) ألقى نظرة خاطفة من فوق كتفه على الفور، وحين رأى الغرفة قد خلت إلا منه ومن (هارى) تعجل بأسرع ما أمكنه.

فناداه (هارى) فى يأس «أستاذ... أستاذ»، ألا تريد أن تتذوق وصـ؟».

إلا أن (سلجهورن) كان قد مضى. أفرغ (هارى) المرجل محبطًا، وحزم أشياءه وغادر البرج الحصين وسار عنى مهل عائدًا إلى أعلى، إلى غرفة العموم.

وعاد (رون) و(هرميون) فى وقت متأخر من بعد الظهر.

نادت (هرميون) وهى تتسلق عبر ثقب اللوحة «(هارى)! (هارى)، نجحت».

قال: «أحسنتِ! و(رون)؟».

همست (هرميون) بينما كان (رون) يدخل الغرفة ماشيًا يتدلى وقد بدا أنه فى أسوأ مزاج «هو... رسب. كان سوء حظ حقيقى، شىء بسيط، اكتشف الممتحن أنه ترك نصف حاجب وراءه... كيف سارت الأمور مع (سلجهورن)؟»

قال (هارى) بينما انضم إليهما (رون) «لا شىء يسر، سوء حظ يا صديقى، لكنك ستنجح فى المرة القادمة... يمكننا أن ندخل الامتحان معًا».

قال (رون) متبرمًا «نعم، أعتقد ذلك. ولكن نصف حاجب! كأن هذا يهم!».

قالت (هرميون) وهى تهدئه «أعرف، الأمر يبدو مؤلمًا فعلا...».

وقضوا معظم عشائهم فى مرح يسبون ممتحن مادة «الظهور».

وكان (رون) يبدو أكثر مرحًا إلى حد ما حين انطلقوا عائدين إلى غرفة العموم، وهم يتناقشون حول مشكلة (سلجهورن) المستمرة والذاكرة.

سأله (رون) «إذن يا (هارى)... هل ستلجأ لاستعمال الـ(فليكس فلسيس) أو ماذا؟».

قال (هارى) «نعم، أظن أنه يستحسن أن أفعل، لا أعتقد أنى سأحتاج إليها كلها، فالأمر لا يستحق اثنتى عشرة ساعة، لا يمكن أن تستغرق الليل بطوله... سأكتفى بأخذ حفنة. ساعتان أو ثلاث ساعات تكفى».

قال (رون) وهو يتذكر «إنه إحساس عظيم حين تتناولها، كأنك يستحيل أن تعمل شيئًا خطأ».

قالت (هرميون) وهى تضحك «عم تتكلم؟ لم يسبق لك أن تناولت منها!».

قال (رون) وكأنه يفسر ما لا يحتاج لتفسير «نعم، ولكنى ظننت أنى تناولتها، أليس كذلك؟ الفارق نفسه فعلاً...».

ورأوا (سلجهورن) يدخل القاعة لتوه وكانوا يعرفون أنه يحب أن يأخذ وقته فى تناول الوجبات، لذا فقد تلكأوا لبعض الوقت فى غرفة العموم، إذ كانت الخطة أن يذهب (هارى) إلى مكتب (سلجهورن) عندما يكون أمام المعلم وقت حتى يعود إليه. وحين غاصت الشمس حتى مستوى قمم الشجر فى الغابة الممنوعة قرروا أن اللحظة قد حانت، وبعد التأكد من أن (نيفيل) و(دين) و(سيموس) كانوا جميعًا بغرفة العموم تسللوا إلى مهجع الأولاد.

أخرج (هارى) الجوارب الملفوفة بقاع صندوقه وأخذ منها القارورة الصغيرة اللامعة.

قال (هارى) وهو يرفع القارورة الصغيرة ويأخذ منها جرعة دقق فى معايرتها «حسنٌ، ها هى».

همست (هرميون) قائلة «ترى كيف يكون الإحساس بها؟».

لم يجبها (هارى) لبرهة. ثم تسلل إليه ببطء إحساس مبهج باللانهائية؛ أحس كأنه يستطيع أن يعمل أى شىء، أى شىء على الإطلاق... وفجأة بدا الحصول على الذاكرة من (سلجهورن) ليس ممكنًا وحسب، بل سهلاً للغاية أيضًا...

نهض على قدميه وهو يبتسم مفعمًا بالثقة.

قال «رائع، رائع فعلا... أنا نازل عند (هاجريد)».

قال (رون) و(هرميون) معًا وهما مشدوهان «ماذا؟».

قالت (هرميون) «لا يا (هارى)... يجب أن تذهب وتقابل (سلجهورن)، أتتذكر؟».

قال (هارى) فى ثقة «لا، أنا ذاهب عند (هاجريد)، يخامرنى إحساس طيب بأن أذهب عند (هاجريد)».

سأله (رون) فى ذهول: «أيخامرك إحساس طيب بأن تدفن عنكبوتًا عملاقًا؟».

قال (هارى) وهو يجذب عباءة الإخفاء من حقيبته: «أشعر أنه المكان الذى ينبغى أن أكون فيه الليلة، أتدرك مقصدى؟»

قال (رون) و(هرميون) معًا وقد بدا عليهما الانزعاج الآن: «لا».

قالت (هرميون) فى قلق وهى ترفع القارورة لأعلى إلى الضوء: «هذه هى الـ(فليكس فلسيس) على ما أظن؟ أليس لديك قارورة أخرى صغيرة ملأى بالـ... لا أدرى...».

قال (رون) مقترحًا بينما كان (هارى) يؤرجح العباءة على كتفيه: «خلاصة الجنون؟».

ضحك (هارى) وبدا كل من (رون) و(هرميون) أكثر انزعاجًا.

قال: «ثقا بى، أنا أعرف ما أعمله... أو على الأقل... فليكس يعرف» ومشى بكل ثقة نحو الباب.

وجذب عباءة الإخفاء فوق رأسه وانطلق يهبط الدرج، وأسرع (رون) و(هرميون) وراءه. في أدنى الدرج دخل (هارى) عبر الباب المفتوح.

صرخت (لافيندر براون) وهى تحدق من خلال (هارى) فى كل من (رون) و(هرميون) وهما خارجان معًا من مهاجع الأولاد وقالت: «ماذا كنتَ تعمل معها بأعلى؟» سمع (هارى) (رون) يغمغم من ورائه وهو مندفع عبر الغرفة مبتعدًا عنهم.

كان اجتياز ثقب اللوحة سهلاً؛ ومع اقترابه منه جاء كل من (جينى) و(دين) واجتازاه وتمكن (هارى) من الانسياب بينهما؛ ومس (جينى) برفق وهو ينساب بجانبها.

قالت فى ضيق: «لا تدفعنى يا (دين) من فضلك. أنت دائمًا تفعل ذلك، أنا استطيع أن أجتازه بنفسى تمامًا..».

وتأرجحت اللوحة وانغلقت وراء (هارى)،

ولكن بعد أن سمع (دين) يرد عليها غاضبًا... فازداد إحساس (هارى) بالتيه ومشى بخطى واسعة عبر القلعة. لم يكن مضطرًا للتسلل، إذ لم يقابل أحدًا فى طريقه، لكن هذا لم يدهشه على الإطلاق؛ ففى هذا المساء كان هو أسعد الناس حظًا فى (هوجوورتس).

لم تكن لديه فكرة عن سبب علمه بأن الذهاب عند (هاجريد) هو ما ينبغى له أن يعمله. كأن الجرعة السحرية كانت تضىء بضع خطوات من الطريق فى كل حين؛ لم يكن يرى المكان الذى ينتهى به طريقه، ولم يكن يرى أين دخل (سلجهورن)، ولكنه كان يعرف أنه على الطريق الصحيح للحصول على تلك الذاكرة. وعندما بلغ قاعة المدخل وجد أن (فيلتش) كان قد نسى أن يوصد الباب الأمامى. دفعه (هارى) ففتحه قبل أن ينغلق واستنشق رائحة الهواء النظيف والعشب لبرهة قبل أن يهبط درجات السلم فى الظلام.

وعندما بلغ الدرجة السفلى خطر له مدى الغبطة فى أن يمر برقعة الخضراوات فى طريقه إلى (هاجريد). لم تكن فى طريقه تمامًا، ولكن بدا واضحًا لـ(هارى) أنها نزوة عليه أن يلبيها، فتوجه من فوره نحو رقعة الخضراوات حيث شاء، ولكنه لم يفاجأ تمامًا حين وجد الأستاذ (سلجهورن) فى حوار مع الأستاذة (سبراوت). توارى (هارى) وراء جدار حجرى وطىء وهو يحس بسلام مع الدنيا ويصغى لحوارهما.

كان (سلجهورن) يقول فى دماثة «... أشكر لكِ ما قضيتِ من وقت يا (بومونا). معظم السلطات تتفق على أنها تبلغ ذروة فعاليتها إذا قُطفت وقت الشفق».

قالت الأستاذة (سبراوت) فى دفء «آه، أوافقك تمامًا؛ أيكفيك هذا؟».

قال (سلجهورن) الذى رآه (هارى) يحمل ملء ذراعيه من نباتات مورقة «هذا كثير، هذا كثير. سيسمح هذا ببضع وريقات لكل من طلابى فى السنة الثالثة ويقدر أدخره لمن يغليه... حسنٌ، طاب مساؤك وشكرًا لكِ مرة أخرى!».

انطلقت الأستاذة (سبراوت) فى الظلام المتجمع فى اتجاه صوبها ووجه (سلجهورن) خطاه نحو البقعة التى وقف فيها (هارى) خفيًّا.

تملَكت (هارى) رغبة فورية فى الكشف عن نفسه فجذب العباءة بحركة متأنقة.

«مساء الخير يا أستاذ».

قال (سلجهورن) وقد تسمر فى مكانه وبدا منتبهًا «ياللسماء، (هارى)، أنت فاجأتنى. كيف خرجتَ من القلعة؟».

قال (هارى) فى مرح وقد فرح لرؤية (سلجهورن) وهو يجفل «أعتقد أن (فيلتش) نسى أن يوصد الأبواب».

«سأبلغ عن هذا الرجل، فهو يهتم بأوراق الشجر الميتة أكثر من الأمن لو سألتنى... ولكن ما الذى أتى بك إلى هنا يا (هارى)؟».

قال (هارى) الذى أدرك أن ما ينبغى عليه الآن هو أن يقول الحقيقة «حسنٌ يا سيدى، إنه (هاجريد)، فهو قلق جدًّا... ولكنك لن تخبر أحدًا يا أستاذ. فأنا لا أريد أن أجلب عليه المتاعب...».

ثار فضول (سلجهورن) بصورة واضحة.

قال بفظاظة: «حسنٌ، لا أستطيع أن أعد بذلك. ولكنى أعرف أن (دمبلدور) يثق فى (هاجريد) تمام الثقة؛ لذا فأنا متأكد من أنه لن يقدم على شىء مخيف...».

«حسنٌ، إنه ذلك العنكبوت العملاق، فهو بحوزته منذ سنين... كان يعيش بالغابة... وهو يتكلم وكل شىء...»

قال (سلجهورن) برقة وهو ينظر لأعلى إلى تجمع الأشجار السوداء «سمعتُ شائعات عن وجود عنكبوت من نوعية «أكرومنتولا» فى الغابة. أهى حقيقة إذن؟».

قال (هارى): «نعم، إلا أن (أراجوج) هذا أول عنكبوت يقتنيه، وقد نفق ليلة أمس. وهو محطم حزنًا عليه. يريد صحبة معه وهو يدفنه وقلتُ إنى سأذهب».

قال (سلجهورن) وهو شارد الذهن وعيناه الكبيرتان الكئيبتان مركزتان على الأضواء البعيدة الصادرة عن كوخ (هاجريد) «هذا أمر مؤثر. لكن سم عنكبوت «أكرومنتولا» قيم جدًّا... لو كان هذا الوحش قد نفق لتوه فلعله لم يجف بعد... طبعًا ما كنتُ لأقدم على شىء مؤلم لو كان (هاجريد) قلقًا... ولكن لو كانت ثمة طريقة نتدبر بها أنفسنا... أقصد، من المستحيل الحصول على السم من عنكبوت «أكرومنتولا» وهو حى...».

كان يبدو أن (سلجهورن) يكلم نفسه أكثر من (هارى) الآن.

«... خسارة كبيرة ألا نجمعه... يمكن أن نحصل على مائة جالون لكل «باينت»... لأكون صريحًا معك، راتبى ليس كبيرًا».

الآن رأى (هارى) بوضوح ما ينبغى عمله.

قال بتردد مقنع للغاية «حسنٌ، لو أردتَ أن تأتى يا أستاذ، لربما فرح (هاجريد) فعلا... يودع (أراجوج) وداعًا لائقًا، تعرف...».

قال (سلجهورن) وقد لمعت عيناه بالحماس: «نعم، طبعًا، سأقول لك شيئًا يا (هارى)، سألقاك هناك ومعى قارورة أو قارورتان... الوحش المسكين... سنشرب... حسنٌ... ليس نخبه... ولكن سنودعه وداعًا أنيقًا، على أية حال، بمجرد أن يتم دفنه. وسأغير رباط عنقى، فهذا بهيج قليلاً على المناسبة...».

وانطلق عائدًا إلى القلعة وأسرع (هارى) إلى (هاجريد) فرحًا بنفسه.

قال (هاجريد) بصوت أجش حين فتح الباب ورأى (هارى) خارجًا من عباءة الإخفاء أمامه: «أجئت؟».

قال (هارى) «نعم، لكن (رون) و(هرميون) لم يستطيعا المجىء، وهما فى غاية الأسف».

«لا... لا يهم... ولكنه كان سيتأثر بمجيئك يا (هارى)...».

وأطلق (هاجريد) نشيجًا حارًا. كان قد صنع لنفسه عصابة سوداء ربطها على ذراعه مما بدا كأنه خرقة بالية غمست فى ورنيش أحذية، وعيناه كانتا منتفختين وحمراوين ومتورمتين. عزاه (هارى) بأن أخذ يربت على مرفقه وهو أعلى نقطة من (هاجريد) أمكنه أن يطولها بسهولة.

وسأله «أين سندفنه؟ فى الغابة؟».

قال (هاجريد) وهو يمسح عينيه الدامعتين بطرف قميصه: «طبعًا لا، العناكب الأخر لن يَدَعُونى أقترب من شباكها بعد أن راح (أراجوج). تبين أنها لم تلتهمنى بأوامر منه فقط! هل تصدق ذلك يا (هارى)؟».

كانت الإجابة الصادقة: «نعم»؛ وتذكر (هارى) بسهولة مؤلمة ذلك المشهد حين اضطر هو و(رون) لمواجهة عناكب «أكرومنتولا»، وكان واضحًا أن (أراجوج) هو الشىء الوحيد الذى منعها من التهام (هاجريد).

قال (هاجريد) وهو يهز رأسه: «ما من مكان في الغابة كنت أعجز عن دخوله من قبل. لم يكن من السهل الخروج بجثة (أراجوج) منها، يمكنني أن أخبرك... هي عادةً تلتهم موتاها، أتفهمني... ولكني أردت أن أعد له جنازة لطيفة... وداعًا لائقًا...».

وانفجر في النشيج من جديد وواصل (هاري) الربت على مرفقه قائلاً ما قال (لأن الجرعة على ما يبدو كانت تشير إلى أن هذا هو ما ينبغي عمله)، «الأستاذ (سلجهورن) قابلني وهو آتٍ إلى هنا يا (هاجريد)».

قال (هاجريد) وهو ينظر لأعلى في انزعاج «أنت لم تقع في متاعب، أليس كذلك؟ لا ينبغي لك أن تخرج من القلعة في المساء، أعرف ذلك، الذنب ذنبي...».

قال (هاري): «لا، لا. عندما استمع إليّ قال إنه يود أن يجيء ويلقي نظرة وداع على (أراجوج) هو أيضًا. وذهب ليلبس ثيابًا لائقة على ما أظن... وقال إنه سيأتي ببعض القوارير حتى يتسنى لنا أن نشرب في ذكرى (أراجوج)...».

قال (هاجريد) وهو ينظر في دهشة وتأثر معًا: «أهكذا؟ هذا... هذا لطف منه، هذا، كما أنه لن يبلغ عنك أيضًا. حقيقةً لم يكن لي صلة كبيرة بـ(هوريس سلجهورن) من قبل... ومع ذلك فهو آتٍ لوداع (أراجوج)، ها؟ حسنٌ، كان سيعجبه ذلك، كان سيعجب (أراجوج)...».

فكر (هاري) في نفسه بأن ما كان سيعجب (أراجوج) أكثر في (سلجهورن) هو كم اللحم الطري الوافر الذي كان سيمثله بالنسبة له، ولكنه اكتفى بالانتقال إلى جانب نافذة كوخ (هاجريد) حيث رأى المشهد الرهيب: العنكبوت النافق الضخم مستلقيًا على ظهره بالخارج وقد عُقصت قوائمه وتشابكت.

«هل سندفنه هنا يا (هاجريد)، في حديقتك؟».

قال (هاجريد) بصوت مخنوق «وراء رقعة اليقطين مباشرةً، هكذا فكرتُ. وحفرتُ الـ... أتعرف... القبر فعلاً. فكرتُ فى قول بضعة أشياء لطيفة عليه... ذكريات سعيدة، أتعرف...».

وارتعش صوته وتكسر. ودق الباب فاستدار ليجيبه وهو يُمخط أنفه فى منديله الكبير المنقوط. أسرع (سلجهورن) نحو عتبة الباب وفى ذراعيه عدد من القوارير ويرتدى رباط عنق أسود كئيبًا.

قال بصوت عميق وقور: «(هاجريد)، أسفتُ جدًّا لسماع نبأ خسارتك الفادحة».

قال (هاجريد): «هذا لطف كبير منك، شكرًا، كما أشكرك لعدم إقدامك على تذنيب (هارى) أيضًا...».

قال (سلجهورن) «ما كان هذا ليرد على خاطرى، يالها من ليلة حزينة، ليلة حزينة... أين هو المخلوق المسكين؟».

قال (هاجريد) بصوت يرتعش: «بالخارج، تفضلا... لنقوم باللازم إذن».

خرج ثلاثتهم إلى الحديقة الخلفية. كان القمر يتلألأ فى شحوب خلال الأشجار فتمتزج أشعته بالضوء الصادر عن نافذة (هاجريد) ليضىء جثة (أراجوج) المستلقية على حافة حفرة هائلة، بجوار كومة بارتفاع عشر أقدام من تراب حُفر حديثًا.

قال (سلجهورن) وهو يقترب من رأس العنكبوت حيث كانت ثمانى أعين مودعة تحدق مشدوهة فى السماء وكلابتان مقوستان ضخمتان تلمعان بلا حراك فى ضوء القمر: «رائع»! ظن (هارى) أنه سمع رنين القوارير عندما انحنى (سلجهورن) على الكلابتين يتأمل الرأس المشعر الضخم على ما يبدو.

قال (هاجريد) لظهر (سلجهورن) والدموع تنساب من ركنى عينيه المغضنين: «ليس كل الناس يقدرون جمالها. لم أكن أعلم أنك تهتم بمخلوقات مثل (أراجوج) يا (هوريس)».

قال (سلجهورن) وهو يتراجع عن الجثه: «اهتم! انا اجلها يا عريرى (هاجريد)». لمح (هارى) وميض قارورة يختفى تحت عباءته، ولو أن (هاجريد) وهو يمسح عينيه مرة أخرى لم يلحظ شيئًا. «والآن... هلا بدأنا الدفن؟»

أومأ (هاجريد) برأسه وتقدم. وأحاط العنكبوت العملاقة بذراعيه، ويصرخة مدوية دفعه إلى الحفرة المظلمة، فارتطم بالقاع بصوت مدوٍّ رهيب. وبدأ (هاجريد) فى البكاء من جديد.

قال (سلجهورن) الذى كان مثل (هارى) لا يصل من (هاجريد) إلا إلى مرفقه ولكنه أخذ يربت عليه مثله: «لم لا أقول بضع كلمات عزاء؟».

لابد أنه حصل على كثير من السم العالى الجودة من (أراجوج) كما جال بخاطر (هارى) لأن (سلجهورن) رسم على وجهه ابتسامة رضا متكلفة وهو يخطو نحو حافة الحفرة وقال بصوت بطىء مؤثر: «وداعًا يا (أراجوج) يا ملك العناكب، يا من لن ينسى من عرفوك صداقتك الطويلة المخلصة! وجثتك إن كانت ستتحلل فإن روحك ستظل باقية فى البقاع الهادئة بشباك بيتك فى الغابة. ليزدهر نسلك من متعددى الأعين وليجد أصدقاؤك من البشر السلوان على ما حل بهم من مصاب».

ولول (هاجريد) قائلاً: «كان هذا... كان هذا... جميلاً!» وارتمى على كومة الروث وهو يبكى بحرارة أكثر من أى وقت مضى.

قال (سلجهورن) وهو يلوح بعصاه السحرية: «هناك، هناك» فارتفعت كومة التراب الكبيرة ثم هوت بصوت ارتطام مكبوت نوعًا فوق العنكبوت النافق فشكلت رابية ملساء. «لندخل ونشرب شيئًا. أمسك جانبه الآخر يا (هارى)... نعم هكذا... اصعد يا (هاجريد)... أحسنت...».

وأودعا (هاجريد) فى مقعد إلى المائدة. أما (فانج) الذى كان يتوارى خوفًا فى سلته فى أثناء الدفن فجاء إليهم يمشى بخطوات خافتة ووضع رأسه الثقيل فى حجر (هارى) كالمعتاد. نزع (سلجهورن) سدادة إحدى قوارير النبيذ التى أحضرها معه.

طمـان (هـارى) وهـو يصب مـعظـم الـقـارورة الأولى فـى احد اكواب (هـاجريد) التى كـانت فـى حجم الدلو ويناولها لـ(هـاجريد) «فـحصتها كلها من السم؛ جعلتُ أحد جن البيوت يتذوق كل قارورة على حدة بعد ما حدث لصديقك المسكين يا (روبرت)».

رأى (هـارى) بعين عقله التعبير على وجه (هرميون) لو سمعت بسوء استغلال جن البيوت بهذه الصورة وقرر ألا يحكى لها عنه.

قـال (سـلـجـهـورن) وهـو يـقسّم قـارورة أخـرى عـلـى كـوبين: «واحـد لـ(هـارى)... وواحد لى. حسن» ثم رفع كوبه لأعلى قـائلاً: «نخب (أراجوج)».

قال (هـارى) و(هـاجريد) معًا: «أراجوج».

أفرط كل من (سلجهورن) و(هـاجريد) فى الشراب. أمـا (هـارى) بما أمامه من طريق تنيره الـ(فليكس فلسيس) فقد عرف أنه يجب ألا يشرب، فاكتفى بالتظاهر باحتساء رشفة ثم أعاد الكوب إلى المائدة أمامه.

قال (هـاجريد) فى كآبة: «اقتنيته وهو بيضة، أتعرف! كان مخلوقًا صغيرًا جميلاً حين فقس، كان فى حجم بطة بكينى تقريبًا».

قال (سلجهورن): «جميل».

«كنتُ أحتفظ به فى خزانة بالمدرسة إلى أن... حسن...».

وأظلم وجه (هـاجريد) وكان (هـارى) يعرف السبب: كان (توم ريدل) قد احتـال لطرد (هـاجريد) من المدرسة بتهمة فتح «غرفة الأسرار». إلا أن (سلجهورن) لم يبدُ عليه أنه كان منصتًا؛ كان ينظر لأعلى فى السقف حيث تدلى عدد من الأوانى النحاسية وخصلة حريرية طويلة من شعر أبيض براق.

«أليس هذا شعر حصان مقرن يا (هـاجريد)؟».

قال (هـاجريد) بغير اكتراث: «بلى، يتم انتزاعه من ذيولها، يمسكون بها على الأغصان وما إلى ذلك بالغابة، أتعرف...».

«ولكن يا فتاى العزيز، أوتدرى كم يساوى هذا؟».

قال (هاجريد) وهو يهز كتفيه: «أنا أستعمله فى الربط على الضمادات وهذه الأشياء حين يصاب مخلوق بأذى، إنه مفيد تمامًا... قوى جدًا، أتعرف».

تناول (سلجهورن) رشفة أخرى عميقة من كوبه، وأخذت عيناه تتنقلان فى أنحاء الكوخ بعناية باحثًا ـ كما أدرك (هارى) ـ عن مزيد من الكنوز قد يتمكن من تحويلها إلى مئونة وافرة لخمر السنديان المعتق والأناناس المبلور وسترات التدخين المخملية. أعاد ملء كوب (هاجريد) وكوبه واستجوبه عن المخلوقات التى تعيش فى الغابة هذه الأيام وكيف تمكن (هاجريد) من رعايتها جميعًا. وبعد أن أصبح (هاجريد) أكثر استرخاء تحت تأثير الشراب واهتمام (سلجهورن) المتملق توقف عن مسح عينيه ودخل سعيدًا فى شرح مطول عن رعاية الحيوانات وتدجينها.

وهنا لكزت الـ(فليكس فلسيس) (هارى) بوخزة خفيفة ولاحظ هو أن مئونة الشراب التى جاء (سلجهورن) بها كانت تنفد بسرعة. ولم يكن (هارى) قد تدبر بعد مسألة استحضار تعويذة إعادة الملء بدون نطق كلمات التعويذة بصوت مسموع، إلا أن فكرة أنه قد لا يتمكن من إنهاء مهمته الليلة كانت تثير الضحك؛ وبالفعل، تجهم (هارى) دون أن يلاحظه (هاجريد) أو(سلجهورن) (الذى كان يتبادل حكايات عن تجارة بيض التنين غير المشروعة) وأشار بعصاه السحرية من تحت المائدة إلى القوارير التى كادت تفرغ فبدأت تُملأ من جديد على الفور.

وبعد ساعة أو نحو ذلك بدأ (هاجريد) و(سلجهورن) فى تبادل أنخاب هزلية: نخب (هوجوورتس)، ونخب (دمبلدور) ونخب النبيذ الذى تصنعه الجن ونخب...

صاح (هاجريد) وهو يريق بعضًا من دلو نبيذه الرابع عشر على ذقنه وهو يتجرعه وقال: «(هارى بوتر)!».

صاح (سلجهورن) بصوت احدر علظه وهو يغمغم قائلا: «نعم، فعلا، (باري أوتر) الفتى المختار الذى ـ حسنٌ ـ شيء من هذا القبيل» وتجرع كويه أيضًا.

بعد ذلك بوقت غير طويل شرع (هاجريد) فى البكاء مرة أخرى وكدس بذيل الحصان المقرن كله فوق (سلجهورن) الذى وضعه فى جيبه وهو يصيح قائلاً: «نخب الصداقة! نخب الكرم! نخب عشرة غليونات للشعرة!»

ولمدة بعد ذلك ظل كل من (هاجريد) و(سلجهورن) جالسين جنبًا إلى جنب وكلٌ يحيط الآخر بذراعه، وأخذا يرددان أغنية حزينة بطيئة عن ساحر يحتضر اسمه (أودو).

غمغم (هاجريد) وقد تدلى على المائدة زائغ العينين قليلاً وهو يقول: «الطيبون يموتون شبابًا» بينما واصل (سلجهورن) الترنم بلازمة الأغنية «أبى لم يكن فى سن الموت... ولا كانت أمك وأبوك يا (هارى)...».

انسابت دموع ثخينة كبيرة من ركنى عينى (هاجريد) المغضنين مرة أخرى؛ وشد ذراع (هارى) وأخذ يهزه.

«أحسن ساحر وساحرة عرفتهما فى عصرهما... شيء رهيب... شيء رهيب...»

وأخذ (سلجهورن) يغنى فى أسى ويقول:

«و*(أودو) البطل حملوه وعادوا به إلى بلده*

إلى المكان الذى عرفه صبيًا

وأنزلوه ليستريح وقبعته مقلوبة

وعصاه السحرية انكسرت إلى قطعتين، كم كان هذا حزينًا»

تجهم (هاجريد) وقال: «... رهيب» وتدحرج رأسه الأشعث الضخم جانبًا على ذراعيه، وغلبه النوم، وأخذ يغط غطيطًا عميقًا.

قال (سلجهورن) وقد أصابه الفواق: «آسف، لا أستطيع أن أغنى لحنًا لأنقذ حياتى».

قال (هارى) فى هدوء: «لم يكن (هاجريد) يقصد غناءك، بل كان يتحدث عن موت أبى وأمى».

قال (سلجهورن) وهو يكبح تجشؤًا قويًا: «آه يا عزيزى، نعم، هذا كان... كان شيئًا رهيبًا فعلاً، رهيبًا... رهيبًا...»

كان يبدو فى حيرة تامة مما يقول، فعاد إلى ملء كوبيهما.

سأل بأسلوب يفتقر إلى الذوق قائلاً: «أنا لا... لا أعتقد أنك تتذكره يا (هارى)!».

قال (هارى) وعيناه على لهب الشمعة وهو يخفق فى غطيط (هاجريد) الثقيل: «لا... حسنٌ، كان عمرى سنة واحدة عندما توفيا. ولكنى اكتشفت الكثير عما حدث منذ ذلك الحين. أبى توفى أولاً. هل كنتَ تعلم ذلك؟».

قال (سلجهورن) بصوت خافت: «لم... لم أكن أعلم».

قال (هارى): «نعم... قتله (فولدمورت) ثم داس على جثته واستدار إلى أمى».

انتفض (سلجهورن) انتفاضة شديدة ولكنه لم يستطع أن ينتزع نظرته المتفرسة المذعورة عن وجه (هارى).

قال (هارى) بقسوة: «أمرها أن تتنحى عن الطريق. وقال لى: إنه لم يكن هناك داعٍ لموتها. لم يكن يريد سواى. كان بوسعها أن تهرب».

تنهد (سلجهورن) وقال: «آه ياعزيزى، كان يمكن أن... لم يكن ثمة داعٍ... هذا شىء بشع...».

قال (هارى) بصوت يزيد بالكاد عن الهمس: «فعلاً، أليس كذلك؟ ولكنها لم تتحرك. كان أبى قد مات فعلاً، ولكنها لم ترد لى أن أموت أنا أيضًا. حاولت أن تتوسل إلى (فولدمورت)... ولكنه أخذ يضحك...».

قال (سلجهورن) فجأة وهو رافع يدًا ترتعش: «كفى! فعلاً يا ولدى العزيز، كفى... فأنا شيخ... ولا داعى لأن أسمع... لا أريد أن أسمع...».

قال (هارى) كاذبًا حيث كانت الـ(فليكس فلسيس) تقوده: «نسيتُ. كنتَ معجبًا بها، أليس كذلك؟».

قال (سلجهورن) وعيناه مغرورقتان بالدموع مرة أخرى: «أمعجب بها؟ لا أتصور أن أحدًا قابلها ولم يعجب بها... كانت شجاعة جدًّا... مرحة جدًّا... كان أبشع شيء...».

قال (هارى): «ولكنك لن تساعد ابنها. هى وهبتنى حياتها ولكنك لن تعطينى ذاكرة».

كان غطيط (هاجريد) المدمدم يملأ الكوخ. نظر (هارى) بثبات فى عينى (سلجهورن) اللتين ملأتهما الدموع. أستاذ الوصفات السحرية بدا عاجزًا عن تحويل عينيه بعيدًا.

همس قائلاً: «لا تقل هذا، ليست مسألة... لو كانت ستساعدك طبعًا... ولكن لن تجدى نفعًا...».

قال (هارى) بوضوح: «قد تجدى. (دمبلدور) فى حاجة لمعلومات. أنا فى حاجة لمعلومات».

كان يعلم أنه فى أمان؛ (فليكس) كان يقول له: إن (سلجهورن) لن يتذكر شيئًا من هذا فى الصباح. مال (هارى) إلى الأمام قليلاً وهو ينظر إلى (سلجهورن) فى عينه مباشرةً.

«أنا المختار. لابد أن أقتله. أنا فى حاجة لهذه الذاكرة».

ازداد (سلجهورن) شحوبًا عن أى وقت مضى؛ جبهته اللامعة ومضت بالعرق.

«أأنت المختار؟».

قال (هارى) فى هدوء: «طبعًا أنا».

«ولكن... يا ولدى العزيز... أنت تطلب الكثير... أنت تطلب منى فى الحقيقة أن أعينك فى سعيك للقضاء على..»

«ألا تريد أن تتخلص من الساحر الذى قتل (ليلى إيفانز)؟».

«(هارى)، (هارى)، بالطبع أريد ولكن..».

«أنت تخاف أن يكتشف انك ساعدتنى».

لم يحر (سلجهورن) جوابًا؛ بل بدا عليه الهلع.

«كن شجاعًا كأمى يا أستاذ...».

رفع (سلجهورن) يدًا قصيرة وممتلئة وضغط بأصابعه المرتعشة على فمه؛ بدا للحظة كطفل تضخم كثيرًا.

وهمس من خلال أصابعه قائلاً: «أنا لست فخورًا...أنا أخجل مما .. مما تبينه هذه الذاكرة... أعتقد أنى ربما تسببت فى أذى كبير فى ذلك اليوم...».

قال (هارى): «ألغِ كل شىء فعلته بإعطائى الذاكرة. سيكون هذا منتهى الشجاعة والنبل منك».

انتفض (هاجريد) فى نومه ثم واصل غطيطه. كان (سلجهورن) و(هارى) يحدق كل منهما فى الآخر فوق الشمعة الذائبة. وساد صمت طويل طويل، إلا أن الـ(فليكس فلسيس) قالت لـ(هارى) ألا يكسره ثم ينتظر.

ثم ببطء شديد، مد (سلجهورن) يده فى جيبه وجذب عصاه السحرية. ووضع يده الأخرى داخل عباءته وأخرج قارورة خاوية صغيرة. ومس (سلجهورن) وهو لايزال ينظر فى عينى (هارى) صدغه بطرف عصاه السحرية وجذبها فخرج معها خيط فضى طويل من الذاكرة ملتصق بطرف العصا. وأخذت الذاكرة تتمدد وتطول إلى أن انقطعت وتدلت من العصا متلألئة بلون فضى. فأدخلها (سلجهورن) فى القارورة حيث التفت ثم تمددت وأخذت تموج كالدخان. وسد القارورة بسدادة بيد ترتعد ثم ناولها لـ(هارى) عبر المائدة.

«أشكرك كثيرًا يا أستاذ».

قال الأستاذ (سلجهورن) والدموع تسيل على وجنتيه الممتلئتين إلى شاربه الكث: «أنت صبى طيب. وعيناك كعينيها... ولكن لا تسئ الظن بى حين تراها...».

ووضع هو أيضًا رأسه على ذراعيه وأطلق تنهيدة عميقة ثم راح فى النوم.

٢٣ آل (هوركروكس)

أحس (هارى) بأن الـ(فليكس فلسيس) بدأ مفعولها يزول وهو ينسل عائدًا إلى القلعة، كان الباب الأمامى قد بقى غير موصد لأجله، إلا أنه التقى (بيفز) فى الطابق الثالث ولم يتجنب أن ينكشف أمره إلا بالتسلل على الأجناب عبر أحد طرقه المختصرة. وحين بلغ لوحة السيدة البدينة وخلع عباءة الإخفاء لم يفاجأ بأن يجدها فى أسوأ مزاج.

«أية مواعيد هذه؟».

«أنا فعلاً آسف ـ اضطررت أن أخرج لأمر غاية فى الأهمية ـ».

«حسنٌ، كلمة السر تغيرت فى منتصف الليل، لذا فلا مفر من أن تنام بالدهليز، أليس كذلك؟».

قال (هارى): «أنت تمزحين! وما الداعى لأن تتغير فى منتصف الليل؟».

قالت السيدة البدينة: «هذا ما حدث؛ لو كنتَ غاضبًا فاذهب وصب غضبك على الناظر، فهو الذى شدد الأمن».

قال (هارى) فى مرارة وهو يتلفت حوله وينظر إلى الأرضية الصلبة: «رائع! جميل فعلاً. نعم، كنت سأذهب وأصب غضبى على (دمبلدور) لو كان هنا، لأنه هو الذى أرادنى أن..».

قال صوت من وراء (هارى): «هو هنا، الأستاذ (دمبلدور) عاد إلى المدرسة منذ ساعة».

كان (نيك) شبه مقطوع الرأس ينسل نحو (هارى) ورأسه يتمايل كالمعتاد فوق طوق رقبته.

قال (نيك): «أخذتها من البارون الدموى الذى رآه آتٍ. وثبت حسب كلام البارون أنه فى حالة معنوية جيدة وإن كان مرهقًا قليلاً بالطبع».

قال (هارى) وقلبه يثب من مكانه: «أين هو؟».

«يئن ويدمدم بأعلى برج الفلك، فهذه سلواه الأثيرة ـ».

«لا أقصد البارون الدموى، بل (دمبلدور)!».

قال (نيك): «آه ـ بمكتبه. أعتقد مما قاله البارون أنه كان لديه عمل ينهيه قبل أن يخلد للنوم..».

قال (هارى) والإثارة تلتهب فى صدره فى انتظار أن ينبئ (دمبلدور) بحصوله على الذاكرة. أخذ يدور حول نفسه ثم انطلق مرة أخرى متجاهلاً السيدة البدينة التى أخذت تناديه من ورائه:

«عُد! لا بأس، كنت أكذب! ضايقنى أن أيقظتنى من نومى! كلمة السر كما هى: «دودة شريطية»!».

إلا أن (هارى) كان مندفعًا بطول الدهلين، وفى غضون دقائق كان يقول (طوفى إكليرز) (دمبلدور) الذى وثب جانبًا ليسمح لـ(هارى) بالدخول إلى السلم الحلزونى.

قال (دمبلدور) حين دق (هارى) الباب: «ادخل» وكان الإرهاق باديًا على صوته.

دفع (هارى) الباب ففتحه. كان مكتب (دمبلدور) يبدو كعهده أبدًا لكن السماء خلف نوافذه كانت سوداء تنتثر فوقها النجوم.

قال (دمبلدور) فى دهشة: «ياللسماء يا (هارى)! ما سبب زيارتك المتأخرة هذه؟!».

«سيدى ـ حصلتُ عليها. جئتك بالذاكرة من (سلجهورن)».

وأخرج (هارى) القارورة الصغيرة وأراها لـ(دمبلدور). للحظة أو لحظتين بدا الناظر مذهولاً، ثم انشق وجهه بابتسامة عريضة:

«(هارى)، هذا خبر مذهل! أحسنتَ فعلاً! كنت أعلم أنك ستستطيع!».

ونسى كل تفكيره عن تأخر الوقت، وأسرع من عند مكتبه وتناول قارورة ذاكرة (سلجهورن) بيده غير المصابة وهرول إلى الخزانة التى يحتفظ فيها بالمنخل.

قال (دمبلدور) وهو يضع الحوض الحجرى فوق مكتبه ويفرغ محتوى القارورة فيه: «والآن، الآن، أخيرًا، سنرى. (هارى)، عجِّل...»..

انحنى (هارى) فى طاعة فوق المنخل وأحس بقدميه تغادران أرضية المكتب... ومرة أخرى شعر بأنه يتخلل الظلام وهبط فى مكتب (هوريس سلجهورن) قبل سنين عديدة.

كان (هوريس سلجهورن) الأصغر كثيرًا، بشعره الأصفر الكث اللامع، وشاربه الأشقر المائل للبنى، جالسًا مرة أخرى فى المقعد المجنح الوثير بمكتبه، وقدماه مرتكزتان على بفة مخملية وممسكًا بكأس نبيذ صغيرة فى يدٍ ويفتش بالأخرى فى علبة أناناس مبلور. وكان معه ستة صبية فى سن المراهقة جالسين حول (سلجهورن) وفى وسطهم (توم ريدل)، وخاتم (مرفولو) الذهبى الأسود يلمع على إصبعه.

هبط (دمبلدور) بجانب (هارى) فى اللحظة التى سأل فيها (ريدل) قائلًا: «أصحيح سيدى أن الأستاذ (ميريثوت) سيتقاعد؟».

قال (سلجهورن) وهو يشير بإصبعه إلى (ريدل) معنفًا ولكنه يغمز بعينه فى الوقت نفسه: «(توم)، (توم)، حتى لو كنت أعرف ما كنت لأستطيع أن أقول لك. ولابد أن أقول، أود أن أعرف من أين أتيتَ بمعلوماتك يا فتى؛ أنت أكثر اطلاعًا من نصف هيئة الأساتذة».

فابتسم (ريدل)؛ وضحك الصبية الآخرون ورمقوه بنظرات إعجاب.

«كم من أشياء تعرفها بقدراتك الخارقة ولا ينبغى لك أن تعرفها، وإطراؤك الحذر لمن لهم أهمية، شكرًا لك على الأناناس بالمناسبة، أنت على حق، فهو المفضل عندى..».

فضحك عدد من الصبية ضحكة مكبوتة مرة أخرى.

«.. أنا أتوقع لك بكل ثقة أن ترتقى إلى منصب وزير السحر فى غضون عشرين سنة. بل خمس عشرة لو ظللتَ توافينى بالأناناس. فلدىَّ اتصالات ممتازة بالوزارة».

اكتفى (توم ريدل) بأن ابتسم بينما ضحك الآخرون مرة أخرى. ولاحظ (هارى) أنه لم يكن أكبر مجموعة الصبية سنًّا، ومع ذلك كان يبدو أنهم جميعًا يعتبرونه زعيمهم.

قال بعد أن خفت الضحك: «لا أدرى إن كانت السياسة تلائمنى يا سيدى. فليس لدىّ الخلفية المناسبة، هذا من ناحية».

ابتسم اثنان من الصبية حوله لبعضهما بعضًا فى تكلف. كان (هارى) على يقين من أنهما كانا يتبادلان مزحة خاصة بينهما؛ عما يعرفان بلا شك، أو عما كانا يتشككان فيه عن جد زعيم عصبتهم الشهير. قال (سلجهورن) فى خفة: «هراء، فمما لا شك فيه أنك منحدر من سلالة طيبة من السحرة، بقدرات كقدراتك. لا، ستبلغ شأوًا بعيدًا يا (توم)، لم تخطئ تقديراتى لأحد الطلاب بعد».

دقت الساعة الذهبية الصغيرة القائمة على مكتب (سلجهورن) وراءه مشيرة إلى الحادية عشرة فالتفت حوله.

«يا إلهى، هل تأخر الوقت هكذا فعلاً؟ يستحسن أن تمضوا أيها الفتيان، وإلا وقع جميعنا فى المتاعب. (ليسترانج)، أريد مقالك غدًا وإلا حكم عليك بالاحتجاز. وأنت أيضًا يا (أفيرى)».

غادر الصبية الغرفة واحدًا تلو الآخر. ونهض (سلجهورن) من مقعده وأخذ معه كأسه الفارغة إلى مكتبه. حركة من ورائه جعلته يلتفت حوله؛ كان (ريدل) لايزال واقفًا فى مكانه.

«اسمع جيدًا يا (توم)، أنت فى غنى عن أن تُضبط خارج فراشك بعد مواعيد النوم، وأنت كبير الـ...».

«سيدى، أردت أن أسألك عن شىء».

«سل إذن يا بنى، سل...».

«سيدى، ماذا تعرف عن... عن آل (هوركروكس)؟».

حدق فيه (سلجهورن) وربت بأصابعه الغليظة شاردًا على قاعدة كأسه.

«إنه «مشروع صد السحر الأسود»، أليس كذلك؟».

لكن (هارى) كان يدرك أن (سلجهورن) على علم تام بأن هذا لم يكن عملاً مدرسيًا.

قال (ريدل) «ليس تمامًا يا سيدى؛ مرت بى التسمية وأنا أقرأ ولم أفهمها تمامًا».

قال (سلجهورن) «لا... حسن... ستضطر إلى البحث عن كتاب فى (هوجوورتس) يمدك بتفاصيل عن آل (هوركروكس) يا (توم). فهذا سحر «أسود» جدًا، أسود جدًا فعلاً».

«ولكن من الواضح أنك تعرف كل شىء عنهم سيدى! أقصد أن ساحرًا مثلك ـ آسف، أقصد، لو لم يكن بوسعك أن تخبرنى فمن الواضح.. فقد عرفتُ أنه لو كان هناك من يستطيع أن يخبرنى فأنت تستطيع.. لذا فقد فكرت فى أن أسألك..».

فكر (هارى) فى نفسه أنه أحسن عملاً.. التردد والنبرة المتقطعة والتملق الحذر، لا شىء منها كان مبالغًا فيه. فقد كانت لديه ـ لدى (هارى) ـ خبرة كبيرة فى محاولة الحصول بالتملق على معلومات من أناس يتمنعون وكان قادرًا على تمييز المتمكن فى ذلك حين يراه. وأدرك أن (ريدل) فى حاجة ماسة للمعلومات؛ وربما ظل يحضِّر لهذه اللحظة طوال أسابيع.

قال (سلجهورن) دون أن ينظر إلى (ريدل) ولكنه أخذ يعبث بالشريط الذى يعلو علبة الأناناس المبلور: «حسنٌ، لا ضرر من أن أعطيك فكرة بالطبع لمجرد أن تفهم، التسمية. (هوركروكس) لفظ يطلق على شىء أخفى أحدهم جزءًا من روحه فيه».

قال (ريدل): «ولكننى لا أفهم تمامًا كيف يتم ذلك سيدى».

كان يتحكم فى صوته بعناية، إلا أن (هارى) أحس بنبرة الإثارة فيه.

قال (سلجهورن): «حسنٌ، أنت تقسِّم روحك، أتعرف؟ وتخفى جزءًا

منها فى شىء خارج جسدك، وهكذا فحتى لو هوجم جسدك أو هلك فإنك لا تموت، لأن جزءًا من روحك يظل مرتبطًا بالأرض ولا يلحق به أذى، إلا أن الوجود فى صورة كهذه بالطبع...».

وتغضن وجه (سلجهورن) ووجد (هارى) نفسه يتذكر كلمات كان قد سمعها قبل سنتين تقريبًا.

«*أنا انتُزعت من جسدى، كنت أقل من روح، أقل من أدنى شبح... ولكنى مازلتُ حيًا*».

«... قليل من الناس من يتمنى ذلك يا (توم)، قليل جدًا، الموت أفضل».

إلا أن نهم (ريدل) تبدى الآن؛ تعبيرات وجهه أصبحت تنم عن نهم، لم يعد يستطيع أن يخفىَ لهفته.

«وكيف تقسم روحك؟».

قال (سلجهورن) متبرمًا: «حسنٌ، لابد أن تفهم أن الروح يفترض أن تظل سليمة ومكتملة. وتقسيمها يعد عملاً مخالفًا، إنه ضد الطبيعة».

«ولكن كيف يتم ذلك؟».

«بعمل شرير ـ قمة أعمال الشر. بالقتل، فالقتل يمزق الروح. والساحر الذى يعكف على خلق (هوركروكس) يستغل الأذى لمصلحته؛ يغلف الوصفة السحرية الممزقة ـ».

«يغلف؟ ولكن كيف..؟».

قال (سلجهورن) وهو يهز رأسه كفيل عجوز ضايقه البعوض: «هناك تعويذة، ولا تسلنى، فأنا لا أعرف! هل أبدو كمن جربها من قبل.. هل أبدو كقاتل؟».

قال (ريدل) بسرعة: «لا سيدى، بالطبع لا. أنا آسف... لم أقصد أن أضايق...».

قال (سلجهورن) بفظاظة: «مطلقًا، مطلقًا، لم أتضايق، من الطبيعى أن يراودك بعض الفضول عن هذه الأشياء... والسحرة على درجة معينة ينجذبون دومًا لهذا الجانب من السحر...».

قال (ريدل): «نعم سيدى. لكن ما لا افهمه ـ مجرد فضول ـ اقصد هل (هوركروكس) واحد يعتبر كثيرًا؟ هل يمكن للمرء أن يقسم روحه مرة؟ ألا يستحسن أو ألا يقويك أن تقسِّم روحك إلى أكثر من قطعة؟ أقصد مثلاً أليست السبعة أقوى الأرقام السحرية، ألا يمكن للسبعة.. ؟».

قال (سلجهورن) بصوت كالعواء «ياللسماء يا (توم)! السبعة! ألا يكفيك سوءًا أن تفكر فى قتل إنسان؟ وعلى أى الأحوال... فهو عمل به من الشر ما يكفى لتقسيم الروح... أما تمزيقها إلى سبعة أجزاء...».

بدا الضيق الشديد على (سلجهورن) الآن؛ كان يحدق فى (ريدل) كأنه لم يسبق أن رآه بوضوح من قبل وأدرك (هارى) أنه ندم على بدء الحوار أصلاً.

غمغم قائلاً: «طبعًا، هذا كله افتراضى، ما نناقشه، أليس كذلك؟ كله أكاديمى...».

قال (ريدل) بسرعة: «بلى سيدى، طبعًا».

«ولكن على أى حال يا (توم)... أخفِ الأمر، كل ما قلته لك ـ أى ما ناقشناه. فالناس لا يعجبهم أن يعتقدوا أننا نتحدث عن الـ(هوركروكس). فهو موضوع محظور فى (هوجوورتس)، أتعرف... (دمبلدور) شرس جدًا فى هذا الصدد...».

قال (ريدل): «لن أبوح بكلمة سيدى»، ثم مضى ولكن بعد أن ألقى (هارى) نظرة خاطفة على وجهه الذى كان مفعمًا بتلك السعادة نفسها التى اكتسى بها أول ما اكتشف أنه ساحر، نوع من السعادة لم يعزز ملامحه الوسيمة، بل جعلها بصورة ما أقل إنسانية...

قال (دمبلدور) فى هدوء «شكرًا يا (هارى). هيا بنا...»

عندما هبط (هارى) عائدًا على أرضية المكتب كان (دمبلدور) جالسًا بالفعل وراء مكتبه، وجلس (هارى) أيضًا وانتظر (دمبلدور) حتى يتكلم.

أخيرًا قال (دمبلدور) «كنت أتطلع إلى الحصول على هذا الدليل منذ أمد بعيد. فهو يؤكد النظرية التى أعمل عليها، عرفت منه أنى على حق وأن هناك طريقًا طويلاً لايزال ينبغى السير فيه...».

فجأة لاحظ (هارى) ان كلا من النظار والناظرات القدامى المصورين فى اللوحات المعلقة على الجدران من حوله كان يقظًا ومنصتًا لحوارهما. وهناك ساحر بدين أحمر الأنف كان قد اقتلع بوق إحدى أذنيه فعلاً.

قال (دمبلدور): «حسنٌ يا (هارى)، أنا متأكد أنك أدركتَ مدى أهمية ما سمعنا لتونا، ففى سنك أو أكبر ببضعة أشهر أو أصغر كان (توم ريدل) يعمل كل ما بوسعه ليحقق لنفسه الخلود».

سأله (هارى): «أتظن أنه أفلح سيدى؟ هل صنع (هوركروكس)، ولذلك لم يمُت عندما هاجمنى؟ كان لديه (هوركروكس) مخبأ فى مكان ما؟ جزء من روحه كان آمنًا؟».

قال (دمبلدور) «جزء... أو أكثر، أنت سمعتَ (فولدمورت)؛ ما أراده بصفة خاصة من (هوريس) كان رأيه فيما يحدث للساحر إذا خلق أكثر من (هوركروكس) واحد، أى ما يحدث لساحر يصل عزمه على تفادى الموت إلى حد أن يكون مستعدًا للقتل مرات عدة وأن يمزق روحه مرارًا وتكرارًا حتى يخزنها فى العديد من الـ(هوركروكس) مخبأة كل على حدة، وما من كتاب كان سيمده بهذه المعلومات. وعلى حد علمى - وعلى حد علم (فولدمورت) أيضًا بكل تأكيد - ما من ساحر قام بما هو أكثر من شطر روحه إلى نصفين».

توقف (دمبلدور) لبرهة يرتب أفكاره ثم قال: «منذ أربع سنوات تسلمت ما اعتبرته دليلاً قاطعًا على أن (فولدمورت) كان قد شطر روحه».

سأله (هارى): «أين؟ وكيف؟».

قال (دمبلدور): «أنت سلمتنى إياه يا (هارى).. المفكرة.. مفكرة (ريدل)، تلك التى تتضمن تعليمات عن كيفية إعادة فتح «غرفة الأسرار».

قال (هارى) «لا أفهم يا سيدى».

«مع أنى لم أرَ (ريدل) الذى خرج من المفكرة فإن ما وصفتَ لى كان ظاهرة لم أشهدها قط، مجرد ذاكرة بدأت تتصرف وتفكر من تلقاء

نفسها. مجرد ذاكرة تمتص الحياة من فتاة كانت قد وقعت في يدها. لا، هناك شيء أعظم شرًا كان يحيا داخل ذلك الكتاب... شطرة من روح، كنت متأكدًا من ذلك، المفكرة كانت عبارة عن (هوركروكس). لكن هذا أثار من التساؤلات بقدر ما أجاب، وما أثار انتباهي ونبهني أكثر هو أن تلك المفكرة كان القصد أن تكون سلاحًا بقدر كونها ضمانًا».

قال (هاري) «مازلتُ لا أفهم».

«حسنٌ، حققت ما ينبغي لأية (هوركروكس) أن تحققه ـ أي إن ذلك الجزء من الروح المخبأ بداخلها ظل آمنًا ولعب دوره في الحيلولة دون موت صاحبه، ولكن لم يكن ثمة شك في أن (ريدل) كان يريد لتلك المفكرة أن تُقرأ فعلاً، كان يريد لذلك الجزء من روحه أن يسكن غيره أو يستحوذ على غيره بحيث ينطلق وحش (سليذرين) من جديد».

قال (هاري): «حسنٌ، هو لم يكن يريد لجهده أن يضيع سدًى. كان يريد للناس أن يعلموا أنه وريث (سليذرين)؛ لأنه لم يكن يحظى بذلك الشرف آنذاك».

قال (دمبلدور) وهو يهز رأسه: «صحيح تمامًا، ولكن ألا ترى يا (هاري) أنه لو كان يقصد أن تنتقل المفكرة لأحد طلاب (هوجوورتس) في المستقبل أو أن تنغرس فيه، فإنه كان غير مكترث بتلك القطعة الثمينة من روحه والمخبأة فيها، فالهدف من أية (هوركروكس) كما أوضح الأستاذ (سلجهورن) هو أن تحفظ جزءًا من النفس مخبأ وآمنًا لا أن تلقى به في طريق أحد فيعرضه لاحتمال الهلاك ـ كما حدث فعلاً، فتلك القطعة من الروح لم يعد لها وجود؛ وأنت رأيتَ تلك.

«اللامبالاة التي كان (فولدمورت) ينظر بها إلى هذه الـ(هوركروكس) بدت لي كأقصى نذر الشر، فقد أوحت بأنه لابد أن صنع ـ أو كان يخطط لصنع ـ المزيد من الـ(هوركروكس) بحيث لا يضيره ضياع الأولى. لم أكن أود أن أصدق ذلك، ولكن لا شيء آخر كان يبدو معقولاً.

ثم أخبرتنى أنت بعد ذلك بعامين أن (فولدمورت) ليلة أن عاد إلى جسده أدلى ببيان واضح وينذر بالخطر لـ(آكلى الموت) قال فيه: «*أنا الذى ذهب أبعد من أى أحد غيره على الطريق المفضى للخلود*». هذا ما قلتَ أنت لى إنه قاله. «أبعد من أى أحد غيره». وكنت أظن أنى أعرف معنى هذه العبارة مع أن (آكلى الموت) لم يعرفوا، كان يقصد الـ(هوركروكس) بصيغة الجمع يا (هارى)، وهو ما لا أظن أن ساحرًا آخر فعله من قبل. ولكن كان الأمر يبدو كذلك؛ فإنسانية اللورد (فولدمورت) وبشريته كانت تقل بمرور السنين، والتحول الذى تعرض له بدا لى أنه التفسير الوحيد لو تشوهت روحه وراء عوالم ما قد نسميه الشر المعتاد...».

قال (هارى) «إذن فقد جعل نفسه غير قابل للقتل بقتله الآخرين؟ ولم يستطع أن يصنع حجر فيلسوف أو يسرق واحدًا مادام مهتمًّا بالخلود بهذه الدرجة؟».

قال (دمبلدور) «حسنٌ، نحن نعلم أنه حاول أن يصنعه، منذ خمس سنوات، لكنّ هناك أسبابًا عدة فى اعتقادى تجعل حجر الفيلسوف أقل جاذبية من قطع الـ(هوركروكس) بالنسبة للّورد (فولدمورت).

«ففى حين أن إكسير الحياة يطيل العمر فعلاً فإنه لابد من تناوله بانتظام وإلى الأبد لو أراد شاربه أن يبقى على خلوده، من ثم كان (فولدمورت) سيضطر للاعتماد على الإكسير، وإن نفد منه أو تلوث أو لو سُرق الحجر يموت كأى إنسان. و(فولدمورت) يحب أن يعمل وحده، تذكر ذلك. وأظن أنه كان سيعتبر فكرة الاعتماد ولو على الإكسير غير محتملة، كان بالطبع مستعدًا لتناوله لو كان سينقله من حالة الحياة الجزئية التى حكم عليه بها بعد مهاجمتك، ولكن لا لشىء إلا لكى يعود إلى جسد، ومنذ ذلك الحين فصاعدًا، أنا على يقين من أنه عزم أن يواصل الاعتماد على أجزاء روحه؛ ما كان ليحتاج لشىء آخر لو أنه تمكن من العودة إلى صورة بشر، كان خالدًا بالفعل، أتدرى... أو كان أقرب ما يمكن لبشر أن يبلغه من الخلود.

«أما الآن يا (هارى) وقد تسلحنا بالمعلومات وبالذاكرة الحاسمة التى نجحتَ فى الحصول عليها لنا، فقد أصبحنا أقرب إلى سر القضاء على اللورد (فولدمورت) من أى أحد من قبل، أنت سمعته يا(هارى) وهو يقول: «ألا يستحسن أو ألا يقويك أن تقسِّم روحك إلى أكثر من قطعة؟ أليست السبعة أقوى الأرقام السحرية؟» «بلى، أعتقد أن فكرة الروح المقسمة إلى سبعة أجزاء كانت ستروق كثيرًا للورد (فولدمورت)».

قال (هارى) فى هلع بينما أحدث عدد من الصور المعلقة على الجدران ضجيجًا يشى بالصدمة والغضب: «أتراه صنع سبعة من الـ(هوركروكس)؟ ولكنها قد تكون فى أى مكان فى العالم - مخبأة - مدفونة أو خفية..».

قال (دمبلدور) فى هدوء: «يسرنى أنك تقدر فداحة المشكلة. ولكن أولاً، لا يا (هارى)، لم يصنع سبعة أجزاء من روحه، بل ستة. أما الجزء السابع من روحه فمهما تشوه فهو باقٍ فى داخل جسده الذى بُعث من جديد، وهذا الجزء منه هو الذى عاش حياة طيفية طوال هذه السنين فى منفاه؛ وبدونه فلا ذات له على الإطلاق، هذه القطعة السابعة من الروح ستكون آخر ما ينبغى لأى شخص يريد قتل (فولدمورت) أن يهاجمها - إنها القطعة التى تحيا فى جسده».

قال (هارى) فى شىء من اليأس: «ولكن أجزاء الروح الستة، كيف لنا أن نعثر عليها؟».

«أنت تنسى... أنت قضيتَ على واحد منها فعلاً. وقضيتُ أنا على جزء آخر».

قال (هارى) فى لهفة: «أنت فعلتَ؟».

قال (دمبلدور): «نعم فعلت» ورفع يده الداكنة التى تبدو كالمحروقة: «الخاتم يا (هارى)، خاتم (مارفولو). وكانت هناك لعنة رهيبة عليه

أيضًا. ولولا براعتى الخارقة ـ اغفر لى عدم تواضعى ـ ولولا تصرف الأستاذ (سناب) فى الوقت المناسب حين عدتُ إلى (هوجوورتس) جريحًا يائسًا لما عشتُ لأحكى الحكاية. ومع ذلك فإن يدًا مشلولة لا تعد ثمنًا بخسًا لسابع أجزاء روح (فولدمورت). فالخاتم لم يعد (هوركروكس)».

«ولكن كيف عثرتَ عليه؟».

«حسنٌ، كما تعلم الآن جعلتُ شغلى الشاغل لسنين طويلة أن أكتشف أكبر قدر ممكن عن حياة (فولدمورت) فى الماضى. سافرتُ كثيرًا وزرت الأماكن التى كان يعرفها. وعثرت على الخاتم مخبأ بين أطلال بيت آل (جاونت). ويبدو أنه ما أن أفلح (فولدمورت) فى إيداع قطعة من روحه فيه حتى لم يعد يريد أن يضعه فى إصبعه. فخبأه وحماه برقى سحرية قوية عديدة فى الكوخ الذى عاش فيه أسلافه. كان (مورفين) قد نُقل إلى (أزكابان) بالطبع ولم يظن أنى سأكلف نفسى عناء زيارة الأطلال يومًا أو أنى قد أكون متتبعًا آثار الاختفاء السحرى.

«ومع ذلك فلا ينبغى أن نهنئ أنفسنا بحماس أكثر من اللازم. أنت قضيتَ على المفكرة وأنا الخاتم، ولكن لو صحت نظريتنا عن روح من سبعة أجزاء فإنه يبقى هناك أربعة (هوركروكس)».

قال (هارى): «ويمكن أن يكونوا أى شىء؟ قد يكونون علب صفيح قديمة أو، لا أدرى، قوارير جرعات فارغة...».

«أنت تفكر فى (بورتكيز) يا (هارى)، وهى لابد أن تكون أشياء عادية يسهل تجاهلها ولكن أن يستعين اللورد (فولدمورت) بعلب صفيح أو قوارير جرعات قديمة لحفظ روحه الغالية.. أنت تنسى ما أريتك إياه. فاللورد (فولدمورت) كان يهوى جمع التذكارات، وكان يؤثر الأشياء التى لها تاريخ سحرى قوى. كبرياؤه وإيمانه بتفوقه وإصراره على أن يحفر لنفسه مكانًا فى تاريخ السحر؛ هذه الأمور كلها توحى لى بأن (فولدمورت) اختار قطع الـ(هوركروكس) الخاصة به بعناية مؤثرًا أشياء تستحق هذا الشرف».

«والمفكرة لم تكن تستحق».

«المفكرة كما قلتَ أنت كانت دليلاً على أنه وريث (سليذرين)، وأنا متأكد من أن (فولدمورت) اعتبرها ذات أهمية غير عادية».

قال (هارى): «إذن ماذا عن قطع الـ(هوركروكس)؟ هل تعتقد أنك تعرف ما هى سيدى؟».

قال (دمبلدور): «لا يسعنى إلا أن أحدس، فللأسباب التى ذكرتُ، فإنى أعتقد أن اللورد (فولدمورت) سيفضل الأشياء التى تتسم فى حد ذاتها بدرجة ما من الجلال. لذا فقد بحثت فى ماضى (فولدمورت) عسى أن أعثر على دليل على وجود أشياء كهذه اختفت من حوله».

قال (هارى) بصوت مسموع: «العلبة الثمينة، كأس (هافلباف)!».

قال (دمبلدور) مبتسمًا: «نعم، وأنا مستعد للمراهنة لا على يدى الأخرى، بل على إصبعين منها على أنهما أصبحتا قطعتى الـ(هوركروكس) الثالثة والرابعة. أما الاثنتان الباقيتان مرة أخرى على افتراض أنه صنع ستًّا، فهما يمثلان مشكلة أكبر، ولكنى سأجازف بحدس، فبعد أن أمَّن الأشياء التى حصل عليها من (هافلباف) و(سليذرين) انطلق يبحث عن أشياء يمتلكها (جريفندور) أو(رافينكلو). أربعة أشياء من المؤسسين الأربعة لابد أن كانت لها جاذبية قوية فى مخيلة (فولدمورت). لا أستطيع أن أجيب عما إذا كان قد أفلح فى العثور على شىء من ممتلكات (رافينلكو). ولكنى واثق من أن التذكار الوحيد المعروف من (جريفندور) يظل آمنًا».

وأشار (دمبلدور) بأصابعه الداكنة إلى الجدار من ورائه حيث كان هناك سيف مرصع بالياقوت يرقد فى علبة زجاجية.

قال (هارى): «هل تعتقد أن هذا هو سبب رغبته الشديدة فى العودة إلى (هوجوورتس) سيدى؟ ليحاول أن يجد شيئًا من ممتلكات المؤسسين الأربعة؟».

قال (دمبلدور): «هذا ما أفكر فيه تمامًا، ولكن هذا للأسف لا يأخذنا

خطوة للأمام، لأنه فى اعتقادى طُرد دون أن تسنح له الفرصة للبحث فى المدرسة. لذا فأنا مضطر لاستنتاج أنه لم يحقق أمله فى جمع أربعة أشياء من ممتلكات المؤسسين الأربعة. المؤكد أنه حصل على شيئين - ربما عثر على ثلاثة أشياء - وهذا أفضل ما بوسعنا التوصل إليه الآن».

قال (هارى) وهو يعد على أصابعه: «حتى لو حصل على شىء يخص (رافينكلو) أو(جريفندور)، فيبقى هناك (هوركروكس) سادس، ما لم يكن اثنان منها معه؟».

قال (دمبلدور): «لا أعتقد ذلك، أظننى أعرف ما هو الـ(هوركروكس) السادس، وإنى لأتساءل عما ستقول حين أعترف بأنى كنتُ مهتمًا لبعض الوقت بسلوك الأفعى (نايجينى)؟».

قال (هارى) مذهولاً: «الأفعى؟ هل يمكن الاستعانة بحيوانات لتكون (هوركروكس)؟»

قال (دمبلدور): «حسنٌ، لا يُنصح بذلك، لأن إيداعك جزءًا من روحك فى شىء يفكر ويتحرك بذاته هو أمر يعد من قبيل المجازفة، ولكن لو صحت حساباتى فإن (فولدمورت) كان ينقصه (هوركروكس) واحد ليصل إلى هدفه بإيجاد ستة حين دخل بيت والديك بنية قتلهما.

«ويبدو أنه احتفظ بعملية صنع قطع الـ(هوركروكس) لميتات ذات أهمية خاصة، وكنتَ أنت ذلك بكل تأكيد. إذ كان يؤمن بأنه بقتلك يقضى على الخطر الذى أنذرته به النبوءة، كان يعتقد أنه كان يجعل نفسه لا يُقهر، وأنا على يقين من أنه كان يعتزم أن يصنع قطعة الـ(هوركروكس) الأخيرة بموتك.

وقد أخفق كما نعلم. ولكنه بعد فاصل دام سنين عدة استعان بـ(نايجينى) لقتل رجل مسن من العامة، وربما عنّ له أن يحولها إلى آخر قطع الـ(هوركروكس). فهى تؤكد مسألة (سليذرين) التى تدعم لغز اللورد (فولدمورت). وأظن أنه مغرم بها لأقصى حد؛ ويحب بالتأكيد أن يبقيها قريبة منه ويبدو أنه له قدر غير عادى من السيطرة عليها حتى

لتكون (لغة الثعابين)».

قال (هارى): «إذن فقد هلكت المفكرة وهلك الخاتم. ولاتزال الكأ، والعلبة والأفعى سليمة وأنت تعتقد أنه قد يكون هناك قطعة (هوركروكس ممثلة فى شيء يخص (رافينكلو) أو(جريفندور)؟».

قال (دمبلدور) وهو يحنى رأسه: «إيجاز بارع ودقيق جدي بالإعجاب، نعم».

«إذن... فأنت مازلتَ تبحث عنها سيدى؟ ألهذا السبب كنتَ تغيب عن المدرسة؟».

قال (دمبلدور) «هذا صحيح، فأنا أبحث منذ مدة طويلة. وأعتقد... ق أكون على وشك العثور على قطعة أخرى، فهناك أمارات تبشر بالأمل»

قال (هارى) بسرعة: «وإذا وجدتها هل يمكننى أن آتى معك لأساعدك فى التخلص منها؟».

نظر (دمبلدور) إلى (هارى) بتركيز شديد قبل أن يجيب قائلاً: «نعم أعتقد ذلك».

قال (هارى) وهو مشدوه بمعنى الكلمة: «أيمكننى؟».

قال (دمبلدور) وهو يبتسم قليلاً: «نعم، فأنا أظن أن هذا حقٌ لك اكتسبته بنفسك».

أحس (هارى) بأن قلبه يُقتلع من مكانه؛ طاب له ألا يسمع كلمات تحذير وحماية ولو لمرة واحدة. فبدا النظار والناظرات المعلقة صورهم على الجدران أقل انبهارًا بقرار (دمبلدور)؛ رأى (هارى) ثلة منهم يهزون رءوسهم، بل إن (فينياس نيجلوس) أصدر صوتًا يعبر عن سخطه.

سأل (هارى) متجاهلاً الصور: «وهل يعلم (فولدمورت) حين يتم القضاء على إحدى قطع الـ(هوركروكس) سيدى؟ هل يحس بذلك؟».

«هذا سؤال فى غاية الأهمية يا (هارى): لا أعتقد ذلك، أظن أن (فولدمورت) منغمس حاليًا فى الشر، وهذه الأجزاء الحيوية من نفسه فُصلت

عنه منذ أمد بعيد لدرجة أنه لا يحس حين نفعل ذلك، ربما يدرك خسارته عند لحظة الموت... ولكنه لم يدرك مثلاً أن المفكرة تم تدميرها إلا حين انتزع الحقيقة من (لوكيوس مالفوى). وعندما اكتشف (فولدمورت) أن المفكرة شُوهت وجُردت منها جميع قواها بلغنى أن غضبه أبشع من أن يشاهَد».

«ولكنى ظننتُ أنه قصد أن يقوم (لوكيوس مالفوى) بتهريبها إلى داخل (هوجوورتس)؟».

«نعم كان هذا قصده قبل سنين حين أيقن أنه سيتمكن من خلق المزيد من الـ(هوركروكس)، ولكن مع ذلك كان يفترض من (لوكيوس) أن ينتظر أمر (فولدمورت) الحاسم، ولكنه لم يصله إذ سرعان ما اختفى (فولدمورت) بعد إعطائه المفكرة. لا شك أنه ظن أن (لوكيوس) لن يجرؤ على الإقدام على عمل شىء بالـ(هوركروكس) سوى حراستها بكل عناية، ولكنه كان يعتمد أكثر من اللازم على خوف (لوكيوس) من سيد اختفى منذ سنين، وظن (لوكيوس) أنه مات. ولم يكن (لوكيوس) يعرف كنه المفكرة وحقيقتها بالطبع، وأنا أفهم أن (فولدمورت) كان قد أبلغه أن المفكرة ستؤدى إلى إعادة فتح حجرة الأسرار، لأنها كانت مسحورة ببراعة. ولو علم (لوكيوس) أنه يمتلك بين يديه جرعة من روح سيده فلا شك أنه كان سيعاملها بجلال أكبر - ولكنه بدلاً من ذلك واصل طريقه ونفذ خطته القديمة سعيًا لمصلحته الخاصة؛ فبزرعه المفكرة على ابنة (آرثر ويسلى) كان يأمل أن يشوه سمعة (آرثر) وأن يتسبب فى طردى من (هوجوورتس) وأن يتخلص من شىء إجرامى للغاية بضربة واحدة. آه يا (لوكيوس) أيها المسكين... ففى وجود نقمة (فولدمورت) على تخلصه من الـ(هوركروكس) فى سبيل مصلحته الخاصة وفشله فى الوزارة السنة الماضية فإننى لن أندهش لو فرح سرًا بوجوده فى أمان فى (أزكابان) فى هذه اللحظة».

ظل (هارى) يفكر لبرهة، ثم سأل قائلاً: «وإذا تم القضاء على جميع

قطع الـ(هوركروكس) الخاصة بـ(فولدمورت) فهل يمكن قتله؟».

قال (دمبلدور) «نعم، أظن ذلك. فبدون قطع الـ(هوركروكس) يصبح (فولدمورت) بشرًا فانيًا بروح ناقصة شائهة، ولكن لا تنس أن روحه قد تكون أصيبت بأذى يستحيل إصلاحه، لكن عقله وقوته السحرية يظلان سليمين. والأمر يحتاج إلى براعة وقوة فائقتين لقتل ساحر مثل (فولدمورت)، حتى بدون قطع الـ(هوركروكس)».

قال (هارى) قبل أن يتمكن من منع نفسه: «ولكنى ليس لدىّ براعة وقوة فائقتان».

قال (دمبلدور) فى حزم: «نعم لديك، لديك قوة لم يحظ بها (فولدمورت) فى حياته. لديك..».

قال (هارى) متبرمًا: «أعرف، لدىّ المحبة!» وتمالك نفسه من أن يضيف قائلاً: «وما الفائدة؟».

بدا (دمبلدور) كأنه مع ذلك يعلم تمام العلم ما أحجم (هارى) عن قوله فقال: «نعم يا (هارى)، لديك المحبة، وهذا شىء عظيم ومتميز لو أخذنا كل ما حدث لك فى الحسبان، أنت لاتزال أصغر من أن تدرك مدى تميزك يا (هارى)».

سأله (هارى) وهو يشعر بقدر من الخذلان: «إذن فحين تقول النبوءة إنى سأحظى «بقوة لا يعرفها سيد الظلام» فهذا معناه.. المحبة؟».

قال (دمبلدور): «نعم.. مجرد المحبة. ولكن لا تنس يا (هارى) أن ما تقوله النبوءة لا أهمية له إلا لأن (فولدمورت) شاء ذلك. أنا قلتُ لك هذا فى أواخر السنة الماضية، فقد ميزك (فولدمورت) دون غيرك بأنك ستكون أخطر شخص عليه ـ وبذلك جعلك دون غيرك الشخص الذى سيكون الأخطر عليه!».

«لكن المحصلة واحدة..».

قال (دمبلدور) الذى بدا عليه نفاد الصبر الآن: «لا، ليست واحدة!»، ثم أشار إلى (هارى) بيده الداكنة المشلولة وقال: «أنت تولى النبوءة أهمية

أكبر من اللازم!».

فغمغم (هارى) قائلاً: «ولكن، ولكنك قلتَ إن النبوءة تعنى..».

«لو لم يكن (فولدمورت) قد سمع بأمر النبوءة قط فهل كانت ستتحقق؟ هل كانت ستعنى أى شىء؟ بالطبع لا! هل تعتقد أن كل نبوءة فى «قاعة النبوءات» تتحقق؟».

قال (هارى) فى حيرة: «ولكن... ولكنك قلتَ فى العام الماضى: إن أحدنا سيقتل الآخر..».

«(هارى)، (هارى)، هذا لمجرد أن (فولدمورت) وقع فى خطأ جسيم وتصرف بناء على كلمات الأستاذة (تريلاونى)! لو لم يكن (فولدمورت) قد قتل أباك فهل كان سيضرم فيك رغبة عارمة فى الثأر؟ بالطبع لا! لو لم يكن قد أرغم أمك على الموت من أجلك فهل كان سيضفى عليك حماية سحرية يعجز عن اختراقها؟ بالطبع لا يا (هارى)! ألا تدرك؟ (فولدمورت) أوجد ألد أعدائه بنفسه كما يفعل الطغاة فى كل مكان! هل تعلم مدى خوف الطغاة ممن يقهرون؟ كلهم يدركون أن من بين ضحاياهم سيظهر يومًا من يثور ويثأر! و(فولدمورت) لا يختلف عنهم! فقد كان دائمًا يبحث عمن سيتحداه. وقد سمع النبوءة وانبرى للعمل، والنتيجة أنه انتقى أرجح من سيقضى عليه وأعطاه أسلحة فتاكة فريدة من نوعها!».

«ولكن..».

قال (دمبلدور) وهو ينهض ويذرع الغرفة جيئة وذهابًا وثوبه اللامع يزحف فى أثره، ولم يسبق لـ(هارى) أن رآه بهذا التوتر: «من الضرورى أن تدرك ذلك! (فولدمورت) بمحاولته قتلك حدد الشخص المتميز الذى يجلس هنا أمامى وأعطاه أدوات قتله! الذنب ذنب (فولدمورت) فى أنك صرتَ قادرًا على اختراق أفكاره ومطامحه، بل فى فهمك لغة الأفاعى التى يصدر بها أوامره، ولكن يا (هارى) على الرغم من بصيرتك الفذة داخل عالم (فولدمورت) (وهى هبة يقدِم أى (آكل الموت) على القتل حتى يحظى بها) فإنك لم تخضع لإغراءات «السحر الأسود» ولم تساورك ولو

للحظة أدنى رغبة فى أن تصبح من أتباع (فولدمورت)!».

قال (هارى) فى سخط: «بالطبع لا! فهو قاتل أمى وأبى!».

قال (دمبلدور) بصوت مسموع: «أنت يإيجاز محمىٌ بقدرتك على الحب! وهى الحماية الوحيدة التى يمكن أن تصد إغراء قوة كقوة (فولدمورت)! فعلى الرغم من الإغراءات التى تعرضتَ لها وكل المعاناة التى تحملتَ فإنك بقيتَ على صفاء قلبك، صفاء لا يقل عن صفائك حين كنتَ فى الحادية عشرة من عمرك عندما حدقتَ فى مرآة عكست رغبة قلبك ولم تر فيها إلا السبيل لصد (فولدمورت) وليس الخلود أو الثراء. (هارى)، هل تعلم أن قليلاً من السحرة من كان سيرى ما رأيتَ فى تلك المرآة؟ كان على (فولدمررت) من ثم أن يعرف من الذى يقف أمامه، ولكنه لم يفعل!

«ولكنه يعرف الآن. أنت حلقتَ فى عقل اللورد (فولدمورت) دون أن تلحق بنفسك أذى، ولكنه لا يستطيع أن يستحوذ عليك دون التعرض لمحنة الفناء كما اكتشف بالوزارة، أنا لا أعتقد أنه فهم السبب يا (هارى)، ولكنه تعجل تشويه روحه، فلم يتوقف ليدرك القوة التى لا تقارن بالروح حين تكون نقية وغير ملوثة».

قال (هارى) وهو يبذل جهودًا مضنية لكيلا يبدو مولعًا بالجدل: «ولكن سيدى، النتيجة واحدة، أليس كذلك؟ ينبغى لى أن أحاول وأقتله، وإلا..».

قال (دمبلدور): «ينبغى لك؟ بالطبع ينبغى لك! ولكن ليس بسبب النبوءة! بل لأنك أنت نفسك لن تستريح إلا بعد أن تحاول! كلانا يعلم! تصور من فضلك للحظة واحدة أنك لم تسمع بتلك النبوءة قط! ما شعورك تجاه (فولدمورت) الآن؟ فكر!».

أخذ (هارى) ينظر إلى (دمبلدور) وهو يذرع المكان جيئة وذهابًا أمامه وراح يفكر، فكر فى أمه وفى أبيه وفى (سيريوس). فكر فى (سيدريك ديجورى). فكر فى كل الأفعال الرهيبة التى كان يعرف أن اللورد

(فولدمورت) هو الذى اقترفها. بدا كأن لهيبًا اتقد فى صدره ولفح حلقه.

قال (هارى) فى هدوء: «أريد القضاء عليه، وأود أن أكون أنا من يقوم بذلك».

صاح (دمبلدور): «بالطبع سيكون أنت! أرأيتَ، النبوءة لا تعنى أن عليك أن تفعل أى شيء! لكن النبوءة جعلت اللورد (فولدمورت) يتخذك *ندًا له*... بعبارة أخرى أنت حر فى اختيار الطريقة، حر تمامًا فى أن تدير ظهرك للنبوءة! لكن (فولدمورت) سيواصل الالتزام بالنبوءة. سيواصل مطاردتك... وهو ما يجعل من المؤكد فعلاً أن..».

قال (هارى): «إن أحدنا سينتهى به الحال بقتل الآخر».

ولكنه أدرك أخيرًا ما كان (دمبلدور) يرمى إليه، فكر فى أن الفارق بين أن يُدفع به إلى الساحة ليواجه معركة حتى الموت وأن ينزل الساحة ورأسه مرفوع.. قد يقول البعض: إن الفارق بين الأمرين ضئيل، إلا أن (دمبلدور) كان يعلم ـ وكذلك أنا. كما جال فى خاطر (هارى) مصحوبًا بفورة فخارٍ عاتٍ، وكذلك فعل والداى ـ إن الفارق كبير جدًا.

■ ■ ■



٢٤ جرح أبدىّ

كـان (هـارى) مـرهـقًـا ولـكـنـه سعيد بما قـام بـه لـيـلاً، وأخبر (رون) و(هرميون) بما جرى فى أثناء حصة التعاويذ فى صباح اليوم التالى (بعد أن ألقى أولاً تعويذة «*موفلياتو*» على أقرب من كانوا حولهم). فانبهرا تمامًا بالأسلوب الذى حصل به على الذاكرة من (سلجهورن) وروعـا حين أخبرهـمـا بقطـع لـ(هـوركروكس) الخاصة بـ(فولدمورت) ووعد (دمبلدور) باصطحابه معه لو عثر على قطعة أخرى.

وعندما انتهى (هارى) من إطلاعهما على كل شىء قال (رون). «ياه»؛ كان (رون) يلوح بعصاه السحرية بصورة غامضة تمامًا فى اتجاه السقف دون أن ينتبه لما يفعل. «ياه، أنت ستذهب مع (دمبلدور) فعلاً... وتحاول وتدمر... ياه».

قالت (هرميون) فى أناة وهى تجذب معصمه وتبعد عصاه عن السقف الذى بدأت تنهمر منه رقائق بيضاء كبيرة: «(رون)، أنت تجعل الثلج ينزل». كانت (لافيندر براون) كما لاحظ (هارى) تحملق فى (هرميون) من مائدة مجاورة بعينين حمراوين فتركت (هرميون) ذراع (رون) على الفور.

قال (رون) وهو ينظر إلى كتفيه بدهشة غامضة: «آه، نعم، آسف... كأننا جميعًا نعانى قشرة الشعر الرهيبة الآن...».

وأزال بعضًا من الثلج الزائف من فوق كتف (هرميون)، فانخرطت (لافيندر) فى البكاء. فرمقها (رون) شاعرًا بالذنب ثم أدار لها ظهره.

وقال لـ(هارى) بركن من فمه: «انفصلنا ليلة أمس. عندما رأتنى خارجًا من المهجع بصحبة (هرميون). يبدو أنها لم ترك، فظنت أننا كنا وحدنا».

قال (هاري): «آه، حسنٌ، وأنت لا تبالي بانتهاء المسألة، أليس كذلك؟»..

أقر (رون) قائلاً: «لا، كان الأمر في غاية السوء حين كانت تصرخ، ولكن على الأقل لم أكن أنا الذي أنهيتها».

قالت (هرميون) ولو أن الفرحة بدت عليها: «جبان، حسنٌ، لم تكن ليلة طيبة للعواطف بالنسبة للكل. (جيني) و(دين) انفصلا أيضًا».

لمح (هاري) في عينيها نظرة تشي بعلمها وهي تخبره بذلك، ولكن ما كان لها أن تعلم أنه أحس أن قلبه فجأة أخذ يرقص رقصة (الكونغا)، فسألها وهو يحاول أن يظل وجهه جامدًا وصوته غير مبالٍ قدر الإمكان قائلاً: «لمَ؟».

«شيء تافه فعلاً... قالت إنه كان يحاول دائمًا أن يساعدها وهي تجتاز ثقب اللوحة كأنها عاجزة عن اجتيازه دون عون منه... ولكنهما كانا مزعزعين منذ أمد بعيد».

ألقى (هاري) نظرة خاطفة على (دين) على الجانب الآخر من الفصل. كان يبدو تعيسًا دون شك.

قالت (هرميون): «طبعًا، وهذا يضعك في محنة نوعًا ما، أليس كذلك؟».

قال (هاري) بسرعة: «ماذا تقصدين؟».

قالت (هرميون) «فريق الـ(كويدتش)». لو كان (جيني) و(دين) لا يكلم كل منهما الآخر...

قال (هاري): «آه ـ آه، نعم».

قال (رون) بنبرة تحذيرية «(فليتويك)». كان أستاذ التعاويذ السحرية بحجمه الضئيل آتيًا يتمايل ناحيتهم وكانت (هرميون) الوحيدة التي نجحت في تحويل الخل إلى نبيذ؛ كان دورقها الزجاجي مليئًا بسائل قرمزي داكن بينما كان محتوى دورقي (هاري) و(رون) لايزال بنيًا قاتمًا.

قال الأستاذ (فليتويك) معنفًا بصوت كالصرير: «والآن، الآن يا أولاد، كلام أقل قليلاً وفعل أكثر قليلاً... دعاني أراكما تحاولان...».

رفعا عصويهما السحريتين معًا مركزين كل قوتهما وأشارا إلى دورقيهما. فتحول خل (هارى) إلى ثلج بينما انفجر دورق (رون).

قال الأستاذ (فليتويك) وقد عاود الظهور من تحت المنضدة وهو يلملم شقف الزجاج من فوق قبعته: «نعم... واجب منزلى... *تمرنا*».

سنحت لهما واحدة من فترات الراحة المشتركة النادرة بعد حصة التعاويذ فسارا عائدين إلى غرفة العموم معًا.كان (رون) يبدو فرحًا لانتهاء علاقته بـ(لافيندر)، وكانت (هرميون) تبدو فرحة أيضًا، مع أنها حين كانت تُسأل عن سبب ابتسامتها كانت تقول ببساطة: «إنه يوم لطيف». لم يبدُ على أيهما أنه لاحظ أن المعركة الشرسة كانت مستعرة فى داخل عقل (هارى):

إنها شقيقة (رون)،

ولكنها تخلصت من (دين)!

هى لاتزال شقيقة (رون)،

وأنا أقرب رفاقه إليه!

هذا سيزيد الأمر سوءًا.

لو بدأتُ أنا الحديث معه ـ

سيضربك.

وماذا لو لم أبالِ؟

إنه أقرب رفاقك إليك!

لم يلاحظ (هارى) أنهما كانا يجتازان ثقب اللوحة إلى داخل غرفة العموم المشمسة، ولم يلاحظ المجموعة الصغيرة من طلاب السنة السابعة وهم يتحلقون حول بعضهم إلا بشكل مبهم، إلى أن صاحت (هرميون) قائلة: «(كاتى)، أنتِ عدتِ؟ هل أنتِ بخير؟».

حدق (هارى): كانت فعلاً (كاتى بيل) وهى تبدو بصحة تامة ويحيط بها الأصدقاء مبتهجين.

قالت في سعادة «أنا بخير فعلاً. صرفوني من (سان مونجو) يوم الإثنين، فقضيتُ يومين مع أمي وأبي ثم عدت صباح اليوم. كانت (ليان) تخبرني لتوها عن (ماكلاجين) والمباراة الأخيرة... (هاري)...».

قال (هاري) «نعم، حسنٌ، الآن عدتِ و(رون) مستعد، ستتاح لنا فرصة طيبة لجلد (رافينكلو)، وهو ما يعني أننا يمكن أن نظل نتسابق على «الكأس». اسمعي يا (كاتي)...».

كان عليه أن يطرح السؤال عليها مرة واحدة؛ بل إن فضوله أبعد (جيني) عن ذهنه مؤقتًا. فخفض صوته إذ بدأ رفاق (كاتي) يجمعون أشياءهم؛ كان من الواضح أنهم تأخروا على حصة «التحويل».

«... هذه القلادة... هل تتذكرين الآن من أعطاها لكِ؟».

قالت (كاتي) وهي تهز رأسها في حزن: «لا، الكل يسألني، ولكن ليست لديّ فكرة، آخر ما أتذكره هو دخول حمام السيدات في «ثري برومستيكس».

قالت (هرميون) «إذن فقد دخلتِ حمام السيدات فعلاً؟»

قالت (كيتي) «حسنٌ، ما أعرفه هو أني فتحتُ الباب، وبالتالي أظن أن من «سحرني» - أيًا كان - كان واقفًا وراءه، بعد ذلك ظلت ذاكرتي بيضاء حتى أسبوعين مضيا تقريبًا في (سان مونجو). اسمع، يستحسن أن أذهب، لن أدع (ماكجونجال) يضع علامات على اسمي حتى وإن كان أول يوم أعود فيه...».

ورفعت حقيبتها وكتبها وأسرعت في أثر رفاقها تاركةً كلاً من (هاري) و(رون) و(هرميون) يجلسون على مائدة بجانب النافذة يفكرون فيما قالت لهم.

قالت (هرميون) «إذن فلابد أن من أعطت (كيتي) القلادة فتاة أو امرأة بما أنها كانت في حمام السيدات».

قال (هاري): «أو شخص كان يتخذ مظهر فتاة أو امرأة. لا تنسى أنه كان هناك ملء مرجل من جرعة العصير المتنوع في (هوجوورتس). ونحن نعلم أن بعضًا منه سُرق...».

وشاهد بعين خياله موكبًا من نسخ من (كراب) و(جويل) يتبخترون أمامه وقد بدلوا مظهرهم متخذين شكل فتيات.

قال (هارى) «أظننى سأتناول جرعة كبيرة من الـ(فليكس) وأقوم بزيارة لغرفة الطلب مرة أخرى».

قالت (هرميون) وهى تضع نسخة من كتاب «أبجدية سبِلمان المقطعية» كانت قد أخرجتها لتوها من حقيبتها «سيكون هذا تبديدًا تامًا للجرعة. لن يذهب بك الحظ إلى أبعد من ذلك يا (هارى). الوضع مع (سلجهورن) كان مختلفًا؛ فأنت دائمًا لديك القدرة على إقناعه، ولم تكن تحتاج إلا لدفع الظروف قليلاً. لكن الحظ لا يكفى لكى تفلت من سحر قوى. فلا تذهب وتبدد ما تبقى من تلك الجرعة! وأنت ستحتاج إلى أى حظ يواتيك لو اصطحبك (دمبلدور) معه...» وخفضت صوتها إلى حد الهمس.

سأل (رون) (هارى) متجاهلاً (هرميون) وقال: «ألا يمكننا أن نصنع منها المزيد؟ سيكون رائعًا أن يكون لدينا مخزون منها... ألقِ نظرة فى الكتاب...».

أخرج (هارى) نسخة من «تحضير الوصفات: *المستوى المتقدم*» من حقيبته وبدأ يبحث عن «(فليكس فلسيس)».

قال وهو يتفرس قائمة المحتويات بعينيه: «يا إلهى، هى معقدة فعلاً. وتستغرق ستة أشهر... لابد من تركها تُطهى بالغلى البطىء...».

قال (رون) «رائع!».

كان (هارى) على وشك أن يعيد كتابه إلى حقيبته ولكنه لاحظ ركن صفحة مطويًا؛ فتحها فوجد تعويذة «الجرح الأبدى» وعليها تعليق نصه «للأعداء» كان قد كتبه قبل ذلك بأسابيع عدة. وكان لايزال لم يكتشف ما تفعله لأنه لم يرد أن يجربها فى وجود (هرميون)، ولكنه كان يفكر فى تجربتها على (ماكلاجين) فى المرة القادمة حين يفاجئه من وراء ظهره.

كان الشخص الوحيد الذى لم يعجبه أن يرى (كاتى بيل) تعود للمدرسة هو (دين توماس) لأنه لن يُطلب منه بعد ذلك أن يحل محلها كمطارِد. وقد تلقى الضربة برزانة تامة حين أخبره (هارى)، فلم يكن منه إلا أن أخذ ينخر ويهز كتفيه استخفافًا، إلا أن (هارى) ساوره شعور غريزى وهو يبتعد بأن (دين) و(سيموس) أخذا يتذمران تبرمًا من وراء ظهره.

شهد الأسبوعان التاليان أفضل تمارين لعبة الـ(كويدتش) التى عرفها (هارى) كقائد للفريق. كان فريقه فرحًا بالخلاص من (ماكلاجين) وبعودة (كاتى) أخيرًا حتى إنهم كانوا يحلقون بصورة جيدة للغاية.

لم يبد على (جينى) أى قلق بسبب انفصالها عن (دين)؛ بل على العكس، كانت حياة الفريق وروحه. وكانت محاكاتها لـ(رون) وهو يقفز لأعلى ولأسفل أمام قوائم المرمى كلما أسرعت الكوافل نحوه ولـ(هارى) وهو يصرخ فى (ماكلاجين) بالأوامر قبل أن يتلقى الضربات فى ضعف ـ تسعد الفريق إلى حد كبير. وكان (هارى) وهو يضحك مع الآخرين سعيدًا بأن يكون لديه سبب برىء لينظر إلى (جينى)؛ كان قد تلقى إصابات مرة أخرى بالهراوات فى أثناء التمرين لأنه لم يكن يبقى عينًا على «التسلل».

كانت المعركة لاتزال تضطرم داخل رأسه؛ (جينى) أم (رون)؟ كان أحيانًا يظن أن (رون) ما بعد (لافيندر) لم يكن ليهتم كثيرًا لو دعا (جينى) للخروج معه، ولكنه كان يتذكر بعدها تعبيرات وجه (رون) حين رآها تقبل (دين) وكان متأكدًا من أن (رون) سيعتبر مجرد إمساك (هارى) يدها خيانة حقيرة...

مع ذلك لم يستطع (هارى) أن يمنع نفسه من الحديث إلى (جينى) والضحك معها والسير معها فى طريق العودة من التمرين؛ ومهما نبه ضميره كان يجد نفسه يتساءل عن الطريقة التى يجعلها تأتيه من تلقاء نفسها؛ سيكون رائعًا لو أقام (سلجهورن) واحدة من حفلاته الصغيرة، لأن

(رون) لا يحضرها ـ ولكن للأسف كان يبدو أن (سلجهورن) توقف عن إقامتها. فكر (هارى) مرة أو مرتين فى طلب عون (هرميون)، ولكنه لم يعتقد أنه سيستطيع أن يقف ويرى نظرة الاعتداد بالنفس تلك على وجهها؛ وفكر فى أنه كان يلمحها أحيانًا حين تضبطه (هرميون) وهو يحدق فى (جينى) أو وهو يضحك لنكاتها. ولكى يزيد الأمور تعقيدًا ساوره القلق من أنه لو لم يقدم على ذلك لأقدم غيره على دعوة (جينى) للخروج؛ فكان هو و(رون) يتفقان على الأقل على أنها محبوبة فى حد ذاتها.

كان إغراء تناول جرعة أخرى من الـ(فليكس فلسيس) يزداد قوة كل يوم، فكانت هذه حالة «دفع للظروف» كما تقول (هرميون). مرت أيام مايو بجوها المعتدل ناعمة، وبدا كأن (رون) كان يتواجد دائمًا وراء (هارى) فى كل مرة كان يرى فيها (جينى). فوجد (هارى) نفسه فى شوق لضربة حظ تجعل (رون) يدرك أن لا شىء سيسعده أكثر من علاقة حب تجمع بين أقرب أصدقائه وأخته وتركهما معًا لمدة أطول من بضع ثوان. وبدا أن لا فرصة لأى من الأمرين مع اقتراب مباراة الموسم للـ(كويدتش)؛ وكان (رون) يريد أن يتحدث مع (هارى) عن التكتيكات طول الوقت ولم يكن يفكر فى أى شىء آخر.

لم يكن (رون) فريدًا فى ذلك؛ فالاهتمام بمباراة (جريفندور) ضد (رافينكلو) كان يزداد بشدة فى أرجاء المدرسة، لأن المباراة قد تحدد البطولة، وهو أمر كان لايزال مفتوحًا لكل الاحتمالات. فإذا تمكن (جريفندور) من هزيمة (رافينكلو) بهامش ثلاثمائة نقطة (وهو أمر مستبعد ومع ذلك لم يكن (هارى) قد رأى فريقه يطير بشكل أفضل) فإنه سيفوز بالبطولة. وإذا فاز بأقل من ثلاثمائة نقطة فإنه يصبح الثانى فى الترتيب بعد (رافينكلو)؛ وإذا خسر بمائة نقطة فإنه يأتى الثالث بعد (هافلباف) وإذا خسر بأكثر من مائة يصبح الرابع ولن يدعه أحد كما جال بخاطر (هارى) ينسى أنه هو الذى قاد فريق (جريفندور) فى أول هزيمة ساحقة منذ قرنين.

كان السباق حول هذه المباراة يتسم بجميع السمات المعتادة؛ أعضاء الدور المنافسة يحاولون ترهيب الفرق الأخرى فى الدهاليز؛ أغان متهكمة عن اللاعبين يتم التدرب عليها بصوت مسموع وهم يمرون؛ وأعضاء الفريق أنفسهم إما يختالون بأنهم يحظون بكل الاهتمام أو يهرعون إلى الحمامات بين الحصص ليتقيأوا. فارتبطت المباراة فى ذهن (هارى) بصورة ما بالنجاح أو الفشل فى خططه بالنسبة لـ(جينى). فلم يتمكن من منع نفسه من الشعور بأنهم إذا فازوا بأكثر من ثلاثمائة نقطة فإن مشاهد الفرح وإقامة حفل صاخب لطيف بعد المباراة قد لا يقل لذة عن جرعة كبيرة ممتعة من الـ(فليكس فلسيس).

وسط كل مشاغله لم ينس (هارى) طموحه الآخر، وهو اكتشاف ما يدبر له (مالفوى) فى غرفة الطلب. كان لايزال ينظر فى خارطة المغير، ولم يكن يتمكن من تحديد مكان (مالفوى) فيها، لذا فقد استنتج أن (مالفوى) كان لايزال يقضى وقتًا طويلاً داخل الغرفة. ومع أن (هارى) بدأ يفقد الأمل فى النجاح فى دخول الغرفة فقد ظل يحاول كلما تواجد بالقرب منها، ولكن الجدار ظل بلا باب مهما كان يعيد صياغة كلمات الطلب.

وقبل بضعة أيام من المباراة ضد (رافينكلو) وجد (هارى) نفسه ينزل لتناول العشاء وحده من غرفة العموم، حيث أسرع (رون) بدخول حمام قريب ليتقيأ مرة أخرى، وانطلقت (هرميون) لمقابلة الأستاذ (فيكتور) بشأن غلطة ظنت أنها وقعت فيها فى مقالها الأخير عن «مادة الرياضيات السحرية». وجريًا على العادة أكثر من أى شىء آخر انعطف (هارى) كالمعتاد حول دهليز الطابق السابع وهو يتفقد خارطة المغير وهو سائر. ولم يتمكن للحظة من العثور على (مالفوى) فى أى مكان، وافترض أنه داخل غرفة الطلب مرة أخرى، ولكنه بعدها رأى نقطة (مالفوى) الصغيرة المميزة فى أحد حمامات الأولاد بالطابق الذى تحته ويرفقته لا (كراب) ولا (جويل)، بل (ميرتل) الباكية.

وقف (هارى) يحدق فى هذا الثنائى المستبعد بعد أن اصطدم ببزة مدرعة. فأخرجه صوت الارتطام المدوى من استغراقه فى التفكير؛ وأسرع بالابتعاد عن المكان خشية ظهور (فيلتش) فجأة، واندفع يهبط الدرج الرخامى واجتاز الممر أسفله. ووضع أذنه على باب الحمام من الخارج فلم يتمكن من سماع شيء. فدفع الباب بهدوء شديد ففتحه.

كان (دراكو مالفوى) واقفًا وظهره للباب ويداه ممسكتان بجانبى الحوض ورأسه الأشقر محنى.

ترنم صوت (ميرتل) الباكية من إحدى كبائن الحمام قائلاً: «لا... لا تقل لى ماذا حدث... فبوسعى أن أساعدك...».

قال (مالفوى): «ليس بوسع أحد أن يساعدنى». كان جسمه كله يرتعش «لا أستطيع أن أفعل ذلك... لا أستطيع... لا فائدة... وما لم أفعله على الفور... يقول إنه سيقتلنى...».

وأدرك (هارى) فى صدمة بلغت حد أن تسَمَّرَ فى مكانه، أن (مالفوى) كان يبكى - يبكى فعلاً - والدموع تنساب من وجهه الشاحب وتنزل فى الحوض القذر. وتنشج (مالفوى) وبلع ريقه ثم رفع رأسه برعدة كبيرة ونظر فى المرآة المشروخة فرأى (هارى) يحملق فيه من فوق كتفه.

استدار (مالفوى) وشد عصاه السحرية. فأسرع (هارى) بإخراج عصاه بصورة غريزية. فأخطأت رمية (مالفوى) (هارى) ببضع بوصات فحطمت المصباح المعلق على الحائط بجانبه؛ وألقى (هارى) بنفسه على الجنب وفكر فى *(ليفيكوريس)*! فنقر بإصبعه على عصاه السحرية، إلا أن (مالفوى) صد النحس ورفع عصاه السحرية لرمية أخرى.

أطلقت (ميرتل) الباكية صرخة مدوية تردد صداها مدويًا فى أرجاء الغرفة المكسوة بالبلاط وقالت: «لا! لا! توقف! توقف! توقف!».

وقعت ضربة مدوية وانفجر الصندوق وراء (هارى)؛ وحاول (هارى) أن يرميه بلعنة تثبيت الأرجل فأصابت الحائط وراء أذن (مالفوى)

وهشمت علبة الماء تحت (ميرتل) الباكية فأخذت تطلق صرخات مدوية؛ وانساب الماء فى كل مكان، فانزلق (هارى) بينما التوت قسمات وجه (مالفوى) من الألم وصاح قائلاً: «كروسيـ».

وجأر (هارى) وهو على الأرض قائلاً وهو يصوب عصاه السحرية بشراسة: «سيكتومسيمبرا!»

تدفق الدم من وجه (مالفوى) وصدره كأنه تلقى طعنة خاطفة من سيف خفى. فترنح إلى الوراء وسقط على الأرض التى غطاها الماء فأحدث تناثرًا كبيرًا للمياه وسقطت عصاه السحرية من يده اليمنى الضعيفة.

وقال (هارى) وهو يلهث: «لا...».

ونهض (هارى) على قدميه وهو ينزلق ويجأر بصوته واندفع صوب (مالفوى) الذى كان وجهه قد تحول إلى اللون القرمزى الفاتح ويداه البيضاوان تخربشان على صدره المشبع بالدم.

«لا... أنا لم...».

لم يعرف (هارى) ما كان يقوله؛ فجثا على ركبتيه بجانب (مالفوى) الذى أخذ يرتعش بصورة لا إرادية وسط بركة من دمه. وأطلقت (ميرتل) الباكية صرخة تصم الآذان.

«جريمة! جريمة قتل فى الحمام! جريمة!».

انفتح الباب بصوت مدوٍّ من وراء (هارى) فرفع رأسه ينظر فى هلع؛ اندفع (سناب) إلى الغرفة بوجه شاحب، ودفع (هارى) جانبًا وجثا فوق (مالفوى) وجذب عصاه السحرية وخطا بها على الجروح الغائرة الناجمة عن لعنة (هارى) وهو يغمغم بتعويذة بدت كأغنية، فخف تدفق الدم؛ ومسح (سناب) البقايا عن وجه (مالفوى) وكرر تعويذته. وبدأت الجروح تلتئم.

كان (هارى) لايزال ينظر فى ذعر إلى ما فعل غير مدرك إلى أنه هو أيضًا كان مبتلاً بالدم والماء. كانت (ميرتل) الباكية لاتزال تنشج

بالبكاء والنواح من أعلى. ويعد أن أتم (سناب) لعنته المضادة للمرة الثالثة رفع (مالفوى) نصف رفعة فى وضع الوقوف.

«أنت بحاجة للذهاب إلى جناح المستشفى. قد تكون هناك بعض الندب، ولكنك لو تناولتَ بعض الدواء على الفور فقد نتفادى ذلك أيضًا... تعال...».

وأعان (مالفوى) فى الخروج من الحمام ثم استدار نحو الباب ليقول بصوت يشى بحنق بارد: «وأنت يا (بوتر)... انتظرنى هنا». لم يخطر على بال (هارى) ولو للحظة أن يعصى الأمر. فظل واقفًا يرتعش وينظر لأسفل إلى الأرضية المبللة. كانت هناك بقع دم طافية كزهور القرمز على سطحها. لم يقو حتى على أن يقول لـ(ميرتل) الباكية أن تهدأ حيث واصلت نواحها ونشيجها فى استمتاع واضح.

وعاد (سناب) بعد عشر دقائق. ودخل الحمام وأوصد الباب وراءه.

قال لـ(ميرتل): «اذهبى» فغاصت فى المرحاض على الفور تاركة صمتًا يرن وراءها.

قال (هارى) على الفور «أنا لم أقصد أن يحدث ذلك». وتردد رجع صوته فى الفراغ المائى البارد. «لم أكن أعرف ما تفعله هذه التعويذة».

إلا أن (سناب) تجاهل ذلك.

قال فى هدوء: «يبدو أنى لم أكن أقدرك حق قدرك يا (بوتر)؛ من ذا الذى كان يظن أنك تعرف مثل هذا السحر الأسود؟ من علمك هذه التعويذة؟»

«أنا ـ قرأتُ عنها فى مكان ما».

«أين؟».

اختلق (هارى) من خياله وقال «كان... كتابًا من المكتبة، لا أتذكر عنوانه...»

قال (سناب) «كذاب». فجف حلق (هارى). كان يعلم ما سيعمله (سناب) ولم يسبق له أن تمكن من منعه...

بدا الحمام كأنه يومض أمام عينيه؛ وحاول جاهدًا أن يتوقف عن التفكير؛ ولكن ليحاول كما شاء، أخذت نسخة «تحضير *الوصفات: المستوى المتقدم*» للأمير الهجين تسبح على نحو غائم فى مقدمة ذهنه...

ثم أخذ يحدق فى (سناب) من جديد وسط هذا الحمام المحطم المبلل. حملق فى عينى (سناب) الداكنتين وهو يتمنى ألا يكون (سناب) قد رأى ما كان يخشى أن يرى، ولكن...

قال (سناب) برقة «هات حقيبتك المدرسية وجميع كتبك المدرسية. كلها. هاتها *كلها* هنا!»

لم يكن ثمة فائدة من الجدل. استدار (هارى) على الفور وانطلق خارجًا من الحمام. وما أن وصل إلى الدهليز حتى أطلق ساقيه للريح باتجاه برج (جريفندور). كان معظم الناس يسيرون فى الاتجاه الآخر؛ كانوا يحدقون فيه فى دهشة وهو مبلل بالماء والدم، ولكنه لم يرد على أى من الأسئلة التى أطلقت عليه وهو يمر بهم.

أحس بالذهول؛ كأن حيوانًا أليفًا تحول فجأة إلى وحش. ما الذى كان الأمير يفكر فيه حتى ينسخ تعويذة كهذه فى كتابه؟ وماذا كان سيحدث لو رآها (سناب)؟ هل كان سيبلغ (سلجهورن) ـ تقلصت معدة (هارى) ـ كيف كان (هارى) يحقق هذه النتائج الطيبة فى حصة الوصفات طول السنة؟ هل كان سيصادر الكتاب الذى علم (هارى) الكثير أو يدمره... الكتاب الذى أصبح مرشدًا أو صديقًا؟ ما كان بوسع (هارى) أن يدع ذلك يحدث... لم يكن ليتمكن من ذلك...

«أين...؟ لم أنت مبلل...؟ هل هذا دم؟».

كان (رون) واقفًا بأعلى الدرج ينظر مشدوهًا إلى منظر (هارى).

قال (هارى) لاهثًا «أحتاج إلى كتابك، كتاب الوصفات، بسرعة... أعطنى إياه...».

«ولكن ماذا عن الأمير الـ؟».

«سأشرح لك فيما بعد!».

أخرج (رون) نسخته من «*تحضير الوصفات: المستوى المتقدم*» من حقيبته وناوله إياها؛ فانطلق (هارى) من جانبه عائدًا إلى غرفة العموم. وهناك أمسك حقيبته المدرسية متجاهلاً النظرات المندهشة لعديد ممن كانوا قد فرغوا من عشائهم، ثم انطلق عبر ثقب اللوحة وانطلق يركض فى دهليز الطابق السابع.

وانزلق ليتوقف بجانب لوحة الأقزام الخرافية الراقصة وأغمض عينيه وبدأ يمشى.

«*أحتاج لمكان أخبئ فيه كتابى... أحتاج لمكان أخبئ فيه كتابى... أحتاج لمكان أخبئ فيه كتابى...*».

قطع المكان جيئة وذهابًا ثلاث مرات أمام امتداد الجدار الخالى. وحين فتح عينيه ظهر أخيرًا: باب غرفة الطلب. دفعه (هارى) ليفتحه وزج بجسمه إلى الداخل ثم دفعه بقوة فأغلقه.

وأخذ يلهث، وعلى الرغم من تعجله وفزعه وخوفه مما ينتظره فى الحمام، لم يتمالك نفسه من الإحساس بهول ما يرى. كان واقفًا فى غرفة بحجم كاتدرائية كبيرة ترسل نوافذها أعمدة من نور إلى أسفل على ما بدا كأنه مدينة بأسوار تتخللها أبراج مشيدة مما جعل (هارى) يدرك أنه لابد أن هناك أشياء خبأتها أجيال من سكان (هوجوورتس). كانت هناك أزقة وطرق تحفها أكوام تتمايل من الأثاث المهشم والمعطوب ربما تم تكديسه لإخفاء أدلة سحر أسيء استغلاله، وإلا فقد خبأه جن البيوت الخاصة بالقلعة.كان هناك آلاف وآلاف من الكتب، محظورة أو محشوة أو مسروقة ولا شك. وكانت هناك مجانيق مجنحة ونحل عملاق ذو أنياب لايزال فى بعضه من الروح ما يكفى لكى يرفرف بوهن فوق جبال من أشياء أخرى ممنوعة؛ وكانت هناك قوارير جرعات مخثرة مهشمة وقبعات وجواهر وعباءات؛ كان هناك ما بدا كأنه قشر بيض تنين وقوارير ذات سدادات لاتزال محتوياتها تومض بشكل شرير، وعدد من سيوف صدئة وبلطة ثقيلة عليها بقع دم.

تقدم (هارى) إلى أحد الأزقة العديدة التى تتخلل هذا الكنز المخبأ. وانعطف يمينًا واجتاز جنيًا خرافيًا منتفخًا وركض لمسافة قصيرة ثم انعطف يسارًا عند الخزانة المختفية المكسورة التى تاه فيها (مونتاجيو) السنة الماضية، وتوقف فى النهاية بجانب صوان كبير يبدو أن سطحه المليء بالقروح قد ألقى عليه ماء نار. وفتح أحد مصاريع الصوان، كان قد استخدم من قبل كمخبأ لكائن فى قفص نفق منذ أمد بعيد، هيكله له خمس أرجل. حشر كتاب الأمير الهجين وراء القفص وأغلق المصراع. وتوقف للحظة، قلبه يخفق بصورة رهيبة، يحدق حوله فى الركام... هل سيتمكن من الوصول إلى هذه النقطة مرة أخرى، وسط كل هذا الركام؟ أمسك بحطام تمثال نصفى لعرافة عجوز قبيحة من فوق قفص قريب ووضعه فوق الصوان الذى خبأ فيه الكتاب وطرح على رأس التمثال جمة شعر مستعار قديمة مغبرة وعمامة ملطخة بالبقع ليميزه، ثم انطلق عائدًا عبر أزقة الركام المخبأ بأسرع ما يمكن، وعاد إلى الباب، ومنه خرج إلى الدهليز وصفق الباب من ورائه؛ فتحول من فوره إلى حجر من جديد.

ركض (هارى) باتجاه الحمام بالطابق الذى تحته وهو يحشر نسخة (رون) من كتاب «*تحضير الوصفات.. المستوى المتقدم*» فى حقيبته. وبعد دقيقة كان واقفًا أمام (سناب) الذى كان مادًا يده فى صمت يطلب حقيبة (هارى) المدرسية، فناوله (هارى) إياها وهو يلهث ويحس لفحًا فى صدره وانتظر.

أخرج (سناب) كتب (هارى) واحدًا تلو الآخر وتفحصها. وفى النهاية كان الكتاب الوحيد المتبقى هو كتاب الوصفات، فتفقده بعناية قبل أن يتكلم.

«هذه نسختك من «*تحضير الوصفات.. المستوى المتقدم*»، أليس كذلك يا (بوتر)؟».

قال (هارى) وهو لايزال يتنفس بصعوبة: «بلى».

«أنت متأكد من ذلك تمامًا، أليس كذلك يا (بوتر)؟».

قال (هارى) بنبرة أكثر تحديًا: «بلى».

«هل هذه نسخة «تحضير *الوصفات.. المستوى المتقدم*» التى اشتريتها من (فلوريش ويلوتس)؟».

قال (هارى) فى حزم: «نعم».

فسأله (سناب): «إذن لماذا كُتب اسم «رونيل وأزليب» على الغلاف الأمامى؟»

فخفق قلب (هارى) خفقة.

قال: «هذا لقبى».

ردد (سناب): «لقبك؟».

قال (هارى): «نعم... هذا ما ينادينى به أصحابى».

قال (سناب): «أنا أعرف ما اللقب. وحدقت العينان السوداوان الباردتان مرة أخرى فى عينى (هارى). *أغلق ذهنك... أغلق ذهنك...* ولكنه لم يكن قد تعلم كيف يفعل ذلك بالطريقة الصحيحة...

قال (سناب) فى هدوء شديد: «أو تدرى ماذا أظن يا (بوتر)؟ أظن أنك كاذب وغشاش وأنك تستحق التذنيب بأن تُحتجز معى كل سبت حتى نهاية الفصل الدراسى. فما قولك يا (بوتر)؟»

قال (هارى) وهو لايزال يرفض النظر فى عينى (سناب): «أنا... أنا غير متفق سيدى».

قال (سناب) «حسنٌ، سنرى ما تقول بعد تذنيبك. العاشرة صباح السبت يا (بوتر)، فى مكتبى».

قال (هارى) وهو يرفع رأسه يائسًا: «ولكن سيدى... الـ(كويدتش)... آخر مباراة فى الـ...».

همس (سناب) قائلاً بابتسامة كشفت عن أسنانه الصفراء: «الساعة العاشرة. مسكين يا (جريفندور)... الرابع هذا العام، للأسف...».

وغـادر الحمـام دون كلمـة أخـرى تـاركًـا (هـارى) يحدق إلى المرآة المشروخة ويشعر بغثيان أكبر من أى غثيان شعر به (رون) فى حياته.

قالت (هرميون) بعد ذلك بساعة فى غرفة العموم: «لن أقول لك إنى حذرتك من قبل».

قال (رون) بغضب: «كفى يا (هرميون)».

ولم يتمكن (هـارى) من النزول لتناول العشاء، فلم تكن لديه شهية على الإطلاق. كان قد انتهى لتوه من إبلاغ كل من (رون) و(هرميون) و(جينى) بما حدث. وطار النبأ بسرعة، يبدو أن (ميرتل) الباكية أخذت على عاتقها أن تظهر فى كل حمام بالقلعة لتحكى الحكاية؛ كان (مـالفوى) قد تلقى زيارة بالفعل بجناح المستشفى من (بانسى باركنسون) التى لم تدخر وقتًا فى فضح (هـارى) فى كل مكان، وكان (سناب) قد أبلغ هيئة التدريس بما حدث؛ وكان (هـارى) قد نودى عليه من غرفة العموم ليواجه خمس عشرة دقيقة غير سارة بالمرة بصحبة الأستاذة (ماكجونجال) التى أبلغته أنه محظوظ أن لم يتم طرده، وأنها أيدت (سناب) بكل قلبها فى معاقبته إياه بالاحتجاز كل سبت حتى نهاية الفصل الدراسى.

قالت (هرميون) ويبدا أنها لم تتمكن من منع نفسها: «قلتُ لك: إن هناك شيئًا ما خطأ فى هذا «الأمير»، وتبين أنى على حق، أليس كذلك؟».

قال (هـارى) فى عناد: «بلى، بلى أعتقد أنكِ كنتِ على حق».

كـان لديه ما يكفيه من الضيق بدون محاضرة (هرميون)؛ وكانت النظرات على وجوه فريق (جريفندور) عندما أبلغهم بأنه لن يتمكن من اللعب أيام السبت ـ أسوأ عقاب أنزل به. كان يشعر بعيون (جينى) عليه الآن، ولكنه لم يَلْقَهُمَا؛ فلم يشأ أن يرى فيهما الغضب أو الإحباط. كان قد أبلغها لتوه أنها ستلعب «باحثة» فى يوم السبت وأن (دين) سينضم للفريق كمطارد بدلاً منها. فلو فاز الفريق فلعل (جينى) و(دين) يتصالحان فى فورة حماس ما بعد المباراة... سرت الفكرة فى (هـارى) كسكين بارد...

قالت (هرميون): «كيف يمكن لك أن تتمسك بهذا الكتاب مادامت تلك التعويذة..»

قاطعها (هارى) فى حدة قائلاً: «هل لك أن تَكُفّى عن الإلحاح بشأن هذا الكتاب! لم يفعل الأمير إلا أن نسخه! وليس الأمر كأنه يحث أحدًا على استعماله! فكل ما نعرفه أنه كان يدون ملحوظة عن شىء استُعمل ضده!».

قالت (هرميون): «أنا لا أصدق ذلك، أنت فى الحقيقة تدافع...».

قال (هارى) بسرعة: «أنا لا أدافع عما فعلتُ! ليتنى ما فعلته، وليس هذا لمجرد أنى تلقيت ما يناهز اثنى عشر تذنيبًا بالاحتجاز. وأنتِ تعلمين أنى ما كنتُ لأستعمل تعويذة كهذه ولا حتى ضد (مالفوى)، ولكن لا يمكنكِ أن تلقى باللائمة على الأمير، فهو لم يقل: «جرب هذه، فهى جيدة بحق» ... بل كان يدون ملاحظات لنفسه، لا لأحد غيره...» أليس كذلك؟

قالت (هرميون): «هل تقصد أنك ستعود...؟».

قال (هارى) بحزم: «وآتى بالكتاب؟ نعم، سأعود. اسمعى، بدون الأمير ما كنتُ سأحظى بالـ(فليكس فلسيس). ما كنتُ سأعرف كيف أنقذ (رون) من التسمم، وما كنتُ ...».

قالت (هرميون) باشمئزاز: «... ستكتسب سمعة بالتفوق فى الوصفات لا تستحقها».

قالت (جينى): «على مهلكِ يا (هرميون)!» فاندهش (هارى) وأحس بالعرفانِ حتى أنه رفع رأسه: «يبدو أن (مالفوى) كان يجرب استعمال لعنة لا تُغتفر، وكان أحرى بكِ أن تفرحى أن (هارى) كان لديه شىء نافع فى جعبته!».

قالت (هرميون) وقد شعرت بوخز: «بالطبع فرحتُ بأن (هارى) لم يصب بلعنة! ولكن لا يمكن وصف تعويذة الـ«*سيكتومسيمبرا*» هذه بأنها نافعة يا (جينى)، انظرى إلام أدت به! وكنت سأظن وأنا أرى ما جرَّته على فرصك فى المباراة...».

قاطعتها (جينى) فى حدة وقالت: «لا تبدئى فى التصرف كأنكِ تفهمين الـ(كويدتش)، فلن يكون منكِ إلا أن تحرجى نفسك».

حدق كل من (هارى) و(رون)، فالفتاتان (هرميون) و(جينى) اللتان كانتا دائمًا على وفاق جالستان الآن وقد طوت كل منهما ذراعيها وتحدقان فى اتجاهين متضادين. نظر (رون) إلى (هارى) فى عصبية ثم التقط كتابًا بصورة عشوائية واختبأ وراءه. أما (هارى) فمع علمه بأنه لم يكن يستحق كل هذا فقد شعر بفرحة لا تصدق فجأة، مع أنهما لم يتكلما معًا مرة أخرى طوال ما تبقى من المساء.

وكانت فرحته قصيرة. إذ كان عليه أن يتحمل تعنيف (سليذرين) فى اليوم التالى، ناهيك عن غضب زملائه فى فريق (جريفندور) الذين أحزنهم أن ينقطع قائد فريقهم عن نهائى مباريات الموسم. وفى صباح السبت وعلى الرغم من كل ما قاله لـ(هرميون) كان (هارى) مستعدًا للتضحية بكل ما فى الدنيا من (فليكس فلسيس) فداء للنزول إلى ساحة الـ(كويدتش) مع (رون) و(جينى) والآخرين. كان من غير المحتمل أن ينصرف عن جموع الطلاب المتدفقين تحت الشمس المشرقة وجميعهم يضعون الورود ويرتدون القبعات ويلوحون بالشعارات والوشاحات، وأن ينزل على المدرجات الحجرية إلى الأبراج الحصينة ويمشى حتى تخفت أصوات الجموع البعيدة مع علمه بأنه لن يتمكن من سماع كلمة تعليق أو هتاف أو استنكار.

قال (سناب) عندما دق (هارى) بابه ودخل المكتب المألوف بشكل مضجر والذى لم يكن (سناب) غائبًا عنه على الرغم من تدريسه أعلاه بطوابق عدة: «آه، (بوتر)»؛ كان الضوء فيه خافتًا كالمعتاد والأشياء الميتة المغبرة نفسها لاتزال معلقة فى جرعات ملونة على الجدران. وكان هناك العديد من العلب تكسوها خيوط العنكبوت تكدست على منضدة كان يفترض أن يجلس عندها (هارى)؛ وكان يحيط بها شذى عمل ممل وشاق وبلا هدف.

قال (سناب) برقة: «السيد (فيلتش) يبحث عمن يزيل هذه الملفات القديمة. سجلات مذنبى (هوجوورتس) الآخرين وعقوباتهم. حيثما بهت الحبر أو تضررت البطاقات بفعل الجرذان، نريدك أن تنسخ الجرائم والعقوبات من جديد وترتبها حسب الترتيب الألفبائى وتضعها فى العلب. ولن تلجأ للسحر فى عملك».

قال (هارى) بأكبر قدر ممكن من الازدراء فى المقاطع الثلاثة الأخيرة: «سمعًا يا أستاذ».

قال (سناب) بابتسامة ماكرة على شفتيه: «أظنك يمكن أن تبدأ بالعلب من ألف واثنتى عشرة إلى ألف وست وخمسين. ستجد بها أسماء مألوفة، مما سيضفى بعض التشويق على المهمة. هنا، أترى...؟».

أخرج بطاقة من إحدى العلب العليا بتأنق وأخذ يقرأ «*(جيمس بوتر) و(سيريوس بلاك). قبض عليهما وهما يرميان تعويذة غير مشروعة على (بترام أوبرى). رأس (أوبرى) ضعف الحجم العادى. احتجاز مضاعف*». ثم ضحك (سناب) فى سخرية وقال: «من المريح أن تجد سجلاً بإنجازاتهم العظيمة باقيًا مع أنهم رحلوا...».

شعر (هارى) بإحساس الغليان المعهود بتجويف معدته. فعض لسانه حتى يمنع نفسه من الثأر لنفسه بالرد وجلس أمام العلب وجذب واحدة نحوه.

كانت المهمة كما توقع (هارى)، عقيمة ومملة يؤكدها (كما كان (سناب) قد خطط) التقلص المعتاد فى المعدة والذى كان يعنى أنه قرأ لتوه اسم أبيه أو اسم (سيريوس) مقترنين معًا عادةً فى العديد من الأعمال الشريرة التافهة ومعهما من حين لآخر أسماء (ريموس لوبين) و(بيتر بتيجرو). وبينما كان ينسخ جميع تهممهم وعقوباتهم المختلفة كان يتساءل عما يحدث بالخارج حيث بدأت المباراة لتوها... (جينى) تلعب «باحثة» ضد...».

نظر (هارى) مرات ومرات إلى الساعة الكبيرة التى تتكتك على الحائط. كان يبدو أنها تتحرك بنصف سرعة الساعة العادية؛ لعل (سناب) سحرها لتمشى ببطء زائد؟ فلا يمكن أن يكون الوقت الذى قضاه هنا نصف ساعة فقط... ساعة... ساعة ونصف الساعة...

بدأ بطن (هارى) يقرقر حين أشارت الساعة إلى الثانية عشرة والنصف. وبعد أن ظل (سناب) صامتًا منذ أن حدد لـ(هارى) المهمة أخيرًا رفع رأسه فى الواحدة وعشرِ دقائق.

قال ببرود: «أظن هذا يكفى. علِّم المكان الذى وصلتَ إليه. ستواصل فى العاشرة من صباح السبت القادم».

«سمعًا سيدى».

حشر (هارى) بطاقة مطوية فى العلبة بصورة عشوائية وأسرع خارجًا من الباب قبل أن يغير (سناب) رأيه وانطلق يصعد الدرج الحجرى مطرقًا أذنيه عله يسمع صوتًا من الملعب، لكن كل شىء كان هادئًا... انتهت إذن...

تردد خارج البهو العظيم المزدحم، ثم اندفع على الدرجِ الرخامى؛ فسواء أفاز (جريفندور) أم خسر كان الفريق يحتفل عادةً أو يجتمع للرثاء بغرفة العموم.

قال فى تردد للسيدة البدينة: «كويد اجيس؟» وهو يتساءل عما قد يجد بالداخل.

كانت ملامح وجهها جامدة وهى ترد قائلة: «سترى».

ثم تقدمت وهى تتمايل.

جلبة احتفال أطلقت من الثقب من ورائها. شهق (هارى) حين بدأ الناس فى الصراخ لمرآه؛ أيادٍ عدة شدته إلى داخل الغرفة.

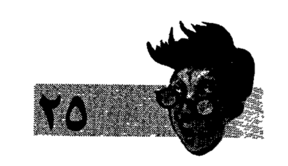
وثب (رون) أمامه وهو يلوح بالكأس الفضية لـ(هارى) قائلاً: «فزنا! فزنا! أربعمائة وخمسون إلى مائة وأربعين! فزنا!».

تلفت (هارى) حوله؛ كانت (جينى) تجرى نحوه ؛ كانت على وجهها نظرة متقدة قاسية وهى ترمى ذراعيها حوله. وبدون تفكير أو تخطيط، وبدون قلق من أن خمسين شخصًا كانوا ينظرون، قبلها (هارى).

وبعد لحظات طويلة ـ أو ربما نصف ساعة ـ أو ربما أيام مشرقة عديدة ـ انفصلا. كانت الغرفة قد هدأت تمامًا. ثم صفر عدد من الناس وانفجرت قهقهات عصبية. نظر (هارى) من فوق رأس (جينى) ليرى (دين توماس) ممسكًا بكأس مكسورة فى يده و(روميلدا فان) تنظر كأنها سترمى شيئًا. وأخيرًا عثر عليه، كان لايزال ممسكًا بالكأس وعلى وجهه تعبير يلائم من تلقى ضربة هراوة على أم رأسه. نظر كل منهما للآخر لكسور من الثانية، ثم هز (رون) رأسه هزة خفيفة، فهم (هارى) أنه يقصد بها «حسنٌ... إن لم يكن من بد».

كان صدر (هارى) يمور بفرحة النصر، فابتسم لـ(جينى) وأومأ دون كلمة وهو خارج من ثقب اللوحة. تمشية فى الملاعب بدت ضرورية وفى أثنائها ـ إن سمح الوقت ـ قد يناقشان المباراة.

■ ■ ■



٢٥ حديث العرّاف

أثار خروج (هارى) مع (جينى ويسلى) اهتمام عدد كبير من الناس معظمهم من الفتيات، إلا أن (هارى) وجد نفسه غير متأثر بالنميمة طوال الأسابيع القليلة التالية. فعلى أية حال كان من قبيل التغيير أن يتحدث الناس عنه بسبب شيء كان يسعده أكثر من أى شيء آخر منذ أمد بعيد، وليس بسبب تورطه فى مشاهد مرعبة من السحر الأسود.

قالت (جينى) وهى تجلس على أرضية غرفة العموم وهى تستند على ساقى (هارى) وتطالع جريدة «المتنبئ»: «هل تظن أن الناس لديهم أشياء أهم يتحدثون بالنميمة عنها. ثلاث هجمات جنونية فى أسبوع، وكل ما تفعله (روميلدا فان) هو أن تسألنى عما إذا كان صحيحًا أن لديك وشمًا على شكل تنين على صدرك».

انفجر كل من (رون) و(هرميون) فى الضحك وتجاهلهما (هارى).

«وماذا قلتِ لها؟».

قالت (جينى) وهى تقلب صفحة من الجريدة فى كسل: «قلتُ لها: إنها حشرة قرنية الذيل مجرية. شيء أكثر رجولة».

قال (هارى) وهو يبتسم ابتسامة عريضة: «شكرًا. وماذا قلتِ لها عما لدى (رون)؟».

«جنى منتفخ، ولكنى لم أقل لها أين».

قطب (رون) بينما تدحرجت (هرميون) وهى تضحك.

قال وهو يشير محذرًا إلى كل من (هارى) و(جينى): «حذارِ! إذننى لكما ليس معناه أنى لا أستطيع أن أسحبه...».

قالت (جينى) ساخرة: «*إذنك*»، منذ متى كنتَ تعطينى الإذن بأن أفعل أى شيء؟ وعلى كل حال أنت قلتَ: إنك تفضل أن يكون (هارى) وليس (مايكل) أو(دين)».

قال (رون) متبرمًا: «نعم، هذا صحيح. بشرط ألا تبدآ فى العناق أمام الناس...».

قالت (جينى): «أيها المنافق القذر! وماذا عن تقلبكما أنت و(لافيندر) كسمكتى ثعبان فى كل مكان؟».

إلا أن تسامح (رون) لم يكن ليُختبر كثيرًا بحلول شهر يونية، حيث أصبح اللقاء بين (هارى) و(جينى) يزداد تقيدًا. فامتحانات (جينى) كانت تقترب، وبالتالى فقد اضطرت للمراجعة لساعات بعد منتصف الليل. وفى إحدى تلك الليالى كانت (جينى) تجلس فى المكتبة، وكان (هارى) جالسًا بجانب النافذة بغرفة العموم نظريًا ينهى واجبه المنزلى الخاص بعلم الأعشاب ولكنه فى الحقيقة كان يسترجع ذكرى ساعة سعيدة قضاها عند البحيرة مع (جينى) فى وقت الغداء، فجاءت (هرميون) وجلست على المقعد بينه وبين (رون) وعلى وجهها نظرة ذات مغزى غير سار.

«أريد أن أتكلم معك يا (هارى)».

قال (هارى) فى ريبة: «عم؟» فى اليوم السابق كانت (هرميون) قد قالت له أن يبتعد عن (جينى)؛ لأنه يشتت انتباهها بينما ينبغى لها أن تذاكر بجد للامتحانات.

«ما يسمى بالأمير الهجين؟».

فغمغم قائلاً: «مرة أخرى، هلا كففتِ عن ذلك من فضلك؟».

لم يكن قد جرؤ على العودة إلى غرفة الطلب لاستعادة كتابه، وبالتالى تأثر أداؤه فى حصة الوصفات (مع أن (سلجهورن) الذى كان يثنى على (جينى) كان قد عزا ذلك إلى وقوع (هارى) فى الحب). إلا أن (هارى) كان على يقين من أن (سناب) لم يكن قد فقد الأمل فى الاستحواذ على

كتاب «الأمير» وكان عازمًا على ترك الأمور على ما هى عليه بينما ظل (سناب) يترقب.

قالت (هرميون) فى حزم: «لن أكف حتى تسمعنى. أنا الآن أحاول أن أعرف شيئًا عمن يتخذ من ابتكار تعاويذ السحر الأسود هواية له...».

«هو لم يتخذ منها هواية...».

«هو، هو... من قال: إنه رجل؟».

قال (هارى) فى نزق «خضنا فى هذا النقاش من قبل؛ *(برينس)* يا (هرميون)، برينس*!*».

قالت (هرميون) وقد اتقدت بقع حمراء على وجنتيها وهى تخرج قطعة قديمة جدًّا من ورق الصحف من جيبها وصفعتها على المنضدة أمام (هارى) «صحيح! انظر إلى هذه! انظر فى الصورة!».

التقط (هارى) الورقة الهشة وحدق إلى الصورة المتحركة المصفرة من شدة القِدَم؛ ومال (رون) نحوه لينظر أيضًا. كان فى الصورة فتاة هزيلة فى سن الخامسة عشرة تقريبًا. لم تكن جميلة؛ وكان يبدو عليها الطيش والحزن فى آن، ولها حاجبان كثيفان ووجه طويل شاحب. وتحت الصورة عبارة «*(أيلين برينس)، قائد فريق (هوجوورتس جوبتسونز)*».

قال (هارى): «ماذا؟» وهو يتفقد الخبر القصير الذى وضعت عليه الصورة؛ كانت قصة مملة عن المنافسات داخل المدرسة.

«كان اسمها (أيلين برينس)، برينس يا (هارى)».

نظر كل منهما للآخر وأدرك (هارى) ما كانت (هرميون) تحاول أن تقوله. وانفجر فى الضحك.

«مستحيل».

«ما هو؟».

«تعتقدين أنها كانت الأمير الهجين...؟ كفِّى عن هذا».

«حسنٌ، لم لا؟ (هارى)، ليس هناك أمراء حقيقيون فى عالم السحر! فهو لقب يعطيه المرء لنفسه، أو يمكن أن يكون اسمه الفعلى، أليس كذلك؟ لا، اسمع! لو كان أبوها مثلاً ساحرًا لقبه «أمير» وأمها من العوام، إذن فهذا يجعلها «أميرًا هجينًا»!».

«نعم، تصور بارع يا (هرميون)...».

«ولكنه ممكن! لعلها كانت فخورة بأنها نصف أميرة!».

«اسمعى يا (هرميون)، أنا أستطيع أن أقول: إنها ليست فتاة. يمكننى أن أجزم».

قالت (هرميون) فى غضب «الحقيقة أنك لا تستطيع أن تعتقد أن البنت يمكن أن تكون بارعة بما يكفى».

قال (هارى) وقد آذته العبارة: «كيف نكون معًا لخمس سنوات دون أن أعتقد أن البنات بارعات؟ المسألة هى طريقته فى الكتابة. أنا أعرف أن الأمير كان رجلاً، يمكننى أن أدرك هذا. وهذه الفتاة ليس لها صلة بالموضوع. من أين جئتِ بهذه على أية حال؟».

قالت (هرميون) بتأكيد: «من المكتبة. هناك مجموعة كاملة من أعداد جريدة «*المتنبئ*» القديمة بها. حسنٌ، سآتى بمزيد من المعلومات عن (أيلين برينس) إن استطعت».

قال (هارى) بانفعال «استمتعى بوقتك».

قالت (هرميون): «سأفعل»، ثم قالت له حين بلغت ثقب اللوحة: «وأول مكان سأبحث فيه هو سجلات جوائز الوصفات القديمة!».

قطب (هارى) بعدها للحظة، ثم واصل تأمله للسماء وهى تظلم.

قال (رون) وهو يعود إلى نسخته من كتاب «*ألف عشب وفطر سحرى*»: «هى لا تغفر لك تفوقك عليها فى حصة الوصفات».

«أنت لا تعتقد أنى قلق وأريد أن أستعيد ذلك الكتاب، أليس كذلك؟».

قال (رون) بقوة: «بالطبع لا، كان عبقريًا، أقصد الأمير. على أي،... فبدون معلومته عن الترياق...» ومر بإصبعه على حلقه: «ما كان لي أن أتواجد هنا لأناقشك، أليس كذلك؟ أقصد أني، أنا لا أقول: إن التعويذة التي استعنتَ بها مع (مالفوي) كانت عظيمة...».

قال (هاري) بسرعة «ولا أنا».

«ولكنه شفي تمامًا، أليس كذلك؟ وسرعان ما ينهض على قدميه معافى».

قال (هاري) «نعم»؛ وكان هذا حقيقيًا تمامًا ولو أن ضميره أنبه قليلاً «والفضل لـ(سناب)...»

واصل (رون) قائلاً: «لايزال لديك احتجاز مع (سناب السبت القادم؟)».

تنهد (هاري) وقال «نعم، والسبت التالي والسبت الذي يليه. وهو يلمح الآن أني إذا لم أفرغ من كل العلب مع نهاية الفصل الدراسي سنواصل في السنة القادمة».

كان الاحتجاز في نظره مضجرًا لأنه يحد من الوقت المحدود ـ أصلاً ـ الذي كان سيقضيه مع (جيني). وكان يتساءل من حين لآخر في الآونة الأخيرة عما إذا كان (سناب) لا يعلم بذلك، إذ كان يبقي (هاري) لوقت أطول وأطول في كل مرة، وكان يلمح إلى افتقاد (هاري) الجو الجميل وما يتيحه من فرص.

أفاق (هاري) من هذه التأملات المريرة بظهور (جيمي بيكس) بجانبه ممسكًا بلفافة ورق.

قال (هاري) في إثارة وهو يفض الرق ويتفقده: «شكرًا يا (جيمي)... آه، إنها من (دمبلدور)! يريدني أن أذهب لمكتبه بأسرع ما يمكن!».

حدق كل منهما إلى الآخر.

همس (رون) قائلاً: «يا بليمي، أنت لا تظن... لم يجد...؟».

قال (هاري) وهو يثب على قدميه: «يستحسن أن أذهب لأعرف، أليس كذلك؟».

وأسرع بالخروج من غرفة العموم وصعد إلى الطابق السابع بأسرع ما يمكن، ولم يمر بأحد سوى (بيفز) الذى كان مندفعًا فى الاتجاه الآخر وهو يرمى قطعًا من الطباشير على (هارى) بصورة رتيبة ويقهقه بصوت مسموع وهو يتفادى رميات (هارى) الدفاعية الجالبة للنحس. وما إن اختفى (بيفز) حتى ساد الصمت فى الدهاليز؛ كان الناس قد عادوا إلى غرف العموم الخاصة بهم حيث لم يتبق سوى خمس عشرة دقيقة على حظر التجول.

ثم سمع (هارى) صرخة وارتطامًا؛ فتوقف فى مكانه مصغيًا.

«كيف... تجرؤ... على... ذلك!».

كان الضجيج صادرًا عن دهليز قريب؛ فأسرع (هارى) نحوه وعصاه السحرية فى وضع الاستعداد، واندفع نحو ركن آخر ورأى الأستاذة (تريلاونى) ممددة على الأرض ورأسها مغطاة بأحد شيلانها العديدة ويجانبها عدد من قوارير الخمر إحداها مكسورة.

«أستاذة...».

وهرع (هارى) ليعين الأستاذة (تريلاونى) على النهوض. بعض خرزات عقودها اللامعة تشابكت فى نظارتها. كانت تطلق فواقًا بصوت مسموع، وربتت على شعرها ونهضت بعون من ذراع (هارى).

«ماذا حدث يا أستاذة؟».

فقالت بصوت حاد: «لك أن تتساءل! كنتُ أتجول وأنا أفكر فى بعض نذر السحر الأسود تصادف أن لمحتها...».

إلا أن (هارى) لم يكن يولى انتباهًا لما تقول. كان قد لاحظ أين يقفان، إلى اليمين كانت لوحة الأقزام الراقصة، وإلى اليسار هذا الجدار الحجرى الذى لا يُخترق الذى يخفى...

«هل كنتِ تحاولين دخول غرفة الطلب يا أستاذة؟».

«... نذر شر كنت أحاول أن أخففها... ماذا؟».

وفجأة نظرت بدهاء.

كرر (هـارى) «غرفة الطلب، هل كنتِ تحـاولين دخولهـا؟».

«أنـا... حسنٌ... لم أكن أعلم أن الطلبة يعرفون شيئًا عن...».

قـال (هــارى) «لـيس كـل الـطـلـبـة يـعـرفـون. ولـكـن مـاذا حدث؟ أنتِ صرخت... بدا كأنكِ أصبت...».

قالت الأستاذة (تريلاونى) وهـى تلف الشيلان حولها بصورة دفاعية وتحدق إليها بعينيها المكبرتين: «أنـا... حسنُ، كنت أريد أن... آه... أودع بـعض... الـ... الأشـيـاء الخاصـة فـى الـغـرفـة...» وغـمـغـمت بشـىء عـن «الاتـهامات المقززة».

قال (هـارى) وهو يلقى نظرة على قوارير الخمر: «نعم، ولكنكِ لم تتمكنى من الدخول ومن إخفائها؟».

رأى أن هذا غريب جدًا؛ فالغرفة انفتحت له، على أية حال أراد أن يخبئ كتاب (الأمير الهجين).

قالت الأستاذة (تريلاونى) وهـى تحملق فى الجدار: «آه، دخلتُ فعلاً، ولكن كان هناك أحد بالداخل».

سألها (هـارى «أحد فى...؟ من؟ من الذى كان بها؟».

قالت الأستاذة (تريلاونى) وهى تبدو مشدوهة قليلاً بسبب الإلحاح فى صوت (هـارى): «ليست لدىّ فكرة. أنا دخلت الغرفة وسمعت صوتًا، وهو ما لم يحدث من قبل طوال سنوات إخفائى... استعمالى الغرفة، أقصد...».

«صوت؟ ماذا يقول؟».

قالت الأستاذة (تريلاونى): «لا أدرى ما إذا كان يقول أى شىء، كان... يهتف».

«يهتف؟».

قالت وهى تهز رأسها: «بفرح».

حدق (هارى) فيها.

«أكان صوت ذكر أم أنثى؟».

قالت الأستاذة (تريلاونى) «يمكننى أن أحدس أنه كان لذكر».

«وكان يبدو فرحًا؟».

قالت الأستاذة (تريلاونى) بازدراء: «فرحًا جدًّا».

«كأنه يحتفل؟».

«بكل تأكيد».

«وبعد...؟».

«وبعد ناديتُ، «من هناك؟»».

سألها (هارى) بشىء من الإحباط قائلاً: «أما كان يمكنكِ أن تعرفى دون أن تسألى؟».

قالت الأستاذة (تريلاونى) باعتزاز وهى تعدل شيلانها والعديد من عقودها اللامعة: «عين الباطن» كانت مركزة على أمور خارج العوالم الدنيوية للأصوات الهاتفة».

قال (هارى) فى عجلة: «نعم»؛ كان قد سمع عن «عين الباطن» الخاصة بالأستاذة (تريلاونى) كثيرًا من قبل. «وهل قال الصوت من هو؟».

قالت: «لا، لم يقل. كل شىء أظلم تمامًا، وما أعرفه بعدها هو أنى رُمى بى خارج الغرفة».

قال (هارى) دون أن يتمكن من كبح نفسه: «ولم تريه وهو آتٍ نحوك؟».

«لا، لم أر، فكما قلتُ كان الظلام...» ثم توقفت وحدقت إليه بارتياب.

قال (هارى): «أعتقد أنه يستحسن أن تخبرى الأستاذ (دمبلدور). ينبغى أن يعلم أن (مالفوى) يحتفل... أقصد أن أحدًا رمى بكِ خارج الغرفة».

ومما أدهشه أن الأستاذة (تريلاونى) انتبهت لهذا الاقتراح وبدت عليها الغطرسة.

وقالت ببرود: «الناظر صرح بأنه يفضل أن أقل من زياراتى. ولست أنا من تفرض صحبتها على من لا يقدرونها. لو شاء (دمبلدور) أن يتجاهل التحذيرات التى أظهرتها أوراق الكوتشينة...».

وأطبقت يدها العجفاء فجأة على رسغ (هارى).

«مرارًا وتكرارًا، مهما أعدتُ ترتيبها...».

وسحبت ورقة بصورة درامية من تحت شيلانها.

وهمست قائلة: «...البرج الذى ضربته الصاعقة، مصيبة، كارثة. تقترب باستمرار...».

ردد (هارى): «صح، حسن... لازلتُ أعتقد أنكِ يجب أن تبلغى (دمبلدور) بهذا الصوت وبإظلام كل شىء من حولك ورميك خارج الغرفة ...».

بدا على الأستاذة (تريلاونى) أنها تفكر فى الأمر للحظة، إلا أن (هارى) أدرك أن فكرة إعادة سرد مغامرتها الصغيرة راقتها.

قال (هارى): «سأذهب لمقابلته حالاً. لدىّ اجتماع معه. يمكننا أن نذهب معًا».

قالت الأستاذة (تريلاونى) وهى تبتسم: «آه، حسنٌ، فى هذه الحالة» ثم انحنت وجرفت قوارير الخمر وألقت بها دون اعتناء فى زهرية كبيرة زرقاء وبيضاء فى حنية مجاورة.

ثم قالت بعاطفة جياشة وهما ينطلقان معًا: «أنا أفتقد وجودك فى حصصى يا (هارى). لم تكن تبشر بأنك ستكون عرافًا... ولكنك كنتَ هدفًا ممتازًا...».

لم يجبها (هارى)؛ كان قد اشمأز من كونه هدفًا لتنبؤات الشؤم المستمرة للأستاذة (تريلاونى).

واصلت قائلة: «للأسف أن الفرس... آسفة، القنطور... لا يعلم شيئًا عن التكهن بورق الكوتشينة. سألته... من عراف لآخر... ألم يشعر هو أيضًا بالذبذبات البعيدة للمصيبة القادمة؟ ولكن كان يبدو أنه يعتبر أنى مضحكة، نعم، مضحكة!».

وعلا صوتها بصورة هستيرية واشتم (هارى) لفحة قوية من الخمر مع أن القوارير كانت قد تُركت وراءهما.

ربما سمع الحصان الناس يقولون: «إنى لم أرث موهبة جدة جدة جدة أمى. هذه شائعات يرددها الحاسدون منذ سنوات. أوَ تدرى ماذا أقول لأمثال هؤلاء الناس يا (هارى)؟ هل كان (دمبلدور) سيتركنى أدرّس بهذه المدرسة العظيمة ويولينى ثقة كبيرة طوال هذه السنوات لولا أن أثبت له نفسى؟».

غمغم (هارى) بشىء غير مفهوم.

واصلت الأستاذة (تريلاونى) بنبرات حلقية قائلة: «أتذكر جيدًا أول مقابلة لى مع (دمبلدور). كان منبهرًا بشدة بالطبع، منبهرًا بشدة... كنت أقيم فى «رأس الخنزير»، وهو ما لا أنصح به بالمناسبة... حشرات الفراش يا ولدى العزيز... لكن المال كان قليلاً. وتفضل (دمبلدور) علىّ بأن نادانى من غرفتى بالنزل. وسألنى... ولابد أن أقر بأنى ظننت فى بادئ الأمر أنه يبدو غير ميال للإيمان بالعرافة... وأتذكر أنى بدأت أشعر بقدر من الغرابة، ولم أكن قد أكلت كثيرًا فى ذلك اليوم... ولكن حينها...».

كان (هارى) الآن منتبهًا لأول مرة؛ لأنه كان يعرف ما حدث آنذاك: باحت الأستاذة (تريلاونى) بالنبوءة التى غيرت مجرى حياته تمامًا، النبوءة عنه هو و(فولدمورت).

«... ولكن حينها قاطعنا (سيفيروس سناب) بكل سخافة!»

«ماذا؟».

«نعم، كان هناك هياج خارج الباب ثم دفع به فانفتح، وهناك كان يقف ساقٍ رث الهيئة إلى حدٍّ ما مع (سناب) الذى كان يجادله فى أنه أخطأ الطريق على الدرج، مع أنى ظننت أنه قُبض عليه يتنصت على مقابلتى مع (دمبلدور)... أتعرف؟ كان هو نفسه يبحث عن عمل فى ذلك الوقت وكان يتمنى دون شك أن يحصل على بقشيش! حسنٌ، وبعد ذلك، أتعرف؟ بدا (دمبلدور) ميالاً لإعطائى عملاً، وظننت رغمًا عنى يا (هارى) أن هذا يرجع لأنه قدر التناقض الشديد بين طبعى المتواضع والموهبة

الهادئة مقارنة بالشاب الأرعن المندفع الذى كان لا يتورع عن استراق السمع من ثقوب الأبواب... عزيزى (هارى)».

والتفتت حين أدركت لتوها أن (هارى) لم يعد معها؛ كان قد توقف عن السير وكان يفصل بينهما حينذاك عشرة أقدام.

كررت نداءها فى شك قائلة: «(هارى)!».

لعل وجهه كان شاحبًا حتى تبدو بهذا القدر من القلق والخوف. كان (هارى) يقف دون حراك إذ نزلت عليه أمواج من الصدمات، موجة تلو الأخرى طامسة كل شىء عدا المعلومات التى حُجبت عنه طوال تلك المدة...

كان (سناب) هو الذى تنصت على النبوءة. وهو الذى أبلغ خبر النبوءة لـ(فولدمورت). (سناب) و((بيتر بتيجرو) معًا أرسلا (فولدمورت) ليطارد (ليلى) و(جيمس) وابنهما...

لا شىء آخر كان يهم بالنسبة لـ(هارى) الآن.

نادت الأستاذة (تريلاونى) مرة أخرى قائلة: «(هارى) (هارى)... كنت أحسب أننا ذاهبان لمقابلة الناظر معًا؟».

قال (هارى) من خلال شفتين خدرتين: «انتظرى هنا».

«ولكن يا عزيزى... كنت ذاهبة لأخبره كيف هوجمتُ فى غرفة الـ...».

ردد (هارى) فى غضب: «انتظرى هنا!».

بدا عليها الانزعاج وهو يركض فى دهليز (دمبلدور) حيث يقف التمثال البشع الموحش حارسًا. صاح (هارى) بكلمة السر أمام التمثال وانطلق يصعد الدرج اللولبى المتحرك ثلاث درجات فى القفزة الواحدة. ولم يدق على باب (دمبلدور)، بل أخذ يطرق عليه؛ فأجابه الصوت الهادئ «ادخل» بعد أن كان (هارى) قد دخل الغرفة مندفعًا.

التفت طائر العنقاء (فاوكس) بعينيه السوداوين اللامعتين تومضان بلون الذهب المنعكس من غروب الشمس وراء النافذة. وكان (دمبلدور) يقف عند النافذة يتأمل الملاعب بالخارج وعلى ذراعيه عباءة طويلة سوداء فضفاضة.

«حسنٌ، وعدتك يا (هارى) بأنك ستأتى معى».

للحظة أو لحظتين لم يفهم (هارى)؛ كان حديثه مع (تريلاونى) قد طرد من رأسه كل ما عداه وبدا أن عقله يتحرك ببطء شديد.

«آتى... معك...؟»

«لو شئتَ بالطبع».

«لو...»

وحينها تذكر (هارى) سبب لهفته على المجىء إلى مكتب (دمبلدور) أصلاً.

«أعثرتَ على واحدة؟ هل عثرتَ على قطعة (هوركروكس)؟».

«أعتقد ذلك».

الغضب والغيظ قاتلا الصدمة والإثارة؛ ولعدة لحظات عجز (هارى) عن الكلام.

قال (دمبلدور): «من الطبيعى أن تخاف».

فقال (هارى) على الفور: «أنا لست خائفًا!» وكان هذا صحيحًا تمامًا؛ فالخوف شعور لم يكن يساوره على الإطلاق. «أى قطع الـ(هوركروكس) كانت؟ أين هى؟».

«لا أعلم أيها هى... ولو أنى أعتقد أننا يمكن أن نستبعد الأفعى... ولكنى أظنها مخبأة فى كهف على الشاطئ على بعد أميال عديدة من هنا، كهف كنت أحاول أن أحدد مكانه منذ مدة طويلة جدًّا؛ الكهف الذى أدخل فيه (توم ريدل) الرعب فى قلوب طفلين من ملجئه فى رحلتهم السنوية... أتتذكر؟».

قال (هارى): «نعم، ما مدى حمايته؟».

«لا أعلم؛ لدىّ شكوك قد تكون خطأ تمامًا». ثم تردد (دمبلدور) ثم قال: «وعدتك يا (هارى) أنك يمكن أن تأتى معى، وأنا على وعدى، ولكن سيكون من الخطأ ألا أحذرك من أنه قد يكون فى ذلك خطر عظيم».

قال (هارى) قبل ان ينهى (دمبلدور) كلامه: «أنا معك». غليانه بالغضب على (سناب) ضاعف رغبته عشر مرات فى الدقائق القليلة السابقة فى أن يعمل شيئًا يائسًا وينطوى على مخاطرة. ولعل هذا الشعور بدا واضحًا على وجه (هارى)، إذ تحرك (دمبلدور) من عند النافذة ونظر إلى (هارى) عن قرب، وبين حاجبيه الفضيين تجعيدة خفيفة.

«ماذا جرى لك؟».

«كذب (هارى) على الفور وقال «لا شىء».

«ما الذى أزعجك؟».

«لستُ منزعجًا».

«(هارى)، لم يسبق لك أن كنتَ كاذبًا بارعًا...».

كانت الكلمة بمثابة شرارة أضرمت النقمة فى قلب (هارى).

قال بصوت عالٍ جدًّا فأطلق (فاوكس) صرخة رقيقة من ورائه: «إنه (سناب)! (سناب) هو ما جرى! هو الذى أنبأ (فولدمورت) بالنبوءة، هو الذى فعل، هو الذى تنصت خارج الباب، (تريلاونى) أبلغتنى!».

لم تتغير تعبيرات وجه (دمبلدور)، ولكن تراءى لـ(هارى) أن وجهه ازداد بياضًا تحت مسحة الاحمرار الخفيفة التى ألقتها شمس الغروب عليه. ولم ينبس (دمبلدور) بكلمة للحظة طويلة.

وأخيرًا سأله «متى اكتشفت ذلك؟».

قال (هارى) وهو يمنع نفسه بصعوبة بالغة من أن يزعق: «الآن». ثم فجأة، لم يتمالك نفسه وقال: «وأنت تركته يدرِّس هنا وهو الذى كلف (فولدمورت) بمطاردة أمى وأبى!».

ثم أدار (هارى) -وهو يتنفس بصعوبة كمن يقاتل- ظهره لـ(دمبلدور) الذى كان لايزال لم يحرك عضلة، وأخذ يذرع المكتب جيئة وذهابًا وهو يفرك أصابعه فى يده ويمارس آخر ما لديه من صبر حتى يمنع نفسه من

تحطيم الأشياء. كان يريد أن يفرغ غضبه فى (دمبلدور) ويعصف به، ولكنه كان يريد أن يذهب معه أيضًا كى يحاول القضاء على قطعة الـ(هوركروكس)؛ كان يود أن يقول له: إنه شيخ أخرق إذ وثق فى (سناب)، ولكنه كان خائفًا ألا يأخذه (دمبلدور) معه ما لم يكبح جماح غضبه...

قال (دمبلدور) فى هدوء: «(هارى)، اسمعنى من فضلك».

ولم يكن التوقف عن ذرع المكان جيئة وذهابًا بأقل صعوبة من الامتناع عن الصراخ. ثم توقف (هارى) وهو يعض على شفتيه ونظر فى وجه (دمبلدور) ذى الخطوط.

«الأستاذ (سناب) ارتكب...».

«لا تقل لى: غلطة يا سيدى، كان يسترق السمع على الباب!».

انتظر (دمبلدور) حتى هز (هارى) رأسه بفظاظة ثم واصل قائلاً: «أرجوك دعنى أنهى كلامى. الأستاذ (سناب) ارتكب خطأ جسيمًا. كان لايزال فى خدمة اللورد (فولدمورت) ليلة أن سمع النصف الأول من نبوءة الأستاذة (تريلاونى). واستعجل بالطبع لينبئ أستاذه بما سمع؛ لأن الأمر كان يهم أستاذه بشدة. ولكنه لم يكن يعلم ـ لم يكن ثم طريقة لكى يعلم ـ أى الصبية سيكون على (فولدمورت) أن يطارد منذ ذلك الحين فصاعدًا، أو أن الأبوين اللذين كان عليه أن يقضى عليهما فى مهمته القاتلة كانا ممن يعرفهم الأستاذ (سناب)، وأنهما أمك وأبوك...»

أطلق (هارى) صرخة ضحك لا فرحة فيها.

«كان يكره أبى كما كان يكره (سيريوس)! ألم تلاحظ يا أستاذ أن من يكرههم (سناب) ينتهى أمرهم بالموت؟»

«أنت لا تدرى شيئًا عن مقدار الندم الذى شعر به (سناب) حين أدرك كيف فسر اللورد (فولدمورت) النبوءة يا (هارى). أنا أعتقد أنه أعظم ندم أحس به فى حياته وكان السبب فى عودته...».

قال (هارى) بصوت يرتعش ويحاول ان يبقى عليه ثابتا: «ولكنه كاذب بارع، أليس كذلك سيدى؟ وأليس (فولدمورت) مقتنعًا بأن (سناب) فى صفه الآن أيضًا» يا أستاذ... كيف تتيقن من أن (سناب) فى صفنا؟».

لم ينطق (دمبلدور) بكلمة للحظة؛ نظر كمن يحاول أن يقرر شيئًا. وفى النهاية قال: «أنا متأكد، أنا واثق فى (سيفيروس سناب) تمامًا».

وتنفس (هارى) بعمق لبضع لحظات فى محاولة للاحتفاظ بثباته. ولكنه لم يفلح.

ثم قال بصوت عالٍ كما كان من قبل: «حسنٌ، أنا لا أثق به! فهو يدبر أمرًا مع (دراكو مالفوى) الآن، من وراء ظهرك، وأنت مازلتَ...».

قال (دمبلدور) وقد بدا متجهمًا مرة أخرى: «سبق أن ناقشنا ذلك يا (هارى) وقلت لك رأيى».

«ستغادر المدرسة الليلة وأنا متأكد من أنك لم تفكر حتى فى أن (سناب) و(مالفوى) قد يقرران أن...».

سأله (دمبلدور) رافعًا حاجبيه: «أن ماذا؟ ما الذى تشتبه فى أنهما يفعلانه تحديدًا؟».

قال (هارى) وقد كور قبضته وهو يتكلم: «أنا... إنهما يدبران أمرًا! الأستاذة (تريلاونى) كانت الآن فى غرفة الطلب تحاول أن تخبئ قوارير الخمر وسمعت (مالفوى) يهتف ويحتفل! إنه يحاول أن يصلح شيئًا خطيرًا بالداخل وإن سألتنى لقلت: إنه أصلحه فى النهاية وأنت على وشك أن تغادر المدرسة دون...».

قال (دمبلدور): «كفى»، قالها فى هدوء ومع ذلك فقد لاذ (هارى) بالصمت على الفور؛ فقد عرف أنه أخيرًا تجاوز خطًا ما غير مرئى. «أتعتقد أنى سبق أن تركت المدرسة مرة دون حماية فى أثناء غيابى

هذا العام؟ لا. والليلة حين اغادرها ستكون هناك حماية إضافية عليها. أرجوك، لا تفترض أنى لا آخذ أمن طلابى مأخذ الجد يا (هارى)».

غمغم (هارى) قائلاً بشيء من الخجل: «لم أفترض ذلك...»، إلا أن (دمبلدور) قاطعه وقال: «أنا لا أرغب فى مناقشة الموضوع أكثر من ذلك».

كبح (هارى) رده خشية أن يكون قد تعدى حدوده وأن يكون قد قضى على فرصته فى مصاحبة (دمبلدور)، إلا أن (دمبلدور) واصل قائلاً: «هل تود أن تأتى معى الليلة؟».

قال (هارى) على الفور: «نعم».

«حسنٌ جدًّا إذن، اسمع».

وانتصب (دمبلدور) بكامل قامته:

«سآخذك معى بشرط واحد؛ أن تطيع أى أمر أصدره على الفور ودون نقاش».

«طبعًا».

«افهمنى جيدًا يا (هارى). أقصد أنك يجب أن تنفذ أوامر من قبيل «اجر» أو «اختبئ» أو «عُد». هل تعدنى؟».

«أنا... نعم، طبعًا».

«لو قلتُ لك: اختبئ. فهل تفعل؟».

«نعم».

«لو قلتُ لك: اهرب. فهل ستطيع؟».

«نعم».

«لو قلتُ لك: اتركنى وانجُ بنفسك. فهل تفعل كما أقول لك؟».

«...أنا».

(هارى)؟».

ونظر كل منهما للآخر للحظة.

«نعم سيدى».

«حسنٌ جدًا. إذن أريدك ان تذهب وتأتى بعباءتك وتلقانى بقاعة المدخل فى غضون خمس دقائق».

ثم استدار (دمبلدور) لينظر خارج النافذة المخضبة باللون الأحمر؛ كانت الشمس قد صارت الآن وهجًا أحمر ياقوتيًا بطول الأفق. أسرع (هارى) بالخروج من المكتب وهبط الدرج الحلزونى. صفا ذهنه فجأة. كان يعرف ما يفعل.

كان كل من (رون) و(هرميون) جالسين بغرفة العموم حين عاد. فقالت له (هرميون) على الفور: «ماذا يريد (دمبلدور)؟ ثم أردفت بقلق «(هارى)، هل أنت بخير؟».

قال (هارى) باقتضاب وهو يسابق الزمن: «أنا بخير». ثم انطلق يصعد السلم إلى مهجعه حيث دفع صندوقه فانفتح وأخرج منه خارطة المغير وزوجًا من الجوارب المكورة. ثم أسرع عائدًا فنزل الدرج ودخل غرفة العموم وانزلق ليتوقف فجأة حيث كان (رون) و(هرميون) جالسين وقد بدا عليهما الذهول.

قال (هارى) وهو يلهث: «ليس لدىّ وقت. (دمبلدور) يحسب أنى ذهبت لآتى بعباءة الإخفاء. اسمعا...»، وأبلغهما على عجل عن وجهته والسبب. ولم يتوقف للهاث الرعب من (هرميون) أو لأسئلة (رون) المتعجلة؛ إذ يمكن لهما أن يدركا التفاصيل الدقيقة بنفسيهما فيما بعد.

واختتم (هارى) كلامه متعجلاً: «... فهل فهمتما معنى ذلك؟ (دمبلدور) لن يكون هنا الليلة، ومن ثم فإن (مالفوى) سيقوم بمحاولة أخرى لما يخطط له». ثم همس فى غضب حين أبدى كل من (رون) و(هرميون) كل إشارة تفيد المقاطعة: «لا، اسمعانى! أنا أعلم أن (مالفوى) هو الذى كان يحتفل فى غرفة الطلب. هنا...» ودفع بخارطة المغير فى يد (هرميون): «عليكما أن تراقباه وأن تراقبا (سناب) أيضًا. واستعينا بأى أحد يمكنكما

أن تجنداه من عند وكيل النيابة. (هرميون)، جالونات الاتصال هذه لاتزال تعمل، أليس كذلك؟ (دمبلدور) يقول إنه وضع حماية إضافية فى المدرسة، ولكن لو تدخل (سناب) سيعرف ما هى حماية (دمبلدور) وكيف يتفاداها... ولكنه لن يتوقع منكما أن تراقباه، أليس كذلك؟».

وبدأت (هرميون) بعينين ملؤهما الفزع «(هارى)...».

قال (هارى) فى حدة: «ليس لدىّ وقت للنقاش. خذا هذه أيضًا...» ودفع بالجوربين فى يدى (رون).

قال (رون): «شكرًا ولكن، ما حاجتى بالجوارب؟».

«أنت بحاجة لما كور فيهما، إنها الـ(فليكس فلسيس). اقتسموها أنتما و(جينى). بلغاها سلامى. يستحسن أن أذهب، (دمبلدور) منتظر...».

قالت (هرميون) بينما أخذ (رون) يفض قارورة الجرعة الذهبية الصغيرة وينظر إليها فى رهبة: «لا، نحن لا نريدها، خذها أنت، من يدرى ما سيكون عليك أن تواجهه؟».

قال (هارى): «سأكون بخير، سأكون مع (دمبلدور). أريد أن أتأكد من أن ثلاثتكم بخير... لا تنظرى إلىّ هذه النظرة يا (هرميون)، سأراكم فيما بعد...».

وانطلق عائدًا عبر ثقب اللوحة باتجاه قاعة المدخل.

كان (دمبلدور) منتظرًا بجانب الأبواب الأمامية المصنوعة من خشب السنديان، والتفت حين أتى (هارى) منزلقًا إلى الدرجة الحجرية العليا وهو يلهث بشدة ويشعر بوخز لافح فى جنبه.

قال (دمبلدور): «أريدك أن ترتدى عباءتك من فضلك» وانتظر إلى أن لبسها (هارى) ثم قال: «حسنٌ جدًّا، هل سننطلق».

وانطلق (دمبلدور) من فوره يهبط الدرج الحجرى وعباءة سفره لا تكاد تتحرك فى سكون هواء الصيف. وأسرع (هارى) محاذيًا له مرتديًا عباءة الإخفاء وهو لايزال يلهث ويتصبب عرقًا غزيرًا.

سأل (هارى) وفى ذهنه (مالفوى) و(سناب): «ولكن ماذا سيظن لناس حين يرونك تغادر يا أستاذ؟».

قال (دمبلدور) فى خفة: «سيحسبوننى خرجت إلى (هوجسميد) لأتناول شرابًا. فأنا أتردد على (روزمرتا) أحيانًا أو أقوم بزيارة «رأس الخنزير»... أو هكذا أبدو. إنها طريقة لا تقل فعالية عن أى من الطرق التى يموه بها المرء وجهته الحقيقية».

واتخذا طريقهما هبوطًا فى الحفرة فى الشفق المتجمع. كان الهواء مفعمًا بروائح العشب الدافئ وماء البحيرة ودخان الغابة المتصاعد من كوخ (هاجريد). كان من الصعب تصديق أنهما متجهان صوب أى شيء خطير أو مخيف.

قال (هارى) بينما ظهرت البوابات فى قاع الحفرة: «أستاذ، هل سنكون ظاهرين؟».

قال (دمبلدور): «نعم، يمكنك أن تظهر الآن على ما أظن».

قال (هارى): «نعم، ولكن ليس معى تصريح».

أحس أن من الأفضل أن يكون أمينًا؛ فماذا لو أفسد كل شيء بظهوره على بعد مائة ميل من المكان الذى يفترض أن يذهبا إليه؟

قال (دمبلدور): «لا يهم، يمكننى أن أساعدك مرة أخرى».

خرجا من البوابات ودلفا إلى الزقاق المهجور المفضى إلى (هوجسميد). وهبط الظلام بسرعة وهما يمشيان، وحين بلغا الطريق العام كان الليل يرخى سدوله جديًا. وتلألأت الأضواء من النوافذ التى تعلو الحوانيت، ومع اقترابهما من حانوت (ثرى بروومستيكس) سمعا صياحًا أجش.

صاحت مدام (روزمرتا) وهى تطرد عرافًا رث الهيئة قائلة: «...وابق بالخارج! آه، أهلاً (ألباس)... أنت بالخارج فى هذا الوقت المتأخر...».

«مساء الخير يا (روزمرتا)، مساء الخير... سامحينى، أنا فى طريقى إلى «رأس الخنزير»... لا تستائى، ولكنى أحس برغبة فى جو هادئ الليلة...».

وبعد دقيقة انعطفا إلى الشارع الجانبى حيث كانت لافتة «رأس الخنزير» تحدث صريرًا طفيفًا على الرغم من عدم وجود نسيم. وعلى عكس الحال فى (ثرى بروومستيكس) بدا أن الحان خالٍ تمامًا.

غمغم (دمبلدور) وهو يتلفت حوله: «لن يكون ضروريًّا أن ندخل. مادام ليس هناك من يرانا نذهب... والآن، ضع يدك على ذراعى يا (هارى). ولا داعى لأن تقبض عليه بشدة، فأنا أرشدك وحسب. سأعد إلى ثلاثة: «واحد... اثنان... ثلاثة...».

انقلب (هارى). وعلى الفور كان هناك ذلك الإحساس الرهيب بأنه يُعتصر داخل أنبوب مطاطى سميك؛ لم يتمكن من الشهيق، كان كل جزء فيه ينضغط إلى ما فوق الاحتمال، وفى اللحظة التى ظن فيها أنه سيختنق بدا كأن الأربطة الخفية انحلت، وكان واقفًا فى ظلام بارد يتنفس ملء رئتيه هواء منعشًا مالحًا.

■ ■ ■

٢٦ الكهف

كان (هارى) يشم ملحًا ويسمع هدير أمواج متدافعة. نسيم خفيف بارد
؛وش شعره حين نظر إلى البحر وقد أضاءه القمر، وإلى السماء وقد انتثرت
يها النجوم. كان واقفا على نتوء عالٍ من صخرة داكنة والماء يزبد
يمور تحته. ونظر فوق كتفه. كان هناك منحدر صخرى ينتصب شاهقًا
راءه، كتلة صماء سوداء بلا ملامح. بضع كتل ضخمة من الصخر كتلك
تى كان (هارى) و(دمبلدور) يقفان عليها، بدت كأنها انفصلت عن وجه
منحدر الصخرى عند نقطة ما فى الماضى. كان مشهدًا قاسيًا كئيبًا؛
بحر والصخر لا يخفف من قسوتهما شجرة أو عشب أو رمال.

سأل (دمبلدور) قائلاً: «ما رأيك؟» لعله كان يسأل (هارى) عن رأيه
يما إذا كان المكان يصلح كمتنزه.

فسأله (هارى) الذى لم يتصور مكانًا أقل حميمية لرحلة نهارية:
«جاءوا بالأطفال من الملجأ إلى هنا؟».

قال (دمبلدور): «ليس هنا تحديدًا. هناك قرية صغيرة فى منتصف
مسافة المنحدر الصخرى وراءنا. أعتقد أن الأيتام أُخذوا إلى هناك
لاستنشاق هواء البحر ومشاهدة الأمواج. لا، أعتقد أن (توم ريدل)
وضحاياه الصغار كانوا الوحيدين الذين يزورون هذه البقعة. فلا أحد
من العامة يمكن أن يصل إلى هذه الصخرة ما لم يكن من متسلقى
الجبال المهرة، والقوارب لا تستطيع أن تقترب من المنحدرات الصخرية؛
فالماء حولها أخطر مما يحتمل. أتصور أن (ريدل) هبط إلى أسفل؛ السحر
ساعده أكثر من الحبال. وأتى معه بطفلين، ربما ليتمتع بترويعهما.
أعتقد أن الرحلة وحدها كانت كفيلة بذلك، ألا تعتقد ذلك؟».

نظر (هـارى) لأعلى المنحدر مرة أخرى وأحس بقشعريرة.

«لكن وجهته الأخيرة ـ ووجهتنا ـ تقع على بعد يسير.. تعال».

دعا (دمبلدور) (هـارى) نحو حافة الصخرة حيث كانت هناك سلسلة من الحنيات المسننة تصلح موطئًا للأقدام، وتؤدى إلى كتل صخرية نصفها غاطس فى الماء وأقرب إلى المنحدر. كان هبوطًا محفوفًا بالخطر، وتحرك (دمبلدور) ببطء حيث أعاقته يده الذابلة قليلاً. وكانت الصخور السفلية زلقة بماء البحر. وشعر (هـارى) بنقط الرذاذ الملحى البارد ترتطم بوجهه.

قال (دمبلدور) حين بلغ الصخرة الأقرب إلى وجه المنحدر «*لوموس*»، فومضت ألف نقطة من النور الذهبى على سطح الماء المعتم على بعد بضع أقدام لأسفل حيث هبط، وكان جدار الصخرة الأسود إلى جانبه مضاءً أيضًا.

قال (دمبلدور) فى هدوء وهو رافع عصاه السحرية لأعلى قليلاً: «هل ترى؟» ورأى (هـارى) صدعًا فى المنحدر، كان الماء المعتم يدور فيه على شكل دوامة.

«لا أظنك تعترض على قليل من البلل؟».

قال (هـارى): «لا».

«إذن اخلع عنك عباءة الإخفاء ـ فلا داعى لها الآن ـ وهيا بنا نحسم الأمر».

وبرشاقة مفاجئة لرجل أصغر سنًا بكثير؛ انزلق (دمبلدور) من الجلمود الصخرى ونزل فى البحر وبدأ يسبح بضربات صدر متقنة نحو الشق المعتم بوجه الصخرة ممسكًا بعصاه السحرية المضيئة بين أسنانه. واجتذب (هـارى) عباءته وحشرها فى جيبه وتبعه.

كان الماء فى برودة الثلج؛ فانتفخت ثياب (هـارى) المبللة من حوله وأثقلته. فاستنشق أنفاسًا عميقة ملأت فتحتى أنفه برائحة الملح والطحالب، وأخذ يضرب الماء نحو الضوء الواهن الذى أخذ يخفت ويهبط إلى أعماق المنحدر.

وسرعان ما انفتح الشق فى نفق مظلم أدرك (هارى) أنه يمتلئ بالماء مع المد العالى. والجدران اللزجة لم يكن يفصل بينها أكثر من ثلاث أقدام كانت تومض كالقار الرطب فى ضوء عصا (دمبلدور) السحرية حين يمر بها. وإلى الداخل قليلاً بالممر المنحوت على اليسار رأى (هارى) أنه يمتد لمسافة بعيدة داخل المنحدر. فواصل السباحة فى أعقاب (دمبلدور) كانت أطراف أصابعه الخدرة تمس الصخرة الجافة المبللة.

ثم رأى (دمبلدور) يخرج من الماء أمامه وشعره الفضى وثيابه لداكنة تتلألأ. وعندما بلغ (هارى) النقطة وجد درجات تؤدى إلى داخل مغارة كبيرة.

فتسلقها بمشقة والماء ينساب من ثيابه المبللة، وخرج يرتعش رغمًا عنه إلى الهواء الساكن المتجمد.

كان (دمبلدور) واقفًا بوسط المغارة رافعًا عصاه السحرية لأعلى وهو يطوف المكان ببطء يتفقد الجدران والسقف.

قال (دمبلدور): «نعم، هذا هو المكان».

قال (هارى) همسًا: «كيف تتأكد؟».

قال (دمبلدور) ببساطة: «المكان عرف السحر».

لم يدرك (هارى) ما إذا كانت الرعشة التى يعانيها ترجع لإحساسه العميق بالبرودة أم إلى الإحساس بالسحر نفسه. أخذ يرقب (دمبلدور) وهو يواصل التجوال بالمكان مركزًا على أشياء لا يراها (هارى).

قال (دمبلدور) بعد لحظة أو لحظتين: «ليست هذه سوى الحجرة الأمامية، قاعة المدخل. لابد أن نخترق المكان من الداخل... عقبات اللورد (فولدمورت) هى التى تقف فى طريقنا الآن وليست تلك التى من صنع الطبيعة...».

اقترب (دمبلدور) من جدار الكهف وربت عليه بأطراف أصابعه الذابلة وهو يغمغم بكلمات بلغة غريبة لم يفهمها (هارى). جال (دمبلدور) المغارة كثيرًا ملامسًا أكبر قدر أمكن له من الصخر الصلب وكان يتوقف

أحيانًا ويتنقل بأصابعه إلى الوراء وإلى الأمام عند نقطة بعينها، إلى أن توقف فى النهاية حيث انجذبت عصاه السحرية مستوية على الجدار.

قال: «هنا، سندخل من هنا، المدخل خفى».

لم يسأل (هارى) (دمبلدور) كيف عرف. لم يسبق له أن رأى ساحرًا يتعامل مع الأشياء على هذا النحو، بمجرد النظر واللمس؛ إلا أن (هارى) كان قد تعلم منذ مدة طويلة أن الضربات القوية والدخان غالبًا ما تكون من أمارات السذاجة لا الخبرة.

تراجع (دمبلدور) خطوات عن جدار المغارة وصوب عصاه السحرية إلى الصخرة. فظهر فيه للحظة خط مقوس توهج باللون الأبيض كأن هناك ضوءًا قويًا وراء الشرخ.

قال (هارى) من بين أسنان تصطك: «أنت نـ ...نجحت!» ولكن قبل أن تفارق الكلمات شفتيه كان الخط قد اختفى تاركًا الصخرة خالية وصلبة كما كانت. تلفت (دمبلدور) حوله.

قال «أنا آسف يا (هارى)، نسيت» ثم صوب عصاه السحرية نحو (هارى)، وفى التو صارت ثياب (هارى) دافئة وجافة كما لو كانت معلقة أمام مدفأة متقدة.

قال (هارى) بعرفان: «شكرًا»، إلا أن (دمبلدور) كان قد عاد وركز انتباهه على جدار المغارة الصلب. لم يجرب المزيد من السحر، بل اكتفى بالوقوف أمامه يحدق به فى تركيز كأن شيئًا مهمًا كان مكتوبًا عليه. وظل (هارى) واقفًا فى هدوء وسكون؛ لم يرد أن يشتت تركيز (دمبلدور).

وبعد لحظتين جامدتين قال (دمبلدور) فى هدوء: «آه، طبعًا لا، ياللغباء».

«ما الخطب يا أستاذ؟».

قال (دمبلدور) وهو يضع يده السليمة داخل ثيابه ويخرج بسكين فضية قصيرة من النوع الذى يستعمله (هارى) فى تقطيع مكونات الوصفات: «أظن أننا لابد أن ندفع حتى نمر».

قـال (هـارى): «ندفـع؟ لابد ان تدفـع للبـاب شيئـا؟».
قـال (دمبلدور): «نعم، دم، إن لم يجـانبنـى الصواب».
«دم؟».
قـال (دمبلدور) بـاستخفـاف، بل بـإحبـاط كـأن (فولدمورت) أخطـأ فـى المعايير التى توقعها (دمبلدور): «قلتُ إن هذا غباء. فـالفكرة كما ستدركها هى أن خصمك لابد أن يضعف نفسه لكى يدخل. مرة أخرى يخفق اللورد (فولدمورت) فى فهم أن هنـاك أشيـاء أبشع كثيرًا من الإصـابـة الجسمـانيـة».
قـال (هـارى) الذى كـان قد عـانـى الآلام، ممـا يجعلـه غير راغب فـى المزيد: «نعم ولكن لو استطعتَ أن تتفـاداهـا...».
قـال (دمبلدور) وهو يشمر كم ثوبـه ويكشف عن سـاعد ذراعـه المصـاب: «لا يمكن تفـاديهـا أحيـانـًا».
اعترض (هـارى) وهو يتقدم بسرعـة حين رفـع (دمبلدور) سكينـه قـائلاً: «أستـاذ! سـأقوم أنـا بذلك، فـأنـا..».
لم يكن يعرف مـاذا سيقول... أصغر سنًّا، أنسب؟ لكن (دمبلدور) اكتفى بـالابـتسـام. كـان هـنـاك ومـيض فضـى وتـوهـج قـرمـزى؛ وامتـلأ وجـه الصخرة بنقط متلألئـة داكنـة.
قـال (دمبلدور) وهو يمرر طرف عصـاه السحريـة على الجرح الغـائر الذى أحدثـه فـى ذراعه فبرأ على الفور كمـا أبرأ (سنـاب) جروح (مـالفوى): «أنت عطوف جدًّا يـا (هـارى)، لكن دمك أغلى من دمى. آه، يبدو أن هذه الحيلـة نجحت، أليس كذلك؟».
كـان الخط الفضى المتوهج المقوس قد ظهر على الجدار مرة أخرى، ولم يخفت هذه المرة؛ فقد اختفت الصخرة التى رُشت بـالدم فى داخلـه تـاركـة وراءهـا فتحـة وسط ظلام تـام.
قـال (دمبلدور): «اتبعنى»، ومشى عبر المدخل و(هـارى) من ورائـه مضيئـًا عصـاه السحريـة وهو يمشى.

صدم أعينهما منظر مخيف، كانا واقفين على حافة بحيرة سوداء كبيرة حتى إن (هارى) لم يتمكن من رؤية شطآنها البعيدة داخل مغارة عالية حتى إن سقفها أيضًا لم يكن مرئيًا. وسطع ضوء ضبابى يميل إلى الاخضرار من بعيد فيما بدا كأنه وسط البحيرة، وانعكس فى الماء الساكن تمامًا تحته. كان الوهج الأخضر والضوء الصادر عن العصوين السحريتين الشيئين الوحيدين اللذين كسرا العتمة الحالكة ولو أن شعاعهما لم يخترق المسافة التى توقعها (هارى). كان الظلام أشد كثافة من الظلام المعتاد.

قال (دمبلدور) فى هدوء: «هيا بنا نسير. حذار أن تخطو فى الماء. وابقَ قريبًا منِّى».

وانطلق حول حافة البحيرة وتبعه (هارى) على مسافة قريبة من ورائه. كان لأقدامهما رجع صدى؛ طقطقة على حافة الصخرة المحيطة بالماء. وظلا يسيران، لكن المشهد ظل كما هو: جدار المغارة الصلب من جانب، وامتداد الظلام اللانهائى الزجاجى الناعم من الجانب الآخر وفى وسطه ذلك الوهج الأخضر الغامض. كان المكان والصمت فى نظر (هارى) ثقيلاً مقبضًا ويثير الأعصاب.

فى النهاية قال: «أستاذ، أتعتقد أن قطعة الـ(هوركروكس) هنا؟».

قال (دمبلدور) «نعم، نعم، أنا على يقين من ذلك. السؤال هو كيف نصل إليها؟».

قال (هارى) وهو موقن أنه اقتراح أخرق، ولكنه كان أكثر رغبة فى الخروج من هذا المكان بأسرع ما يمكن: «ألا نستطيع... ألا نستطيع أن نجرب تعويذة استدعاء؟»

قال (دمبلدور) وقد توقف فجأة حتى إن (هارى) كاد يصطدم به: «طبعًا نستطيع، لم لا تقوم أنت بذلك؟».

«أنا؟ آه... لا بأس...».

لم يكن (هارى) يتوقع ذلك، ولكنه نقى حلقه وقال بصوت مسموع وهو رافع عصاه السحرية: «*أسيو هوركروكس!*».

بضجة أشبه بانفجار شيء شديد الضخامه شاحب انبثق من الماء المعتم على بعد حوالى عشرين قدمًا منهما، وقبل أن يتمكن (هارى) من رؤية ما هو، كان قد اختفى مرة أخرى بارتطام حاد أحدث تموجات عميقة هائلة على السطح الأملس. قفز (هارى) إلى الوراء فى صدمة فاصطدم بالجدار؛ كان قلبه لايزال يرعد حين التفت إلى (دمبلدور) وقال: «ما هذا؟».

«أظنه شيئًا مستعدًا للرد لو حاولنا الإمساك بقطعة الـ(هوركروكس)».

عاد (هارى) ينظر إلى الماء. كان سطح البحيرة مرة أخرى عبارة عن زجاج أسود ساطع، كانت التموجات قد اختفت بسرعة غير طبيعية، ومع ذلك ظل قلب (هارى) يخفق بشدة.

«هل كنتَ تظن أن هذا سيحدث سيدى؟».

«كنت أحسب أن شيئًا *سيحدث* لو حاولنا أن نضع يدنا على الـ(هوركروكس). كانت هذه فكرة بارعة جدًا يا (هارى)؛ أبسط طريقة لمعرفة ما نواجه».

قال (هارى) وهو ناظر إلى الماء الأملس الشرير: «لكننا لا ندرى ماذا كان هذا الشيء؟».

قال (دمبلدور): «تقصد ما الأشياء؟ أنا أشك فى أنها شيء واحد. هلا مشينا».

«أستاذ!».

«نعم يا (هارى)».

«هل تظن أننا سنضطر للنزول فى البحيرة؟».

«فيها؟ سنكون تعساء جدًا لو فعلنا».

«أنت لا تعتقد أن قطعة الـ(هوركروكس) فى القاع».

«لا... أعتقد أنها فى *الوسط*».

وأشار (دمبلدور) نحو الضوء الضبابى الأخضر بوسط البحيرة:

«سنضطر إذن لعبور البحيرة لنصل إليها؟».

«نعم، أعتقد ذلك».

لم يقل (هـارى) شيئًا. كانت كل أفكاره تنحصر فى وحوش الماء والأفاعى العملاقة والعفاريت وجان البحر والأشباح...

قال (دمبلدور) وقد توقف مرة أخرى: «آه». وفى هذه المرة اصطدم به (هارى) فعلاً. وللحظة زل على حافة الماء المعتم فقبضت يد (دمبلدور) السليمة على أعلى ذراعه بشدة وجذبته لأعلى: «أنا آسف يا (هارى)، كان علىّ أن أنبهك. استند على الجدار من فضلك، أعتقد أنى عثرت على المكان».

لم تكن لدى (هارى) أية فكرة عما يقصده (دمبلدور)، فهذه البقعة من الشاطئ المظلم كانت كغيرها فى نظره، ولكن كان يبدو أن (دمبلدور) وجد فيها شيئًا مختلفًا. هذه المرة كان يمر بيده لا على الجدار الصخرى، بل فى الهواء، كأنه يتوقع أن يعثر على شىء خفى ويقبض عليه.

قال (دمبلدور) فى سعادة بعد لحظات: «آه». كانت يده قد قبضت فى وسط الهواء على شىء لم يتمكن (هارى) من رؤيته. ثم اقترب (دمبلدور) من الماء، وأخذ (هارى) يحدق متوترًا حين لامس طرفا حذاء (دمبلدور) الملتوى أقصى طرف الحافة الصخرية. أبقى (دمبلدور) يده مطبقة فى الهواء ورفع عصاه السحرية بالأخرى ونقر بطرفها على قبضته.

وعلى الفور ظهرت فى الهواء سلسلة نحاسية سميكة خضراء تمتد من أعماق الماء إلى قبضة (دمبلدور). نقر (دمبلدور) على السلسلة فبدأت تنزلق من قبضته كالأفعى، والتفت على الأرض محدثة صلصلة تردد صداها مدويًا على الجدران الصخرية، مجتذبة وراءها شيئًا من أعماق الماء حالك السواد. وشهق (هارى) حين انشق السطح عن مقدمة مخيفة لقارب صغير، وتوهجت كالسلسلة وطفت محدثة صلصلة موجة اتجهت صوب المكان الذى وقف فيه كل من (هارى) و(دمبلدور).

سأله (هارى) فى دهشة: «كيف عرفتَ بوجودها؟».

قال (دمبلدور) بينما ارتطم القارب بالشاطئ ارتطامًا خفيفًا: «السحر دائمًا يترك آثارًا تدل عليه، آثارًا متميزة جدًا أحيانًا. أنا الذى علم (توم ريدل)، وأعرف أسلوبه».

«هل... هل هذا القارب آمن؟».

«نعم، أعتقد ذلك. كان على (فولدمورت) أن يخلق وسيلة يعبر بها البحيرة دون أن يجتذب نقمة المخلوقات التى وضعها بداخلها فى حالة ما إذا أراد يومًا أن يزور قطعة الـ(هوركروكس) الخاصة به أو أن ينقلها».

«إذن فالأشياء التى فى الماء لن تفعل بنا شيئًا لو عبرنا فى قارب (فولدمورت)».

«أعتقد أن علينا أن نفترض أنها عند نقطة ما ستدرك أننا لسنا اللورد (فولدمورت). ولكننا نسير على ما يرام حتى الآن. فقد سمحت لنا أن نرفع القارب».

فسأله (هارى) إذ لم يتمكن من هز طيف المجسات التى انبثقت من الماء المظلم فى اللحظة التى اختفت فيها من الشاطئ: «ولكن لم سمحت لنا؟».

قال (دمبلدور): «(فولدمورت) واثق من أن القارب لن يتمكن من العثور عليه إلا ساحر عظيم جدًا. وأظن أنه سيكون مستعدًا للمجازفة بالاحتمال الأبعد فى ذهنه وهو أن يعثر عليه أحد علمًا بأنه وضع عراقيل أخرى لن يتمكن غيره من اختراقها. سنرى إن صدق فى ذلك».

نظر (هارى) فى القارب بأسفل. كان صغيرًا جدًا.

«لا يبدو أنه قد صُنع لشخصين. فهل سيتحملنا معًا؟ هل سيكون وزننا ثقيلاً معًا؟».

فضحك (دمبلدور).

«(فولدمورت) لا يهمه الوزن، بل يهمه مقدار القوة السحرية التى تعبر بحيرته. أظن أن هناك تعويذة سحرية ستكون فى قاربه بحيث لا يتمكن من الإبحار به إلا ساحر واحد فى المرة الواحدة».

«ولكن...».

«لا أظن أن وزنك يُحتسب يا (هارى)، فأنت قاصر وغير مؤهل. ما كان (فولدمورت) ليتوقع من صبى فى السادسة عشرة من عمره أن يصل إلى هذا المكان. أظن من المستبعد أن تُحتسب قواك مقارنةً بقواى».

لم تفلح هذه الكلمات في رفع روح (هارى) المعنوية؛ ولعل (دمبلدور) أدرك ذلك إذ أردف قائلاً: «هو خطأ (فولدمورت) يا (هارى)، خطأ (فولدمورت)... السن تتسم بالغباء والنسيان حين يبخس الشباب حقه... والآن تفضل أنت أولاً هذه المرة وحذار أن تلمس الماء».

تنحى (دمبلدور) جانبًا، وركب (هارى) القارب فى حذر. ونزل فيه (دمبلدور) أيضًا وهو يلف السلسلة على الأرضية. وحُشرا معًا، فلم يتمكن (هارى) من الجلوس بشكل مريح ولكنه انثنى فصارت ركبتاه فوق حافة القارب الذى بدأ يتحرك على الفور. لم يكن ثَمَّ صوت غير حفيف مقدمة القارب وهى تشق الماء، كان يتحرك دون عون منهما كأن حبالاً خفية كانت تشده إلى الأمام نحو الضوء بالوسط. وسرعان ما اختفت جدران المغارة عن ناظريهما؛ كأنهما كانا فى البحر، بيد أنه لم تكن هناك أمواج.

نظر (هارى) لأسفل فرأى انعكاس ذهب ضوء عصاه السحرية يتلألأ ويومض على صفحة الماء المعتم وهما يمران. كان القارب ينحت أمواجًا عميقة على السطح الزجاجى، أخاديد فى المرآة المظلمة...

ثم رآها (هارى)، بيضاء كالمرمر تطفو على بعد بوصات تحت السطح.

قال: «أستاذ!» وتردد رجع صوته الخائف عاليًا فوق الماء الصامت.

«(هارى)؟».

«أحسبنى رأيت يدًا فى الماء.. يدًا بشرية».

قال (دمبلدور) فى هدوء: «نعم، أنا واثق أنك رأيتها».

وحدق (هارى) فى الماء من تحته يبحث عن اليد التى اختفت، وشعر بغثيان يتصاعد فى حلقه.

«هذا الشيء الذى قفز من الماء....».

لكن (هارى) تلقى الرد قبل أن يجيبه (دمبلدور)، فكان ضوء العصا قد انزلق على بقعة جديدة من الماء، فرأى هذه المرة رجلاً ميتًا مستلقيًا على

ظهره على بعد بوصات تحت السطح، عيناه المفتوحتان عليهما غشاوة تشبه نسيج العنكبوت، وشعره وثيابه يدوران حوله في دوامة كالدخان.

قال (هاري): «توجد جثث هنا!» وكان صوته أعلى من المعتاد ومختلفًا عن صوته العادى.

قال (دمبلدور) فى هدوء: «نعم، ولكن لا داعى للقلق منها الآن».

ردد (هارى) وقد تحول بعينيه عن الماء إلى (دمبلدور) وقال: «الآن؟».

قال (دمبلدور): «مادامت تطفو فى سلام تحتنا، فالجثة ليس فيها ما يخيف يا (هارى)، كما أن الظلام ليس فيه ما يخيف. واللورد (فولدمورت) قد لا يتفق معى فى ذلك، فهو يخشى كليهما فى داخله بالطبع. ولكنه مرة أخرى يكشف عن افتقاره للحكمة. فالمجهول هو الذى نخشاه حين ننظر إلى الموت والظلام، ولا شىء أكثر من ذلك».

لم يقُل (هارى) شيئًا، إذ لم يشأ أن يجادل، لكن فكرة وجود جثث طافية حولهما ومن تحتهما كانت مخيفة بالنسبة له، بل إنه لم يكن يصدق أنها لا تشكل خطرًا».

قال وهو يحاول أن يجعل صوته مستويًا وهادئًا كصوت (دمبلدور) «لكن واحدة منها قفزت. عندما حاولتُ أن أستدعى الـ(هوركروكس) قفزت جثة من البحيرة».

قال (دمبلدور): «نعم» ثم أضاف وهو يبتسم ردًّا على تعبير وجه (هارى) المرتبك قائلاً: «أنا متأكد أننا بمجرد أن نأخذ الـ(هوركروكس) سنجدها أقل مسالمة. ولكنها على أية حال كغيرها من المخلوقات التى تسكن البرد والظلام، فإنها تخشى النور والدفء اللذين سنستعين بهما لنجدتنا حين نحتاج إلى النار يا (هارى)».

قال (هارى) بسرعة: «آه... صحيح...». واستدار برأسه لينظر إلى الوهج الأخضر الذى كان القارب لايزال يبحر نحوه فى عناد. لم يكن بإمكانه وقتئذ أن يدعى أنه غير خائف. فالبحيرة الشاسعة السوداء التى تعج

بالموتى... بدا الأمر وكأن ساعات طويلة مضت منذ أن التقى الأستاذة (تريلاونى)، ومنذ أن أعطى (رون) و(هرميون) الـ(فليكس فلسيس)... تمنى فجأة لو كان ودعهما وداعًا أفضل... كما أنه لم يرَ (جينى)...

قال (دمبلدور) فى مرح: «كدنا نصل».

أخيرًا بدا الضوء الأخضر كأنه يكبر، وفى غضون دقائق توقف القارب مرتطمًا فى هدوء بشىء لم يتمكن (هارى) من رؤيته فى البداية، ولكنه حين رفع عصاه السحرية المضيئة وجد أنهما وصلا إلى جزيرة صغيرة صخورها مستوية بوسط البحيرة.

قال (دمبلدور) مرة أخرى بينما كان (هارى) خارجًا من القارب: «إياك أن تلمس الماء».

لم تكن الجزيرة أكبر من مكتب (دمبلدور)، كانت عبارة عن امتداد حجرى مستوٍ داكن لا شىء فوقه سوى مصدر ذلك الضوء الأخضر الذى بدا أكثر سطوعًا عن كثب. نظر (هارى) إليه شزرًا، ظنه فى بادئ الأمر مصباحًا من نوع ما، لكنه وجد النور آتيًا من حوض حجرى أشبه بمنخل وضع على قاعدة.

اقترب (دمبلدور) من الحوض وتبعه (هارى). ونظرا جنبًا إلى جنب إليه بالأسفل. كان الحوض مليئًا بسائل زمردى اللون يبعث ذلك الوهج الفسفورى.

سأل (هارى) فى هدوء قائلاً: «ما هذا؟».

قال (دمبلدور): «لا أعلم. لكنه شىء أكثر رهبة من الدم والجثث».

رفع (دمبلدور) كُمَّ ثوبه عن اليد الذابلة، ومد أطراف أصابعه المحروقة نحو سطح السائل.

«سيدى، لا، لا تلمس...!».

قال (دمبلدور) بابتسامة شاحبة: «لا أستطيع أن ألمس، أترى؟ لا أستطيع أن أدنو أكثر من ذلك. حاول أنت». مد (هارى) يده فى الحوض وهو يحدق

وحاول أن يلمس السائل. فاعترضه حاجز خفى منعه من الاقتراب منه لأكثر من بوصة. وكلما حاول أن يدفعه كانت أصابعه لا تجد إلا ما بدا كأنه هواء جامد غير مرن.

قال (دمبلدور): «تنحَّ جانبًا من فضلك يا (هارى)».

ورفع عصاه السحرية وأدى حركات معقدة فوق سطح السائل وهو يغمغم بلا صوت. ولم يحدث شىء عدا أن توهج السائل قليلاً. وظل (هارى) على صمته، بينما كان (دمبلدور) يعمل، ولكن بعد قليل سحب (دمبلدور) عصاه وأحس (هارى) بالأمان لأن يتكلم مرة أخرى.

«أتظن أن الـ(هوركروكس) فيه سيدى؟».

اقترب (دمبلدور) من الحوض وأمعن النظر داخله وقال: «نعم». ورأى (هارى) انعكاس وجهه مقلوبًا على سطح السائل الأخضر الأملس. «ولكن كيف الوصول إليه؟ فهذا السائل يستحيل اختراقه باليد أو إخفاؤه أو شقه أو جرفه أو شفطه، كما أنه لا يمكن تغيير صورته أو سحره أو تغيير طبيعته».

ورفع (دمبلدور) عصاه السحرية مرة أخرى وهو شارد وأدارها مرة فى الهواء ثم أمسك بكأس بلورية استحضرها من العدم.

«كل ما يمكن أن أتوصل إليه هو أن هذا السائل يفترض أن يُشرب».

قال (هارى): «ماذا؟ لا!».

«نعم، أعتقد ذلك، فلا مجال لتفريغ الحوض ورؤية ما فى أعماقه إلا بشربه».

«ولكن ماذا لو... ماذا لو قتلك؟».

قال (دمبلدور) باستخفاف: «أشك فى أن يعمل على هذا النحو. فاللورد (فولدمورت) ما كان ليقتل من يصل إلى هذه الجزيرة».

لم يتمكن (هارى) من تصديق ذلك. فهل كان هذا ضمن إصرار (دمبلدور) الجنونى على رؤية الخير فى كل الناس؟

قال (هاري) وهو يحاول أن يبقى صوته هادئًا: «سيدى، سيدى، هذا (فولدمورت) الذى...».

صحح (دمبلدور) لنفسه وقال: «آسف يا (هارى)، كان ينبغى أن أقول إنه ما كان ليقتل على الفور من يصل إلى هذه الجزيرة. بل سيود أن يبقيه حيًّا؛ حتى يعرف كيف أفلح فى اختراق دفاعاته إلى هذا الحد، والأهم من ذلك سبب تصميمه على تفريغ الحوض. ولا تنسَ أن اللورد (فولدمورت) يظن أنه الوحيد الذى يعلم بوجود قطع الـ(هوركروكس) الخاصة به».

وكاد (هارى) يتكلم مرة أخرى، لكن (دمبلدور) فى هذه المرة رفع عصاه السحرية مشيرًا عليه بالسكوت وقطب قليلاً وهو يحدق فى السائل الزمردى، كان واضحًا أنه يفكر بتركيز.

وفى النهاية قال: «لا شك أن هذا السائل يعمل بحيث يمنعنى من أخذ الـ(هوركروكس). قد يشلنى أو ينسينى سبب وجودى هنا أو يصيبنى بقدر من الألم يلهينى به أو يعجزنى بصورة ما غير ذلك. ومادام الحال كذلك يا (هارى) فستكون مهمتك أن تتأكد من أنى أظل أشرب حتى وإن اضطررتَ إلى سكب السائل فى فمى إن توقفت عن شربه، أتفهم؟».

والتقت عيناهما على الحوض، كان وجه كل منهما الشاحب يضيئه ذلك الوهج الأخضر الغريب. ولم ينطق (هارى) بكلمة. ألهذا دعاه لرفقته حتى يرغم (دمبلدور) على تناول جرعة قد تتسبب له فى ألم لا يحتمل؟!

قال (دمبلدور): «هل تتذكر الشرط الذى أتيتُ بك عليه؟».

تردد (هارى) ونظر فى العينين الزرقاوين اللتين تحولتا إلى خضراوين فى النور المنعكس من الحوض.

«ولكن ماذا لو...؟».

«أنت أقسمتَ، أليس كذلك؟ أن تطيع أى أمر أصدره إليك؟».

«نعم، ولكن...».

«أنا حذرتك من أنه قد يكون ثمَّ خطر، أليس كذلك؟».

قال (هارى): «بلى، ولكن...».
قال (دمبلدور) وهو يهز كميه مرة أخرى ويرفع الكأس الفارغة: «حسنٌ، أنا أمرتك».
سأله (هارى) بنبرة يائسة: «لمَ لا أشرب أنا الوصفة بدلاً منك؟».
قال (دمبلدور): «لأنى أكبر منك بكثير وأبرع منك وأقل منك قيمة. لآخر مرة يا (هارى)، هل تعدنى بأن تفعل كل ما بوسعك حتى لا أتوقف عن الشرب؟».
«أما يمكن...؟».
«أتعدنى؟».
«ولكن».
«عدنى يا (هارى)».
«أنا... لا بأس، ولكن...».
وقبل أن يتمكن (هارى) من إبداء المزيد من الاعتراض، كان (دمبلدور) قد أنزل الكأس البلورية فى السائل. لجزء من الثانية، تمنى (هارى) ألا يتمكن من لمس السائل بالكأس، إلا أن البلور غاص فى السطح دون غيره، وعندما امتلأت الكأس إلى حافتها رفعها (دمبلدور) إلى فمه:
«فى صحتك يا (هارى)».
وتجرع الكأس. وظل (هارى) ينظر فى هلع ويده قابضة على حافة الحوض بشدة حتى خدرت أطراف أصابعه.
قال فى قلق حين أنزل (دمبلدور) الكأس الفارغة: «أستاذ! ما شعورك؟».
هز (دمبلدور) رأسه مغمض العينين، وتساءل (هارى) عما إذا كان يتألم. وعاد (دمبلدور) وغمر الكأس فى الحوض «عميانيًا» فامتلأت من جديد وتناولها.
تجرع (دمبلدور) ملء ثلاث كئوس من السائل فى صمت، ولكنه ترنح فى منتصف الكأس الرابعة ومال نحو الحوض. كانت عيناه لاتزالان مغمضتين وأنفاسه متثاقلة.

قال (هارى) ومد صوته: «أستاذ (دمبلدور)! هل تسمعنى؟».

لم يجبه (دمبلدور)، كان وجهه ينتفض كأنه مستغرق فى النوم ولكنه يرى رؤيا رهيبة. بدأت قبضته على الكأس ترتخى، وكاد السائل ينسكب منها. فتقدم (هارى) وأمسك بالكأس البلورية وعدلها.

وردد بصوت مسموع وتردد رجع صداه فى أرجاء المغارة: «أستاذ، هل تسمعنى؟».

شهق (دمبلدور) ثم تكلم بصوت لم يعرفه (هارى)؛ إذ لم يسبق له أن سمع (دمبلدور) وهو خائف هكذا:

«لا أريد... لا ترغمنى...».

حدق (هارى) فى الوجه الأبيض الذى كان يعرفه جيدًا وفى الأنف المعقوف والنظارة الهلالية الشكل ولم يعرف ماذا يفعل.

لوّح (دمبلدور) قائلاً: «... لا أود... أريد أن أتوقف...».

قال (هارى): «أنت... لا يمكن أن تتوقف يا أستاذ. يجب عليك أن تواصل الشرب، أتتذكر؟ أنت قلتَ لى إنك لابد أن تستمر فى الشرب، إليك...».

أعاد (هارى) الكأس إلى فم (دمبلدور) كارهًا نفسه ومستاءً مما يفعل، وسكبها فيه، فتجرع (دمبلدور) ما بقى فيها من السائل.

وتأوه حين أنزل (هارى) الكأس مرة أخرى فى الحوض وأعاد ملأها له وقال: «لا... لا أريد أن... لا أريد أن... دعنى أذهب...».

قال (هارى) ويداه ترتعشان: «لا بأس يا أستاذ، لا بأس، أنا معك...».

تأوه (دمبلدور) وقال: «أوقفه، أوقفه».

قال (هارى) كاذبًا: «نعم... نعم، هذا سيوقفه». وسكب محتوى الكأس فى فم (دمبلدور) المفتوح.

صرخ (دمبلدور)، وتردد رجع صوته فى أرجاء الحجرة الشاسعة فوق الماء الأسود الميت:

«لا، لا، لا... لا... لا أستطيع... لا أستطيع، لا ترغمنى، أنا لا أريد أن...».

قال (هاري) بصوت عالٍ ويداه ترتعشان حتى كاد يعجز عن جرف الكأس السادسة: «لا بأس يا أستاذ، لا بأس!» كان الحوض وقتئذ فارغًا نصفه: «لا شيء يحدث لك، أنت في أمان، هذا ليس حقيقيًا، أقسم لك بأن هذا ليس حقيقيًا... تناول هذا الآن، خذ هذا...».

وتجرع (دمبلدور) في طاعة كأنه ترياق يقدمه له (هاري)، ولكنه جثا على ركبتيه وهو يتجرع الكأس وأخذ ينتفض لاإراديًا:

«الذنب كله ذنبي، خطئي أنا، أرجوك أوقفه، أنا أعلم أني أخطأتُ، آه، أرجوك أوقفه ولن أعود أبدًا أبدًا...».

قال (هاري) بصوت متقطع وهو يسكب الكأس السابعة من السائل في فم (دمبلدور): «هذا سيوقفه يا أستاذ».

ويدأ (دمبلدور) ينكمش كأن عذابًا خفيًا يحيط به، وكادت يده توقع الكأس المترعة في يدي (هاري) المرتعشتين وهو ينوح قائلاً: «لا تؤذهم، لا تؤذهم، أرجوك، أرجوك، الذنب ذنبي، ائذني أنا بدلاً منهم...».

قال (هاري) يائسًا: «إليك، اشرب هذا، اشرب هذا، ستكون على ما يرام»، ومرة أخرى أطاعه (دمبلدور) فاغرًا فمه، مغمضًا عينيه ويرتعد من رأسه إلى قدميه.

ثم سقط إلى الأمام وأخذ يصرخ مرة أخرى ويضرب الأرض بقبضتيه، بينما كان (هاري) يملأ الكأس التاسعة.

«أرجوك، أرجوك، أرجوك، لا... ليس هذا، ليس هذا، سأفعل أي شيء...».

«اشرب يا أستاذ، اشرب...».

وتجرع (دمبلدور) كأنه طفل يكاد يموت عطشًا، ولكنه حين انتهى أخذ يصيح من جديد كأن نارًا تستعر في جوفه:

«كفى، أرجوك، كفى...».

وسكب (هاري) كأسًا عاشرة من السائل وأحس أن البلور يحك في قاع الحوض:

«كدنا ننتهي يا أستاذ، اشرب هذا، اشرب هذا...».

وسند منكبى (دمبلدور) ومرة أخرى تجرع (دمبلدور) الكأس، ونهض (هارى) مرة أخرى وأعاد ملء الكأس، بينما بدأ (دمبلدور) يصرخ فى ألم أكبر مما سبق قائلاً: «أريد أن أموت! أريد أن أموت! أوقفه، أوقفه، أريد أن أموت!».

«اشرب هذا يا أستاذ، اشرب هذا...».

وتجرع (دمبلدور) وما إن انتهى حتى صاح قائلاً: «اقتلنى!».

قال (هارى) وهو يلهث: «هذا... هذا سيقتلك! اشرب هذا... وسينتهى الأمر... سينتهى!».

تجرع (دمبلدور) الكأس وبلع كل نقطة فيها ثم تمدد على وجهه وشهق شهقة عظيمة.

فصاح (هارى) قائلاً: «لا...» وهو ينهض ليملأ الكأس من جديد، فأسقط الكأس فى الحوض فاندفع لأسفل بجانب (دمبلدور) وطرحه على ظهره، فاعوجت نظارة (دمبلدور) وفغر فمه وأغمض عينيه. فقال (هارى) وهو يهز (دمبلدور): «لا، لا، لن تموت، أنت قلتَ إنه ليس سُمًّا، استيقظ، استيقظ...»، ثم صاح قائلاً: «رينرفاتِه!» مصوبًا عصاه إلى صدر (دمبلدور)، فظهرت ومضة ضوء أحمر ولكن لم يحدث شىء.

«ريزفات... سيدى... أرجوك...».

رفرفت أهداب (دمبلدور) وخفق قلب (هارى):

«أستاذ، أنت...».

همس (دمبلدور) قائلاً: «أريد ماء».

قال (هارى) وهو يلهث «ماء... نعم...».

وقفز على قدميه وأمسك بالكأس التى وقعت فى الحوض وكادت تلمس العلبة الذهبية الملفوفة تحته.

صاح (هارى) وهو ينقر الكأس بعصاه قائلاً: «*أجوامنتى!*».

وامتـلأت الـكأس بمـاء زلال، ثم جثـا (هـارى) علـى ركبتيـه بجـانب (دمبلدور) ورفع رأسه وقرّب الكأس من شفتيه... لكنها كانت فارغة. فتأوه (دمبلدور) وبدأ يلهث.

قال (هارى) مرة أخرى مصوبًا عصاه إلى الكأس: «ولكن كان لدىّ بعض... انتظر.... *أجوامنتى!*»، ومرة أخرى ومض الماء الزلال فيها، ولكن ما إن قربه من فم (دمبلدور) حتى اختفى الماء من جديد.

قال (هارى) فى يأس: «سيدى، أنا أحاول، أنا أحاول!» ولكنه لم يحسب أن (دمبلدور) يسمعه، كان قد تكور على جنبه وأخذ يشهق مستنشقًا الهواء بصعوبة بصوت مبرح: «*أجوامنتى ـ أجوامنتى ـ أجوامنتى!*».

فامتلأت الكأس وفرغت مرة أخرى. وأخذت أنفاس (دمبلدور) تخفت. فأخذ عقل (هارى) يفكر فى ذعر، وأدرك بالغريزة السبيل الوحيد الباقى لإحضار الماء؛ لأن (فولدمورت) هكذا خطط لها...

فاندفع إلى حافة الصخرة وغمر الكأس فى البحيرة وخرج بها مترعة إلى حافتها بماء مثلج لم يختفِ.

صاح (هارى) قائلاً: «سيدى... ها هو!» ومال إلى الأمام قليلاً فسكب الماء على وجه (دمبلدور).

كان هذا أفضل ما لديه، فالإحساس بالتجمد فى ذراعه التى لا يمسك بها الكأس لم تكن بسبب برودة الماء. فهناك يد بيضاء قذرة قبضت على رسغه وأخذ المخلوق الذى تنتمى إليه يشده ببطء إلى الوراء عبر الصخرة. لم يعد سطح البحيرة أملس كالمرآة، بل أخذ يزيد، وحيثما نظر (هـارى) وجد رءوسًا وأيادى تخرج من الماء القاتم، رجالاً ونساء وأطفالاً بعيون غائرة لا تبصر، أخذوا يتحركون نحو الصخرة؛ جيشًا من الموتى بُعث من الماء الأسود.

صاح (هارى) قائلاً: «*بتريفيكوس توتالوس!*» وهو يحاول جاهدًا ألا يلتصق بسطح الجزيرة الأملس المبلل وصوب عصاه السحرية نحو العفريت

المتشبث بذراعه، فأفلته فسقط إلى الخلف فى الماء محدثًا تناثرًا للماء. فنهض على قدميه، لكن المزيد من العفاريت أخذوا يتسلقون الصخرة وينشبون أياديهم الهزيلة فى سطحها الأملس وعيونها الخاوية المتجمدة عليه وتجر فى أثرها أسمالاً مبللة وعيون غائرة ترميه بنظرات خبيثة.

صاح (هارى) مرة أخرى قائلاً: «بتريفيكوس توتالوس!» وهو يتراجع ويضرب بعصاه السحرية فى الهواء؛ فانهار ستة منهم أو سبعة، إلا أن المزيد منهم أخذوا يتقدمون نحوه: «*إمبيديمنتا! إنكارسيروس!*».

تعثر بعض منهم، ولُف أحدهم أو اثنان منهم فى الحبال، أما من كانوا يتسلقون الصخرة من ورائهم فقد داسوا على الجثث التى سقطت أو عبروا فوقها. وصاح (هارى) وهو لايزال يضرب فى الهواء قائلاً: «*سكتومسمبرا! سكتومسمبرا!*».

ولكن على الرغم من ظهور حروق فى أسمالهم المشبعة بالماء وجلودهم الباردة فلم يكن لديهم دم ينزفونه، وواصلوا السير دون شعور وأيديهم المنكمشة ممتدة نحوه، وبينما كان يتراجع مبتعدًا أحس بأذرع تطوقه من الخلف، أذرع نحيلة عجفاء باردة كالموت، وارتفعت قدماه عن الأرض وحملته الأذرع عائدة به إلى الماء ببطء ولكن بثبات، وأدرك أن لا خلاص له وأنه غارق لا محالة ليصبح حارسًا ميتًا آخر لقطعة من روح (فولدمورت) المفتتة.

ولكن من وسط الظلام اشتعلت نار قرمزية وذهبية، حلقة من النار أحاطت بالصخرة فتعثرت العفاريت التى كانت تحكم قبضتها على (هارى) بشدة وترنحت، لم تجرؤ على اجتياز اللهب لتنزل الماء. فتركت (هارى)، فلامست قدماه الأرض فانزلق عن الصخرة وسقط، وحكّت ذراعاه الأرض ولكنه زحف عائدًا لأعلى رافعًا عصاه السحرية محدقًا حوله.

كان (دمبلدور) قد نهض على قدميه من جديد، وكان لا يقل شحوبًا عن العفاريت المحيطة ولكنه أطول من أى منها، والنار ترقص فى

عينيه، ارتفعت عصاه السحرية كشعلة ومن طرفها خرجت ألسنة النار كأنها حبل صيد لفها جميعًا بالدفء.

تكالبت العفاريت وتصادمت بعضها ببعض تحاول «عميانيًا» الفرار من النار التى أحاطت بها...

وجرف (دمبلدور) العلبة من قاع الحوض الحجرى ودسها فى ثوبه، وأشار إلى (هارى) بلا كلمات بأن يأتى بجانبه. وبدت العفاريت غير مدركة أن طريدتها كانت راحلة؛ إذ اقتاد (دمبلدور) (هارى) نحو القارب ودائرة النار تتحرك معهما ومن حولهما العفاريت المرتبكة ترافقهما إلى حافة الماء حيث انزلقت شاكرة وعادت إلى مائها الأسود.

فكر (هارى) وهو يرتعش من رأسه إلى قدميه للحظة فيِ أن (دمبلدور) قد لا يتمكن من التسلق إلى داخل القارب فترنح قليلاً وهو يحاول، واتجهت كل جهوده إلى الحفاظ على حلقة اللهب الوقائية حولها. وأمسك (هارى) به وأعانه حتى عاد إلى مقعده. وما إن أصبح كلاهما فى أمان وانحشرا معًا حتى بدأ القارب يتحرك عائدًا عبر الماء الأسود مبتعدًا عن الصخرة، ولاتزال حلقة النار محيطة به، وبدا أن العفاريت المحتشدة من تحتهم لم تجرؤ على الخروج إلى السطح.

قال (هارى) وهو يلهث «سيدى، سيدى، نسيتُ.. النار.. تكالبوا جميعًا علىّ فخفت..».

غمغم (دمبلدور) قائلاً: «مفهوم تمامًا»، وانتبه (هارى) إلى مدى ضعف صوته.

بلغا الشاطئ بارتطام خفيف وقفز (هارى) خارج القارب، ثم استدار بسرعة؛ ليساعد (دمبلدور). وفى اللحظة التى صعد فيها (دمبلدور) إلى الشاطئ أنزل يده التى تمسك بالعصا السحرية فاختفت دائرة النار، إلا أن العفاريت لم تخرج مرة أخرىٍ من الماء. وغاص القارب الصغير فى الماء من جديد مقعقعًا ومحدثًا رنينًا وانزلقت سلسلته وعادت إلى البحيرة أيضًا، فأطلق (دمبلدور) تنهيدة عظيمة واستند إلى جدار المغارة.

قال: «أشعر بالضعف...».

فقال (هارى) على الفور فى جزع على امتقاع (دمبلدور) الشديد وإعيائه الحاد: «لا تقلق سيدى، لا تقلق، سنعود... اعتمد علىّ سيدى».

وجذب ذراع (دمبلدور) السليمة حول كتفيه وأخذه حول البحيرة حاملاً معظم وزنه.

قال (دمبلدور) فى إعياء: «الحماية كانت... على كل حال... جيدة التصميم، لم يكن لأحد أن يقوم بذلك وحده... أحسنتَ، أحسنتَ يا (هارى)...».

قال (هارى) وهو خائف من تثاقل صوت (دمبلدور) وقدميه: «لا تتكلم الآن، وفر مجهودك سيدى... سنخرج من هنا حالاً...».

«الممر سيكون قد أوصد من جديد... السكين...».

قال (هارى) بحزم: «لا داعى لها، أصبتُ بجرح على الصخرة، فقط قل لى أين...؟».

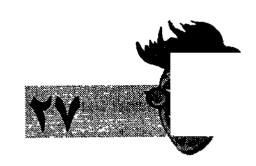
هنا مسح (هارى) بيده على الحجر فانفتح على الفور.

عبرا الكهف الخارجى وساعد (هارى) (دمبلدور) فى العودة إلى ماء البحر المثلج الذى ملأ المنحدر.

أخذ (هارى) يكرر وهو شديد القلق من صمت (دمبلدور) أكثر من قلقه على ضعف صوته: «لقد وصلنا تقريبًا، سيكون الأمر على ما يرام يا سيدى، أستطيع أن أقوم بعملية انتقال فورى لنعود نحن الاثنين».

قال (دمبلدور) وصوته أقوى بعض الشىء على الرغم من الماء المثلج: «أنا لست قلقًا، أنا معك».

■ ■ ■



٢٧ البرج الذى ضربته الصاعقة

ما أن عاد إلى السماء ذات النجوم حتى طرح (هارى) (دمبلدور) فوق أقرب صخرة ثم نهض على قدميه. كان مبللاً يرتعش ولايزال يشعر بوزن (دمبلدور) فوقه، وأخذ يفكر بتركيز أكبر من أى وقت مضى فى وجهته، أى (هوجسميد). فأغمض عينيه وقبض على ذراع (دمبلدور) بكل قوته ثم تقدم للإمام وسط ذلك الشعور بالضغط الرهيب.

عرف أنه نجح قبل أن يفتح عينيه، زالت رائحة الملح ونسيم البحر. كان هو و(دمبلدور) يرتجفان ويقطران ماء وسط الطريق المظلم فى (هوجسميد). وللحظة مخيفة تخيل (هارى) المزيد من العفاريت تزحف نحوه على جوانب الحوانيت، إلا أنه أغمض عينيه وفتحهما ورأى أن لا شىء يتحرك؛ كل شىء كان ساكنًا، الظلام تام لا ينيره إلا قليل من مصابيح الشوارع ونوافذ علوية مضاءة.

همس (هارى) فى مشقة قائلاً: «نجحنا يا أستاذ!»؛ وأدرك فجأة أن لديه ألمًا مبرحًا فى صدره. «نجحنا! حصلنا على الـ(هوركروكس)!»

ترنح (دمبلدور) ومال عليه. وللحظة ظن (هارى) أن ظهوره غير البارع أخل بتوازن (دمبلدور)؛ ثم رأى وجهه: أكثر شحوبًا ووهنًا من أى وقت مضى فى الضوء البعيد لأحد مصابيح الشوارع.

«سيدى، هل أنت بخير؟».

قال (دمبلدور) فى ضعف ـ ولو أن ركنى فمه كانا يرتعشان: «ليس تمامًا. ذلك السائل... لم يكن شرابًا صحيًا...».

وسيطر الخوف على (هارى) حين سقط (دمبلدور) على الأرض. «سيدى... لا بأس سيدى، ستكون بخير، لا تقلق».

وتلفت حوله فى يأس التماسًا للعون، ولكن لم يكن هناك أحد، وكان كل ما جال بخاطره هو أن (دمبلدور) لابد أن ينقل إلى جناح المستشفى على وجه السرعة.

«لابد أن أصل بك إلى المدرسة سيدى... مدام (بومفرى)...».

قال (دمبلدور): «لا، أنا... بحاجة للأستاذ (سناب)... ولكنى لا أظن... أن بوسعى أن أمشى لمسافة بعيدة بعد...».

«لا بأس ـ سيدى، اسمع... سأطرق أى باب وأجد لك مكانًا تمكث به... ثم أسرع وآتى بمدام...».

قال (دمبلدور) بوضوح: «(سيفيروس)، أنا أحتاج إلى (سيفيروس)...».

«لا بأس إذن، (سناب)... ولكنى بحاجة لأن أتركك للحظة حتى أتمكن...».

ولكن قبل أن يأتى (هارى) بأية حركة سمع وقع أقدام تركض. خفق قلبه، هناك من رأى، هناك من أدرك أنهما بحاجة للعون، وتلفت فرأى مدام (روزمرتا) تهرع نحوهما فى الشارِع المظلم بخف عالى الكعبين فوقه زغب، وترتدى فستانًا حريريًّا مطرزا بصور تنين.

«رأيتكما تظهران وأنا أسدل ستائر غرفة نومى! الحمد لله، الحمد لله، لم أتمكن من... ولكن ما خطب (ألباس)؟».

توقفت وأخذت تلهث وحدقت لأسفل باتساع عينيها فى (دمبلدور).

قال (هارى) «أصيبت، مدام (روزمرتا)، هل يمكن له أن يمكث فى (ثرى برومستيكس) إلى أن أذهب إلى المدرسة وآتى بالعون له؟».

«لا تستطيع أن تذهب هناك وحدك! ألا تدرك... ألم تر...؟».

قال (هارى) وهو غير مصغٍ لها: «لو ساعدتِنى فى حمله أستطيع أن أصل به للداخل...».

سألها (دمبلدور): «ماذا جرى؟ يا (روزمرتا)، ما الخطب؟».

«الـ... علامة يا (ألباس)».

ثم أشارت إلى السماء فى اتجاه (هوجوورتس). غمر الخوف (هارى) لوقع الكلمات... فالتفت ونظر.

كانت هناك، معلقة فى السماء فوق المدرسة: الجمجمة الخضراء المتوهجة بلسان أفعوانى، العلامة التى كان (آكلو الموت) يتركونها وراءهم كلما دخلوا مبنى... كلما قتلوا...

سألها (دمبلدور) وقبض بيده على كتف (هارى) وهو يحاول فى ألم أن يقف على قدميه: «متى ظهرت؟»

«منذ دقائق، لم تكن هناك حين أخرجتُ القطة، ولكن حين صعدت الدرج...».

قال (دمبلدور): «لابد أن نعود إلى القلعة فورًا. (روزمرتا)،» ومع أنه ترنح قليلاً فقد بدا أنه مسيطر على الموقف تمامًا «نحن بحاجة لوسيلة مواصلات؛ المكانس...».

قالت وقد بدا عليها الفزع: «لدىّ اثنتان خلف البار. فهل أسرع وآتى بهما...؟».

«لا، (هارى) يستطيع أن يقوم بذلك».

فرفع (هارى) عصاه السحرية على الفور.

«أحضروا مكنسة (روزمرتا)».

وبعد لحظة سمعوا صوتًا مدويًا بينما انفتح باب الحان؛ واندفعت مكنستان إلى الشارع وتسابقتا نحو (هارى) حيث توقفتا تهتزان قليلاً بارتفاع الخصر.

قال (دمبلدور) وهو يركب المكنسة الأقرب إليه: «(روزمرتا)، من فضلك ابعثى رسالة إلى الوزارة لعل أحدًا داخل (هوجوورتس) لم يدرك الأمر بعد... (هارى)، ارتدِ عباءة الإخفاء».

أخرج (هارى) عباءته من جيبه وألقاها على نفسه قبل أن يركب المكنسة؛ وكانت مدام (روزمرتا) قد مشت تتمايل عائدة إلى حانها بينما انطلق (هارى) و(دمبلدور) من الأرض وارتفعا فى الهواء. وبينما كانا يسرعان نحو القلعة أبقى (هارى) نظره بجانبه على (دمبلدور) استعدادًا لشده إن سقط، إلا أن مرأى العلامة السوداء كان له تأثير منشط

على (دمبلدور)؛ كان منحنيًا على مكنسته وعيناه على العلامة، وشعره الفضى المسترسل ولحيته يطيران وراءه فى هواء الليل. وكان (هارى) أيضًا ناظرًا أمامه إلى الجمجمة، وكان الخوف يتنامى بداخله كفقاعة سامة تضغط على رئتيه طاردة عن ذهنه أى شعور آخر بالقلق...

كما طالت غيبتهما؟ وهل تخلى الحظ عن (رون) و(هرميون) و(جينى) بعد؟ هل تسبب أحدهم فى تحليق العلامة فوق المدرسة، أم (نيفيل) أم (لونا)، أم أنه عضو آخر منهم؟ ولو كان... كان هو الذى قال لهم أن يراقبوا الدهالين، طلب منهم أن يتخلوا عن راحتهم... هل تسبب مرة أخرى فى موت أحد رفاقه؟

وبينما كانا يحلقان فى الظلام فوق الطريق الذى كانا يمشيانه منذ قليل بلغ أذن (هارى) صفير هواء الليل وغمغمة (دمبلدور) بلغة ما غريبة مرة أخرى. فظن أنه فهم سبب إحساسه باهتزاز مكنسته للحظة حين حلقا فوق السور نحو الملاعب، كان (دمبلدور) يحل السحر الذى فرضه هو نفسه حول القلعة حتى يتمكنا من الدخول بسرعة. كانت علامة الظلام تتلألأ مباشرةً فوق برج الفلك وهو أعلى نقطة بالقلعة.

كان (دمبلدور) قد اجتاز الأسوار ذات الشرفات وأخذ يهبط، وهبط (هارى) بجانبه بعد لحظات وأخذ يتلفت.

كانت الأسوار مهجورة. وكان الدرج الحلزونى المؤدى إلى القلعة موصدًا. لم تكن ثمة علامة لقتال أو شجار حتى الموت، لجثة.

سأل (هارى) (دمبلدور) وهو ينظر لأعلى إلى الجمجمة الخضراء بلسانها الأفعوانى يتلألأ بصورة شريرة فوقهما وقال: «ماذا تعنى؟ هل هى العلامة الحقيقية؟ هل من أحد... أستاذ؟».

فى الوهج الأخضر الباهت الصادر عن العلامة رأى (هارى) (دمبلدور) يقبض على صدره بيده الذابلة.

قال (دمبلدور) فى إعياء ولكن بوضوح: «اذهب وأيقظ (سيفيروس)، قص عليه ما حدث وأتِ به إلىّ. لا تفعل أكثر من ذلك، ولا تتكلم مع أحد غيره ولا تخلع عباءتك. وسأنتظر هنا».

«ولكن...».

«أنت أقسمتَ أن تطيعنى يا (هارى)، اذهب!».

أسرع (هارى) إلى الباب المفضى إلى السلم الحلزونى، ولكن لم تكد عصاه السحرية تتجه إلى حلقة الباب الحديدية حتى سمع وقع أقدام تركض على الجانب الآخر. فالتفت إلى (دمبلدور) فأشار إليه بأن يتراجع. فابتعد (هارى) ساحبًا عصاه السحرية.

وانفتح الباب بصوت مدوٍّ واندفع منه أحدهم وصاح قائلا «*إكسبليارموس!*».

تجمد جسد (هارى) على الفور وتسمر فى سكانه وأحس بأنه يتراجع باتجاه جدار البرج كأنه تمثال غير ثابت عاجزًا عن الحركة أو الكلام. ولم يستطع أن يفهم كيف حدث ذلك، فتعويذة «*إكسبليارموس*» ليست تعويذة تجميد.

ثم رأى بجانب ضوء العلامة عصا (دمبلدور) تطير على شكل قوس فوق حافة الأسوار، وفهم... كان (دمبلدور) بلا كلمات قد شل حركة (هارى)، واللحظة التى استغرقته حتى يؤدى التعويذة كلفته فرصة الدفاع عن نفسه.

كان (دمبلدور) يقف أمام الأسوار بوجه شاحب جدًا، ولايزال لا تبدو عليه أى من أمارات الخوف أو الضيق. بل اكتفى بأن نظر إلى من نزع منه سلاحه وقال: «مساء الخير يا (دراكو)».

تقدم (مالفوى) وتلفت حوله على عجل ليتأكد من أنه هو و(دمبلدور) وحدهما. ووقعت عيناه على المكنسة الثانية.

«من غيرك هنا؟».

«هذا سؤال أطرحه أنا عليك. أم تراك تعمل وحدك؟».

ورأى (هارى) عينى (مالفوى) الشاحبتين تتحول عائدة إلى (دمبلدور) فى وهج العلامة الأخضر.

قال: «لا، معى من يدعمنى. آكلو الموت هنا فى مدرستك الليلة».

قال (دمبلدور) كأن (مالفوى) يعرض عليه مشروع واجب منزلى طموح: «حسنٌ حسنٌ، جيد جدًا فعلاً. وجدتَ طريقة لإدخالهم، أليس كذلك؟».

قال (مالفوى) وهو يلهث: «نعم، تحت أنفك مباشرةً ودون أن تدرى!».

قال (دمبلدور): «منتهى البراعة، ولكن... لا تؤاخذنى... أين أنت الآن؟ يبدو أنك بلا دعم يساندك».

«قابلهم بعض من حرسك. وهم منشغلون بالقتال بأسفل. لن يتأخروا.. أنا سبقتهم. فأنا... لدىّ عمل أؤديه».

قال (دمبلدور) برقة: «حسنٌ إذن، لابد أن تمضى وتؤديه يا ولدى العزيز».

وساد الصمت. وقف (هارى) حبيسًا فى جسده الخفى مشلول الحركة يحدق فى كليهما، وأذناه يجاهدان حتى يسمعا أصوات قتال آكلى الموت من بعيد، وأمامه (دراكو مالفوى) لا يفعل شيئًا سوى أن يحدق فى (ألباس دمبلدور) الذى - وياللغرابة - كان مبتسمًا.

«(دراكو)، (دراكو) أنت لستَ قاتلا».

فأجابه (مالفوى) على الفور «ما أدراك؟».

بدا كأنه أدرك كم كانت الكلمات تنم عن طفولية ساذجة؛ فرآه (هارى) وقد احمر وجهه فى ضوء العلامة الأخضر.

قال (مالفوى) بحزم أكبر: «أنت لا تعلم ما أستطيع فعله؛ أنت لا تعلم ما فعلتُ!».

قال (دمبلدور) بصوت معتدل: «لا، بل أعلم. كدتَ تقتل (كيتى بيل) و(رونالد ويسلى). كنتَ تحاول يائسًا أن تقتلنى طول السنة. لا تؤاخذنى يا (دراكو)، ولكنها كانت محاولات واهنة... واهنة لدرجة دفعتنى للتساؤل عما إذا كنتَ متحمسًا فعلاً فيها...».

قال (مالفوى) بحدة: «كنتُ متحمسًا! ظللتُ أعمل جاهدًا عليها طول السنة، والليلة...».

فى مكان ما فى اعماق القلعة باسفل سمع (هارى) صرخة مخنوقة. تيبس (مالفوى) ونظر من فوق كتفه.

قال (دمبلدور): «هناك من يخوض قتالاً جيدًا. لكنك كنتَ تقول... نعم، أفلحتَ فى إدخال (آكلى الموت) مدرستى وهو ما أعترف بأنى ظننته مستحيلا... فكيف فعلتَ ذلك؟».

لكن (مالفوى) لم يجبه، كان لايزال مصغيًا لما كان يحدث بأسفل، وبدا مشلول الحركة مثل (هارى).

قال (دمبلدور): «ربما ينبغى لك أن تواصل العملية وحدك. فماذا لو اعترض حرسى أتباعك؟ كما أن بعض أعضاء مدرسة (فينكس) هنا الليلة، لعلك أدركتَ ذلك. وعلى أى فلستَ بحاجة لعون... فليس معى عصا سحرية الآن... ولا أستطيع أن أدافع عن نفسى».

اكتفى (مالفوى) بأن حدق به.

قال (دمبلدور) فى ود حين وجد أن (مالفوى) لا يتحرك ولا يتكلم: «فهمتُ، أنت تخاف أن تتصرف إلا حين ينضمون إليك».

زمجر (مالفوى) مع أنه لايزال لم يأتِ بحركة لإيذاء (دمبلدور) وقال: «أنا لست خائفًا! أنت الذى يجب أن يخاف!».

«ولكن لمَ؟ لا أظن أنك ستقتلنى يا (دراكو). فالقتل ليس سهلاً كما يظن الأبرياء... قل لى إذن بينما نحن فى انتظار رفاقك... كيف هرَّبتهم إلى هنا؟ يبدو أنك قضيتَ وقتًا طويلاً حتى تدرك كيف تقوم بذلك».

نظر (مالفوى) كما لو كان يقاوم رغبة فى الصياح أو القىء. بلع ريقه واستنشق أنفاسًا عميقة عدة وهو يحدق إلى (دمبلدور)، ويصوب عصاه السحرية إلى قلبه مباشرةً. وقال كأنه مضطر لذلك: «كان علىّ أن أصلح «كوخ الإخفاء» المهدم الذى لم يستعمله أحد منذ سنين. الكوخ الذى فُقد فيه (مونتاجيو) السنة الماضية».

«آه...».

كان نصف تنهيدة (دمبلدور) سخرية. وأغمض عينيه للحظة.

«منتهى البراعة... هناك اثنان على ما أظن؟».

قال (مالفوى) «الآخر فى (بورجين وبوركس)، وهناك ما يشبه الممر بينهما. أبلغنى (مونتاجيو) أنه حين علق بكوخ (هوجوورتس) حُبس فى البرزخ بينهما ولكنه كان أحيانًا يسمع ما يجرى بالمدرسة، وأحيانًا أخرى ما يحدث بالحانوت كأن الكوخ كان يتنقل بينهما، ولكنه لم يكن يستطيع أن يجعل أحدًا يسمعه... وفى النهاية أفلح فى الظهور مع أنه لم ينجح فى امتحانه فيه. وكاد يلقى حتفه وهو يقوم بذلك. واعتبرها الكل حكاية مسلية فعلاً، ولكنى كنت الوحيد الذى أدرك مغزاها ـ حتى (بورجين) لم يعرف ـ كنت الوحيد الذى أدرك احتمال وجود طريق إلى داخل (هوجوورتس) عبر الكوخين لو تم إصلاح المهدم منهما».

غمغم (دمبلدور) قائلاً: «جيد جدًا. وهكذا تمكن (آكلو الموت) من العبور من (بورجين وبوركس) إلى داخل المدرسة لنجدتك... خطة بارعة، خطة فى غاية البراعة... وتحت أنفى كما تقول...».

قال (مالفوى) وقد بدا من الغريب أنه يستمد الشجاعة والطمأنينة من ثناء (دمبلدور) عليه: «نعم، نعم، هو كذلك!».

واصل (دمبلدور) قائلاً: «ولكن جاء عليك حين لم تكن موقنًا فيه أنك ستفلح فى إصلاح الكوخ؟ فلجأتَ لأفعال ساذجة غير محسوبة كإرسالك إلىّ عقدًا ملعونًا قُصد به أن يصل إلى يد غيرى... شراب مسموم كانت فرص تناولى إياه شبه معدومة...».

نخر (مالفوى) وقال: «نعم، ولكنك لازلتَ لم تدرك من كان وراء هذه الأشياء، أليس كذلك؟» فى هذه الأثناء انزلق (دمبلدور) قليلاً أسفل الأسوار، وقد بدأت قوة ساقيه تخور، وظل (هارى) يقاوم التعويذة التى تقيده دون جدوى.

قال (دمبلدور): «فى الحقيقة أدركتُ، كنتُ موقنًا أنه أنت».

فسأله (مالفوى): «لِم لم تمنعنى إذن؟».

«حاولتُ يا (دراكو). كان الأستاذ (سناب) يراقبك بأوامر منى».

«هو لا يتبع أوامرك، فقد وعد أمى...».

«طبعًا هذا ما كان سيقول لك يا (دراكو)، ولكن...».

«هو عميل مزدوج، أيها الشيخ الخرف، هو لا يعمل لصالحك، أنت تتخيل ذلك!».

«لابد أن نتفق على أن نختلف حول ذلك يا (دراكو). فالحقيقة أنى أثق فى الأستاذ (سناب)».

نخر (مالفوى) وقال: «حسنٌ، أنت تفقد سيطرتك إذن! فهو يمدنى بكثير من العون، يريد المجد كله لنفسه، يريد نصيبًا من العملية. وماذا تعمل أنت؟ أبطلتَ مفعول العقد؟ كان هذا سخفًا، كان يمكن أن يدمر كل شىء» ولكنى لم أخبره بما أعمل بغرفة الطلب بعد، سيستيقظ غدًا وسيكون كل شىء قد انتهى، ولن يكون الأثير عند «سيد الظلام» بعدها. سيكون لا شىء مقارنةً بى، لا شىء!».

قال (دمبلدور) بصوت معتدل: «معقول جدًّا. فكلنا نحب أن يلقى جهدنا التقدير طبعًا... ولكن لابد أن كان لك شريك، سيان... شخص فى (هوجسميد)، شخص يستطيع أن يتسلل من وراء ظهر (كيتى) الـ... الـ... آه...».

أغمض (دمبلدور) عينيه مرة أخرى وهز رأسه كمن أوشك النوم أن يغلبه.

«... طبعًا... (روزمرتا). منذ متى وهى تحت لعنة الإمبراطور؟».

قال (مالفوى) ساخرًا: «أخيرًا فهمتَ، ها؟».

انطلقت صرخة أخرى من أسفل وأعلى من سابقتها. نظر (مالفوى) من فوق كتفه مرة أخرى بعصبية، ثم عاد ينظر إلى (دمبلدور) الذى واصل قائلاً: «وهكذا أُرغمت (روزمرتا) المسكينة على البقاء فى حمامها وتمرر ذلك العقد لأى طالبة من طالبات (هوجوورتس) تدخل الحمام وحدها؟

والشراب المسموم... حسنٌ، طبعًا تمكنت (روزمرتا) من تسميمه لك قبل أن ترسل القارورة إلى (سلجهورن) ظنًا منها أن هذه كانت هدية عيد الميلاد إلى... نعم، منتهى البراعة، منتهى البراعة... وما كان السيد (فيلتش) ليفكر بالطبع فى تفتيش إحدى قوارير (روزمرتا)... قل لى، كيف كنتَ تتصل بـ(روزمرتا)؟ كنت أحسب أننا وضعنا كافة وسائل الاتصال من المدرسة وإليها تحت المراقبة».

قال (مالفوى) كأنه مجبر على مواصلة الكلام ومع أن يده الممسكة بالعصا السحرية كانت ترتعش بشدة: «قطعتا عملة معدنية مسحورتان، كانت معى إحداهما والأخرى معها وكان يمكننى أن أبعث لها برسائل».

فسأله (دمبلدور): «أليست هذه وسيلة الاتصال السرية التى كانت الجماعة التى تسمى نفسها «جيش (دمبلدور)» تتبعها السنة الماضية؟» كان صوته معتدلاً وديًا إلا أن (هارى) رآه ينزلق مسافة بوصة أسفل السور وهو يتكلم.

قال (مالفوى) بابتسامة ملوية «نعم، أخذت الفكرة منهم. أخذت فكرة تسميم الشراب من (جرانجر) طينية الدم. أيضًا، سمعتها تتحدث فى المكتبة عن (فيلتش) وعدم تعرفه على الوصفات السحرية...».

قال (دمبلدور): «من فضلك لا تستعمل ذلك اللفظ البغيض أمامى».

أطلق (مالفوى) ضحكة مزعجة.

«كل ما يهمك هو قولى «طينية الدم» وأنا على وشك أن أقتلك؟».

قال (دمبلدور): «نعم» ورأى (هارى) قدميه ينزلقان قليلاً على الأرض وهو يسعى جاهدًا أن يظل منتصب القامة. «أما بالنسبة لقتلك إياى يا (دراكو) فقد انقضت دقائق طويلة عدة الآن. نحن وحدنا. وأنا بلا دفاعات بصورة أكبر مما كنتَ تحلم به، ولازلتَ لم تفعل...».

التوى فم (مالفوى) لا إراديًا كأنه تذوق شيئًا شديد المرارة.

واصل (دمبلدور) قائلا: «الان، بل الليله. أنا فى حيرة قليلا، كيف حدث ذلك؟... أنت كنت تعلم أنى غادرت المدرسة؟» و رد على نفسه قائلاً: «لكن (روزمرتا) رأتنى بالطبع وأنا أغادر، فأبلغتك مستعينة بعملتيك العبقريتين، هذا مؤكد...».

قال (مالفوى): «هذا صحيح، ولكنها قالت إنك ذاهب لتناول شراب وستعود...».

غمغم (دمبلدور) قائلاً: «أنا فعلاً تناولت شرابًا... وعدت... على الموضة. ثم قررتَ أن تنصب لى فخًا؟»

قال (مالفوى): «قررنا وضع العلامة السوداء فوق البرج ودفعك للتعجيل بالعودة لترى من قُتل، وقد حصل!».

قال (دمبلدور): «حسنٌ، نعم ولا... ولكن علىّ أن أفترض ألا أحد قُتل؟».

قال (مالفوى) بصوت متدرج من الخفيض إلى المرتفع: «هناك واحد قُتل. أحد أناسك... لا أعلم من هو، كان ظلامًا... وخطوتُ على جثته... كان يفترض أن أنتظر بأعلى هنا حين تعود، لم يعترض طريقى سوى عنقاواتك...».

قال (دمبلدور): «نعم، هى تفعل ذلك».

كانت هناك أصوات مدوية وصرخات من أسفل، أعلى مما سبق، كان يبدو أن أناسًا يتقاتلون على الدرج الحلزونى المؤدى إلى المكان الذى يقف فيه كل من (دمبلدور) و(مالفوى) و(هارى)، ودوى قلب (هارى) بصوت غير مسموع فى صدره غير المرئى... مات أحدهم... (مالفوى) خطا فوق جثته... ولكن من هو؟

قال (دمبلدور): «بقى قليل من الوقت بصورة أو بأخرى. فدعنا نناقش ما لديك من خيارات يا (دراكو)».

قال (مالفوى) بصوت عال: «خياراتى أنا! أنا أقف هنا وبيدى عصا سحرية، أنا على وشك أن أقتلك»

«يا ولدى العزيز، دعنا نكف عن التظاهر بهذا الشأن، لو كنتَ تنوى قتلى لقتلتنى بمجرد أن جردتنى من سلاحى، ما كنتَ لتتوقف من أجل هذا الحديث اللطيف عن الطرق والسبل».

قال (مالفوى) وقد صار وجهه فجأة شاحبًا كوجه (دمبلدور): «ليس لدىّ خيارات. علىّ أن أنفذ! سيقتلنى! سيقتل أسرتى كلها!».

قال (دمبلدور): «أنا أقدر صعوبة موقفك. وإلا فلمَ لَمْ أواجهك قبل الآن؟ لأنى كنت أعلم أنك كنت ستُقتل لو أدرك اللورد (فولدمورت) أنى أرتاب فيك».

جفل (مالفوى) لدى سماعه الاسم.

واصل (دمبلدور) قائلاً: «لم أكن أجروْ على الكلام معك عن المهمة الموكلة إليك فى حالة ما إذا كان سحرك... ولكن الآن نستطيع أخيرًا أن نتحدث معًا بصراحة... لم يحدث أى ضرر، أنت لم تؤذ أحدًا، ولو أن الحظ حالفك إذ ظل ضحاياك غير المقصودين على قيد الحياة... أستطيع أن أساعدك يا (دراكو)».

قال (مالفوى) ويده التى تمسك بالعصا السحرية ترتعش بشدة فعلاً: «لا، لا تستطيع، لا أحد يستطيع. هو أمرنى أن أنفذ وإلا قتلنى. ليس لى اختيار».

«تعال إلى جانب الخير يا (دراكو) ويمكننا أن نخفيك بشكل تام وأكثر مما تتخيل، بل يمكننى أن أبعث بأعضاء من المدرسة إلى أمك الليلة لأخفيها هى أيضًا. وأبوك فى أمان الآن فى (أزكابان)... وحين يحين الوقت يوسعنا أن نحميه هو أيضًا... تعال إلى جانب الخير يا (دراكو)... لستَ بقاتل...».

حدق (مالفوى) إلى (دمبلدور).

قال ببطء: «ولكنى قطعت شوطًا بعيدًا، أليس كذلك؟ ظنوا أنى سأموت وأنا أحاول، ولكنى هنا... وأنت فى قبضتى... فأنا الذى معه عصا سحرية... وأنت تحت رحمتى...».

قال (دمبلدور) في هدوء: «لا يا (دراكو). رحمتي هي التي تهم الآن لا رحمتك».

لم يرد (مالفوي). كان فاغرًا فاه ويداه التي تمسك بالعصا السحرية لاتزال ترتجف. تراءى لـ(هاري) أنها اختلت قليلاً... ولكن فجأة أصبح وقع الأقدام يدوي على الدرج وبعد لحظة تنحى (مالفوي) عن الطريق حين اندفع أربعة رجال يرتدون ثيابًا سوداء عبر الباب متجهين صوب الأسوار. أخذ (هاري) يحملق في الأغراب الأربعة في هلع وهو لايزال مشلول الحركة وعيناه لا تطرفان؛ بدا كأن (آكلي الموت) انتصروا في القتال بأسفل.

رجل بدين ذو نظرة خبيثة ملووحة أطلق ضحكة ذات صفير.

قال: «(دمبلدور) وقع!» ثم التفت إلى امرأة قصيرة وبدينة بدت كأنها أخته وكانت تضحك في نهم: «(دمبلدور) بلا عصا سحرية، (دمبلدور) وحيدًا! أحسنتَ يا (دراكو)، أحسنتَ!»

قال (دمبلدور) في هدوء كمن يرحب بالرجل في حفل شاي: «مساء الخير يا (أميكوس). وقد أتيتَ بـ(أليكتو) أيضًا... رائع...».

أطلقت المرأة ضحكة مكبوتة قصيرة.

قالت ساخرة: «أتحسب أن نكاتك اللطيفة ستساعدك على فراش الموت؟».

أجاب (دمبلدور) قائلاً: «نكات؟ لا، لا، هذا هو الذوق».

قال الغريب الواقف قريبًا من (هاري) وهو رجل ضخم ممشوق القوام ذو شعر رمادي ملبد وسبلتين تبدو ثياب (آكلي الموت) السوداء ضيقة عليه بشكل غير مريح: «نفذ!». كان له صوت لا يشبه صوت أي ممن سمعهم (هاري) من قبل؛ صوت أشبه بنباح أجش. واشتم (هاري) مزيجًا قويًا من القذارة والعرق والدم ينبعث منه. يداه القذرتان لهما أظافر صفراء طويلة.

سأل (دمبلدور): «هل هذا أنت يا (فنرير)؟».

قال الاخر بصوته الأجش: «هذا صحيح، أسررتَ لرؤيتى يا (دمبلدور)؟»
«لا، لا أستطيع أن أقول ذلك...».
فابتسم (فنرير جريباك) كاشفًا عن أسنان مدببة. كان الدم يقطر من ذقنه وأخذ يلعق شفتيه ببطء بشكل فاحش.
«ولكن أنت تعلم كم أحب الأطفال يا (دمبلدور)».
«هل أفترض أنك أصبحتَ تهاجم حتى فى غير ليالى اكتمال البدر الآن؟ هذا شىء غير عادى تمامًا... صرتَ تتلذذ بلحم البشر ولا تستطيع أن تشبع من مرة فى الشهر؟».
قال (جريباك): «هذا صحيح. صُدمتَ من ذلك، أليس كذلك يا (دمبلدور)؟ أيخيفك هذا؟».
قال (دمبلدور) «حسنٌ، لا أستطيع أن أزعم أن هذا لا يثير اشمئزازى قليلاً. و... نعم، صُدمتُ قليلاً من أن (دراكو) دعاك من بين كل الناس إلى داخل المدرسة حيث يعيش أصحابه...».
قال (مالفوى) همسًا: «أنا لم أدعْه»؛ لم يكن ينظر إلى (جريباك)؛ بدا أنه لا يريد حتى أن يلمحه: «لم أكن أعلم أنه آتٍ».
قال (جريباك) بصوته الأجش: «ما كنتُ لأفوّت رحلة إلى (هوجوورتس) يا (دمبلدور). مادامت هناك رقاب يجب قطعها... لذيذ، لذيذ...».
ثم رفع ظفرًا أصفر وأشار إلى أسنانه الأمامية وهو ينظر شزرًا إلى (دمبلدور).
«يمكننى أن أبقيك لما بعد يا (دمبلدور)...».
فقال (آكل الموت) الرابع بحدة: «لا». كان له وجه ثقيل وحشى. «لدينا أوامر. لابد أن يقوم (دراكو) بذلك. الآن يا (دراكو) وبسرعة».
كان (مالفوى) يبدى عزمًا أقل مما سبق. بدا عليه الفزع وهو يحدق فى وجه (دمبلدور) الذى كان أكثر شحوبًا وأدنى مما كان إذ انزلق لأسفل سور الحصن إلى حد كبير.

قال الرجل ذو الوجه الملووح مسايرا ضحكات اخته ذات الصفير: «هو لا يحب الدنيا على أية حال لو سألتنى! انظر إلىّ - ماذا جرى لك إذن يا (دمبى)؟».

قال (دمبلدور): «ضعفت مقاومتى، وتباطأت ردود أفعالى يا (أميكوس). الشيخوخة، موجز القول... يومًا ما ربما يحدث لك ذلك... لو حالفك الحظ...».

صاح (آكل الموت) وأصبح عنيفًا فجأة قائلاً: «ما معنى هذا إذن، ما معنى هذا؟ دائمًا هكذا أنت يا (دمبى)، تتكلم ولا تفعل شيئًا، لا شىء، لا شىء. أنا حتى لا أدرى لمَ يضايق اللورد الأسود نفسه بقتلك! هيا يا (دراكو)، نفذ!».

ولكن فى تلك اللحظة تجددت أصوات الهياج من أسفل وصاح صوت قائلاً: *«سَدوا الدرج - (ريدوكتو)! (ريدوكتو)!»*.

انخلع قلب (هارى)؛ إذن فهؤلاء الأربعة لم يقضوا على المقاومة تمامًا، بل أفلتوا من القتال وصعدوا إلى قمة البرج، ويبدو من الصوت أنهم أقاموا حاجزًا وراءهم...

قال الرجل ذو الوجه الوحشى فى غضب: «هيا يا (دراكو)، بسرعة!».

إلا أن يد (مالفوى) كانت ترتعش بشدة لدرجة أنه عجز عن التصويب.

زمجر (جريباك) وتقدم صوب (دمبلدور) مادًا يديه وكاشفًا عن أسنانه وقال: «سأقوم أنا بالمهمة».

صاح الرجل ذو الوجه الوحشى قائلاً: «قلتُ لا!»؛ وصدر وميض ضوء دفع بالمستذئب بعيدًا، فارتطم بالأسوار وترنح وبدا عليه الغيظ. أخذ قلب (هارى) يدق كالمطرقة حتى بدا مستحيلاً ألا يسمعه أحد وهو واقف فى مكانه حبيس تعويذة (دمبلدور) - لو كان بإمكانه أن يتحرك، لتمكن من تصويب لعنة من تحت العباءة.

اطلقت المراة صرخة مذعورة قائلة: «(دراكو)، نفذ أو تنح جانبًا لأحدن حتى...» ولكن فى تلك اللحظة نفسها انفتح باب الحصن مرة أخرى وكان (سناب) واقفًا وراءه هذه المرة ممسكًا بعصاه السحرية فى يده، وجال بعينيه السوداوين فى المكان، من (دمبلدور) الذى سقط على الحائط إلى (آكلى الموت) الأربعة بما فيهم المستذئب الغاضب و(مالفوى).

قال (أميكوس) البدين القصير وعيناه وعصاه السحرية مثبتة على (دمبلدور): «لدينا مشكلة يا (سناب). الصبى يبدو عاجزًا عن...».

لكن أحدًا غيره نادى اسم (سناب) بهدوء شديد قائلاً:

«(سيفيروس)...».

أدخل الصوت فى قلب (هارى) رعبًا يفوق أى شىء مر به فى تلك الليلة. كان (دمبلدور) لأول مرة يتوسل.

لم ينطق (سناب) بكلمة، بل تقدم ودفع (مالفوى) منحيًا إياه جانبًا بقسوة. وتراجع (آكلو الموت) الثلاثة دون كلمة. حتى المستذئب بدا خاضعًا.

حدق (سناب) فى (دمبلدور) للحظة، وكان البغض والكراهية محفورين فى خطوط وجهه.

«(سيفيروس)... أرجوك...».

رفع (سناب) عصاه السحرية وصوبها مباشرةً إلى (دمبلدور) وقال:

«*أفادا كيدافرا!*».

فانطلقت نفثة ضوء أخضر من طرف عصا (سناب) أصابت (دمبلدور) فى صدره. ولم تفارق صرخة الرعب (هارى)؛ كان مجبرًا على المشاهدة وهو صامت لا يتحرك، بينما كان (دمبلدور) يطاح به فى الهواء؛ ولكسر من ثانية بدا كأنه علق تحت الجمجمة الساطعة، ثم سقط إلى الخلف بهدوء كدمية كبيرة من قماش فوق الشرفات ثم اختفى.

■ ■ ■

٢٨ رحلة الأمير

أحس (هارى) أيضًا كأنه أطيح به فى الفضاء؛ لا لم يحدث... مستحيل أن يكون هذا قد حدث...

قال (سناب): «اخرجوا من هنا، بسرعة».

ثم أمسك (مالفوى) من قفاه ودفع به إلى خارج الباب قبل الآخرين؛ وتبعهما (جريباك) والأخ وأخته القصيرين البدينين، وكان الأخيران يلهثان من الإثارة. وباختفائهم عبر الباب أدرك (هارى) أن بإمكانه أن يتحرك مرة أخرى؛ ولم يكن ما يبقيه مشلول الحركة على الحائط الآن السحر، بل الرعب والصدمة. أطاح بعباءة الإخفاء جانبًا مع اختفاء (آكل الموت) ذى الوجه الوحشى الذى كان آخر من غادر قمة البرج من الباب.

«*بتريفيكوس توتالوس!*».

انثنى (آكل الموت) كأنه ضُرب فى ظهره بشىء صلب وسقط على الأرض متخشبًا كتمثال من شمع، ولكنه لم يكد يلامس الأرض حتى تسلق (هارى) فوقه واندفع يهبط الدرج المعتم.

تمزق الرعب فى قلب (هارى)... كان لابد أن يصل إلى (دمبلدور) وكان عليه أن يمسك بـ(سناب)... كان الأمران مرتبطين ببعضهما بصورة ما... كان بإمكانه أن يعكس ما جرى لو كان كلاهما أمامه معًا... ما كان (دمبلدور) ليموت...

قفز الدرجات العشر الأخيرة من السلم الحلزونى، وتوقف حيث هبط ورفع عصاه السحرية، كان الدهليز شبه المظلم مليئًا بالتراب؛ نصف السقف بدا كأنه انهار وتخيل معركة مستعرة أمام عينيه، ولكنه حتى حين حاول أن يتصور مَن يقاتل مَن؛ سمع الصوت البغيض يصيح قائلاً : «انتهى الأمر،

حان وقت الرحيل!» ورأى (سناب) يختفى عند الركن بالطرف الأقصى من الدهليز؛ بدا أنه هو و(مالفوى) خرجا من المعركة سالمين وعندما اندفع (هارى) فى أثرهم خرج أحد المقاتلين من الصف وانطلق صوبه؛ كان المستذئب (جريباك). وأطبق على (هارى) قبل أن يتمكن الأخير من رفع عصاه السحرية، فسقط (هارى) إلى الخلف وعلى وجهه شعر ملبد قذر، وزكمت أنفه وفمه رائحة العرق والدم النتنة واخترقت حلقه أنفاس حارة نهمة.

«بتريفيكوس توتالوس!».

أحس (هارى) بسقوط (جريباك) فوقه؛ ويجهد فائق دفع المستذئب عنه وطرحه على الأرض، فاندفعت صوبه نفثة ضوء أخضر، فتفاداها وانطلق يركض بكل قوته إلى ساحة القتال. اصطدمت قدماه بشىء لين وزلق على الأرض فتعثر؛ كانت هناك جثتان مستلقيتان على ظهرهما فى بركة من دم، ولكن لم يكن هناك وقت للبحث والاستقصاء؛ ورأى (هارى) أمامه شعرًا أحمر يتطاير كاللهب؛ كانت (جينى) فى معركة مع (آكل الموت) القصير البدين (أميكوس) الذى أخذ يرمى تعويذة فى أثر أخرى بينما كانت هى تراوغها؛ كان (أميكوس) يقهقه مستلذاً بالرياضة: «كروشيو... كروشيو... لا تستطيعين أن ترقصى للأبد أيتها الجميلة».

صاح (هارى) قائلاً: *«إمبديمنتا!»*.

فأصابت رميته (أميكوس) فى الصدر؛ فأطلق صرخة ألم كخوار الخنزير إذ رُفع عن الأرض وارتطم بالحائط المقابل، ثم انزلق وسقط واختفى وراء (رون) والأستاذة (ماكجونجال) و(لوبين) الذين كان كل منهم يقاتل أحد (آكلى الموت)؛ ومن ورائهم رأى (هارى) (تونكس) يقاتل ساحرة شقراء ضخمة كانت ترسل لعنات تتطاير فى كل اتجاه ثم تنبو عن الجدران من حولهم محطمة الحجر وأقرب نافذة.

صاحت (جينى) سائلة: «(هارى)، من أين أتيتَ؟» ولكن لم يكن هناك وقت للرد عليها. فمال برأسه وانطلق متفاديًا نفخة انطلقت فوق رأسه

وامطرتهم جميعا بوابل من شظايا الحائط. يجب الا يهرب (سناب)، لابد أن يلحق بـ(سناب)...

صاحت الأستاذة (ماكجونجال) قائلة: «خذى هذه!»، ولمح (هارى) (أليكتو) «آكلة الموت» تنطلق عبر الدهليز وذراعاها فوق رأسها وأخوها من ورائها. وانطلق (هارى) وراءهما، إلا أن قدمه علقت بشىء، وفى اللحظة التالية كان مستلقيًا على ساقى شخص. تلفت حوله فرأى وجه (نيفيل) الشاحب المستدير على الحائط.

«(نيفيل)، هل أنت...؟».

غمغم (نيفيل) وهو ممسك ببطنه: «أنا بخير (هارى)... (سناب) و(مالفوى)... ركضا...».

قال (هارى) وهو يصوب رمية من مكانه على الأرض إلى «آكلة الموت» الشقراء الضخمة التى تسببت فى معظم الفوضى: «أعرف، سأتولى أمرهما!». أطلق الرجل صرخة ألم إذ أصابته الرمية فى وجهه؛ فاستدار وترنح ثم انطلق فى أعقاب الأخ وأخته.

نهض (هارى) من الأرض وانطلق عبر الدهليز متجاهلاً الانفجارات التى كانت تأتى وراءه، ومن بعدها صرخات الآخرين تناديه بأن يعود، والنداء المكتوم من المستلقين على الأرض والذين لم يعرف مصيرهم بعد...

انطلق حول الركن وحذاؤه زلق بالدم؛ كان (سناب) يعدو بسرعة هائلة ـ هل دخل القمرة فى غرفة الطلب، أم أن المدرسة اتخذت إجراءات لتأمينه ومنع (آكلى الموت) من الانسحاب من ذلك الطريق؟ لم يكن يسمع سوى وقع أقدامه وخفقات قلبه، وهو منطلق عبر الدهليز التالى الخالى، ولكنه وجد أثر قدم ملطخة بالدم دلته على أن واحدًا على الأقل من (آكلى الموت) الهاربين كان متوجهًا صوب الأبواب الأمامية ـ لعل غرفة الطلب كانت مسدودة فعلاً.

انطلق حول ركن اخر وطارت لعنة وسبقته؛ فتوارى خلف بزة مدرعة فانفجرت؛ ورأى الأخ وأخته (آكلى الموت) يسرعان بهبوط الدرج الرخامى أمامه فصوب تعويذات إليهما، ولكنها لم تصب إلا عدة ساحرات يضعن شعرًا مستعارًا فى لوحة على البسطة عدون وهن يصرخن إلى لوحات أخرى مجاورة؛ وبينما كان يقفز فوق حطام درع سمع (هارى) المزيد من الصرخات والصيحات؛ يبدو أن أناسًا آخرين داخل القلعة استيقظوا...

وانطلق صوب طريق مختصر على أمل أن يباغت الأخ وأخته ويطبق على (سناب) و(مالفوى) الذى لابد أن وصل إلى الملاعب الآن؛ وتذكر أن يتخطى الدرجة المفقودة فى منتصف الدرج الخفى، ثم مر من خلال لوحة مطرزة فى الجزء السفلى، ومنها إلى الدهليز حيث وقف عدد من طلاب (هافلباف) فى بيجاماتهم ذاهلين.

قالت (إيرنى ماكميلان): «(هارى)! سمعنا ضجيجًا، وقال أحدهم شيئًا عن «علامة الظلام».

صاح (هارى) قائلاً: «تنحوا عن الطريق!» ودفع بصبيين جانبًا وهو منطلق صوب البسطة، ومنها إلى بقية السلم الرخامى. كانت الأبواب الأمامية قد انفتحت؛ وكانت هناك بقع دم على أحجار الرصيف وعدد من الطلاب المذعورين وقفوا محتشدين أمام الحائط، وواحد منهم أو اثنان لايزالان منكمشين وأذرعهما على وجهيهما؛ وكانت ساعة (جريفندور) الرملية العملاقة قد أصيبت بلعنة، وكانت الأحجار بداخلها لاتزال تتساقط على الأحجار من تحتها محدثة صلصلة عالية...

انطلق (هارى) عبر قاعة المدخل ومنها خرج إلى الملاعب المظلمة؛ كان يستطيع أن يميز ثلاثة أشخاص يتسابقون على العشب متجهين نحو البوابات التى يمكنهم أن «يختفوا» وراءها، وبدا من مظهرهم أنهم: (آكلة الموت) الشقراء الضخمة التى كانت تسبقهم، و(سناب) و(مالفوى)...

شق هواء الليل صدر (هارى) وهو منطلق فى اعقابهم؛ وراى وميض نور على البعد رسم ظلالاً لطرائده؛ لم يكن يعلم ماهيته ولكنه واصل العدو، ولكنه لم يكن قريبًا لدرجة أن يصوب عليهم بلعنة...

وميض آخر وصرخات ونفثات ضوء ثأرية، وفهم (هارى)؛ كان (هاجريد) قد خرج من كوخه، وكان يحاول أن يمنع (آكلى الموت) من الفرار، ومع أن كل نفَس كان يكاد يمزق رئتيه، وعلى الرغم من أن الألم فى صدره كان كالنار فقد أسرع (هارى) حين جاءه هاتف فى رأسه قائلاً: «ليس (هاجريد)... ليس (هاجريد) أيضًا...».

شيء ما أمسك (هارى) بشدة من ظهره فانكفأ على وجهه وارتطم وجهه بالأرض وسال الدم من فتحتى أنفه؛ وأدرك حين تدحرج وعصاه السحرية جاهزة أن الأخ وأخته اللذين كان قد لحق بهما عبر طريقه المختصر مطبقان عليه من الخلف...

صاح وهو يتدحرج مرة أخرى قائلاً: *«إمبديمنتا!»* وهو جاثم قريبًا من الأرض المظلمة، ومن حسن طالعه أن أصابت رميته أحدهما فتعثر وسقط وتعثر الآخر معه؛ وقفز (هارى) ناهضًا على قدميه وانطلق فى أثر (سناب)...

وأصبح الآن يرى خطوط جسم (هاجريد) الضخم فى ضوء الهلال الذى بزغ فجأة من وراء السحب؛ كانت «آكلة الموت» الشقراء الضخمة تصوب اللعنة تلو الأخرى على حارس المرمى، إلا أن قوة (هاجريد) الهائلة وجلده القوى الذى ورثه عن أمه العملاقة كان يحميه؛ أما (سناب) و(مالفوى) فكانا لايزالان يركضان؛ ولا يلبثان حتى يتجاوزا البوابات ويتمكنان من «الاختفاء».

اندفع (هارى) وراء (هاجريد) وغريمه وصوب على ظهر (سناب) وصاح قائلاً: *«اصعق!»*.

ولكنه أخطأ هدفه؛ حلقت نفثة الضوء الأحمر متجاوزة رأس (سناب)؛ وصاح (سناب) قائلاً: *«اركض يا (دراكو)!»* ثم انعطف؛ ونظر هو و(هارى)

إلى بعضهما البعض وبينهما مسافة عشرين ياردة قبل أن يرفع كل منهما عصاه السحرية فى لحظة واحدة.

«كروسـ...».

إلا أن (سناب) تفادى اللعنة، وتمكن من إسقاط (هارى) قبل أن يكمل؛ فتدحرج (هارى) ثم نهض مرة أخرى فى اللحظة التى صاحت فيها «آكلة الموت» الضخمة من ورائه قائلة: «*إنسنديو!*»؛ وسمع (هارى) دوى انفجار ونزل عليهم جميعًا ضوء برتقالى يتراقص، ونشبت النار فى بيت (هاجريد).

جأر (هاجريد) قائلاً: «(فانج) بداخله، أيها الشرير...!».

صاح (هارى) للمرة الثانية قائلاً: «كروسـ» وهو يصوب على الشخص الذى يسبقه فى ضوء النار المتراقص، إلا أن (سناب) صد التعويذة مرة أخرى؛ ورآه (هارى) وهو ينخر.

وصرخ فى اندفاع اللهب وصرخات (هاجريد) والعواء الضارى من (فانج) المحاصر قائلاً: «لا لعنات لا تغتفر منك يا (بوتر)! ليس لديك الشجاعة والقدرة...».

زأر (هارى) قائلاً: «إنكارسـ»، إلا أن (سناب) صد التعويذة بنقرة كسولة من ذراعه.

صرخ (هارى) فيه قائلاً: «قاتل، قاتل أيها الجبان».

فصاح (سناب) قائلاً: «هل وصفتنى بالجبان يا (بوتر)؟ ما كان أبوك ليهاجمنى إلا إذا كان أربعة لواحد، فبم كنتَ ستصفه؟».

«*اصعق!*».

نخر (سناب) وهو يصد اللعنة مرة أخرى وقال: «صددتها مرة أخرى وأخرى وأخرى إلى أن تتعلم أن يبقى فمك ساكتًا وذهنك موصدًا يا (بوتر)!» ثم صاح فى «آكلة الموت» الضخمة من وراء (هارى) وقال: «والآن تعالى! حان وقت الرحيل قبل أن تثور ثائرة الوزارة».

«*إمبديـ*».

ولكن قبل ان يكمل هذه الرميه داهم (هارى) الم مبرح؛ فاخذ يتقلب على العشب، وكان هناك أحد يصرخ، سيموت حتمًا من هذا الألم، (سناب) سيعذبه حتى الموت أو الجنون.

زأر صوت (سناب) قائلاً: «لا!» فتوقف الألم فجأة كما بدأ؛ كان (هارى) متكورًا على العشب الداكن، ممسكًا بعصاه السحرية ويلهث، وفى مكان ما فوقه كان (سناب) يصيح قائلاً: «أنسيتَ الأوامر؟ (بوتر) من نصيب «سيد الظلام»، علينا أن نتركه! اذهب! اذهب!».

أحس (هارى) بالأرض ترتعد تحت وجهه حين انصاع الأخ وأخته و(آكلة الموت) الضخمة للأمر، وانطلقوا صوب البوابات. أطلق (هارى) صيحة غضب مكتومة؛ وفى تلك اللحظة لم يكن يهتم ما إذا مات أم ظل حيًا، فنهض على قدميه مرة أخرى ومشى يترنح بصورة عمياء نحو (سناب)، الرجل الذى أصبح يبغضه قدر بغضه (فولدمورت) نفسه.

«سكتومـــ».

نقر (سناب) بعصاه السحرية فارتدت اللعنة مرة أخرى؛ لكن (هارى) لم يكن يبعد عنه إلا ببضع أقدام وأخيرًا أصبح يرى وجه (سناب) بوضوح. لم يعد ينخر أو يسخر؛ إذ بين اللهب وجهًا ملأه الحقد. فحشد (هارى) كل قوى تركيزه وفكر بينه وبين نفسه قائلاً: «ليفيـ».

صرخ (سناب) وقال: «لا يا (بوتر)!». ووقع دوى هائل وكان (هارى) يحلق إلى الخلف، ثم وقع على الأرض بشدة مرة أخرى، وفى هذه المرة طارت عصاه السحرية من يده. وسمع (هاجريد) يصيح و(فانج) يعوى، بينما أطبق عليه (سناب) ونظر إليه من علٍ وهو ممدد بلا عصا سحرية أو دفاعات كما كان (دمبلدور). وتخضب وجه (سناب) الشاحب فى الضوء الصادر عن اللهب المضطرم فى كوخ (هاجريد) بالحقد كما كان قبل أن يصيب (دمبلدور) باللعنة.

«أوتجرؤ على استعمال تعاويذى ضدى يا (بوتر)؟ أنا الذى أبتكرها، أنا الأمير الهجين! أنت تقلب ابتكاراتى علىّ كأبيك القذر؟ لا أعتقد ذلك... لا!».

وغاص (هارى) يبحث عن عصاه السحرية فأطلق (سناب) رمية عليها فطارت مسافة أقدام فى الظلام واختفت.

قال (هارى) وهو يلهث دون أن يشعر بخوف، بل بغضب واحتقار: «اقتلنى إذن. اقتلنى كما قتلته أيها الجبان».

صاح (سناب) كمن فقد عقله فجأة وكأنه أحس بألم لا يقل عن عواء الكلب الذى أخذ ينبح فى البيت المحترق من ورائه وقال: «لا... لا تصفنى بالجبن!».

ثم سحب يده فى الهواء فأحس (هارى) بشىء ساخن كالسوط يصيبه على وجهه ويرتد إلى الأرض. وانبثقت نقاط من الضوء أمام عينيه، وبدا كأن أنفاسه فارقت جسده للحظة، ثم سمع رفرفة أجنحة فوقه ورأى شيئًا هائلاً يحجب النجوم: كان (باك بيك) قد أطبق على (سناب) فترنح إلى الخلف، بينما نُشبت فيه مخالب قاطعة كالموسى. ونهض (هارى) فى وضع الجلوس ورأسه لاتزال تترنح من آخر ارتطام بالأرض فرأى (سناب) يركض بكل قوته والوحش الضخم فى أعقابه ويصرخ كما لم يسمعه (هارى) من قبل.

حاول (هارى) جاهدًا حتى ينهض على قدميه، وأخذ يتلفت حوله باحثًا عن عصاه السحرية أملاً فى أن يبدأ فى المطاردة من جديد، ولكن حتى حين أخذت أصابعه تتحسس العشب وتنبذ الأغصان كان يعرف أن الأوان فات، وحين عثر على عصاه التفت ليرى الهيبوجريف يحاصر البوابات؛ كان (سناب) قد خطط للاختفاء وراء حدود المدرسة مباشرةً.

غمغم (هارى) وهو لايزال يشعر بدوار ويتلفت حوله قائلاً: «(هاجريد)، (هاجريد)؟».

ومشى يترنح صوب البيت المشتعل، فبرز كيان هائل من اللهب حاملاً (فانج) على ظهره. فجثا (هارى) على ركبتيه بصرخة شكر، كانت أوصاله ترتجف وجسمه يؤلمه وأنفاسه طعنات مبرحة.

«أنت بخير يا (هارى)؟ أنت بخير؟ كلمنى يا (هارى)...».

كان وجه (هاجريد) الضخم المشعر يجثم فوق (هارى) ويسد عنه النجوم. فشم (هارى) الخشب المحروق وأحس بشعر الكلب؛ فأخرج يدًا وأحس بجسد (فانج) الدافئ والنابض بالحياة يرتعش بجانبه.

قال (هارى) وهو يلهث: «أنا بخير، هل أنت بخير؟».

«طبعًا بخير... كان الأمر يتطلب أكثر من ذلك للقضاء على».

وضع (هاجريد) يديه تحت ذراعى (هارى) ورفعه بقوة فارتفعت قدما (هارى) عن الأرض ثم أوقفه (هاجريد) على قدميه مرة أخرى. ورأى الدم يقطر من وجنتى (هاجريد) من جرح تحت إحدى عينيه التى كانت تزداد تورمًا بسرعة.

قال (هارى): «يجب أن نطفئ بيتك، التعويذة «*أجوامنتى*...».

غمغم (هاجريد) قائلاً: «كنتُ أعرف أنها شيء كهذا» ثم رفع مظلة وردية اللون مشجرة تحترق وقال: «*أجوامنتى!*».

فانبثقت من طرف المظلة نفثة ماء. ورفع (هارى) ذراعه الممسكة بالعصا السحرية وغمغم قائلاً: «*أجوامنتى!*» أيضًا. وظلا معًا يصبان الماء على البيت حتى انطفأ آخر لهب.

بعد بضع لحظات قال (هاجريد) فى تفاؤل وهو ينظر إلى الحطام الذى تصاعد منه الدخان: «ليس الأمر بغاية السوء. ليس شيئًا يعجز (دمبلدور) عن إصلاحه...».

فأحس (هارى) بألم مبرح فى بطنه لدى سماع الاسم. وفى الصمت والسكون انبثق الرعب فى داخله.

«(هاجريد)...».

فقال (هاجريد) فى حزن وهو لايزال يحدق فى الكوخ المهدم: «كنتُ أربط سيقان زوج من الحيوانات حين سمعتهم يأتون. سيكونون قد احترقوا تمامًا، تلك الكائنات المسكينة...».

«(هاجريد)...».

«ولكن ماذا جرى يا (هارى)؟ أنا رأيت (آكلى الموت) ينزلون مندفعين من القلعة، ولكن ماذا كان (سناب) يعمل معهم؟ أين ذهب؟ هل كان يطاردهم؟».

نقى (هارى) حلقه الذى جف من الرعب والدخان وقال: «هو... قَتل...».

قال (هاجريد) بصوت عالٍ وهو يحدق فى (هارى): «قَتل (سناب) قَتل...؟ ماذا تقول يا (هارى)؟».

فقال (هارى): «(دمبلدور)، (سناب)... قتل (دمبلدور)».

نظر (هاجريد) إليه بسذاجة، القليل الذى كان يُرى من وجهه كان ينم عن عدم الفهم.

«(دمبلدور)، ماذا يا (هارى)؟».

«مات؟ (سناب) قتله...؟».

قال (هاجريد) بقسوة: «لا تقل هذا. (سناب) قتل (دمبلدور) ـ لا تكن سخيفًا يا (هارى). ما الذى جعلك تقول ذلك؟».

«رأيتُ ذلك يحدث».

«مستحيل».

«رأيتُ ذلك يا (هاجريد)».

فهز (هاجريد) رأسه؛ كان تعبير وجهه يشى بعدم التصديق ولكنه متعاطف، وكان (هارى) يعلم أن (هاجريد) كان يحسب أنه أصيب بضربة فى رأسه وأنه فى غير وعيه، ربما بتأثير رمية سحر...

قال (هاجريد) بثقة: «ما لابد أن يحدث هو... (دمبلدور) لابد أن قال لـ(سناب) أن يذهب معهم (آكلى الموت). أظن أنه كان يجب أن يبقى على سره. اسمع، دعنا نعود بك إلى المدرسة. هيا يا (هارى)...».

لم يحاول (هارى) أن يجادل أو يشرح. كان لايزال يرتعش لا إراديًا. وسرعان ما سيعرف (هاجريد)، أسرع مما يظن... وبينما توجها عائدين إلى القلعة رأى (هارى) أن العديد من نوافذها أضيئت الآن، وتصور

المشاهد بالداخل بوضوح حيث اخذ الناس يتنقلون من غرفه لاخرى يتناقلون خبر دخول (آكلى الموت) وأن العلامة تسطع فوق (هوجوورتس) وأن أحدًا لقى حتفه...

كانت الأبواب الأمامية المصنوعة من خشب السنديان مفتوحة أمامهم، والضوء يفيض على المدخل والعشب. وأخذ الناس يزحفون بجلابيب النوم ببطء وشك، ويهبطون الدرج يتلفتون فى توتر بحثًا عن أثر لآكلى الموت الذين فروا بليل. لكن عينى (هارى) كانت مثبتة على الأرض تحت أطول برج. تخيل أنه يرى كتلة سوداء جاثمة على العشب فوقها مع أنه كان على مسافة أبعد من أن يرى شيئًا كهذا. حتى حين حدق فى صمت فى المكان الذى ظن أن جثة (دمبلدور) ترقد به رأى الناس قد بدأوا يتحركون صوبه.

قال (هاجريد) حين اقترب هو و(هارى) من واجهة القلعة و(فانج) يحاول أن يظل قريبًا من أقدامهم قدر الإمكان: «إلامَ ينظرون جميعًا؟» ثم أضاف بحدة وقد توجه الآن نحو برج الفلك حيث احتشد جمع صغير: «ما هذا الذى على العشب؟ أتراه يا (هارى)، تحت البرج مباشرة؟ تحت المكان الذى كانت فيه العلامة... يا ربى... أتظن أن أحدًا رُمى...؟».

ثم سكت (هاجريد)، فالفكرة على ما يبدو كانت أبشع من أن يعبر عنها بصوت مسموع. مشى (هارى) بجانبه وهو يشعر بالألم فى وجهه وساقيه حيث أصيب برميات سحر مختلفة طوال نصف الساعة الأخيرة، ولو أنه كان يحس بها بصورة منفصلة، كأن أحدًا قريبًا منه هو الذى كان يعانيها. وما كان حقيقيًا ولا مهرب منه هو الوخز المريع الذى كان يحسه فى صدره...

مشى هو و(هاجريد) كأنهما فى منام، وتخللا الجمع وتقدما إلى مقدمته حيث ترك الطلاب والمعلمون المذهولون فراغًا فيه.

كان (هارى) يسمع أنين (هاجريد) من الألم والصدمة، ولكنه لم يتوقف؛ ظل يتقدم ببطء إلى أن بلغ المكان الذى يرقد فيه (دمبلدور) وجثا بجانبه.

كان (هارى) يعلم ألا أمل منذ لحظة أن رُفعت عنه لعنة «ربط الجسم» التى كان (دمبلدور) قد فرضها عليه، وأنها لم تُرفع إلا لموت من فرضها عليه؛ ولكن لم يكن لديه استعداد لرؤيته هنا ممددًا مهشمًا، إنه أعظم ساحر عرفه (هارى) أو سيعرفه.

كانت عينا (دمبلدور) مغمضتين؛ ولكن من وضعية ذراعيه وساقيه كان يبدو كالنائم. مد (هارى) يده وعدل النظارة الهلالية الشكل فوق أنفه المعقوف، ومسح قطرة دم على فمه بكم ثوبه، ثم أخذ يحدق لأسفل فى الوجه العجوز الحكيم وحاول أن يستوعب الحقيقة الهائلة الغامضة، وهى أن (دمبلدور) لن يكلمه بعد الآن، لن يتمكن من عونه أبدًا...

غمغم الجمع وراء (هارى). وبعد ما بدا كأنه مدة طويلة أدرك أنه رابض على شىء صلب فنظر لأسفل.

كانت العلبة التى نجحا فى سرقتها قبل ساعات عديدة قد سقطت من جيب (دمبلدور). وفُتحت، ربما بسبب القوة التى ارتطمت بها بالأرض. ومع أن (هارى) لم يكن ليشعر بصدمة أو خوف أو حزن أكبر مما مر به فعلاً فقد علم وهو يلتقطها أن هناك شيئًا غير عادى...

قلب العلبة فى يديه. إنها ليست كبيرة كتلك التى يتذكر أن رأى فى المنخل، ولا كانت عليها أية علامات، ليس هناك حرف «س» المزخرف الذى يفترض أنه رمز (سليذرين). كما لم يكن بداخلها سوى قصاصة رق مطوية محشورة بإحكام فى المكان الذى يفترض أن تكون به صورة.

وتلقائيًا ودون أن يفكر فيما يعمل، أخرج (هارى) قصاصة الرق وفضها وقرأ على ضوء العصى السحرية العديدة التى أضيئت الآن وراءه:

إلى «سيد الظلام»

أعلم أنى سأكون قد متُّ قبل أن تقرأ هذه بمدة طويلة، ولكنى أريدك أن تعرف أنى أنا الذى كشف سرك. فقد سرقتُ قطعة الـ(هوركروكس) الحقيقية وأعتزم تدميرها بمجرد أن أتمكن من ذلك. أنا أواجه الموت على أمل أنك حين تلتقى صنوك ستصبح فانيًا من جديد.

آر. إيه. بى.

لم يدرك (هارى) مغزى الرسالة ولم يهمه ذلك. شىء واحد كان يهمه، هو أن هذه لم تكن (هوركروكس). أضعف (دمبلدور) نفسه بارتشاف ذلك السائل الرهيب بلا مقابل. طوى (هارى) قصاصة الرق فى يده وتحرقت عيناه بالدموع بينما بدأ (فانج) ينبح من ورائه.

■ ■ ■

٢٩ رثاء العنقاء

«تعال يا (هارى)...».

«لا».

«بوسعك أن تقيم هنا يا (هارى)... هيا، هيا...».

«لا».

لم يكن يريد أن يترك (دمبلدور)، لم يشأ أن يذهب إلى أى مكان. كانت يد (هاجريد) على كتفه ترتعش، ثم قال صوت آخر: «هيا يا (هارى)».

وفجأة، يد أكثر صغرًا ودفئًا أمسكت يده وأخذت ترفعه. فانصاع للضغط دون تفكير. ولم يدرك إلا وهو يمشى «عميانيًا» عائدًا إلى الحشد ومن أثر لعطر وردى فى الهواء ـ أنها (جينى) التى كانت تقوده عائدًا إلى القلعة. أصوات غير مفهومة أخذت تهاجمه، كان النشيج والصراخ والعويل يشق سكون الليل، إلا أن (هارى) و(جينى) واصلا السير وصعدا الدرج ودخلا قاعة المدخل، كانت الوجوه تسبح على حواف بصر (هارى)، كان الناس يحدقون فيه ويتهامسون ويتساءلون، وكانت يواقيت (جريفندور) تتلألأ على الأرض كقطرات دم وهما يشقان طريقهما نحو الدرج الرخامى.

قالت (جينى): «سنذهب إلى جناح المستشفى».

قال (هارى): «لستُ مصابًا».

قالت (جينى): «إنها أوامر (ماكجونجال). الكل بأعلى، (رون) و(هرميون) و(لوبين) والجميع...».

وتحرك الخوف فى صدر (هارى) من جديد؛ كان قد نسى الصور الخاملة التى تركها وراءه.

«من ايصا لفى حتفه يا (جينى)؟».
«لا تقلق، لم يمت أحد منا».
«لكن «علامة الظلام»... قال (مالفوى) إنه داس على جثة...».
«داس على (بيل)، ولكنه بخير، لايزال حيًّا».
ومع ذلك، كان هناك شيء فى صوتها أدرك (هارى) أنه ينذر بشر.
«هل أنت متأكدة؟».
«طبعًا متأكدة.. هو... بعض الفوضى، ولا شيء أكثر. (جريباك) هاجمه. مدام (بومفرى) تقول: «إن شكله لن... لن يكون كما كان...» وارتعش صوت (جينى) قليلاً: «لا نعلم حقيقةً، كيف ستكون التأثيرات التالية... أقصد أن يصبح (جريباك) مستذئبًا، ولكنه لم يتحول حتى الآن».
«لكن الآخرين... كانت هناك جثث أخرى على الأرض...».
«(نيفيل) فى جناح المستشفى، لكن مدام (بومفرى) ترى أنه سيَشفَى تمامًا، والأستاذ (فليتويك) أصيب ولكنه بخير، مجرد توعك. وأصر على الخروج لرعاية طلاب (رافينكلو). وأحد (آكلى الموت) لقى مصرعه، أصابته لعنة قاتلة من تلك التى كانت تطلقها الشقراء الضخمة فى كل مكان... لولا أن كانت معنا جرعة الـ(فليكس فلسيس) التى تركت لنا يا (هارى) أظن أننا جميعًا كنا سنلقى حتفنا، ولكننا نجونا من كل شيء تقريبًا... ».
كانا قد بلغا جناح المستشفى، ودفع (هارى) الباب فانفتح، ورأى (نيفيل) راقدًا نائمًا على ما يبدو، على سرير بجوار الباب. وتجمع كل من (رون) و(هرميون) و(لوبين) و(تونكس) و(لونا) حول سرير آخر عند الطرف الأقصى من العنبر. وعلى صوت الباب وهو ينفتح التفتوا جميعًا. واندفعت (هرميون) صوب (هارى) وعانقته؛ وتقدم (لوبين) أيضًا وقد بدا عليه القلق.
«هل أنت بخير يا (هارى)؟».
«أنا بخير... كيف حال (بيل)؟».

لم يجبه أحد. نظر (هارى) وراء (هرميون) فرأى وجهًا يستحيل التعرف عليه مستلقيًا على وسادة (بيل)، كانت به جروح وتهتكات بالغة جعلته أشبه بمسخ خرافى. كانت مدام (بومفرى) تداوى جروحه بمرهم أخضر نفاذ. فتذكر (هارى) كيف عالج (سناب) بعصاه السحرية جروح (مالفوى) التى نجمت عن لعنة *الـ«سكتومسمبرا»* بسهولة.

سأل المشرفة: «ألا تستطيعين معالجته بتعويذة أو ما شابه؟».

فأجابته مدام (بومفرى) قائلة: «ليس هناك تعويذة تفلح مع تلك... جربتُ كل شىء أعرفه، ولكن لا شفاء لعضات المستذئب».

قال (رون) الذى كان يحدق فى وجه أخيه كأنه كان يستطيع أن يعالجه بصورة ما بمجرد التحديق به: «ولكنه لم يُعض والقمر بدر. (جريباك) لم يكن قد تحول، وبالتالى فمن المؤكد أن (بيل) لن يصبح...؟».

ونظر إلى (لوبين) فى شك.

قال (لوبين): «لا، لا أظن أن (بيل) سيصبح مستذئبًا حقيقيًّا، لكن هذا لا يعنى أنه لن تصيبه بعض العدوى. فهذه جروح ناتجة عن لعنة. من المستبعد حتى أن تشفَى تمامًا، و... وقد يصبح لدى (بيل) بعض صفات الذئاب من الآن فصاعدًا».

قال (رون): «لكن (دمبلدور) قد يعرف شيئًا ناجعًا. أين هو؟ (بيل) قاتل هؤلاء المسعورين بناء على أوامر (دمبلدور)، (دمبلدور) مدين له، ولا يمكن أن يتركه فى هذه الحال.. ».

قالت (جينى): «(رون)... دمبلدور) مات».

نقل (لوبين) نظره من (جينى) إلى (هارى) كأنه كان يتمنى أن يكذبها الأخير وهو يقول: «لا!»، ولكن عندما لم يكذبها (هارى) انهار (لوبين) على مقعد بجوار سرير (بيل) ويداه على وجهه. لم يسبق أن رأى (هارى) (لوبين) يفقد تماسكه من قبل؛ فشعر بأنه يقحم نفسه فى شىء لا يعنيه، شىء غير برىء؛ فالتفت ووقعت عيناه فى عينى (رون) وتبادلا فى صمت نظرة أكدت ما قالته (جينى).

همست (تونكس) قائلة: «كيف مات؟ كيف حدث ذلك؟».

قال (هارى): «قتله (سناب). كنتُ معهما، ورأيت الحادث. وصلنا عائدَين إلى برج الفلك؛ لأن «علامة الظلام» كانت هناك... وكان (دمبلدور) مريضًا، كان فى حالة ضعف، ولكنى أعتقد أنه أدرك أنه فخ حين سمعنا وقع أقدام تركض إلى أعلى الدرج. فشل حركتى ولم أتمكن من فعل شىء، كنت تحت عباءة الإخفاء... ثم جاء (مالفوى) عبر الباب وجرده من سلاحه».

صفقت (هرميون) بيدها على فمها، وتأوه (رون). وارتعش فم (لونا).

«... ثم جاء المزيد من (آكلى الموت)... ثم جاء (سناب)... وفعل (سناب) فعلته. الـ (أفادا كيدافرا)». ولم يتمكن (هارى) من مواصلة الكلام.

انخرطت مدام (بومفرى) فى البكاء، ولم يعرها أحد التفاتًا عدا (جينى) التى همست قائلة لها: «ش ش! اسمعى!».

فكتمت مدام (بومفرى) فمها بأصابعها وهى تبلع ريقها وعيناها مفتوحتان على اتساعهما. وفى مكان ما بالخارج فى الظلام، كانت هناك عنقاء تغرد بطريقة لم يسمعها (هارى) من قبل؛ رثاء حزين ذو جمال بشع. وأحس (هارى) كما أحس بتغريد العنقاء من قبل بأن الموسيقى نابعة من نفسه لا من خارجها؛ حزنه هو استحال شدوًا، ترددت أصداؤه عبر الملاعب مقتحمة نوافذ القلعة.

كم من الوقت ظلوا فى أماكنهم يصغون، لم يدرِ، ولا عرف لم بدا الشدو كأنه يخفف ألمهم قليلاً لينصتوا لصوت حزنهم، ولكن كان هناك إحساس بأن وقتًا طويلاً مر قبل أن ينفتح باب المستشفى مرة أخرى وتدخل الأستاذة (ماكجونجال) العنبر. وكغيرها كانت عليها أمارات المعركة الأخيرة؛ كانت هناك كدمات على وجهها وكانت ثيابها ممزقة.

قالت: «(مولى) و(آرثر) فى الطريق»، فانقطع سحر الموسيقى؛ انتبه الجميع من غشيتهم، فمنهم من التفت مرة أخرى إلى (بيل) ومنهم من أخذ يحك عينيه ومنهم من هز رأسه.

«ماذا جرى يا (هارى)؟ يقول (هاجريد) إنك كنتَ مع الأستاذ (دمبلدور) حين... حين جرى ما جرى. يقول: إن الأستاذ (سناب) كان له دخل فى...».

قال (هارى): «(سناب) قتل (دمبلدور)».

ظلت تحدق فيه للحظة ثم ترنحت فجأة؛ فأسرعت مدام (بومفرى) التى بدا أنها استجمعت قواها واستحضرت مقعدًا من الهواء ووضعته تحت (ماكجونجال).

رددت (ماكجونجال) فى إعياء وهى تهوى على المقعد قائلة: «(سناب)، كنا جميعًا نتساءل... ولكنه كان يثق... دائمًا... (سناب)... لا أستطيع أن أصدق...».

قال (لوبين) بصوت أجش: «كان (سناب) دائمًا ساحرًا ناجحًا، جميعنا كنا نعرف ذلك».

وهمست (تونكس) قائلة: «لكن (دمبلدور) أقسم إنه فى صفنا! كنت دائمًا أفكر فى أن (دمبلدور) لابد أنه كان يعرف عن (سناب) ما لا نعرف...».

غمغمت الأستاذة (ماكجونجال) وهى تمسح ركنى عينيها الدامعتين بمنديل مقلم على حوافه، وقالت: «كان دائمًا يلمح إلى أن لديه سببًا حاسمًا يبرر ثقته فى (سناب)، أقصد... بتاريخ (سناب)... طبعًا كان الناس مضطرين للتساؤل... لكن (دمبلدور) قال لى صراحةً: «إن توبة (سناب) كانت صادقة بشكل قاطع... ما كان ليستمع لكلمة ضده!».

قالت (تونكس): «أود أن أعرف ما قاله له (سناب) ليقنعه».

قال (هارى) فالتفتوا جميعًا ليحدقوا فيه: «أنا أعرف. (سناب) أبلغ (فولدمورت) بمعلومات جعلت (فولدمورت) يطارد أمى وأبى ليقتلهما. ثم أبلغ (سناب) (دمبلدور) بأنه لم يكن يدرك ما يفعل وأنه آسف على ما فعل، آسف لموتهما».

قال (لوبين) فى ارتياب: «و(دمبلدور) صدق ذلك؟ (دمبلدور) صدق أن (سناب) نادم على أن (جيمس) مات؟ (سناب) كان يكره (جيمس)...».

قال (هاري): «وقد كان يرى لأمي أية قيمة أيضا؛ لأنها ابنة العامة... كان يسميها «طينية الدم»...».

لم يسأل أحد كيف عرف (هاري) ذلك. بدا أنهم جميعًا ذهلوا وكانوا يحاولون استيعاب الحقيقة البشعة لما جرى.

قالت الأستاذة (ماكجونجال) فجأة: «أنا السبب في كل ذلك». وأخذت تنظر بعينين زائغتين وهي تلوي منديلها المبلل في يديها. «أنا السبب... أرسلتُ (فيليوس) ليأتي بـ(سناب) الليلة، أرسلت في طلبه ليأتي ويساعدنا! لولا أن نبهت (سناب) لما يجري لما كان قد انضم إلى "آكلي الموت". لا أظنه كان يعلم أنهم آتون».

قال (لوبين) في حسم: «لستِ السبب يا (منيرفا)، كلنا كنا نريد المزيد من العون، كنا سعداء بأن (سناب) آت في الطريق...».

فسأل (هاري) الذي كان يريد أن يعرف كل تفاصيل ازدواجية (سناب) وسلوكه الشرير حتى يجمع المزيد من الأسباب لبغضه والقسم على أن يثأر منه وقال: «وحين وصل إلى القتال انضم إلى جانب (آكلي الموت)».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) وهي شاردة: «لا أعلم ما جرى تحديدًا. الأمر كله محير... (دمبلدور) قال لنا إنه سيغادر المدرسة لبضع ساعات، وإن علينا أن نراقب الدهاليز من باب الاحتياط... كان يفترض أن ينضم إلينا كل من (ريموس) و(بيل) و(نيمفادورا)... وظللنا نراقب. كل شيء بدا هادئًا. كل ممر يؤدي إلى خارج المدرسة كان مراقبًا. كنا نعلم أن أحدًا لا يستطيع أن يقتحمها. كانت هناك تعاويذ قوية على كل مدخل من مداخل القلعة. مازلتُ لا أدري كيف تمكن (آكلو الموت) من الدخول...».

قال (هاري): «أنا أعرف» وفسر بإيجاز مسألة «الحجرتين المختفيتين» والممر المسحور الذي صنعوه بينهما. «ومن ثم فقد دخلوا عبر غرفة الطلب».

وتنقل رغمًا عنه بعينيه بين (رون) و(هرميون) اللذين بدا عليهما الذهول.

قال (رون) ببرود: «أنا أخطأت يا (هارى)، تصرفنا كما قلتَ لنا؛ راجعنا خريطة المغير ولم نعثر على (مالفوى) فيها، فخطر لنا أنه لابد فى غرفة الطلب، فذهبت أنا و(جينى) و(نيفيل) لنراقبها... لكن (مالفوى) تخطانا».

قالت (جينى): «خرج من الغرفة بعد ساعة من بدء مراقبتنا. كان وحده ممسكًا بذلك السلاح الرهيب...».

قال (رون): «"يد المجد" لا تضىء إلا لحاملها، أتتذكر؟».

واصلت (جينى) قائلة: «على أى ، لابد أنه كان يتأكد من خلو الساحل لإخراج (آكلى الموت)، ففى اللحظة التى رآنا فيها رمى شيئًا فى الهواء فأظلمت الدنيا...».

قال (رون) فى مرارة: «... "مسحوق ظلام فورى من بيرو". من عند (فريد) و(جورج). سيكون لى معهما كلام عمن يدَعونه يشترى منتجاتهما».

قالت (جينى): «جربنا كل شىء... *(لاموس)، (إنسنديو)*؛ لا شىء كان يخترق الظلام؛ كل ما استطعنا أن نعمله هو أن نتلمس طريقنا للخروج من الدهليز مرة أخرى، وفى الوقت نفسه تمكنا من سماع الناس يندفعون حولنا. من الواضح أن (مالفوى) كان يستطيع الرؤية بسبب تلك اليد، وكان يرشدهم، ولكننا لم نجرؤ على الاستعانة بأية لعنات حتى لا نصيب بعضنا البعض، وفى الوقت الذى وصلنا فيه إلى دهليز مضىء كانوا قد اختفوا».

قال (لوبين) بصوت أجش: «لحسن الحظ أن (رون) و(جينى) و(نيفيل) قابلونا على الفور وأبلغونا بما جرى. وجدنا (آكلى الموت) بعد دقائق متوجهين صوب برج الفلك. بدا واضحًا أن (مالفوى) لم يكن يتوقع أن يكون هناك المزيد من الناس يراقبون؛ كان يبدو أنه استنفد ما لديه من مسحوق الظلام. ونشب القتال وتفرقوا وطاردناهم. انفصل أحدهم عنهم وهو (جيبون) وصعد درج البرج...».

سأله (هارى): «ليطلق العلامة؟».

قال (لوبين): «لابد أنه فعل ذلك، نعم، لابد أنهم فعلوا ذلك قبل أن يغادروا غرفة الطلب. ولكنى لا أظن أن (جيبون) حبذ فكرة انتظار (دمبلدور) وحده بأعلى؛ لأنه عاد يهبط الدرج لينضم للقتال وأصيب بلعنة قاتلة أخطأتنى بالكاد».

قال (هارى): «إذن لو كان (رون) يراقب غرفة الطلب مع كل من (جينى) و(نيفيل)» ثم استدار لـ (هرميون): «فهل كنتِ...؟».

همست (هرميون) وعيناها تتلألأن بالدموع: «خارج مكتب (سناب)، نعم، مع (لونا). ظللنا لمدة طويلة خارجه ولم يحدث شىء... ولم نكن نعلم ما يجرى بأعلى، كان (رون) قد أخذ خارطة المغير.. كان منتصف الليل حين جاء الأستاذ (فليتويك) يعدو بأقصى سرعته ودخل البروج المحصنة. وكان يجأر محذرًا من وجود (آكلى الموت) بالقلعة، ولا أظنه لاحظ وجودى أنا و(لونا) هناك على الإطلاق، بل اندفع فى طريقه إلى مكتب (سناب) وسمعناه يقول: إن (سناب) اضطر للعودة معه ويساعد، ثم سمعنا صوتًا مدويًا وخرج (سناب) من غرفته مندفعًا ورآنا و... و...».

حثها (هارى) قائلاً: «وماذا؟».

قالت (هرميون) بصوت هامس عالى الطبقة: «كنت بغاية الغباء يا (هارى)! قال: إن الأستاذ (فليتويك) انهار وإن علينا أن نذهب ونرعاه بينما... بينما يذهب هو ليساعد فى القتال ضد (آكلى الموت)...».

وغطت وجهها فى خجل وواصلت كلامها من بين أصابعها حتى بدا صوتها مكتومًا.

«دخلنا مكتبه لنرى ما إذا كنا نستطيع أن نسعف الأستاذ (فليتويك)، فوجدناه ممددًا على الأرض غائبًا عن الوعى... و... آه، الأمر واضح تمامًا الآن، لابد أن (سناب) خدر (فليتويك)، ولكننا لم نفطن لذلك، فتركنا (سناب) يخرج!».

قال (لوبين) بنبرة حاسمة: «لستِ السبب يا (هرميون)، لو لم تطيعى (سناب) ويعدتِ عن طريقه لربما قتلكِ أنت و(لونا)».

قال (هارى): «إذن فقد صعد لأعلى» قال ذلك وهو يرى بعين عقله (سناب) وهو يصعد الدرج الرخامى بثوبه الأسود منتفخًا وراءه كعهده دائمًا ثم يسحب عصاه السحرية من تحت عباءته وهو يصعد: «وعثر على المكان الذى كنتم جميعًا تتقاتلون فيه...».

قالت (تونكس) بصوت خفيض: «كنا فى مأزق، بدأنا نُهزم. سقط (جيبون) لكن بقية (آكلى الموت) بدوا مستعدين للقتال حتى الموت. كان (نيفيل) قد أصيب و(بيل) افترسه (جيبون)... كانت ظلامًا دامسًا... اللعنات تتطاير فى كل مكان... وكان الصبى (مالفوى) قد اختفى، لابد أنه تجاوزنا متسللاً وصعد الدرج إلى البرج... ثم لحق به المزيد منهم، لكن واحدًا منهم أوصد الدرج وراءهم بلعنة ما... واقتحمها (نيفيل) فأطيح به فى الهواء...».

قال (رون): «لم يتمكن أى منا من اختراقها، وكانت «آكلة الموت» الضخمة هذه لاتزال تطلق رمياتها فى أرجاء المكان، فكانت تنبو عن الحائط وتخطئنا بالكاد...».

قالت (تونكس): «ثم ظهر (سناب) ثم اختفى...».

قالت (جينى): «رأيته يركض صوبنا، لكن رمية (آكلة الموت) الضخمة أخطأتنى بعدها مباشرةً فانحنيت وفقدت أثر كل شىء».

قال (لوبين): «رأيته يعدو مخترقًا حاجز اللعنة وكأنها غير موجودة وحاولت أن أتتبعه ولكنى أطيح بى كما أطيح... (نيفيل)...».

وهمست (ماكجونجال) قائلة: «لابد أنه كان يعرف تعويذة لا نعرفها فهو معلم «صد السحر الأسود» على أية حال... واعتقدت أنه على عجل ليلحق بـ (آكلى الموت) الذين فروا إلى أعلى البرج...».

قال (هارى) فى قسوة: «كان كذلك فعلاً، ولكن ليساعدهم لا ليمنعهم... وأنا متأكد أن اختراق هذا الحاجز كان يتطلب «علامة ظلام»... ثم ماذا جرى حين عاد ونزل؟».

قال (لوبين): «حانت «احده الموت» الضخمه قد اطلقت رمية هدمت نصف السقف، وأبطلت اللعنة التى تسد الدرج أيضًا. فعدونا جميعًا... أو بالأحرى فر كل من كان لايزال فى مكانه منا - ثم ظهر (سناب) والصبى من وسط الغبار... ولم يهاجمهما أحد منا طبعًا...».

قالت (تونكس) بصوت مكتوم: «تركناهما يمران، ظننا أن (آكلى الموت) يطاردونهما... وبعد ذلك عاد (آكلو الموت) و(جريباك) وبدأنا القتال من جديد... وخيل لى أنى سمعتُ (سناب) يصيح ولكنى لا أدرى ماذا كان يقول...».

قال (هارى): «صاح قائلاً «انتهى الأمر». كان قد أنجز ما خطط له».

ولاذوا جميعًا بالصمت. كان نواح (فاو كس) لايزال يتردد صداه عبر الملاعب المظلمة بالخارج. ومع تردد صدى الموسيقى فى الجو جالت بخاطر (هارى) أفكار حزينة... ترى هل رفعوا جثة (دمبلدور) من تحت البرج بعد؟ ماذا سيحدث لها بعد ذلك؟ أين ستدفن؟ أطبق قبضتيه بشدة فى جيبيه. فأحس بالكتلة الباردة الصغيرة لقطعة الـ(هوركروكس) الزائفة تصطدم ببراجم أصابع يده اليمنى.

وانفتح باب جناح المستشفى فقفزوا جميعًا من الفزع؛ كان السيد والسيدة (ويسلى) يتمايلان عبر العنبر ومن ورائهما (فلور) والخوف يكسو وجهها الجميل.

قالت الأستاذة (ماكجونجال) وقد قفزت وهرعت لتحيتهم: «قلبى معكم...».

همست السيدة (ويسلى) وهى مندفعة إلى ما وراء الأستاذة (ماكجونجال) حين لمحت وجه (بيل) المشوه وقالت: «(بيل)، آه يا (بيل)!».

كان كل من (لوبين) و(تونكس) قد نهضا على عجل وتراجعا حتى يسمحا للسيد والسيدة (ويسلى) بالاقتراب من السرير. وانحنت السيدة (ويسلى) على ابنها وطبعت شفتيها على جبينه الدامى.

سأل السيد (ويسلى) الأستاذة (ماكجونجال) وهو شارد قائلا: «قلتِ إن (جريباك) هاجمه؟ ولكنه لم يتحول؟ ما معنى هذا؟ ماذا سيحدث لـ (بيل)؟».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) وهى تنظر إلى (لوبين) فى عجز: «لا نعلم بعد».

قال (لوبين): «قد يكون هناك بعض العدوى يا (آرثر)؛ إنها حالة غريبة، ربما فريدة من نوعها... لا نعرف كيف سيكون سلوكه حين يستيقظ...».

تناولت السيدة (ويسلى) المرهم النفاذ الرائحة من يد مدام (بومفرى)، وبدأت تمسح على جروح (بيل).

قال السيد (ويسلى): «و(دمبلدور)... يا (منيرفا)، أصحيح... هل حقًا...؟».

هزت الأستاذة (ماكجونجال) رأسها، وأحس (هارى) بـ (جينى) وهى تتحرك بجانبه فنظر إليها. كانت عيناها الضيقتان قليلاً تحدقان فى (فلور) التى كانت تحدق فى (بيل) بملامح جامدة على وجهها».

همس السيد (ويسلى) قائلاً: «(دمبلدور) مات» أما السيدة (ويسلى) فلم تكن تأبه إلا لابنها البكر؛ فبدأت تنشج بالبكاء ودموعها تنساب على وجه (بيل) الشائه.

«طبعًا لا يهم شكله... ليس الأمر بـ... بهذه الأهمية... ولكنه كان صـ... صبيًا وسيمًا جدًا... دائمًا وسيم... وكان سـ... سيتزوج!».

قالت (فلور) فجأة وبصوت عالٍ: «ماذا تقصدين بذلك؟ ماذا تقصدين بقولك «كان سيتزوج»؟».

رفعت السيدة (ويسلى) وجهها المبلل بالدموع وهى تنظر فى وجل.

«مجرد أن...».

قالت (فلور): «أتظنين أن (بيل) لن يتمنى أن يتزوجنى بعد الآن؛ أتعتقدين أنه لن يحبنى بعد الآن بسبب هذه العضات؟».

«لا، ليس هذا ما...».

قالت (فلور) وقد شدت قامتها وأطاحت بشعرها الفضى الطويل إلى الوراء: «سيحبنى! وعضات مستذئب لن توقف حب (بيل) لى!».

قالت السيدة (ويسلى): «نعم، أنا متأكدة من ذلك ولكنى حسبتُ أنه ربما... نظرًا لـ... أنه...».

قالت (فلور) وقد انتفخت فتحتا أنفها: «حسبتِ أنى لن أرغب فى الزواج به؟ أم تراكِ تمنيتِ ذلك؟ ما همنى من شكله؟ أنا جميلة بما يكفى كلينا معًا على ما أظن! هذه الندوب تدل على مدى شجاعة زوجى!» ثم أضافت فى شراسة وهى تنحى السيدة (ويسلى) جانبًا وتنتزع المرهم منها قائلة: «وأنا التى سأقوم بذلك!».

مالت السيدة (ويسلى) إلى الوراء على زوجها وأخذت ترقب (فلور) وهى تمسح على جروح (بيل) بأغرب تعبير على وجهها. لم ينطق أحد بكلمة؛ ولم يجرؤ (هارى) على الحركة. كان كغيره ينتظر الانفجار.

قالت السيدة (ويسلى) بعد توقف طويل: «عمتى الكبرى (موريل) لديها تاج جميل جدًا... من صنع الجان ـ أنا متأكدة أنى سأقنعها بإعارتك إياه فى عرسك. فهى تحب (بيل) جدًا، أتعرفين، وسيبدو رائعًا على شعرك».

قالت (فلور) فى تشنج: «شكرًا، أنا واثقة أن هذا سيكون رائعًا».

وبعد... لم يدرك (هارى) كيف حدث ذلك... كانت كلتاهما تبكيان وتتعانقان. فالتفت حوله ذاهلاً متسائلاً عما إذا كان الناس قد جنوا؛ وكان الذهول باديًا على (رون) بالقدر نفسه، بينما تبادلت (جينى) و(هرميون) نظرات ملؤها الوجل.

قال صوت متوتر: «أرأيت؟» كانت (تونكس) تحدق فى (لوبين).. «لاتزال تريد أن تتزوجه، حتى بعد أن أصيب! لا يهمها ذلك!».

قال (لوبين) وهو لا يكاد يحرك شفتيه وقد بدا عليه التوتر فجأة: «الأمر مختلف؛ (بيل) لن يكون مستذئبًا كاملاً. الحالتان...».

قالت (تونكس) وهى ممسكة بتلابيب ثوب (لوبين) وتهزها: «ولكن أنا أيضًا لا يهمنى، لا يهمنى! قلتُ لك مليون مرة...».

واتضح لـ(هارى) فجأة مغزى «راعى» (تونكس) وشعرها الرمادى وسبب تعجيلها بالمجىء بحثًا عن (دمبلدور) حين سمعت شائعة عن تعرض أحدهم لهجوم (جريباك)؛ فلم يكن (سيريوس) هو من أحبته (تونكس) على أية حال...

قال (لوبين) وهو يأبى أن يلتقى بعينيها ويحدق فى الأرض: «وأنا قلت لك مليون مرة أنى كبير عليك... وفقير... وخطير...».

قالت السيدة (ويسلى) من وراء (فلور) وهى تربت على ظهرها: «لطالما قلت لك: إنك تقول كلامًا مضحكًا عن ذلك يا (ريموس).

قال (لوبين) فى ثبات: «أنا لست مضحكًا. (تونكس) تستحق شابًا وكاملاً».

قال السيد (ويسلى) بابتسامة صغيرة: «ولكنها تريدك. كما أن الرجال الكاملين لا يظلون بالضرورة على كمالهم يا (ريموس)». ثم نظر فى حزن إلى ولده الراقد بينهما.

قال (لوبين) وهو يتجنب نظرات الجميع وهو يجول بعينيه فى شرود: «هذه... ليست اللحظة المناسبة لمناقشة ذلك، فقد مات (دمبلدور)...».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) باقتضاب: «ما كان (دمبلدور) سيصبح أقل سعادة من أيكم لو علم أن الدنيا لايزال بها قدر أكبر من المحبة». وفى تلك اللحظة انفتح باب جناح المستشفى مرة أخرى ودخل (هاجريد).

كان ما تبقى ظاهرًا من وجهه غير محجوب وراء شعره أو لحيته مبللاً ومتورمًا؛ كان يهتز بالبكاء، وفى يده منديل مبقع.

قال بصوت مخنوق: «أنا... أنا نفذت يا أستاذة. نـــ... نقلته. والأستاذة (سبراوت) عادت بالأطفال إلى أسرّتهم. والأستاذ (فليتويك) ممدد ولكنه يقول: إنه سيكون بخير بعد قليل، والأستاذ (سلجهورن) يقول: إن الوزارة علمت».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «شكرًا يا (هاجريد)» ثم نهضت على الفور والتفتت لتلقى نظرة على المجموعة حول سرير (بيل): «سيكون علىّ أن أقابل مسئولى الوزارة عندما يصلون. (هاجريد)، أبلغ رؤساء الدار... (سلجهورن) يمكن أن يمثل (سليذرين)... وبأنى أريد أن ألتقيهم بمكتبى حالاً. وأريد منك أن تنضم إلينا أيضًا».

وبينما هز (هاجريد) رأسه واستدار وخرج من الغرفة يجر قدميه نظرت هى إلى (هارى) وقالت: «لى كلمة معك قبل أن ألقاهم يا (هارى). فهلا أتيتَ معى...».

نهض (هارى) وغمغم قائلاً: «سأراكم بعد قليل» لكل من (رون) و(هرميون) و(جينى)، وتبع الأستاذة (ماكجونجال) إلى خارج العنبر. كانت الدهاليز خارجه مهجورة، وكان الصوت الوحيد فيها هو شدو العنقاء. ولم يعِ (هارى) إلا بعد بضع دقائق أنهما متوجهين لا إلى مكتب الأستاذة (ماكجونجال)، بل إلى مكتب (دمبلدور)، واستغرق الأمر بضع لحظات أخر حتى أدرك أنها وكيل المدرسة... وكان من الواضح أنها الناظرة الآن... وبالتالى فالغرفة وراء التمثال البشع أصبحت غرفتها الآن...

صعدا الدرج الحلزونى المتنقل فى صمت ودخلا المكتب المستدير. لم يكن يعلم ماذا يتوقع: الغرفة تكسوها ستائر سوداء مسدلة ربما، أو جثة (دمبلدور) ممددة بها. كانت فى الحقيقة كما تركها هو و(دمبلدور) منذ بضع ساعات: الأدوات الفضية تطن وتنبض على موائدها ذات القوائم الطويلة الرفيعة، وسيف (جريفندور) فى علبته الزجاجية يتلألأ فى ضوء القمر، والقبعة على رف وراء المكتب. لكن مقعد (فاوكس) كان خاليًا؛ كان لايزال يبكى بالملاعب. وصورة جديدة انضمت إلى صف صور نظار (هوجوورتس) الراحلين... كان (دمبلدور) يبدو ناعسًا فى إطار ذهبى فوق المكتب بنظارته هلالية الشكل على أنفه المعقوف، وفى عينيه نظرة مسالمة وادعة.

بعد أن ألقت نظرة خاطفة على تلك الصورة أتت الأستاذة (ماكجونجال) بحركة غريبة كأنها تشحذ نفسها ثم استدارت حول المكتب لتنظر إلى (هارى) بوجه مشدود متوتر.

قالت: «(هارى)، أود أن أعرف ما كنتَ تعمل أنت والأستاذ (دمبلدور) هذا المساء حين خرجتما من المدرسة؟».

قال (هارى): «لا يمكننى أن أقول لك يا أستاذة». كان قد توقع السؤال وكانت إجابته حاضرة. فهنا فى هذه الغرفة نفسها قال له (دمبلدور) إن عليه ألا يبوح بفحوى دروسهما لأحد غير (رون) و(هرميون).

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «(هارى)، قد يكون الأمر مهمًا».

قال (هارى): «هو كذلك، جدًا، ولكنه لم يشأ لى أن أبوح به لأحد».

حدقت الأستاذة (ماكجونجال) فيه.

«(بوتر)» (لاحظ (هارى) تحولها إلى مناداته بلقبه) «نظرًا لوفاة الأستاذ (دمبلدور) أعتقد أن عليك أن تدرك أن الوضع تغير إلى حد ما...».

قال (هارى) وهو يهز كتفيه استخفافًا: «لا أظن. لم يبلغنى الأستاذ (دمبلدور) بأن أتوقف عن طاعة أوامره لو مات».

«ولكن...».

«لكن هناك شيئًا واحدًا ينبغى أن تعرفيه قبل وصول مسئولى الوزارة. وهو أن مدام (روزمرتا) تحت لعنة الإمبراطور، كانت تساعد (مالفوى) و"آكلى الموت"، ولهذا فإن العُقد والشراب المسموم...».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) فى شك: «(روزمرتا)؟» ولكن قبل أن تواصل كلامها كان هناك طرق على الباب من ورائهما وكانت الأساتذة (سبراوت) و(فليتويك) و(سلجهورن) يسيرون على مهل إلى داخل الغرفة ومن خلفهم (هاجريد) الذى كان لايزال ينوح بغزارة ويهتز قوامه الضخم حزنًا.

قال (سلجهورن) الذى كان أكثرهم شحوبًا وعرقًا وارتعاشًا: «(سناب)! (سناب)! أنا علمته! كنت أحسب أنى أعرفه!».

ولكن قبل ان يتمكن اى منهم من الرد نطق صوت حاد من اعلى الحائط: ساحر شاحب الوجه بهداب أسود قصير دخل لتوه عائدًا إلى صورته الخاوية وقال:

«(منيرفا)، الوزير سيصل إلى هنا فى غضون ثوان، "اختفى" لتوه من الوزارة».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «شكرًا يا (إفيرارد)» ثم التفتت بسرعة لمعلميها وقالت: «أود أن أتحدث عما جرى فى (هوجوورتس) قبل أن يصل». ثم قالت بسرعة: «أنا شخصيًا غير مقتنعة بإعادة فتح المدرسة فى السنة القادمة. فموت الناظر على يد أحد زملائنا يعتبر وصمة رهيبة فى تاريخ (هوجوورتس). هذا شىء مريع».

قالت الأستاذة (سبراوت): «أنا على يقين من أن الأستاذ (دمبلدور) كان سيريد للمدرسة أن تظل مفتوحة. أرى أنه لو كان هناك تلميذ واحد يريد أن يأتى فعلى المدرسة أن تظل مفتوحة لهذا التلميذ».

قال (سلجهورن) وهو يمسح العرق عن حاجبه بمنديل حريرى: «ولكن هل سيأتينا تلميذ واحد بعد ذلك؟ سيريد الآباء أن يبقوا أولادهم فى البيوت ولا لوم عليهم فى ذلك. أنا شخصيًا لا أعتقد أننا معرضون للخطر فى (هوجوورتس) أكثر من الخطر فى غيرها، ولكن لا تتوقع أن تفكر الأمهات على هذا النحو. بل سيردن أن يحفظن أسرهن معًا، وهذا أمر طبيعى».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «أوافقك الرأى، وعلى أى الأحوال فغير صحيح أن (دمبلدور) لم يتصور موقفًا يُحتمل فيه إغلاق (هوجوورتس). فعندما فُتحت غرفة الأسرار مرة أخرى فكر فى إغلاق المدرسة... ولابد أن أقول: إن مقتل الأستاذ (دمبلدور) أبشع فى رأيى من فكرة وجود وحش (سيلذرين) فى قلب القلعة دون أن يكتشف مكانه...».

قال الأستاذ (فليتويك) بصوته الذى يشبه صرير الباب: «علينا أن نستشير المديرين»؛ وكانت هناك كدمة كبيرة على جبهته ولكنه بدا أنه

لم يصب نتيجة لانهياره فى مكتب (سناب). «علينا أن نتبع الإجراءات المتعارف عليها. لا ينبغى التسرع باتخاذ قرار».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «(هاجريد)، أنت لم تقل شيئًا. ما رأيك. هل تظل (هوجوورتس) مفتوحة؟».

رفع (هاجريد) الذى ظل يبكى فى صمت فى منديله المبقع الكبير طوال هذا الحوار عينيه المنتفختين الحمراوين وقال بصوت أجش: «لا أعلم يا أستاذة... هذا أمر يقرره رؤساء الدار والناظرة...».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) فى ود: «كان الأستاذ (دمبلدور) يقدر رأيك؛ وكذلك أنا».

قال (هاجريد) ولاتزال الدموع الثخينة تقطر من ركنى عينيه وتنساب على لحيته الكثة: «أنا باقٍ هنا. فهنا بيتى. هو بيتى منذ أن كنت فى الثالثة عشرة. وإذا كان هناك أولاد يريدوننى أن أعلمهم سأفعل، ولكن... لا أدرى... (هوجوورتس) بدون (دمبلدور)...».

ثم غص واختفى وراء منديله مرة أخرى، وساد الصمت.

قالت الأستاذة (ماكجونجال) وهى تنظر إلى الملاعب من النافذة لترى ما إذا كان الوزير قد اقترب: «حسن جدًا، إذن فلابد أن أتفق مع (فيليوس) على أن الصواب هو أن نتشاور مع المديرين ليتخذوا القرار النهائى. أما بالنسبة لإعادة الطلاب إلى بيوتهم... فهناك رأى بذلك بأسرع ما يمكن. يمكننا أن نرتب لأن يأتى قطار (هوجوورتس) غدًا لو لزم الأمر...».

وأخيرًا تكلم (هارى) وقال: «ماذا عن جنازة (دمبلدور)؟».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) وقد فقدت قدرًا من حيويتها باهتزاز صوتها: «حسنًا... أن.. أنا أعلم أن (دمبلدور) كانت له رغبة فى أن يدفن هنا، فى (هوجوورتس)...».

قال (هارى) فى غضب: إذن هذا ما سيتم، أليس كذلك؟».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «لو اعتبرت الوزارة هذا أمرًا لائقًا، فلم يسبق لأى ناظر أو ناظرة أن...».

قال (هارى) متذمرًا: لم يسبق أن أعطى أى ناظر أو ناظرة ما أعطى للمدرسة».

قالت الأستاذة (فليتويك): «ينبغى أن تكون (هوجوورتس) مثوى (دمبلدور) الأخير».

وقالت الأستاذة (سبراوت): «طبعًا».

قال (هارى): «فى هذه الحالة لا ينبغى لكم أن تعيدوا الطلاب لبيوتهم إلا بعد انتهاء الجنازة. فهم سيريدون أن...»».

وانحشرت الكلمة الأخيرة فى حلقه، إلا أن الأستاذة (سبراوت) أكملت الجملة نيابة عنه وقالت: «يودعوه».

فقالت الأستاذة (فليتويك): «أحسنتما، أحسنتما فعلاً! فطلابنا يجب أن يقدموا احتراماتهم، هذا أمر مناسب. ويمكننا أن نرتب انتقالهم لبيوتهم بعدها».

وقالت الأستاذة (سبراوت): «موافقون».

وقال (سلجهورن) بصوت يشوبه قدر من القلق: «أعتقد... نعم...» بينما أطلق (هاجريد) نشيجًا ينم عن الموافقة.

قالت الأستاذة (ماكجونجال) فجأة وهى تحدق فى الأرض: «الوزير... ويبدو أنه جاء بوفد...».

فقال (هارى) على الفور: «أتأذنين لى يا أستاذة؟».

لم يشعر بأية رغبة فى أن يرى (روفوس سكريمجور) أو يخضع لاستجوابه الليلة.

قالت الأستاذة (مجوناجال): «تفضل وبسرعة».

وخطت نحو الباب وفتحته له. فأسرع يهبط الدرج الحلزونى ومنه إلى الدهليز المهجور؛ كان قد ترك عباءة الإخفاء فوق برج الفلك، ولكن هذا

لم يهمه، فلم يكن بالدهليز أحد يراه وهو يجتازه، لا (فيلتش) ولا (نوريس) ولا (بيفز). ولم يقابل أحدًا غيرهم إلى أن انعطف فى الممر المفضى إلى غرفة عموم (جريفندور).

همست السيدة البدينة وهو يدنو منها قائلة: «أصحيح؟ هل صحيح أن (دمبلدور)... مات؟».

قال (هارى): «نعم».

فتأوهت وبدون أن تنتظر كلمة السر سارت تتمايل قدمًا لتدخله.

وكما ارتاب (هارى) كانت غرفة العموم مكتظة. وسادها الصمت حين تسلق ثقب اللوحة. فرأى (دين) و(سيموس) جالسين فى جماعة بالقرب منه؛ كان معنى هذا أن المهجع خالٍ أو يكاد. وبدون أن يكلم أحدًا وبدون أن تلتقى عيناه بعينى أحد مشى (هارى) عبر الغرفة ومنها إلى الباب المؤدى إلى مهاجع البنين.

كان (رون) فى انتظاره كما تمنى؛ كان لايزال بكامل ملابسه جالسًا على سريره. فجلس (هارى) على سريره ذى القوائم العالية وظلا للحظة يحدق كل منهما فى الآخر.

قال (هارى): «يتحدثون عن إغلاق المدرسة».

فقال (رون): «(لوبين) قال: إنهم سيغلقونها».

وتوقفا عن الكلام، ثم قال (رون) بصوت خفيض جدًا كأن الأثاث قد ينصت: «وبعد؟ هل وجدتَ واحدة؟ هل أتيتَ بها؟ قطعة (هوركروكس)؟».

فهز (هارى) رأسه. كل ما جرى حول تلك البحيرة السوداء بدا ككابوس قديم؛ هل كان هذا حقيقة، ومنذ ساعات فقط؟

قال (رون) وقد بدت عليه خيبة الأمل: «لم تأتِ بها؟ لم تكن موجودة؟».

قال (هارى): «لا، أخذها أحد وترك مكانها شيئًا زائفًا».

«أُخذت فعلاً...؟».

اخرج (هـارى) العلبة الزائفة من جيبه وفتحها ثم ناوله إياها. القصة الكاملة يمكن أن تنتظر... لا يهم الليلة... لا شيء كان يهم سوى النهاية، نهاية مغامرتهم العقيمة، نهاية حياة (دمبلدور)... همس (رون) قائلاً: «آر. أيه. بى. ولكن من هو؟».

قال (هـارى) وقد مال إلى الخلف على سريره بكامل ملابسه وحدق إلى الأمام فى الفراغ: «لا أدرى». لم يشعر بأى فضول تجاه (آر. أيه. بى). بل إنه تشكك فى أن يشعر بأى فضول بعد الآن. أدرك فجأة وهو مستلق أن الملاعب خلت. توقف (فاوكس) عن الشدو.

أدرك دون أن يعرف كيف أدرك، أن العنقاء رحلت، رحلت عن (هوجوورتس) للأبد، تمامًا كما رحل (دمبلدور) عن المدرسة، كما رحل عن الدنيا... كما رحل عن (هارى).

■ ■ ■



٣٠ القبر الأبيض

جميع الحصص توقفت، جميع الامتحانات تأجلت. بعض الطلاب أسرع آباؤهم بأخذهم من (هوجوورتس) خلال اليومين التاليين - التوءم (باتيل) رحلا قبل الإفطار فى صباح اليوم الذى تلا وفاة (دمبلدور)، و(زاكرياس سميث) اصطحبه أبوه ذو المظهر المتغطرس من القلعة. ومن ناحية أخرى رفض (سيموس فينيجان) صراحةً أن ترافقه أمه فى عودته؛ ونشبت بينهما مباراة صراخ بقاعة المدخل لم تتم تسويتها إلا حين وافقت على بقائه لحين حضور الجنازة. وجدت صعوبة فى العثور على سرير فى (هوجسميد) كما قال (سيموس) لكل من (هارى) و(رون) لأن السحرة والساحرات كانوا يتوافدون على القرية استعدادًا لحضور جنازة (دمبلدور).

وكان هناك قدر من الإثارة بين الطلاب الأصغر سنًا ممن لم يشهدوا شيئًا كهذا من قبل حين جاءت عربة زرقاء فى حجم بيت يجرها اثنا عشر فرسًا مجنحة عملاقة تحلق فى السماء بعد ظهر اليوم السابق للجنازة وهبطت على حافة الغابة. وكان (هارى) يشاهد من إحدى النوافذ حين هبطت على سلم العربة امرأة عملاقة جميلة زيتونية البشرة ذات شعر فاحم وألقت بنفسها بين ذراعى (هاجريد) الذى كان فى انتظارها. وفى الوقت نفسه كان هناك وفد من مسئولى الوزارة منهم وزير السحر نفسه نزلوا بالقلعة. وكان (هارى) يتجنب قدر جهده الاتصال بأى منهم؛ كان موقنًا أنه سيُطلب منه مرة أخرى إن عاجلاً أو آجلاً أن يعلل رحلة (دمبلدور) الأخيرة من (هوجوورتس).

وكان (هارى) و(رون) و(هرميون) و(جينى) يقضون وقتهم كله معا. كان يبدو أن الجو الجميل يهزأ بهم؛ تصور (هارى) الحال لو لم يلق (دمبلدور) حتفه، كانا سيقضيان هذا الوقت معًا فى نهاية السنة، حيث انتهت امتحانات (جينى) وزالت ضغوط الواجب المنزلى... وساعة بساعة كان يتجنب قول ما كان يعرف أنه يجب أن يقوله، وعمل ما كان يعلم أن الصواب أن يعمله، فمن الصعب عليه أن يمتنع عن أفضل مصدر لراحته.

زاروا جناح المستشفى مرتين فى اليوم؛ (نيفيل) خرج من المستشفى، أما (بيل) فبقى بها فى رعاية مدام (بومفرى). كانت ندوبه لاتزال على سوئها؛ والحقيقة أنه أصبح الآن يشبه (مودى) ذا العين الواحدة ولو أنه كان بعينين وساقين، أما فى شخصيته فكما كان دائمًا. كل ما تغير هو أنه أصبح يهوى شرائح اللحم النادرة.

قالت (فلور) بسعادة وهى ترتب وسائد (بيل) «... لذلك فمن حسن حظه أنه سيتزوجنى لأن الإنجليز يغالون فى طهى اللحم، ولطالما قلت ذلك».

تنهدت (جينى) فيما بعد فى ذلك المساء وهى جالسة هى و(هارى) و(رون) و(هرميون) بجانب نافذة غرفة عموم (جريفندور) المفتوحة يشاهدون الملاعب وقت الشفق: «أظن أنى مضطرة لتقبل فكرة أنه حقًا سيتزوجها».

قال (هارى): «ليست بهذا السوء» وعندما رفعت (جينى) حاجبيها وأطلقت ضحكة مترددة أردف بسرعة قائلاً: «ولكنها دميمة».

«لو تحملتها أمى فسأتحملها أنا على ما أظن».

سأل (رون) (هرميون) وهى تطالع صحيفة *«المتنبئ»* المسائية وقال «هل مات أحد آخر نعرفه؟».

فجفلت (هرميون) من القسوة التى شابت صوته.

أجابت بصوت يشوبه التوبيخ وهى تطوى الصحيفة: «لا... لايزال البحث جاريًا عن (سناب)، ولكن لا أثر له...».

قال (هاري) الذي كان يغضب كلما فتح هذا الموضوع: «طبعًا لا أثر له. لن يعثروا على (سناب) إلا إذا عثروا على (فولدمورت)، ومن الواضح أنهم لم يفلحوا في ذلك طول هذا الوقت...».

قالت (جيني) وهي تتثاءب: «سأذهب لأنام، لم أنم جيدًا منذ... حسن... أنا بحاجة لقدر من النوم».

وقبلت (هاري)، وأدار (رون) وجهه بحدة ولوحت للآخرَين ومضت إلى مهاجع البنات. وفي اللحظة التي انغلق فيها الباب وراءها مالت (هرميون) نحو (هاري) وعلى وجهها نظرة «هرمايونية» خالصة:

«(هاري)، اكتشفت شيئًا هذا الصباح، في المكتبة...».

قال (هاري) وهو يعتدل في جلسته «آر. إيه. بي.؟».

لم يساوره الشعور الذي كان غالبًا ما يساوره من قبل، بالإثارة والفضول والتحرق شوقًا للتوصل لحل لغز؛ كان يعرف ببساطة أن مهمة اكتشاف حقيقة قطعة الـ(هوركروكس) الحقيقية، كان لابد أن تتم قبل أن يتحرك قليلاً على الطريق المظلم الملتوي الممتد أمامه، الطريق الذي بدأه هو و(دمبلدور) معًا والذي كان يعرف الآن أن عليه أن يمشيه وحده. قد يكون هناك أكثر من أربع قطع (هوركروكس) في مكان ما ولابد من العثور على كل منها وتدميرها قبل أن يكون هناك مجرد احتمال أن يتعرض (فولدمورت) للقتل. فظل يردد أسماءها بينه وبين نفسه كأنه سيتمكن من تجميعها معًا بمجرد ترديد أسمائها: «العلبة... الكأس... الأفعى... أحد متعلقات (جريفندور) أو(رافينكلو)... العلبة... الكأس... الأفعى... أحد متعلقات (جريفندور) أو(رافينكلو)...».

ظلت هذه الفكرة تنبض في ذهن (هاري) إلى أن غلبه النوم ليلاً. وكانت أحلامه متخمة بالكئوس والعلب والأشياء الغامضة التي لم يتمكن من التوصل إليها مع أن (دمبلدور) أعطاه سلمًا من الحبال يتحول إلى أفاعٍ لحظة أن يشرع في تسلقه.

وكان قد أرى (هرميون) الرسالة التى وجدها بداخل العلبة صباح اليوم التالى من وفاة (دمبلدور)، ومع أنها لم تتعرف على الفور على الحروف الأولى باعتبارها اسم أحد السحرة الذين كانت تقرأ عنهم فإنها ظلت منذ ذلك الوقت تتردد على المكتبة أكثر مما يتطلبه الأمر من طالب ليس لديه واجب منزلى ينهيه.

قالت فى حزن: «لا، حاولت كثيرًا ولكنى لم أتوصل لشىء يا (هارى)... هناك اثنان من مشاهير السحرة تبدأ أسماؤهم بهذه الأحرف... (روزالين أنتيجون بَنجز) و(روبرت «إكسبانجر» بروكستانتون)... ولكن لا يبدو أنهما يصلحان على الإطلاق. ويبدو من الرسالة أن من سرق الـ(هوركروكس) كان يعرف (فولدمورت)، ولا أستطيع أن أعثر على أى دليل على أن (بنجز) أو(إكسبانجر) كان له أية صلة به... لا، فى الحقيقة، المسألة تتعلق بـ... (سناب)».

وبدا عليها التوتر وهى تنطق الاسم مرة أخرى.

فسألها (هارى) فى تثاقل وهو يسترخى فى مقعده: «ما شأنه؟».

قالت فى تردد: «مجرد أنى كنت على حق فيما يتعلق بمسألة الأمير الهجين».

«هل لابد أن تثيرى أعصابى يا (هرميون)؟ ما شعورى إزاء ذلك الآن فى رأيك؟».

فقالت بسرعة وهى تتلفت لتتأكد أن لا أحد يتنصت عليهما «لا... لا... يا (هارى)، لم أقصد ذلك! مجرد أنى كنت على حق فيما يتعلق بـ(أيلين برينس) التى كان بحوزتها من قبل. أتعرف... كانت أم (سناب)!».

قال (رون): «كنت أحسبها دميمة» وتجاهلته (هرميون).

«تصفحت بقية الأعداد القديمة من جريدة *«المتنبئ»* ووجدت إعلانًا صغيرًا عن زواج (أيلين برينس) من رجل يدعى (توبياس سناب)، ثم بعد ذلك إعلانًا يقول إنها ولدت...».

قال (هارى): «...قاتلاً».

قالت (هرميون): «حسنٌ، نعم. وهكذا... كنتُ على حق. فلابد أن (سناب) كان فخورًا بكونه «»نصف أمير»»، أترى؟ (توبياس سناب) كان من العامة حسب ما ورد بالجريدة».

قال (هارى): «نعم، هذا معقول. يركز على نصفه نقى الدم حتى يدخل فى زمرة (مالفوى) والباقين... هو مثل (فولدمورت) تمامًا. أم نقية الدم وأب من العوام... يحس بالخزى من أصله فيحاول أن يضفى على نفسه الرهبة مستعينًا بالسحر الأسود ويتخذ اسمًا جديدًا مبهرًا؛ اللورد (فولدمورت)... الأمير الهجين... كيف فات الأمر على (دمبلدور)...؟».

توقف فجأة وهو ينظر إلى خارج النافذة. لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير فى ثقة (دمبلدور) غير المبررة فى (سناب)... ولكنه أى (هارى) نفسه انخدع بالصورة نفسها كما ذكرته (هرميون)... فعلى الرغم من بشاعة تلك التعاويذ المدونة بالحواشى كان يرفض أن يسىء الظن بالصبى الذى كان بهذا القدر من البراعة، والذى ساعده كثيرًا...

ساعده... كانت فكرة لا تحتمل، والآن...

قال (رون): «مازلت لا أفهم لم تركك تستعمل هذا الكتاب. لابد أنه كان يعرف من أين تأتى بكل هذا».

قال (هارى) فى مرارة: «كان يعرف، كان يعرف عندما استعملت (*سكتومسمبرا*). لم يكن بحاجة للتكهن... بل لعله كان يعرف قبل ذلك، من كلام (سلجهورن) عن براعتى فى الوصفات السحرية... ما كان له أن يترك هذا الكتاب القديم فى قاع تلك الخزانة، أليس كذلك؟»

«ولكن لم تركك؟».

قالت (هرميون): «لا أظنه كان يريد أن يربط نفسه بذلك الكتاب. لا أظن (دمبلدور) كان سيعجبه ذلك لو عرف. وحتى لو ادعى (سناب) أنه لا يخصه فإن (سلجهورن) كان سيتعرف على خطه على الفور. على أية حال فالكتاب تُرك فى فصل (سناب) القديم، وأنا متأكد من أن (دمبلدور) كان يعرف أن أمه كان لقبها «أمير».

قال (هارى): «كان ينبغى علىّ أن أرى الكتاب لـ(دمبلدور). ظل طول هذا الوقت يثبت لى كيف كان (سناب) شريرًا حتى حين كان بالمدرسة، وكان لدىّ ما يدل على شر (سناب) أيضًا...».

فقالت (هرميون) فى هدوء: «شر، كلمة كبيرة».

«أنتِ التى ظلت تقول لى إن الكتاب خطير!».

«ما أريد قوله يا (هارى) هو أنك تحمل نفسك ما لا تطيق. كنت أعتقد أن الأمير يتسم بنوع مقزز من المرح، ولكن ما كنت أظنه قاتلاً كامنًا...»

قال (رون): «لا أحد منا كان يمكن أن يجول بخاطره أن (سناب) يمكن أن... أتعرف؟».

وساد الصمت بينهم، وغاص كل منهم فى أفكاره، لكن (هارى) كان موقنًا من أنهما كانا يفكران مثله فى صباح اليوم التالى عندما يتم دفن جثمان (دمبلدور). لم يسبق أن حضر (هارى) جنازة من قبل؛ فلم تكن ثمة جثة تُدفن حين مات (سيريوس). لم يكن يعرف ما ينتظره وساوره قدر من القلق عما قد يرى، وكيف سيكون شعوره. وتساءل عما إذا كانت وفاة (دمبلدور) ستصبح حقيقة بالنسبة له بمجرد انتهاء الجنازة. مرت عليه لحظات كادت حقيقة وفاته المفزعة تسيطر عليه، ولكن مع أن كل من فى القلعة لم يكن لهم حديث إلا عن ذلك فإنه كان لايزال غير مصدق أن (دمبلدور) رحل فعلاً. لم يبحث يائسًا عن ثغرة، عن طريقة ما تدل على أن (دمبلدور) سيعود كما فعل حين توفى (سيريوس)... فتحسس جيبه بحثًا عن السلسلة الباردة الخاصة بقطعة الـ(هوركروكس) الزائفة التى كان يحملها معه أينما ذهب لا كطلسم لدفع الشر، بل كتذكار على ما كلفته وعلى ما بقى عليه أن يعمله.

استيقظ (هارى) مبكرًا فى اليوم التالى؛ قطار (هوجوورتس) سيغادر بعد الجنازة بساعة واحدة. فى الطابق السفلى وجد المزاج مكتئبًا فى البهو العظيم. كان الكل بكامل ملابسهم ولم يكن أى منهم جائعًا. كانت

الأستاذة (ماكجونجال) قد تركت المقعد الذى يشبه العرش بوسط مائدة الأساتذة خاليًا. وكان مقعد (هاجريد) مهجورًا أيضًا؛ ظن (هارى) أنه ربما لم يتمكن من مواجهة الإفطار؛ أما مكان (سناب) فكان يشغله (روفوس سكريمجور) بشكل غير رسمى. تجنب (هارى) عينيه الصفراوين وهما تتفقدان القاعة؛ كان (هارى) يساوره شعور مزعج بأن (سكريمجور) كان يبحث عنه. ومن بين حاشية (سكريمجور) ميز (هارى) شعر (بيرسى ويسلى) الأحمر ونظارته مدببة الحواف. ولم يبدُ على (رون) ما ينم عن أنه مدرك لوجود (بيرسى) بصرف النظر عن طعنه قطع السالمون بغيظ غير معهود.

وعلى مائدة (سليذرين) كان (كراب) و(جويل) يهمهمان معًا. ومع أنهما صبيان بدينان فقد بدا أنهما وحيدان فى غياب (مالفوى) بطوله الفارع وشحوبه بينهما وهو يتحكم فيهما. لم يكن (هارى) يولى (مالفوى) كثيرًا من فكره. كان عداؤه كله موجهًا إلى (سناب)، ولكنه لم ينس الخوف الذى شاب صوت (مالفوى) بأعلى البرج ولا أنه أنزل عصاه السحرية قبل وصولِ (آكلى الموت). لم يكن (هارى) يصدق أن (مالفوى) كان يمكن أن يقتل (دمبلدور). ولكنه كان لايزال يبغض (مالفوى) لافتتانه بالسحر الأسود، لكنه الآن كان يكنّ له قدرًا ضئيلاً من الشفقة ممتزجًا بالكره. تساءل (هارى)، أين (مالفوى) الآن، وماذا كان (فولدمورت) يدفعه لفعله تحت التهديد بقتله وأبويه؟

قطعت أفكار (هارى) لكزة فى الضلوع من (جينى). كانت الأستاذة (ماكجونجال) قد قامت فخفتت الهمهمة الحزينة فى القاعة على الفور.

قالت: «حان الوقت. من فضلكم اتبعوا رؤساء الدار إلى الملاعب. طلاب (جريفندور)، ورائى».

تقاطروا من وراء مقاعدهم فى صمت. ولمح (هارى) (سلجهورن) على رأس طابور (سليذرين)، كان يرتدى ثوبًا أخضر زمرديًا طويلاً مهيبًا

مطرزا بالفضه. لم يسبق له أن رأى الأستاذة (سبراوت) رئيس (هافلباف) بهذه النظافة؛ لم تكن هناك أية بقعة على قبعتها، وعندما وصلوا إلى قاعة المدخل وجدوا مدام (برينس) تقف بجانب (فيلتش) وتضع وشاحًا أسود سميكًا تدلى حتى ركبتيها، وهو ببزة سوداء عتيقة ورباط عنق تفوح منه رائحة النفتالين.

كانوا متوجهين، كما رأى (هارى) عندما خرج إلى السلم الحجرى، من الأبواب الأمامية نحو البحيرة. عانق دفء الشمس وجهه وهم يتبعون الأستاذة (ماكجونجال) فى صمت نحو مكان صفت فيه مئات المقاعد، وكان فى وسطها ممشى؛ وكانت هناك مائدة رخامية فى المقدمة وكل المقاعد تواجهها. وكان أجمل أيام الصيف.

كانت مجموعة غير عادية من الناس قد اتخذوا أماكنهم فى نصف المقاعد: منهم رث الهيئة ومنهم الأنيق، منهم الشاب ومنهم العجوز. معظمهم لم يكن (هارى) يعرفهم، ولكن كانت هناك قلة منهم يعرفهم، منهم أعضاء مدرسة (فينكس): (كينجزلى شاكلبولت)، (مودى) ذو العين الواحدة، (تونكس) وقد عاد شعرها بمعجزة إلى اللون الوردى الزاهى، (ريموس لوبين) الذى كان يبدو أنها ممسكة بيده، السيد والسيدة (ويسلى)، (بيل) تسنده (فلور) ويتبعهما كل من (فريد) و(جورج) يرتديان سترتين من جلد التنين. وكانت هناك مدام (مكسيم) التى احتلت مقعدين ونصف مقعد وحدها، (توم) صاحب المرجل الراشح، (أرابلا فيج) جارة (هارى) الساخرة وعازفة الباص من فرقة «الأخوات غريبات الأطوار»، (إيرنى برانج) سائق حافلة الليل، مدام (مالكين) من حانوت الملابس بحارة (دياجون)، وبعض الناس ممن كان (هارى) لا يعرفهم إلا بوجوههم كساقى حان «رأس الخنزير» والساحرة التى كانت تدفع عربة الحقائب بقطار (هوجوورتس). وكان أشباح القلعة موجودين أيضًا وتصعب رؤيتهم فى ضوء الشمس الساطع ولا يمكن تمييزهم إلا حين يتحركون حيث يومضون كأطياف فى الهواء.

اصطف كل من (هـارى) و(هرميون) و(رون) و(جينى) فى مقاعدهم فى نهاية صف بجوار البحيرة. كان الناس يتهامسون؛ كان صوت همسهم كصوت النسيم على العشب، إلا أن شدو الطير كان أعلى بكثير. وظل الحشد يكبر؛ وبكثير من التعاطف معهما رأى (هـارى) (نيفيل) تعينه (لونا) على الجلوس فى مقعد. من بين الجميع، كانا الوحيدين اللذين استجابا لدعوة (هرميون) ليلة وفاة (دمبلدور)، وكان (هـارى) يعرف سبب ذلك: كانا هما أكثر من افتقد المدرسة... وربما هما اللذان كانا يدعوان دائمًا بأن يكون هناك التئام شمل آخر...

مر بهم (كورنيليوس فودج) متجهًا نحو الصفوف الأمامية، وكان البؤس باديًا عليه، كانت قبعته المستديرة الخضراء مقلوبة كالعادة؛ ثم رأى (هـارى) (ريتا سكيتر) التى كانت تمسك دائمًا بدفتر فى يدها المخضبة باللون الأحمر، وقد أثارت رؤيتها غيظه؛ ثم تلقى صدمة حنق أخرى لدى رؤية (دولوريس أمبريدج) وعلى وجهها الذى يشبه وجه الضفدع تعبير غير مقنع بالحزن وعلى شعرها المصبوغ باللون الرمادى قوس مخملى أسود. ولدى رؤيته جفلت القنطورة (فيرنز) التى كانت تقف كالخفير قرب حافة الماء وانطلقت مسرعة واتخذت مقعدًا على مسافة بعيدة.

وجلس الأساتذة أخيرًا. رأى (هـارى) (سكريمجور) وقد بدا عليه الوقار والهيبة فى الصف الأمامى مع الأستاذة (ماكجونجال). وتساءل عما إذا كان (سكريمجور) أو أى من هذه الشخصيات المهمة حزينًا فعلاً لوفاة (دمبلدور). ثم سمع الموسيقى، موسيقى غريبة تنتمى إلى العالم الآخر، فنسى بغضه الوزارة وهو يتلفت بحثًا عن مصدرها. ولم يكن الوحيد فى ذلك؛ فقد تلفتت رءوس عديدة تبحث بقليل من الانزعاج.

همست (جينى) فى أذن (هـارى) قائلة: «ها هى».

ورآهم فى الماء الأخضر الصافى تحت ضوء الشمس، على بعد بوصات تحت سطح الماء، فذكروه بالعفاريت؛ جوقة من أناس البحر يغنون بلغة

عريبه لم يفهمها، كانت وجوههم الشاحبة تتماوج وشعرهم الأرجوانى ينساب حولهم فى كل اتجاه. جعلت الموسيقى شعر رقبة (هارى) يقف، ومع ذلك فإنها لم تخلُ من مرح. كانت تعبر بوضوح عن الخسارة واليأس. وحين نظر لأسفل إلى وجوه المغنين الضارية داخله إحساس بأنهم على الأقل يشعرون بالحزن على رحيل (دمبلدور). ثم لكزته (جينى) مرة أخرى فالتفت.

كان (هاجريد) يمشى متثاقلاً فى الممشى بين المقاعد. كان يبكى فى صمت تام ووجهه يتلألأ بالدموع وعلى ذراعيه جثة (دمبلدور) ملفوفة فى مخمل أرجوانى مرصع بنجوم ذهبية. فأحس (هارى) بغصة فى حلقه لدى رؤية المشهد؛ للحظة بدا كأن الموسيقى الغريبة ومعرفة أن جثمان (دمبلدور) على هذه المسافة القريبة قد انتزعتا كل دفء من النهار. بدا الشحوب والصدمة على وجه (رون). وكانت الدموع تنساب ثخينة ومتلاحقة فى حجر كل من (جينى) و(هرميون).

لم يتمكنوا من رؤية ما يجرى فى المقدمة. كان يبدو أن (هاجريد) وضع الجثمان برفق على المنضدة. ثم تراجع عبر الممشى ينفض أنفه بضجيج عالٍ كصوت البوق اجتذب النظرات المشمئزة من البعض ومنهم (دولوريس أمبريدج)... لكن (هارى) كان يعلم أن (دمبلدور) ما كان ليهمه ذلك. حاول أن يبعث بإيماءة ود إلى (هاجريد) وهو مار، إلا أن عينى (هاجريد) كانتا منتفختين لدرجة تجعل من الصعب عليه أن يرى حتى طريقه. وألقى (هارى) نظرة خاطفة على الصف الخلفى الذى كان (هاجريد) متجهًا إليه فأدرك ما كان يرشده على الطريق، إذ كان هناك (جراوب) العملاق ذلك المسخ سهل القياد شبيه البشر برأسه الضخم القبيح الذى يشبه الصخرة مرتديًا سترة وسروالاً كل منهما فى حجم خيمة صغيرة. وجلس (هاجريد) بجانب أخيه غير الشقيق، وكان (جراوب) يربت على رأس (هاجريد) بقوة حتى غاصت قوائم مقعده فى الأرض. فألحت على (هارى) رغبة لحظية فى الضحك، لكن الموسيقى توقفت، والتفت ليواجه المقدمة من جديد.

رجل ضئيل الحجم ذو شعر مجدول يرتدى ثيابًا سوداء خالصة نهض ووقف الآن أمام جثمان (دمبلدور). لم يتمكن (هارى) من سماع ما يقول. كلمات غريبة بلغت مسامعهم من فوق مئات الرءوس: «نبل الروح»... «إسهام فكرى»... «عظمة القلب»... ولم تكن تعنى الكثير. لم يكن لها صلة كبيرة بـ(دمبلدور) كما عرفه (هارى). وفجأة تذكر فكرة (دمبلدور) عن بعض الألفاظ: «المغفل»، «بقية»، «انتحاب»، «مرز»، ومرة أخرى كبت ابتسامة راودته... ماذا دهاه؟

كان هناك صوت نثرات قطرات ماءٍ رقيقة إلى يساره ورأى أناس البحر يخرجون إلى السطح ليسمعوا أيضًا. فتذكر (دمبلدور) وهو ينحنى على حافة الماء قبل سنتين بالقرب من المكان الذى كان (هارى) يجلس فيه الآن ويتحاور بلغة أهل البحر مع رئيسة أناس البحر. وتساءل (هارى) أين تعلم (دمبلدور) لغتهم. هناك الكثير مما لم يسأله عنه، الكثير مما كان ينبغى أن يقول...

ثم، ويدون سابق إنذار، جرفته، الحقيقة المروعة، ويشكل أكمل وأوضح مما تبدت له من قبل. (دمبلدور) مات، رحل... أمسك بالعلبة الباردة فى يده بإحكام حتى آلمته، ولكنه لم يستطع أن يمنع الدموع الحارة من أن تنساب من عينيه: أدار وجهه عن (جينى) والآخرين ونظر صوب البحيرة، نحو الغابة، بينما واصل الرجل الضئيل المتشح بالسواد رتابته... كانت هناك حركة بين الأشجار. جاءت القناطير للعزاء أيضًا. لم تخرج إلى العراء ولكن (هارى) رآها تقف فى سكون، نصف مختبئة فى الظل تشاهد السحرة وأقواسها معلقة على أجنابها. وتذكر (هارى) أولى رحلاته الكابوسية إلى الغابة، أول مرة واجه فيها الشىء الذى كان حينها يسمى (فولدمورت)، وكيف واجهه وكيف تناقش هو و(دمبلدور) حول خوض معركة خاسرة بعدها بمدة قصيرة. كان من المهم فى رأى (دمبلدور) أن تقاتل وتقاتل مرة أخرى وأن تظل تقاتل، وحينها فقط يمكن صد الشر وإن لم يُستأصل تمامًا...

وراى (هارى) وهو جالس فى مكانه تحت الشمس الحارة من رغوه وقد اصطفوا أمامه واحدًا تلو الآخر، أمه وأباه وأباه الروحى وأخيرًا (دمبلدور)، وكلهم عازمون على حمايته؛ لكن هذا انتهى الآن. لا يستطيع أن يدع أحدًا آخر يحول بينه وبين (فولدمورت)؛ عليه أن يتخلى عن الوهم الذى كان ينبغى عليه أن يفقده منذ أن كان عمره سنة واحدة وهو أن كنف الوالدين يعنى ألا شيء يمكن أن يؤذيه. فكابوسه لا استيقاظ منه، ولا همس يطمئنه فى الظلام بأن كل شيء أمان، وأن كل هذا فى خياله هو؛ فقد مات آخر حماته وأعظمهم وأصبح وحيدًا أكثر مما كان.

كان الرجل الضئيل المتشح بالسواد قد فرغ من كلمته أخيرًا وعاد إلى مقعده. وانتظر (هارى) أن ينهض غيره؛ توقع خطبًا، ربما من الوزير، ولكن لا أحد تحرك من مكانه.

ثم صرخ العديد من الناس. انطلقت شعلات بيضاء براقة حول جثمان (دمبلدور) والمنضدة التى وضع عليها، وارتفعت... وارتفعت وحجبت الجثمان. وارتفع الدخان الأبيض فى الجو ورسم أشكالاً غريبة؛ وتخيل (هارى) لبرهة تخلع القلب أنه رأى عنقاء تطير فى مرح فى زرقة السماء، لكن النار اختفت فى اللحظة التالية وحل محلها قبر رخامى أبيض يغلف جثمان (دمبلدور) والمنضدة التى وضع عليها.

علت بضع صرخات أخر مع تحليق وابل من السهام فى الجو، ولكنها سقطت بالقرب من الجموع. كانت تحية القناطير، إذ رآها تلف ذيولها وتختفى بين الأشجار الهادئة. كما غاص أهل البحر ببطء عائدين إلى أعماق المياه الخضراء واختفوا عن الأنظار.

نظر (هارى) إلى كل من (جينى) و(رون) و(هرميون)؛ كان وجه (رون) مغضنًا كأن نور الشمس أعماه. وكان وجه (هرميون) يتلألأ بالدموع، أما (جينى) فلم تعد تبكى. قابلت نظرة (هارى) بنظرة ملتهبة قاسية مماثلة كتلك التى رأى حين عانقته بعد الفوز بكأس الـ(كويدتش) فى

غيابه، وعرف أنه فى اللحظة التى يفهم فيها كلٌ منهما الآخر تمامًا وحين يبلغها بما هو مقدم عليه لن تقول له: «احذر» أو: «لا تقدم»، بل ستتقبل قراره لأنها لا تتوقع منه شيئًا أقل. فشحذ همته ليقول لها ما اعتبر أن عليه أن يقوله منذ وفاة (دمبلدور).

قال بهدوء شديد بينما علا طنين الحديث من حوله ومع بدء قيام الناس للانصراف: «اسمعى يا (جينى)... لا أستطيع أن أظل معك بعد الآن. علينا أن نتوقف عن الالتقاء. لا يمكننا أن نبقى معًا».

فقالت بابتسامة ملوية غريبة: «لسبب نبيل سخيف، أليس كذلك؟».

قال (هارى): «هذه الأسابيع القليلة الماضية معك كانت... كانت كشىء اقتُطع من حياة شخص آخر. ولكن لا أستطيع... لا يمكننا... لدىَّ أشياء علىَّ أن أقوم بها وحدى الآن».

لم تبك، بل اكتفت بأن رمقته.

«(فولدمورت) يستغل أناسًا أعداؤه مقربون إليهم. سبق أن استغلكِ كطعم، ولم يكن هذا إلا لأنكِ شقيقة أعز أصحابى. تصورى كم الخطر الذى ستتعرضين له إذا استمررنا. سيعرف، سيكتشف ما بيننا. وسيحاول أن يصل إلىَّ من خلالك».

قالت (جينى) فى حنق: «وماذا لو لم يهمنى؟».

قال (هارى): «يهمنى أنا. كيف سيكون شعورى فى رأيك لو كانت هذه جنازتك... ولو كنتُ أنا السبب...»

أشاحت بوجهها عنه ونظرت صوب البحيرة.

وقالت: «أنا لم أيأس منك من قبل. فعلاً. كنت دائمًا أمنى نفسى... (هرميون) نصحتنى أن أواصل حياتى، بل أن أخرج مع غيرك، وأن آخذ الأمور ببساطة فى وجودك، لأنى لم أكن أستطيع الكلام وأنت موجود، أتتذكر؟ وقالت إنك قد تولينى بعض الاهتمام لو كنت على طبيعتى قليلا».

قال (هارى) وهو يحاول ان يبتسم «فتاة ذكية؛ (هرميون) هذه. ليتنى عرفتك من قبل. كنا سنقضى معًا عمرًا... شهورًا... سنين ربما...».

قالت (جينى) وهى تكاد تضحك: «ولكنك كنتَ منشغلاً بإنقاذ عالم السحر، ولكن... لا أستطيع أن أقول أنى فوجئت، كنت أعلم أن هذا سيحدث فى نهاية الأمر. أعلم أنك لن ترضى إلا إذا طاردت (فولدمورت). وربما لهذا أحبك كل هذا الحب».

لم يحتمل (هارى) سماع كل هذا، بل خشى أن يلين عزمه لو ظل جالسًا بجانبها. ورأى (رون) وقد احتضن (هرميون) وأخذ يداعب شعرها بينما غاصت هى فى كتفه، والدموع تنساب من طرف أنفه الطويل. وبإيماءة حزينة نهض (هارى)، وأعطى ظهره لـ(جينى) ولقبر (دمبلدور) وابتعد حول البحيرة. المشى أرحم من السكون؛ كما أن الانطلاق بأسرع ما يمكن للعثور على قطع الـ(هوركروكس) وقتل (فولدمورت) أفضل من الانتظار...

«(هارى)!».

استدار. كان (روفوس سكريمجور) يهرول وهو يعرج ناحيته على الشاطئ متكئًا على عصاه.

«كنت أنتظر أن أتكلم معك... هل تمانع فى أن أمشى قليلاً معك؟».

قال (هارى) دون اكتراث: «لا»، ثم واصل السير.

قال (سكريمجور) فى هدوء «(هارى)، هذه مأساة مفجعة. لا أستطيع أن أقول لك كم روعنى أن أسمع بذلك. (دمبلدور) كان ساحرًا عظيمًا. كانت بيننا خلافات كما تعلم، ولكن لا أحد يعرف أفضل منى...»

سأله (هارى) بوضوح: «ماذا تريد؟».

بدا الضيق على (سكريمجور) ولكنه عدل تعبيرات وجهه بسرعة إلى التفهم الحزين.

وقال: «أنت فى حزن بالغ طبعًا. أعلم أنك كنتَ مقربًا جدًا لـ(دمبلدور). بل أظنك تلميذه الأثير. الرباط بينكما...».

توقف (هارى) وكرر قائلاً: «ماذا تريد؟».

فتوقف (سكريمجور) أيضًا ومال على عصاه وحدق فى (هارى) وقد قست ملامح وجهه.

«الرسالة أنك كنتَ معه عندما غادر المدرسة ليلة رحيله».

قال (هارى): «رسالة من؟».

«هناك من صعق أحد (آكلى الموت) فوق البرج بعد وفاة (دمبلدور). كما تم العثور على مكنستين فى المكان. والوزارة تستطيع أن تجمع اثنين واثنين يا (هارى)».

قال (هارى): «يسعدنى أن أسمع ذلك. أين ذهبتُ مع (دمبلدور) وماذا فعلنا هو شأنى أنا. لم يشأ للناس أن يعرفوا».

قال (سكريمجور) وقد بدا أنه يكبح غضبه بصعوبة: «هذا الوفاء محمود طبعًا، لكن (دمبلدور) رحل يا (هارى)، رحل».

قال (هارى) وهو يبتسم راغمًا: «لن يرحل عن المدرسة إلا إذا لم يعد أحد فيها وفيًا له».

«يا ولدى العزيز... حتى (دمبلدور) لا يمكنه أن يعود من...».

«لا أقول إنه يستطيع أن يعود. لن تفهم. ولكنى ليس لدىّ شىء أقوله لك».

تردد (سكريمجور) ثم قال فيما يفترض أن يكون نبرة مراعاة للأحاسيس: «يمكن للوزارة أن توفر لك كل أشكال التقدير كما تعلم يا (هارى)، ويسعدنى أن أضع اثنين من مساعدىّ فى خدمتك...»

فضحك (هارى).

«(فولدمورت) يريد أن يقتلنى بنفسه، والمدافعون ضد السحر الأسود لن يمنعوه. لذا فإنى أشكر لك عرضك ولكنه لا يلزمنى».

قال (سكريمجور) وقد أصبح صوته باردًا: «الطلب الذى طلبته منك فى عيد الميلاد...».

«أى طلب؟ آه، نعم... أن أقول للدنيا أى عمل فذ تقوم به فى مقابل...».

قال (سكريمجور) في حده «...في مقابل رفع معنويات الجميع!».
تأمله (هاري) للحظة.
«هل أطلقتَ سراح (ستان شانبايك) بعد؟».
اصطبغ وجه (سكريمجور) بلون أرجواني بغيض يذكِّر بالعم (فرنون).
«أرى أنك...».
قال (هاري) «رجل (دمبلدور) على طول الخط. هذا صحيح».
حدق فيه (سكريمجور) لبرهة أخرى ثم استدار وعاد أدراجه وهو يعرج دون كلمة أخرى. ووجد (هاري) (بيرسي) وبقية وفد الوزارة في انتظاره، وكانوا يرمون بنظرات متوترة إلى كل من (هاجريد) وهو ينشج بالبكاء و(جراوب) وكانا لايزالان في مقعديهما. كان (رون) و(هرميون) يهرعان نحو (هاري) ومرا بـ(سكريمجور) في الاتجاه المضاد؛ فانعطف (هاري) وواصل سيره على مهل منتظرًا أن يلحقا به، وقد فعلا عند ظل شجرة زان كانوا يجلسون تحتها في أوقات أسعد من تلك.
همست (هرميون) قائلة «ماذا كان (سكريمجور) يريد؟».
هز (هاري) كتفيه استخفافًا وقال «نفس ما كان يريده في عيد الميلاد، كان يريدني أن أعطيه معلومات خاصة عن (دمبلدور) وأن أُصبح صبي الوزارة الجديد».
بدا على (رون) أنه يجاهد مع نفسه للحظة، ثم قال بصوت مسموع لـ(هرميون) «اسمعي، دعيني أعود لأضرب (بيرسي)!».
قالت بإصرار وهي تشده من ذراعه «لا».
«سأرتاح إن فعلتُ!».
فضحك (هاري). حتى (هرميون) ابتسمت قليلاً، ولو أن ابتسامتها خفتت حين نظرت لأعلى القلعة.
وقالت برقة: «لا أتحمل فكرة أننا قد لا نعود. كيف يمكن أن تُغلق (هوجوورتس)؟».

قال (رون): «قد لا تُغلق. لسنا فى خطر كما فى بيوتنا، أليس كذلك؟ لم يعد ثم فرق بين مكان وآخر الآن. بل يمكن أن أقول إن (هوجوورتس) آمن، فبها سحرة يحمون المكان. ما رأيك يا (هارى)؟».

قال (هارى) «لن أعود حتى لو أعيد فتحها».

نظر إليه (رون) مندهشًا، أما (هرميون) فقالت فى حزن «كنت أعلم أنك ستقول ذلك. ولكن ماذا ستفعل؟»

قال (هارى): «سأعود إلى (دورسليز) مرة أخرى، لأن (دمبلدور) أرادنى أن أذهب. ولكنها ستكون زيارة قصيرة، وبعدها سأذهب بلا رجعة».

«ولكن أين ستذهب إن لم تعد للمدرسة؟».

غمغم (هارى) قائلاً: «فكرت فى العودة إلى غور (جودريك)». كانت الفكرة تعتمل فى رأسه منذ ليلة وفاة (دمبلدور). «بالنسبة لى بدأت هناك، كلها. ساورنى شعور بضرورة أن أذهب إلى هناك. ويمكننى أن أزور قبرى والدىّ، كم أود ذلك».

قال (رون) «وبعد؟».

قال (هارى) «وبعد علىّ أن أتعقب بقية قطع الـ(هوركروكس)، أليس كذلك؟» كانت عيناه على قبر (دمبلدور) الأبيض المنعكس فى الماء على الجانب الآخر من البحيرة. «هذا ما أرادنى أن أفعله، لذا فقد قال لى كل شىء عنها. لو صح (دمبلدور) ـ وهو ما أنا موقن منه ـ لايزال أربع قطع منها فى مكان ما. علىّ أن أعثر عليها وأدمرها وبعد ذلك سيتحتم علىّ أن أتعقب القطعة السابعة من روح (فولدمورت)، وهى القطعة التى لاتزال فى جسده، وسأكون أنا من يقتله». ثم أردف قائلاً: «وإن التقيت (سيفيروس سناب) فى طريقى فهذا أفضل بالنسبة لى والأسوأ بالنسبة له».

وساد صمت طويل. كان الحشد قد اختفى أو كاد، وكانت المجموعة المتفرقة الباقية تحاول أن تبتعد عن هيكل (جراوب) الضخم وهو يعانق (هاجريد) الذى كانت ولولته لايزال يتردد صداها فوق الماء.

قال (رون): «سنكون هناك يا (هارى)».

«ماذا؟».

قال (رون): «فى بيت عمك وعمتك. ثم سنذهب معك أينما ذهبت».

رد (هارى) بسرعة قائلاً: «لا...». لم يكن يعول على ذلك، بل أراد لهما أن يتفهما أنه عازم على القيام برحلته الخطيرة وحده.

قالت (هرميون) فى هدوء: «قلتَ لنا مرة من قبل: إن هناك وقتًا للعودة إذا أردنا. ولدينا الوقت، أليس كذلك؟».

قال (رون): «نحن معك مهما جرى. ولكن يا صاحبى سيكون عليك أن تأتى لبيت أمى وأبى قبل أن نفعل أى شىء آخر، حتى فى غور (جودريك)».

«لم؟».

«عرس (بيل) و(فلور)، أنسيت؟».

فنظر إليه (هارى) وجفل، ففكرة أن هناك شيئًا عاديًا كالزواج لايزال يمكن أن يحدث كانت تبدو غير معقولة ولكنها مبهجة.

وأخيرًا قال: «نعم، لا ينبغى أن يفوتنا ذلك».

أطبقت يده تلقائيًا على قطعة الـ(هوركروكس) الزائفة، ولكن على الرغم من الظلام، على الرغم من الطريق المظلم الملتوى الذى رآه ممتدًا أمامه، وعلى الرغم من اللقاء النهائى مع (فولدمورت) والذى كان يعرف إنه آتٍ لا محالة سواء بعد شهر أو بعد سنة أو بعد عشر، أحس بخفة فى قلبه لفكرة أنه لايزال هناك يوم هادئ أخير باقٍ ليستمتع به مع (رون) و(هرميون).

■ ■ ■


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع



كان الوقت منتصف الصيف. على الرغم من ذلك كان هناك ضباب، ليس هذا وقته، يتحرك أمام النوافذ.

هاري بوتر يجلس في غرفته بمنزل آل درسلي بشارع بريفت درايف ، ينتظر زيارة من الأستاذ دمبلدور بنفسه. كانت واحدة من المرات الأخيرة التي رأى فيها الناظر ، كانت مواجهة رهيبة بين الأستاذ دمبلدور واللورد فولدمورت وجها لوجه. سيذهب دمبلدور فعلا الى منزل آل درسلي من بين جميع المنازل.

لماذا سيأتي الأستاذ لزيارته الآن؟ ما الشيء الذي لا يحتمل الانتظار أسابيع قليلة حتى يعود هاري إلى هوجوورتس؟ بداية غير طبيعية للعام السادس لهاري في مدرسة هوجوورتس ، حيث يبدأ عالم العامة وعالم السحر في الاندماج.


Bibliotheca Alexandrina
0553993

